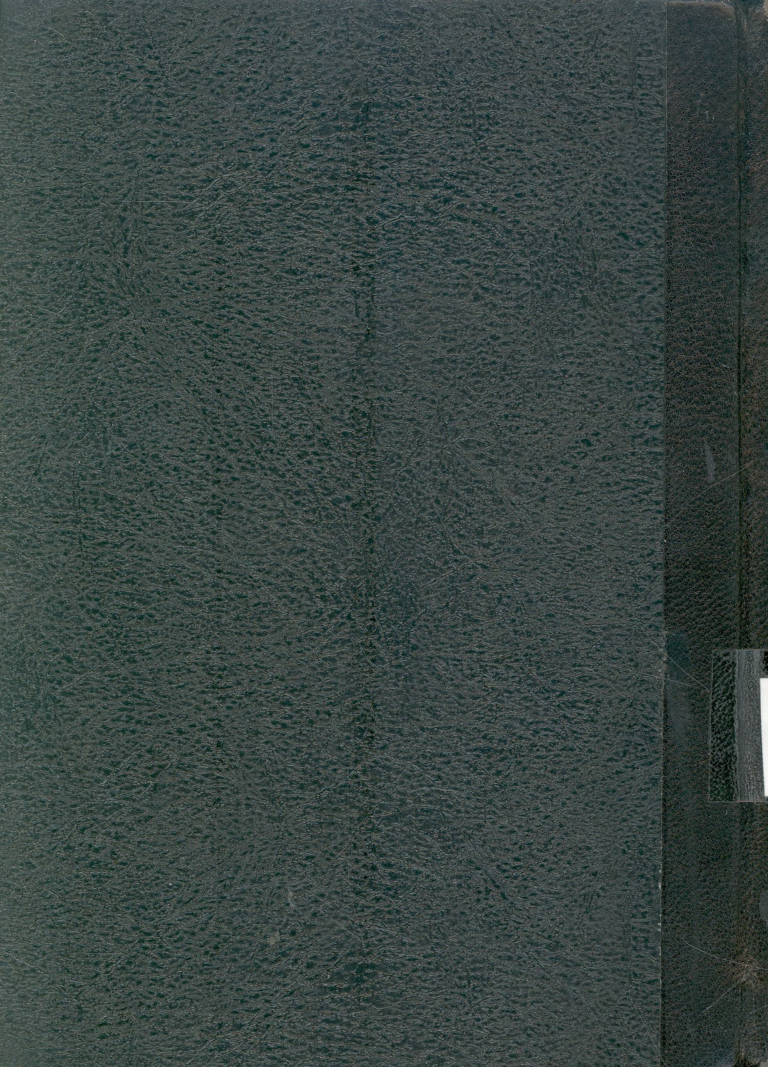


FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الحادي والخمسون

يوليو الى ديسمبر سنة ١٩١٧

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

Vol. LI

July to December, 1917.

PUBLISHED MONTHLY

AL-MUKTATAF PRINTING OFFICE
CAIRO, EGYPT.

فهرس المجلد الحادي والخمسين

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والخمسين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٢ رمضان سنة ١٣٣٥

سياحة ذرَّة ماءٍ

(خلاصة ما في الجزء السابق — شرحت ذرة من ذرات الماء كيف تولَّدت في عنق بركان من براكين الارض القديمة منذ نحو مئة مليون سنة وما مرَّ عليها من العِبَر وهي في الهواء والسحاب والبحر وانهار الجليد وجبالهِ غير خارجة في ذلك كلهِ عن الحقائق العلمية)

في اعماق البحر

قلت في الفصل السابق ان امواج البحر عبثت بجبل الجليد الذي كنت واحدة من اجزائهِ فذبنا وعدنا ماء سائلاً وانتشرنا في الاوقيانوس وكان بردنا شديداً ولذلك كانت كثافتنا اشد من كثافة ماء البحر على بردهِ فغصنا فيهِ منحدرات الى قاعهِ . واشتدَّ الضغط علينا بما تراكم فوقنا من الماء حتى صار اشد من الضغط الذي احتملتهُ وانا في جبل الجليد . و يظهر لي انني بلغت ما عمقهُ ستة آلاف متر او سبعة آلاف . فعجزت اشعة الشمس عن خرق طبقات الماء والوصول الى ذلك المكان لكنني رأيت في طريقي اليهِ كثيراً من الحيوانات الفصفورية فكانت تنير جوف البحر بعض الانارة واما عند ستة آلاف متر فلا نور من الشمس ولا من حيوانات فصفورية ولا ما ينعش النفوس بل ظلام دامس وسكوت أشبه بالموت . ماء كثيف وضغط شديد و برد قارس وعمل لا نؤْجر عليهِ ولا نُشكر لاننا كنا مضطرات ان نحتفظ بدقائق كثيرة من المواد الذائبة في البحر او المنتشرة فيهِ

غير ان الماء الذي كنت جزءًا منهُ لم يستقر في مكانهِ بل سار سيراً بطيئًا نحو خط الاستواء فبلغهُ بعد قرون كثيرة وهناك شعرت بشيءٍ من الدفء فان حرارة الشمس كانت

تسخن الماء الذي على وجه البحر وتحوله بخاراً فيختطفهُ الهواء ويصعد بهِ فيأتي الماء الذي تحتهُ ويحل محلهُ وهلمَّ جرًّا فجعلت اصعد رويداً رويداً صعوداً بطيئًا جدًّا حتى انني لم ابلغ سطح البحر الاَّ بعد نحو مليون سنة

في البحار الاستوائية

هنا انتعش فؤَادي فاني قابلت نور الشمس البهيج ورأَيت الوف الحيوانات تسبح وتمرح ولا برد ولا ضغط ولا ما يضيق بهِ الصدر . ولكن ما من نعيم يدوم طويلاً فبينا انا جزلة ناعمة البال اختطفني نبات بحري وادخلني في بنائهِ فاضطررت ان اقيم فيهِ واجري معهُ كيفما تقاذفتهُ الامواج ولعلي بقيت فيهِ اكثر من مئة سنة . ثم اكلهُ حيوان هلامي فدخلت جوفهُ وجريت في عروقهِ الى ان صرت جزءًا من بدنهِ المائي . وثارت العواصف ذات يوم وعلت الامواج فقذفت بذلك الحيوان على صخور الساحل فاختنق ومات وبلي جسمهُ فتحرَّرت منهُ وعدت الى البحر فابتلعني حيوان آخر وآخر وهلمَّ جرًّا . وكنت ابقى في جسم كل حيوان الى ان يموت او يأكلهُ آخر . وقد قضي على كل تلك الحيوانات واما انا فبقيت كما كنت ولم امت

وكنت اذا خرجت من جسم الحيوان الى البحر لا ابقى بلا عمل بل أُكلَّف انا وغيري من ذرات الماء حفظ بعض الغازات والجوامد الذائبة في فيهِ . وكثيراً ما كان السمك ذو الخياشيم يمتصنا ليسلب الاكسجين منا ويعيضنا اكسيد الكربون الثاني يعيضنا من الصالح طالحاً

وكان من نصيبي انني دخلت في كل تيارات الاوقيانوس واشتركت في المد والجزر ملايين كثيرة من السنين وامتزجت بالرشاش الذي كان يطير من الامواج حال تنفسها على شطوط المرجان . ودام الحال على هذا المنوال الى كنت ذات يوم الشمس على سطح البحر فقبض عليَّ الهواء الحار وصعد بي الى اعالي الجو

في نهر تحت الارض

رسخ في بالي حينئذٍ ان لا بدَّ لي من العودة الى الارض او الى البحر فكان كما توقعت . واتفق ذات يوم ان تولَّدت الكهربائية الى جانبي فأُجبرت على حمل بعضها وكان منها برق يخطف الابصار ورعد يصمُّ الآذان فوقعت على الارض مع نقط المطر في بلاد سحيقة وسرت مع غيري الى جدول فغدير فنهر صغير جرى بنا مسافة طويلة في وادٍ عميق ثم دخل بغتةً في غار عميق محفور في الصخور الكلسية ينتهي ببحيرة واسعة في قلب الارض حيث الظلام دامس . فبقيت هناك سنين عديدة لا ارى شيئًا ولكن لم يكن عليَّ ضغط كما كان في جبل الجليد وقاع البحر ولا كان هناك امواج وتيارات لان الرياح لا تعصف في ذلك

الكهف لكن الظلام الدامس والسكون المستمر يضيقان الصدور ولم يكن لي من عمل سوى حمل شيءٍ من مذوب كربونات الكلس

وكل مجاري المياه في قلب الارض وكل ما فيها من الكهوف انما حفرتها اخواتي ذرات الماء في العصور الغابرة لكنها لم تكتفِ بنحتها واذابة صخورها بل عملت عملاً آخر لتثبت انها تستطيع البناء كما تستطيع الهدم فانها بنت فيها اعمدة معلقة بسقفها من مادة كلسية تكاد تكون شفافة كالزجاج بعضها ابيض و بعضها اصفر او وردي . وحيث يكون قاع الكهف مرتفعاً لا يغطيهِ ماء البحيرة تجد تحت هذا العمود المتدلي من السقف عموداً آخر ناتئاً من الارض يلاقيهِ كانهما عاشقان تلاقيا وتعانقا

ثم كثرت مياه النهر في تلك البحيرة وجرى بي منها ينبوعاً صافي الزلال

في نبات من نباتات الفحم الحجري

سرت مع ماء ذلك الينبوع الينبوع المنبثق من جوف الارض الى ان بلغت بحيرة كبيرة ثم قبض عليَّ الهواء بواسطة حرارة الشمس فصعدت الى اعالي الجو وعدت الى الارض في نقطة مطر فغرت فيها وانا لا ادري الى اين مصيري هذه النوبة الى ان دنوت من جذور شجرة كبيرة فقبض عليَّ جذَيْر منها وامتصَّني فدخلت جوفهُ وسرت مع عصارتهِ في الانابيب المارة بين اليافهِ الخشبيَّة الى ان بلغت جذراً كبيراً ومنهُ الى ساق الشجرة فغصن من اغصانها ففرع من فروع ذلك الغصن واخيراً وصلت الى ورقة من اوراقهِ وكنت مضطرة مع غيري من ذرات الماء الى حل بعض المواد التي تغتذي بها تلك الشجرة من مركبات النتروجين والفصفور والكبريت والبوتاسيوم وما اشبه اي اننا كنا من حمَّالات الطعام ولم يكن سبيلنا سهلاً ومسيرنا خالياً من العوائق بل كنا مضطرات ان نجاهد في فتح طريقنا بايدينا

ولما بلغنا الورقة جعلنا نساعد الشجرة على اعداد طعامها وهضمهِ وقد كانت تلك الشجرة من اغرب الاشجار التي نبتت في العصر الكربوني ثم اندثرت وتكوَّن منها فحم حجري . وفي الواقع كنت من ذرات الماء التي ساعدت في تكوين الفحم الحجري في منجم ببلاد الصين فان الورقة التي كنت فيها تمكنت بواسطة مادتها الخضراء من استمداد القوة من الشمس واكسيد الكربون الثاني من الهواء واخذت الكربون منهُ فابقت عليهِ مع ذرات الماء وردت الاكسجين الى الهواء . فان بناء الشجر مؤلف من ذرات الماء وكربون الهواء . ثم أُخبرت ان تلك الشجرة التي كنت في احدى اوراقها شاخت وسقطت في المستنقع الذي كانت نامية

فيهِ وامتزجت بسائر موادهِ النباتية ثم علت فوقها الاتربة وتكوَّن منها الفحم الحجري واما انا فنجوت تلك النوبة ونجوتُ في نوبات أُخرى بعدها الى ان كنت يوماً عند سطح ورقة من اوراق شجرة فلما اشرقت عليها اشعة الشمس صعد بعض ما فيها بخاراً وكنت انا منهُ

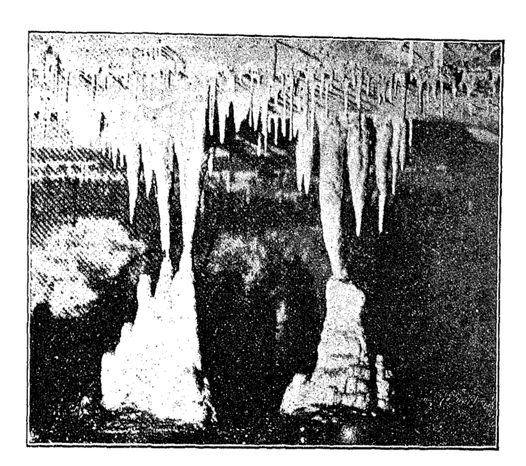
كدت ابلغ السيارات

لما صعدت الى الهواء هذه النوبة ارتفع بي الى علو شاهق جدًّا فانشرح صدري وطابت نفسي حتى زال من بالي العود الى الارض مع المطر او الثلج لانني بعدت عنها بعداً شاسعاً فتلطف الهواء حولي وصارت دقائقهُ من النتروجين والاكسجين والهيدروجين وذرات البخار التي فيهِ تتباعد بعضها عن بعض . ثم صدمتنا جسم من الاجسام فاندفعت جواهر الهيدروجين في خط شلجمي وخرجت من فلك الارض . وقد رأيت نفسي حينئذٍ معرضةً للاندفاع مثلها فحرت بين ان يكون من سعدي او من نحسي ان اخرج من فلك الارض . ولو حدث ذلك لدخلت بين افلاك السيارات وصرت ادور حول الشمس كواحدة من سياراتها على ما بي من الصغر كاني ابنة الارض او ابنة اخت المشتري . وقد ترك الارض في تلك النوبة الوف من جواهر الهيدروجين والهاليوم واقامت في الفضاء حول الشمس او اجتذبتها السيارات والنجيمات ولكن قلما يحتمل ان يكون بعضها قد خرج من النظام الشمسي بتاتاً لان جذب الشمس يصل الى ابعد من ابعد السيارات فيمنعها من الافلات . ومن المظنون ان ماء الارض والجلد لا يحويان الآن كل الماء الذي نفثتهُ الارض من جوفها بل ان بعضهُ اندفع عنها وافلت من جوها ولاسيما في العصور الخوالي حينما كانت الارض اصغر مما هي الآن واضعف جاذبيةً ولكن جاءها من ذرات الماء التي كانت تائهة في الفضاء مدفوعةً من الشمس والقمر والسيارات اكثر مما فقدت

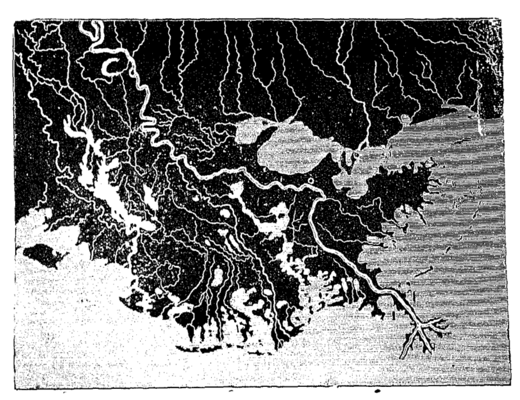
ولو خرجتُ من فلك الارض لأُتهمتُ بالنشوز فشددت عزيمتي وتشبثتُ بالهواء وسرتُ في خط اهليلجي بدل الشلجمي فعدت الى جو الارض بعد ان ابعدت عنهُ بعداً شاسعاً ولولا ذلك لكنتُ الآن في الفضاء بين السيارات والنجيمات ذرةً صغيرةً لا شأن لها على الاطلاق ولا نفع ينتظر منها . نعم اني كنت اجذب الشمس كما تجذبني لان التجاذب متبادل حسب نواميس الطبيعة ولكن مَن انا وما هو جذبي . غير انهُ لا ينتظر ان اقيم في الارض ابد الدهر ولا بدَّ لي من ان يحملني الضجر على تركها يوماً ما

في البلدان الجنوبية

ثم حملتني مجاري الرياح وساقتني الى الاقاليم الجنوبية . ولا يسعني الوقت لاقصَّ كل



اعمدة في كهف كونتها ذرات الماء كما ترى في الصفحة ٣



ذلتا نهر المسسبي باميركا التي كوَّنتها ذرات الماء بما فتتهُ من الصخور وجرفتهُ من التراب الى البحر

مقتطف يوليو ١٩١٧

في الصفحة ٥ و٦

ما مرّ بي من العِبَر وانا في تلك الاقاليم لا سيما وانها تماثل ما اصابني وانا في غيرها وكان العصر بداءة الدور المسمّى عند الجيولوجيين بالميسوزويك اي الدور الذي ظهرت فيهِ الزحافات الكبيرة. وقد شاهدت بعضها كما شاهدت بعض النباتات الغريبة التي نمت في ذلك العصر وكان لي يد في انشاء الانهر والبحيرات والسحب والزوابع والهالات واقواس قزح ولكن كانت الطوارئ التي طرأَت على الارضين تتغير بتغير الادوار والعصور الجيولوجيّة وكان تغيرها سريعًا جدًّا فرأَيت في ذلك ما يسليني

بقيتُ زمنًا طويلاً في الاوقيانوس الباسيفيكي الجنوبي مختلطةً بمياههِ ولم يكن حينئذٍ في السعة التي هو فيها الآن لان القارات الجنوبية كانت اوسع مما صارت اليهِ وكانت متصلة بعضها ببعض. ودخلت جسم حيوان كبير من الزحافات التي تسبح في البحر طولهُ نحو عشرة امتار ولهُ زعانف كبيرة كالمجاذيف وشدق واسع كالهاوية واسنان كبيرة مخروطية يطلق عليهِ اسم الاخثيوساوروس ولكنني لا اظن انهُ كان يعرف اسمهُ او يعرف التلفظ بهِ وجسم حيوان آخر اسمهُ بلزيوساوروس وهو قصير القامة طويل العنق جدًّا كأَنَّ رأسهُ وعنقهُ جسم افعى ولقيت حيوانًا كبيرًا كالضفدع يعيش في البر والبحر طولهُ نحو ثلاثة امتار وجسمهُ مغطى بترس صفيق كالسلحفاة واسنانهُ قوية جدًّا

ووصلت في سياحتي الى جهات القطب الجنوبي فانحبست بين ثلوجهِ ومرَّ عليَّ في ذلك الحبس مئتا الف سنة. ثم طرت في الهواء وعبثت بي العواصف واوصلتني الى جبال الاندس في غربي اميركا فوقعت مع المطر وامتزجت بمياه الامازون فطرحني في الاوقيانوس عند خط الاستواء وبقيت هناك دهرًا طويلاً في منطقة قليلة الحركة تارة في الماء وطورًا في الهواء

فعلنا بالقارات

نحن ذرات الماء اكثر عملنا منوط بتغيير وجه الارض. فانهُ يشقُّ علينا ان نرى الجبال شامخة بانوفها تناطح السحاب فنهاجمها ونحتها رويدًا رويدًا ونطرح نحاتتها في السهول ونجرفها الى البحار ونبسطها في قاعها. وكل ما في البر ينتقل الى البحر ونحن النقلة المكلَّفات نقلهُ وكان في امكاننا ان لا نبقي جبلاً ولا قارَّة ولا جزيرة الاَّ ونفتتها كلها ونطرحها في قاع البحر فلا يبقى ظاهرًا على وجه هذه الكرة الاَّ الماء والهواء لولا قوتان في الارض تعارضاننا وهما الحرارة والجاذبية فانهما تعمّقان قاع البحر في بعض الاماكن وترفعانهِ في اماكن اخرى حتى تصير منهُ جزائر وقارات وجبال فنضطر ان نكرر عملنا الاول مرةً بعد اخرى. ولقد تمكنّا

غير مرةٍ من جلب كل اليابسة ووضعها تحت اقدامنا في قاع البحر ولكن الحرارة رفعتها ثانيةً بقوتها التي تفوق الوصف فالتزمنا ان نستأنف عملنا من جديد ولكننا قد ربينا على الصبر والمواظبة فلا نترك العمل مهما حال دوننا من الحوائل . لقد ترانا اذا وقفتَ على شاطىء البحر نهجم على صخورهِ فنرتد عنها ثم نعاود الكرة مرةً بعد اخرى و يوماً بعد اخر بلا ملل ولا ضجر الى ان نفتتها كلها ونذيبها . هذا كان شأننا منذ صار للكرة الارضية بحر اي منذ كانت اكبر من القمر قليلاً وسنواظب على هذا العمل ما دمنا نرى ارضاً تقاومنا

ولنا في تفتيت الصخور وجرف الاتربة اساليب مختلفة واعمالنا موزعة بيننا ولكن ما من ذرة منا تقتصر على عمل واحد بل كل ذرة تعمل كل عمل اتفق وصولها اليهِ فاحياناً نذيب الصخور كما نفعل بالملح والجبس والصخور الكلسية لاننا نحن كوَّناها فنحن نذيبها . واحياناً نكتفي باذابة ما بين دقائقها من المواد التي تلحمها بعضها ببعض فتتفتت وتقع فنجرفها ونجري بها الى الاودية والغدران والانهر والبحيرات والبحار . ونحن الأُولى حفرنا الاودية في جوانب الجبال واذا وجدنا عائقاً في طريقنا انحدرنا من فوقهِ شلالات وجنادل الى ان نذيبهُ . وكم من بحيرة القينا فيها الطمي والابليز الى ان طمت وصارت ارضاً يابسة

واذا برد الهواء وقرَّ حتى تعذر علينا البقاء في حالتنا السائلة جمدنا وصرنا ثلجاً او جمداً ولكننا لا ننقطع عن العمل حينئذٍ بل نزيد نشاطاً فان اهم اعمالنا في الجبال العالية وقت اشتداد البرد فندخل بين دقائقها ونمزقها ونفتتها ولا شيء يقف في طريقنا او نعجز عنهُ ولو عاقنا قليلاً . والجبال الشاهقة التي ترى الآن انما هي على هذا المظَم وهذا العلو لانها ظهرت حديثاً وسوف نفتتها كلها ونجرفها الى قاع البحر كما فعلنا بالجبال التي كانت قبلها

ومتى قبضنا على فتات الصخور الناعم نبسطهُ طبقات منضدة بعضها فوق بعض ونترك فيها آثارنا وآثار النبات والحيوان اللذين عاصرانا كأَنها صفحات كتاب مكتوب بل هي تاريخ العصور الجيولوجية الغابرة

هذا ما فعلناهُ في الماضي وما سنفعلهُ في المستقبل . وسنستمر على عملنا بعد ما ينقرض نوع الانسان عن الارض كما كنا نفعل قبلما وجد عليها

لماذا هذا العمل وهذا العناء . هل نعمل حباً للعمل كلاَّ ولكن الحركة من طبعنا كما هي من طبع مثل سائر المخلوقات وانتم يا بني ادم لا تتنافسون وتتزاحمون وتتصارعون وتتقاتلون الاَّ لان الحركة في طبعكم والطبع غلاَّب

ستأتي البقية

اين الحبوب

نحن الآن في بداءة موسم الحبوب في بلاد زراعية اثبتت في العام الماضي انها تستطيع ان تمون نفسها . وموسم هذه السنة من الحبوب ليس اقل من موسم العام الماضي بل اكثر منهُ ومع ذلك ترى ثمن اردب القمح اكثر من ٣٠٠ غرش واردب الفول ٢٧٠ غرشاً حتى لقد اضطرَّ كثيرون من اصحاب المزارع الواسعة ان يبيعوا بعض ما عندهم من الثيران للذبح لانهم لم يستطيعوا ان يشتروا الفول الكافي لعلفها . فاين ذهبت الحبوب ولماذا هذا الغلاء الفاحش

قد يظن لاول وهلة ان هذه الحال خاصَّة بالقطر المصري وان الحبوب في غيرهِ كثيرة رخيصة وانما يتعذَّر جلبها اليهِ الآن لغلاء اجرة النقل ولكن ظهر من الاحصاء العام الذي نشرهُ ديوان الاحصاء الدولي في شهر مارس الماضي ان في مواسم الحبوب نقصاً كبيراً في كل البلدان يبلغ نحو ٢٨ في المئة اذا قوبلت بموسم سنة ١٩١٥ . و ١٧ في المئة اذا قوبلت بمتوسط السنوات الخمس من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٥ وقد نقصت الذرة ايضاً وسائر الحبوب التي يصنع الخبز منها

وزد على ذلك انهُ كان يبقى جانب كبير من الحبوب من سنة الى أُخرى واما الآن فالباقي من العام الماضي قليل جدًّا واذا اضفناهُ الى موسم سنة ١٩١٦ قصَّر المجموع عن القيام بالمقطوعية العادية نحو ثلاثة في المئة

لما انتصب السر وليم كروكس الكيماوي المشهورة يتلو خطبة الرياسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٩٨ قدَّر ان الاراضي التي تصلح لزراعة القمح اذا زرعت كلها قمحاً وكان متوسط غلة الفدان منها اردبين ونصف اردب لم تبلغ الزيادة اكثر من ٢٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ اردب لانها لا تزيد على مئة مليون فدان وهي تكفي فقط لزيادة السكان في البلدان التي يأكل شعبها القمح حتى سنة ١٩٣١ لا غير . اي اذا جاوزنا سنة ١٩٣١ صارت غلة القمح في الدنيا غير كافية لما يزيد في عدد السكان

وقد مضى الآن نصف هذه المدة وكانت غلَّة القمح في السنين الماضية تزيد على اكثر من النسبة التي قدَّرها لها السر وليم كروكس في المساحة المزروعة وفي متوسط غلة الفدان. فقد قدَّر الدكتور أنستد ان مساحة الاطيان التي كانت مزروعة قمحاً بين سنة ١٨٨١

وسنة ١٨٩٠ كان متوسطها السنوي ٠٠٠ ٠٠٠ ١٩٢ فداناً وبين سنة ١٨٩١ و ١٩٠٠ كان متوسطها السنوي ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤٢ فدان وانها ستبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠٠ فدان٠ وان متوسط محصول الفدان سيبلغ نحو ثلاثة ارادب ونصف اردب فيبلغ محصولها كلها ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١ (الف مليون اردب) ٠وقد قدَّر السر وليم كروكس ما يأكل النفس في السنة باقل من اردب وقدَّرهُ الدكتور أُنستد باكثر من اردب فاذا فرضنا انهُ اردب فقط فكل الاراضي التي يمكن ان تغل القمح تكفي غلتها الف مليون من النفوس فاذا صحَّ هذا التقدير فلا يحتمل ان يعجز محصول القمح عن اشباع آكليهِ قبل اواخر هذا القرن

ولكن ان كان الامر كذلك فلماذا هذا الغلاء الفاحش الآن ٠ والجواب ان لهُ سببين كبيرين الاول محل المواسم في اكثر البلدان التي امكن احصاء مواسمها وهذا يخرج رومانيا وتركيا وبلاد روسيا في اسيا وكلها من البلدان التي تصدر الحبوب لانها تزيد فيها على حاجة سكانها ٠والثاني تعذُّر نقل الحبوب والدقيق من روسيا وكانت روسيا تصدر في السنة من الدقيق ما ثمنهُ سبعون مليون جنيه وهي تعادل سبعين مليون اردب على اقل تقدير وتكفي سبعين مليوناً من النفوس فلو امكن نقل الدقيق من روسيا الآن لقام دقيقها مقام اكثر النقص في موسم الحبوب ٠ فاذا انتهت الحرب وعقد الصلح هذه السنة وعادت طرق التجارة الى ما كانت عليهِ فالمرجح انفراج الازمة الحاضرة وهبوط اسعار الحبوب ولو بعض الشيء ولكن اذا استمرَّت الحرب الى الشتاء المقبل فلا بدَّ من اشتداد الضيق لا لان التجار احتكروا الحبوب بل لان الحبوب غير كافية للقطوعية

ولكن هب ان محصول القمح في الدنيا كلها جاء اقل من المتوسط ٢٥ في المئة او ٢٨ في المئة وهب ان الحرب استمرَّت وطرق التجارة بقيت مقفلة فهذا كلهُ لا يستلزم ان تغلو الحبوب في القطر المصري هذا الغلاء الفاحش اذا شاءت الحكومة ان تقطع سعراً محدوداً للحبوب وتجبر اصحابها على البيع بهِ ٠ولكن هل من حسن السياسة ان تفعل ذلك أليس الافضل ان يقلل الناس من اكل الخبز ما امكن ويأكلوا بدلاً منهُ من مواد الطعام الرخيصة التي تقوم مقامهُ حتى يزيد الموجود من الحبوب على القطوعية وحينئذٍ ترخص من نفسها ٠ وهذا يفعلهُ الناس من انفسهم عادةً

استعمار السوريين بين العهدين

(تابع ما قبله)

قلنا في الجزء السابق انهُ كان للسوريين تأثير سياسي وفلسفي وعلمي وادبي وفني وديني في الشعب الروماني واثباتاً لذلك نقول :

السياسة — لاثبات تأثيرهم السياسي يكفي ان نقابل مثلاً بين حكومة اغسطس اللامركزية التي تركت الولايات التابعة لرومية تحكم نفسها بنفسها وبين حكومة ذيوقليطيانوس المركزية المطلقة والتي نشأت بعد ان احتكّ العقل الروماني بالعقل الشرقي وبالاخص السوري في سوريا وخارجها

من النساء السوريات اللواتي كان لهنَّ شأن كبير في سياسة رومية جوليا دُمنا ابنة كاهن إله حمص إيلَجَبَل (الجبَل) وزوجة الامبراطور سِبْتِميُوس سفِيرُس ووالدة كراكلاَّ وجيتا . تزوَّج بها سبتميوس وهي اصغر منهُ بعشرين سنة لما كان قائداً للفرقة السورية وذلك عملاً بقول عرَّافة سورية ان شخصاً سيتزوَّجُ احدى بنات كاهن حمص ويصير ملكاً . وكانت جوليا هذه متضلّعة من العلوم الطبيعية والفلكية وذات خلق جاذب فتَّان . فاجتمع في العاصمة دائرة من اشراف الرومان واعيان السوريين كانت هي محورها . ثم ان كاهناً حمصيًّا اسمهُ إيلَجَبَلُس Elagabulus فاز سنة ٢١٨ ب . م بالانتخاب للعرش الامبراطوري فنقل حاشيتهُ معهُ من حمص ونصب صورتهُ بالحلة الكهنوتية وتمثال معبودهِ فوق هامة تمثال «النصر» الروماني ممَّا استوجب غيظ مجلس الشيوخ وادَّى الى انتقامهم . ولا شكَّ ان المؤرخين الرومان المدفوعين بعامل الوطنية والنعرة الجنسية سوَّدوا صحيفة هذا الامبراطور السوري وبالغوا في سيئاتهِ . والحال ان السلام كان مدة ولايتهِ مستتبًّا من الداخل والخارج لاسيما وان المستعمرات السورية كانت تشدّ ازرهُ . وانك لتجد في كتاب للعالم بوشير[1] ظهر حديثًا باللغة الانكليزية عن ولاية سوريا الرومانية فصلاً مطوَّلاً عنوانهُ «العائلات السورية الحاكمة في رومية» جاء فيهِ على سير عدد من الاباطرة السوريين الذين تسنَّموا عرش القياصرة

وكان لسوريا في العالم اللاتيني شأن سياسي آخر بواسطة متشرّعيها . فالوزير المستشار للاسكندر ابن عم إيلَجَبَلُس وخلفهُ كان صوريًّا اسمهُ أُلبيان Ulpian وهو احد

(1) E. S. Bouchier, "Syria as a Roman Province" Oxford, 1916

اساتذة الشريعة الرومانية في كلية بيروت الشهيرة وقد شغل مناصب خطيرة في ايام سڤيرس وكراكلاّ . وكان پاپنيان مستشاراً للامبراطور نيرون ونسيباً لجوليا دُمْنا فكان اذن في الراجح حمصيًّا . ولما اخذ المتشرعون بنشر مجموعة الشرائع الشهيرة المنسوبة الى يوستنيانوس عمدوا الى تآليف هذين الثقتين السوريين وضمنوها فيها فيصح ان يقال انهما من مؤلفيها وعليهِ فبعض ما يُحسب اعظم تحفة اهداها الرومان الى المدنية البشرية انما كان من نتاج العقل السوري

الفلسفة — لقد كان للفلاسفة السوريين النازحين في العالم الاوربي العقلي شأن كبير فالفلسفة الافلاطونية الجديدة هي اهم ما انتجهُ العقل اليوناني الروماني بين زمن ارسطوطاليس والزمن الذي عمَّت فيهِ المسيحية اوربا . ومما يستحق الذكر ان واضعي اساس هذه الفلسفة واهم دعاتها لم يكونوا رومانيين ولا يونانيين بل سوريون منهم پورفيروس الشهير وتلميذهُ إِيَمْبلكس Iamblichus الذي وُلد في كَلْسِس[1] Chalcis

وُلد پورفيروس في مدينة صور عام ٢٣٣ ب . م وتخرَّج في كليات اثينا ورومية وكان اسمهُ الاصلي الشاميّ مَلْكُس (مشتق من مَلَك) فاتخذ لنفسهِ هذا الاسم اليوناني (ومعناهُ الارجواني) مما يدل ان غيرهُ من السوريين ذوي الاسماء اليونانية واللاتينية ربما كانوا من اصل عربي او فينيقي او سرياني آرامي . وهذا يذكرنا باسماء « سمعان بطرس » و « يوحنا مرقس » و « شاول بولس » وغيرهم . حتى ولو كان بعض هؤلاء المشاهير من اصل يوناني فانهم وُلدوا وتربَّوا في سوريا ووُلد فيها اباؤُهم وربما اجدادهم من قبلهم ومَن منهم رجع الى سوريا فابناؤُهُ لم يزالوا فيها حتى الآن . ولقد اطلق عليهم الجنسية السورية المؤرخون المعاصرون من يونان ورومان كما ورد معنا آنفاً عند ذكر الروائي الممثل پبليوس سيروس اي پبليوس السوري كذلك اطلقها العلماء الاوربيون الحديثون ومنهم الكاتب الانكليزي بوشير والاستاذ البلجيكي كومن[2] في كتابيهِ « عبادة مثرا السريَّة » و « الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية »

العلم والادب — لم يقتصر تأثير هؤلاء على السياسة والفلسفة بل تناول العلم والادب ايضاً . فالفيلسوف الشاعر فيلوديمُس Philodemus كان في طليعة السوريين الذين نزحوا الى ايطاليا حيث احكم عرى الصداقة مع پيزو عدو شيشرون فهجاهُ شيشرون

(١) اشار اليها يوسيفوس بهذا الاسم ايضاً وهي اليوم خرابات عنجر Anjar

(٢) Franz Cumont, "Les mystères de Mithra," "Les religions orientales dans le paganisme romain."

هجاءً مرًّا . ونشأ في جَدَرَة ثيودورس المنطقي الذي كان احد اساتذة رودس وهو استاذ الشاب الذي صار فيما بعد طيباريوس قيصر [١] . وقد قال الكاتب النقّادة الشهير لوشان انهُ كان سوريًّا سريانيًّا لا يونانيًّا لغتهُ الآرامية مسقط رأسهِ سموسطه [٢] ولد فيها عام ١٢٥ ب٠م ٠ كان لوشان على المذهب الابيكوري ودرس اليونانية في ايونيا (الشاطئ الغربي من اسيا الصغرى) ورجع الى انطاكية لممارسة الشريعة ولكنهُ عاد فاختار حرفة خطيب متجول فزار مكدونية وايطاليا وغاليسيا ثم استقرَّ في اثينا حيث كتب معظم ما كتب ٠ واهم تآليفهِ « الإلاهة السورية » "De Dea Syria" اقترح فيهِ وجوب عرض كل الآلهة للبيع بالمزاد العلني ٠ واخيرًا اقامهُ الامبراطور كمودس واليًا على مصر حيث قضى نحبهُ ٠ وكان معاصرهُ مكسيموس الصوري ايضًا خطيبًا متجولاً يتنقّل في آسيا واوربا الى ان اقام في رومية ولم يزل لدينا من خطبهِ احدى واربعون خطبة

واعظم المنطقيين [٣] السور بين تأليفًا لبانيوس Libanius الذي وُلد في انطاكية عام ٣١٤ ب٠م وبعد ان اكمل دروسهُ في اثينا انشأ مدرسة في القسطنطينية عاصمة الروم الجديدة حيث صادق الامبراطرة وخالط اكابر المأمورين واخصهم الامبراطور يوليانوس الذي عاشرهُ اشهراً في انطاكية وكانت انطاكية يومئذٍ رومية الشرق وثالثة مدن العالم المعروف من حيث كثرة السكان ٠ ولما قبل تلميذهُ الذي عُرف بعدئذٍ باسم يوحنا فم الذهب التعليم المسيحي اظهر لبانيوس استياءً شديداً ٠ وكان في جملة ما كتبهُ مقامات جدلية صُدّرت بهاخطب ديموستنيس الخطيب

وممن اشتهر في عهد الدولة الانطونينية الفيلسوف المنطقي السوري ادريانوس احد اساتذة اثينا ورومية

الفنون الجميلة — اثبت العالِم النقّابة ده ڤوغه Devogüé بفضل اكتشافاتهِ الحديثة في حوران ان سوريا كان لها بين القرن الاول والقرن السابع بعد المسيح اسلوب في البناء خاصٌ بها ٠ وممَّا لا ريب فيهِ ان البنّائين والحفّارين السوريين كان لهم تأثير يذكر في النمط المعروف بالبيزنطي ٠ والنقّاشون الذين زيّنوا جدران پومپاي اصلهم امّا من الاسكندرية او من ساحل سوريا ٠ والمهندس الاول للامبراطور تراجانوس واسمهُ ابولودرس الذي بنى لهُ

(١) سترابو ١٤ : ٢ و ٢٩ (٢) سماها جغرافيو العرب سميساط وتعرف اليوم باسم سمساط

(٣) اطلقنا لفظة « منطق » على "Rhetoric" وهو عند الاقدمين علم الكلام وكان يتناول المنطق وعلم اللغة والعقليات وعلم العمران

قصره ُ وهيكلهُ والجسر العظيم الذي عبر عليهِ الدانوب الى داشيا (رومانيا) كان دمشقيًّا

الدّين — انما اعظم تأثيرٍ أثرهُ المهاجرون السوريون في العالم اليوناني والروماني هو التأثير الديني . فقد اشتهر السوريون في كل عصر ومكان بغيرتهم الدينية . وما من امة — حتى ولا الامة المصرية — تفوقهم في المحافظة على معتقدها والدفاع عن آلهتها لاسيما تجاه الديانة المسيحية . وكان همّ المهاجرين الاول بعد ان يستقر بهم المقام في المستعمرات ان يقيموا مذابحهم ويتمموا فروضهم الروحية وينشئوا اخوياتهم الدينية . وكانت مدن سورية تمدّهم بالاعانات المالية المطلوبة لتحقيق هذه الغاية . ويظهر ان العامة بينهم كانت افعل من الكهنة والمتنبئين وغيرهم من رجال الدين في نشر ديانتهم . فاهتمام المستعمرين بالدينيات لم يكن اقل منهُ بالعالميات والدعاة الحقيقيون انما كانوا التجار والصنّاع في المدن البحرية والمراكز الصناعية والجنود والضباط في العاصمة وعلى الحدود والخدّام والخادمات في بيوت الاغنياء[1] والارقّاء في المزارع ومراكز الحكومة . وعلى هذه الصورة انتشرت في اوربا عبادة بعل دمشق وبعل هيليوبولس (بعلبك) وبعل حمص واطارغتس التي عمّت عبادتها سوريا وبعل مرقده اله بيروت (بَرِيتُس) الراقص وتموز (ادونس) الذي ناحت عليهِ نساء جبيل (بيبلوس) ومرناس اله غزّة الماطر . وآثار هيا كل هذه الآلهة لم تزل لليوم قائمة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وغيرها . وقد حاول امبراطرة الرومان مرّتين ابدال جوبتر الروماني ببعل السوري الامر الذي لا يستغرب من الدولة الرومانية السفيرية — وهي سورية الاصل — بقدر ما يستغرب من اورليانوس واصلهُ من إلّيرُكم (البانيا) . فاورليانوس هذا ادخل الى رومية الهاً جديداً « الشمس التي لا تقهر » (Sol Invictus) والشمس مذكر عندهم واقام لهُ هيكلاً نفيساً وجعلهُ حامياً للملكة . والحقيقة ان جل ما عملهُ هذا الامبراطور انهُ نقل تمثال بعل من تدمر بعدما افتتحها جنودهُ

ومن الآلهة التي وجدت في نفوس الرومانيين مكاناً رحباً مثرا الاله الايراني الاصل الذي نشر السوريون عبادتهُ وزاحم الديانة المسيحية الى ان كاد يتغلّب عليها . وعندما أُطلع كمودس على اسرار ديانة مثرا اخذ الحكّام والقضاة والاعيان يتسابقون لارضاء هذا الاله ويقدمون لهُ القرابين والنذور . ومن جملة الذين بنوا لهُ الهيا كل ذيوقليطيانوس . وكان يوليانوس من مريديهِ ومشيّدي عبادتهِ في القسطنطينية . ومن الآلهة التي انتشرت عبادتها

(١) تاشيطس ١٤ : ٤٤

عن يد الرحالين السور بين بعل دُليشه Doliché (عينتاب) الذي وصلت عبادتهُ الى المانيا وبريطانيا وافريقية وبلغ ما وُجد من الكتابات باسمهِ لليوم نحو المئة واكثرها باللاتينية

على ان تأثير هؤلاء المستعمرين في العصر المسيحي لم يكن باقل منهُ في العصر الوثني. فهم الذين وضعوا اسس الحياة النسكية في بلاد الغرب. وكثير من آباء الكنيسة الاولين وشارحي عقائدها في مصر وبلاد اليونان وايطاليا يرجع اصلهم الى ارومة سورية. ولما كان ذلك معروفًا لدى الاكثرين او مما يسهل الوقوف عليهِ رأينا ان نكتفي بالاشارة الى اثنين فقط منهم على سبيل التمثيل

لم يقم بين علماء الكنيسة الاولين مَن اشتهر بالدفاع عن المسيحية اشتهار يوستينوس الشهيد. ولد عام ١٠٠ ب. م في فلافيا نياپولس (نابلوس) من ابوين وثنيين وبعد ان تنصَّر في افسس ابقى عليهِ الرداء الذي كان يتميز بهِ فلاسفة العصر[١] واخذ يتنقل من مكان الى آخر مبشّرًا بالمسيحية الى ان انتهى بهِ الامر الى رومية فاستأجر فيها قاعة كبيرة كان يلقي فيها محاضراتهِ. واخيرًا استشهد في ازمير عام ١٦٣ او ١٦٤ ب. م

وكما امتاز يوستينوس بدفاعهِ عن المسيحية كذلك امتاز يوسيبيوس بمعرفتهِ تاريخها. وكان كلاهما سوريًّا. ولد يوسيبيوس في فلسطين حوالي سنة ٢٦٠ ب. م وتوفي سنة ٣٤٠. نزح الى مصر وسجن فيها بسبب معتقدهِ الديني ثم عيّن اسقفًا على قيصرية. لم يكن مفكرًا كبيرًا ولا لاهوتيًّا عظيمًا ولكنهُ كان بلا نزاع اوسع رجال عصرهِ علمًا واكثرهم معرفة. صادق الامبراطور قسطنطين وجلس الى يمينهِ في مجمع نيقية. واهم تآليفهِ تاريخ الكنيسة الشهير وبسبب هذا التاريخ أُطلق عليهِ لقب «ابو تاريخ الكنيسة»

وعلى الجملة ترون ان الرقيق والجندي والتاجر والكاهن كانوا من اهم الوسائط لنقل عمران سوريا الى اثينا ورومية من حيث السياسة والعلم والفنون الجميلة والدين وان انتصار اليونان والرومان على سوريا كان انتصارًا حربيًّا — وهو اقل الانتصارات. اما سوريا فانتصرت عليهم عقليًّا وروحيًّا. يظن الكثيرون ان التاريخ انما هو عبارة عن سرد سير العائلات الملكية والاحزاب السياسية والحقيقة ان الحاكم الحقيقي في كل زمان ومكان انما هو التاجر والمفكر والمتموّل. حقًّا لقد صدق من قال: «ان الشرق الذي تغلبت عليهِ رومية ساد عليها وهي متغلبة عليهِ»

---

(١) Hist. Ecc., Eusebius جلد ٤ جزء ٣ ص ٨

العصر البندقي

في اواخر القرن السابع استفحل امر العرب وانتشرت سطوتهم من جبل طارق الى خليج العجم . ولم يكونوا في اول عهدهم من المولعين بركوب البحار . ومع انهم على تمادي الايام اتقنوا الملاحة وسيّروا سفنهم حتى الصين شرقاً — على ما نصّ المسعودي — والبرتغال غرباً فان يدهم و يد من خلفهم في حكم سوريا من تتر ومماليك كانت ثقيلة على المدن التجارية التي على شطوط بحر الروم فضعفت التجارة البحرية وكثر قرصان البحر مما اوقف تيار المهاجرة السورية لاسيما وان اوربا عندئذٍ كانت مضطربة الاحوال سائدة فيها الفوضى بداعي غزوات البرابرة من الشمال . ومن المشهور المتعارف ان عدداً ليس بقليل من تجّارة العرب ومن المغاربة الذين عمت سلطتهم افريقية الشمالية الغربية والاندلس كانوا من عرب سوريا

تلك كانت الحال الى اواخر القرن الثاني عشر وانتهاء الحملة الصليبية الرابعة فالحروب الصليبية المشومة كان من حسناتها انها جعلت الغرب يحتك" ثانية بالشرق والمراكب التي نقلت المحاربين اخذت تنقل البضائع والحبوب . عندئذٍ اتسع للبندقية مجال التجارة وفتحت في وجهها سبل الاتصال مع سوريا واخذت سطوتها البحرية بالازدياد . وكما كانت صور الى ان خرّبها الاسكندر وقرطاجنة الى ان دمّرتها رومية هكذا اصبحت البندقية سيدة البحار وعروس البحر المتوسط

وكان في البندقية مستعمرة سورية زاهية ذكرها الكاتب الافرنسي دبنغ (١) مستنداً الى تاريخ البندقية لدندولو(٢) ومما قاله في وصفها ان اكثر ابنائها من امهات سوريات وآباء بندقيين وانها على ما يظهر اندمجت في بقية سكان المدينة حيث انقطع ذكرها من التاريخ

وبقيت البندقية برغم منافسة جنوى وفلورنسا وعدائهما محتكرة تجارة البحر الى ان استولى الاتراك على القسطنطينية عام ١٤٥٣ فضربوها ضربة لم تكن بقاضية لولا ان اكتشفت طريق جديدة بين اوربا والهند هي طريق راس الرجاء الصالح فضعف شأن المدن البحرية السورية وتقلّص ظل البندقية

العصر الحديث

في اوائل القرن الرابع عشر انتشر استعمال الحك (الابرة المغنطيسية) بين بحّارة

(١) صفحة ١٧٥ (طبع باريس سنة ١٨٣٠ G. D. Depping, Histoire de Commerce,

(٢) Chronica Veneziana, Dandolo.

ايطاليا والبرتغال وفرنسا وهولاندا ٠ وفي عام ١٤٨٦ وصل دياز البرتغالي صدفة الى طرف افريقية الجنوبي ٠ وبعد ذلك باحدى عشرة سنة ابحر مواطنهُ ڤاسكو داغاما حول افريقية واتصل الى الهند عن طريق الاتلانتيك ٠ وقبل انتهاء ذلك القرن اكتشف كولمبس اميركا ٠ فتحوَّلت الانظار من الشرق الى الغرب واصبح مركز التجارة والعمل وبالتالي التمدن ليس على سواحل بحر الروم الشرقية بل الغربية وامسى البرتغاليون بدل السوريين روَّاد التجارة وقادة المهاجرة والاستعمار

نجم التجارة كنجم المُلْك سيرهُ ابداً الى الغرب لكنهُ دائمًا سابق لهُ ٠ كان المستعمرون في العهد القديم فينيقيين فقرطاجنيين فيونانًا فرومانًا وفي العهد المتوسط سوريين فايطاليين من فلورنسا وجنوى والبندقية وفي العهد الحديث برتغاليين فاسبانيولاً فهولانديين فافرنسيسًا فانكليزاً ٠ وما ادراك ان تجار المستقبل ومستعمريهِ ليسوا اميركانًا فيابانيين فصينيين ؟

المهاجرون الى فرنسا — كثر بعد الحروب الصليبية عدد الذين هاجروا من سوريا الى سواحل فرنسا بقصد الاتجار او متابعة الدروس ٠ اشار اليهم مراراً غريغوريوس ده تور[1] وده غوين[2] وازداد عدد هؤلاء بعد ان منح الباب العالي لفرنسا امتيازات خاصة وذلك عام ١٥٣٥ لاسيما وان السلطان سليمان عقد في العام التالي معاهدة مع فرنسوى الاول خوَّل فيها فرنسا دون سواها حق الاتجار مع المملكة العثمانية ٠ وممَّا استلفت نظرنا في براءة بعث بها الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٤٩ قولهُ « ونأمر قناصل ونوَّاب قناصل الدولة الفرنساوية ٠٠٠ ان يركبوا في المراكب الفرنساوية او غيرها كل ماروني يريد ان يأتي الى بلاد النصارى اما لدرس العلوم او لغاية اخرى من غير ان يطلبوا منهم الاَّ النول [الناولون] الذي في وسعهم ان يدفعوهُ » [3] ويحق لنا من هذا ان نستنتج ان جمهوراً من الموارنة كان قبل هذه البراءة يذهب الى فرنسا والاَّ فكيف خطر ذكر ذلك في بال الملك لويس الرابع عشر ٠ ولا شك ان كثيرين اغتنموا فرصة التسهيلات التي خوَّلتهم اياها هذه البراءة ٠ ولم يكن لويس الرابع عشر منفرداً في امر هذه البراءة فقد سبقهُ اليها لويس التاسع وجدَّد بعض عهودها لويس الخامس عشر ونابوليون الاول والثالث

ومما يدل على كثرة المهاجرين السوريين من غير الموارنة في بلاد الافرنسيس ان الروم

(١) غريغوري جلد ٤ فصل ٣٨

(٢) De Guignes, Mémoire sur le Commerce des Français dans le Levant.

(٣) تاريخ الدويهي صفحة ٢٢٠

الكاثوليك منهم كانوا سنة ١٦٠٠ على كثرة من العدد بحيث تمكَّنوا من اقامة معبد خاص بهم في ليفورن

المهاجرون الى ايطاليا — كان من نتائج الحروب الصليبية انها احكمت عرى الوداد بين الطائفة المارونية والكرسي البابوي وكان الرهبان الكاثوليك من افرنسيين وايطاليين يأخذون التلامذة السوريين الى اوربا ولقد امتاز من بين هؤلاء التلامذة جبرائيل القلاعي الذي سافر سنة ١٤٧٠ مع الرهبان الفرنسيسكانيين من القدس الى رومية حيث لبس اسكيم مار فرنسيس مع رفيقهِ يوحنا فدرسا اصول اللغة اللاتينية وبرعا في العلوم الطبيعية والالهية وعاد جبرائيل الى قبرس اسقفاً وتوفي عام ١٥١٦ عن تآليف تاريخية جمة

وبعد ان ارسل البطريرك سمعان الحدثي عام ١٥١٣ رسولهُ ليطلب لهُ التثبيت من رومية ووجد الرسول ما وجد من الصعوبة بداعي جهلهِ اللاتينية شعر البطريرك بضرورة تعليم اللغة اللاتينية للرهبان المارونيين فارسل عام ١٥١٥ مع رئيس الرهبان الفرنسيسكان قسين يصحبهما الخوري يوسف الى رومية لاحراز العلوم الدينية واللاتينية · ويوسف هذا هو اول من درَّس اللغة السريانية في اوربا · وفي عام ١٥٧٩ أُرسل تلميذان آخران مع القاصد الرسولي · وعام ١٥٨١ اربعة · وعام ١٥٨٣ عشرة · فلما رأى البابا غريغوريوس الثالث عشر هذا الاقبال من التلامذة المارونيين اسَّس لهم عام ١٥٨٤ كلية وخوَّل كلاًّ من الاساقفة ان يرسل ستة من رعيتهِ · وعيَّن خلفهُ في السدة البابوية للتلامذة المارونيين راتباً خاصًّا · ولما توفي الكردينال كرافا (سنة ١٥٩١) ذهبت كل تركتهِ بموجب وصيتهِ وقيمتها عشرة آلاف سكودي[1] الى هذه الكلية · ولما توفي نصر الله بن شلق وهو من مواليد العاقورة ومهاجري ايطاليا ترك ثروة طائلة لبناء كلية في رافنا وجعل وكيلهُ في ذلك القس جبرائيل الحصروني · فتأسَّست الكلية عام ١٦٣٩ وما لبثت ان انضمت عام ١٦٦٤ الى كلية رومية · كذلك اقام البابا غريغوريوس للموارنة مستشفى خاصًّا على ما نصَّت السيكلوبيدية الكاثوليكية الامر الذي يدل على ان عدد الموارنة من تلامذة وغيرهم كان في رومية عظيماً · ولم يزل للموارنة في رومية لليوم حيّ معروف باسمهم زرناهُ لدى زيارتنا المدنية منذ اربع سنوات

وقد تخرَّج في هذه الكلية المارونية في رومية عدد من العلماء الاعلام الذين نشروا

---

(١) الدويهي ١٨١ — ١٨٢

اللغات الساميّة لاول مرة في اوربا وبذلك نشروا معرفة الفلسفة الشرقية والتاريخ والتمدن الشرقي · منهم من رجع الى سوريا ولبنان وشغل مناصب خطيرة من السدة البطريركية فما دون ومنهم من بقي في ايطاليا او نزح الى فرنسا يدرس ويدرّس · فمن خرّيجي هذه الكلية الذين عادوا الى بلادهم العالم اللغوي جرجس ميخائيل عميره الذي سيم بطريركاً عام ١٦٣٣ وهو موءلف اول كتاب في اوربا في النحو السرياني · واسحق الشدراوي (ويعرف باللاتينية باسم Schadré) الذي اقيم اسقفاً على طرابلس الشام عام ١٦٢٩ ومن تآليفهِ كتاب نحو سرياني وترجمة كتاب « المناجاة بين المعلم والتلميذ » من اللاتينية الى العربية

ومن الذين امتازوا من خريجي رومية جبرائيل الصهيوني وباللاتينية (Sionita) الذي وُلد في اهدن عام ١٥٧٧ وتوفي في باريس عام ١٦٤٨ بعد ان كان استاذاً في الشابنزا برومية ثم ترجماناً للملك لويس الثالث عشر فاستاذ اللغات الساميّة في السوربون واحد المساعدين في ترجمة التوراة الكثيرة اللغات (polyglot) اعطتهُ الجامعة الافرنسية لقب دكتور وكان يتقاضى الحكومة الفرنسية الفي ليرة سنويًّا · كان جبرائيل احد الشابّين اللذين انتخبهما سفري ده برف من مدرسة رومية وارسلها الى فرنسا لترجمة التوراة · وكان سفري هذا سفيراً لفرنسا لدى الباب العالي واحد المولعين بالدروس الشرقية · اما الشاب الثاني فهو حنا الحصروني الذي لم يقلّ علماً ومعرفة عن رصيفهِ الصهيوني · ولقد جرى بين هذين العالمين ولاجاي (Le Jay) رئيس تحرير التوراة ومتولي طبعها خلاف ادّى الى تداخل الكردينال الوزير ريشاليو الشهير الذي اعتقل الصهيوني في سجن ڤنسن ثلاثة اشهر سنة ١٦٤٠ · ثم قام ابرهيم الحاقلاني (باللاتينية Ecchelensis) المنسوب الى حاقل بلبنان · وكان استاذ اللغتين العربية والسريانية في البروپغندا برومية وفي الكلية الملكية بباريس ونشر عام ١٦٤١ ملخص تاريخ الفلسفة الشرقية باللغة الافرنسية ثم ترجم تاريخ ابن الراهب الحصري · وعملاً باقتراح فرننذ الثاني دوق تسكاني ترجم من العربية الى اللاتينية الجزء الخامس والسادس والسابع من كتاب الهندسة تأليف ابولونيوس الذي عاش في الاسكندرية · توفي الحاقلاني في رومية عام ١٦٦٤ عن اربعة وستين تأليفاً في التاريخ الشرقي والفلسفة واللغات السامية

ومن علماء القرن السابع عشر اسطفان الدويهي صاحب التأليف الشهير في تاريخ الطائفة المارونية · اقام في رومية يدرس وينقّب من عام ١٦٤١ الى عام ١٦٥٤ وتوفي بطريركاً عام ١٧٠٤ · وعاصرهُ مرهج نمرون (باللاتينية Faustus Naironius)

واصلهُ من بان في لبنان وبعد ان اتم دروسهُ في رومية شغل مركز خالهِ ابرهيم الحاقلاني في الشاپنزا وهو اول من وضع تاريخ الموارنة باللاتينية · توفي على قول ده لاروك[1] عام ١٧١١

اما شيخ هؤلاء الفطاحل الاعلام واميرهم بلا نزاع فهو يوسف سمعان السمعاني وهو احد ثلاثة معروفين باسم السمعاني وقد جاءَت حياتهُ حلقة الاتصال بين العلوم الشرقية والغربية · فالسمعاني ان لم يكن مبتدع العلوم الشرقية فهو بلا شك اول « مستشرق » · وُلد عام ١٦٨٧ في طرابلس الشام ووالداهُ من حصرون ذهبا الى طرابلس لقضاء فصل الشتاء فولد فيها · ومات في رومية عام ١٧٦٨ · اوفدهُ البابا مرتين الى سوريا لجمع مخطوطات وكتب وللنظر في معتقدات الكنيسة المارونية التي كانت تمارس اموراً غير مرضية في نظر ارباب الدين الكاثوليكي · في سنة ١٧٣٢ سماهُ كارلوس الرابع ملك نابولي وصقلية مؤرخ مملكتهِ الرسمي ثم امر ان يُحسَب من اعيان تلك المملكة كالمولودين فيها · وفي السنة نفسها عينهُ البابا اكليمندس الثاني عشر مديراً ثانياً لمكتبة الڤاتيكان فنشر ووقف على طبع عشرات من المخطوطات السريانية والعربية والاثيوبية والارمنية والفارسية والعبرانية واليونانية · اما اهم مؤلفاتهِ فهي « المكتبة الشرقية » التي لم تزل ليومنا هذا قبلة المستشرقين واهم مصدر يستقون منهُ

ملاحظة ختامية

كانت المستعمرات التي شادها الرومان نتيجة انتصاراتهم · ومستعمرات اليونان نتيجة احزاب سياسية تفشل فتترك البلاد · ومستعمرات البرتغال واسبانيا في اميركا وهولاندا في افريقيا الجنوبية وانكلترا في اوستراليا اكثرها زراعية وبعضها حربية · اما المستعمرات السورية فكانت بالاكثر تجارية · تلك قامت بها الحكومة او الامة وكثيراً ما امدتها بالمال وهذه قام بها الافراد مستقلين · تلك احتفظت بكيانها فطالت حياتها اما هذه فقصر اجلها وابتلع المحيط الجديد سكانها فاندغمت فيهِ · تلك كان لها غرض سياسي او حربي اما هذه فغرضها الارتزاق والكسب ومطاوعة ميل النفس الى التنقل والتجوال وهي مسبَّبة في اوائل عهدها عن ازدحام السكان في سوريا وموقع سوريا الجغرافي اما في القرون الوسطى والحديثة فعن الاضطهاد الديني او القومي وعن الضغط الاقتصادي · وعلى الجملة فتاريخ المهاجرة السورية انما هو فصل مفعم بالفوائد من تاريخ المهاجرات ناطق بشجاعة السوريين وذكائهم واقدامهم وطموحهم الى المعالي

جامعة كولمبيا بنيو يورك فيليب حتي

(١) صفحة ١٢٩ De la Roque Voyage en Syrie et au Liban

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

(خلاصة ما في اجزاء المجلد الخمسين — كان للسر اوليفر لدج العالم الطبيعي المشهور ولد اسمهُ ريمند وهو اصغر ابنائهِ قتل في هذهِ الحرب في فرنسا · وقد جاءهُ انذار قبل ذلك من اميركا من روح الاستاذ ميرس عن يد مسز بيبرس يشير الى قتلهِ · والاستاذ ميرس كان في حياتهِ من اكبر الباحثين في المباحث النفسيَّة ومناجاة الارواح ومسز بيبرس من اللواتي يمنَ النوم المغنطيسي و يدعين مناجاة الارواح · ثم تكلم السر اوليفر لدج هو وزوجتهُ مع روح ابنهِ عن يد امرأة اسمها مسز كَنَدي وامرأة اخرى اسمها مسز ليونارد ورجل اسمهُ بيترس والاولى تكتب يدُها ما يوحى اليها او تفكّر بهِ والثانية تناجي الارواح بواسطة مرشدة اسمها فدى توحي اليها او تحرك مائدة يضع الحضور ايديهم عليها و يتلون حروف الهجاء فتقف عند الحروف التي مجموعها يوَّلف الكلمة او العبارة التي تريد الروح القاءها اليهم · والثالث يقع عليهِ الذهول فينطق بما تناجيهِ بهِ الارواح بواسطة مرشد لهُ اسمهُ مونستون · وقد الَّف السر اوليفر لدج كتاباً كبيراً في هذا الموضوع فلخصنا منهُ ما تقدم وعقَّبنا عليهِ بما رأيناهُ موجباً للشك في ان الوسيط كان يتكلم بلسان الروح · ووعدنا بتلخيص ما بقي والتعقيب عليهِ بما نراهُ وانجازاً لذلك نقول)

مهما نسبنا من الذهول الى السر اوليفر لدج واهل بيتهِ لا ننصفهُ اذا لم نقل انهُ تحرَّى البحث تحرياً دقيقاً جداً واشار الى كل ما يحتمل وقوع الخطإِ فيهِ اشارة عالم محقق شأنهُ في سائر مباحثهِ العلمية · فقد قال مثلاً في حركات المائدة انهُ لا يمكن الاعتماد عليها اذا كان الامر الذي تُسأَل عنهُ معروفاً لدى احد من الذين يضعون ايديهم عليها لئلاَّ يحركوها ولو على غير قصد منهم حركات تطابق ما يعلمونهُ عن الشيء الذي تسأَل الروح عنهُ · ولكننا نرى ان شروط البحث في هذا الموضوع تستلزم ان نفرض فرضين آخرين الاول ان الذين يعتقدون بصحة حركات المائدة معرَّضون للذهول الذاتي وهوُلاء متى ذهلوا تذكروا اموراً محفوظة في عقلهم الباطن لا يتذكرونها في حال الانتباه كما ان النائم يتذكَّر اموراً لا يتذكرها في اليقظة بل قد ينساها في اليقظة بعدما يتذكرها في الحلم · والثاني ان المعرضين للذهول او للتهيج العصبي يرون اشياء لا يراها غيرهم ولا وجود لها في الخارج و يسمعون

اصواتًا لا يسمعها غيرهم ولا وجود لها في الخارج وامثلة ذلك كثيرة لا تحصى. فكم من شخص يقول انهُ يرى في القمر صورة وجه انسان او وجه رجل ووجه امرأة ولا نستطيع ان تصرفهُ عن اعتقادهِ هذا مهما حاولت بل قد تصير ترى ما يراهُ هو. واذا ثبت ان الانسان يتذكر في حالة الذهول اموراً يكون قد علمها ونسيها وهو في حال الانتباه وانهُ قد يرى ويسمع اشياء واصواتًا لا وجود لها لانهُ يتوقعها او يتوهمها — اذا ثبت ذلك وهو ثابت سهل تعليل اكثر ما روي عن مناجاة الارواح كما ظهر لنا بالاختبار

لكن السر اوليفر لدج لم يراعِ هذين الفرضين على ما يظهر كأن رغبتهُ الشديدة وثقتهُ الاكيدة في اثبات مناجاة الارواح حملتاهُ على اغفالها واكتفى باستنباط مسائل لا يعرف الوسطاء حلها. قال ان اولادهُ كانوا لا يزالون يشكّون في صحة هذه المناجاة فاجتمعوا واستنبطوا مسائل تشير الى امور طفيفة يحسبون ان اخاهم لا يزال يتذكرها ولكنهُ هو اي السر اوليفر لا يعرفها لانها حدثت لهم وهم يقضون فسحة الصيف في اماكن بعيدة عنهُ متنزهين بالاوتوموبيل. وكتبوا هذه المسائل وسلموها اليهِ في ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٥ في ظرف مقفل فاخذها وذهب بها الى لندن وفتح الظرف في الطريق وهو ذاهب الى بيت الوسيطة مسز ليونارد وكانت لادي لدج معهُ وجلسا حول المائدة الساعة الخامسة والدقيقة ٣٠ بعد الظهر

وقد حضر هذهِ الجلسة الدكتور كنذي وزوجتهُ. وقال السر اوليفر في بداءة الجلسة انهُ جاء قصد الوقوف على ادلة مزكّاة وانهُ قد استعدَّ لذلك ولا بدَّ من ان الارواح تستحسن ما فعل وتساعدهُ على اظهار الحقيقة. وبعد ثلاث دقائق ونصف تحركت المائدة حركة خفيفة فقال السر اوليفر أبولس هناك (وهو ابن مسز كنذي وكان قد توفي)

المائدة — نعم

لدج — أأتيت بريمند معك

المائدة — نعم

لدج — أأنت هناك يا ريمند

المائدة — نعم. فحيتهُ امهُ اولاً وقال ابوهُ — هوذا يا ابني قد اتيتك بمسائل يظن اخوتك انك تعرف ان تجيب عنها اما انا فلا اعرف شيئًا عنها وغرضهم ان يتحققوا اننا لا نساعدك في الاجابة على غير قصد منا كما يحدث لو كنا نعرف اجوبتها اما الآن فلا احد من الحضور يعرف اجوبة هذه المسائل فهل فهمت مرادي

المائدة — نعم

لدج — احسنت اذاً هل ابتدئ

المائدة — لا

لدج — اراك تريد ان تقول شيئاً قبل ذلك

المائدة — نعم

لدج — اذن نتلو حروف الهجاء

المائدة — قل لهم الآن اجتهدوا لتثبتوا ان عندي رسالة الى العالم

(اي ان الكاتب كتب الحروف التي وقفت عندها المائدة فكان منها هذه العبارة)

لدج — اهذا كل ما تريد ان تقوله المائدة — نعم

لدج — اذن اتلو عليك مسألة من مسائل اخوتك ولا بدَّ لي من ان اقول لك قبل ذلك انهُ لا ينتظر منك ان تفهم دائماً المراد او ان تجيبنا عن كل هذه المسائل فاذا تعذَّرت عليك الاجابة عن مسألة فاني انتقل الى غيرها . فلا تستعجل ونحن نكتب ما تقولهُ لنا . والمسألة الاولى هي هذه اتتذكر شيئاً عن الارغونوط Argonauts اي هل تجد لهذه الكلمة علاقةً ما في ذهنك . تمهَّلْ وافتكر

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول لي ما الذي تتذكرهُ من امرها

المائدة — نعم

ثم تليت حروف الهجاء فكان مجموع الحروف التي وقفت عندها المائدة كلمة تلغراف

لدج — اهذه نهاية الجواب المائدة — نعم لدج — اذن نتقدَّم الى المسألة الثانية وهي ماذا تتذكر من امر دارتمور Dartmoor

وللحال شرعت المائدة تتحرك ووقفت عند حروف معناها « نازلون »

لدج — اهذا كل ما تريد ان تقولهُ

المائدة — لا

لدج — اذاً كمّل الجواب

المائدة — هل فري HILL FERRY

لدج — اهذا كل ما تريد ان تقولهُ

المائدة — نعم

لدج — اذن اذكر لك المسألة الثالثة وهي معقَّدة نوعًا على ما يظهر لي ماذا تفهم بقولنا « افنرود O. B, P. اخت القيصر »

وعقَّب السر اوليفر لدج على ذلك قائلاً « ان اجوبة هذه المسائل الثلاث لم تكن طبق المراد والظاهر انها لم تذكرهُ بما يراد بها . ثم سئل عن اسم الشخص الذي اعطاهُ كلبهُ فاجاب جوابًا صحيحًا ولكننا نحن كنا نعرف اسمهُ »

لكن السر اوليفر لدج لم يكتفِ بذلك بل بحث عن علاقة الاجوبة الثلاثة الاولى بمسائلها فعلم من بناتهِ ان للجواب الاول وهو كلمة تلغراف علاقة بكلمة ارغونوط فان اولادهُ ورِيمند معهم ساروا للنزهة بالاوتوموبيل في العام السابق وبعثوا بتلغراف الى البيت وقّعوهُ بكلمة « ارغونوط » اما ابناؤهُ فلا يتذكرون ذلك بل قالوا انهم ارادوا بكلمة ارغونوط اسم يخت وصفهُ بعضهم وصفًا شعريًّا نفيسًا في كتاب قرأُوهُ هم وأخوهم معًا . وعندنا ان كان الامر كما قال السر اوليفر فلا يبعد ان تكون زوجتهُ رأت ذلك التلغراف وتوقيع ابنائها فيهِ وبقي هذا محفوظًا في ذهنها الباطن فتحكمت في حركات المائدة بحسبهِ وهي لا تدري

اما الجواب " دارتمور " فقال اخوتهُ فيهِ انهُ صحيح ولكنهُ ليس المراد وانهم لا يتذكرون وجود فري هناك (ومعنى فري ferry معدية او عبَّارة او معبر) . قال السر اوليفر « وفي ٢٢ اكتوبر سألت مسز ليونارد ان تستحضر ريمند وتسألهُ عمَّا اراد بكلمة دارتمور وبكلمة فري فاجابها بلسان فدى مرشدتها « انهُ حدث ما يوجب الخوف فوضعوا الفرملة (الضاغطة) على عجل الاوتوموبيل ونزلوا في المنعطف » . فظننت حينئذٍ ان هذا الكلام من قبيل الهذر ثم وجدت لدى البحث ان ريمند واخوتهُ لما كانوا في النزهة التي اشرت اليها انكسر المسكت (السلنسيه) الذي في الاوتوموبيل فخرج منهُ صوت يصم الآذان وكان امامهم اكمة عالية واقفة ثم نزلوا في منحدرات شديدة ورأوا امامهم اكواعًا ضيقة فشدوا الضاغطة . وكانوا ينتظرون ان يشير ريمند الى الصوت الذي سمعوهُ عند انكسار المسكت فلم يشر اليهِ . وعند السر اوليفر ان ريمند اصاب ولو لم يأتِ جوابهُ مطابقًا لما ارادهُ اخوتهُ

ويظهر لنا ان حادثة مثل هذه يتعرَّض فيها اولاد السر اوليفر لدج للخطر الشديد يبعد ان لا تكون قد ذُكرت بتفاصيلها في بيتهِ مرارًا وعرف بها هو وزوجتهُ والجيران

والمعارف فاثَّرت معرفتهُ او معرفة زوجتهِ لها في حركات المائدة او انطقت مسز ليونارد بشيء مّمَّا سمعتهُ قبلاً عن هذه الحادثة

ثم سألها السر اوليڤر قائلاً هل قال ريمند شيئًا عن الفري

فاجابت انهُ لا يتذكر انهُ قال شيئًا

لدج — ولكن انا اتذكر

الوسيطة — قال نعم ولكنهُ لا يريد ان يذكر شيئًا عنهُ الآن و يقول ان ذكرهُ كان على سبيل العرَض وقد اراد ان يقول تلةً لا معبراً ولا علاقة بين الاثنين

قال السر اولڤر انهُ راجع ريمند مرةً اخرى في مسألة الفري فقال ان لهُ علاقة بنزهتهِ مع اخوتهِ بالاتوموبيل ولو كان البعض لا يسمونهُ فري. ثم كتب اليهِ ابنهُ اسكندر في ١٨ اغسطس سنة ١٩١٦ يقول انهم وهم سائرون في تلك النزهة مروا بالمدينة بريتن فري (وهي مدينة بحرية صغيرة في بلاد ويلس) حيث رأَوا معبراً صغيراً جميلاً

و يظهر لنا ان كل ما تقدم من هذه الادلة يمكن تعليلهُ بان رحلة اولاد السر اوليڤر لدج كانت اخبارها معروفة في بيتهِ وبين زوارهِ وذلك اقرب الى العقل من فرض امور تخالف اختبار جمهور الناس في كل العصور

لكن هذه الجلسة مع مسز ليونارد لم تنتهِ هناك بل جاءَت فيها امور اخرى ذكر السر اوليڤر بعضها بالتفصيل قال. قالت الوسيطة يظهر لي انهُ ينتظر مجيء اخيهِ الى هنا الآن

لدج — سيأتي اخوك ويراك غداً

الوسيطة — اين هو فان ريمند يظن ان اخاهُ هنا او انهُ سيأتي الى هنا قريبًا فانهُ يريد ان يتصل بهِ بنفسهِ وقد حاول مخاطبتهُ ويظهر ان لهُ علاقة بمسز كاتي(١) وقد جرَّب ان يكتب اليهِ. والامر الذي يتعبهُ انهُ لا يستطيع ان يستجلي ما يراهُ. (ثم التفتت الى لادي لدج وقالت) انهُ يراكِ حينما تكونين جالسة الى المائدة ويرى ما تكونين لابسةً واذا اراد ان يأتي اليك ادرك وجودك بشعورهِ الباطن فقط واما في جلسة المائدة فيراكِ فعلاً

لدج — هل رأى اخوتهُ حول المائدة

الوسيطة — لا يراهم حول المائدة بل يشعر بوجودهم شعوراً وافتكر انهم يحاولون التكلم معهُ ولكنهُ لم يشعر كأَنهُ سيدنو منهم. ولا بد من الوسيط

لادي لدج — متى رآني

(١) اسم مسز كندي الذي تسميها بو فدى مرشدة مسز ليونارد فان اسمها الاصلي كاترين

الوسيطة — اذا كانت الوسيطة حاضرة رآكِ جلياً . لم يرَكِ هنا بل في مكان آخر رآكِ في مكان آخر في لندن منذ مدة وقد دُهش لما رآكِ ولم يفهم كيف رآكِ . وهو انما يفكّر بالامور التي يريد ان يقولها . « قولي لهم ليواظبوا على خطتهم وهذا لا يتعبني ابداً قولي لهم ليصبروا والامر يهمني اكثر مما يهمهم » . لا يظهر انهُ اتم شيئاً وهذا مما يستغرب فانهُ ليس على ثقة من انهُ قد قال ما يود ان يقول الاّ اذا كان الامر واضحاً جداً وادركتم معناهُ حالاً . احياناً يشعر شعوراً و يتلمّس تلمساً . يجب ان يتساهلوا معهُ ولا يفرطوا في سؤالهِ مرةً واحدةً . اذا صبروا استطاع ان يأتي وقتاً ما ويخاطبهم كأنهُ حاضر معهم

لادي لدج — اتعنين انهُ سيخاطبنا بصوت مسموع

الوسيطة — كلا بل بواسطة المائدة . واهم من الكلام انجاز الامور مع اهلهِ واقامة الادلة القاطعة لهم . ولا يريد ان يتعبوهُ بمسائل يمتحنونهُ بها امتحاناً قبلما يعتاد مخاطبتهم . لا مانع من هذه المسائل هنا حيث يوجد وسيطة ولكن ليس الامر كذلك في كل مكان . قولي لهم ليثقوا انهُ هو نفسهُ الذي يتكلم و بعدقليل سيصير قادراً على مخاطبتهم رأساً و يقول لهم كل ما يريد ان يقولهُ . انهم مهتمون بامتحانهِ . متى جاء جدهُ يخفف عنهُ بعض المشقة . وهو لا يريد ان يتكلم بنفسهِ . مرتين في الاسبوع . اتى الآن ومعهُ ابنة فتاة نامية في الروح تقربهُ شعرها ذهبي طويل وهي طويلة القامة جميلة المنظر وفي يدها زنبقة . وهنا روح ولد آخر ذهب طفلاً لا تعرفونهُ اذا رأيتموهُ كما هو الآن . يظهر ان عمرهُ مثل عمر ريمند وقد احضر معهُ W (جدهُ لامهِ) وقلما يعرف شيئاً عن الارض او عن الزنبق فانهُ ذهب طفلاً وكلاهما مع ريمند ويظهر انهما روحيان صغيرا السن فان الاشخاص الروحيين يبقى منظرهم منظر الحداثة اذا ذهبوا في حداثتهم . وريمند واقف في الوسط بينهما . و يقول ان هذا لا ينطبق على العلم . وهو مسرور الآن ولا يقول ذلك لكي يرضيكم بل هو مسرور حقيقةً و يقول ان الامر يسرهُ اكثر مما كان يُسر على الارض خمسين ضعفاً لان مجال العمل واسع جداً هناك وانهُ هو وابوهُ سيعملان اعمالاً عظيمة . وقد قال انهُ يساعد باقصى جهدهِ (والتفتت الى لادي لدج وقالت) اذا كنتِ مسرورة زاد سروري انا ايضاً . لقد كنتِ تتحسرين وهذا يؤلمهُ كثيراً لكن الامر هان عليكِ الآن . اما ابي فرحب الصدر وقد كان مع بولس وذهب ورأى مسز كاتي ايضاً

لادي لدج — اي الطرق اسهل عليهِ

الوسيطة — يقدران يؤثر فيكم تأثيراً كما يقدر ان يخاطبكم كتابةً و يظن انهُ سيستطيع

ان يجعل صوتهُ مسموعاً لكم اي يجعلكم من الذين يسمعون اصوات الارواح . فلا محل لاساءة الظن فانهُ يتوخى ذلك لارضاء نفسهِ و يتوقع النجاح فيهِ

لدج — يمكنك ان تبلغنا ذلك بوسائل مختلفة

الوسيطة — قال نعم ولا حاجة بهِ الى الافاضة ولكنهُ سيفكر في الامر و يقدر ان يدع مسز كندي تكتب ما يريد ثم يتكلم بواسطة المائدة ويحسب انهُ يستطيع ان يفعل كثيراً بواسطتها . و يعلم ان بولس هنا

لدج — اظن ان الافضل لنا ان نجرب ذلك في اليوم نفسهِ او في يوم آخر

الوسيطة — في اليوم نفسهِ اولاً وانظروا ماذا تكون النتيجة وهو يسر جدًّا ولو اتفقت مسز كندي والمائدة في كلمة واحدة فقط . وسيجتهد لكي يقول بواسطتها كلمة واحدة في اول الامر ثم كلمتين ثم ثلاثاً

مسز كندي — اريد ان اطلب منهُ لكي يجعلني اكتب كلمة عن لسانهِ

الوسيطة — سيفتكر بكلمة يناجيكِ بها وعليكِ ان لا تشكي بل تكتبي ما يناجيك بهِ فان كلمة واحدة قد تكون ادل من خطبة طويلة . كلمة واحدة تكفي ولو كانت خالية من المعنى . لقد طفر الآن (اي فرح فرقص فرحاً) وقال ان الامر صعب عليهِ لانهُ مضطر ان يتكلم بواسطة وسيط ولذلك يتعذر عليهِ ان يقول كل ما يريد ان يقولهُ ومع ذلك فانهُ يظن انهُ نجح جدًّا هذه الليلة

ان كلام هذه الوسيطة بعضهُ عن لسان فدى مرشدتها و بعضهُ نقلتهُ فدى عن ريمند ابن السر اليفر لدج . وفي بعضهِ اشارات الى جلسات سابقة وردت خلاصتها في الاجزاء السابقة . و يظهر عليهِ كلهِ ان المرأة محتالة قاصدة التدجيل على غيرها او مخلصة ولكنها عصبيَّة تنبهَ ذهنها الباطن فذكر بعض ما في محفوظهِ وهي لا تدري ما تقول

والظاهر ان اولاد السر اوليفر لدج اقتنعوا بعد ذلك ان روح اخيهم ريمند كانت تتجلَّى للوسطاء وتكلمهم بواسطتهم كما اقتنع ابوهُ وامهُ . وسنورد خلاصة بعض الجلسات التي ناجتهم روحهُ فيها ونعقّب عليها بما يبدو لنا ونتتبع هذا الموضوع الى آخر ما وصل البحث فيهِ الآن لانهُ اهم المواضيع التي طرقها العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان . ولا اهم من اثبات الحياة بعد الموت والحالة التي تكون فيها نفس الانسان بعد موتهِ اثباتاً علميًّا مبنيًّا على المشاهدة والحس والامتحان

طرائف من ادب العرب

(٤)

جاؤُوا على بَكْرة ابيهم

« مثل يُضرَب للجماعة اذا جاؤُوا كلهم ولم يتخلف منهم احد . والبكْرة الفتيّة من الابل . واصل هذا المثل انهُ كان لرجل من العرب عشرة بنين فخرجوا الى الصيد فوقعوا في ارض العدو فقتلوهم ووضعوا رؤُسهم في مخلاة وعلقوا المخلاة في رقبة بكرة كانت لابي المقتولين . فجاءَت البكرة بعد هدوة من الليل فخرج ابوهم وظنّ ان الرؤُوس بيض النعام وقال قد اصطادوا نعاماً وارسلوا البيض فلما انكشف الامر قال الناس جاءَ بنو فلان على بكرة ابيهم »

قال في تاج العروس : جاؤُوا على بكرة ابيهم اذا جاؤُوا جميعاً على آخرهم . وقال الاصمعي جاؤُوا على طريقة واحدة . وقال أبو عمرو جاؤُوا باجمعهم . وفي الحديث جاءَت هوازن على بكرة ابيها هذه كلمة العرب يريدون بها الكثرة وتوفير العدد وانهم جاؤُوا جميعاً لم يتخلف منهم احد . وقال ابو عبيدة معناهُ جاؤُوا بعضهم في اثر بعض وليس هناك بكرة حقيقة . قال ابن جني وعندي ان قولهم جاؤُوا على بكرة ابيهم بمعنى جاؤُوا باجمعهم وهو قولك بكرت في كذا اي تقدمت فيهِ ومعناهُ جاؤُوا على اوليتهم اي لم يبقَ منهم احد

وقال الزمخشري في اساس البلاغة « وجاؤُوا على بكرة ابيهم اي جميعاً والاصل حديث الدُّهيم »

اما الدُّهيم فناقة عمرو بن الزبّان الذهلي قتل هو واخوتهُ وحملت رؤُوسهم عليها فقيل اشأم من الدُّهيم . قال لسان العرب « وقيل للداهية دُهيم ان ناقة كان يقال لها الدُّهيم وغزا قوم من العرب قوماً فقتل منهم سبعة اخوة فحملوا على الدُّهيم فصارت مثلاً في كل داهية . قال شمر وسمعت ابن الاعرابي يروي عن المفضّل ان هؤُلاء بنو الزبّان ابن مُجالد خرجوا في طلب ابل لهم فلقيهم كثيف بن زُهير فضرب اعناقهم ثم حمل رؤُوسهم في جُوالق وعلقهُ في عنق ناقة يقال لها الدهيم وهي ناقة عمرو بن الزبّان ثم خلاّها في الابل فراحت على الزبان فقال لما رأى الجوالق اظنّ بنيّ صاروا بيض نعام ثم اهوى بيدهِ فادخلها في الجوالق فاذا راس فلما رآهُ قال آخر البزّ على القلوص فذهبت مثلاً وقيل اثقل من حمل الدهيم واشأم من الدُّهيم »

وتجد في القواميس تحت باب الخاء ما فحواهُ : خوتعة رجل من غُفيلة دلَّ كثيف بن عمرو التغلبي واصحابهُ على بني الزبَّان الذهلي لثار كان عند عمرو بن الزبان · فأتوهم وقد جلسوا على الغداء · فقال عمرو لا تشب الحرب بيننا وبينك · قال كلاَّ بل اقتلك واقتل اخوتك · قال فان كنت فاعلاً فأطلق هؤُلاء الذين لم يتلبسوا بالحروب فان وراءهم طالباً اطلبَ مني يعني اباهم · فقتلهم وجعل رؤُوسهم في مخلاة وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم · فجاءت الناقة والزبّان ابوهم جالس امام بيتهِ فبركت · فقامت الجارية وجسّت المخلاة فقالت قد اصاب بنوك بيض النعام وادخلت يدها فاخرجت راس عمرو ثم رؤُوس اخوتهِ · فغسل الرؤُوس ووضعها على ترس وقال آخر البزّ على القلوص[1] اي هذا آخر عهدي بهم · وشبت الحرب بينهُ وبين بني غفيلة حتى ابادهم فضرب بخوتعة المثل في الشؤْم · يقال هو أشأم من خوتعة · ويقال ايضاً للرجل الصحيح الكلام هو اصحّ من خوتعة لانهُ اخبر كثيف بن عمرو الخبر الصحيح

شيء من التوراة

« من لم يؤْمن بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربّاً سوائي · من اصبح حزيناً على الدنيا فكانما اصبح ساخطاً عليَّ · من تواضع لغنيّ لاجل غناه ذهب ثلثا دينهِ · يا ابن آدم ما من يوم جديد الاَّ ويأتي اليك من عندي رزقك وما من ليلة جديدة الاَّ وتأتي اليَّ الملائكة من عندك بعمل قبيح · خيري اليك نازل وشرك اليَّ صاعد · يا بني آدم اطيعوني بقدر حاجتكم اليَّ واعصوني بقدر صبركم على النار واعملوا للدنيا بقدر لبثكم فيها وتزودوا للآخرة بقدر مكثكم فيها · يا بني آدم زارعوني وعاملوني واسلفوني اربحكم عندي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر · يا ابن آدم اخرج حب الدنيا من قلبك فانهُ لا يجتمع حب الدنيا وحبي في قلب واحد ابداً · يا ابن آدم اعمل بما امرتك وانتهِ عما نهيتك اجعلك حيًّا لا تموت ابداً · يا ابن آدم اذا وجدت قساوة في قلبك وسقماً في جسمك ونقيصة في مالك وحريبة[2] في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك · يا ابن آدم اكثر من الزاد فالطريق بعيد وخفف الحمل فالصراط دقيق وأخلص العمل فان الناقد بصير واخّر نومك الى القبور وفخرك الى الميزان ولذاتك الى الجنة وكن لي اكن لك وتقرب اليَّ بالاستهانة بالدنيا تبعد عن النار · يا ابن آدم ليس من انكسر

(١) البزّ السلاح كلهُ · والقلوص الناقة الشابة او البكرة (٢) حريبة الرب التي حرمها او منعها من شاء

مركبهُ وبقي على لوح في وسط البحر باعظم مصيبة منك لانك من ذنوبك على يقين ومن عملك على خطر»

ولقد قضيت يوماً بلياليهِ بين دفتي التوراة والانجيل فلم اعثر على هذه الآيات على سموّ معانيها ولا على ما يشبهها الاَّ قولهُ « اخرج حبَّ الدنيا من قلبك فانهُ لا يجتمع حب الدنيا وحبي في قلب واحد ابداً » فان لهُ ما يشبههُ في قول الانجيل « لا يقدر احد ان يخدم سيدين . لانهُ اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون ان تخدموا اللهَ والمال » . والاَّ قولهُ « ما لا عين رأت الخ » فقد جاء في احدى رسائل بولس الرسول قولهُ « ما لم ترَ عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان الخ » . وقد عثرت في المثل السائر لابن الاثير الكاتب . وفي البيان والتبيين للجاحظ . وغرر الخصائص الواضحة للوطواط . والعقد الفريد لابن عبد ربهِ . والكامل لابن الاثير المؤرخ . ومروج الذهب للمسعودي . والكشكول للعاملي . والمستطرف للابشيهي على آيات قيل انها اخذت من التوراة وهي ليست فيها لا مبنًى ولا معنًى — لا في التوراة التي بين ايدي اليهود ولا في التوراة التي بين ايدي المسيحيين على شدة الخصام بين الامتين

الارض والقمر

« كما ان جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكثافتهِ وينعكس عنهُ لصقالتهِ كذلك الارض تقبل ضوءها لكثافتها وتنعكس عنها لصقالتها لاحاطة الماء باكثرها وصيرورتها معها ككرة واحدة [1] . فاذن لو فرض شخص على القمر تكون الارض بالقياس اليهِ كالقمر بالنسبة الينا . وبحركة القمر حول الارض يخيل اليهِ انها متحركة حولهُ ويشاهد الاشكال الهلالية والبدرية وغيرها مدة شهر . لكن اذا كان لنا بدر كان لهُ محاق واذا كان لنا خسوف كان لهُ كسوف لوقوع اشعة بصرهِ داخل مخروط ظلّ الارض ومنعهِ اياها من وقوعها على المستنير من الارض والماء والشمس . واذا كان لنا كسوف كان لهُ خسوف لوقوع اشعة بصرهِ داخل مخروط ظلّ القمر ومنعهِ اياها ان تقع على الارض . وكما يرى على وجه القمر المحو يرى على وجه الارض مثلهُ »

هذا البيان الفلكي صحيح اجمالاً لا تفصيلاً . فان القمر لا يعكس ضوء الشمس لصقالتهِ

(١) في هذه العبارة خطأ واضطراب ناشئان عن تعدد الضمائر وصعوبة ارجاعها الى الاسماء التي تنوب منابها . وصوابها « كذلك الارض تقبل ضوء الشمس لكثافتها هي وينعكس عنها هذا الضوء لصقالتها من احاطة الماء باكثرها وصيرورتها معهُ ككرة واحدة »

ولا الارض تعكسهُ لذلك اذ لا حاجة للجسم ان يكون صقيل السطح لينعكس النور عنهُ . ومن رأيهِ ان الارض صقيلة لاحاطة الماء باكثرها ولا بدَّ ان يكون هذا حال القمر ايضاً في زعمهِ . ولكن المشهور ان القمر ارض موات لا ماء فيهِ ولا هواء . اما المحو فقد كانوا يظنون انهُ ما بهِ يعرف الليل من النهار والنهار من الليل كما جاء في حديث هرقل ومعاوية . ولم يقل لنا صاحب الكشكول رأيهُ فيهِ وكلّ ما قال انهُ يُرى على وجه الارض من القمر مثل المحو الذي نراهُ نحن على القمر . وليس ذلك ببعيد فان المحو الذي نراهُ في القمر هو صورة ما فيهِ من الجبال والسهول . ولما كانت الارض كثيرة الجبال والبحار والسهول فلا بدع ان يرى سكان القمر عليها ما يراهُ سكان الارض عليهِ

الرشيد والبهلول

« لما وصل الرشيد الكوفة قاصداً الحج خرج اهل الكوفة للنظر اليهِ وهو في هودج عالٍ فنادى البهلول يا هرون يا هرون فقال من المجترئ علينا . فقيل هو البهلول . فرفع السجف فقال البهلول يا امير المؤمنين روينا بالاسناد عن قدامة بن عبدالله العامري قال رأيت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يرمي جمرة العقبة لا ضربٌ ولا طردٌ ولا قال اليك اليك . وتواضعك يا امير المؤمنين في سفرك هذا خيرٌ من تكبرك . فبكى الرشيد حتى جرت دموعهُ على الارض وقال احسنت يا بهلول زدنا . فقال ايما رجل آتاهُ الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فانفق ما لهُ وعفّ جمالهُ وعدل في سلطانهِ كتب في ديوان الله من الابرار . فقال لهُ الرشيد احسنت وامر لهُ بجائزة فقال لا حاجة لي فيها ردّها الى من اخذتها منهُ . قال فنجري عليك رزقًا يقوم بك . قال فرفع البهلول طرفهُ الى السماء وقال يا امير المؤمنين انا وانت عيال الله فمحال ان يذكرك و ينساني »

والبهاليل فرقة من المتصوفة والبهلول المذكور هنا هو ابو وهيب بن عمرو الصيرفي الكوفي المعروف ببهلول المجنون . قال الصلاح الكتبي في فوات الوفيات « وكان من عقلاء المجانين ولهُ كلام مليح ونوادر واشعار . استقدمهُ الرشيد وغيرهُ من الخلفاء ليسمعوا كلامهُ » . وذكر الشعراني ان الرشيد اجتمع بهِ يوماً فقال لهُ كنت اشتهي ان اراك فقال لكني انا لم اشتق اليك . فقال لهُ عظني . قال بمَ اعظك هـذه قصورهم وهذه قبورهم . ثم قال كيف بك يا امير المؤمنين اذا اقامك الحق تعالى بين يديهِ فسألك عن الفقير والفتيل والقطمير (هما القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة) وانت عطشان جوعان عريان واهل الموقف ينظرون اليك و يضحكون عليك . فخنقتهُ العبرة . وكان بهلول مجاب الدعوة فامر لهُ الرشيد

بصلة فردها عليهِ وقال ردَّها الى من اخذتها منهُ قبل ان يطالبك بها اصحابها في الآخرة فلا تجد لهم شيئًا ترضيهم بهِ . فبكى الرشيد »

زهد الخلفاء الراشدين

ولست تقرأُ في كتب الادب اجمل مما قيل عن زهد الخلفاء الراشدين . روي عن ابي بكر الصديق انهُ لما حضرتهُ الوفاة قال لعائشة « انَّا منذ ولينا امر المسلمين لم نأْكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكننا قد اكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيء المسلمين الاَّ هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة (١) فاذا متُّ فابعثي بالجميع الى عُمَر . فلما مات بعثتهُ الى عُمَر فلما رآهُ بكى حتى سالت دموعهُ الى الارض وجعل يقول رحم الله أَبا بكر لقد أَتعب من بعدهُ ويكرر ذلك وأَمر برفعهِ . فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أَبي بكر عبداً وناضحًا وسحق قطيفة (٢) ثمنها خمسة دراهم فلو أَمرت بردها عليهم فقال لا والذي بعث محمداً صلَّى الله عليهِ وسلّم لا يكون هذا في ولايتي ولا يخرج أَبو بكر منهُ وأَتقلدهُ أَنا »

وقيل إن زوجتهُ اشتهت حلواً فقال ليس لنا ما نشتري بهِ فقالت انا استفضل (٣) من نفقتنا في عدة ايام ما نشتري بهِ قال افعلي ففعلت ذلك فاجتمع لها في ايام كثيرة شيء يسير. فلما عرَّفتهُ ذلك ليشتري بهِ حلواً اخذهُ فردهُ الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قُوتنا وأَسقط من نفقتهِ بمقدار ما نقصتْ كل يوم وغرَّمهُ لبيت المال من ملك كان لهُ . وكان يحلب للحيّ اغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح (٤) دارنا . فسمعها فقال بلى لعمري لأَحلبنها لكم واني لأَرجو ان لا يغيّر بي ما دخلت فيهِ فكان يحلب لهم ثم تحول الى المدينة بعد ستة اشهر من خلافتهِ

وحدث أَسلَمُ عن عمر بن الخطاب قال : خرج عمر الى حرَّة واقم (٥) وانا معهُ حتى اذا كنا بصرار (٦) اذ نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فاذا بامرأَة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون (٧) . فقال عمر السلام عليكم يا اصحاب الضوء وكره ان يقول يا اصحاب النار . قالت وعليك السلام . قال أَدنو . قالت ادنُ بخيرٍ اودَعْ . فدنا

---

(١) القطيفة دثار ذو وبر كالمخمل (٢) الناضح البعير والسحق الثوب البالي وسحق قطيفة اي قطعة قطيفة بالية والاضافة بيانية (٣) اقتصد واترك فضلة (٤) المنائح جمع منيحة وهي الناقة او الشاة الحلوب تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردُّها عليك (٥) مكان في ظاهر المدينة (٦) مكان مرتفع (٧) يتضورون جوعًا ويصيحون

فقال ما بالكم . قالت قصر بنا الليل والبرد . قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون . قالت من الجوع . قال وايُّ شيءٍ في هذه القدر . قالت مالي ما أُسكتهم حتى يناموا فانا أُعللهم واوهمهم اني اصلح لهم شيئًا حتى يناموا الله بيننا وبين عمر . قال اي رحمك الله ما يدري بكم عمر . قالت يتولى امرنا و يغفل عنا . فاقبل عليَّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق فاخرج عدلاً فيه كُبّة (١) شحم فقال احملهُ على ظهري . قال أَسلَمُ فقلت انا احملهُ عنك مرتين او ثلاثًا . فقال آخر ذلك انت تحمل عني وزري يوم القيامة لا امَّ لك ؟ . فحملتهُ عليهِ فانطلق وانطلقت معهُ نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئًا فجعل يقول لها ذرّي عليَّ وانا احسن (٢) لك . وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلل لحيتهِ حتى انضج ثم انزل القدر فاتتهُ بصحفها فافرغها ثم قال أَطعميهم وانا اسطح (٣) لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلّى عندها فضل ذلك . وقام وقمت معهُ فجعلت تقول جزاك الله خيراً انت اولى بهذا الامر من امير المؤمنين . فيقول قولي خيراً فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتيني (٤) هناك ان شاء الله . ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمني حتى رأى الصبية يضحكون و يصطرعون ثم ناموا وهدؤا فقام وهو يحمد الله . فقال يا اسلمُ الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى أرى ما رأيت منهم »

وقال ابو هريرة : يرحم الله ابن حنتمة (٥) لقد رأيتهُ عام الرمادة (٦) وانهُ ليحمل على ظهرهِ جرابين وعكة زيت في يدهِ وانهُ ليتعقب (٧) هو وأَسلمُ فلما رآني قال من اين يا أَبا هريرة . قلت قريبًا . فاخذت اعقبهُ فحملناهُ حتى انتهينا الى صِرار فاذا نحو من عشرين بيتًا من محاربٍ . فقال لهم ما اقدمكم . قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويًّا كانوا يأكلونهُ ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها . فرأيت عُمَر طرح رداءهُ ثم اتزر فما زال يطبخ حتى اشبعهم . ثم ارسل أَسلمَ الى المدينة فجاءنا بابعرة فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك »

فالفرق كبير بين هذا الزهد في حطام الدنيا من الخلفاء الراشدين وبين مجالي الابهة والفخفخة التي كان الخلفاء بعدهم يتجلّون فيها و يغالون بها كلما امعنوا في الايام

(١) كتلة (٢) لعلَّ الصحيح أَحسُّ لك اي اجعل القدر على النار (٣) أَبسط الطعام حتى يبرد (٤) بدل وجدتني وهذا كثير في كلامهم (٥) اسم ام عمر (٦) عام جدب في ايام عمر اهلك الناس والاموال (٧) يتناوبان الحمل .

مجون القضاة

« كتب بعض الادباء الى القاضي ابن قُرَيْعَة سوءال فتوى ما يقول القاضي ايده الله تعالى في رجل سمّى ابنهُ مداماً وكناهُ ابا الندامى . وسمّى ابنتهُ الراح وكناها ابنة الافراح . وسمّى عبدهُ الشراب وكناهُ أبا الإطراب وسمّى وليدتهُ القهوة وكناها ام النشوة — أينهى عن بطالتهِ ام يترك على خلاعتهِ

« فكتب في الجواب لو نعت هذا لابي حنيفة لاقعدهُ خليفة ولعقد لهُ رايَةً وقاتل تحتها من خالف رايَهُ . ولو علمنا مكانهُ لمسحنا أركانهُ . فإن اتبع هذه الاسماء افعالاً وهذه الكنى استعمالا علمنا انهُ قد أحيا دولة المجون وأقام لواء ابنة الزرجون فبايعناهُ وشايعناهُ وان لم يكن الاّ اسماء سماها ما لهُ بها من سلطان خامنا طاعتَهُ وفرقنا جماعتَهُ . فنحن الى امام فعال احوج منّا الى امام قوال »

والسوءال والجواب كلاهما مجون في مجون ولكن قارئاً يجهل ابن قريعة وابا حنيفة قد لا يدرك هذا المجون . اما ابن قريعة فكان قاضياً في بعض اعمال بغداد وكان عجيباً في سرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يسأل عنهُ بافصح لفظ واملح سجع . وكان روساء ذلك العصر (القرن العاشر للمسيح والرابع للهجرة) يداعبونهُ ويكتبون اليهِ المسائل الغريبة المضحكة (كما ترى في السوءال المتقدم) فيكتب الجواب من غير توقف مطابقاً للسوءال . وكان الوزير ابو محمد المهلبي يغري بهِ جماعة يضعون لهُ الاسئلة الهزلية على معانٍ شتّى من النوادر الهزلية ليجيب عنها بمثلها . ولما قدم الصاحب ابن عباد بغداد حضر مجلس الوزير المهلبي وكان فيهِ ابن قريعة فرأى من ظرفهِ وسرعة خاطرهِ ما ادهشهُ

واما ابو حنيفة صاحب المذهب المشهور فعاش في القرن الثاني للهجرة . وكان عالماً ورعاً زاهداً ابعد اهل زمانهِ عن المجون . وعارف هذه الحقائق يدرك وجه المجون في قول ابن قريعة عنهُ ما قال . وكان كثير اللحن في العربية لهُ لكنة ورطانة تنمان على اصلهِ الفارسي . وكان معاصراً للخليفة ابي جعفر المنصور وارادهُ الخليفة على ولاية القضاء في بغداد فابى فاصر الخليفة وطال الحجاج بينهما فقال ابو حنيفة للمنصور « اتق الله ولا ترعَ في امانتك الاّ من يخاف الله . والله ما انا مأمون الرضا فكيف اكون مأمون الغضب . ولو تهددتني ان تغرقني في الفرات او تلي الحكم لاخترت ان اغرق » فلم يرضَ بجوابهِ وزجهُ في السجن ثم خلّى سبيلهُ (نقيب)

في بادية الشام

(٢)

(الهزيم) بعد ان خبّت بنا المطايا مرحلتين قصيرتين من الازرق[1] بلغنا ضحى الثامن من ذي الحجة منازل الهزيم وهو مشتق من الهزم بالفتح والسكون وهو ما اطمأَنَّ من الارض والهزيم بمعنى المفعول اي المنزل المطمئنّ من الارض وهو في الواقع كذلك مستوي الرقعة ومبارك البقعة والمراعي الطيبة حولهُ قاصرة[2] ناضرة وفيهِ من القُلُب[3] المنقورة في الصخور الرملية ما يربي على العشرين والصخور متكتّلة وهي المدعوة بمصطلح الجيولوجيين بالكونغلومريت فوقها طبقة رملية ثخانة متر هي الارض · فالصخور كالارض التحتية في عرف الزراعيين

وماء هذه القُلُب شروب غير بعيد الغور وانما يتراوح ما بين طول القامة والقناة و يمتزج بابوال الابل الواردة فتعزف نفس الحضريّ عن شربهِ فيشربهُ مضطرًّا · وقد ورد ذكر الهزيم في معجم الحموي بانهُ موضع في قول عدي بن الرقاع حيث قال :

اخبر النفس انما الناسُ كالعيـ ـدانِ ما بين ثابتٍ وهشيمِ
من ديار غشيتُها دارساتٍ بين قارات ضاحكٍ فالهزيم

و بين الهزيم ودمشق ما ينيف على ٣٠٠ كيلو متر وفيهِ لبثنا يومين والثالث الاضحى و يعلنون مساء عرفة يوم العيد باطلاق الرصاص من كل صوب · وصباح عيد الاضحى يضحون كثيراً من الابل وتراهم يدعو بعضهم بعضاً

ومن عادة الفقراء في هذا اليوم ان تأتي امرأَة احدهم بقدرها للبعير المضحى وتقطع منهُ قدر الحاجة وتطبخهُ امام بيت رب الضحية ولا تحمل قدرها الأَ نضيجًا · وقد راجت في هذا اليوم سوقنا لاضطرارنا لاجابة دعوة كل من ضحَّى فكنا احتياطًا من النتّافين نأ كل من كل ضحية نتفة واذا اكرمنا المضحي فبتقديم السنام المقطّع والسنام في نظر البدويّ اسنى

(١) ذكرت في المقالة السابقة ان ياقوت لم يعين مقر الازرق اذ بينهُ و بين تيماء مسافة ٠٠٠ كيلو متر وكنت تركت في المقالة المخطوطة فراغًا لاحرر جهدي المقدار بالقياس المتري ثم نسيت وقدّمت للطبع قبل التحرير المقالة فاستدركت ما فرّطت بالامس والمسافة هي تقريبًا ٦٠٠ كيلو متر

(٢) المرعى القاصر لغةً ما قرب من المورد (٣) قال الازهريّ : القليب عند العرب البئر العادية القديمة مطوية او غير مطوية والجمع قلب مثل بريد وبرد · ويلفظها البدو اليوم الجليب

قيمةً من نخذ الخروف الطريّ لدى الحضريين وكان هؤلاء المضحّون يطلبون منها قبل غسل الايدي من الطعام ان نقرأ لارواح امواتهم الفاتحة

وما راقني في الهزيع إلاَّ غناء الماتحين(المستقين بالدلو) الرخيم وهم يسقون ابلهم الخوامس[1] الهيم و يدعون هذا الغناء « الحدو » وهو الحداء يحثون بهِ النوق على الشرب كما تحث بهِ على السير وقد ورثوا هذه العادة ولا ريب عن اجدادهم الذين كانوا يغنون لابلهم حين المتح بانواع الرجز وهي الابحر السهلة التي تناسب الحركة كالسير ونقل الاثقال والرقص والمتح والصراع والقراع وذلك مما عابهُ الشعوبية على العرب . وقد اتى الجاحظ في الرد عليهم بفصل الخطاب قال في صدر الجزء الثالث من البيان والتبيين : « وكل شيءٍ للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأَنهُ الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة . ولا اجالة فكر ولا استعانة . وانما هو ان يصرف وهمهُ الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين يمتح على رأس بئر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند صراع او في حرب فما هو الاَّ ان يصرف وهمهُ الى جملة المذهب والى العمود الذي اليهِ يقصد فتأتيهِ المعاني ارسالاً وتنثال عليهِ الالفاظ انثيالاً » . اقول ومما يدل على ان الامام الجاحظ يغلّ المحزّ بقولهِ اني كنت اتنقل من قليبٍ الى قليب واسمع من الاقوال المرتجلة بين مديح وتشبيب ووصفِ ابلٍ يغالون بحبتها و يبالغون بمدحها ما تملأ بهِ الدفاتر وتجف لهُ المحابر وما يهيج الطرب و يبعث الوجد و يثير في الماتحين النشاط و يشوّق السامعين الى المتح . فلقد وددت ان اساعدهم في المتح لاشارك الابل في الاصغاء والماتح في الحداء وقد اختص البدو قديمًا المتحَ ببحر الرجز لسهولتهِ وتناسبهِ مع حركة القاء الدلاء في البئر ونزعها كما انهم نظموا على هذا البحر الخفيف اراجيز الحداء . وبدوُ اليوم ينظمون اراجيز المتح على مجزوّ الرجز المذيّل . ومما استظهرتهُ على قلب الهزيع قولهم :

يا مرحبا بالزوامل شيالات المحامل
يا مرحبا بابلنا يا مبعّدات منزلنا
يا مرحبا بابلنا واللي بغينا شلنا
يا بو قرون المرس كل حبتين بفرس
يا مرحبا بالابلِ يا مزوجات الخبلِ

والبيت الاخير يدل على ان مهر نساء البدو الابل . ومما يغنون به عند تحميل الاثقال ونقلها قولهم :

(١) الابل الخوامس التي ترد على خمس اي كل خمسة ايام والهيم العطاش

إيهْ يا شيّال إنت يااللي حيلك حيل البنت

واستعملت العربُ الرجزَ لترقيص البنين والبنات . فقد روي ان شيخاً من الاعراب تزوج جارية من رهطه وطمع ان تلدلهُ غلاماً فولدت جارية فهجرها وهجر منزلها وصار يأوي الى غير بيتها فمر بخبائها بعد حولٍ فاذا بها ترقص بنيّتها وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظلّ في البيت الذي يلينا

غضبانَ ان لا نلد البنينا تالله ما ذلك في ايدينا

وانما ناخذ ما أُعطينا

فلما سمع الشيخ الابيات مرحضراً اي عادياً بفرسهِ حتى ولج عليها الجباء فقبّلها وقبّل بنيتها وقال ظلمتكما ورب الكعبة

ثم في الحادي والعشرين من ذي الحجة عزمت وصديقي المرحوم جلال الدين(١) على استئناف التشريق واللحاق بشيخ الحويطات عودة ابي تائه قبل ان يبعد عنا كثيراً بتحولهِ عن مراحهِ ومخيّمهِ لدى قليب العقيلة بجانب قرية كاف من قريات الملح والمسافة بيننا نحو ثلاثين كيلو متراً . وقد خرج الشيخ خنيفس خارج الحيّ لوداعنا واوصى بنا قريباً لهُ متوجهاً على راحلتهِ وجهتنا واكد عليهِ التأكيد كلّهُ ان يريحنا بتناوب الامتطاء في دربنا الذي لقينا منهُ لعمر الحق نَصباً . فقد سرنا مقدار ساعة ثم شرعنا في اجتياز سلسلة مستطيلة من الهضاب والآكام وهي مضبعة (مأوى للضباع) مخيفة . وقد تناوبنا مع رفيقنا السرحاني الركوب واضطررت احياناً للمشي محتذياً بمداس شامي (كندرة) احتذاء صديقي الذي قرّح المداس قدميهِ فانهُ لم يصنع للهضاب والشعاب . ولما اتعبني انتعالهُ نزعتهُ وسرت حافياً فارحت قدميّ قليلاً الاَّ انهُ سرعان ما يتعب الحضريّ الترف في وعوثة الرمال ووعورة الجبال فكنت اقول في نفسي ليتني اعتدت قبل هذا الجلاء الحفاء وعملت بقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب : « احفوا وانتعلوا فانكم لا تدرون متى تكون الجفلة » فلهذا اضطرتني تلك الجفلة فاحتذيت كالسروجي الوجى واغتذيت وصاحبي الشجا واستبطنا الجوى . وطوينا الاحشاء على الطوى . ثم بعد اللتيا والتي بلغنا عصارى النهار قرية كاف كبرى القريّات الملحية وانخنا الراحلة في دار شيخها طلباً للراحة وكرعنا لشدة الظماِ الماءَ كرعاً وقدم لنا طبق فيهِ من كل صنف من التمر الكافيّ زوجان فاكلنا من

(١) هو البخاري بالباء والخاء المعجمتين نجل العلامة الشيخ سليم البخاري الذي طبع الاب لويس شيخو على نسختهِ المنقحة كتاب الالفاظ الكتابية

اطايبهِ تمرات تقيم الاصلاب وتنسي الانعاب · ثم اعدنا كرة السير الى العقيلة فبلغنا مخيم الحويطات والشمس هابطة لتتوارى بالحجاب ودخلنا فسطاط الشيخ عودة المنشود · وبعد ان سلمنا عليهِ واخذنا مقاعدنا بين البدو ألفينا فيهم نفراً من الشام اقبلوا وسلموا علينا واخذوا في محادثتنا ولما سألونا عن الاسم رأينا من الحزم الكتم ومن الصواب ان نشك ونرتاب فقلت لهم اسمي عبد الله نديم وهو اسم كنت اخترتهُ في الجولان تفاؤلاً بالنجاة لما كان لهذا الاسم الميمون على صاحبهِ المعروف من الفضل والبركة · وقال صاحبي اسمي سالم · قالوا : والنسب ؟ قلنا من العرب · فقال احدهم عن اخي جلال انهُ لشقرتهِ من بيت العظم واني من بيت الجزائري رجماً بالغيب · فسكتنا وكأن السكوت اقرار · ثم قلنا لهم انَّا لم نلذ بالفرار الاَّ حذراً من التجند فمن الواجب عليكم لما بيننا من وحدة الوطن ان توصوا بنا الشيخ عودة الذي لم نكن لنعرفهُ من قبل وذلك كيما يسهل لنا الوصول الى الجوف · فوعدونا ووفوا بعد تناول العشاء اذ عرَّفوا الشيخ بنا تعريفاً حسناً دعاهُ ليقول وكأنهُ قد علم من مواطنينا بحجرنا و بحجرنا : لا بأس لا بأس عليكما · وليفرج كربكما · وليأمن عندي سربكما · فانا ايضاً من ذوي القومية · واخوان الجمعية فمرحباً بكم اذ ندبتم اهلاً · فاصبتم سهلاً

(قُرَيَّات الملح) جمع قُرَيَّة تصغير قرية واضيفت للملح لان بها في كاف ملاَّحات طبيعية يعود ريعها لامير الجوف نواف الشعلان لا للديون العمومية وهي عبارة عن عدة واحات من النخيل في كل واحة عدة بيوت قروية مشيدة باللبن واهم هذه الواحات قريات ثلاث كبراهن قرية كاف فمنوة فأثرة · وفي كاف ما يزيد على عشرين الف نخلة باسقة جعل الله منها رزق اهل القريات ومن الملح ينقلونهُ الى حوران وعجلون والجولان على متون الزوامل · وقد علمتُ ان منهم من يشتري باثمانهِ بضائع دمشقية مما يصلح للبادية كي يبيعها للعرب فيربح من تجارة لن تبور ربحاً جمًّا · واما البدو فهم كما ذكرتُ يحملون جمالهم ملحاً يدفعون ضريبة كل حمل ريالاً مجيديًّا ليبيعوا في ارياف الشام الملح بالحنطة وفي ذلك معاش لهم وتخفيف لما يمتارون

(الحويطات) قبيلة قوية انتشرت مساكنها في الشام من محطة العلاء الى معان والعقبة وغزة وتشعبت فصائل وبطوناً كالتوائهة والجوازي وبني عطية والبدول والدبور وعمران والبطحة والطرابين وغيرهم وقد قدرهم الفاضل البتنوني بسبعين الف بيت وذكر بينهم الجازاي وهم الجوازي الذين يقال لهم ايضاً بنو جازي وشيخهم عبطان بن جازي ابن عم عودة شيخ التوائهة · ومنازل كلتا الجوازي والتوائهة معان ولهم هناك بطش وصولة تخشاهما

الدولة التركية · وقد افترق منذ بضع سنين التوائهة عن بني عمهم الجوازي لفساد التي بين الشيخين فهجرت التوائهة منازل العمومة والخؤولة إباءً وحرصاً على ان لا تطل بينهم وبني الاعمام الدماء هدراً وحالفوا الدولة وصاروا يشرقون معهم ويغربون ثم توثقت عرى الاخاء والمودة بين نواف وعودة كثيراً فزادت بذلك الدولة قوة على قوة في بادية الشام

وحينما كنت نزيل التوائهة غزا الشيخ عودة ابن عمهِ عبطان مرتين فقتل في الاولى رئيس الحملة عناد بن عودة رحمهُ الله فقدكان شابًّا حفيًّا بنا — في السلم الرقيق المحبوب وفي حومة الوغى ابن كريهةٍ ومردي حروب · وترأس الحملة الثانية الشيخ نفسهُ طالباً بثأر ولدهِ وخليفتهِ من بعدهِ · ورافقهُ كوكبة من الدولة عليهم فارس الشعلان وخرج الفريقان ما بين فارس وراعي مطية مكفّرين في السلاح · ومما يجدر بالحضريّ ان يضربهُ هنا مثلاً بتجلد البدو وقوة احتمالهم ان الشيخ عودة حينما بلغهُ نعي حشاشتهِ لم يتنهد ولم يبكِ ولا تندت بالدموع عيناهُ على ان الرنين في عرف الحضري" استراحة المنكوب وفيضة الملآن

ان الشيخ عودة رجل عرفتهُ البادية بكرمهِ ونجدتهِ ونخوتهِ العربية كما ان البدو يعدونهُ احد فحول الحرب في بادية الشام وقرومها · ولهُ ابن عم يقال لهُ محمد دحيلان يغزو معهُ ويشاطرهُ هذه المناقب · وكثيراً ما كنت اذكر لعودة وقومهِ فظائع القتال وما ينجم عن الغزو المستمر من البلاء وسفك الدماء وانهُ محرَّم عقلاً ونقلاً فكانوا يعتذرون بان الغزو ضرر لا مفر منهُ ولهم فيهِ معاش فلا يستغنون عنهُ · وان في الضرب بالنار اخذاً بالثار وغسلاً للعار وان لا طاقة لهم بحسمهِ إذ نفعهُ اكبر من اثمهِ · والغريب انهم يأخذون للغزو معهم الصبيان ليعتادوا من حداثتهم شهود الميدان والثبات في معترك الفرسان · واما انا فمالي بالغزو أرب ولا لي بهِ يدان · بل كنت حينما اجتاب القفار اطلب السلامة من الحفيظ الستار وقد طالما قلت في نفسي :

اشتهي ان لا ارى الـغزوَ ولا الغزو يراني

(التضامن البدوي) ثروة البدوي لهذا الغزو سريعة الزوال ولا تستقر على حال تحاكي ثروة المقامرين في المصفق (البورصة) اذ بينا ترى البدوي يضحي وهو ذو ثراء في ربعهِ اذا بك تراهُ يمسي وهو لفقرهِ المدقع كأَن قد ضرب على بصرهِ · وسمعهِ ولكن البدو من مناقبهم التضامن في البلوى والتظاهر على البر والتقوى فتراهم يتسابقون الى مدّ يد المعونة للعزيز اذا ذل فهذا يجود لهُ ببعير وهذاك بكساء وحصير وذاك بعنزة او عنزتين وذلك بقربة اوعلبة والآخر يرضخ لهُ بدريهمات يسترن مهتوك سترهِ و يرأَبن مصدوع امرهِ

مكثنا بعد غزوة الشيخ بضعة ايام في مضربهِ الرفيع العماد الكثير الرماد وغيّرنا مراحنا انتجاعاً وارتياداً حتى هبطنا ماء يقال لهُ الخيضر وكأنهُ تصغير مخضر اي مكان الخضرة وماؤهُ شروب وكنا كلما امعنا في التشريق امعن الجو بالاعتدال ولجّ الهواء بالاعتلال مما جعلنا لا نأسى كثيراً على ما كتبهُ الله علينا من الجلاء وان كان قد قرنهُ بالقتل فقال: « ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوهُ الاَّ قليل منهم » فقد كنا صباح مساء نمتع النواظر ببهيج المناظر المتعددة المتجددة ونستنشق انقى الهواء الفيّاح باريج الشيح والقيصوم وناهيك بشهرة عطور جزيرتنا العربية التي غدت مضرب امثال الامم الغربية مما اولع العرب بايثار باديتهم الطيبة على بلادنا الحضرية . وهم لتبدل المناظر امامهم كل حين عدموا الحاجة للمسارح والصور المتحركة . فكل بيت من الشعر في نظرهم بيت من الشعر فلا غرو اذا ما اختاروا هذا البيت الخفيف المحبَّب على بيتنا المنيف المقبَّب . ولا اقول قولي هذا تعصباً لهؤلاء الاعراب الذين هم مادة قومي العرب فقد اقرلهم بذلك قبلي المستشرقون الرحالون واي شهادة ارجح من شهادة نابغـة مستشرقات الانكليز الآنسـة جرترود بل Gertrude Lowthian Bell في رحلتها الموسومـة بالغامر والعامر The desert and the sown. اذ تقول صفحة ٣٨ :

« وخيمة العربي مفتوحة لمهب الريح دائماً واذا ما اختلف المهب فالنساء ينقلن رواق البيت الى جهة أُخرى فترى في لحظة ان بيتك قد تبدلت مرائيهِ وواجه انسب المناظر الرائعة فهو على صغرهِ وخفتهِ يرى راسخاً بقوة لا تؤثر فيها العواصف الاَّ قليلاً . وان المسام الغليظة لنسيجهِ المتخذ من شعر الماعز لتتسع ثم تتضايق بالرطوبة فالبيت الى ان يكف بالمطر بحاجةٍ الى ديمةٍ مسوقة بعاصفة نكباء » . ولكنني لم اكن مغرماً بهذه البادية الاَّ مرغماً وانما المعوَّل على الحبيب الاول . فقد كنت لحنيني الى أوطاني وأنيني لمفارقة خلاني كما قال الشاعر وفي قولهِ دليل ايضاً على غناء المائحين وشقاء النازحين :

وما صاديات حمن يوماً وليلةً على الماء يخشين العصيَّ حواني
لوائب لا يصدرن عنهُ بوجهةٍ ولاهنَّ من برد الحياض دواني
يرين حباب الماء والموت دونهُ فهنَّ لأصوات السقاة رواني
باوجعَ مني جهد شوقٍ وغلةٍ اليها ولكن العدوَّ عداني

« للبحث صلة » عز الدين آل علم الدين

القَدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٥)

ان التطور الاجتماعي العظيم على سلم النزعات الفردية الذي وصفناهُ في الجزء الماضي يرى مجسماً في تاريخ الانسانية. فالآلهة وانصاف الآلهة القدماء والانبياء من بعدهم والملوك والشعراء والفلاسفة هم الذين كانوا المحور الذي دارت عليهِ المدنيات المتعاقبة. ولم يأخذ واحد من هؤلاء اسمًا في التاريخ كعامل من عوامل الرقي او التدهور الانساني الاَّ بمقدار نزعاتهِ الخاصة الخارجة على النظام الاجتماعي السائد يوم وجودهِ. بل ان تراجمهم لتدل على انهم جميعًا كانوا منظورين بعين الاستغراب من الرأي السائد لتفوقهم في القيام في وجه الوحدات الايمانية الموطَّدة الاركان في النفوس. ولكن الذي لوحظ الى جانب ذلك ان نزعات الافراد الذين كانوا عوامل في رقي الانسانية كانت نزعات تتفق مع قوانين حياة الاجتماع الطبيعية من حيث هي. وبكلمة اخرى ان هؤلاء الافراد كانوا صيحة الجنس نحو الكمال. وان هذه النزعات على ما فيها من مصادمة الرأي السائد لم تكن الاَّ خطوات ضيقة جدًّا وكانت جمعيتهم مهيئة لها وانما يقف في وجهها الماضي الذي قدَّس وحداتهِ الايمانية حتى صارت في نظر المجموع عقيدة لا يمكن ان تتحول. اما الافراد الذين عملوا على تدرُّك الانسانية فكانت نزعاتهم ضد الاجتماع بل ضد الحياة — كانوا نذر الموت واعلام الدمار. كانوا افراداً ساعدتهم ظروف خاصة على الرجوع بالانسانية الى الوراء. ولكن الاجتماع اظهر القوة في كل الظروف التي حلت بهِ فيها مثل هذه الكوارث فلم يدم في تدركهِ. ولهذا نرى استبداد ملوك الرومانيين لم يوقف سير المدنية الاَّ قليلاً. بل لقد كانت شرور ذلك العصر سببًا في افاقات اقتضاها انفجار القوى المضغوطة رغم ما توصي بهِ طبيعة الحياة

والتاريخ لدينا حافل يشهد بما تقدم. ولنأخذ مارتين لوتر مثلاً. ومارتين لوتر من الرجال الذين هزوا الانسانية وقسموا المسيحية الى قسميها الكاثوليكية والبروتستانية. قام هذا البطل وسط العقائد والوحدات الايمانية السائدة في القرن الخامس عشر لميلاد المسيح. وكانت سيادة هذه العقائد من القوة بحيث لم يكن لمن يقاومها الاَّ ملاقاة حتفهِ. فكم من

ارواح ازهقت لا لشيء الاَّ انها سمحت لابسط انواع الانتقاد ان يوجه صادراً منها الى بعض شُعَب غير رئيسية مما تفرَّع عن هذه العقائد . ومثال هس وجيروم باقٍ ناطق بما كان يلقاهُ المعارضون من انواع التعذيب الذي ينتهي بموتهم حرقًا ولكن عصر لوتر لم يكن عصر هس وجيروم . فقد كانت النفوس في عصره مهيئة لقبول تعاليم جديدة شعرت بها لازمة لحياة الجماعة . لهذا ما كاد ينشر تعاليمهُ حتى رحَّب بهِ الانصار والاشياع . فلما استدعي الى مجمع ورمس ليناقش الحساب بعد ثلاث سنين من قيامهِ بنشر دعوتهِ علت حولهُ الصيحات من كل جانب : «كن عند رأيك فانَّا معك» . وكذلك كان . فجعل يدافع ساعتين عن آرائهِ في خطبة القاها كانت ما سميناهُ نحن صيحة الجنس نحو الكمال . ولقيت خطبتهُ من اهل ذلك العصر استعداداً فاقرها الناس وكانت فاتحة عصر جديد . ولكنها في الواقع لم تكن الاَّ خطوة ضيقة اعدَّ الماضي لها الناس فلما خطوها في عصر لوتر جاءت على اثرها خطوات تأسست عليها مدنية اوربا في العصر الحاضر

ومارتن لوتر ليس الاَّ المثل المتكرر من امثلة المصلحين الذين قاموا في الانسانية من يوم نشأتها الى العصر الحاضر . ولكن الاكثرين من هؤلاء الابطال المصلحين ان لم نقل كلهم اقرب الى الشعراء منهم الى المفكرين . لان من شأن المفكر ان تخمد القوة العملية فيهِ بمقدار ذكاء قوتهِ الفكرية . فالفكرة التي تتكون في نفسهِ بدل ان تدفعهُ للعمل لاظهارها تحلّ الى فكرة اخرى والى فكرة ثالثة وهلمَّ جرًّا . وعلى ذلك تنقضي حياة المفكّر في ملاحظات واستنتاجات وتشكيك في الملاحظات والاستنتاجات وردود على هذا التشكيك ومؤازرة للفكرة بافكار اخرى . ولكن الابطال المصلحين يقفون عند افكار معينة تسمو على افكار الشعب الذي يقومون بينهُ سموًّا محدوداً في اتجاهه وفي مقداره لاضطرار المصلح ان يلائم الوسط الذي يظهر فيهِ ملاءمة تسمح لسواد هذا الوسط ان يتبعهُ على طريق القياس ببعض ما عندهُ من الوحدات الايمانية التي افلتت من القيود القديمة وسمحت لها مقتضيات الاجتماع او اكرهتها ظروفهُ على التقدم بعض الشيء . لكن المفكّر لا يقف عند فكرة معينة . بل هو يتطلب دائمًا نتائج هذه الفكرة ونتائج هذه النتائج وآثارها وارتباط النتائج والآثار بحياة الوجود العام وغير ذلك مما لا ينتهي ومما هو مثار الشكوك الدائمة . وكذلك تنقضي حياة المفكر في وسط خيالي لا يفهمهُ الناس و يتذوقهُ هو . ومحال ان يكون غير ذلك ما دام الفكر الانساني محدوداً والعالم غير محدود

وضع المفكر العظيم اوجست كونت فلسفتهُ الوضعية وقضى في ترتيبها زهرة حياتهِ . ولما

اكتهل صادفتهُ مدام دفو فوصل من الاعجاب بها الى حد تقديسها. وهنالك داخلت نفسهُ نزعة شعرية فانتقل من فلسفتهِ الى سياسيتهِ التقريرية آخذاً النتائج التي وصل اليها من طريق الملاحظة والاستقراء ملبساً اياها نفسهُ ثم نافثاً لها في صيغة شعرية اشبه الاشياء بالصيغة التي تأخذها كتب العقائد . هنالك حكم عليهِ انصارهُ انفسهم بانهُ قضى كمفكر لان النتائج العظيمة التي وصل اليها في فلسفتهِ ليست خاتمة ما يمكن ان يصل اليهِ الملاحظ والمستقرئ . ولذلك وقفوا في مناصرتهِ عند الذي وصل اليهِ من فلسفتهِ واستمروا في الطريق الذي كان هو سائراً فيهِ . استمروا يفكرون

وهذا النوع من الحياة واقصد اذكاء الفكرة وجعلها تدفع الى فكرة اخرى لا الى عمل من اعمال الحياة يفقد هذه الاعمال قيمتها في النفس . وذلك هو السبب في ضعف احساس المفكر بالمسؤولية . فهو يترك الحياة المادية تسير كما تسير منقطعاً الى حياتهِ العليا فتصبح الاعمال عندهُ موضع ملاحظة ونظر كأنها شيء آخر مستقل عنهُ فلا تستدعي منهُ اسفاً ولا غبطةً . ولكن الذي يستوقفهُ ويستدعي اعجابهُ او انقباضهُ هو الفكرة الجميلة او الفكرة المجرمة

يتضح مما تقدم ان اصحاب الشذوذ الفكري والمجانين العظماء والمفكرين هم شواذ في الجمعية ولكنهم اثر من اثارها هم الملتقى الذي تصل عندهُ وحداتها الايمانية المتضاربة في اغلب الاحيان تضارباً ان اتفق مع الحياة فهو لا يتفق مع التقدم . والتقدم والارتقاء هما آثار التطوُّر الذي هو احد القوانين الرئيسية لنظام الجمعية وخلودها . وعلى اعتبار هؤلاء الاشخاص شواذ لازمين قطعاً لوجود الجمعية الانسانية من حيث هي الجمعية الانسانية في صورتها غير المحدودة بالمكان والزمان والقائمة بين الازل والابد — على هذا الاعتبار سمح لهم الرأي السائد في كل العصور ان ينتهكوا حرمتهُ ويحولوا تيارهُ لان الرأي السائد يحتوي جرثومة التطور والتقدم . وهذا هو ما جعل فكرة المسؤلية تنطبع في نفوس هؤلاء الافراد على نحو مبهم اقرب لان يكون طابع المستقبل منهُ طابع الجمعية الحاضرة

وهؤلاء الافراد هم الذين اوتوا اجهزة وتيارات غير عادية وسمحت لهم ظروف خاص كالصدفة والوراثة ان يوجهوها لخير الانسانية فوفقت احسن التوفيق وكانت نزعاتهم الفردية حجر الاساس الذي شيدت فوقهُ المدنيات المتعاقبة

ولكننا اذا حوّلنا النظر الى الجهة المقابلة حيث ترفع النزعات الفردية اعلام الموت وترسل نذر الخراب واخذنا نيرون الظالم مثلاً رأينا الفرد المجرد من معنى الاجتماع والعائش بنفسهِ لنفسهِ . ورأينا المخرب الذي يندفع ليدك قواعد الوجود ارضاءً لشهرتهِ . رأينا هذا المستبد

الاحمق محرقاً رومية ممسكاً بيديهِ قيثارتهُ يوقع عليها قصيدة خرقاء جادت بها قريحتهُ المجرمة · ولكن رومية عادت الى الحياة ومات هو وطمس على قصيدتهِ في حفرتهِ

ولذلك يعلو الاجتماع و يبقى و يموت الفرد الخارج على قوانينهِ تحت اقدامهِ

نيرون هو المثل للمجرم في الانسانية · والمجرم شخص مجرد عن العواطف والاحساسات البشرية لا يحس بالألم ولا بالسعادة ويرى الوجود الذي امامهُ عدوًّا لهُ لدوداً · هو حيوان من غير النوع الانساني لانهُ غير مدني ولكنهُ البس صورة الناس ظاهراً · لهذا لم يكن لقواعد الحياة ووحدات ايمان الوجود ان تنطبع في نفسهِ الصلدة بل يبقى فؤادهُ جامداً ونفسهُ حيوانية لا تعرف من معنى الاجتماع شيئاً ولا تفهم من قوانين الطبيعة الاَّ القانون العام الذي يحكم الموجودات الحية الى ادنا انواعها قانون استبقاء الحياة · ولما كان الكد والكدح اثرين من آثار التنافس الذي لا يكون الاَّ بالاجتماع وكان المجرم غير مدني رأيتهُ يميل للكسل ويفضل الاغارة على امثالهِ بني آدم يختطف اموالهم من يدهم كما يغير الأسد أو النمر على ما يجاورهُ و يأخذ الفريسة التي تلوح لهُ

وجمود نفس المجرم عن تلقي آي الاجتماع ينتج عندهُ حتماً جموداً امام الجزاء المقابل الذي تفترضهُ هاتهِ الآي عقوبةً لمن خرج عليها · لهذا لوحظ ان المجرمين المتأصلة جرثومة الاجرام في نفوسهم لا يعرفون معنى للتوبة ولا يفقهون معنى التكفير عن الخطيئة · كما انهم لا يشعرون في العقوبة بالم يردعهم عن العودة لما يستوجبها بل هم يرتكبون الجريمة بالهوادة والطمأنينة التي يجدها غيرهم في اي عمل عادي مشروع لأن الجريمة عمل عادي مشروع عندهم

لكن هذا النوع من المجرمين قليل وغير منتشر · والغالبية العظمى ممن يخرجون على النظام اشخاص تدفعهم ظروف خاصة توجه نزعاتهم الفردية وجهات غير موفقة فيرتكبون ما يخالف التعاليم التي انطبعت في نفوسهم والتي هي وحدات الوجود الايمانية · ومن هؤلاء تتركب طائفة المسؤلين الكبرى · فالمجرمون بالصدفة والمجرمون بالعادة والمجرمون بدافع الشهوة والمجرمون المتهوسون والمجرمون السياسيون وغير هؤلاء واولئك ممن سيرجع بنا الكلام اليهم عند بحث المسؤولية القانونية

ووجود هذا النوع من المسؤلين في الجمعية هو المقابل الطبيعي لوجود العظماء والمفكرين والمصلحين · فما دام الاجتماع الانساني في تطورهِ نحو الكمال يستخدم النزعات الفردية لاتمام ذلك التطور فستوفق بعض هذه النزعات للسير في الطريق السويّ وستضل

اخرى وتنحدر في مهاوي الجريمة · ولكن اصحاب النزعات الضالة يلقون دائماً جزاء ضلالهم فتدوسهم الجمعية باقدامها وتمر من فوقهم غير مهتمة بهم ولا مكترثة لهم بل مستخدمة اياهم في احايين كثيرة لمساعدتها في التقدم الى الغرض الذي تسير اليهِ · ولم يستطع هؤلاء الضالون في عصر من العصور الماضية كلا ولن يستطيعوا في المستقبل ان يقفوا في وجه الجمعية لان الجمعية وجود طبيعي ازلي خالد · والافراد ذرات سريعة التحول والانقلاب· والجمعية كل والفرد ذرة متناهية في الصغر الى جانب ذلك الكل ومسخرة لخدمتهِ

اذن فشأن الفرد في الجمعية شأن مسمار في ماكينة عظيمة · فذلك المسمار يبقى سالماً ما دام قائماً باداء الوظيفة التي وضع لها غير خارج على المجاورات التي حولهُ · لكنهُ يلقى جزاءً محتوماً ان هو وقف عن اداء وظيفتهِ او خرج عن المكان المعد لهُ · فانهُ يلقى قسماً آخر من الماكينة امتن منهُ واقوى يصادفهُ في سيرهِ فيكسر رأسهُ او يردهُ رغماً عنهُ الى مكانهِ · بل ان شأن الفرد لاضعف من ذلك واحقر · لانا مهما تصورنا من عظمة هاتهِ الماكينة ومن ضآلة المسمار الى جانبها فلن نبلغ في ذلك ما يقابل الجمعية والفرد

وقد احسَّ الناس من ابعد الازمان بهذا الاحساس وفهموا تمام الفهم معنى الجزاء الذي تنزلهُ بهم الجمعية حين خروجهم عليها · وبلغ من قوة احساسهم بهِ أن خلطوا بين فكرة الجزاء وفكرة المسؤُولية واحلوا الاولى محل الثانية · وترتب على هذا الخلط الفكري خلط آخر جرَّ اليهِ التشابه اللغوي · فلما كانوا يرون الجزاء هو المقابل الطبيعي لعمل من الاعمال يعرض صاحبهُ لتسخط الجمعية وكان الجزاء لغة هو المقابل للعمل بالاوامر سواء كان هذا اجتماعيًّا او غير اجتماعي وسواء كان مضرًّا بالجمعية و يستدعي مسؤُولية فاعلهِ او هو لا علاقة لهُ بالجمعية مطلقاً وانما هو عمل يستحق المدح من فرد معين من الناس على خدمتهِ وصلتهِ من آخر — جعلوا هذه الاعمال غير الاجتماعية لما يقابلها في نظرهم من الجزاء داعية مسؤُولية ولو في جانب ما يسمونهُ الخير · مع ان المسؤُولية انما تتكون عند الفرد على اثر انطباع وحدات الايمان المتعلقة بحياة الاجتماع في نفسهِ ومخالفة هذه الوحدات من بعض الاشخاص

ولكن اذا كان هذا الخلط قد جر اليهِ الشبه اللغوي في استعمال كلمة الجزاء فان الذي مكن لهُ في عالم الفكر ومدَّ من حياتهِ حتى نراهُ باقيًا الى اليوم هو الابهام الذي كان حاصلاً في فهم الوحدات والقوانين اللازمة لحياة الاجتماع حتى رتبت بعض العصور اضعف اعمال الفرد في جهتي النافع والضار والخير والشر ترتيبًا لا يسمح لنزعة فردية من النزعات التي هي اساس التطور الاجتماعي ان تقوى وتعمل عملها في الوجود · رتبتها وحكمتها فكان الميدان

المسموح للفرد ان يتنفس فيهِ ضيقاً الى حد ان كاد يخنقهُ . فكان طعامهُ وشرابهُ وحركاتهُ ونوع كلامهِ بل اتجاه فكرهِ كلها معتبرة من الوحدات الايمانية اللازمة لحياة الجمعية . ولكن التطور الذي حصل على متعاقب العصور حال بعض الشيء من هذه الدائرة وسمح للافراد بدائرة اوسع يتحركون فيها حسب ما توحي اليهم بهِ نزعاتهم وظروفهم الخاصة وان حكمتهم دائماً ظروف الوسط والزمان

وهذه الحرية التي سمح بها الاجتماع لافرادهِ على اعتبار انها لازمة للتطور وغير ضارة بحياتهِ هي التي سمحت لفكرة المسؤُولية ان ترجع بعض الشيء الى معناها الطبيعي الاول . ونعني احساس الفرد بمخالفة سنة الاجتماع مخالفة يغلب ان تجر عليهِ الجزاء المقابل لها . لكن فكرة الجزاء هي المقابل لفكرة المسؤُلية وليست هي هي كما قرر بعض الكتاب والفلاسفة . فقد يأمن الرجل كل الامن وقوع الجزاء ولكن ذلك لا يمنع تحرك ضميرهِ حسب ما تكون من قبل ما لم يكن مجرماً بالخلق ميت الاحساس بطبيعتهِ . وان كثيرين من الاشخاص الذين يقدمون للقضاء فيبرؤُن لعدم قيام ادلة كافية لادانتهم يبقون رغم فرحهم بالنجاة من العقاب تحت تأثير وخز الضمير زمناً غير قليل . بل قد يبلغ الحال من بعضهم ان يجزي بنفسهِ نفسهُ . ولولا نعمة النسيان تسمح للاكثرين منهم بشيءٍ من الهدوء لما برحهم ألمهم . كما ان فكرة التكفير والتوبة تريح نفوساً كثيرة قد تنوء لولاها بفكرة المسؤُولية

بل كم رأينا من كبراء الرجال من ارتكب على علم اثماً اضرَّ بجمعيتهِ ولكن ظروفاً خاصة جعلتهُ يرتكبهُ وهو مطمئن ساعة ارتكابهِ لكن الماضي لم يلبث ان تكدس كلهُ وغلب الحاضر وقامت فكرة المسؤُولية قاسية أليمة تعذب ضمير هذا الرجل اشد العذاب

واما ادخال عمل الخير تحت فكرة المسؤُولية فذلك خطأٌ جرَّ اليهِ الخلط اللغوي وجرَّ اليهِ تاريخ فكرة المسؤُولية ووطد اركانهُ ميل العقل الانساني الى فكرة المقارنة والمقابلة بين الاضداد . والحقيقة ان فكرة الخير والاحسان والفضيلة هي افكار نسبية ابدعت في مختلف العصور للتعبير عن النزعات الفردية التي تسعى بالجنس في طريق تقدمهِ نحو الكمال . ولا يمكن ان تستثير الاعمال التي اطلقت عليها هذه الاسماء فكرة المسؤُولية في النفس . ولكن التعاليم القديمة كانت تجعلها تستثير فكرة الجزاء عند الله ان لم يكن عند الناس فكان ذلك سبباً للخطأ الذي اشرنا اليهِ

محمد حسين هيكل المحامي

دكتور في الحقوق

ذكرى قاسم امين [1]

ايها السادة

بهذا اليوم تتم السنة التاسعة على وفاة المرحوم قاسم بك امين وهو احد مؤسسي هذه الجامعة فلهُ بها صلة اشد من صلة العضوية التي لنا جميعاً . هذه المناسبة كافية في الاحتفال بذكراهُ في هذا المعهد . على ان لقاسم غير هذه الصفة صفة اخرى ادعى الى الاحتفال بذكراهُ ودرسهِ في ارقى معهد علمي في مصر . هي انهُ احد كتابنا المجيدين الذين يحق لنا ان ندرسهم في كلية الآداب

لا ادري أنصب السرادقات في الشوارع وذبح الذبائح واطعام المساكين للاحتفال بذكرى اعيان الوفيات خير أم درسهم وتحليل ملكاتهم واخلاقهم ونقد اثارهم في زاوية بمعزل عن الجمهور كما نفعل الآن . على الحالين لكل عائلة ان تحتفل بذكرى اعضائها الغائبين الى الابد بمقدار ما تسع طاقتها وعلى الوجه الذي يناسبها . ولقد كان قاسم احد آباء هذه العائلة العلمية التي انتم ابناؤها . وعقلاً من العقول الاولى لهذه البيئة التي انتم افرادها . لذلك حق عليكم ان تذكروهُ على نحو ما تذكرون آباءكم واخوتكم في النسب . لكل امرىء عائلة وعائلة المتعلم من حيث هو متعلم والمعلم من حيث هو معلم انما هي الجامعة التي ينتسب اليها . واقل ما يجب على الابن البار ان يذكر اباهُ وعلة وجودهِ . ونحن اعضاء الجامعة لا يسعنا من صنوف التكريم الاَّ الدرس والنقد ولا يناسب اهل العلم الاَّ سلوك مناهج القصد والفرار من الزخارف والابهة الباطلة

حسبنا بياناً لعلة هذه المسامرة ومناسبتها لنخوض فيما تصدينا لبحثهِ

لسنا في مقام رثاء او تأبين فذلك مقام قضيناهُ من قبل فلم يبقَ في النفس من آثار ألم المصيبة ما قد يعدل بها من حيث لا تشعر عن الانصاف الى التحيز . ولم يبقَ من قرب عهد العشرة ما يدعو الى المجاملة ولا من انتهاز الفرصة لاطراء المثل الحسن ما قد يفضي الى المبالغة في المذهب فقد خفف عنا الزمان هذه الحالات الوقتية كما هو شأنهُ . وما لنا بعد الاَّ ان ننظر في آرائهِ النظر المجرَّد عن الغايات الوقتية

---

(١) محاضرة القاها حضرة الباحث الاجتماعي احمد بك لطفي السيد على طلبة الجامعة المصرية في ٣٠ ابريل سنة ١٩١٧

وانَّا على هذا كلما ذكرنا قاسماً ذكرنا مثلاً صالحاً واسوة حسنة لشباننا الذين يريدون ان يهذبوا انفسهم بالقيام عليها ليكونوا قوة عاملة ذات اثر في الجمعية الانسانية وليحصلوا تلك اللذة الكبرى التي حددها قاسم بقولهِ

« اللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ولاشرف النسب ولا علو المنصب ولا شيئاً من الاشياء التي يجري وراءها الناس عادة وانما هي ان يكون الانسان قوة عاملة ذات اثر خالد في العالم »

لقاسم صورة معنوية لعلها من اقرب الصور التي عرفناها للمثل الاعلى للرجل في هذه البلاد وفي هذا الزمان . ولكنها مع ذلك قد تُمثل في بعض الاذهان مشوهة او ناقصة بعض الشيء . فمن الناس من يراهُ من جهة واحدة هي جهة جرأتهِ على عادات قومهِ و بعض معتقداتهم . وهؤلاء الناس الذين هالتهم صيحة الاصلاح الاجتماعي الذي عاناهُ ورأوا فيها مساساً بالدين و بالعادات وعبثاً بالشخصية المصرية بل بالمنفعةالعائلية ذاتها اولئك هم اهلُ « ليس في الامكان ابدع مما كان » . وآخرون ينظرون الى قاسم نظرة اكثر احتواء لصورتهِ يرونهُ ثمرة ناضجة من ثمار التعاليم الاوربية في الشرق و يقدرون ملكاتهِ من حيث هو كاتب تقديرهم لكثير من كتابنا الاخرين ولم يلتفتوا الى جهة التفكير العميق فيهِ . واني احاول ان أُلم في هذه المسامرة الماماً بصورة منهُ نفسية اقرب الى ما اعتقدهُ الحق معتمداً في ذلك على افكارهِ المكتوبة وآرائهِ المنشورة . خصوصاً مجموعة اقوالهِ الموسومة « بالكلمات » لانها مذكرات كان يكتبها قاسم في كراسة جيب لم يعدَّها بعد للنشر . ولقد كنت عندهُ يوماً فقرأ عليَّ بعضاً منها وتركني افهم انهُ ربما نشرها ولكن بعد عهد بعيد فلما عاجلتهُ المنية بعد ذلك باسابيع حصلت عليها بواسطة صديقهِ حضرة صاحب المعالي سعد باشا زغلول وراجعتها انا والاستاذ عاطف بك بركات وطبعتها في الاسبوع الذي توفي فيهِ على ما اذكر . ولاشك في ان كراسة الجيب هي مستودع افكار المرء الخاصة وعبارة مشاعرهِ العميقة فهي آكد في رسم صورة منهُ اقرب الى الحقيقة من كل ما يرتبهُ وينشرهُ في حياتهِ و يلاحظ فيهِ اعتبارات شتى عند النشر . وان كان قاسم هو في الواقع اشد اخلاصاً من ان يرائي واعظم شجاعة من ان يداجي في آرائهِ

لا ادعي لقاسم انهُ كان فيلسوفاً في صف الفلاسفة اولي المذاهب العامة في حقائق الموجودات باعتبار ما هي عليهِ او ارباب الانماط الخاصة في درس المعارف الانسانية وربطها بعضها ببعض . ولكننا نعرف لهُ انهُ مفكر عميق وكاتب مجيد

ليس من الصعب درس قاسم فانهُ لم يكن من الكتّاب القصصيين المكثرين مشتت المقاصد والافكار في غضون الروايات بل هو كاتب مقلّ يعرب عن مقاصدهِ وآرائهِ لا على ألسن ابطال القصص بل مضافة الى ذاتهِ. وليس مثل كثير من المفكرين الذين يجتهدون في اخفاء شخصيتهم و يعممون قولهم ومذاهبهم تعميمًا. بل يظهر من عبارة بعض كلماتهِ ومن اشارة بعضها انهُ كان يعنى جد العناية بدرس نفسهِ ثم يؤوب من هـذا الدرس بنتيجة يسطرها غالبًا على انها ملاحظة شخصية او حالة نفسية لهُ و يلقيها احيانًا على صورة عامة

كان قاسم ذا طبع جم الاستعداد للنبوغ خصوصًا في مقومات الهمة والشجاعة وصفات الرفعة. جاءهُ ذلك بالضرورة بالانتقال الوراثي لان جدهُ احد امراء الاكراد أُخذ ابنهُ رهينة الى الاستانة وجيء بهِ الى مصر فاستوطنها و بنى باحدى عقائل عائلة خطاب فكان قاسم أكبر ولدهِ منها. لم يربَّ قاسم على نحو ما يربى عليهِ اولاد الامراء او المكثرين في المال. بل ربي على الطريقة التي يربى بها اواسط الناس وهي اقل انواع التربية عيوبًا واقبلها لاعتناق المذاهب الديمقراطية والايمان بفائدة العلم واولاها بافادة الاعتماد على النفس. تعلم في مدارس الحكومة كغيرهِ وأُرسل في البعثة العلمية مع زملائهِ الى فرنسا لحصل على ليسانس في القانون وعاد الى مصر سنة ١٨٨٥ وتنقل في الوظائف القضائية حتى مات وهو مستشار في الاستئناف كما تعلمون. بذلك ترون ان حياتهُ لم تكن عاصفية ولا ذات عقبات واحوال متعاكسة ولا شيئًا من ذلك مما كان شأنهُ ان عدّل كثيرًا من صفات الرجال أولي الاقدار في الحياة. ولكن قابليتهُ الشريفة الارسطقراطية وتربيتهُ على اصول الديمقراطية الفرنساوية امتزجا تمام الامتزاج فالّفا صورة نفسية ذات ميول ارسطقراطية هذبتها تربية ديمقراطية

يظهر ان هذا القران الموفق بين الميول الارسطقراطية و بين التربية الديمقراطية قد هذب من نفس قاسم وعقلهِ ومشاعرهِ بان خلص نفسهُ مما قد نسميهِ نقائص الشرف وحلَّ عقلهُ من قيود الوهم التي تقيد عقول طبقات الاشراف في كل زمان وفي كل مكان. وفتح لمشاعرهِ ابواب الطرق العلمية لتعرف الخير والجمال سواء كان في الاعيان او في المعاني حتى لقد صار وهو قاضٍ يكره ان يحكم بالاعدام مهما قامت ادلة الادانة في حين أن معنى امير كردي قلما يقترن في الذهن الاَّ بانهُ سفاك غالبًا. وصار يرى من الحسن العفو عن كل خطيئة وما كانت عزة الاشراف في كل زمان الاَّ مقترنة بحب الانتقام

هذا القران الموفق طبع قاسمًا على صفات وميول جعلت لهُ شخصية ممتازة

من ذلك انهُ كان يجمع بين الحياء الشديد والجرأة المتناهية حتى كأ نهُ كان معنيّ ببيت ليلى الاخيلية في توبة :

وتوبة احيي من فتاة حيية واجرأ من ليث بخفان خادر

نعم كان حييًّا الى حد ان فُسّر اطراقهُ في المجالس بأنهُ كِبر فقيل لهُ في كثرة السكوت والاطراق فقال « كلما هممت بالخوض في الحديث ورددت فكرتي في نفسي كثيراً وجدتها لا تستحق ان تبدى فاعرضت عن الكلام » وفي ذلك من التواضع الحقيقي والبعد عن الزهو والاعجاب ما لا يخفى . وهذا المعنى متفق مع حالهِ من معاناة التفكير في نفسهِ وتعرفها ومتفق مع اقوالهِ

ولا شك في ان تهذيب النفس وتعليمها بطريق ملاحظتها والغوص في اعماقها وتبيين حقيقتها وميولها وآمالها — كل ذلك من شأنهِ ان يجعل بين المرء وبين نفسهِ انساً واتصالاً يعيش في داخلها اكثر من عيشتهِ في المضطرب الذي يحويهِ . وهــذا ايضاً يفسر كثرة اطراقهِ وشدة حيائهِ

والواقع ان الحياء فضيلة عصماء لا تقع لامرىءٍ الاَّ بعد ان تجتمع لهُ فضائل نفسية الى جهة العلو والكرامة . لان الحياء على ما اظن مصدرهُ في خوف المرء من السقوط امام نفسهِ ومن ان يسقط قدرهُ امام الناس

اما ضد الحيّ فهو ذلك المكشوف الوجه الذي لا يخاف من السقوط ولا من مقارفة الرذيلة فهو خلو من الشجاعة وليس فيهِ ما يشبه الشجاع كما قيل الاَّ اشتراكهُ واياهُ في معنى عدم الخوف في الجملة . فان الشجاع يقدم على الخطر الحقيقي بمقدار ما ينبغي وحينما ينبغي فهو مقدام امام الخطر وجبان امام السفالات

واما ان قاسماً كان شجاعًا فذلك معلوم في حياتهِ وفي كتاباتهِ التي كان يجبهُ بها معظم الناس من غير خوف وكأَنما كان يعني نفسهُ اذ يقول :

« النفس الضعيفة تنحني للقوي وتنكمش امام الظالم وتهاب كل صاحب سلطة وضدها النفس القوية تجد في اظهار جرأتها على هؤلاء وامثالهم منفذاً يخرج منهُ ما يزيد عندها من القوة عن حاجة حياتها »

ويظهر ان الشجاعة الكردية التي هي احدى صفاتهِ الجنسية قد تحولت بالتربية الى شجاعة ادبية عديمة النظير . ينمُّ عليها دائمًا قولهُ واعمالهُ في كل نوع من الاعمال التي زاولها حتى الاعمال المالية التي لم يكن مضطلعاً بها ولا مستعدًّا لها

من هذه الصفات ايضاً الشغف بالجميل فكان يعنى بتعرفهِ عناية شديدة مستمرة حتى اصبحت الفنون الجميلة لهُ موضع لذة واحترام خاص . فلسنا نعلم واحداً من طبقة قاسم احتفل بتشييع جنازة عبده الحمولي بصفتهِ رئيس فن الغناء وقتئذٍ ولازم مأتمهُ الا هو . كذلك لم يشغل قاسماً ما هو فيهِ من ولاية القضاء ولا من التفكير والتأليف عن العناية بسماع الغناء وتعرف الجميل في الرسم والتصوير ومناظر الطبيعة . . . . الخ

وكان يظن ان اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة اذ يقول :

« لعل اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة والتمثيل والتصوير والموسيقى هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها الى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال فاهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور »

اخذ قاسم نفسهُ بتعرف الجميل فتهذبت عندهُ ملكة الذوق وصفت الى حد انهُ قال :

« من اعظم ما يصاب بهِ المرء ان يحرم من الذوق السليم »

لهذا النظر جعل انتقادهُ وارداً على سوء الذوق او جمودهِ في كثير من كلماتهِ حتى فيما يتعلق بفتاة شارع الدواوين التي بعد ان وصفها قال عنها

« انها كانت ترسل الى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام و بالاجمال كان مجموعها تحريضاً مهيجاً لحواسهم »

لئن كانت شريعة من الشرائع او نوع من الاداب يبيح للمرأة الجميلة ان تخرج من دارها ولا قصد لها الاَّ فتنة الناس فلا اقل من مراعاة حسن الذوق في مشيتها والاحتشام في نظراتها فان جمالها سيدل على نفسهِ من غير حاجة الى دلال

بهذا كلهِ ترون ان قاسماً كان يحيي حياة مستوفية قسطها من العظم والانتشار . عقل راجح بعيد مدى الادراك وشعور رقيق يهتز لدقائق المؤثرات وذوق مصفى يعيش منهُ في سعادة الذين يعرفون الجمال و يتذوقون طعومهُ . غير محروم مع ذلك كلهِ من الشهوات بل يظهر من خلال سطورهِ انهُ كان كما يقولون « لكبار الرجال كبائر الشهوات » فان الذي يعلم ان قاسماً كان يعنى بتهذيب نفسهِ ويحاسبها الحساب الشديد ثم يقرأ كلماتهِ الآتية —

« الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان في جميع ادوار حياتهِ فتارة تخضع للاولى وتارة تتغلب عليها الثانية ولا يوجد رجل مهما بلغ من التربية والعلم يكون آمناً

من السقوط يوماً في الرذيلة كما لا يوجد رجل مهما احاطت بهِ الرذيلة الا وفيهِ استعداد لان يأتي يوماً بافضل الاعمال

« وحقيقة الامر ان اخلاق الانسان ليست شيئاً يتم دفعةً واحدة وليس لها حد تقف عندهُ انما هي في تحليل وتركيب في تكون مستمر يعتريها الانحلال زمناً وتعود بعدهُ الى التماسك » ويقرأ ايضاً هذه الكلمات :

« الانسان اسير الشهوات ما دام حيًّا وانما تختلف شهواتهُ باختلاف سنهِ فشهوة اللعب عند الطفل وشهوة الحب عند الشاب وشهوة الطمع عند رجل الاربعين وشهوة السلطة عند شيخ الستين جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا متى وقع فيها احدنا يجب عليهِ ان لا يترك نفسهُ الى تصرفها ولا يستصعب الخلاص منها ولا ييأس من نفسهِ بل عليهِ ان يقاومها كما يقاوم المريض علتهُ عليهِ ان يوجه ارادتهُ الى مصارعتها والتغلب عليها . عليهِ ان يحول فكرهُ عن الامس الذي كان فيهِ قبيحاً و ينظر الى غدهِ الذي يكون فيهِ جميلاً لا يطلب الكمال من المرء وانما يطلب منهُ ان يكون في كل يوم احسن منهُ في اليوم الذي مضى . في ميدان الحرب لا يكون ثبات الجأش الاَّ عند الرجل الذي حضر وقائع سابقة ووقف امام العدو وقاتل يوماً مهاجماً و يوماً مدافعاً . كذلك الحال في جهاد النفس لا تجد ثبات الجنان الاَّ عند الرجل الذي عرض نفسهُ الى استهواء الشهوات وخدائع اللذات فاذا اختبرها بالتجربة وتغلب عليها بعد ذلك كسب قوة الحكم على نفسهِ التي هي الفضيلة الحقيقية خلافاً للرجل الذي احتجب عن جواذب الشهوات فانهُ متى وجد امام فرص مرغبة فيها لا يقاوم سلطانها الاَّ قليلاً واذا سلم في نفسهِ مرة لا يستطيع الخلاص منها »

ان من يقرأ هذه الكلمات واشباهها لقاسم يحكم بانهُ كان بينهُ و بين نفسهِ حرب مستمرة يغالبها وتغالبهُ شأن الحكيم الذي يريد ان يبلغ الادب السامي آخذاً باسبابهِ

كثيراً ما شاهدت من شباننا على اثر عودتهم من الدراسة في اوربا قلقاً او نوعاً من الحزن تبين اثارهُ على هيأتهم واقوالهم واعمالهم وما شككت في ان هذا الحزن انما هو نتيجة المقارنة بين حال البيئات التي كانوا يعيشون فيها هنالك و بين البيئة التي تحو يهم . كذلك قاسم ما اظنهُ نجا من هذه الحال بل اعترتهُ على نوع اشد مناسب لمقدار اطلاعهِ الواسعة ومداركهِ القوية ومشاعرهِ الرقيقة . وربما استحالت هذه الحال بمساعدة ما بهِ من الوقار الجنسي الى ملكة ينم عليها سكونهُ واطراقهُ و يفسرها كثير من كلمانهِ الى حد تجعل المرء يراهُ متطيراً اكثر منهُ متفائلاً

البقية تأتي

مستقبل الشرق الادنى

يظن البعض ان الشرقيين عاجزون عن ادارة امورهم بايديهم لانهم يرون ما في بلدانهم المختلفة من الضعف والوهن وتضعضع القوى. ولكننا اذا بحثنا في تاريخهم القديم وجدنا ان هذا الضعف طارئ عليهم وانهم لم يكونوا كذلك في غابر الازمان. واذا قسناهم بغيرهم من امم الارض وعلمنا ان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ترجح لنا انهُ لا يتعذر عليهم ان يلموا شعثهم ويستردوا مجدهم السابق. فان الامم التي نحسبها الآن متسنمة غارب المجد وراقية ذرى الفلاح لم تكن كذلك منذ بضع مئات من السنين. فامَّة اليابان مثلاً لم تكن ارقى من مجاوريها سكان الهند والصين منذ مئة سنة وهي الآن مثل امم اوربا العظمى. ودول اوربا لم يكن لها شأن كبير منذ الف سنة وهي الآن في اوج مجدها

بينما كنا نفكّر في هذه الامور وفيما قد يأول اليهِ حال بلاد الشام بعد هذه الحرب وقع نظرنا على ترجمة انكليزية لكتاب ارسطوطاليس في السياسة او الحكومة فتناولناها وفتحناها. ومن غريب الاتفاق ان الفصل الذي فُتح امامنا كان الفصل العاشر من الكتاب الثاني وفيهِ وصف مجمل لحكومة قرطاجنة المستعمرة السورية في شمال افريقية على ما كانت عليهِ في عهد ارسطوطاليس

والمعروف من تاريخ قرطاجنَّة انها مستعمرة من مستعمرات السوريين او الفينيقيين سكان صور وصيداء وبيروت وسائر السواحل السورية انشأوها منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة وعظمت مدينتها قرطاجنة حتى بلغ عدد سكانها مليون نفس اي اكثر من سكان القاهرة الآن واكثر من سكان اية مدينة كانت في اوربا ما عدا بعض العواصم كلندن وباريس. واغتنت بصنائعها ومتاجرها واستولت على جانب من اوربا وناظرت ممالك اليونان والرومان ودامت الحرب بينها وبين رومية سجالاً سنين كثيرة ولم تتغلب رومية عليها الاَّ بعد عناء كثير. وقد وصف ارسطوطاليس حكومتها التي كان لها اليد الطولى في ترقيتها بعد ان وصف حكومة كريت وحكومة اسبرطة فقال: —

« يظهر ان حكومة قرطاجنَّة قائمة على دعائم ثابتة وهي من وجوه كثيرة ارقى من غيرها فانها تشبه حكومة اسبرطة في بعض الامور. بل ان هذه الممالك الثلاث كريت واسبرطة وقرطاجنة متشابهة كثيراً في بعض الامور ومختلفة كثيرًا في غيرها. ومن اهم الامور التي تمتاز بها ان الشعب يشارك حكامهُ ومع ذلك لا يضطر ان يخرج عليهم ولاهم يخطون الى

استعمال الجور والغطرسة · فما يشارك القرطاجنيون فيهِ الاسبرطيين ان الذين تربطهم روابط الصداقة يجلسون حول موائد واحدة · وللقرطاجنيين مجلس شورى مثل مجلس الاسبرطيين فيهِ مئة نائب واربعة وهم منتخبون على اسلوب احكم من اسلوب الانتخاب في اسبرطة لان كل واحد من سكان اسبرطة يحق لهُ ان يُنتَخَب لمجلس الشورى مهما كان شأنهُ واما في قرطاجنة فالاعضاء ينتخبون من خاصَّة الشعب · والمملكتان متشابهتان من حيث الملوك ومشيروهم ولكن طريقة قرطاجنة اصلح من طريقة اسبرطة لانها تنتخب ملوكها انتخاباً ولا تتقيَّد بانتخابهم من اسرة واحدة ولا تراعي السن في انتخابهم بل تفضّل مَن يعلو فضلهُ على فضل غيرهِ ولو كان الاول اصغر سنًّا من الثاني لان سلطة الملك واسعة فاذا لم يكن على جانب كبير من الفضل والصلاح فقد يضرُّ ضرراً كبيراً كما حدث في اسبرطة مراراً

« والمبادىء التي بنى الاسبرطيون دعائم حكومتهم عليها مؤَلفين اياها من الارسطقراطية والديمقراطية (اي حكومة السراة وحكومة العوام) بعضها يميل الى الحكومة الديمقراطية وبعضها الى الحكومة الاوليغرَكية (اي التي يتولاها خاصَّة الامة او اغنياؤُها) فاذا اتفق رأي الملك مع رأي مشيريهِ كلهم في امر من الامور بعد بحثهِ فلهم ان يعرضوهُ على الجمعية العمومية او يقروهُ ولا يعرضوهُ عليها · ولكن اذا اختلف الملك ومجلس الشورى وجب عليهم ان يعرضوا الامر على الجمعية العمومية وهي تسمع ما يقولهُ الفريقان وتحكم فيهِ ولكل واحد من اعضائها ان يبدي رأيهُ · وعندهم خمسة مشيرين واسعو السلطة ينتخب بعضهم بعضاً وينتخبون هم اعضاء مجلس الشورى ويرأسونهُ وهؤُلاء الخمسة من اعلى طبقات الشعب واغناها وهم يخدمون بلادهم مجانًا من غير اجر ولذلك جعلت الحكومة تميل الى الاوليغركية اي الحكومة التي يتولاها خاصة الاغنياء وصار هؤُلاء المشيرون يؤَيدون السراة او الحكومة الارسطقراطية بناءً على رأي شاع وتسلط على النفوس وهو ان الحاكم لا يكفي ان يكون صاحب جاه بل يجب ان يكون صاحب ثروة واسعة ايضاً لانهُ يستحيل على مَن لم يكن صاحب ثروة ان يقوم بما يستدعيهِ سمو منصبهِ او ان يتفرَّغ لخدمة بلادهِ

« ولما كان اختيار الحكَّام من اهل الثروة بمثابة جعل الحكومة اوليغركية واختيارهم من اهل الجاه بمثابة جعلها ارسطقراطية فاختارت قرطاجنة اسلوبًا جامعاً بين هذين الطرفين وعليهِ تجري بنوع خاص في انتخاب الرجال لاعلى المناصب اي منصب الملك ومناصب قواد الجيش ولكن اذا انتُخب هؤُلاء من اناس ذوي ثروة ولا فضل لهم انحطَّ شأن المملكة لانها تصير تفضل الغنى على الفضل ويصير حب المال خطةً غالبة في المدينة لأَن ما يحترمهُ اصحاب

المناصب العالية لا يعتمّ ان يصير قِبلة السكان بنوع عام والغرض الذي يرمون اليهِ · وحيث لا يخصّ الاحترام الاعظم بالفضيلة لا تفلح حكومة الفضلاء لاسيما وان الاغنياء الذين يحرزون مناصبهم بالمال يحاولون ان يستفيدوا منها · واذا حمل الفقر مَن كان فاضلاً وجيهاً على الاكتساب بطرق غير محللة فلا يؤخذ ذلك دليلاً على ان المحروم من الفضل لا يحاول الاكتساب بتلك الطرق ولاسيما اذا اراد ان يسترد ما انفقهُ على احراز المنصب · ولذلك يجب ان يكون الحكام من الذين يستطيعون ان يحفظوا مقامهم ولا يحقّروهُ · وكان الاولى بالذين وضعوا نظام قرطاجنة ان يعينوا الاجور الكافية للاكفاء الذين يتولون المناصب العالية لكي يتفرغوا لخدمة بلادهم

« ولا يحسن بالمرء ان يتولّى مناصب كثيرة في وقت واحد كما هي الحال في قرطاجنة لان مَن يقتصر على عمل واحد يحسنهُ اكثر ممَّن يعمل معهُ غيرهُ · وهذا ظاهر في الجيش كما هو ظاهر في البحرية حيث تجد الشخص الواحد آمراً او مأموراً في وقت واحد · ولما كانت حكومة قرطاجنة مائلة الى الاوليغركية تراها تتزلف الى اهل الوجاهة وتعينهم حكاماً للمدن لكي يجمعوا منها ثروةً فيمكّنوا هذا العيب في حكومتهم · واللوم الاكبر على واضع نظام هذه المملكة فانهُ كان يجب عليهِ ان لا يبقي سبيلاً للشكوى والخروج على الحكومة اما الآن فاذا المَّت بالبلاد ملمَّة فلا يبعد ان يثور الشعب ويعصي اوامر حكامهِ ولا يجد الحكام من قوانين البلاد ما يردعونهم بهِ عن العصيان

« هذا ما يستحق الذكر من مزايا حكومة اسبرطة وحكومة كريت وحكومة قرطاجنة »

انتهى كلام ارسطو باختصار قليل · وظاهر منهُ انهُ يفضّل نظام الحكومة في قرطاجنة على نظامها في كريت وفي اسبرطة مع ان هاتين المملكتين اي كريت واسبرطة كانتا ارقى ممالك الاوربيين في ذلك العصر · وعليهِ فالفينيقيون الذين استعمروا قرطاجنة وضعوا لها نظاماً كفل لها النجاح والتفوق اكثر من سبعمائة سنة عدا ما قامت عليهِ الادلة التاريخية من تفوُّق الفينيقيين في بلادهم الاصلية سواحل سورية · انظر ما قالهُ فيهم حزقيال النبي نحو سنة ٥٨٨ قبل المسيح واصفاً غنى صور واتساع متاجرها قال :

« ايتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب يا صور انتِ قلتِ انا كاملة الجمال · تخومكِ في قلب البحور بناؤُوكِ تمَّموا جمالكِ عملوا كل الواحكِ من سرو سنير اخذوا ارزاً من لبنان ليصنعوا لكِ سواري صنعوا من بلوط باشان مجاذيفكِ صنعوا مقاعدكِ من عاج مطعَّم في البقس من جزائر كتيم كتان مطرَّز

من مصر هو شراعك ليكون لك راية الاسمانجوني والارجوان من جزائر اليشة كانا غطاءك . اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك . حكماؤك يا صور الذين كانوا فيك هم ربابينك شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك . جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك ترشيش تاجرتك بالفضة والحديد والقصدير والرصاص . ياوان وتوبال وماشك هم تجارك بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك . بنوا ددان تجارك جزائر كثيرة تجار يدك . ادوا هديتك قروناً من العاج والابنوس ارام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في اسواقك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت . يهوذا وارض اسرائيل هم تجارك تاجروا في سوقك بحنطة وحلاوى وعسل وزيت وبلسان . دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخمر حلبون والصوف الابيض . ودان وياوان قدموا غزلاً في اسواقك . حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك . ددان تاجرتك بطنافس للركوب . العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش والاعتدة . تجار شبا ورعمة هم تجارك بافخر كل انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك . حران وكنّة وعدن تجار شبا واشور وكلمد تجارك . هؤلاء تجارك باردية اسمانجونية ومطرزة واصونة مبرم معكومة بالحبال مصنوعة من الارز بين بضائعك . سفن ترشيش قوافلك لتجارتك فامتلأت وتمجدت جداً في قلب البحار . ملاحوك قد اتوا بك الى مياه كثيرة . كسرتك الريح الشرقية في قلب البحار . ثروتك واسواقك وبضاعتك وملاحوك وربابينك وقلافوك والمتاجرون بمتجرك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل جمعك الذي في وسطك يسقطون في قلب البحار في يوم سقوطك

الامة التي استطاعت ان تنشئ مثل صور وصيداء وقرطاجنة في غابر الازمان وتحكم نفسها بنفسها على اسلوب استحق اعجاب ارسطوطاليس كبير الفلاسفة السياسيين وامتدت تجارتها الى اقاصي البلدان الى الهند والصين شرقاً والى اسبانيا وبلاد الانكليز غرباً وشمالاً ودارت سفنها حول افريقية واستخرج رجالها الذهب من مناجم الترنسفال والنحاس من مناجم اسبانيا والقصدير من مناجم انكلترا وحاربت رومية سنين عديدة — الا يحتمل ان يستطيع ابناؤها الآن الاستقلال بادارة امورهم اذا شاؤا ولم يتعرّض لهم من يقاومهم قبل ان يشتد ساعدهم

مصر منذ اربعمائة سنة

(٦)

السلطنة المصرية

البلاد المصرية وحدودها وحصونها

قال تنود سنة ١٥١٢ « يحدّ السلطنة المصرية شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وغرباً صحراء ليبية وجنوباً بلاد النوبة والشلالات. وثغورها في هذه البحار الاسكندرية وابو قير ورشيد ودمياط والسويس والقصير وسواكن . واما البلاد التابعة لها فهي البلاد العربية المتصلة ببرية سيناء وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين الى مجرى الفرات ودجلة حتى حدود فارس »

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ « يحدّ الباشوية المصرية شرقاً البحر الاحمر وصحراء العربية وجنوباً مملكة البجة والنوبة وغرباً صحراء ليبية وشمالاً البحر المتوسط وليس فيها قلاع وحصون الاّ في الاسكندرية وابي قير »

وقال وانسليب سنة ١٦٧٠ « وبعض المؤلفين يضعون مصر بين قارتي اسيا وافريقية ونهر النيل الفاصل بينهما وحدودها الجنوبية بلاد النوبة وهي تابعة لحاكم جرجا المستقل عن الباشوية المصرية في الاحكام وانما يدفع قسطهُ من الخراج السلطاني . وحدودها الغربية صحراء ليبية حتى بلاد برقة والقيروان »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ « في الاسكندرية اربع قلاع حولها الحصون والاستحكامات ثلاث منها تحمي المرفأ وهي تحت امرة اغا ومعهُ سوباش وثلاثمائة رجل من الحراس والجنود والمدفعية ومرتباتهم من ايرادات الجمرك .وفي ابي قير قلعة لحماية الثغور يحميها ثلاثون نفراً وفي رشيد قلعتان متقابلتان في الميناء يحميها مائة وخمسون جندياً ومرتباتهم من ايرادات جمرك الاسكندرية . وفي البرلس قلعة يقوم بحمايتها ثلاثون رجلاً ومرتباتهم من ايرادات الاسماك . وفي دمياط قلعة في حراسة اغا وثلاثين جندياً ومرتباتهم من جمركها وتبلغ نفقات هذه القلاع سنوياً عشرين الف غرش ديواني (٦٠ الف فرنك)

« وفي طريق الحجاج بين مصر ومكة حصن في صحراء سيناء عند جبل الطور تحت حراسة اغا وثلاثين جندياً وهذا الحصن قديم جداً وداخلهُ كنيسة للاروام يقولون ان قد دفنت فيها عظام القديسة مارينا

«واما معامل الاسلحة والبارود ففي الاسكندرية والقلعة بمصر والسويس . وفي العقبة حصن يحرسهُ ثمانون جنديًا وكذلك في قطية . ونفقات هذين الحصنين ومرتبات جنودهما ترسل من مصر كل ثلاثة اشهر مرة»

الجيوش المصرية

قال تنود سنة ١٥١٢ «يقيم الباشا نائب السلطان بالقلعة وعندهُ ستة آلاف مملوك وفرق الجنود الانكشارية والمتفرقة والعزبية وغيرهم لحماية البلاد ولهم مرتبات مفروضة على المقاطعات المصرية»

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ «يقيم الباشا في القلعة وفيها استحكامات وسبعة ابواب حصينة بعضها داخل بعض . ومن الاهمال ان ليس حولها خنادق وجسور . واما قوات البلاد فمحصورة في وجاقات الانكشارية وسناجق السباهية والجاويشية والعزبية ولهم السلطة المطلقة في الاحكام والسوباشية وفي ايديهم الاحكام الجنائية»

وقال تفنوت سنة ١٦٣٠ «يحكم مصر بعد الباشا اربعة وعشرون سنجقًا من البكاوات الكبار وهم حكام المقاطعات واربعون من البكاوات الجركس وهم مسؤُولون عن حراسة البلاد وحفظ الامن ومرتب كل سنجق كيس الأَ انهُ يبذل مائة الف غرش للحصول على هذه الوظيفة واكثر هؤُلاء السناجق من المماليك الذين جلبوا اسرى من بلاد الجركس وجورجيا والمجر والروم . ولبعض السناجق في البلاد خمسة او عشرة آلاف من قبائل العربان لتأييد سلطتهم وهؤُلاء البكاوات او السناجق متفرقون في المقاطعات وفي كل من مصر القديمة وبولاق والمطرية سنجق مستقل . وفي القاهرة من الاجناد اثنا عشر الفًا لحفظ الامن وهم تحت سلطة الباشا منهم ستة آلاف في القاهرة والباقون في ضواحيها وتبلغ عدد القوات والاجناد في كل البلاد المصرية نحواً من ٣٥٠ الفًا تحت قيادة الاغا الاكبر (جنرال) ونائبهُ الكيخيا (ادجوتانت جنرال) والجاويش الاكبر (كابتن) والكجك جاويش والباشجاويش والجوربجي والاوضاباشي (اسماء رتب الضباط) واما حفظ الحدود الشرقية فموكول الى قبائل العربان في سيناء وكذلك في الحدود الغربية والجنوبية»

وقال ماليت قنصل جنرال فرنسا سنة ١٦٨٠ :

«والحكومة المصرية تحت سلطة الباشا نائب السلطان ولا يبقى في وظيفتهِ عادة اكثر من سنتين ان لم يعزل قبل ذلك من وجاقات الانكشارية والمتفرقة . ونادراً يلبث في

مصر ثلاث سنين ولا ينال الباشا هذا المنصب الاّ اذا كان مقرباً لدى السلطان او اذا دفع للخزينة في استانبول وللوزراء مالاً طائلاً لا يقل عن اربعمائة او خمسمائة الف ريال عدا ما يدفعهُ للخزينة السلطانية من الخراج السنوي وقدرهُ ستمائة الف ريال او (١٢٠٠ كيس) وعدا الهدايا الكثيرة التي تقدم الى المقربين عند السلطان . ويقدم ايضاً الى السراي السلطانية في كل سنة ما تحتاج اليهِ من البن اليمني والسكر والافاويه التي ترد من الهند

« ويرأس الباشا الديوان الاكبر في الاسبوع مرتين في قاعة المشورة وهذا الديوان مؤَلف من كبراء الامراء والعلماء والقضاة للنظر في الشؤُون العامة وحفظ البلاد ومخابرات السلطنة ويأتي كل امير الى القلعة مصحوباً بعدد كبير من اتباعهِ المماليك وترى ساحة الديوان الكبرى غاصة بالفرسان راكبي الجياد العربية وسروجها مرصعة بالذهب والفضة والحجارة الكريمة . وابهة الامراء ونخفختهم وعظمتهم ترى عند انعقاد الديوان . ولست مبالغاً اذا قلت ان ديوان الباشا بمصر ليس باقل ابهةً ومهابةً وفخامةً من ديوان استانبول . ويعقدهذا الديوان في الشهر مرة ويتألف من رؤَساء الوجاقات والامراء والاغاوات وقاضي عسكر والوزراء والعلماء . وقد حضرت مرة جلسة هذا الديوان دعيت لأُسأل عن شكاوي بعض التجار الافرنج صودرت بضائعهم في جمرك الاسكندرية فشكوا لدار السلطنة بواسطة السفير فصدرت الاوامر الى الباشا بتحقيق هذه الشكاوي ورأيت في ساحة الديوان نحو اربعة آلاف فارس من اتباع الامراء والمماليك ورؤَساء الاجناد والوجاقات . وقد القى احدهم في هذه الجلسة كلاماً جارحاً مثيراً ضد الافرنج وسمعت حينئذٍ صلصلة سيوف الاجناد الحراس فهلع التجار الافرنج الشاكون خوفاً وارتعدت فرائصهم الاّ ان بعض العقلاء من العلماء والاشراف من السادات والبكرية اخمدوا هذه الحركة العدوانية

« واما القوات الجندية في باشاوية مصر فمؤَلفة من سبعة وجاقات او الميليس اولها وجاق المتفرقة وهذا الوجاق اعظم واوسع سلطة من غيرهِ وكلهم من الفرسان وعددهم يربو على خمسة آلاف فارس وقسم منهم خاص بحرس الباشا . وكثيرون من التجار الافرنج يدخلون في حماية امراء هذا الوجاق . ثانياً وجاق الاصافية وكلهم من الجنود المشاة وعددهم نحو اربعة آلاف . ويليهم وجاق السباهية وعددهم نحو اربعة آلاف وكلهم من الفرسان وبينهم وبين الانكشارية عداء شديد وخصام دائم . ثم وجاق الجاويشية وهم جنود مشاة لا يزيد

عددهم في مصر عن الف نفس. واما وجاق الانكشارية فاكثر الوجاقات قوة وعدداً واعظمها سلطة ولرؤسائهِ سلطة واسعة. وهم يعزلون الباشا متى نقموا عليهِ وينصبون غيرهُ مكانهُ. ورئيس الانكشارية الذي هو الكيخيا الوجاق قائد عام (جنرال) على كل اجناد مصر ولهُ الحق ان يحضر جلسة الديوان الاعلى

«وتدفع مرتبات الوجاقات من الخزينة كل ثلاثة اشهر مرةً ومرتب كل جندي في اليوم ثلاثة فلوس ويبلغ مرتب الضباط من خمسين الى مائة فلس في اليوم. واما الفرسان فمرتباتهم اكثر من ذلك ولكل منهم مقدار معين من العلف لجوادهِ»

وقال بنيوس سنة ١٧٧٦ «ولآغا الوجاق الكبير سلطة واسعة على الاهالي ايضاً وهو بمثابة رئيس البوليس عندنا. رأيتهُ مرة ماراً في شوارع القاهرة للمحافظة على الامن يتقدمهُ مئتا فارس وجمع من الحرس المشاة وكلهم مدججون بالاسلحة والعصي والنبابيت والكرابيج. وفي فم هذا الرجل القضاء بالحياة او بالموت على كل مصري. فاذا رأى في طريقهِ امراً مخالفاً من شخص ما مهما كانت منزلتهُ يأمر في الحال بقطع رأسهِ او بضربهِ وينفذ الحكم في وسط الشارع على مرأًى من الناس. ولذلك ترى الجنايات في مصر نادرة جداً واذا حدثت جناية خفية في مكان ما من سرقة او قتل يضطر اهالي الحيّ اما ان يظهروا القاتل او السارق او ان يدفعوا دية القتيل وقيمة المسروق»

وقال مارسل سنة ١٧٩٢ «ولبعض الباشاوات في مصر حماية من سفراء فرنسا في استانبول يعضدونهم ويثبتونهم في ولايتهم. ولما استولى السلطان سليم الاول على مصر اقام نائباً عنهُ يحكم البلاد بسلطة واسعة ويرأس الديوان الاعلى المؤلف من اربعة وعشرين اميراً كبيراً وهم حكام المقاطعات المصرية وثمانية واربعين «بيكاً» اميراً صغيراً. والاولون كانوا يعينون بارادة سلطانية

«ومن امراء البلاد والكيخيات رؤساء الوجاقات والدفتردار والروزنامجي وقاضي القضاة والمفتي واربعة من العلماء رؤساء المذاهب الاربعة وامير الخزنة

«وهذا الديوان يجتمع في ايام محدودة من السنة للنظر في المسائل المهمة وتقرير العلاقات الهامة بين استانبول ومصر واما الديوان الاصغر فيجتمع في الاسبوع مرتين تحت رياسة قاضي العسكر للفصل في الاحكام الجنائية والمدنية. واما الوجاقات التي قررها السلطان سليم بمصر فهي ستة ثم اضيف اليها بعدهُ وجاق سابع وهو وجاق

الجركس . وعدد رجال هذه الوجاقات كلها يبلغ نحو خمسة وعشرين الف نفس بين مشاة وفرسان »

المقاطعات المصرية والكاشفيّات

لخص ما يلي عن ماليت سنة ١٦٨٥ وغيره :

الثغور المصرية هي الاسكندرية ورشيد وابو قير ودمياط والسويس والقصير وسواكن وحكام هذه الثغور يعينهم الباشا نائب السلطان بمصر عدا حاكم سواكن فانهُ يعين من السلطان رأساً و يرسل من استانبول لانهُ محافظ على الحدود بين البلاد المصرية والحبشة

وقال جاك البرت سنة ١٦٢٧ :

« وتقسم مصر الى اثنتي عشر مقاطعة او كاشفية يحكم كلاًّ منها كاشف يعين من قبل الباشا ومعهُ بعض قوات من جنود الوجاقات والملتزمين والمحاسبين والشوباصية

« فالمقاطعة الاولى هي جرجا او ولاية الصعيد وحاكمها يلقب بصاحب الصعيد وهو مستقل في الاحكام والادارة عن حكومة مصر و يعين من الباشا بقرار من دار السلطنة و يشترك في دفع الخراج المعين على البلاد المصرية وعندهُ ديوان مخصوص للاحكام والادارة تؤيدهُ قوة كبيرة من قبائل العربان و بعض الجنود من وقاجات المتفرقة والسباهية والتفكجية والانكشارية . وعندهُ ديوان للكتابة وآخر للخزينة وجمع الخراج ونفقات هذه الكاشفية من خزينة الحاكم ولهُ سلطة واسعة في الاحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الاموال بدون استشارة ديوان مصر

« وعلى حاكم الصعيد ان يرسل الى باشا مصر في كل سنة هدية الزامية مؤلفة من اربعين كيساً وخمسين جواداً وخمسين بغلاً ومائة جمل والف خروف . ويرسل ايضاً الى كيخيا مصر واغاوات الوجاقات اثني عشر كيساً . واما القسط المفروض على صاحب الصعيد من خراج السلطنة فمائة وخمسون الف اردب قمح تنقل على نفقتهِ من جرجا الى شون الخزينة في مصر القديمة واربعمائة وثمانون كيساً من الذهب المضروب هذا عدا المفروض على هذه المقاطعة من القمح للحرمين . وحدود جرجا من الصعيد الاعلى الى منفلوط

« والمقاطعة الثانية كاشفية منفلوط وعدد بلادها ٢١٧ والكاشف او حاكم هذا القسم يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى الكيخيا والاغاوات رؤساء الوجاقات خمسة

اكياس . وقسط هذه الكاشفية من الخراج السلطاني مائة الف اردب قمح وخمسة وار بعون كيساً مضروبة والاراضي تعطى للملتزمين (المستأجرين) والشوباصية لتحصيل خراجها من الفلاحين وللحاكم الخيار ان يبقي الالتزام على حسابهِ الخاص . وفي ديوان مصر دفاتر وسجلات في بيان البلاد المصرية واراضيها ومقدار خراجها السنوي من مال وغلال . وهذا الخراج يدفع على اربعة اقساط . واما عدد الجنود والحراس في كاشفية منفلوط فثلاثون جنديًّا يدفع الكاشف مرتباتهم وعلف خيلهم الاَّ انهم لا يكتفون بعلائفهم فيرهقون الفلاحين ظلماً ويحملونهم مغارم كثيرة . وفي وقت الفيضان يخرج الكاشف وينصب خيامهُ على شاطىء النيل لخفارة الجسور فان وصل مقياس الماء الى ٢٢ ذراعاً يبشر بالخصب وان نقص عن ذلك يجمع الفلاحين ويرغمهم ان يرووا الاراضي بواسطة الآلات والنواعير . وما قلناهُ عن هذه الكاشفية يطلق ايضاً على باقي الكاشفيات وهي اوسع واكبر من المقاطعات التي بعدها عدا جرجا . وحدودها تمتد من منفلوط الى بني سويف

المقاطعة الثالثة . كاشفية بني سويف وحاكمها يدفع في كل سنة هدية الى الباشا هي ثلاثون كيساً وخمسة اكياس الى الكيخيا والاغاوات بمصر وقسطهُ المفروض عليهِ من خراج السلطنة سبعون كيساً وثمانون اردبًّا من القمح وعدد بلاد هذه الكاشفية ٣٠٦ تعطى كلها بالالتزام لتحصيل خراجها وغالبًا يأخذ الكاشف الالتزام لنفسهِ او ينتقي احسن القرى واجود الاراضي ويزرعها على حسابهِ فيتعهدها خدمهُ واعوانهُ واحيانًا يسخر الفلاحين في العمل ويجمع منهم مثني زوج من البقر والثيران يستعين بها على حرث الارض وزرعها . ولكاشف بني سويف سلطة مطلقة في الاحكام والسجن والقتل بدون استشارة ديوان مصر كالكاشف جرجا ومنفلوط السابق ذكرها

المقاطعة الرابعة . كاشفية الفيوم وعدد بلادها ٣٠٠ وهذه الكاشفية كثيرة الغياض والبساتين المغروسة بالاشجار المثمرة وكروم العنب ويزرع فيها الكتان ولجودة نوعهِ يلقب في اسواق التجارة بالكتان الفيومي . ويدفع حاكم هذه الكاشفية الى الباشا في السنة خمسة وعشرين كيساً والى الكيخيا والاغاوات خمسة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني مئتا كيس وليس عليها غلال وقواتها مؤلفة من مائة وخمسين جنديًّا من الانكشارية والسباهية وتدفع مرتباتهم وعلائفهم من جيب الحاكم

المقاطعة الخامسة . كاشفية الجيزة وعدد بلادها ١٦٤ ويدفع حاكمها الى الباشا في كل

سنة ٢٥ كيساً والى الكيخيا والاغاوات خمسة اكياس و يؤجر الاراضي للملتزمين الاَّ انهُ يبقي اجورها لنفسهِ ويزرعها على حسابهِ مسخراً الفلاحين . و بهائمهم في حرثها وحصادها وجمعها وعندهُ من الاجناد الانكشارية مائة وعشرون يدفع لهم مرتباتهم وعلائفهم . واراضي هذه الكاشفية تروى بالراحة بلا آلات وسواق . ويكفي لريّها ان يصل مقياس النيل الى عشرين ذراعاً فقط وتزرع فيها كل انواع الكتان وليس لحاكمها سلطة مطلقة في الاحكام الكبرى والقتل بل يرجع فيها الى ديوان مصر لقربها منهُ . وقسط كاشفية الجيزة من الخراج السلطاني ١٩٦ كيساً وليس عليها غلال

المقاطعة السادسة . كاشفية البحيرة وتمتد حدودها شمالاً الى راس اندريا في البحر المتوسط وهذه الكاشفية كثيرة الانساع وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة ثلاثين كيساً والى الكيخيا والاغاوات ستة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٤٨٠ كيساً واكثر اراضيها تروى بالآلات والسواقي ويرسل اليها من مصر ٢٥٠ جندياً من الانكشارية والمتفرقة لحفظ الامن ورد غارات العربان يدفع الحاكم مرتباتهم . وهو مسؤول ايضاً عن حفظ الترعة المتصلة بالاسكندرية وتطهيرها وطولها تسعون ميلاً فيسخر الاهالي الفلاحين بهذا العمل . ويكثر في هذه الكاشفية البقر والغنم لجودة مراعيها الخصبة . واذا وصل باشا جديد من استانبول فعلى كاشف البحيرة ان يقدم لهُ الركائب لحملهِ وحمل اتباعهِ وامتعتهِ من الاسكندرية الى القاهرة وان يقدم لهُ جوادين عربيين هدية

وفي هذه الكاشفية اديرة السياح والرهبان وكنائسهم وعددها ٣٦٠ ديراً وكنيسة في الصحراء بالداخلية تلقب باسقيط القديس مكاريوس و يتوصل اليها من طرانة وهي كاشفية صغيرة تحت حكم كاشف يرسل من مصر لحفظ الامن وملاحظة استخراج النطرون . واما رهبان وقسوس الاديرة فيضطرون لراحتهم وامنيتهم ان يضعوا انفسهم تحت حماية رؤساء العربان مقابل غرامات وضرائب مفروضة عليهم في كل سنة

وبالقرب من طرانة بحيرة كبيرة مياهها قلوية يقال لها بحيرة النطرون ويستخرج منها مقادير كثيرة تحمل الى الاسكندرية فيشتريها التجار الافرنج ويشحنونها الى مرسيليا ومنها الى روان في فرنسا لتبييض الاقمشة وصقل الجلود وصنع الكهرمان المقلد وقسم منهُ يرسل الى تركيا

المقاطعة السابعة . كاشفية الغربية وهي كثيرة الانساع واراضيها متصلة باراضي دمياط

وهي اغنى الكاشفيات واوسعها وكل اراضيها جيدة وعدد بلادها ٣٦٠ وحاكمها يدفع الى الباشا في كل سنة اربعين كيساً والى الكيخيا والاغاوات تسعة اكياس وقسط الكاشفية من الخراج السلطاني ٤٩٠ كيساً وفيها من الاجناد ١٥٠ لحفظ الامن ونظام الري وتعطى الاراضي للملتزمين الاَّ ان الكاشف يحفظ لنفسهِ بعض البلاد ليزرعها على حسابهِ وكثيراً ما يسخر الفلاحين ومواشيهم بحرث الارض وجمع الغلال

وفي هذه الكاشفية ثلاث مدن كبيرة وهي مدينة المحلة وتلقب بالكبرى لاتساعها وكثرة سكانها . ومدينة طنطا ويقام فيها سوق عظيمة في كل سنة يقال لها المولد الاحمدي البدوي تنصب فيها المضارب وتقام المسابقات والملاعب والملاهي وسباق عظيم للخيل يحضرهُ الحاكم والاجناد ويبلغ عدد الجياد المتسابقة نحو الفين من الخيول العربية . ويزرع في هذه الكاشفية قصب السكر والارز والكتان والقرطم يستخرج منهُ الزيت للاضاءة ومواشيها كثيرة من غنم وبقر وماعز وجاموس يستخرج منها مقادير عظيمة من الزبدة والالبان والسمن والجبن

المقاطعة الثامنة . كاشفية المنوفية وهي صغيرة ويبلغ عدد قرارها نحو ١٠٣ وحاكمها يدفع الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكيخيا اربعة اكياس وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً واراضيها كلها جيدة خصبة يزرع فيها الكتان والقصب

المقاطعة التاسعة . كاشفية المنصورة وعدد بلادها ١٨٤ يدفع حاكمها الى الباشا في كل سنة ٢٥ كيساً واربعة اكياس الى الكيخيا والاغاوات وقسطها من الخراج السلطاني ٢٩٠ كيساً وكل اراضي هذه الكاشفية مروج خصبة يزرع فيها الارز والكتان والحبوب على انواعها وفي المنصورة بساتين كثيرة مغروسة بالاشجار المثمرة ويكثر فيها نبت الخشخاش

المقاطعة العاشرة . كاشفية القليوبية وتتصل بضواحي مصر وعدد بلادها ١٨٤ ويدفع حاكمها الى الباشا ٢٥ كيساً والى الكيخيا واعوانهِ اربعة اكياس وقسطها من خراج السلطنة ٢٩٦ كيساً وليس عليها فريضة غلال

ديمتري نقولا



دود القز

لمعة من تاريخ نشأتهِ واوصافهِ الخارجية في اطوار حياتهِ

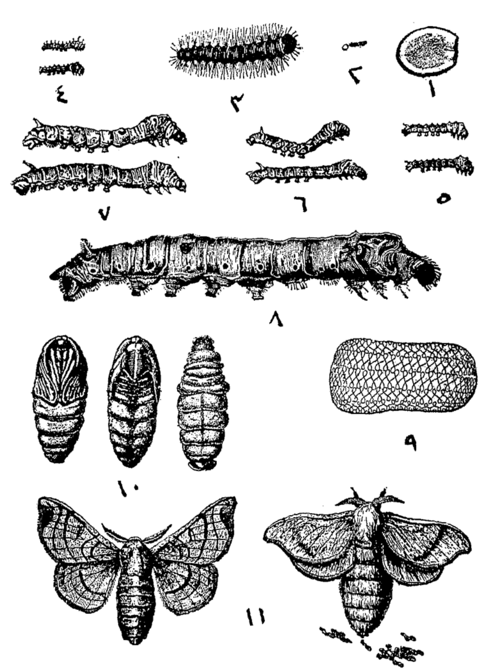
ابنت في نبذة سابقة كيفية تربية نوعين من انواع دود الحرير البري الاصل وقلت بالاختصار ان احدهما يغذّى بورق شجر الخروع والآخر بورق الايلانتوس ثم وعدت في ذلك الحين ان آتي في مقالات تالية على ذكر انواع الديدان الاخرى التي تخرج الحرير مع بيان كيفية معيشتها في وطنها الاصلي ونوع ورق الشجر الذي يتغذى كل منها بهِ . ولما كان دود القز الذي يغذّى بورق التوت اشهر انواع هذه الديدان كلها واهمها في نظر المشتغلين بتربية دود الحرير في البلاد الشرقية آثرت الكلام عليهِ في مقدمة سلسلة هذه المقالات مبتدئًا بلمعة من تاريخ نشأتهِ وكيفية اكتشافهِ

اصل دود القز على ما ذكر في التواريخ الصينية القديمة من التبت الصغرى احدى ولايات آسيا الوسطى التي تدفع الخراج للصين اذ كان معروفًا فيها من عصور مضت عائشًا في الفضاء على اشجار التوت يتنقل حرًّا بين فروعها واغصانها . غير ان الصينيين انفسهم ينسبون اكتشافهُ الى احدى ملكاتهم المسماة سيلنج شي لانها اول من ربتهُ في قصرها وتوصلت الى حل فيالجهِ الحريرية في القرن السابع والعشرين قبل المسيح . ولهذا رفعوا مكانتها الى مصاف الآلهة وجعلوا لها عيداً سنويًّا يحتفلون بهِ احتفالاً عظيماً . ومن ذلك الحين ظلت ملكات الصينيين ونساء اشرافهم الى يومنا هذا يقرّبن لها القرابين يوم عيدها ويربين سنويًّا في قصورهن مقداراً قليلاً من دود القز تذكاراً لها واقتداء بها . على ان بعض الباحثين الذين اعتمدوا على التواريخ الهندية القديمة رجّحوا ان اصلهُ من مقاطعات الهند الجبلية لا من الصين وانما لم يذكروا اسماء تلك المقاطعات ولا عيّنوا تاريخًا لنشأتهِ فيها . وبالرغم من الابحاث الكثيرة التي قام بها بعدهم كثيرون من علماء الطبيعة الحديثين الذين الّفوا في موضوع تربية دود الحرير لم يوفّق احد منهم حتى الآن الى تحقيق اسم البلد الذي خرج منهُ هذا الدود ولا للوقوف على ميقات ظهورهِ فالحقيقة لم تزل اذاً مجهولة . الاّ انهُ مهما تعددت الروايات واختلفت الآراء في اسم البلد الذي نشأ فيهِ دود القز فالذي اجمع عليهِ جمهور

المؤرخين الاقدمين والمؤلفين الحديثين ان وطنهُ الشرق الاقصى حيث كان يعيش حرًّا في الفضاء ثم توصل الناس الى تربيتهِ في بيوتهم ونقل بزورهِ بالتوالي من بلد الى آخر حتى عم انتشارهُ انحاء العالم

وهذا الدود كسائر انواع ديدان الحرير المعروفة ليس بالحقيقة من فصائل الديدان اذ ليس للديدان بالاجمال زوائد او اطراف اثرية وهي المعبَّر عنها بلسان العامة بالارجل تستعين بها على الدبّ او الوقوف وانما اصطلح الناس على تسميتهِ كذلك لتوفر الشبه بين شكل جسمهِ المستطيل وشكل الدود فهو اذاً نوع من انواع الحشرات الدبّابة التي تقيم على الاعشاب والاشجار لتغتذي بورقها وانما يختلف عنها بقدهِ ولونهِ وامياله وكيفية المعيشة الخاصة بهِ فضلاً عن كونهِ احقّ منها بالعناية لما فيهِ من النفع لبني الانسان بينما تجلب هذه لهُ انواعاً كثيرة من الضرر وتحملهُ على كراهتها وتدبير الوسائل لابادتها

ويتقلب دود القز في اربعة ادوار مختلفة شأن ديدان الفراش الذي من نوعهِ فيتحوّل بقدرة خالقهِ من حال الى حال اذ بينما يراهُ الانسان بيضاً حقيراً في اول وجودهِ اذا هو يراهُ بعد امد دوداً دباباً ساعياً وراء غذائهِ فمتى اتم نموهِ ينسج على نفسهِ غلافاً حريريًّا بيضي الشكل يدفن فيهِ حيًّا ثم يتحول وهو في داخلهِ الى زيز لا حراك بهِ ولا غذاء لهُ الاَّ بعض سوائل جسمهِ الصالحة لانمائهِ . وهو يبقى على هذه الحال بضعة ايام يخرج بعدها من غلافهِ بشكل فراش ابيض اللون لا شبه على الاطلاق بين حالتهِ هذه وحالتهِ السابقة بل يبدو كانهُ حيوان آخر (انظر الرقم شكل ٢ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١) . فعليهِ يتولد دود القز من بويضات اعتاد الناس تسميتها بزوراً لكثرة مشابهتها لبزور النباتات والاثمار تبيضها الاناث من فراشهِ عقب تزاوجها بذكورها في اواخر ايام الربيع فتلصق بالاجسام التي تقع عليها بواسطة الطلاء الغروي الطبيعي الذي يغشاها حين خروجها من جسم الفراش وهذه الحالة هي الدور الاول من ادوار حياة الدود . اما حجم هذه البزور فصغير جدًّا بقدر حب الخردل او بزر ثمر التين ومتوسط قطرها مليمتر واحد تقريباً وهي بيضية الشكل وان تكن كالعدس مفرطحة قليلاً من جوانبها وفي قمتها انبعاج جزئي سببهُ اثر الفتحة التي دخل منها اللقاح والتي يخرج الدود منها حين تفقهِ انظر شكل (١) . غير أنَّ لونها أصفر باهت عند خروجها من جسم الفراش وتحتفظ بهذا اللون ان لم تلقح والاَّ فيكدر لونها في اليومين الاول والثاني ويضرب شيئاً فشيئاً الى الحمرة القرفية ومنها الى السمرة في اثناء الاسبوع الاول . وبعد ذلك يتحول تبعاً لجنس الدود الى لون رمادي ضارب الى السواد او الزرقة او



(١) شكل قشرة بيضة دود القز بعد النقف مكبرة بالمكروسكوب (٢) شكل دود القز عند النقف بجرمهِ الطبيعي (٣) شكل دود القز حين ولادتهِ مكبرًا بالمكروسكوب · (٤) شكل دود القز في دور عمرهِ الاول قبل انسلاخ جلدهِ وبعدهُ (٥) شكل دود القز في دور عمرهِ الثاني قبل انسلاخ جلدهِ وبعدهُ (٦) شكل دود القز في دور عمرهِ الثالث قبل انسلاخ جلدهِ وبعدهُ (٧) شكل دود القز في دور عمرهِ الرابع قبل انسلاخ جلدهِ وبعدهُ (٨) شكل دود القز التام النموّ (٩) شكل فيلجة (شرنقة) دود القز لاظهار كيفية نسج الدود لها (١٠) شكل دود القز حين استحالتهِ الى زيز وشكلا الزيز من الظهر والبطن (١١) شكلا فراش دود القز ذكرًا وانثى

دود الحرير في اطوارهِ المختلفة

مقتطف يوليو ١٩١٧

امام الصفحة ٦٤

الخضرة ويظل اللون الذي تتخذهُ لونها حتى يأتي ميعاد نقفها · وبعد ان يمضي على هذه البويضات مدة تسعة اشهر تقريباً وهي على حالتها هذه ويجيء اوان الربيع من السنة التالية يبدأ الجمود الذي اعتراها في فصلي الصيف والشتاء بالزوال رويداً رويداً ثم يطرأُ على داخلها تغيير يدوم مدة عشرين يوماً تتكون في غضونها الجرثومة الحية التي تحتويها وتتوالى عليها ادوار النمو فتستحيل الى جنين بهيئة شريط او رباط يتغذى في اثنائها بالمادة الصفارية المحيطة بهِ الى ان تنفد هذه المادة ويتم نموهُ بفعل حرارة الجو فينقف البويضة مبتدئاً بدورهِ الثاني ويخرج منها بشكل دود صغير الحجم اسود اللون في اوائل عمره (انظر شكل ٢) ثم يكون رمادياً ضارباً الى بياض في اواخرهِ الاَّ ما شذ عن ذلك فيكون شديد السمرة او مرسوماً على كل فقرة من فقرات جسمهِ خط اسود اشبه بخطوط جلد الفرا (حمار الوحش)

اما جسمهُ فمرن الملمس لخلوهِ من العظام ومؤَلف من فقرات متحركة آخذ بعضها ببعض عددها اثنتا عشرة فقرة عدا رأْسهُ وعجزهُ وعلى جانبي تسع منها لجهة الظهر فوهتان سوداوان مستديرتان للتنفس وبظاهر الفقرة الحادية عشرة نتوء صغير يشبه القرن (انظر شكل ٨) ويكسو جسمهُ هذا حين ولادتهِ وبر اسود دقيق كالشوك وطويل بالنسبة لحجمهِ (انظر شكل ٣) ثم يتساقط تدريجاً عن ظهرهِ وعن بعض اعضائهِ كلما نما الدود وتقدم في العمر· وعلى جانبيهِ لجهة البطن ارجل ست منها امامية قشرية وعشر خلفية غشائية لكل منها فائدة خاصة ووظيفة معينة · فالارجل الامامية مركزة في جانبي كل فقرة من الفقرات الثلاث الاولى التي تلي رأْسهُ وهي فضلاً عن انها مركبة من ثلاثة مفاصل فانها تنتهي باظافر حادة معوجة الى الداخل· فالاولى من هذه الارجل يستعملها الدود لاجتذاب ورق التوت اليهِ والثانية ليضمّ بواسطتها طعامهُ الى فمهِ والثالثة وهي اقصر الجميع يسلّ بها خيطين حريريين دقيقين يخرجان معاً من فتحة زائدة لحمية صغيرة مخروطية الشكل كائنة في قاعدة شفتهِ السفلى تستمد حريرها من وعائين طويلين كقناتين متصلين بها من الداخل ثم يلصق الدود الخيطين الواحد بالآخر كي يكتسبا من المتانة ما يكفي لحمل جسمهِ اذا تدلى عند شعورهِ بقرب خطر ما او لوقايتهِ حين تغليفهِ لهُ عند ما يصير في دوري الزيز والفراش خاتمة ادوار حياتهِ · ولكن هذه الزوائد او الارجل الامامية وان تكن جميعاً للدود بمثابة الايدي والاصابع الاَّ انها لا تخرج عن كونها قوائم تساعدهُ على الدبيب او على تثبيت مقدم جسمهِ ريثما ينقل مؤخرهُ من مكان الى مكان · والارجل الخلفية هي عبارة عن اطراف اثرية مركزة في الفقرات السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والثانية عشرة من جسمهِ ·

وهي جميعها كالارجل الامامية مركبة من ثلاثة مفاصل وانما الاخير منها فضلاً عن انهُ مستعرض الشكل وقابل للانقباض فانهُ يحتوي في جوفهِ اظافر قصيرة دقيقة تعين الدود على التمسك بما يقف عليهِ بحيث يستطيع وهو على غصن او عود ان يتناول غذاءهُ عن بعد لانهُ متى تعلق بهذه القوائم سهل عليهِ ان ينتصب ويمدد فقرات جسمهِ فيخرج اذ ذاك مقدمهُ الى خارج موقفهِ ليحركهُ كيف شاء و يديرهُ حيث رام و يقبض على غذائهِ بارجلهِ الامامية

ولدود القز غير هذه الاعضاء الخارجية اعصاب وعضلات وغدد وانسجة واجهزة داخلية متعددة كثيرة الاهمية سريعة العطب لا بد لكل مرب لدود الحرير من العلم بها والوقوف على كنهِ وظائفها حتى يتسنى لهُ القيام بعملهِ على احسن منوال ويتجنب الامراض والاوبئة التي قد تطرأ على الدود في اثناء تربيتهِ . ولما كان المقام لا يساعدنا على ذكر هذه الاعضاء كلها ووصف تلك الامراض والاوبئة واعراضها وطرق العدوى بها مع بيان الوسائل الواقية منها فحسبنا ان نرد طالب المزيد من البيان الى كتابنا في علم تربية دود الحرير مقتصرين هنا على ايراد اوصاف دود القز الخارجية رغبة منا في تعريفهِ للقراء اذ الغرض الآن الدلالة عليهِ فقط لا الاستقصاء

الفونس خلاط

ستأتي البقية — اختصاصي بفن تربية دود الحرير

ربح الزراعة في مصر

يظن البعض ان المالك المصري يربح من اطيانهِ ربحًا كبيراً جدًّا لا يقاس بهِ ربح آخر. وهذا قد يصدق على اصحاب الاباعد الكبيرة الذين ورثوها فلم يشتروها بما تساوي بهِ او لم يتعبوا باصلاحها او الذين اشتروها بثمن بخس في ايام رخص الاطيان . اما الذين اشتروا الفدان بخمسين جنيهًا فاكثر الى مئة او مئتين والذين اشتروا اطيانًا رخيصة وانفقوا مبالغ كبيرة على اصلاحها فلا يزيد متوسط ربحهم منها على خمسة في المئة من الثمن الذي اشتروها بهِ او انفقوهُ عليها وباقي الربح يذهب الى المستأجر والعامل . وما ذلك الَّا لان متوسط الضرائب على الاطيان يبلغ مئة غرش على الفدان فكأنها تستنزل عشرين جنيهًا من متوسط ثمنهِ ولان اكثر اعمال الزراعة يعتمد فيها على الايدي العاملة لا على الآلات

ففي القطر نحو ستة ملايين فدان تزرع ولا يقل عدد العمال فيها عن ثلاثة ملايين نفس فكل عامل (او نفر) يخدم فدانين او كل مئة عامل يقومون بخدمة مئتي فدان . و يبلغ صافي ثمن المحصول من المئتي فدان في السنة نحو ٢٤٠٠ جنيه يأخذ منها الملاَّك ٧٠٠ جنيه

اي بمعدل خمسة في المئة بالنسبة الى ثمن الاطيان اذا حسبنا متوسط ثمن الفدان سبعين جنيهاً ويأخذ منها الانفار العاملون ١٠٠٠ جنيه والمستأجرون ٧٠٠ جنيه . فاكثر ايراد الزراعة ذاهب الى المستأجر والعامل لا الى المالك

وقد اطّلعنا الآن على احصاء ديوان الزراعة في بلاد الانكليز لانواع مختلفة من اطيانها الغالية والرخيصة ومتوسط ريعها وكيفية قسمتهِ على المالك والمستأجر والعامل فاذا متوسط ثمن الفدان ١١ جنيهاً ومتوسط ايرادهِ في السنة ٦ جنيهات ويلزم لكل مئتي فدان سبعة انفار فقط لكثرة الاعتماد على الآلات الزراعية والاكتفاء بمحصول واحد في السنة . فايراد المئتي فدان ١٢٠٠ جنيه ينال المالك منها ٢٦٤ جنيهاً اي ٢٢ في المئة والمستأجر ٥٧٦ جنيهاً اي ٤٨ في المئة والانفار ٣٦٠ اي ٣٠ في المئة فيبلغ ايراد النفر في السنة اكثر من ٥١ جنيهاً ويبلغ ايراد المالك بالنسبة الى ثمن اطيانهِ ١٢ في المئة . فالفرق كبير بين دخل المالك عندنا ودخل المالك في بلاد الانكليز وبين دخل النفر هنا ودخلهِ هناك وسببهُ الاكبر قلَّة استعمال الآلات الزراعية عندنا وكون الضرائب عالية جدًّا على اطيان القطر المصري وكون الاطيان غالية جدًّا

ورب معترض يقول لماذا تغالون في ثمن الاطيان فلو حسبتم ان متوسط ثمن الفدان ٣٥ جنيهاً بدل ٧٠ جنيهاً لبلغ ايراد المالك منهُ عشرة في المئة فنجيب اولاً ان الذين اشتروا اطياناً رخيصة ثم اصلحوها حتى صارت من الاطيان الجيدة انفقوا على اصلاحها ما صار بهِ ثمنها اكثر من سبعين جنيهاً هذا من الوجه الواحد ومن الوجه الآخر ان متوسط ضرائب الاطيان وهو جنيه على الفدان لم نحسبهُ مع صافي الايراد وهو بمثابة ٢٠ جنيهاً في ثمن الفدان

ثمن القمح

يزعم البعض ان الحبوب غلت في القطر المصري لانها ترسل الى البلاد الانكليزية وتباع فيها . ويظهر لنا ان هذا الزعم بعيد عن الصحة فقد امرت الحكومة الانكليزية في ١٦ ابريل الماضي ان لا يزيد ثمن الكوارتر من القمح الذي زنتهُ ٤٨٠ رطلاً على ٧٨ شلناً فيكون ثمن الاردب منهُ ٢٥٢ غرشاً لاغير . والقمح الذي يؤكل في البلاد الانكليزية اجود من القمح المصري واغلى منهُ . ويجب على البائع ان يوصل القمح الى سكة الحديد لينقل الى المشتري او ان ينقلهُ الى مخازنهِ فلا يحتمل والحالة هذه ان يصدر الى بلاد الانكليز قمح مصري وهو في سعرهِ الحاضر

الحرث بمحاريث البترول

جربت الحكومة الانكليزية الحرث بمحاريث البترول الاميركية وكان المحراث منها يجر ثلاث سكك فوجد انهُ يحرث ثلاثة ارباع الفدان في الساعة ويحرق على حرث الفدان الواحد جالونين ونصف جالون من البترول اي نحو سبع اقات او ما يساوي ١٥ غرشاً من البترول . والحرث جيد يقلب الارض قلباً الى عمق سبع بوصات وقوة المحراث الواحد مثل قوة ١٦ حصاناً وهو من نوع موغول American Mogul يتصل بهِ Canadian Cockshunk

---

تجارب في زراعة القمح

طالعت بمزيد الاهتمام ما ذكرهُ المقتطف في عدد نوفمبر سنة ١٩١٦ عن زراعة القمح بالتجذير او بالتكنين وبناء على اشارتهِ توجهت وقتئذٍ لمعاينة حقل التجارب التابع لمدرسة الزراعة في الجيزة ومشاهدة الزراعة بنفسي والوقوف على كيفية زراعة القمح واتفق انني زرت حقل التجارب بينما كان العمَّال يجربون زرع القمح بالتخطيط فوجدت انهم بعد ان حرثوا الارض وزحفوها قسموها الى ترابيع متساوية المساحة طول كل تربيعة حوالي القصبة وعرضها كذلك وشاهدت الانفار ينقرون في الارض بعود خطوطاً مستقيمة متوازية عمقها نحو خمسة سنتيمترات ثم يضعون حبوب القمح في هذه الخطوط تلقيطاً اسوة بزراعة الذرة وذلك بنسبة ثلاث كيلات للفدان الواحد وبعد وضع الحب في الخطوط يردمونها ثانية فتعود الارض الى حالتها الاولى من الاستواء وبعد ذلك يروونها كزراعة القمح العادية . وقد لاحظت انهم جعلوا البعد بين خطوط الزرع المتوازية على نوعين فجعلوها على بعد اربعين سنتيمتراً بين كل خطين في بعض النقط وعلى بعد عشرين سنتيمتراً في نقط اخرى

ثم فهمت من رئيس العمال انهُ عند ما ينمو النبات ويصير علوّه حوالي العشرة سنتيمترات يعزقون المساحات الخالية من الزراعة بين الخطوط عزقاً خفيفاً ويتبعون في ما عدا ذلك نفس الترتيب المتبع في زراعة القمح العادية

فعزمت في ذلك الوقت على عمل بعض تجارب في هذا النوع من الزراعة واتبعت نفس الخطة التي شاهدتها في حقل التجارب وانما جعلت البعد بين كل خطين ثلاثين سنتيمتراً

اي متوسط المسافتين اللتين شاهدتهما في حقل التجارب وقد توصلت الى ما يأتي : —

نتيجة تجارب زراعة القمح بالتخطيط التي عملت في ارض مرشاق اخوان في ناحية منشاة رضوان مركز كفر صقر شرقية في سنة ١٩١٧ والارقام محسوبة لمتوسط الفدان الواحد : —

نوع القمح	كيفية الزراعة	تاريخ الزرع	كمية التقاوي بالكيلة	نوع السماد	كمية السماد بالكيلو	نتيجة المحصول				
						تبن		قمح		
						اقة	حمل	قدح	كيلة	اردب
بلدي	بالتخطيط	٢٠ و ٢١ نوفمبر	٣	نترات السودا	٨٠	٥٦	٩	—	٥	٩
هندي	«	« « «	٣	« «	٨٠	٧٢	٩	—	٦	٩
بلدي	«	« « «	٣	سلفات النشادر	٦٠	٨	١٠	—	٠	١٠
هندي	«	« « «	٣	« «	٦٠	١١٦	٩	—	٩	٨
بلدي	«	« « «	٣	بدون سماد	—	١٧٦	٦	—	١١	٦
هندي	«	« « «	٣	« «	—	٤٠	٦	—	٦	٦
هندي	عاده	٢٢ و ٢٣ نوفمبر	٦ ١/٢	نترات السودا	٨٠	١٢٠	٧	٦	٣	٧
هندي	«	« « «	٦ ١/٢	سلفات النشادر	٦٠	١٣٠	٩	١	١٠	٧
هندي	«	« « «	٦ ١/٢	بدون سماد	—	١٥٣	٦	٥	٥	٦

وقد عملت هذه التجارب في ارض كانت مزروعة برسيماً في سنة ١٩١٦ وتركت خاماً او كشفاً الى ان زرعت قمحاً

ولا يخفى ان البحث في تكاليف الزراعة من اهم المباحث التي ينبغي ان يلتفت اليها للتوصل الى نتيجة محصول الارض الحقيقي · ولذلك فانني فتحت لمصاريف قطع التجارب من النوعين حساباً خصوصيًّا فوجدت ان مصاريف الحرث والتزحيف والتحويض والري في نوعي الزراعة متساوية وان زرع التخطيط يختلف عن الزرع العادي بمصاريف التقاوي والتخطيط والتلقيط والعزيق فكانت النتيجة كما يلي : —

المصاريف الخصوصية في زراعة التخطيط

	ص	
مصاريف عمل الخطوط	٢٥	للفدان
« الزرع بالتلقيط	٥	«
« العزيق	٢٢	«
(ثمن ٣ كيلات تقاوي على حساب ثمن الاردب ١٨٠ قرشاً	٤٥	«
مجموع المصاريف الخصوصية	٩٧	«

المصاريف الخصوصية في الزراعة العادية

	ص	
مصاريف الزراعة بذراً	٢	للفدان
(ثمن ٦ كيلات ونصف تقاوي بنفس السعر	٩٧,٢٠	«
مجموع المصاريف الخصوصية	٩٩,٢٠	«

وبعبارة اخرى ان تكاليف الزراعة العادية هي اكثر من تكاليف الزراعة بالتخطيط · ولو قدرنا ثمن التقاوي بالاسعار الحالية اي ٣٠٠ قرش للاردب لوجدنا ان زراعة التخطيط اقل نفقة من الزراعة العادية بسبعة وثلاثين غرشاً ونصف في الفدان

وقد فاتني في عمل تجارب زراعة التخطيط ان اتبع نصيحة المقتطف من جهة العزيق فانني اتبعت خطة مصلحة الزراعة بان عزقت المساحة الخالية من الزراعة وتركت التراب المعزوق في محله وكان الانسب ان يلقى التراب الناتج عن العزيق فوق خطوط النبات بحيث يتكوّن منهُ مساطب صغيرة شبيهة بمساطب القطن لان ذلك يساعد النبات على التجذير او التكثير ويزيد في عدد السنابل وفي كمية القش وبالنتيجة يزيد في محصول التبن والقمح زيادة تذكر

امين مرشاق

وقاية الطيور الآكلة للحشرات

اصدرت وزارة الزراعة المنشور التالي :

رغبة في المحافظة على الطيور الآكلة للحشرات وهي من انفع الاشياء للزراعة من حيث انها تعمل على منع ما يصيبها من فتك الحشرات بها صدر قانون(رقم ٩ في سنة ١٩١٢) يحرم قتل عدة انواع من الطيور ذكرت اسماؤها فيهِ . ولقد وزعت الوزارة منشورات كتبتها بعدّة لغات وضمنتها قائمة الطيور المحمية و بينت فيها انهُ محرّم على الجمهور ان يصيد اي طير من الطيور المدرجة في تلك القائمة او يقتنصها او يهلكها او ينقلها او يتجوّل بها في الطرقات او يحبسها او يعرضها للبيع او ان يبيع او يشترى شيئاً منها وان من يخالف منطوق هذا القانون يعاقب اوّل مرة بغرامة قدرها جنيه وتصادر البنادق وادوات الصيد والطيور التي تكون في حوزتهِ وفضلاً عن ذلك فان صور اغلب هذه الطيور ملوّنة بلونها الطبيعي معروضة في الاماكن العامّة ليراها الناظرون فلا يخطئوها اذا عاينوها

ومن النتائج التي ترتبت على القانون المتقدم ذكرهُ اعادة توطين ابي قردان احد هذه الطيور المحمية فان الفلاحين قد عملوا بالقانون حتى اصبح هذا الطير يرى في كثير من انحاء الوجه البحري بعد ان كان عددهُ حين صدور هذا القانون قد نقص حتى لم يبق منهُ هناك الاَّ سرب واحد في مديرية الدقهلية . ولذا يصح ان يقال ان الوسائل الشديدة التي اتخذتها وزارة الزراعة ومصلحة وقاية الحيوانات قد كللت بالنجاح في هذا السبيل

اما فيما يتعلق بالطيور الاخرى التي هي اصغر من ابي قردان جسماً فمن دواعي الاسف ان الجمهور لم يراع القانون رعاية دقيقة وذلك ان الرخص تمطى بموجب لائحة الصيد لقنص الطيور غير المحمية او قتلها بواسطة الشباك او البندق ولكن حاملي هذه الرخص على ما يظهر كثيراً ما يسيئون استعمالها فيقتلون الطيور المحمية ايضاً ولذلك لا يزال الباعة يتجوّلون في شوارع الاسكندرية وضواحيها بصغار الطيور بعد ان ينزعوا ريشها عنها حتى يصبح تعيين جنسها متعذراً ولقد شوهد الكروان ايضاً يباع منذ عهد قريب في جوار القاهرة . نعم ان العصفور العادي اكثر صغار الطير شيوعاً في الاسواق وهو سهل التمييز عن الطيور الآكلة الحشرات بمنقار عميق غير حادّ ولكن البيع غير مقتصر عليهِ بل يشمل الطيور المحرّم صيدها ايضاً

ومن الطرق البسيطة لتمييز صغار الجسم من الطيور تمييزاً محققاً معاينة منقارها فان كل طيرة بحجم العصفور العادى او اصغر منهُ اذا كان منقارها ضيقاً مستدقاً طولهُ نحو سنتمتر وربع

او اقل فهي طيرة آكلة للحشرات وبعبارة اخرى هي من الطيور المحمية المحرَّم صيدها او قتلها

ولذلك يطلب الى حضرات موظفي الحكومة ان يتنبهوا لهذا الامر ويبلغوا البوليس حوادث المخالفات التي ترتكب ضدّ القانون مما يشاهدونهُ ويتحققونهُ بعد تطبيق الطريقة المتقدمة

ولا يخفى انّ ندرة الطيور عدوة الحشرات في هذه البلاد قد صيرتها مرتعاً لفتك الحشرات المؤذية ومن المقرَّر — الذي اصبح في حكم البديهيات — ان الوسائل الصناعية لإبادة الحشرات لا يقاس اثرها بما تحدثهُ الطبيعة نفسها بواسطة الاعداء الطبيعية ولذلك يتعين على المزارعين ان لا يدخروا وسعاً في المحافظة على الطيور الآكلة للحشرات وان لا يقصر احد ممن يهمهم فلاح الزراعة في القطر عن المعاونة على هذه المهمة ما استطاعوا اليها سبيلاً وخصوصاً حضرات موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم ومصالحهم وموظفي البنوك والشركات العقارية والتجارية والدوائر الزراعية ونحوها

وهذا بيان الطيور المحمية :

القنبرة	ثلاثة انواع
ابو فصاده	« «
ابو قردان	نوعان
الهدهد	«
العصفور ساكسيكولا	كل انواعهِ ويشمل "Chats" و "Redstarts" و "Blue-throats" و "White throats" و « عصفور البيبيت »
العصفور المغني	كل انواعهِ ويشمل « البلبل »
« آكل الذباب	ثلاثة انواع
الصفير	
الوروار	ثلاثة انواع
الزقزاق (الطقطاق)	اربعة «
الكروان	نوعان
البيكافيجا	عديد من طيور صغيرة الجسم ، منها العصفور المغني الاحمر
اللقلاق	المعروف عند العوام باسم «ابي مغازل» او «عنز» او «الحاج قاسم»

وزير الزراعة احمد حلمي

الحشرات المضرة بالرز في الغيط

ان استيفاء الكلام على هذه الحشرات من اختصاص علمائها وهم لم يكتبوا بعد في هذا الموضوع شيئًا يرجع اليهِ او يُعتدُّ بهِ اقل اعتداد لذلك اكتفي هنا بذكر ما شاهدتهُ من وجهة عملية وهي التي تهم زراع الرز

شاهدت بعد زراعة الرز باسبوعين احيانًا وباربعة اسابيع او خمسة احيانًا اخرى ان نباتهُ مصفر ذابل وبالبحث وجدتهُ مصابًا بحشرتين صغيرتين (الاولى) لاصقة بجذورهِ خاصةً وقريبة الشبه بالقمل شكلاً ولونًا ولذلك يسميها بعض الفلاحين (قملة الرز) والثانية تعرف بالدودة وتصيب اوراقهُ وجذورهُ وبعضها شبيه بالحشرة الآنفة الذكر اي ان لونها أشهب وسخ والبعض الآخر احمر اللون او اسود

ولابادة هاتين الحشرتين يصرف الماء عن الرز و يترك بدون ري ٢٤ ساعة او اكثر اذا كان الجو صافيًا والارض نقية فتهلك اثناءها الحشرات من حرارة الشمس وانقطاع الماء عنها وقد يقتضي الحال تكرار هذه العملية مرةً اخرى او مرتين . وليلاحظ ان البقع الواطئة التي لا ينكشف الماء عنها بالصرف لا تهلك ديدانها بل تُعْدي ما يجاورها ولذلك لا بد من الاعتناء بنزحها جيداً . وفي حالة ما تكون الاصابة بالدودة شديدة اذ يوجد على الاوراق كثير من الديدان يُغمر نبات الرز بالماء غمراً ثقيلاً ثم يصرف الماء عنهُ صرفًا قويًّا فيجرف في تيارهِ القوي السريع تلك الديدان او اكثرها ويزيلها الى المصارف فتموت والباقي يهلك بعد الصرف كما ذكر قبل . ويصاب ايضًا وهو حديث بحشرة صدَفية تعرف عند الفلاحين بالخنجار او القوقع (مفردهُ خنجارة وقوقعة) وهي عبارة عن خلزونة من الصدف يستكن فيها جسم حي هو جسم الحشرة فتطفو على وجه الماء وتسير نحو النبات فتأكل اوراقهُ وتسبب ايضًا اقتلاعهُ قبل تمكنهِ تمامًا في التربة . وتُباد هذه الحشرة بما تُباد بهِ الدودة

ويصاب ايضًا بالمن وعلاجهُ صرف الماء مدة ٢٤ ساعة كما ذكر في ابادة الحشرة المعروفة بالقملة او الحملة . ثم ايضًا يصاب ايضًا وهو تام النمو بحشرة تقرط ساقهُ من اعلى فتقع السنابل وتفسد وتسمى دودة السنبل والدويّة بالتصغير ولم اقف على علاج لها

احمد الالفي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

حمى مالطة

حمَّى كانت كثيرة الانتشار في جزيرة مالطة فنسبت اليها ولكنها اصبحت قليلة جدًّا فيها حتى لقد اعترض المالطيون على نسبتها اليهم . ويطلق عليها ايضاً اسم حمَّى البحر المتوسط ويقال لها في جبل طارق حمَّى الصخر وفي ايطاليا حمَّى نابولي . ويعلم الآن انها موجودة في الهند والصين وجزائر فيلبين . وهي خفيفة الاعراض طويلة الاقامة تشفى احياناً حسب الظاهر ثم تنتكس . يكثر فيها العرق المنهك والآلام العصبية في الاعضاء والانتفاخ في المفاصل ولها مكروب خاص بها اسمهُ Micrococcus Melitensis وكثيراً ما يدخل الجسم مع لبن المعزى . وقد كانت هذه الحمَّى كثيرة التفشي في حامية مالطة فلما منع تقديم لبن المعزى للحامية الاَّ بعدما يغلى بطل تفشي الحمَّى فيهم . وقد تنتقل بوسائط اخرى ولكن ذلك غير محقق ولا يظهر انها تنتقل بالعدوى من شخص الى آخر . وهي تكثر في اشهر الصيف وتصيب الناس في كل سن ولكن الغالب ان مَن يصاب بها مرةً لا يصاب مرةً اخرى . وتأتي اعراضها خلسةً مصحوبة بوناء وفقد القابلية وصداع وارق وارتفاع قليل في درجة الحرارة ولاسيما في المساء وتزيد هذه الاعراض وتشتد الحرارة الى ان تبلغ الدرجة ١٠٤ او ١٠٥ بميزان فارنهيت (٤٠ الى $٤٠\frac{1}{2}$ بميزان سنتغراد) في المساء وتحدث الآلام العصبية وورم المفاصل . وتزول هذه الاعراض او تخف كل بضعة ايام او اسابيع مع زيادة في العرق وهبوط في درجة الحرارة ثم تشتد الاعراض ثانيةً وقد تستمر الحال كذلك بضعة اشهر حتى لقد يهزل الجسم بها هزالاً شديداً ولكن يندر ان تنتهي بالموت الاَّ اذا حدث الموت من ضعف القلب او اختلاطات في الرئتين . وقد لا يسهل تشخيص المرض اولاً والغالب ان يوصل الى ان الحمَّى هي حمَّى مالطة بالاستدلال على انتفاء كل ما سواها كالتيفويد والملاريا والحمى الروماتزمية ولكن بعد كشف المكروب صار يسهل الاستدلال عليها باكتشافهِ في دم المصاب بها

العلاج — ليس لها دواء خاص يشفيها . فاذا لم تزد حرارة المصاب على الدرجة ١٠٣ يطعم البيض والخبز والارز ورطلين او ثلاثة من اللبن في اليوم . واذا استطاع هضم هذا الطعام من غير تعب يطعم قليلاً من السمك واللحم ولكن اذا كانت درجة الحرارة اعلى من ذلك فلا بدَّ من الاقتصار على الطعام السائل كما في التيفويد . ويحسن مسح البدن باسفنجة بماء بارد ولا سيما اذا كانت الحرارة شديدة . واذا ورمت المفاصل يخفف المها بلفها بخرق مبلولة بالماء البارد ويحسن الانتقال الى مكان هواؤُهُ بارد اذا استطاع المريض السفر بسهولة ومن نقه يدهن جسمهُ بالزيت او بزبدة النارجيل لتغذيتهِ ويعطى مقوياً من مركبات الحديد

الافراط في الاكل

تسع المعدة نحو رطلين من الطعام فالافراط في الاكل الى ما يزيد على هذا القدر كثيراً يفضي الى تمدد المعدة فيدفع الحجاب الحاجز الى فوق و يضغط القلب والرئتين فيعوق حركتها . ثم انهُ اذا كان الوارد من الطعام على المعدة يزيد على حاجة الجسم الفسيولوجية فان بعضهُ يخرج من الجسم بطريق الكليتين بعد تحولهِ زلالاً وسكراً . وهذا نادر الاَّ اذا زاد الوارد زيادة فعلية . وبعضهُ وهو قليل جدًّا يخزن في الجسم بشكل دهن . اما الباقي وهو الاكثر فيحرقهُ الجسم و يستمدّ منهُ حرارتهُ ومعظم هذا العناء يقع على العضلات . ولكن زيادة الاحتراق تفضي الى زيادة الفضلات وهذه تستدعي زيادة عمل الاعضاء المفرزة وفيهِ ما فيهِ من الضرر

على ان معظم ضرر الافراط آتٍ من تولُّد السموم في الجسم واعراض هذا التولد صداع ودوار وكسل ونعاس في غير اوانهِ واغتمام لغير سبب ظاهر وسوءُ خلق . واذا دام الحال على هذا المنوال تعرَّض الجسم للنقرس او ما يسمَّى عادة بالروماتزم من غير تعيين او تدقيق وظهر ذلك في اواسط العمر او اواخرهِ . ويقال اجمالاً ان الذين يبلغون سنّ الشيخوخة في عافية هم الذين اعتدلوا في مآ كلهم ومشاربهم في ادوار عمرهم الاخرى

وصايا للآكلين

« ليكن طعامك بسيطاً في نوعهِ معتدلاً في مقدارهِ اقلهُ من المواد الحيوانية واكثرهُ من المواد النباتية . وكلُّ المواد النشوية والنيئة تحتاج الى مضغ كثير فالواجب ان يكثر

من مضغها . اما الطعام الحيواني فلا يحتاج الى المضغ الكثير مثلها . وليكن طعامك متنوعاً في اوقاتهِ المختلفة ولا تشرب على الطعام »

هذه وصايا اوصى بها الدكتور هري كبل الانكليزي . وقد سئل السر ئتون سيكس عن سبب طول عمرهِ (توفي وعمرهُ ٨٧ سنة) فقال :

« آكل قليلاً بعد منتصف النهار وطعامي يقتصر على شيء من الشوربة والحلوى . ولا اشرب خمراً ابداً وانما اشرب ملء كأس من الوسكي في رطل من الماء المعدني الساعة الاولى بعد الظهر »

مقدار الطعام اللازم للجسم

يحتاج الرجل العادي الذي لا يروّض جسمهُ كثيراً الى نحو رطلين ونصف من الطعام كل يوم . والرجل الذي يعمل عملاً بدنيًّا يجهد فيهِ عضلاتهِ اجهاداً معتدلاً يحتاج الى اربعة ارطال . ولكن يجب ان نحسب حساب الامزجة واختلافها فان زيداً وهو صحيح الجسم قد يكفيهِ من الطعام ما لا يكفي عمراً وهو صحيح الجسم مثلهُ وما ذلك الاَّ لاختلاف الامزجة وطبائع الاجسام ومعظم هذا الاختلاف حادث عن الاختلاف في مقدار ما ينفقهُ الجسم من مادتهِ وفي سرعة ذلك الانفاق . ثم ان العناية بمضغ الطعام حتى يمتزج بهِ اللعاب تمام الامتزاج تحفظ حيوية الجسم وترمّ ما تهدَّم من بنائهِ بمقدار من الطعام اقل مما يحتاج الجسم اليهِ اذا لم يكن المضغ تامًّا

ونحن انما نحيا بما تمثلهُ اجسامنا من الطعام لا بما نبتلعهُ . وترانا على اختلاف من حيث اجهزتنا الهضمية فاصحاب الاجهزة السليمة يستخرجون من طعامهم غذاء اكثر مما يستخرجهُ اصحاب الاجهزة السقيمة . واذا كان الهضم جيداً كان الدم جيداً ايضاً وبالتالي الصحة

الشاي والقهوة

ليس في الشاي والقهوة مجردين عن اللبن والسكّر والماء مادة مغذية بل كلُّ ما فيهما مادة قلوية بينها وبين الحامض اليوريك لحمة نسب وهي الكافيين . وليس هناك دليل على ان الشاي والقهوة يضران شاربهما اذا اتقن تحضيرها وشربها باعتدال بل انهما بالضد من ذلك ينعشانهِ « ويروّقان » دماغهُ كما يقول الناس في احاديثهم . ولكن من الاطباء من يقول ان هذا الفعل المنسوب اليهما وهميٌّ متأتٍ بالعادة وانهُ اذا امكن الخداع فيهِ كان

يقال لمن يشرب كاس ماء سخن ان فيهِ قهوة او شاياً فعل الماء فيهِ فعل الشاي والقهوة . وفات قائلي هذا القول ان الكافيين الذي في القهوة والشاي منبهٌ لعمل القلب وهذا التنبيه هو سبب ما يشعر بهِ شاربهما من النشاط بعد عمل شاقٍ بدنياً كان او عقلياً

الخبز الاسمر والخبز الابيض

كثر التحدث هذه الايام بالخبز الاسمر والخبز الابيض بعدما اصدرت الدول المحاربة الاوامر الى شعبها بتحليل هذا الصنف من المواد الغذائية او تحريم ذاك لما عرف واشتهر ان الموجود من الحبوب وخصوصاً القمح لا يكفي آكليهِ في هذا العام الأ ببذل الجهد في الاقتصاد . والمراد بالخبز الاسمر الخبز المصنوع من الدقيق غير المقطّف اي الذي لم يفصل عنهُ سنهُ وخشكرهُ والابيض ما فصلا عنهُ . واليك جدولاً صغيراً للمقابلة بين تركيب الصنفين كيماوياً

	الخبز الاسمر	الخبز الابيض
ماء	٤٥ في المئة	٤٠ في المئة
بروتيين	٦,٣ »	٦,٥ »
دهن	١,٢ »	١ »
نشا وسكّر ودكسترين	٤٤,٨ »	٥١,٢ »
سليولوز (لا يهضم)	١,٥ »	٠,٣ »
مواد معدنية	١,٢ »	١ »

اما الدكسترين فنوع من الكربوهيدرات بالاختمار او الحرارة حتى يفقد صفتهُ الاصلية وهي الصفة الجلاتينية . واما السليولوز فنوع آخر من الكربوهيدرات لم يفقد صفتهُ الجلاتينية

الزكام وسببهُ وعلاجهُ

المشهور ان بعض الامراض كذات الرئة والحمَّى الروماتزمية والزكامات على انواعها قد تصيب الناس من الجلوس في مجرى هواء او بلل ملابسهم او النوم في غرف هواؤُها رطب . ولكن المقرر طبياً الآن ان سبب هذه الامراض مكروبات تنتقل من العليل الى الصحيح بواسطة رشاش اللعاب او بوسائط اخرى . اما التعرض للبرد بالجلوس في مجرى هواء او

بلبس ثياب مبللة او بالنوم في غرف رطبة فلا يجلب الامراض المذكورة مباشرة بل يضعف مقاومة الجسم للعدوي فيُعدى · وهناك عامل آخر يجب ان لا يُغضى عنهُ وهو انهُ اذا كان الجلد بارداً قليل الدم ضعفت احدى وظائفهِ وهي طردهُ لفضلات الجسم· ألا ترى ان البرد يعرّض الجسم لعدوى الامراض خصوصاً اذا كان الجسم متعباً اي مثقلاً بالفضلات· اولا ترى ايضاً ان خير الطرق لاتقاء عواقب البرد انما هو تقوية الجلد وتنشيطهُ على العمل بالاستحمام في ماء حارّ ولبس ثياب دافئة · واذا كان البرد او الزكام شديداً فقد يفيد المصاب مع الحمّام الحار والتدفئة ان يتناول مسهلاً فان المسهلات من المطهرات ومزيلات الفضلات

ضبط المقاييس

تهتمُّ الحكومات الراقية بضبط المقاييس والمكاييل والموازين حتى لا يغبن احد من رعاياها فلا يدفع المشتري ثمن اربعين متراً من الحرير وهو لم يأخذ سوى ثلاثين لنقص المقياس · ولا ثمن خمسين اردباً من الحنطة وهو لم يستلم سوى اربعين لنقص المكيال · ولا ثمن ستين رطلاً من الدقيق وهو لم يعطَ سوى خمسين لنقص العيار · وهذا ما تفعلهُ الحكومة المصرية الآن ولكن الحكومات الراقية جداً ولاسيما الحكومة الاميركية لم تقف عند هذا الحد بل جعلت تضبط كل مقياس ومكيال وميزان وكل ما تُعرَف بهِ نسبة المواد بعضها الى بعض

غلا ثمن الفحم الحجري في هذه الايام غلاء فاحشاً فسألنا البعض تُرى لو ابدلنا الفحم الحجري بالحطب وقوداً في الآلات البخارية أكان في ذلك اقتصاد او اسراف على فرض ان ثمن طن الفحم ثمانماية غرش وثمن طن الحطب (الخشب) ثلثماية غرش وهل يكون من الاقتصاد ان يوقد البترول بدل الفحم الحجري وثمن الصفيحة منهُ ٢٥ غرشاً

هذه مسائل جوهرية ولكن ليس في القطر المصري ادارة يمكن الرجوع اليها في معرفة النسبة بين هذه المواد من حيث اسعارها والحرارة التي تتولد منها

ومثل ذلك استعمال الغاز للطبخ بدل الفحم او الحطب واستعمال الكهربائية للنور بدل الغاز او البترول · فان الحكم في هذه الامور يبنى عندنا على الاختبار لا غير كأن يجد الواحد انهُ كان ينفق في الشهر مئة غرش ثمن الفحم الذي يحرقهُ في طبخ طعامهِ فصار ينفق

ستين غرشاً ثمن الغاز الذي استعمله بدل الفحم . او يقول انهُ كان ينفق على الانارة بالغاز مئة غرش في الشهر فصار ينفق على الانارة بالكهربائية مئتي غرش لما ابدل الغاز بالكهربائية في اضاءة بيتهِ . ولكن يصعب عليهِ ان يقابل بين سطعان نور الغاز ونور الكهربائية

وقد تنوَّعت مصابيح البترول ومصابيح الغاز ومصابيح الكهربائية في السنين الاخيرة حتى حار الناس في اختيار افضلها واوفرها ولا شبهة ان نور بعضها اسطع من نور البعض الآخر ونفقة بعضها اقل من نفقة البعض الآخر ولكن قلَّ مَن يعلم نسبة بعضها الى بعض ومقدار الفرق بينها بالتدقيق . وليس في البلاد ثقة يرجع اليهِ في ايضاح النسبة بينها بالتدقيق

ومن هذا القبيل الاختلاف بين قطع اللحم من الخروف الواحد او من الثور الواحد والاختلاف بين لبن البقر ولبن المعزى ولبن الجاموس . وبين اللبن الذي حُلب منذ ساعة والذي حلب منذ بضع ساعات . وبين انواع السماد الكيماوي وبين الدرجات المختلفة من السماد الواحد وبين الزبدة الطبيعية والزبدة الصناعية وبين انواع الجبن المختلفة سواءٌ كانت وطنيَّة او اجنبية . وقس على ذلك اموراً كثيرة من هذا القبيل

فيحسن بالحكومة المصرية والحالة هذه ان تنشئ مصلحة عملها ضبط الموازين والمقاييس والمكاييل واظهار نسبة المواد بعضها الى بعض حتى يكون الناس على بينة من امرهم في كل شيء . فتنشر هذه المصلحة لائحة لاصحاب البيوت يرتشدون بها الى الاقتصاد في النفقات او الى الحصول على الفائدة الكبرى باقل ما يكون من النفقة . ومن هذه الفوائد ان الشبكة العادية التي توضع في مصباح الغاز تجعل نفقة النور الواحد نصف ما كانت . فاذا وُجد مصباحان نوراهما متساويان وكان احدهما سائباً من غير شبكة كما كانت مصابيح الشوارع في القاهرة قبلما وضعت لها الشبكة والثاني لهُ شبكة عادية فنفقة النور الاول مضاعف نفقة النور الثاني اي ان الاول يحرق من الغاز في الساعة مضاعف ما يحرقهُ الثاني . واذا كان مقدار الغاز الذي يحرق في الثاني مثل مقدار الغاز الذي يحرق في الاول فنور الثاني مضاعف نور الاول في سطعانهِ او ان النسبة بينهما كالنسبة بين ١٢ و ٧ . وتوجد شبكة اخرى تقل بها النفقة الى ربع ما كانت . ومنها ان الزبدة الصناعية اذا كانت موادها نقية فهي مغذية مثل الزبدة الطبيعية ولو كانت ارخص منها كثيراً . فوائد مثل هذه يجب ان تعلم ويطلع الجمهور عليها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستفار على المطوَّلة

ذكرى الطفولة

سلام على صفو الحياة سلامُ فلم يبقَ الآن يحل حمامُ
سلام على عهد تقضي وما انقضت او اصر قربى بينهُ وذمامُ
تذكرتهُ ذكرى الغريب لدارهِ وقد حال من دون المزار سقامُ
وما نفع المحزون ذكراهُ ما مضى ولكنها في النائبات قِوامُ
وإن ادكار الصفو صفو لاهلهِ وإنْ شب منهُ في الضلوع ضرامُ
فنعنا من الدنيا بماضي نعيمها ولين الليالي والزمان عرامُ
لقد اخلقت ايدي الحوادث جدتي وقد فات لهو في الصبا وغرامُ
واصبحت كالدوح الطرير لحاؤهُ ولكنهُ دون اللحاء رمامُ

***

سلام: وهل يغني المشوق سلام على زمن كالبرق حين يشامُ
فكم ليَ فيهِ من مراح ومن منًى وساعات لهو كلهنّ وسامُ
وكم طاب لي فيهِ رقاد ويقظة وكم لذّ لي فيهِ هوًى ومرامُ
وكم ليَ فيهِ من صحاب تألفت قلوبًا حدتها السنُّ فهي توَّامُ
نعيماً فقدناهُ فبتنا لفقدهِ كأنَّا غدونا والجحيم مقامُ
وهل كان الاَّ طرفة حلَّ بعدها على القلب من هذي الحياة سآمُ
سآمٌ وهمٌّ دائبٌ ونوائبٌ اذا ما اتى عام عليهِ وعامُ

لقد كنت فيه احسب العيش خالداً وان قبور العالمين نيامُ
وأن ليس في الدنيا شقاءٌ ومحنة وان ليس فيها فرقة وخصامُ
وأني لا سعيٌ عليّ ومطلب وان ليس حلٌ للورى وحرامُ
وان الفتى في الكون سلطان كونهِ وليس عليهِ في الوجود امامُ
وان ابي مالٌ وحولٌ وعزمةٌ وسيفٌ على هام الخطوب حسامُ
فاخلف حسباني الزمانُ وصرفهُ وآمال عيش في الحياة جسامُ
وأبصرتُ حولي الكون كالروض كلما انار فما للزاهرات دوامُ
والفيت ان الناس رهن مشيئةٍ تساق بها في ظلمة وتسامُ
وانيَ لا شيءٌ وانيَ هالك واني رغام في الثرى ورجامُ

***

جهلنا على الايام في الكون ما الذي يراد بنا من عيشنا ويرامُ
حياة على الاوهام تأتي وتنطوي تباعاً تباعاً والانام انام
لقد كان نوماً ذلك العهد وانقضى وما العمر الاَّ يقظة ومنامُ
كأني رضيع والطفولة مرضع وقد حال من دون الرضاع فطامُ
فها انا لا طيب الحياة يروقني ولا يطبيني قينة ومدامُ
كأني ما كنت الرغيد شبابهُ ولا كنت ألهو والفؤاد غلامُ
عليك سلام الله عهدَ طفولتي لذِكْرَاكَ يا عهد السلام سلامُ

اسكندرية زكريا ابراهيم

نفوس العظماء

(١) ثبات الغرائز (٢) تأثير الوراثة والوسط (٣) تأثير الطبيعة
(٤) تأثير الفرد على المجموع (٥) سرُّ العظمة

وجدت صروف الدهر لا شيءَ غيرها تُغيّر من احوالنـا فتحولُ
ولو يستطيع المرءُ تغيير ما بهِ لما كان منا نابهٌ وخمولُ
فكل امرىءٍ يسعى الى الخير جهدهُ ولكنّ مجهود الضئيل ضئيلُ
فلا تطلبنْ من ثائر النفس هدأةً وبين حنايا الصدر منهُ صؤولُ
ولا تطلبنْ من خامل النفس ثورةً فان نتاج العمر منهُ خمول

طبائع فينا رُكبت وغرائز فمنها جبال صعبة ومهول
فان غيرت تلك الطباعَ حوادثٌ فانَّ الجبال الراسيات تزول
كما بفصل الزلزال ارضاً منيعةً فيجرى خضمٌ بينها ويصولُ
وان غيرت بعض النفوس صفاتها فللماء في صلد الصخور فلول

***

هي النفس مثل الوجه يُورث حسنها فاكثر ابناء القبيل شكول
وقد يذهب الحسنَ الفتي بخطيئة ولكنها طبع لديهِ دخيل
أفادتهُ اياهُ طبائع غيرهِ كما ينقل العدوى اليك عليل
كما علِّم الاطفال ألسن قومهم يُعلَّم كلٌ ما يرى ويقول
وللوسط الموبوء عدوى تعمهُ وداء النفوس الخامدات اكول

***

وفيك من الارض التي انت ساكنٌ طبائع منها مزدرًى وجليل
ففي نفس سكان البوادي جدوبةٌ ومأوى لوحشي الصفات وبيل
وفي نفس سكان الجبال مناعة وانفس سكان السهول سهول
من الناس ناس لا تثور طباعهم لغيرهم منهم ثمارٌ شهية
بجوهم طول الحياة بليل وظل على مر القرون ظليل
هل المرء الاَّ قطعة من بلادهِ تحرَّك في ارجائها وتجول
من النبت نبت الارض والماء مائها جسوم ومن تلك الجسوم عقول
وعقل الفتى من زادهِ وشرابهِ وما قد حباهُ والد وخليل
فوا أسفا للنفس نرجو صلاحها وليس الى وجه الصلاح سبيل

***

هي النفس بنت الارض وهي كأمها يغيرها ما يتَّقى ويهولُ
وليس لها فيهِ اختيار وانما تصول بهِ الايام حيث تصولُ
اذا بلغت نفس العظيم جنونها يصول بسيف مصلت ويغول
بسيف من الاراء أوحدَ صارم لهُ كل يوم في الانام قتيل
فان عروق الناس جفت دماؤُها فيا ليتها فوق التراب تسيلُ
وشر دم مالم يثر في عروقهِ فذلك في جسم الوجود فضول

وليست حياةً ما اريقت دماؤُهـا ولكن غباءٌ فادح وخمولـ
وما ظلم السفّاح قوماً بقتلهم بل الظلم ان تحيا وانت ذليل
فكم بطل احيا عصوراً كثيرةً فلا تنخدع إما شكاهُ قبيل
وتكبر آثار العظيم وفعـلهُ اذا ما مضى جيل عليهِ وجيل
ولكنهُ احسانـ لا معتمـد فوا عجباً انـ جاد وهو بخيل
وكم جاهل بالامر يأتيهِ مكرهاً ويفعل ما لا يبتغي ويقولـ
كذلك افعال الطبيعة كلهـا تروع اذا شاهدتها وتهول
من الماء والترب الذي انت واطئٌ ثمارٌ وازهار لنا وبقولـ
ارى شجراً غضّ الثمار يظلني فلي منهُ زاد شائق ومقيل
سقاهُ شعاع الشمس ماء حياتهِ وجاد عليهِ المزن وهو هطول
عظائم ما للكون فيها ارادة وفعل وما غـير الزمان فعول

***

كذاك يساق المرء للمجد مكرهاً عليهِ كما تجني الخمار شمولـ
وليست ثمار الكرم تفعل فعلها وما الخمر الاَّ الكرم حين يحول
وما يبتغي في ذروة المجد راحة فانـ يرتوي للنابغين غليل
ولكنهُ شوقٌ اليـهِ يقودهُ لهُ سائق من شجوهِ ودليل
ولكنهُ كالدوح تنمو فروعهُ وتنمو جذور في الثرى واصول
وليس عجيباً انـ يرى الناس نابغاً فيعروهمُ عما يقول ذهول
رأوا منهمُ فيهِ مشابه جمة فظنوا بان العالمين شكولـ
لقد صدقوا فالناس في الشكل اخوة وليس لخطب النابغين مثيل
وما ريع انسان فظل فؤادهُ جليداً فغير الآدمي حمولـ

***

ارى كل ارض قام فيها نوابغ فتأثيرها عند الخطوب يزول
ارى كل قوم قام فيهم نوابغ فتأثيرهم في النابغين قليل
فلا تزهدن في مهجة طال غبنها ولا تيأسن من ان يعز ذليل
فانـ مصاباً يعتري النفس رائعاً بايرادها ماء العلاء كفيل

اسكندرية عبد اللطيف النشار



نبذة تاريخية

في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان

وضع هذه النبذة بل الكتاب الجليل سيادة المطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس شرفاً والنائب البطريركي الماروني في القطر المصري وظيفةً

طالعنا جانباً كبيراً من هذا الكتاب فوجدنا ان كلام المؤلف على اصل الطائفة المارونية يقصد بهِ تارةً اصلها كطائفة دينية من الطوائف المسيحية وتارةً اصلها كامّة من حيث وطنها الاصلي · والامر الاول لم نرَ حجج المؤلف فيهِ اقوى من حجج مخالفيهِ ولاسيما احدهم المرحوم المطران يوسف داود السرياني على ما في كتابهِ جامع الحجج الراهنة المطبوع منذ بضع سنوات في القطر المصري · وسواء كانت هذه اقوى او تلك فليس هذا الامر هو الغرض الذي يرمي اليهِ المؤلف بالذات بل هو يرمي الى الغرض الثاني وهو ان اصل الموارنة بل اكثر سكان لبنان من الفينيقيين سكان صور وصيداء و بيروت وجبيل ولبنان الفينيقي وانهم كانوا غالباً مستقلين في جبلهم او كما قال « لهذا يحق لنا الاستنتاج بكل صواب ان اصحاب جبل لبنان الاصليين انما هم سلالة الفينيقيين اصحاب الممالك المشهورة المستقلة من قديم الدهر وقد استمروا على الدوام ينزعون الى هذا الاستقلال في كل عصر بحيث لم يخضعوا لمغتصبيهم من الفاتحين الغزاة الاَّ مكرهين والى حد محدود فقط فهم اذاً على قلتهم كالعناصر السلافية في مواطنها »

وادلتهُ على ان سكان لبنان من سلالة الفينيقيين قوية وحبذا لو امكن تعزيزها بادلة انثربولوجية مبنية على قياس الجماجم والعظام لانهُ يظهر لنا من شكل جماجم السكان في شمال لبنان ان بينهم و بين الحثيين القدماء مشابهة كبيرة · ولا يخفى ان الحثيين اقاموا زماناً في جوار حماه وحمص وان مدينتهم قادش التي حاربهم فيها رعمسيس الثاني كانت قريبة من مخرج العاصي

اما استقلال لبنان وهو الامر المهم بالذات سواء كان سكانهُ من الموارنة او من غيرهم

فقد استشهد عليهِ بما جاء في تاريخ بروكوبيوس المؤرخ السوري الذي نشأ في القرن السادس المسيحي فقد ذكر هذا المؤرخ انهُ كان في لبنان قائدان عظيمان ومعهما جنود بواسل من اللبنانيين وانهُ لما هجم الفرس على انطاكية بادر فرسان لبنان للدفاع عنها . وان قائد عساكر الروم طلب من هذين القائدين في وقت آخر ان ينضما الى جنوده لمحاربة الفرس فابيا مخافة ان يبعدا عن لبنان فيدهم العرب سورية وفينيقية و ينهبوهما في غياب حاميته

ولما فتح العرب سورية لم يستولوا على لبنان وقد استشهد المؤلف على ذلك بمؤرخَيْن من ابناء القرن الثامن المسيحي احدهما كتب في القسطنطينية وهو ثيوفانس صاحب حوادث السنين والاخر عربي وهو البلاذري صاحب فتوح البلدان . اما كلام ثيوفانس فمفادهُ ان اهالي لبنان ضايقوا العرب اشد مضايقة حتى اضطرّ الخليفة معاوية ان يعقد صلحاً غير موافق لهُ مع قسطنطين ملك القسطنطينية . ثم اضطرّ الخليفة عبد الملك بن مروان بسببهم ان يجدد هذا الصلح بشروط اهم مع يستنيانوس ابن قسطنطين . واشار البلاذري الى ذلك فقال « ان عبد الملك اضطرّ ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم (اي ملكهم) على مال يؤديهِ اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ وتخوفهِ ان يخرج الى الشام فيغلب عليهِ واقتدى في صلحهِ بمعاوية حين شغل بحرب اهل العراق فانهُ صالحهم على ان يؤدي لهم مالاً »

ولما جاء الافرنج الى سورية في الحملات الصليبية انتصر الموارنة لهم حتى ان الملك لويس التاسع ملك فرنسا كتب اليهم من مدينة عكاء يقول ما ترجمتهُ

« لويس ملك فرنسا الى امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة المذكورة

« ان قلبنا امتلأ فرحاً لما رأينا ولدكم سمعان قد اتى مع ٢٥ الفاً حاملاً الينا حاساتكم الحبية ومقدماً لنا الهدايا الوافرة : وبالحقيقة ان محبتنا الخالصة التي ابتدأنا ان نستشعرها نحو الامة المارونية ايام حلولنا في قبرس حيث هم مقيمون قد تضعفت اليوم بزيادة ونحن موقنون ان هذه الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي قسم من الامة الفرنسية لان محبتها للفرنسيين اشبه بمحبة الفرنسيين بعضهم لبعض . وعليهِ فيجب من قبيل العدل ان تتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانبنا وان تقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون : ولذلك فاننا نستحثك ايها الامير الرفيع الشأن ان تسعى كل السعي في ما يعود على اهل لبنان بالسعادة وان تعنى باقامة اشراف من اكثر الناس اهلية لديك كما هو جارٍ في فرنسا . وأنتم ايها السيد البطريرك والسادة الاساقفة وجمهور الاكليروس وعامة

الشعب الماروني واميركم العظيم قد رأينا بكامل السرور تعلقكم الثابت بالدين الكاثوليكي واحترامكم لرئيس الكنيسة خليفة القديس بطرس برومية فنحثكم على المحافظة على هذا الاحترام وان تبقوا على الدوام غير متزعزعين بهذا الايمان

« اما نحن وجميع من يخلفوننا على عرش فرنسا فنعد باننا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيين بعينهم ونسعى في كل وقت في ما يكون آيلاً لسعادتكم » اه

والذي يطالع هذه النبذة وهو لا يعرف لبنان وسكانهُ قد يقوم في نفسهِ ان ليس فيهِ غير الموارنة او لا شأن فيهِ لغيرهم مع اننا اذا حسبنا عدد سكانهِ كلهم ٤٠٠٠٠٠ فالموارنة منهم نحو ٢٤٠٠٠٠ وسائر السكان ١٦٠٠٠٠ ومعلوم ان ثلاثة اثمان السكان ليست مما يغضى عنهُ . وحبذا الزمن الذي نكتب فيهِ تاريخ بلادنا غير ملتفتين الى ما بينهم من الفوارق المذهبية كما لا نلتفت الآن الى ما بينهم من الفوارق الطبيعية في طول القامة ولون البشرة وشكل الانف . ونرجح ان سيادة المؤلف يوافقنا على ان التقسيم المذهبي في لبنان هو الذي حرمهُ من ان يستفيد من قانونهِ الحديث الذي اشتراهُ بدم رجالهِ سنة ستين

كتاب المساكين

مصطفى افندي صادق الرافعي منشئ هذا الكتاب شاعر في نظمهِ وفي نثرهِ يميل الى الخيال ومبالغات الشعراء حتى في ذكر الحقائق . افتتح ديباجة الكتاب بحديث « اللهمَّ احيني مسكيناً وامتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » وقال في فاتحة الكلام على غرضهِ من كتابهِ انهُ كتب « عن الفقر وما هو من باب الفقر لا لمحوهِ ولكن للصبر عليهِ ولا من اجل البحث فيهِ ولكن للعزاء عنهُ » فاثبت في الحديث النبوي انهُ من الحسنات التي تبتغى وتطلب من الله وفي كلامهِ هو انهُ من البلايا التي يحسن الصبر عليها والعزاء عنها . ولقد احسن في قولهِ بُعَيْدَ هذا انهُ ادار « الكلام في كل ذلك على الوجه الذي يراهُ الشاعر في ضحك الطبيعة ورقتها »

وبعدُ فقد جعل مدار كلامهِ على رجل قال ان اسمهُ الشيخ علي وانهُ من قرية منيت جناح من اعمال مركز دسوق احد مراكز مديرية الغربية فوصفهُ ووصف اطوارهُ وصفاً شعريًّا فلسفيًّا وهذا شأنهُ في كل ما وجَّه اليهِ قلمهُ فقد وصف النعم بقولهِ « النعم المنافقة التي يأتي بها المال حين يأتيك بالجاه واصحاب الجاه ومَن يريدك للمالك وجاهك . واعوذ بالله من النفاق ومن نفاق النعمة خاصَّة فبينا هي لك اذا هي عليك وبينا هي متاع اذا هي التياع »

اما النعمة الحقيقية فوصفها بقولهِ « وهل في النعمة خير من الكفاف حاضراً ومن الصحة فارهةً ومن قرّة العين وضحك السن واستطلاق الوجه . وان يكون القلب في حجاب من نور السماء لا تهتك عنهُ رذائل النفس ولا يعلق بهِ غبار الارض ولا يتغشّاهُ ظلام الحياة . ولا يزال هذا القلب في نضرتهِ وصفائهِ كانهُ سعادة مخبوءة في غيب الله لم يخلق بعدُ من خبئت لهُ »

لكن الشيخ الذي وصفهُ او فرضهُ ليس بالمثل الاعلى في بعض ما نسبهُ اليهِ ولا بالاوسط وقد يكون الاسفل فقد قال انهُ « اجهل الناس في الدنيا واجهل الناس بالدنيا كأ نهُ من هذه الجهة مسلوب العقل وانت اذا سطعت لهُ بالجوهرة الكريمة النادرة فلا يعدو ان يراها حصاة جميلة تتألق ».

وختم الكتاب برائية عصماء تغار منها رائية ابي فراس قال فيها

طريدة بؤس ملّ من بؤسها الصبر وطالت على الغبراء ايامها الغبْرُ
وكانت كما شاءت وشاء جمالها كما اشتهت العليا كما وصف الشعرُ
تلألأُ في صدر المكارم درّةً يحيط بها من عقد انسابها درُّ
تقاسمتِ الحسن الالهيّ وانثني يقاسمها فالامر بينهما امرُ
فللشمس منها طلعة الحسن مشرقاً وفيها من الشمس التوقد والجمرُ
وللزهر منها نغمة الحسن عاطراً وفيها ذبول مثلما ذبل الزهرُ
وللظبي منها مقلتاها وجيدها وفيها من الظبي التلفُّت والذعرُ

الى ان قال في وصف هذه الحرب

وما الحرب الاّ ديمة دموية اذا دنست روح الورى فهيَ الطهرُ
وما الحرب الاّ غضبة الله لامست مخازيَ هذا الدهر فانفجر الدهرُ
ففي كل نفس غصة ما تسيغها وفي كل قلب كسرة ما لها جبرُ
وما لوت الاسياف في الارض عروةً من البغض الاّ والرؤوس لها زرُّ
وكم قيل انسانية ومحبة وعلم وتمدين واشباهها الكثْرُ

والكتاب كلهُ على هذا النسق تطالعهُ كأَنك تطالع رسائل المعري او مناظرات الجاحظ او تعاليم سقراط او حكم كنفوشيوس . فيحسن ان يكون كتاب مطالعة في كل المدارس حيث يبتغى فصيح اللغة والتمرّس بالانشاء البليغ

امثال الشرق والغرب

كتاب جمع ما دار على السنة الفلاسفة الحكماء من مشاهير الشرقيين والغربيين الفهُ حضرة يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب في القاهرة وجمع فيهِ كثيراً من اقوال الحكماء في كل عصر وما جرى من تلك الاقوال مجرى الامثال في كل موضوع كالعلم والفضل والعمل والكسل والصبر والضيق والمعروف والاحسان والكرم والبخل الى غير ذلك . وهاك ما جاء فيهِ تحت «كتمان السر» :

قال علي بن أبي طالب : سرك اسيرك فاذا تكلمت بهِ صرت اسيرهُ

وقال الشاعر

اسيرك سرك ان صنتهُ وانت اسير لهُ ان ظهر

وقال آخر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسهِ فصدر الذي يستودع السر اضيقُ

وقال سليمان الحكيم : من يحفظ فمهُ ولسانه يحفظ من الضيقات نفسهُ

وقال عمر بن الخطاب : من كتم سرهُ كان الخيار في يدهِ

وقال بولانو : اذا كشفت سرك لثلاثة عرفهُ عشرة

وقال الشاعر

كل علم ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع

ومن امثال الانكليز : من بحت لهُ بسرك صرت لهُ اسيراً

ومن امثال اليابانيين : لا تبح باسرارك لخادمك

وقال شكسبير : اذا كنا في نعمة فهي لا تدوم الاَّ اذا كتمناها

وقال عمرو بن العاص : اذا افشيت سري الى صديقي كان اللوم عليَّ لا عليهِ لاني انا كنت اولى بصيانتهِ منهُ

وقيل ايضاً : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها

وقال حكيم : كما انهُ لا خير في آنية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في صدر لا يكتم سرهُ . وقالت العرب : اضعف الناس من ضعف عن كتمان سرهِ

وقالوا : حفظك لسرك اوجب من حفظ غيرك لهُ

وقالوا ايضاً : من كتم سرهُ بلغ مرادهُ

اوزان الشعر العربي

The Metres of Arabic Poetry.
By W. H. T. Gairdner.

رسالة انكليزية صغيرة في اوزان الشعر العربي وضعها جناب القانون جردنر اللاهوتي والعالم المستشرق لكي يسهل على ابناء اللغة الانكليزية فهم علم العروض ففسر كل كلماته الاصطلاحية كبحر وصدر وعجز وضرب وقافية وتفعيل وتقطيع وخبن وطي وقبض. ولم يكتفِ بذلك بل وضع لبعضها اشارات فرمز الى السبب الخفيف بخط افقي والى السبب الثقيل بقوسين والى الوتد المجموع بخط وقوس والى الوتد المفروق بقوس فخط والى الفاصلة الصغرى بخط فقوسين والى الفاصلة الكبرى بخطين ومن ثم سهل عليهِ ابدال كل التفاعيل بهذه الرموز. ومثَّل على بعض الابحر بابيات بعضها قديم وبعضها من نظمهِ او من نظم سليم افندي عبد الاحد. ومن الابيات التي نظمها المؤلف قولهُ

تذكرت ساعات الليالي التي فيها هجست لنفسي في سكون لياليها
وكم من هزيع مظلم قد سهرتهُ تحادث نفسي نفسها وتناجيها
تراجع لوحاً لا يمس ولا يرى ولكن بهِ خطَّت تواريخ ماضيها

وقولهُ للمستشرق الشهير غولدزهر وزوجتهِ ولعلهُ في رثائهما

وصاحبين هما بالطبع كاسمهما مَن صاغ صوغهما سماهما ذهبا
بل صاحبين وكانا في حضورهما نوري ومذ ذهبا فالنور قد ذهبا
نزلت بيتهما من سفرة تعبًا فاظهرا كرمًا لي يخجلُ العربا
كانهُ ابن يعود البيت رحَّب بي وانني فيهما امًّا ارى وابا
وكم وكم ليلة لما رأيت سنا مصباحهِ في الدجى يممتهُ طلبا
والدار كم جئتُ استجلي معارفها والآن قد اظلمت والنور قد هربا

وصدر البيت الرابع مرتبك ولعل اصلهُ «كانني» ابن يعود البيت رحَّب بي. ورجل اجنبي ينظم الشعر العربي على هذا النمط لحقيق ان يعد بين الشعراء النابغين

الدليل المصري لسنة ١٩١٧

كان هذا الدليل يطبع بالفرنسوية فقط وقد طبع الآن بالعربية في كتاب كبير فيهِ الف صفحة حافلة بالفوائد الكثيرة عن البيت السلطاني وتاريخ مصر من اول عهدها الى

آخر سنة ١٩١٦ وقوانين الحكومة المصرية ودواوينها وموظفيها وحال الزراعة والصناعة في القطر المصري والآثار المصرية وكل ما يتعلق بالتعليم وما اشبه مما يطول شرحهُ . ويلي ذلك الحرَف والصناعات في العاصمة واسماء المشتغلين بها مرتبة على حروف المعجم كالمحامين والخبراء والاطباء والمهندسين والخياطين والختامين والسباكين والخبازين والتجار على تنوع اشغالهم

ويشمل الدليل كل محافظات القطر ومديرياتهِ وبلاد السودان ايضاً فقلما يكون موظف من موظفي الحكومة او وجيه من وجهاء القطر او صانع او تاجر ولا تجد اسمهُ فيهِ

صحيفة مدرسة التجارة المتوسطة

كنا نسمع ان المتخرجين في مدارس التجارة قلما يجدون عملاً يعملون بهِ لكننا رأينا في هذه الصحيفة ما ينفي ذلك فقد ذكرت اسماء التلامذة الذين تعلموا فيها والاعمال التي دعوا اليها والشهادات التي شهدها فيهم مستخدموهم وهي حسنة جدًّا تشهد لهم بالاستقامة والجد والاجتهاد واجادة الاعمال . بعضها بالعربية وبعضها بالانكليزية او الفرنسوية حسب المحل الذي يكون فيهِ المتخرج

وفي هذه الصحيفة عدا ذلك مقالات كبيرة الفائدة في اهم المواضيع الاقتصادية كتثمير الاموال وانماء الثروة والصناعة المصرية والبورصة وبعض عملياتها والقوة المائية وطرق الاعلان والتربية والتعليم والمنافسة . ويلي ذلك اسماء خريجي سنة ١٩١٥ والاماكن التي توظفوا فيها وهم ٦٣ وخريجي سنة ١٩١٦ والاماكن التي توظفوا فيها وهم ٦٨

تاريخ الاتراك العثمانيين

نقلهُ عن الانكليزية حضرة الاديب حسين افندي لبيب المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وصف فيهِ الادارة العثمانية الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ووصف استانبول والسراي السلطانية القديمة وبحث في آداب اللغة التركية وخصّ فصلاً بالرجل المريض وهو لقب تركيا عند اهل السياسة وفصلاً بالانقلاب العثماني . وختمهُ بمختارات من الخطاب الذي رفعهُ المرحوم مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز . واعتمد في النقل على تاريخ تركيا لستانلي لين پول وتاريخ الشعر العثماني للاستاذ جب ودائرة المعارف البريطانية وجريدة التيمس . ومعهُ خريطة تاريخية للاملاك العثمانية في غرة القرن التاسع عشر

Alexandria :
How to see it.

هذا اسم دليل لمدينة الاسكندرية اصدرهُ حضرة الخواجه اسكندر خوري وزينهُ بخارطة واحدى وعشرين صورة. وفيهِ كلام عن تاريخ الاسكندرية قديمًا وحديثًا وآثارها القديمة والحديثة ومكتبة البلدية ومصلحة البوستة وكنائسها وانديتها وسائر ما يتعلق بها

الفروق
او خلاصة القانون اصولاً وفروقًا

كتاب من قلم حضرة الاديب مراد بك فرج المحامي قال مبينًا الغرض من تأليفهِ:
«وبعدُ فقد اتجه فكري الى اصول المسائل القانونية ابحث فيها وفيما يكون لها من الاقسام ثم فيما يكون لتقسيمها من الفروق والمزايا بين بعضها وبعض الى ان توفر لديّ ما توفر مما صلح ان يكون كتابًا يطبع ليفيد. وقد ساقني العمل الى البحث ايضًا في المتشابهات من الامور وبيان ما بين بعضها وبعض من اوجه الشبه كما اني وضعت كثيراً من التعريفات لكثير من الاشياء بقدر ما رأيت من اللزوم واوردت ما اوردت من احكام القضاء فرنسية ومختلطة واهلية تعزيزاً للشيء بقدر الحاجة والامكان. فالقارئ يقف على كثير من صغير موجز مقرب للبعيد جامع للشتات مفرق بين المتشابهات مميز بين المتنوعات»

العلاج الجراحي
الجزء الرابع

اشرنا فيما مضى الى الاجزاء الاولى التي صدرت من هذا الكتاب النفيس وهو من تأليف الدكتورين وليم روز والبرت كارلس وقد عرّبهُ الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب. ويتناول هذا الجزء الامراض الجراحية في الجلد وآفات العضلات والاوتار والاكياس الزلالية والتشوهات والعيوب وآفات العظام

والمترجم من الذين تفضلوا على العربية بنقل كثير من الكتب الطبية الحديثة اليها

رواية الحاكم بامر الله

هي رواية عربية حدثت وقائعها في مصر في اوائل القرن الرابع للهجرة في عهد الفاطميين الفها حضرة الاديب ابراهيم افندي رمزي المترجم الفني في وزارة الزراعة وقد مثلت في الاوبرا السلطانية وطبعت حديثًا

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · و يشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) تعلم موسى الكليم

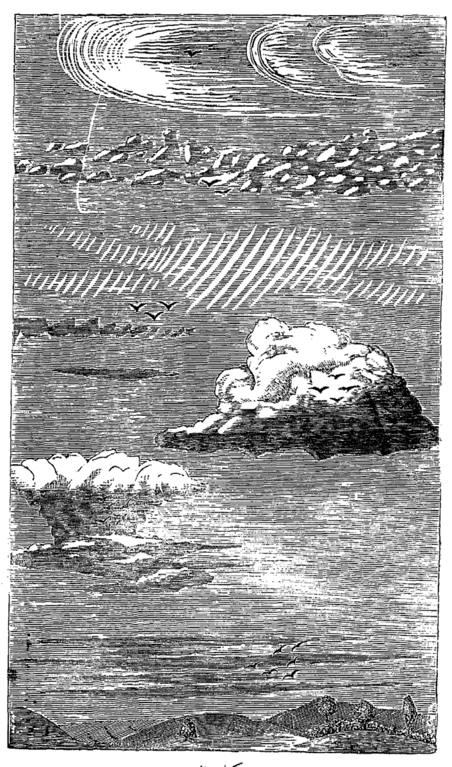
مصر · امين افندي شحاته · قرأت مرةً في كتاب او مجلة ان المصريين القدماء كانوا يعقدون امتحانات عديدة مختلفة للذين يريدون الالتحاق بسلك الكهنوت وان سيدنا موسى عليهِ السلام امتُحن معهم في تلك الامتحانات ولكنهُ لم ينجح في بعضها · ويقال انهُ من ذلك الوقت قام بالعداء للمصريين · فهل لحضراتكم ان تدلوني على هذا الكتاب او تشرحوا لي هذه المسألة

ج · ان ما ذكر عن موسى الكليم في التوراة اي في العهد القديم والعهد الجديد لا اشارة فيهِ الى هذه القصة · وانما يقال في سفر اعمال الرسل ان موسى تهذب بكل حكمة المصريين · اما كتب اليهود الاخرى كتاريخ فيلون وتاريخ يوسيفوس وردهُ على ابيون وكتاب الترجوم في تفسير سفر الخروج ففيها كلها كلام كثير عن موسى ولكنها كلها كتبت بعد عهدهِ بمئات من السنين ونحن قلما نثق بصحة خبر يكتب بعد حدوث حادثتهِ بشهرين

(٢) مسائل كالاحاجي

الاسكندرية · احمد افندي بهاء الدين الراكشي · وجدت في مجموعة الاسئلة الحديثة في الحساب فكاهات تعسَّر عليَّ حلها مثل قولهِ المطلوب طرح ٤٥ من ٤٥ بحيث يكون الباقي ٤٥ وقولهِ المطلوب ايجاد العدد ١٠٠ من ست تسعات · وقولهِ المطلوب طرح وجمع الاعداد من ١ الى ٩ بحيث يكون الناتج ١٠٠ على شرط الاَّ نستعمل الرقم الاَّ مرة واحدة

ج · اسألوا واضع هذه الاسئلة عن مرادهِ بها · ولا ندري لماذا يضاع وقت التلميذ في احاجي مثل هذه ولعلك لو سألت التلميذ الذي يحلها عن كم اردب من الفول يجب ان يشتري ابوهُ لمؤُونة سبعة ثيران في سبعة اشهر اذا علق للثور منها اربعة اقداح من الفول المدشوش يوم العمل وقدحين يوم البطالة وكان يبطل العمل يوماً من كل سبعة ايام لعجز عن معرفة الجواب مع انهُ ضروري لكل فلاح



اشكال الغيم

مقتطف يوليو ١٩١٧
امام الصفحة ٩٣

(٣) اشكال الغيوم

الجرابيع · الياس افندي جرجس · لماذا نرى الغيوم على اشكال مختلفة وذات صور هندسية جميلة

ج · الغيوم مؤلفة من ذرات صغيرة من بخار الماء طافية في الهواء وتختلف اشكالها باختلاف مقدارها ولطافتها وكثافتها واختلاف مجاري الرياح التي تصل اليها · والمقدار يتغير كثيراً حسب البلاد وما فيها من مجاميع المياه واختلاف التبخّر باختلاف الحر · واللطافة والكثافة تختلفان باختلاف الحر والبرد ايضاً والارتفاع الذي تبلغ الغيوم اليهِ · ومجاري الرياح تختلف حسب طبيعة البلدان وساعات النهار واختلاف الحر والبرد · ولما كانت هذه العوامل كثيرة جدًّا متباينة فنتائجها مختلفة ولذلك تختلف الغيوم بحسبها ولا تجد غيمتين متماثلتين تماماً في كل شيءٍ ومع ذلك يسهل قسمة كل اشكال الغيم الى ستة اشكال ثلاثة منها اصلية وثلاثة فرعية او مركبة من الاشكال الاصلية كما ترون في الصورة المقابلة · فالشكل الاول يسمَّى عند العلماءِ باسم سرُّس ولعلهُ المسمَّى في العربيَّة باسم طخرور وهو خيوط طويلة دقيقة يكون ارفع سائر الغيوم وتراهُ في الصورة وفيهِ صورة طائر واحد وهو مؤلف من ابر جليد عائمة في الهواءِ على ما يظن كما قرأتم في سياحة ذرة الماء في الجزء الماضي من المقتطف · والثاني الكومولوس (الركام) وهذا يتكون في النهار ويزول في الليل ولذلك يسمونهُ غيم النهار وكثيراً ما يظهر معترضاً في نواحي الجو كأَنهُ جبال شامخة وهو اوطأ من السرُّس واكثف منهُ وفيهِ اربعة طيور في الصورة · والثالث الستراتس (الصفيحة) ويسمَّى غيم الليل لانهُ يظهر مساءً وينقشع صباحاً في الغالب وهو اوطأ الغيوم وينزل احياناً الى سطح الارض ويكون منبسطاً في الجو صفائح ومن ذلك اسمهُ وفيهِ ستة اطيار في الصورة

والفرعية او المركبة ثلاثة ايضاً اولها السرس كومولوس (لعلهُ الانمر) وهو قطع غيوم مستديرة بعضها متدانٍ من بعض ويشبه جزات الصوف في المنظر وفيهِ في الصورة طائران · وثانيها السرستراس وهو الغيوم الريشية والظاهر انهُ يتركب من ترتيب الياف السرُّس في طبقات متوازية وفيهِ ثلاثة اطيار في الصورة · وثالثها الكومولستراتس وهو الغيوم الراعدة ويظهر جليًّا عند حدوث الرعد وفيهِ خمسة اطيار في الصورة وقد يطلق عليهِ اسم النبوس

(٤) اختلاف ضوء القمر

ومنهُ · لماذا نرى ضوء القمر يختلف في الفصول الاربعة

ج · اذا كان المراد لماذا نرى القمر هلالاً مرةً ثم يتسع السطح المنير منهُ الى ان

يتكامل بعد نحو اربعة عشر يوماً ويصير بدراً فالجواب ان القمر يدور حول الارض دورة كاملة كل شهر قمري ونوره مستمد من نور الشمس ووجه واحد من وجهيهِ يتجه الى الارض دائماً اي اننا نرى نصفهُ المواجه لنا ولا نرى النصف الآخر مطلقاً فاذا ظهر في الافق الشرقي قبيل غياب الشمس نراهُ بدراً اي نرى الوجه الواقع عليهِ نور الشمس كلهُ . ولكن اذا كان القمر في سمت الراس عند مغيب الشمس فوجههُ الواقع عليهِ نور الشمس يكون متجهاً الى الغرب فيظهر لنا نصفهُ الاسفل فقط اي نرى ربع القمر منيراً . واذا كان القمر فوق الافق الغربي حين مغيب الشمس فلا نرى وجههُ المنير او نرى منهُ حرفاً صغيراً وهو الهلال . ويسهل عليكم اثبات ذلك بهذا الامتحان خذوا برتقالة وانزعوا نصف قشرتها فيصير نصفها ابيض وهو الذي نزع قشره ويبقى النصف الآخر اخضر او برتقالي حسب نضج البرتقالة والتفتوا الى الجهة الشرقية وامسكوا البرتقالة امام عينكم على طول يدكم ووجهوا نصفها المقشور الى الغرب وافرضوا ان الشمس هناك وقد وقعت اشعتها على البرتقالة فانكم ترون كل الوجه الابيض فتكون بمثابة القمر وهو بدر ثم مدوا يدكم بالبرتقالة الى فوق رأسكم موجهين وجهها الابيض الى الغرب وانظروا فترون نصف هذا الوجه . ثم مدوا بها يدكم الى الغرب ووجهها المقشور الى الغرب فلا ترون منها الاَّ الوجه غير المقشور ولكن اذا افرض ان الشمس انخفضت قليلاً عن الافق ظهر لكم طرف نصفها الابيض فرأيتموهُ كالهلال . ويسهل تصور بقية اوجه القمر في الشهر القمري لانها بين الهلال والبدر وبين البدر والهلال التالي . ويبقى البدر بدراً الليل كلهُ لان الارض تدور بنا الليل كلهُ والقمر مواجه لنا ولا يختلف موقعهُ من ليلة الى اخرى الاَّ قليلاً بدورانهِ حول الارض . وما يقال عن البدر يقال عن الهلال وغيرهِ من اوجه القمر

(٥) ماء النيل وماء الطلمبات

ومنهُ . اي الماءين افيد للصحة ماء النيل او ماء الطلمبات وما السبب في ان الطعام الذي يطبخ بماء الطلمبات لا ينضج حالاً ولا سيما اذا كان من البقول

ج . ماء النيل جيد جدًّا اذا ترشح وخلا من الشوائب ولا سيما اذا اخذ من مكان بعيد عن منازل السكان . وماء الطلمبات جيد ايضاً اذا لم يكن عميقاً كثير الاملاح . اما الماء الذي لا ينضج فيهِ الطعام المطبوخ فيكون فيهِ بعض المواد الكيماوية ومعالجتهُ لازالة هذه الخاصة منهُ صعبة والاسهل ابدالهُ بماء مرشح من النيل او من ترعة كبيرة جارية

(٦) احمرار الشمس قرب الافق

ومنهُ . لماذا تحمر الشمس عند غروبها وشروقها وهل للجبال والرمال تأثير في ذلك

ج · حينما تكون الشمس عند الافق الشرقي او الغربي تصل اشعة نورها الينا بعد ان تمر في طبقة من الهواء اسمك من الطبقة التي تمر فيها حينما تكون في سمت الراس · والبخار الذي في الهواء والغبار الذي فيهِ يمتصان كثيراً من اشعة الشمس ويبقى منها الاشعة الحمراء فتظهر بها الشمس حمراء ولكن اذا كان الهواء قليل البخار والغبار كما في الصباح فلا يمتص كثيراً من اشعة الشمس فلا تظهر حينئذٍ حمراء او شديدة الاحمرار · والجبال والرمال تؤَثر في ان الجبال تواري الشمس عند اول اشراقها فلا تظهر الأ بعد ما ترتفع عن الافق فتظهر حينئذٍ مشرقة لانها تكون قد ارتفعت عن الافق والرمال تكون منبسطة فتظهر الشمس فوقها عند شروقها وغروبها قريبة من الافق فيحمر لونها بامتصاص اشعتها كما تقدم فتأثيرهما في ان الجبال تحجب الشمس وهي عند الافق والرمال لا تحجبها

(٧) العقاقير الطبية

ومنهُ · هل صحيح ان المواد الطبية تستخرج من النباتات والحشائش وان كان الامر كذلك فلماذا خصت بها البلاد الاجنبية

ج ·كان اكثرها يستخرج من النباتات والحشائش اما الآن فصار الكثير منهـا يستخرج من غيرها · والبلدان التي تكثر فيها الجبال والسهول والاودية ويقع فيها المطر وتتغير الفصول تكثر نباتاتها وتتنوع فلا عجب اذا وجد فيهـا اكثر الحشائش الطبية واما البلاد التي هي سهل فسيح يروى بماء نهر كالقطر المصري فقلما يعيش فيهِ غير ما يزرع زرعًا وقلما يهتم الناس بزرع النباتات الطبية لان مقطوعيتها قليلة بل يهتمون بزرع ما كانت مقطوعيتهُ كثيرة كالقمح والذرة والقطن · ومع ذلك لا يخلو القطر المصري من بعض النباتات الطبية الرائجة كالحنظل والسقمونيا

(٨) الختان الملائكي

ومنهُ · ما قولكم في الختان الملائكي فان لي صديقًا اخبرني بان لهُ ابنًا ختن صباح احد الايام فكيف تعللون ذلك

ج · قد يولد بعض الاطفال والجلدة قصيرة جدًّا كانهم مختونون فيزعم اهلهم ان الملائكة ختنتهم

(٩) معنى داماد

ملوي · زكي افندي ناشد سركيس ·
ما معنى كلمة داماد التي تذكر احيانًا قبل اسماء بعض الباشوات الاتراك

ج · معناها الصهر اي الذي يتزوج ابنة السلطان او اختهُ

(١٠) حرب الوردتين

ومنهُ · لماذا سميت الحرب التي قامت بين احفاد الملك ادوارد الثالث ملك انكلترا بحرب الوردتين

ج · لان اشياع دوق لنكستر كان

شعارهم وردة حمراء واشياع دوق يورك كان شعارهم وردة بيضاء وكانت الحرب بينهم

(١١) التوريث عند الانكليز

بني سويف. الخواجه نصري حبيب. نرجو افادتنا عن حقيقة التوريث عند الانكليز فيما يختص بالولد الاكبر هل هو الوريث الوحيد لما يخلّفهُ والدهُ من المال والعقار دون اخوتهِ كما يقول البعض ام لهُ حق الاختصاص بالالقاب فقط وعليهِ ان يقتسم المال مع اخوتهِ واخواتهِ

ج. اكبر الابناء هو الوريث الوحيد لعقار المورّث اذا لم يوص بغير ذلك وهو يحجب اخوتهُ واخواتهِ واذا توفي قبل وفاة مورثهِ فابنهُ الاكبر يحجب عمومهُ وعماتهِ واما المنقولات فتقسم بين الورثة على اسلوب خاص. والغالب ان الانكليز يوصون قبل موتهم ويعدّلون وصيتهم من وقت الى آخر فيرث الورثة او الموصَى لهم بموجبها

(١٢) الخمر والتبغ

مصر. عبد الحليم افندي الياس نصير. كيف يقال ان شرب الخمر والتدخين مضران ونحن نرى الاوربيين الذين فاقونا تمدينًا يدمنونهما فهل تختلف فوائد الشيء حسب الجو كما يُزعم

ج. لا شبهة في ان شرب المسكرات وتدخين التبغ مضران ولو اختلف مقدار الضرر باختلاف الاشخاص فقد يكون قليلاً في البعض لا يشعر بهِ وقد يكون كثيراً في البعض الآخر. وتفوُّق الاوربيين علينا في التمدن لا ينفي ضرر السكر والتدخين لان للتمدُّن اسباباً ومقومات كثيرة فاذا انتقض واحد منها لا تنتقض كلها. والميل الى المسكرات اشد في البلاد الحارة منهُ في الباردة

(١٣) آثار الوحام

ومنهُ. يقال ان الحامل اذا توحمت اي اذا اشتهت شيئًا ولم تنلهُ ظهرت في طفلها علامة يقرب شكلها من شكل الشيء الذي اشتهتهُ ولم تنلهُ فهل ذلك صحيح وما سببهُ

ج. قلما يخلو جسم انسان من آثار مثل هذه من انواع الشامات والخيلان وما اشبه. وبعد الولادة يعللها الامهات وصواحبهنَّ التعليل الذي ذكرتموهُ. ولا يصعب على المرء ان يرى شامة كبيرة فيقول انها تشبه حبة عنب اسود او حبة بن وان يرى مشيجة حمراء طولها عشرة سنتمترات مثلاً وعرضها ثلاثة فيقول انها تشبه سمكة او حزة بطيخ فتقول لهُ الوالدة انها اشتهت ذلك الشيء وهي تتوحم ولم تنلهُ لاسيما وان هذا الاعتقاد شائع عندنا

(١٤) طعام ينصهُ الجسم كلهُ

ومنهُ. هل فكّروا في اختراع طعام يستهلك كلهُ في الجسم ولا يفرز منهُ شيء وهل ذلك ممكن

ج . بلغنا قبلما رأينا سوءالكم ان احد معارفنا بقي مرة نحو شهر من الزمان لا يتغوط كأن جسمهُ كان يمتص كل الطعام الذي يأكلهُ والظاهر ان طعامهُ كان قليلاً ان كانت روايتهُ صادقة لا فضول فيهِ تفرزهُ الطبيعة . لكن عملية الهضم تستلزم ان يكون حجم الطعام كبيراً اكبر ممَّا فيهِ من الغذاء حتى يسهل على المعدة ان تهضمهُ وتتناول الغذاء منهُ ولهذا السبب نطعم الدواب تبناً كثيراً مع الشعير او الفول مع قلة الغذاء في التبن لكي يكون حجم المأكول كبيراً . وقد فكَّر البعض في تركيب غذاء لا يفرز منهُ شيء وذكر فلامريون طعاماً مثل هذا في احدى رواياتهِ العلمية ولكن تحول دون النجاح في ذلك مصاعب جمة كيماوية وفسيولوجية لا نرى التغلُّب عليها ممكناً حسب ما وصل اليهِ العلم حتى الآن



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٤	١١	٤٠	مساءً
الربع الاخير	١١	٣	١٢	»
الهلال	١٩	٥	٠٠	صباحاً
الربع الاول	٢٧	٨	٤٠	»
القمر في الحضيض	٦	٥	٣٦	مساءً
» » الاوج	٢٢	٧	٣٦	»

السيارات

عطارد — يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم يصير كوكب مساءٍ في آخرهِ

الزهرة — تكون كوكب مساءٍ

المريخ والمشتري — يكونان كوكبي صباح

زحل — يكون كوكب مساءٍ في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخرهِ

احصاءُ سكان مصر

ظهر من تعداد سكان القطر المصري الذي تمَّ في ٦ مارس الماضي ان سكان القاهرة بلغوا ٧٨٥٠٠٠ وكانوا ٦٤٦٠٠٠ في احصاء سنة ١٩٠٧ فالزيادة ١٢,٥ في المئة . وسكان الاسكندرية ٤٣٥٠٠٠ يقابلها ٣٥٢٠٠٠ سنة ١٩٠٧ فالزيادة ٢٣,٦ في المئة

وهاك نتيجة الاحصاء في المحافظات والمديريات بالالوف

	١٩١٧	١٩٠٧
القنال	٩٠	٦١
السويس	٣٤	١٨
دمياط	٣١	٥١
البحيرة	٨٨٤	٧٧٥
الشرقية	٩٤٧	٨٨٠
الدقهلية	٩٧٧	٨٦١
الغربية	١٦٤٩	١٤٨٥
القليوبية	٥٢٧	٤٣٥
اسيوط	٩٦٩	٨٧٧
اسوان	٢٥١	٢٣٣
بني سويف	٤٤٩	٣٧٢
الفيوم	٥٠٧	٤٤٢
جرجا	٨٥٤	٧٩٣
الجيزة	٥٢٣	٤٦٨
قنا	٨٣٩	٧٧١
المنيا	٧٥٧	٦٥٣
المجموع	١٢٥٦٦	١١١٤٣

اي ان سكان القطر كانوا ١١١٤٣٠٠٠ سنة ١٩٠٧ فزادوا في عشر سنوات الى ١٢٥٦٦٠٠٠ فالزيادة نحو ١٢ في المئة ما عدا محافظة دمياط فان سكانها نقصوا

وهذه الارقام لا تشمل البدو ولا سكان مديرية الحدود الغربية ولا الاهالي في مناطق الحرب · وسينشر تعداد هؤُلاء فيما بعد فيزيد بها المجموع العام زيادة تذكر

ويؤْخذ من هذا الاحصاء ان الزيادة النسبية في عدد سكان المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية وبورت سعيد اعظم منها في المديريات مما يدلُّ على تحوُّل الناس من سكن القرى الى سكن المدن

وان عدد السكان زاد في الجهات التي وسع فيها نطاق الري في العشر السنوات الماضية

جمجمة بلتدون وغيرها

اشتهر عند علماء الجيولوجيا والانثروبولوجيا اسم هذه الجمجمة وهي جمجمة اكتشفها تشارلس دوصن العالم الانكليزي المشهور في مكان من انكلترا اسمهُ بلتدون فعرفت بالانتساب اليهِ · وقد اشرنا اليها في بعض اعداد المقتطف غير مرة · واغرب شيء فيها ان قحفها مستدير كأَنهُ قحف راس انسان من اهل هذا العصر ولكن الفك الاسفل كبير الاسنان وخالٍ من بروز الذقن كانهُ فك قرد من نوع الشمبانزي · وقد قال بعض العلماء ان هذا الفك ليس لتلك الجمجمة ولو وجد على مقربة منها وانهُ فك قرد من نوع الشمبانزي · وبالامس ارسل الدكتور ودورد رسالة الى الجمعية الجيولوجية في لندن ذكر فيها ان تشارلس دوصن مكتشف جمجمة بلتدون وجد في شتاء سنة ١٩١٥

قبل وفاته عظمين من عظام جمجمة وضرساً في حقل محروث يبعد ميلاً عن المكان الذي وجدت فيه جمجمة بلتدون . ومن رأيه ان احد العظمين والضرس هما من جمجمة النوع الذي تنتمي اليه جمجمة بلتدون والذي سمي Eoanthropus dawsoni نسبة الى مكتشفه ولكنهُ لا يعلم هل هما لجمجمة واحدة ام لا

وعلى ذكر الجماجم نقول ان فلاحاً بويريًا اكتشف سنة ١٩١٣ جمجمة في الترنسقال يعدها العلماء اشهر الجماجم البشرية بعد جمجمة بلتدون وجدها في ارض لهُ فنقلت الى متحف الآثار هناك . ويقول عالم اميركي تولى فحصها انها تمثل نوعاً من الانسان لم يعرف قبل الآن واقترح تسمية هذا النوع Homo capensis وعندهُ ان هذا النوع وسط بين الانسان الذي تمثلهُ جمجمة بلتدون وهو الملقب « بانسان الفجر » لانهُ سابق لسائر الانواع وبين الانسان الاول الذي تسلسل منهُ زنوج افريقية

وهذه الجمجمة التي اكتشفت في الترنسفال عظيمة الطول ثخينة العظم هائلة الانساع بالنسبة الى الجماجم الاخرى

مواسم الاثمار

المعروف في الشام مثلاً ان شجر الزيتون يحمل سنة ولا يحمل في التالية او اذا كان حملهُ هذه السنة كثيراً يكون في السنة التالية قليلاً على درجات مختلفة حتى لترى من الشجر ما لا يحمل زيتونة واحدة . والسبب معلوم وان جهلهُ الاكثرون وهو انهم في اوان القطاف ينهالون على الاشجار ضرباً بالعصي الطويلة فتسقط ثمارها وتسقط معها رؤوس الاغصان فتقضي الاشجار سنة في تربية رؤوس اخرى وفي السنة التالية تحمل حملها المعتاد

والظاهر ان البستانيين في انكلترا يزعمون ان اشجارهم تحمل في سنة حملاً كثيراً وفي الاخرى حملاً قليلاً وان هذا في طبع الشجر لا عارض طارئ عليها . ولكن ظهر من تجارب بعض العلماء الذين انتدبوا لتحقيق هذا الزعم وبيان مكانهِ من الصحة ان ليس في طبع الشجر شيءٌ من ذلك وان حملها يختلف باختلاف الهواء من حرٍ وبرد على ما يرجح . فاذا اشتد الزمهرير ونزل الصقيع في الربيع اضرَّ ذلك بالبراعم فخفَّ حمل الاشجار والاَّ اقبلت المواسم

مكتبة عالم

توفي العالم منستربرج استاذ العلوم العقلية في جامعة هارفرد باميركا وترك مكتبة فيها ١٠ آلاف مجلد فاشتراها بعض اصدقائهِ والمعجبين بعلمهِ وفضلهِ واهدوها الى تلك الجامعة

رحلة قطبية

كان امندسن الرحالة النروجي الذي اشتهر بارتياد الاصقاع القطبية غير مرة ثمّ بالوصول الى القطب الجنوبي اخيراً قد عقد العزم قبل اكتشاف هــذا القطب على اكتشاف القطب الشمالي ثم عدل عن ذلك سنة ١٩١٠ لاسباب شتى وسافر الى القطب الجنوبي فاكتشفهُ وسبقهُ بيري الاميركي الى القطب الشمالي · والظاهر انهُ اراد ان يسلّي نفسهُ عن هذا السبق باعداد حملة الى القطب الشمالي ليكون ثانياً ولولم يستطع ان يكون اول · فقد جاءت الانباء بانهُ يستعد للسفر الى القطب الشمالي بطريق بوغاز بيرين وبحر بوفور حاذياً بذلك حذو الرحالة ننسن قبلهُ وغرضهُ من ذلك التنقيب العلمي في اقليم القطب وطبيعة ارضهِ وسمائهِ ومائهِ وحيوانهِ ونباتهِ · وسيستصحب معهُ بضع طيارات للانتفاع بعملها تسهيلاً عليهِ · وقد منحهُ مجلس نواب نروج ١١ الف جنيه للانفاق على حملتهِ وكانت الجمعية الجغرافية الاميركية قد وعدتهُ باربعة آلاف جنيه تعطيهِ اياها متى عقد العزم على رحلتهِ

نور عجيب

ذكر الفلكيون الانكليز والفرنسويون ان ليل ٢٣ — ٢٤ ديسمبر الماضي بدلاً من ان يكون احلك الليالي لقربهِ من نقطة الانقلاب الشتوي ولان القمر في المحاق—كان ليلاً منيراً كأَن القمر فيهِ ابن سبع ليالٍ او ثمانٍ حتى استطاع بعضهم ان يقرأ بنورهِ كلاماً من بنط ١٨ وكانت الجبال والتلال ترى فيهِ معترضة الافق كانما ترى بنور الفجر · وفي انكلترا تعذرت عليهم رؤية الكواكب الضعيفة النور والمجرَّة كما يحدث في الليالي المقمرة · وقد اختلفوا في تعليل هذا النور وهل هو حادث عن الشفق القطبي ام لا

جامعة كمبردج

انشأَت جامعة كمبردج شهادتين جديدتين تمنحهما للباحثين في الآداب والعلوم وقالت ان الغرض منهما ترغيب الطلبة في الاقامة بالجامعة سنة او سنتين بعد اخذهم شهادتها العادية للبحث والتنقيب في الموضوعات العلمية والادبية المختلفة . وقدسمت نائل شهادة الآداب Master of Letters. ونائل شهادة العلوم Master of Science. واعلنت انها تقبل في هــذين الفرعين الجديدين خريجي الجامعات الاخرى

كذلك انشأَت فرعاً جديداً سمتهُ معهد الآلات الزراعيــــة Institute of Agricultural Mechanism. والغرض منهُ درس الآلات الزراعية قصد اصلاحها وتحسينها

راعوث هولدن النباتية

هي فتاة اميركية من المشتغلات بعلم النبات البارعات فيهِ ولدت سنة ١٨٩٠ واتمّت دروسها في جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ وعكفت على البحث في نباتات العصور الجيولوجية من الفصيلة الصنوبرية ولكن لما نشبت الحرب تركت علم النبات وانقطعت لتمريض المرضى والجرحى ومضت الى روسيا في شهر دسمبر الماضي لهذه الغاية ورافقت الجيوش الروسية فاصيبت بالحمى التيفوئيدية ولم تكد تشفى منها حتى اصيبت بالالتهاب السحائي وتوفيت بهِ في مدينة موسكو في ٢١ ابريل الماضي· وكانت قد نشرت مقالات كثيرة في وصف النباتات القديمة في اميركا وانكلترا· وامتازت بزكانتها ودقة نظرها واستخفافها بالمخاطر وتغلّبها على المصاعب

النقل في الهواء

تألفت لجنة في بلاد الانكليز لاجل البحث في امر النقل والانتقال في الهواء بواسطة الطيارات والبلونات رئيسها لورد نورثكلف صاحب التيمس والدېلي مايل ومن اعضائها دوق اثول ولورد مونتاغي ولورد سدنهام والجنرال روك وارل دروغيدا والسر توماس مكنزي والجنرال برنكر وغيرهم

تهوية التربة

ظهر من مباحث عالمين انكليزيين أن مسئلة تهوية التربة اعظم شأناً في عالم الزراعة مما كان يظنُّ قبلاً وان النباتات المختلفة على اختلاف في حاجتها الى الاكسجين لتهوية جذورها فنبات الدفلى يحتاج الى اكسجين قليل والصفصاف الذي ينمو في المستنقعات تعيش جذورهُ وتنمو بلا اكسجين مدة شهرين ونصف من غير ان تتأثر بذلك· ومن النبات مالا يعيش بلا اكسجين ولو قليلاً

ينابيع الماء العذب في البحر الملح

على سواحل فرنسا ينبوع ماء عذب ينبع من عمق ٥٠ قدماً تحت البحر الى سطحهِ فيستقي منهُ الصيادون· ومن اشهر هذه الينابيع الينبوع التابع لجزيرة المحرّق من جزر البحرين في خليج فارس فان اهل الجزيرة ومعظمهم من غواصي اللؤلؤ يستقون منهُ ولكن ماءهُ لا يصل الى سطح البحر فيضطرون ان يغوصوا بقربهم فيملأونها ماء عذباً ويصعدون بها الى سطح الماء

العلاج بنور الشمس

ابان المسيو كازين في اكادمية العلوم بباريز ان كثيرين من الجرحى عولجت جراحهم باشعة الشمس فشفيت

زيج بطليموس

ذكر بطليموس في كتابهِ المجسطي ١٠٢٥ نجماً من الثوابت و بيَّن اقدارها ومواقعها . وقد ظن بعض علماء الفلك انهُ تناول ما ذكرهُ هبرخس الفلكي قبلهُ عن هذه النجوم وزاد المقدار اللازم في اطوالها حتى تصل الى عصرهِ ولكن الدكتور دريرقال حديثاً في الجمعية الفلكية الملكية ببلاد الانكليز ان النجوم التي ذكرها هبرخس كانت ٨٥٠ نجماً فقط فلا داعي للقول بان بطليموس اعتمد عليهِ ولم يرصد هو النجوم بنفسهِ ويعين اقدارها ومواقعها

دقيق الشعير في الخبز

اجرى المسيو بلاند بعض التجارب في عمل الخبز من دقيق الحنطة الذي اضيف اليهِ دقيق الشعير او الذرة او الرز فوجد ان الخبز يبقى صالحاً ولو اضيف اليهِ عشرة في المئة من هذا الدقيق او ذاك وافضلها دقيق الشعير

نقولا تسلا

يذكر القراء اسم نقولا تسلا العالم الكهربائي المشهور وهو اصلاً من اهالي الجبل الاسود . وقد اهدي اليهِ الآن نشان اديصن اعترافاً بمكتشفاتهِ المهمة في الكهربائية

الحساب العشري

تهتم جمعيات كثيرة في بلاد الانكليزية بادخال الحساب العشري اليها في كل شيءٍ في النقود والموازين والمقاييس والمكاييل حتى تصبح مثل فرنسا من هذا القبيل . والمظنون انها ستعتمد على الحساب العشري في ذلك كلهِ بعد الحرب

الماء عند خط الاستواء

وجد الاستاذ كاري والدكتور مير ان سطح ماء البحر عند خط الاستواء ابرد من الماء البعيد عنهُ خمس درجات شمالاً وعشر درجات جنوباً وهو اقل قلوية ايضاً وان ماء المطر في جزائر ساموى حامض وماء الينابيع والانهر فيها وفي جزائر هواي قلوي وفيهِ هيدروجين

غواة التلغراف اللاسلكي

كان في اميركا قبل دخولها الحرب عدد كبير من الاميركيين غواة التلغراف اللاسلكي اي الذين يقتنون عدد التلغراف اللاسلكي للتسلية وتقطيع الوقت كما يقال . فلما دخلت اميركا الحرب اصدرت الحكومة الاميركية امرها بازالة جميع تلك العدد فلم تمضِ ايام قليلة حتى لم يبقَ في البلاد عدة واحدة عاملة الاَّ ما كان منها لخدمة الحكومة او ما حفظهُ بعض الخونة سرًّا

نترات شيلي

يستدلُّ من بعض الاحصاءات ان المانيا استوردت من مناجم النترات في شيلي ٦٥٠ الف طن سنة ١٩٠٨ وتلتها الولايات المتحدة الاميركية فاستوزدت ٣٥٠ الف طن في تلك السنة . ثم فرنسا فبلغ ما استوردتهُ ٣٢٠ الف طن . واستوردت البلجيك ٢٣٠ الفاً . وهولندا ١٦٠ الفاً . وانكلترا ١١٠ آلاف ثم ايطاليا فالنمسا من ممالك اوربا . واستوردت بلدان افريقية ومصر في الجملة ٥٠ الف طن اي نحو ما استوردتهُ النمسا . واكثر ما يستعمل لهُ النترات تسميد المزروعات

الاهتمام بمسألة الطعام

اجتمع مؤتمر زراعي في سنت لويس باميركا وقرَّر ان يصرف وزير الزراعة خمسة ملايين من الجنيهات هذه السنة لاجل الترغيب في الاكثار من زرع مواد الطعام كالقمح ونحوهِ لكي تسدَّ مسد النقص في محاصيل الحبوب

سكك الحديد الاميركية

كان في اميركا منذ عشر سنين ١٨٤٠٠٠٠ مركبة للبضاعة في سكك الحديد فزادت حتى بلغت ٢٥١٨٨٥٥ في آخر السنة الماضية اي ان عددها زاد ٣٧ في المئة اما سعتها فزادت ٦٠ في المئة

اعمق المناجم

اعمق المناجم منجم ذهب في البرازيل فتح في القرن الثامن عشر فان عمقهُ ١٨٠٠ متر وهو يزيد نحو مئتي متر على عمق منجم هوتن في اميركا الشمالية وكان يظن انهُ اعمق المناجم

وفيات الاطفال في انكلترا

اصدرت مصلحة الصحة الانكليزية احصاء رسميًّا لوفيات الاطفال من حين ولادتهم حتى يبلغوا الخامسة من سنهم بين اول سنة ١٩١١ وآخر سنة ١٩١٤ . ويؤخذ منهُ ان عدد الاطفال الذين ماتوا في خلال هذه المدة بلغ في انكلترا (ما عدا ارلندا) ٥٧٥٠٧٨ طفلاً اي ٢٨ في المئة من مجموع الوفيات في السنوات الاربع وان معظم الوفيات في المدن الصناعية الكبرى

الوفيات في اميركا

يؤخذ من بعض الاحصاءات الاميركية ان وفات المدن ترجح وفيات القرى رجحاناً كبيراً وان متوسط اعمار الاناث في جميع ادوار العمر اكثر من متوسط اعمار الذكور الاَّ بين الخامسة والعشرين والحادية والثلاثين

فهرس الجزء الاول من المجلد الحادي والخمسين

صفحة

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الحادي والخمسين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٣ شوال سنة ١٣٣٥

سياحة ذرَّة ماء

في العصر الثنائي

لما نجوت من المنطقة الاستوائية انتقلت الى الاقاليم الشمالية وكان ذلك العصر عصر الدبابات الكبيرة فان تلك الحيوانات كانت متسلطة على الارض كأَن ليس فيها غيرها . نعم كان فيها بعض الطيور والحيوانات اللبونة ولكنها كانت صغيرة جدًّا في جنب الدبابات البرية والبحرية . وقد اتصلت انا بهذه الحيوانات فاني كنت يومًا على خوص جريدة من جريد النخل فاذا بحيوان طولهُ ستون قدمًا يمشي واثبًا على قدميهِ وهو المسمى باسم برونتوساوروس التهم الجريدة كلها وازدردني معها . ولا تسل عن مقدار غيظي لمَّا وجدت نفسي في معدتهِ . ثم امتصني جسمهُ ودرت في دمهِ ووصلت مرة الى ذراعهِ ومرة الى رجلهِ . ثم قُتل والتهمت حيوانات اخرى لحمهُ فدخلت جوف واحد منها وهو المسمَّى دينوساوروس وكان اعظم الدبابات صولةً في ذلك العصر لاسيما وانهُ من الحيوانات المفترسة

ولو كانت كتابة القصص من شأني لقلت انني وصلت مرةً الى جسم جرادة اكلها طائر كبير من ذوات الاسنان (بترود كتيلوس) ودخلت مرةً اخرى دماغ طائر من اقدم الطيور وعين طائر آخر ولكن ذلك لم يحدث وليس من شأني ذكر غير الحق فانني لم ادخل اجسام تلك الحيوانات ولكنني رأَيتها مرأَى العين

وبعد ان تقلَّبتْ عليَّ شؤُون مختلفة عدت الى الاوقيانوس الاتلنتيكي في العصر الطباشيري او عصر الدبابات الجديد وهنا صار عليَّ ترسيب الصخور الطباشيرية اي انني فملت الجزء الصغير المختص بي فاني كنت مقيمة في لحم حيوان مكرسكوبي في صدفتهِ كاس

وكان هناك ملايين وملايين من هذه الحيوانات الصغيرة طافية في ماء الاوقيانوس ومتى ماتت وبلي لحمها غارت اصدافها في الماء رويداً رويداً الى ان ترسب في قاع البحر طبقة بيضاء وهي الطباشير . والصدفة التي كنت في حيوانها رسبت قرب مدينة بلفست بارلندا

وبعد زمن طويل دخلتُ جسم حلزونة كبيرة من النوع ذي الثقوب Foraminifera الذي تكونت منهُ الصخور الصدفية المدنَّرة Nummulite كالصخور التي بني منها الهرم الاكبر من اهرام مصر فلي شأن يذكر في بناء هذا الهرم كما لو كنت في دم الفرعون الذي بناهُ او دم احد اعوانهِ

في دم الحيوانات اللبونة اي ذوات الثدي

والآن اتخطى مليونين او ثلاثة ملايين من السنين وانتقل في كلامي الى زمن الحيوانات اللبونة في العصر الثلاثي

لما ارتقت الاحياء على الارض اتسع المجال امامي فان الحيوانات الراقية كانت حارّة الدم فلقيت فيها ما لم القهُ قبلاً في الحيوانات الهلامية الاجسام والدبابات الباردة الدم

كنت ذات يوم في غدير صغير في واحة بقلب اسيا واذا بحيوان كبير من نوع الجمل غبني فبقيت اياماً في كرشهِ او معدتهِ التي يحفظ فيها الماء واخيراً امتصَّ جسمهُ ما في معدتهِ وامتصني معهُ فسرت الى دمهِ الحار ودخلت خلية من خلاياهُ الحمراء ودرت في جسمهِ كلهِ مع دمهِ الوفاً من المرات كأني في نهر فكنت انا وغيري من الخلايا الحمراء والمصل الذي يحيط بنا ننتقل في اوعية جسمهِ واذا وصلنا الى الشريان الرئوي تفرقنا في شعبهِ الكثيرة المتوزعة في الرئة الى ان تصل الى انابيب دقيقة مكرسكوبية شعرياتها منتشرة على سطح الخلايا الرئوية وهناك كانت خلايا الدم الحمراء التي في الاوعية الشعرية تنفث بعض اكسيد الكربون الثاني الذي كانت تحملهُ متحداً بالحديد وتأخذ اكسجيناً بدلاً منهُ فيتغير بهِ لونها ويصير احمر زاهياً بعد ان كان قاتماً . ويحدث تبادل هذين الغازين بواسطة غشائين الواحد جدار الوعاء الدموي والثاني جدار الخلايا الرئوية . فلما اخذنا ما اخذنا من الاكسجين سرنا في الاوعية الشعرية الى اوعية اوسع منها ومن هذه الى اوعية اوسع فاوسع الى ان وصلنا الى الاوردة الرئوية وهذه افرغتنا في وعاء واسع كالكيس يسمَّى الأُذينة اليسرى من اذينتي القلب وانتقلنا منها الى وعاء آخر متصل بها وبينهما باب لهُ ثلاثة مصاريع وجدار هذا الوعاء المسمى بالبطين الايسر ثخين متين فانقبض بغتةً ودفعنا سريعاً في انبوب كبير اسمهُ

الاورطى ودرنا من هناك ثانية في جسم الحيوان فان هذا الانبوب يتشعب الى الوف من الشعب او الاوعية المسماة بالشرايين وهذه الى اوعية ادق منها الى ان تصل الى الاوعية الشعرية . فالشرايين تحمل الدم بعضهُ الى العضلات وبعضهُ الى المعدة وبعضهُ الى الدماغ وبعضهُ الى عضلات القلب نفسهِ الذي يفعل فعل المضخة في امتصاص الدم ودفعهِ . وفي كل جزء من جسم الحيوان مهما كان صغيراً اوعية دموية لجلب الدم واخذهِ ما عدا الشعر والحوافر

فكان عملي والحالة هذه حمل الاكسجين وتوزيعهُ في جسم ذلك الجمل فمرةً كنت احملهُ الى دماغهِ ومرةً الى عضلاتهِ ومرةً الى عينيهِ او عظامهِ وكان مصل دمهِ يحمل ايضاً الغذاء الى كل اجزاء جسمهِ آخذاً اياهُ من معدتهِ وامعائهِ من الطعام الذي يأكلهُ

وقد كانت الخلايا الحمراء كالقوارب الصغيرة السابحة في نهر الدم مكلَّفة حمل الاكسجين الذي تحيا بهِ مادة الجسم . وهذا الاكسجين يحرق الخلايا التي تلفت فيتكوَّن من احتراقها اكسيد الكربون الثاني وتتولَّد منهُ حرارة الجسم . ثم تحمل الخلايا اكسيد الكربون الثاني بدل الاكسجين وتعود بهِ الى الرئتين ولذلك فاينما انتهى بنا المسير في اواخر الاوعية الشعرية كنا نبدل ما معنا من الاكسجين باكسيد الكربون الثاني وننتقل الى الاوردة ونعود بها الى ان نصل الى وعاء كبير جدًّا اسمهُ الوريد الاجوف وهو يصبنا في الأُذينة اليمنى من اذينتي القلب وننتقل منها بباب غريب الى البطين الايمن من بطيني القلب فينقبض حالاً ويدفعنا الى الشريان الرئوي الذي ابتدأت منهُ في الكلام على دورتنا الدموية

ونحن ذرات الماء يتكون منا كل مصل الدم وخلاياهُ تقريباً وقد كنت مراراً في المصل ومراراً في الخلايا . ولم اكف عن العمل مدة وجودي هنا وهو حمل الغذاء من القناة الهضمية والاكسجين من الرئتين الى كل خلية في جسم الجمل ثم الرجوع بالفضول الى الرئتين . وكان الدم يدور بنا دورة كاملة كما تقدم كل نحو نصف دقيقة ونقضي اكثر هذا الوقت الوجيز في الاوعية الشعرية حيث ننتقل من جهة الى اخرى ونبدل حملنا ولذلك كنت من السوابح او سفن الحمل في دم ذلك الجمل . ولقد سافرت في السنين التي قضيتها في دمهِ من المسافات ما لو ضمَّ بعضهُ الى بعض لبلغ الوفاً من الاميال وقد بقيت في جسمهِ لم اتخطَّهُ حتى خُيِّل لي انهُ قضي عليَّ ان ابقى هناك ابد الدهر . ولكن كل ما لهُ بداية لهُ نهاية ففي ذات يوم رأيت نفسي أُدفع بسرعة انا وسائر ذرات الماء اخواتي من قلب ذلك

الجمل لانهُ كان يعدو سريعاً و بعد قليل وقف القلب بغتة لان الجمل مات فان ببراً (اي اسداً هنديًّا) طارده ُ ثم وثب عليهِ وفتك بهِ

وشرب الببر جانباً من دم الجمل فدخلت امعاءهُ مع الدم واقول بالاختصار انني درت في جسمهِ مع دمهِ مدة سنة او سنتين عبدة مسخرة لحمل الغذاء والاكسجين كما كنت في دم الجمل الاَّ ان سيري هنا كان اسرع من سيري هناك وكانت الحرارة التي تحيط بي اشد

وذات يوم التقى الببر بفيل كبير ونشب بينهما القتال حتى اذا دنا الببر من الفيل ركع الفيل عليهِ فسحق عظامهُ وانشقت بعض اوردتهِ واريق دمهُ على الارض وانا فيهِ ثم جف الدم فصعدت مع بخارهِ الى الهواء

روذان العالم

ان ما قصصتهُ حتى الآن لا يشمل كل قصتي لانني بلغت طبقات الجو مراراً كثيرة وطفت في الغيوم وخرقتني اشعة الشمس لتكوين قوس قزح واشتركت في العواصف ووقعت في الابحر والبحيرات مراراً كثيرة وليس في الارض نهر كبير الاَّ زرتهُ وامتزجت بمائهِ · ووصلت مرة الى بحيرة فكتوريا نيانزا وجريت في ماء النيل ومررت على مقربة من الاهرام فتذكرت اني اشتركت منذ ملايين من السنين في تكوين الصخور التي بُنيت منها

ومن الاماكن الغريبة التي زرتها لبن النارجيل (جوز الهند) ولبن القنقر الحيوان الاسترالي المشهور · ولما كنت في جوزة النارجيل وصل اليها قرد وفضها وشرب لبنهــا فدخلت جسمهُ وانتقلت من معدتهِ الى دمهِ وعضلاتهِ ودماغهِ كما كنت في جسم الانسان والجمل والببر · واغرب من ذلك انني كنت مرة في استراليا فوصلت الى بيضة الحيوان ذي المنقار المسمَّى بلاتيبوس ورأيت انهُ من الحيوانات اللبونة لان لهُ شعراً ودمهُ حار ولكنهُ باض بيضة وكنت فيها فاستغربت ذلك لانني لم ارهُ من قبل وجعلت اضحك واقهقهُ الى ان مذرت البيضة

ولما كنت في استراليا صعدت في جسم شجرة من شجر اليوكالبتوس مع عصارتها الى ان بلغت اعلى اغصانها وكان ارتفاعهُ ٣٠٠ قدم · وكان ذلك اعلى مما بلغتهُ وانا في ورقة شجرة من اشجار كليفورنيا ولما تبخرت من تلك الورقة وصلتُ الى رقعة من رقع الثلج ووقعت على جبل عال ولما ذاب الثلج جريت الى الاوقيانوس الباسيفيكي و بعد قليل شربني حيوان كبير حسبت انهُ سمكة كبيرة لانهُ كان في البحر بعيداً عن البر ولكنني وجدت دمهُ حارًّا فاستنتجت انهُ من الحيوانات اللبونة ولو كان البحر مأواهُ وهو حوت كبير · وفي ذات يوم

كنت في الهواء الرطب الذي في رئتيهِ فصعد الى وجه الماء ونفخ نفخةً قوية فدفعني الى الهواء بعنف شديد . وهذه هي المرة الاولى التي عرجت فيها الى الهواء على هذه الصورة . واقرب شيء الى ذلك انني وصلت مرة الى ماء جيسر من جياسر زيلندا الجديد فدفعني الى الهواء مع ما دفع من الماء

ولقد خبرت الصغائر كما خبرت الكبائر فكنتُ مراراً في نقط الندى و بلورات الصقيع والاغشية المائية التي تتجمع على زجاج الكوى وفي عصار الاثمار واري الازهار . وذات يوم كنت في جوف زهرة برسيم واذا بنحلة وقعت على تلك الزهرة وامتصتني مع ما حولي من الاري وطارت بي الى بيتها ووضعتني في خليتها مع غيري من ذرات العسل في بيت من الشمع مسدَّس الجدران فمضى عليَّ هناك زمن طويل والعسل يحيط بي من كل ناحية فلم يمر بي زمن احلى منهُ ولا بعد ان صرت ادخل عصارة قصب السكر في العهد الحديث فقد دخلت في عصارة القصب ايضاً ومررت على كل الآلات والعدد التي يمرُّ فيها ذلك العصار قبلما يصير سكراً . هذا ولنعد الى خلية النحل فاقول اني اقمت فيها الى ان جاءتني ذات يوم نحلة من النحلات العاملات واخذتني وقدمتني طعاماً للملكة فاكلتني ودخلت بيضة من بيوضها ثم صارت تلك البيضة نحلةً ذكراً كثير الكسل فاتتهُ نحلة من العاملات ولسعتهُ حتى مات فبلي جسمهُ وخرجت منهُ وعدت الى الهواء

في عصر الانسان

لما ظهر الانسان على الارض تقلَّبتْ عليَّ شؤُون كثيرة على حداثة عهدهِ منها ما يدعو الى السرور والحبور ومنها ما يوجب الالم والسقم اي انني عاشرت الانسان في السراء والضراء والفرح والترح

كنت يوماً في برعم نبت من الصبر المكسيكي الذي يصنع اهالي المكسيك منهُ مسكراً فقطفهُ رجل وعصرهُ ووضع عصيرهُ في زق من جلد الخنزير وارسلهُ الى مدينة مكسكو فصُنع منهُ المسكر المسمَّى بلغتهم بُلكو فشربني رجل سكير ولا داعي لبقية القصة . والمسكرات كثيرة مختلفة والماء قوامها كلها لانهُ هو الجزء الاكبر منها وقد دخلت في اشربة عديدة ولكن البلكو اقبحها كلها

ولقيت في الصين ما لا يحمد : كنت مرة في نهر فاستقاني بعض السقاة ووضعوني في خابية سفينة من سفن القرصان ثم صببت في اناء قذر واغليتُ واضيف اليَّ الشاي وشُربتُ حارَّة

اقول والشيء بالشيء يذكر ان اشد حرّ لقيتهُ كان وقت احتراق مدينة شيكاغو فاني كنت في بحيرة مشيغان واذا بانبوب طويل غاص في البحيرة وامتص الماء منها فصعدت فيهِ مع غيري من ذرات الماء ثم ضخّنا على النار المتقدة وكانت حرارتها شديدة لا تطاق اشد من حرارة الجياسر في زيلندا الجديدة لكنني تعزيت عمّا اصابني من الحر بانني ساعدت في اطفاء تلك النار جهدي

وكنت في يوم آخر في مكان من امكنة الاستشفاء بالماء فشربتني غادة حسناء ولكن لم تلذ لي الاقامة في جوفها اكثر مما لذت لي اقامة في جوف القرد والحوت

الوداع

انا عنوان الحياة فان الماء هو العنصر الاهم في كل الاجسام الحية يتحد بالنتروجين فتتكون منهُ البروتوبلازم التي تتألف منها اجسام كل الاحياء فلولانا نحن معاشر ذرات الماء ما وجد نبات ولا حيوان ولا طعام ولا شراب . ولولانا ايضاً ما وجدت الانهر والبحار والبحيرات ولا شيء من محاسن الطبيعة

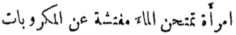
ونحن نحن محل العمل علينا تجري الجواري المنشآت تحمل البضائع والاقوات . نحن البخار الذي يحرك الآلات البخارية والماء الذي ينصبّ من الشلالات وبنا تنشقّ الصخور وتتفتت الحجارة وتُمهّد الجبال وتنتقل الى قلب البحار

وانا لست خالدة بل شأني شأن غيري من الاجسام الحية عرضة للموت والانحلال ولكن الجواهر التي يتركّب منها جسمي خالدة لا تفنى . وحتى الآن لم انحلّ اليها مع ان انحلالي في الإمكان وقد اوشكت ان أصل اليهِ لما قذفت فوق نيران شيكاغو وكذلك لما كانت الصواعق تُصعق على مقربة مني لكنني عشت حتى الآن ملايين كثيرة جداً من السنين فلا عجب اذا فُسّح لي في الاجل ملايين اخرى فانني لا ازال فتية لا اشعر بشيء من الضعف . ويتعذّر عليّ ان اعرف اين اكون بعد مئة مليون سنة فقد اعرج من الارض واتخطى فلكها واتيه في الفضاء الى ان اصل الى عالم آخر الاّ ان ذلك بعيد واقرب منهُ ان ابقى في الارض . ويمكنك ان تتصورني في غيوم السماء ونقط المطر ورقع الثلج وفي اعماق البحر وضباب الصباح وكاس الخمر ودموع الوداع

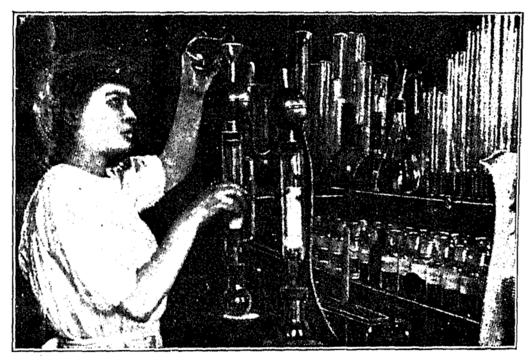


امرأة تمتحن اللبن لتعلم كم فيهِ من السمن





امرأة تمتحن الماء مفتشة عن المكروبات



امرأة تمتحن جوز الهند لتعلم كم فيهِ من الدهن

النساء واعمال الرجال

اتضح الآن ان هذه الحرب ستكون ذات نتائج عظيمة من كل جهة ولاسيما الجهة الاقتصادية وان من اعظم المسائل الاقتصادية مسئلة استخدام النساء في الاعمال التي احتكرها الرجال حتى الآن بدعوى انها خلقت لهم وخلقوا لها وان النساء لا يقدرن عليها . ومن المحتمل ان الرجال احتكروها مدفوعين الى ذلك بعوامل المنافسة الجنسية وان اعظم تلك العوامل الخوف على وسائل الرزق والمعاش

ففي كل بلد من البلاد المتحاربة ترى مئات من الحرف التي كان الرجال يحتكرونها قبل الحرب في ايدي النساء الآن . فاذا وضعت الحرب اوزارها وعاد الجنود الى اعمالهم التي اخذوا منها الى الميادين المختلفة نشأت اذ ذاك ازمة يعسر حلّها لانهُ لا يكاد يعقل ان النساء اللواتي تعلمن حرفاً ذات اجور اعظم من الاجور التي كنَّ يتناولنها في اعمالهنَّ السلمية يتركن حرفهنَّ الجديدة كما لو كنَّ آلات صماء . ولا يكاد يعقل ايضاً ان ارباب العمل يصرفونهنَّ فارغات الايدي ويُعيدون الرجال الى اعمالهم اذا كنَّ اكثر اتقاناً لها من الرجال

وقد سئل بعض ارباب المعامل الاميركية الذين اضطروا الى استخدام النساء في معاملهم عن رأيهم في كفاءتهنَّ الصناعية ولاسيما في الاعمال التي تقتضي مهارة خاصة فقالوا انهم لا يحلّون الرجال محلهنَّ الاَّ مكرهين لا لسبب مالي " كما كان يظنّ " اذ العاملات يتناولن الآن اجوراً مساوية لاجور العمَّال بل لانهنَّ اقدر من الرجال على الاعمال التي تستلزم دقة ورشاقة يدوية لا قوة بدنية فهنَّ صُنُعُ الايدي كالرجال او اكثر ويعملن من الاعمال اكثر مما يعمل الرجال مقداراً وافضل صفة في وقت واحد

وقد غالى بعض المدافعين عن النساء فقالوا انهنَّ اقدر بالفطرة من الرجال على الاعمال . وقال آخرون انهنَّ ان لم يكنَّ اقدر من الرجال فلا ريب انهنَّ اكثر امانة في القيام بواجباتهنَّ . ومهما يكن من ذلك فلا ريب ان خلوَّ الحرف الحديثة مما يستدعي قوة بدنية كثيرة مال بالنساء الى تخطي حدودهنَّ الاولى الى الدوائر التي احتكرها الرجال وتسلطوا عليها منذ اول عهدهم بالعمل والسعي للاكتساب

ومن الاعمال التي حلَّت النساء فيها محلَّ الرجال ما لهُ علاقة بالكيمياء كاعمال المستوصفات التي تحال فيها المواد وتركّب . والمرأة مؤَهلة لمثل هذه الاعمال بحكم التربية .

فان اعمالها البيتية خير موءَهل لتداول الانابيب الزجاجية والانابيق والبوائق وسائر ما في المستوصفات الكيماوية · ومع هذا كله لم تترشح النساء للاعمال الكيماوية قبل الحرب ولا دخلن المستوصفات الكيماوية في البلدان الاوربية الاَّ بعد مصاعب جمة · فلما جاءَت هذه الحرب أُبيح لهنَّ في بعض البلاد ولاسيما المانيا دخول المعامل الكيماوية والانتظام في سلك عمالها بلا قيد ولا تحفظ · ويدخل تحت المعامل الكيماوية الاجزاخانات ومعاهد البكتيريولوجيا وعلم المعادن

وكانت العادة قبلاً ان البنت التي تريد ان تتعلم الكيمياء تدخل الجامعات الكبرى حيث تدرس الطب وتنال شهادة طبيب · وهذا لازم لمن تريد التفرغ للاشغال العلمية الصرفة · اما اللواتي يردن الاشتغال بالاعمال التحليلية والتركيبية الصرفة فلا حاجة بهنَّ الى درس فنَّ الطب بل تكفيهن مدارس لدرس بعض الدروس البسيطة في الكيمياء والطبيعة والتمرن على التحليل والتركيب مدة ما · وقد قامت مدارس كثيرة مثل هذه في بعض المدن الاوربية

وقد صورت النساء في معامل آلات الحرب والقتال على انواعها من اكبر المدافع الى ادق الآلات النظرية التي تركب في البنادق والمدافع وصورنَ ايضاً في معامل الكيمياء

ترى في الصورة الاولى رسم فتاة تفحص الماء بالمكروسكوب لتعلم ما فيهِ من المكروبات

وفي الثانية رسم فتاتين يفحصن اللبن ليعلمن مقدار ما فيهِ من الدهن وبالتالي هل هو مغشوش ام لا

وفي الثالثة رسم فتاة تمتحن الكوكو لترى ما فيهِ من الدهن

وقد يساعد النساء على تأييد حقوقهنَّ بازاء مقاومة الرجال لهنَّ سعي بعض بلاد اوربا الكبرى مثل انكلترا سعي جدّ في منحهنَّ حقوق الانتخاب التي بُخسنها حتى الآن بدعوى ان الرجل خلق ليكون حاكماً وسيداً وان المرأة خلقت لتكون محكومة ومسودة وغير ذلك من الدعاوي التي لم يوءَيدها العلم الى الآن ولا يخيل الينا انهُ يوءَيدها في مستقبل الزمان · عُدْ بعين الفكر الى تاريخ العصور القديمة والحديثة تجد ان حكم الملكات كان اظهر مظاهر تلك العصور من عهد زينوبيا في اوائل التاريخ المسيحي الى عهد فكتوريا سواءٌ نظرت اليهِ مجرداً او بالقياس الى حكم الملوك

الطعام والعمل

من اهم ما اثبتهُ العلماء المحدثون في امر الطعام ان كلَّ صنف من اصناف المواد التي نغتذي بها لهُ قيمة خاصة بهِ من جهة تغذية الجسم وتقويتهِ على العمل الذي يعملهُ . اي ان المواد المتنوعة التي نأكلها تختلف اختلافاً بيّناً في كمية الغذاء الذي يستمدهُ الجسم منها فيمكّنهُ من القيام بعملهِ اليوميّ . ومعلوم ان جسم الانسان يخسر كلَّ يوم خسارة مستمرة بثلاثة عوامل تتسلط عليهِ الاول الدثور الذي يدبُّ في بنيانهِ . والثاني العمل الذي يعملهُ . والثالث الحرارة التي يولّدها لحفظ حرارتهِ . ومجموع هذه الخسارة تستعاض من الطعام فلذلك كان للطعام ثلاث وظائف الاولى تقديم المواد اللازمة لترميم ما يندثر من بناء الجسم ولنموهِ في اوائل العمر . والثانية تقديم القوة اللازمة للعمل . والثالثة تقديم الوقود اللازم لحفظ الحرارة على حال واحدة

اذا فحصنا لوناً من الوان الطعام الذي يقدم على موائدنا وجدناهُ حاوياً موادَّ مختلفة لازمة للتغذية . واولى هذه المواد ما اصطلحوا على تسميتهِ بالبروتيين او المادة الزلالية وهي القسم الجوهري في اللحم الاحمر وزلال البيض والجبن وتوجد في الدقيق والحبوب على انواعها . وهذه المادة تولّد النتروجين اللازم لتغذية الجسم . ولكن الموادَّ البروتينية او البروتييد ليست متساوية في قيمتها الغذائية . فالجلاتين مثلاً يقوم مقام البروتييد في توليد النتروجين ولكنهُ لا يكفي للقيام بالحياة ولذلك نعتوهُ بالبروتييد غير الصالح خلافاً للقمح والقطاني فان الاول يحتوي على الجليادين والثانية على الجومين وهما من البروتييد الصالح واللازم لتوليد القوة والحرارة ولكنهما من جهة اخرى لا يصلحان لنموّ الجسم اما ما يصلح لتوليد الحرارة والقوة وانماء الجسم معاً فمثل بروتيين الجبن الذي يسمَّى باسم كاسيين و بروتيين القمح الذي يسمى باسم جلوتنين . ولما كانت المواد البروتيدية غير الصالحة للنمو خالية من بعض المواد التي لا غنى عنها في تغذية الجسم وجب لذلك تشكيل الطعام ليتسنى للجسم الحصول على المقدار الذي يلزمهُ من البروتييد الصالح لنموهِ والقيام بحاجاتهِ

وثانية هذه المواد الادهان والزيوت وهي تمدُّ الجسم بقوة تتحول عملاً صرفاً او حرارة صرفة او عملاً وحرارة معاً . وجزء من الدهن ضروري للصحة ولكن بعض الموادّ تقوم مقام قسم كبير منهُ ومن هذه المواد النشا والسكّر وما كان من صنفها . والدهن كالبروتيين

مستمدّ من الحيوان ومن النبات ايضاً ومعظم الاطعمة تحوي دهناً بشكل لا يرى بالعين المجردة

وثالثة هذه المواد النشا والسكر وما كان من صنفهما وهي تسمى اصطلاحاً كربوهيدرات لانها مركبة من الكربون واكسيد الهيدروجين ومختصة بانجاز العمل وتوليد الحرارة ولا تخزن مقادير كبيرة منها في الجسم ولكن اذا اكثر الانسان من اكلها او اكلها اهل الحرف والاعمال التي لا تستدعي حركة كثيرة تحوَّلت فيهم دهناً وخزنت في الجسم بصورة دهن

وكلُّ طعام ملائم للجسم يجب ان يحوي قدراً معيناً من الاملاح المعدنية مثل فصفات الكلس (الجير) وغيرها من العناصر التي تدخل في تركيب اللحم والعظم وسائر انسجة الجسم وهذه العناصر موجودة في معظم الاطعمة التي نتناولها وبمقادير كافية الاَّ ملح الطعام فلذلك لا تضاف الى اطعمتنا ويضاف هو اليها

وزد على ما تقدم انهُ ثبت من المباحث الحديثة ان الطعام لا يكون صالحاً للتغذية وكافياً لحفظ صحة الجسم تمام الحفظ مالم يحتوِ على مواد اخرى لا نعلم ماهيتها تماماً وانما يعلم عنها انهُ اذا حُرِمها الجسم أُصيب ببعض الامراض كالمرض المعروف باسم «بولينيوريتس» اي مرض جملة من الاعصاب معاً . ومرض البري بري والاسكربوط وربما كان الكساح ايضاً مسبباً عن فقدها . وهذه المواد هي المسماة «ڤيتامين» وقد اطلقنا عليها اسم المواد الحيوية ووصفناها بالتفصيل في مقتطف نوفمبر الماضي وهي موجودة في معظم الاطعمة الطبيعية بمقادير قليلة لكنها كافية فاذا عرضت تلك الاطعمة للحرارة الصناعية اي حرارة الطبخ لاعدادها للاكل فقد يزال الڤيتامين منها فلذلك وجب ان يحوي طعامنا الذي نأكلهُ كل يوم بعض المواد غير المطبوخة كالخضر في شكل سلطة وكالاثمار . على ان الڤيتامين لا يُباد كلهُ بحرارة الطبخ بل ان منهُ ما لا تؤَثر الحرارة فيهِ

فكل طعام لا يحسب ملائماً للصحة تمام الملاءمة ما لم يحوِ شيئاً من جميع المواد التي تقدَّم ذكرها . ثم ان هذه المواد يجب ان تكون فيهِ على نسبة معلومة وبكميات كافية لسدّ النفقة اليومية التي ينفقها الجسم من مادة وقوة . ومما تجب الاشارة اليهِ ان الجسم لا ينتفع بجميع ما يدخلهُ من الطعام فان الجزء الاكبر منهُ يمتصُّ ويمثَّل او يؤكسد في انسجة الجسم ولكن جزءًا صغيراً ينبذ نبذ النواة . وما ينتفع بهِ من الطعام الحيواني اكثر مما ينتفع بهِ من الطعام النباتي وبعبارة اخرى ان نفاية الاول اقل من نفاية الثاني . مثال ذلك ان الجسم يمتصُّ ٩٧ في المئة من بروتيين اللحم في حين انهُ لا يمتصُّ اكثر من ٨٥ في المئة من بروتيين الحبوب التي تستعمل للطعام كالحنطة والشعير ولا اكثر من ٨٢,٥ في المئة من بروتيين

القطاني كالعدس والحمص والفول . وهاك جدولاً صغيراً يبين متوسط ما يمتصهُ الجسم من اصناف المواد الغذائية التي تدخلهُ :

	بروتيين	دهن	كربوهيدرات
الطعام الحيواني من لحم وبيض ولبن	٩٧ في المئة	٩٥ في المئة	٩٨ في المئة
الطعام النباتي	٨٥ «	٩٠ «	٩٧ «
الطعام العادي المختلط	٩٢ «	٩٥ «	٩٧ «

وقد اصطلحوا على ثلاث طرائق لتقدير كمية الطعام اللازمة للشخص الواحد في اليوم . الاولى معرفة متوسط ما ينفقهُ الفرد في كل طبقة من طبقات الامة . والثانية معرفة ماتنفقهُ الجماعات الصغيرة التي تسكن في محلّ واحد كالمدارس والمستشفيات وغيرها من الاماكن العمومية . والثالثة معرفة ما تنفقهُ الجماعات الكبيرة كسكان المدن او البلدان جملة . وبذلك تمكنوا من تعيين كمية الطعام التي تلزم الجسم لحفظ موازنتهِ في الاحوال المختلفة من غير ان تزيد زنتهُ او تنقص . واهمُّ من هذا المقابلة بين القوة التي ينفقها الجسم في طرق مختلفة وبين الطعام الذي يلزمهُ لسدّ تلك النفقة . وهذه القوة على ثلاثة انواع الاول القوة الكامنة في الطعام او القوة الكيماوية . والثاني القوة الميكانيكية اللازمة لاتمام العمل النافع . والثالث قوة الحرارة المستمدة من حرق الطعام او تأكسدهِ في الجسم والمستعملة لحفظ حرارتهِ الطبيعية . والاول يمثل الدخل والثاني والثالث يمثلان الخرج

ولكل صنف من اصناف الطعام قيمة خاصة بهِ من حيث القوة المخزونة فيهِ . وقد توصلوا الى معرفتها بحرق مقدار معيّن من الصنف الذي يراد معرفة قيمتهِ في فرن تقاس بهِ الحرارة التي تولدت من حرق ذلك المقدار . واصطلحوا على جعل وحدة الحرارة المقدار اللازم منها لرفع حرارة كيلو غرام ماء من درجة ١٥ الى درجة ١٦ بميزان سنتغراد ويسمون هذه الوحدة في اللغات الغربية كالوري (Calorie) وهي كلمة لاتينية معناها حرارة او دفء . واعلم ان الطعام اذا حُرق او تأكسد في الجسم تولدت منهُ حرارة مساوية في مقدارها لما يتولد منهُ اذا حرق خارج الجسم في الافران المشار اليها . وقد اثبتوا ذلك بالامتحان فجاءت النتائج على اتمّ ما يكون من الضبط والدقة . مثال ذلك ان عشرة غرامات من السكّر تعطي ٤١ وحدة حرارية اذا حرقت في الفرن . فاذا تناولها رجل مع طعامهِ تولدت منها حرارة مساوية للحرارة المتولدة من حرقها في الفرن بفرق لا يزيد على واحد في الالف . وقد وجد

يمثل هذا القياس ان غرام البروتيين يولّد في الجسم من القوة ١,٤ الوحدة الحرارية وغرام الدهن ٣,٩ الوحدة . وغرام النشا والسكر ١,٤ الوحدة

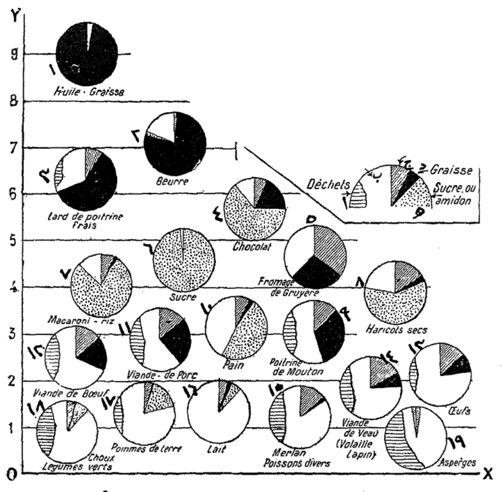
فمتوسط ما ينفقهُ الفرد في اليوم من القوة اذا كان عائشاً في اقليم معتدل الهواء من غير عمل هو ما يأتي :

	وحدات حرارة
باشعاع الحرارة من الجسم اللابس ملابس عادية (على حساب ٦٤ وحدة في الساعة)	١٥٣٦
بتبخر الماء من الجلد والرئتين	٦١١
باحماء الهواء المتنفس	٨٠
باحماء الطعام والشراب الى درجة حرارة الجسم	٥٣
بعمل القلب وعضلات التنفّس	١٥٠
المجموع	٢٤٣٠

واذا كان الرجل على راحة تامة اي اذا كان مضطجعاً في سريرهِ انفق الفي وحدة فقط من الحرارة في اليوم . واذا كان يعمل عملاً شاقًا بلا افراط انفق في اليوم نحو ٣٨٣٠ وحدة اي بزيادة ١٤٠٠ وحدة فلسدّ هذه الزيادة يضطر الرجل الذي يعمل عملاً شاقًا ان يأ كل اكثر من المستريح لحفظ التوازن بين الدخل والخرج . وهذه الزيادة على طعامهِ تعيّن بدرجة مشقة عملهِ والاحوال التي يعمل فيها

ولزيادة البيان نقول : ان الرجل المعتدل الوزن الذي يعمل ثماني ساعات في اقليم بارد كاقليم انكلترا مثلاً يجب ان يتناول في اليوم طعاماً يحتوي على ٣٢٠٠ وحدة الى ٣٣٠٠ اما المرأة فتحتاج الى اقل من ذلك اي ثمانية اعشار ما يحتاج اليهِ الرجل وهي تساوي ٢٥٦٠ وحدة الى ٢٦٤٠ . فطعام الرجل يجب ان يكون مؤلفاً كما ترى في الجدول التالي

	جرام	بعد الهضم	الصافي
بروتيين	١٠٠	٠٩٢ جراماً	٠٣٧٧ وحدة
دهن	١٠٠	٠٩٥ «	٠٨٨٣ «
كربوهيدرات	٥٠٠	٤٨٥ «	١٩٨٨ «
المجموع			٣٢٤٨ «



(١) انواع الاطعمة وما فيها من الغذاء · الخطوط المتوازية تجاه الحرف ا تدل على الفضلات والابيض الذي فيهِ الحرف ب للماء والمواد المعدنية · والخطوط المائلة ج للالبيومن والمواد النترجينية · والقطعة السوداء د للدهن والزيت · والنقط ه للسكر والنشا

والدائرة العليا ١ للزيت والدهن و٢ للزبدة و٣ شحم الصدر و٤ الشكولاتا و٥ جبن الغريرو٦ السكر و٧ الرز والمكروني و٨ الفصوليا و٩ صدر الخروف و١٠ الخبز و١١ لحم الخنزير و١٢ لحم الثور و١٣ البيض و١٤ لحم عجل و١٥ لحم السمك و١٦ اللبن و١٧ البطاطس و١٨ القطاني و١٩ الهيلون · وكل دائرة لمادة من مواد الطعام ونسبة ما فيها من عناصرهِ فالزيت (١) مادة زيتية كلها فيها قليل من الماء · والزبدة (٢) اكثرها دهن وفيها ماء وقليل من الالبيومن · والفاصوليا (٨) اكثرها نشا وفيها ماء والبيومن ودهن او زيت الخ

والارقام الافرنجية تدل على مقدار وحدات الحرارة في الغرام من كل نوع من هذه الانواع

مقتطف اغسطس ١٩١٧

امام الصفحة ١١٦

واليك جدولاً ذكر فيهِ ما تولدهُ اشهر اصناف الطعام المختلفة من وحدات الحرارة

	في المئة			في الرطل جرامات			
	بروتيين	دهن	كربوهيدرات	بروتيين	دهن	كربوهيدرات	وحدات
لحم البقر المدهن	١٥	١٨	٠	٦٨	٨١٫٦	٠	١٠٣٩
الضان	١٣٫٥	٢٥	٠	٦١٫٢	١١٠٫٩	٠	١٢٨٢
الخبز	٨	٠١٫٢	٥٢٫٥	٣٦٫٣	٥٫٤	٢٣٫٨	١١٧٥
اللبن	٣٫٤	٤	٥	١٥٫٤	١٨٫١	٢٢٫٧	٠٣٢٥
البيض	١٢	٩٫٥	٠	٥٤٫٤	٤٣٫١	٠	٠٦٢٤
الجبن العال	٢٥٫٩	٣٣٫٧	٢٫٤	١١٧٫٥	١٥٢٫٨	١٠٫٩	١٩٥٠
البطاطس	١٫٧٥	٠٫١	٢١	٧٫٩٤	٠٫٤٦	٩٥٫٣	٠٤٢٧
الزبدة	١	٨٥	٠	٤٫٥	٣٨٤٫٥	٠	٣٦٠٠

وتولد الزبدة الصناعية اقل من الطبيعية بقليل

واليك ثلاثة جداول تبين ما يتولد من الحرارة في الوجبات الثلاث العادية التي تلزم العامل في يومهِ . وقد اخذ العامل الانكليزي نموذجاً فيها

الفطور

نوع الطعام ومقدارهُ بالجرام	بروتيين	دهن	كربوهيدرات	وحدات
لحم خنزير اوقيتان	٥٫٣٧	٣٣٫٧٥	٠	٣٣٦
بيضة	٦٫٥٥	٥٫٤٠	٠	٠٧٨
خبز $\frac{1}{4}$ رطل	١٨٫١٥	٢٫٧٠	١١٩	٥٨٨
زبدة $\frac{1}{2}$ اوقية	٠٫١٤	١٢	٠	١١٢
شاي وسكر اوقية ولبن $\frac{1}{2}$ ١ اوقية	٢٫٤٠	٢٫٨٠	٣٢	١٦٧
المجموع	٣٢٫٦١	٥٦٫٦٥	١٥١	١٢٨١

الغداء

لحم بقر ½ رطل	٣٤	٤٠٫٨٠	•	٥١٩
بطاطس رطل	٠٧٫٩٠	٠٠٫٤٦	٩٥٫٢٦	٤٢٧
خضر اوقيتان	٠٠٫٤٣	٠٠٫٠٨	٠٢٫٢٦	٠١٢
خبز اوقيتان	٠٤٫٥٣	٠٠٫٦٥	٣٠٫٠٠	١٤٧
جبن اوقية	٠٧٫١٠	٠٨٫٥٠	٠٠٫٧٠	١١١
حلو من التبيوكا ½ ٣ اوقية	٠٣٫٣٠	٠٣٫٢٠	٢٨٫٢٠	١٥٩
المجموع	٥٧٫٢٦	٥٣٫٦٩	١٥٦٫٤٢	١٣٧٥

العشاء

شوربة اوتميل اوقيتان	٩٫١٠	٤٫٠٧	٣٨٫٣٠	٢٣٢
خبز ¼ رطل	٩٫٠٧	١٫٣٥	٥٩٫٥٠	٢٩٤
زبدة ½ اوقية	٠٫١٤	١٢٫٠٠	•	١١٢
لبن ½ رطل	٩٫٦٠	١١٫٣٠	١٤٫٢٠	٢٠٣
مربى اوقية	٠٫٢٠	٠٠٫٠٣	١٤٫١٠	٠٥٩
المجموع	٢٨٫١١	٢٨٫٧٥	١٢٦٫١٠	٩٠٠

	بروتيين	دهن	كربوهيدرات	وحدات
المجموع للوجبات الثلاث	١١٧٫٩٨	١٣٩٫٠٩	٤٣٣٫٥٢	٢٥٥٦

وغنيٌّ عن البيان ان الطعام لا يمرأُ لآكلهِ الاَّ اذا أُتقن طبخهُ ولا يهضم جيداً الاَّ اذا أُكل على مهل . فمن المهم جدًّا والحالة هذه ان يعنى باعداد الطعام و يعطى الوقت الكافي لاكلهِ فيسوغ و يعود بالفائدة المرومة

و يقال بالاختصار ان الجسم في حال الراحة التامة يحتاج الى ٢٠٠٠ وحدة من الحرارة . وفي حال السعة والترف الى ٢٤٠٠ . وفي حال العمل الشاق الى ٣٨٠٠ اي بزيادة ١٤٠٠

وحدة · ومن هذه الزيادة ٤٠٠ وحدة (اي ٥و٢٨ في المئة) تعود فتظهر بشكل عمل ميكانيكي نافع وتقابل ٠٠٠و١٧٠ «كيلوجرامتر» في عمل ثماني ساعات اي ما يرفع كيلو جراماً واحداً ١٧٠٠٠٠ متر ومئة كيلو جرام ١٧٠٠ متر · على ان الجسم الانساني يكون اكثر اقتصاداً في عمله اذا عُرّض للعمل الشاق الطويل منهُ اذا كان عملهُ غير شاقٍ · وقد وجد في هذهِ الاحوال ان نصف القوة الكيماوية الموجودة في العلاوة التي يتناولها العامل من الطعام قد تظهر بصورة عمل نافع اي ان الزيادة التي يتناولها العامل الذي يعمل عملاً شاقًّا تظهر فائدتها في العمل الذي يعملهُ · فالانسان اقوى على العمل اذا عمل بهمة ونشاط منهُ اذا كسل او عمل بالتراخي

في بادية الشام

(٣)

(الدين في البادية) · الانسان ابن البيئة والمربى والبدوي لخشونتهِ وعنجهيتهِ [١] في اخلاقهِ شراسة وقسوة ودعارة فهو لا يشعر بما يشعر بهِ القروي المتحضر من عواطف الرحمة والحنان او ما تجمّل بهِ من محاسن الحضارة كاللين واللطف ورقة الطبع وخفة الظل الاَّ قليلاً · ولهذا ورد في الكتاب العزيز ان الاعراب اشد كفراً ونفاقاً وان كان منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر · ولهذا ترى البدوي اليوم يكب مسلّماً على رأس اميرهِ او شيخهِ بان يقبل رأسهُ استنجاحاً لطلبتهِ مما لا يقوى عليهِ الحضري من تحمل اكباب كل بدويّ على رأسهِ ولهذا كان يضطر الامراء الاشراف في الحجاز اذا ازدحم البدو في السلام عليهم ان يقولوا لهم : «النظر تحية» اي قد يغني النظر مع الاحترام والسلام عن التحية وعادتها المعروفة · ومما حفظتهُ كتب الادب لنا ان رجالاً من وفد تميم نادوا النبي (ص) باسمهِ من وراء الحجرات فقال الله تعالى «ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون» فالبدو لخشونتهم وتوحش بواديهم جفاة الطباع قساة القلوب واشد الناس حاجة الى ما يشذب من اخلاقهم و يثقف من اميالهم و ينبط ماء الحنان والشفقة من قلوبهم · والبدو لفقد

(١) العنجهية هي الجفاء والخشونة في المطعم وغيره وكل ما هو من لوازم البادية الوعرة

الوازع بين ظهرانيهم وفقد انتشار العلم في قبائلهم بحاجة كبيرة الى الدين البسيط الخالي من الخرافات وهم اشد الناس خضوعاً للدين اذا عرفوهُ ولهُ في نفوسهم تأثير شديد جداً

في القرون المتأخرة عم الجهل بالدين جزيرة العرب اللهمَّ الاَّ بعض جهاتها كعمان واليمن ولم يستفق العرب من سباتهم ولا انقشعت عنهم ظلمات الجهالة الاَّ بعد قيام محمد بن عبد الوهاب وآل السعود بثورتهم الدينية والسياسية القومية . فترى اليوم ان عربان نجد والقصيم اقل من عربان بادية الشام وسواد العراق شروراً وجهلاً بامور الدين فعرب شمَّر مثلاً يصلون واما الرُّوَلَه فلا يعرفون اقامة الصلاة ومثلهم بنو صخر والسرحان واكثر عربان بادية الشام

البدو كالناس على دين ملوكهم ولذا امتاز التوابهة عن سائر البدو في الشام بذكر الله احياناً واقامة الصلاة لان شيخهم عودة لا يتركها ويأمر قومهُ بها فتراهم اذا حانت الصلاة هرولوا الى الارض وتيمموا صعيداً طيباً ثم اذن مؤَذنهم وهو شاب جوفيٌّ من الوهابيين الحنابلة فاصطفوا للصلاة وتنزلت عليهم السكينة وكأَن على رؤُوسهم الطير فيعلوهم ذلك التعبير الرهيب : الله واكبر ! فكنت اصلي معهم واقول راكعاً ساجداً في نفسي عند كل تكبيرة : « الله واكبر ما اعظمك يا محمد كيف استطعت ان تجمع من هؤُلاء العرب الكلمة وتعلمهم بمثل هذه الصلاة النظام والتواضع والرحمة » : فلا عجب والعرب من الساميين ان يسكن الله كما ورد في التوراة خيمة سام ويكثر من اولاد يافث . ولعلمي بما للدين من قوة التأثير في نفوس البدو كنت اذا قابلت شرذمة من العرب وداخلني منهم ريبة وتبينت الشر في اعينهم انظاهر بتلاوة الاذكار والتسبيح والاستغفار بل اكثر من ترداد البسملة والهيللة والحمدلة والسبحلة والحسبلة والحوقلة واعلمهم باني من رجال الله وطالبي العلم بالازهر لا ضاربي الدف والمزهر . وقد دعاني لهذا الشيخ عودة ابو تائه مراراً للوعظ والتذكير فكنت افسر لهم بعد كل صلاة عصر شيئاً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ما اتخذهُ والحديث ذو شجون سلماً للمقاصد القومية فاذكرهم بمجد اسلافهم العرب وما كان لهم من علم وعز وسلطان وكيف كانت تفد اعراب البوادي على عرب الحواضر لتروي لهم اشعار من كانوا في الجاهلية ولغتهم وآدابهم وما كانوا ينالونهُ بذلك من خيرات الحضر والحفاوة والاكرام وكيف قُلب لهم اليوم بتحكم الترك مجن الدهر وعضتهم انياب العيلة والفقر حتى الصقتهم بالارض احكام العسر والقسر وهلم

جرا من العبارات التي كان يبدو عليهم التأثر بها والتحسر وتثير من جوانحهم كوامن الغضب على القوم الظالمين

(نخوة العرب) هي اليوم اكتناؤهم بالامس في مقام الافتخار او ميدان الحرب والجلاد وكل قبيلة لها نخوة عربية معلومة والتي لا نخوة لها لا شرف لها وتكون النخوة باللقب الممدوح او التكني باب اوام او اخ او اخت وقد يكون للقبيلة نخوة ولشيخها اخرى كعرب الحويطات فان نخوتهم « اخوة صالحة » ونخوة عودة ابي تائه « اخو عليا » وعلياء هذه هي شقيقتهُ زوجة ابن عمهِ عبطان ابن جازي شيخ الجوازي الذي مر بنا ذكرهُ . ونخوة الشعلان « رعاة العليا » وبني صخر « رعاة العرفا » وهي الناقة المنيفة السنام لغةً . ونخوة السرحان « رعاة البويضا » ثم بنو صخر كما قدمنا فصيلتان : الفائز ونخوة احدهم « اخو بلها » وفي القاموس ان البلهاء هي المرأة الكريمة الغريرة . ونخوة الخرشان « اخو فلوة » واظن فلوة تأنيث فَلُوّ وزان عدو وهو المهر تحرفت بعد ان قيل في البادية « هذه عصاتي [1] » ومن عادة العرب مدح الفتاة النجيبة بقولهم فلانة مهرة عربية كما قال الشاعر : « وما هند الاّ مهرة عربية » . ونخوة الشرارات بنو مكلب

(وادي السرحان) . لم يرد لهُ في معجم البلدان ذكر وهو مضاف الى قبيلة السرحان وربما كان في القديم مضافًا الى غيرها وهو ممتد من قريات الملح الى قرب دومة الجندل . وارضهُ رملية منبسطة يغشاها احيانًا بساط خفيف من حصى المرو والصوان وبعض الآكام . ويحد الوادي شمالاً سلسلة من الجبال التي تبدو حمراء للركبان وهي لا تعلو عن سطح الارض كثيراً . وهذا الوادي لا يظمأ مرتادهُ لكثرة آبارهِ ولذلك تختارهُ القوافل السيارة بين الجوف والشام

وكنا نرى اثناء سفرنا في هذا الوادي آثار الضباع والغزلان والمها ومن الطير آثار النعام والحبارى . وبالبدو قرم الى لحوم الحبارى التي يصطادونها بالصقور . ورأيت اسرابًا من الطير كالحجل فاردت ان اسأل البدو عنهُ فسمعت صوتهُ وقد كاد ان ينطق : قطا قطا نطا بحروفها فغلب على ظني انهُ القطا بعينهِ ثم سألت بدويًّا كان يحاذيني من الركب عن اسمهِ فقال القطا فصرت اترنم بالبيت الذي يستشهد بهِ النحاة في انزال ما لا يعقل منزلة

(١) اول لحن ظهر في البادية والصواب ان يقال هذه عصاي

العاقل وانادي كمجنون ليلى القطا حنيناً الى دياري وشغفاً بحب سكانها :

اسربَ القطا هل من يعير جناحهُ لعلي الى من قد هويت اطيرُ

ثم تعود ثانية وتقطقط فاذكر قول الشاعر :

« يا حسنها حين تدعوها فتنتسبُ »

(اويسط) : بعد ان جزنا ماء المخيضر مررنا بماء العيسوية ولا ذكر لها في معجم ياقوت ثم انخنا رواحلنا في اويسط وهو عبارة عن عدة قُلُب واقعة في منتصف وادي السرحان ولذا سميت باويسط لانها تصغير واسط ولم ترد في معجم البلدان ايضاً بل ورد واسط وسمي بهِ مواضع كثيرة في جزيرة العرب وهي سبعة حسب رواية ابي الندى وحول اويسط مراعٍ طيبة

(مراعي البادية) : ليس في البادية مراعٍ صناعية كما في القرى المتحضرة والارياف الزراعية وهي خاصة بالابل وقد يوجد من النبات ما يصلح لرعي سائر المواشي وهذه المراعي عبارة عن اعشاب منثورة في سهول البادية واوديتها وآكامها وهناك من الاشجار شائكة [العضاه] وغير شائكة تقضم الابل اطرافها الخضراء في السنة المجدبة ويطلق البدو اليوم الشجر على الاعشاب وما لهُ ساق من الاشجار كالغضا والاثل والسدر والسلم والطلح والطرفاء مما ينبت في البادية

والاعشاب منها ما هو حمض يقوم للابل مقام التوابل كالروثة والرمث وقد ذقتها فاذا بها شيء من الحموضة وهي وسائر الاعشاب يتراوح طولها ما بين شبرين او ثلاثة واوراقها دقيقة وللروثة زهر احمر جميل . ومن الاعشاب ما لهُ عرف شذي تعبق منهُ البادية كالشيح والقيصوم وهما مع الروثة . والرمث احب المرعى للابل لانها تسمن وتغني من جوع ولذلك ترى البدوي اذا ارتاد أو وصف ارضاً مخصبة لا يبدأ الاَّ بذكر هذه البقول الطيبة كما كان يفعل البدوي الجاهلي . فقد روي ان اعرابياً وصف ارضاً احمدها فقال : « خلع شيحها . وابقل رمثها . وخضب عرفجها واتسق نبتها » ومعنى قولهُ خلع شيحها اي اورق وخضب عرفجها اي اسود لخضرتهِ واتسق نبتها اي تمّ

ومن الاعشاب التي تهيم بها الابل النصي فمما ادَّخرتهُ لنا كتب الادب ان الاخوص بن جعفر بعدما كبر وعمي وبنوهُ يسوقون بهِ الاباعر قال لهم : « اي شيء ترتعي

الابل» قالوا : الثام والضعة . قال «سوقوا» ثم عادت فارتعت بمكان آخر فقال : اي شيء ترتعي الابل ؟ قالوا : العضاة والقضة . قال سوقوا حتى اذا بلغوا بلداً آخر قال : اي شيء ترتعي الابل ؟ قالوا : نصيًا وصليانًا . قال : مكفية لرعائها . مظولة لذراها . ارعوا واشبعوا . ثم سألهم فقال اي شيء ترتعي الابل ؟ قالوا : الرِّمث . قال : خلقت منهُ وخلق منها

قال ابو صاعد : وزعم الناس ان اول ما خلقت الابل من الرمث وعلامة ذلك انك لا ترى دابة تريدهُ الاَّ الابل . وقد رأيت حاشية البيان والتبيين صفحة ٧٧ من الجزء الثاني تذكر ان الرمث مرعى الابل وشجر يشبه الغضا وهو تعريف غير صحيح لان الرمث لا يزيد ارتفاعهُ على شبرين او ثلاثة والغضا قد يستظل بشجرتهِ الاثنان والثلاثة من الركب وقد ينمو فيبلغ ثلاثة امتار علوًّا . قال المصباح : والرمث وزان حمل مرعى من مراعي الابل ينبت في السهل وهو من الحمض . وهذا التعريف صحيح بيد انهُ غير مخصَّص

وقد شاهدت شجر الارطي لا تعلو شجرتهُ ارتفاعًا على متر ويتخذ البدو منهُ صبغًا ووقوداً من قضبانهِ ورأيت العرفج وبقلاً يقال لهُ القرط ترعاهُ الابل . ومن ازهار البادية الاقحوان والحوذان وشقائق النعمان . ثم ان الاشنان من نبات البادية وهو معرب وبالعربية الحرض يجمع البدوي منهُ ما يقوم مقام الصابون وان كان للبدو صابون اخر لغسل الايدي من الطعام وهو طرف بيت الشعر يمسحون بهِ بعد انتهاء الاكل اكفهم مما علق بها من الادهان

وكنا اذا انخنا مساء رواحلنا نجمع من الشجر اليابس او العشب الهشيم ما نتخذهُ وقوداً لطعامنا ودفأً في الليل لاجسامنا فليس — كما قالت العرب — شيء ادفأ من شجرة ولا اظل من شجرة

(الميسرى) : مكثنا بضعة ايام في بيت الشيخ عودة بعد ان ذهب كما سبق للغزو ثم صعبت على رفيقي عيشة البادية الخشنة وكنت اشد منهُ جلداً وخشينا عاقبة الغزو المريبة فاستأجرنا راحلة بليرتين فرنسويتين ليوصلنا صاحبها عليها للجوف وهو من عرب التوائهة المعروفين فتأهبنا وسرنا وقد ضمنا الطريق بركب صار بنا عددهُ نحو عشرة ولكن سلاحنا لا يركن اليهِ . وقد مررنا بقليب بجانبهِ نخلة واحدة يقال لهُ الميسرى بكسر الميم وفتح السين وذكر ياقوت الميسر ونصَّ على انهُ موضع شامي والميسرى كذلك اقرب للشام منهُ

الى نجد . وقد لقينا في سفرنا هذا كثيراً من الارانب البرية و يلقبها البدو بغزلان الحماد اي البادية المرتفعة فبينا يكون البدويّ راجلاً لا يشعر الاّ وارنب تثب بغتة من جانبهِ فان تمكن منها حذفها بعصاهُ والاّ ادركتها الكلاب اذا كانت سلوقية ولا يعلم بالتحقيق الزمن الذي استعمل فيهِ الانسان الاول العصا للأَذى ففي الامثال العربية القديمة : « تحذفهُ بالقول كما تحذف الارنب بالعصا »

(الجراوي) وما زلنا نضرب في البيد غوراً ونجداً حتى جزنا بموضع يقال لهُ النبك فذكرني نبك قلمون في الشام وكنا آنئذٍ نواصل السرى تحت جنح الظلام وفي ثاني يوم اوردنا رواحلنا قليب الجراوي بعد ان لقينا من لفحات السموم في الفلاة ما هو لعمري احر من دمع المقلا . فانخنا لنروي فوجدنا الماء لقلة المتح كما يعللهُ البدو متغير اللون والطعم والرائحة وفيهِ مع ذلك خلق من الدود كثير فهرول صاحبي لينقع غلتهُ من علبة الماء فصار يتجرعهُ ولا يكاد يسيغهُ حائراً للبدو كيف يكرعونهُ وهم يقولون : « ترى البدو اباعر اباعر » ! اما انا والحاجة تفتح باب المعرفة كما ورد في الامثال العربية القديمة فقد اخرجت منديلي وملأتهُ رملاً نقياً وصفّيت الماء برشحهِ من الرمل في العلبة فتضاحك البدو لما صنعتُ تضاحكاً مازجهُ حسرةٌ على شقائنا !

والجراوي هذا على بعد نحو مئة كيلو متر من دومة الجندل ومن الغريب ان ماء هذا القليب الآسن الوخيم كان معجبًا مقليًا من القديم واليك قول ياقوت : « الجراوي يروى بضم الجيم وفتحها والضم اكثر وهي مياه في بلاد القين بن جسر وقيل هي قلب على طريق طيّ الى الشام وقيل مياه لطيء بالجبلين قال بعض الاعراب :

الاّ لا ارى ماء الجراوي شافيًا صدايَ ولو روّى غليل الركائبِ
فيا لهف نفسي كلما التحت لوحةً على شربةٍ من ماء احواض ناضبِ

ونرى هنا ان معجم البلدان لم يعين لنا موضع هذا الماء فمن المحتمل وحدة الاسم وتثليث المسمى والقول الثاني يطابق الجراوي الذي وردتهُ لانهُ على طريق طيء الى الشام

للبحث صلة عز الدين آل علم الدين

حمى التيفوس واسبابها

اول من اعلن ان القمل ينقل حمى التيفوس من المريض الى السليم هو الاستاذ البحاث نكول Nicole ومساعدوهُ وذلك سنة ١٩٠٩ واتفق في الوقت ذاتهِ لبحاثين اميركيين اندرسن Anderson وجولدبرجر Goldberger وريكتس Richetts وويلدر Wilder ان اعلنوا مستقلين ومن غير ان يطلعوا على نشرة زمليهم امكان انتقال هذا الداء بواسطة القمل · ومن ذلك الحين تواترت الشواهد في تأييد هذه النظرية مما لم يبق مجالاً للريب في صحتها الآن · ومع ان الباحثين بحثوا في امكان انتقال العدوى بواسطة حشرات غير القمل لكن البحث لم يسفر عن شيء يؤيد ذلك حتى الآن · وفي سنة ١٩١٠ صرح ريكتس وويلدر ان العدوى تنتقل بواسطة احياء صغيرة توجد دائمًا في محتويات معى القمل المعرض للتيفوس ولا توجد هذه الاحياء في غيرهِ ·وقد وصفا هذه الاحياء وصفًا دقيقًا فقالا انها باشلس قصير لا يكاد يبلغ طول الواحد منها ميكروميلمترين وثخنهُ ثلث الميكروميلمتر

وفي سنة ١٩١٣ وجد هجلر Hegler وفن براوزك Von Prowzecs في جسم القمل المعرض للعدوى احياء صغيرة تشابه باوصافها الاحياء المتقدم ذكرها فصبغاها بطريقة جمسي Giemse

ونشر تقرير في سنة ١٩١٤ لسرجنت Sergent وفولي Foly وفيالت Vialette ورد فيهِ انهم ربوا الف قملة على اجساد سليمة من التيفوس فلم يجدوا في واحدة منها حيًّا ما ولكنهم عثروا على احياء صغيرة مكروبية في قمل تعرض للداء وقد وصفوها وصفًا دقيقًا · واهم ما اثبتوهُ بالبحث انهم تمكنوا من نقل العدوى بواسطة القمل الى القرد

وظهر في خلال العام الماضي تقارير لتوبفر Topfer وسوشسلر Schussler وروشاليما Rocha Lima واتو Otto وبهير Beher وبلوتس Plotz نأتي على ذكر خلاصة بعضها بالايجاز · فتوبفر وسوشسلر فحصا ٤٠١ قملة اخذت من ٣٥ مريضًا بالتيفوس فوجدا في جسم كل قملة مكروب التيفوس ولم يجدا هذا المكروب في جسم قمل اخذ من مرضى دخلوا دور النقاهة والابلال ومرضى مصابين بغير التيفوس · والذي يهم ذكرهُ انهما حقنا سنجابًا بمصل قمل مصاب فاصيب هو وردَّ فعل الحقن كما لو حقن بدم

انسان مصاب بالتيفوس · ووجدا المكروب في معي القمل ولكن تعذر عليهما استنباتهُ لعدم توفر وسائل الاستنبات · وفحص توبفر ٢٠٠٠ قملة فوجد المكروب في التي تعرضت للعدوى ولم يجدهُ في غيرها · وذكر اوتو انهُ شاهدهُ يخرق الغشاء المخاطي المعوي وايدهُ روشاليما فاثبت انهُ شاهد هذه المكروبات تنفذ الغشاء المخاطي المعوي وتحدث تغييراً في بناء كرياتهِ وثبت لهُ ان الدم الملوث بالتيفوس يملك وحدهُ قوة احداث العدوى بالقمل لانهُ فحص عدداً كبيراً من القمل كان جمعهُ من مصابين بامراض غير التيفوس ومن مرضى بالتيفوس في دور النقاهة ولم توجد فيهِ مكروبات التيفوس · وحقن ارنباً بمستحلب مصل قمل تيفوس فبدت عليها اعراض الداء · وحقن سرجنت وفولي وفيالت ارنباً بمستحلب استحضروهُ من بيض قمل التيفوس فظهرت عليها اعراض الحمى بعد الحقن بعشرة ايام

في اوائل العام الماضي سافرت بعثة علمية من مدينة نيو يورك الى المكسيك مؤلفة من ثلاثة اطباء مشهورين بالفضل والعلم وهم اولتيسكي Olitsky ودانزر Denzer وهوسك Husk لكي يدرسوا حمى التيفوس ويجلوا اسبابها واختاروا لهم من مدن المكسيك مدينة مجهولا وهي واقعة في وسط البلاد ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نفس · ومتوسط اصابات الحمى فيها في فصل الشتاء نحو خمسمائة والوفيات ٢٠ في المئة · ثم رفعوا تقريراً مسهباً الى الجمعية الطبية العلمية في نيو يورك في جلسة عقدتها الجمعية في ١٨ يناير الماضي برياسة الدكتور ادورد فيشر اوردوا فيهِ خلاصة ابحاثهم ونتيجة اعمالهم النظرية والعملية في درس هذا الداء في كل ادوارهِ · ومما جاء فيهِ ان الحوادث التي شاهدوها في المكسيك لا تختلف في اعراضها الكلينيكية عن حوادث اخرى شاهدوها في غير ذلك المكان

والتجارب التي جربوها وعولوا عليها كانت بكتيريولوجية فدرسوا تأثير سم المكروب وفعل المصل وقوة فعل المكروب المستخرج من دم المريض وعمل الوقاية بواسطة التلقيح بمصل المناعة · اما تأثير سم المكروب فقد اثبتت لهم التجارب صحة ما اذاعهُ غيرهم قبلهم وهو انهُ اذا اخذنا من مريض بالحمى التيفوس عند ارتفاع حرارة جسدهِ ارتفاعاً كثيراً كمية معلومة من دمهِ وحقنا بها حيواناً من الحيوانات الداجنة كالارنب مثلاً تظهر اعراض حمى على ذلك الحيوان وتلازمهُ من اربعة ايام الى احد عشر يوماً بعد ان يجتاز دور الحضانة من سبعة ايام الى اربعة عشر يوماً واستعملوا الوسائل المعروفة لاستنبات المكروبات

في بيئات صالحة لها في احدى وثلاثين حادثة فنجحوا في ثمانٍ منها فانهم لاحقوا درس التفريخ والاستنبات فيها الى ان ظهر في كل بيئة منها احياء تحاكي في شكلها وحجمها احياء كان قد استنبتها وفصلها الدكتور بلوتز Plotz سنة ١٩١٤

وخلاصة ما اوردهُ بلوتز في تقريرهِ عن التجارب التي جربها في ٣٤ اصابة في شرق اوربا انهُ وجد احياء في دم كل مريض شاهدهُ واجرى عمليات الاستنبات بمصلهِ واطلق على هذه الاحياء اسم باشلس التيفوس . وبعض الكتبة يطلقون عليهِ اسم الباشلس وينعتونهُ باسم مكتشفهِ بلوتز فيقولون باشلس بلوتز واجروا عملية التغرية (Glutination) في مصل دم مريض مع الباشلس او المكروب المستنبت من القمل فكانت النتيجة مرضية تؤيد ما نشرهُ سابقًا بلوتز ومساعدوهُ . وان المشابهة بين المكروب المستنبت من دم المريض والمستنبت من القمل الذي تعرض للعدوى على اتمها بالشكل والحجم والفعل المصلي والمكروبي والاستنبات

والمكروب دقيق جدًّا طولهُ ميكرون واحد يعيش من غير اكسجين وينمو متفرقًا في وسط مصل سكر العنب بقوة ٥ بالمئة ويخمر سكر العنب وسكر الشعير وسكر اللبن (الحليب)

وثبت لهم من عملية التغرية ايضًا بمصل تيفوس مستوطن على مصل تيفوس المكسيك ان الالتحام تم في اربع تجارب من كل خمس اجروها اي ظهر عليها التأثير الايجابي ومثل ذلك اتمام تجربة التثبيت (Complement test) ضد مصل التيفوس للمناعة فالتثبيت ظهرت نتيجتهُ في كل تجربة اجروها في مصل التيفوس ولم تظهر ولا في تجربة واحدة من التجارب التي جربوها في مصل غير مصل التيفوس وبكلمة اوضح انهم وجدوا ان المكروب الذي عثروا عليهِ في الاصابات التي شاهدوها في المكسيك يجانس المكروب الذي وصفهُ بلوتز ونسب اليهِ اي ان الباشلس هو سبب حمى التيفوس

واهم ما ورد في التقرير مما جاء مثبتًا لمشاهدات بلوتز هو عثورهم في جسم قمل التيفوس على المكروب الذي عثر عليهِ بلوتز وثبت لهُ بعد تجارب عديدة انهُ السبب لهذا الداء . والطريق التي جروا عليها في اثبات هذه النظرية انهم جمعوا ثلاثين قملة من اناس مصابين بالتيفوس ثم اخذوا خلاصتها بطريقتهم المعروفة وحقنوا بها بريتون حيوانٍ وفي تسعة ايام ظهرت عليهِ اعراض التيفوس . وجمعوا ايضًا ٦٥ قملة من اناس مضى على اصابتهم ثلاثة ايام من دور البحران واستحضروها كما استحضروا سابقاتها وحقنوا بها حيوانًا اخر فظهر عليهِ الداء بعد عشرة ايام . وقد جربوا هذه العملية في عدد كبير من الحيوانات فاتضح لهم ان القمل

يصبح معدياً بعد ثلاثة ايام من تعرضهِ · وفحصوا حيواناً اماتوهُ قبل ان تقضي عليهِ التيفوس فحصا باثولوجيًّا فما وجدوا من اعضائهِ متأثراً من الداء غير الطحال فانهُ كان اكبر من حجمهِ المعتاد ومحتقناً وجسيمات ملبيجي ظاهرة للعين المجردة · واستخلصوا من هذا الطحال مستحلباً واستنبتوا عليهِ المكروب فظهر منهُ بعد خمسة ايام اثنتا عشرة مستعمرة في الانبوب الذي اعدوهُ للاستنبات ثم عمدوا الى استنبات المكروب من قمل التيفوس بالطريقة الآتية : يسكون القملة بملقطين معقمين الواحد من صدرها والثاني من طرف بطنها فتبرز محتويات القناة الهضمية وتجمع وتلقح بها البيئة المعدة للاستنبات و بعد التلقيح يمزج العنصران ويتركان في انبوبة ريثما تستوفى شروط الاستنبات

ولكن عمل هذه البعثة توقف فجأة واضطرت الى العودة الى نيو يورك قبل استيفاء العمل كما كانت ترجوهُ · ولا نعلم الاسباب التي اجبرتها على ذلك ولكن عرفنا ان احدهم هوسك مات بالتيفوس قبل ان يغادروا المكسيك ببضعة عشر يوماً ولم يكن هوسك اول من عرَّض نفسهُ للموت من رجال العلم في سبيل الاستقصاء والبحث فقد مات قبلهُ عدد ليس بقليل شهداء الانسانية والواجب

وقد فازت البعثة في استنبات ٦ بيئات وبدأ فيها كلها الباشلس الذي استنبتوهُ من دم الانسان المصاب بالداء

وفي شتاء سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ اختبر بلوتز واولتسكي وبهير فائدة التلقيح بمصل التيفوس للمناعة في سربيا و بلغاريا وروسيا والمكسيك واقتصروا في اختبارهم على تلقيح الاقرب والاكثر تعرضاً للعدوى من اطباء وممرضين وتمرجية وجماعات من الجيش وكان رد فعل التلقيح طفيفاً جدًّا اي انهُ لم يشعر الملقح بمصل التيفوس الواقي باكثر مما يشعر بهِ الملقح بمصل التيفويد

وقد لقحوا ٥٢٥١ شخصاً في بلغاريا ظهر على ثلاثة منهم اعراض التيفوس ومات واحد من الثلاثة

وفي فولهينا لقح ٣١٦٩ شخصاً ولغاية اواخر مايو الماضي لم يظهر منها غير ثلاثة اصابات فقط

ولقح نحو ٢٠٠٠ شخص بالمكسيك ولكن طرأ على رجال البعثة طارىء ارغموا لاجلهِ على مغادرة البلاد وترك العمل قبل استيفائهِ كما تقدم القول ولكن اخبار المكسيك من هذا القبيل مرضية · والخلاصة انهُ بلغ مجموع الملقحين في وباء سنة ١٩١٥ — ١٩١٦

٨٤٢٠ شخصاً ينتمون الى ١٠٩ مستشفيات والعبرة كانت بالنتيجة فانهُ لم تظهر اعراض الداء من هذا الجمع الكبير الاَّ على ستة اشخاص فقط وذلك طول مدة الوباء وهي اربعة اشهر

وما تقدم يكفي للدلالة على ان حمى التيفوس امست كسائر الادواء المعروف سببهـا وصرنا نعلم ما كنا نجهل من امرها ومن طريقة تفشيها او انتقال العدوى بها فضلاً عن انهُ صار من الممكن الحصول على الوقاية منها بواسطة التلقيح ٠ ولم يثبت بعد مدة استمرار المناعة والمرجح انها لا تكون اكثر من المدة التي يحصل عليها الملقح بالتيفويد٠ واذا كان القمل هو وحدهُ المسؤُول عن انتقال العدوى من المريض الى السليم كما ثبت فليس من الصعب ان نقي السليم شر العدوى اذا تعذر الحصول على مصل الوقاية وذلك يكون بعزل المريض في غرفة خالية من الاثاث والفرش ما عدا سرير المريض والاعتناء بشروط النظافة في جسدهِ وثيابهِ وبمثلهِ بالممرض او الممرضة ٠ وابادة هذه الحشرة من بيت ظهر فيهِ الداء بواسطة الحرارة اسهل من اي طريقة اخرى اي تولد في البيت حرارة تزيد على حرارة الجو خمس عشرة درجة فاكثر لمدة نصف ساعة وبذلك نخطو خطوة واسعة في القضاء على جرثومة هذا الداء٠ واما مسئلة عزل المريض وتخويف اهلهِ من نقلهِ الى المستشفى فما يزيد الداء انتشاراً٠ ولا نزال نذكر ما احدثهُ طبيب احد الاقسام في السنة الفائتة من الخوف في قلوب الاهالي بسبب مطاردتهِ المرضى فانهُ كان يدخل البيوت ويطوف بالحواري ومعهُ جاويش للارهاب وكان يأمر بنقل كل من وجدهُ ملقى على فراشهِ ٠ وقد اتفق لنا ان دعينا لعيادة مريضة ساكنة بمنزل بحارة السكر والليمون بفم الخليج وبعد ثلاثة ايام ذهبنا لعيادة مريض بشارع يعقوب هنري بقسم السيدة فهمنا بعد التردد عليهِ انهُ زوج المريضة وفهمنا ايضاً انهُ كان ساكناً في منزل غير المنزل الذي كانت فيهِ زوجتهُ ولم يكن سبب انتقالهِ من مسكنهِ الاول وانفصالهِ عن زوجتهِ واولادهِ الاَّ خوفهُ من الوقوع بيد مطاردهِ

فحبذا لو اهتمت مصلحة الصحة المصرية بدرس هذا الداء الوبيل واختبرت بنفسها صحة ما وصل الينا من اميركا ونشرناهُ في هذا المقال فان اصاباتهِ بالقطر كثيرة العدد مخيفة تبعث على الاهتمام وتطلب عناية وحزماً صادقين ولانها اقدر على مثل هذا الاستقصاء الفني وافادة الجمهور بهِ من سواها بما لديها من الوسائل ولها من الحول والطول

الدكتور شخاشيري

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

اشرنا في الجزء الماضي الى ان اولاد السر اوليڤر لدج اعتقدوا اعتقادهُ وايقنوا ان ما كان الوسطاء يقولونهُ عن لسان اخيهم صحيح اي ان روحهُ كانت تناجيهم احياناً من عالم الارواح . وانهم صاروا يوسّطون الوسطاء في التكلم مع روح اخيهم ووعدنا بنشر شيء مما خاطبهم بهِ . وقد مهّد السر اوليڤر لدج لذلك تمهيداً قال فيهِ ان اولادهُ لم يكونوا يرون رأيهُ في اول الامر ولم يصدقوا ان روح اخيهم هي التي كانت تتكلم بواسطة الوسطاء الاَّ بعد ان رأَوا على صحة ذلك ادلة مقنعة على اساليب استنبطوها هم . اما زوجتهُ فقال انها كانت قد رأَت مسز بيبر الوسيطة الاميركية منذ سنة ١٨٨٩ واختبرت مقدرتها على مناجاة الارواح ولكنها لم تصدقها حتى سنة ١٩٠٦ اما اولادهُ فلم يشاركوها في ذلك ولا قرأُوا ما كتبهُ هو او غيرهُ في هذا الموضوع بل كانوا ينظرون الى ذلك كلهِ بقلة الاكتراث وبالشك التام لا لخلاف وقع بينهُ وبينهم بل لان افكارهم كانت متجهة الى امور اخرى لا علاقة لها بهذا الموضوع فلم يلتفتوا اليهِ الاَّ بعد وفاة اخيهم

نقول وهذا من الغرابة بمكان عظيم فان الموضوع مهم جدًّا والمشتغل بهِ رجل من اكبر رجال العلم وهؤلاء اولادهُ العارفون قدرهُ ومع ذلك لا يهتمون بهِ ونحن في هذه البلاد نفتش عن كلمة يقولها السر اوليڤر لدج في هذا الموضوع فنطالعها ونمعن النظر فيها . أفلا يستدل من ذلك على ان الادلة التي يتمسك بها كان اولادهُ يرونها عن قرب فيجدونها تافهة لا تستحق هذا التمسك الى ان توفي اخوهم فقامت في نفوسهم رغبة شديدة في معرفة ما وراء القبر فانصرفوا الى هذا الموضوع وغالوا فيهِ

وقال السر اوليڤر ان اول جلسة جلسها احد ابنائهِ مع وسيط كانت في ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١٥ فان ابنهُ اسكندر جلس مع الوسيط بيترس في بيت مسز كندي وكان اسكندر قد استعدَّ لكتابة كل ما يقال وهاك خلاصة ما كتبهُ

جلسة ٢٣ اكتوبر ١٩١٥

وصلت انا وامي الى بيت مسز كندي قبل الساعة الحادية عشرة بخمس دقائق وقالت لنا مسز كندي حينئذٍ هل تودان ان احضر معكما فقلنا نعم فقالت لنا ان بيترس اتى ايضاً

وهو يود ان اكون حاضرة ثم مضت واتت بهِ فدخل وصافحنا من غير ان تعرفهُ بنا (١) فجلسنا نحن الاربعة (اي هو وامهُ ومسز كندي والوسيط بيترس) حول مائدة قطرها نحو اربع اقدام وأُقفلت الشبابيك ولكن بقي النور في الغرفة كافياً . فامسك بيترس بيد امي و بيد مسز كندي مدةً ثم جعل يتحرك و يفرك وجههُ وعينيهِ ثم انتصب وجعل يتكلم بانكليزية مكسَّرة . ولما اعترتهُ الغيبوبة اغمض عينيهِ وصار اذا تكلم مع احد منا يلتفت اليهِ من غير ان يفتح عينيهِ . ثم استكنَّ جاشهُ وامسك بيد امي و بيد مسز كندي و بعد قليل اضطرب ثانية وترك يديهما واخذ يتكلم

وكانت الجلسة متقطعة ولم يحدث فيها شيءٌ مهم الاَّ في وسطها فانني شعرت حينئذٍ كأَنَّ ريمند نفسهُ قبض على يدي اليمنى بيديهِ وانهُ هو كان يكلمني بصوتهِ المعهود ولذلك لم استطع الكتابة حينئذٍ . وكان بيترس سريعاً في تكلمهِ وكلامهُ غير واضح غالباً اما ما كتبتهُ عن الجلسة فهو هذا

وقع الذهول على بيترس وفهمنا ان مرشدهُ مونستون اتى لارشادهِ فقال نهاركم سعيد اني ابتدئ غالباً بقولي ليلتكم سعيدة . لا تقلقوا من اجل مدي (اي ريمند) فقد استعدَّ منذ الساعة السادسة صباحاً ولكن لا بد من خزن المغنطيسية ولذلك فمن الحكمة استعمال الغرفة عينها كل مرة . ثم التفت الى مسز كندي وقال لها اتزورين المرأَة الصغيرة الغريبة مرادي ان انقذ الاثنين . ثم اخذ بيد امي وقال ان شخصاً يصعب عليَّ وصفهُ سيدة كبيرة السن شعرها شائب مفروق في وسط رأسها انفها دقيق فمها كبير نوعاً هذا وصفها قبلما توفيت كان لها عليك سلطة قوية في صباكِ . امرأَة صالحة محبة ولكنها ربما عاشت في عصر مجال النظر فيهِ ضيّق كانت امًّا لبناتها ولكل مَن يتصل بها من رجال ونساء واولاد . وهي هنا الآن وقد كانت هنا قبلاً أليست هي امكِ

لادي لدج — ان كانت امي فما اعظم سروري

لقد كانت معك تعزيك في هذا المصاب واهتمت بامر ابنك وستبقى عينها عليهِ لا تظني انها ليست معك لان ليس لها جسم لا تزال على ما كانت عليهِ امًّا لك . لها جسم ولكنهُ يختلف عن جسمها الاول

ثم اشار اليَّ وقال : وهي تقربهُ وقد وضعت يدها على كتفهِ وتفتخر جدًّا بما هو صانع في هذا الوقت لانهُ كان مساعداً لك ومن حين ذهاب الذي تحبونهُ كلاكما صار ينظر الى

(١) وما ادرانا انها لم تخبرهُ بقصتها من اولها الى آخرها

مناجاة الارواح بعين الاحترام اما قبل ذلك فلم تكن هذه المناجاة قد مسَّت قلبهُ اذ بطل كونها من متعلقات الدماغ وصارت من متعلقات القلب

لقد تألمت' كثيراً قبلما ذهبت' لكنها احتملت الألم بالصبر

وضعت اصبعها على شفتيها وقالت اني افتخر باوليفر . لقد كان كما قدّرت . تأخَّر الفوز كثيراً ولكنهُ سيأتي ويكون اعظم ممَّا قدِّر لهُ . وُجدت' مصاعب في طريقهِ وانا مسرورة بالنجاح وسيزيد كثيراً . والكتاب الذي سيُكتَب سيكتبهُ من قلبهِ لا من رأسهِ ولكنهُ لا يكتبهُ الآن لا يكتبهُ الآن لا يكتبهُ الآن (بصوت عالٍ) يُكتَب فيما بعد . الكتاب الذي يساعد كثيرين ويقنع كثيرين . والعمل الذي عُمِل حتى الآن كبير ولكن ما سيعمل اكبر منهُ

اراها ذاهبة الآن

لادي لدج — اهدِ لها محبتي

الوسيط — كلاَّ كلاَّ كلاَّ لم تذهب ولكنها وقفت وراءكم ليأتي آخر بدلاً منها كما يتعاقب الممثلون في المشاهد

ثم تكلم الوسيط بلسان مرشد آخر اسمهُ ردفذر . ثم بلسان ريمند وامسك بيديَّ حتى منعني من الكتابة . والكلام متقطع مثل كل الكلام السابق كقولهِ قل لابي اني مسرور لانهُ لم يحضر الآن ولو حضر لما استطعت الكلام لاني اجد صعوبة في التعبير عما اريد التعبير عنهُ لكن الامر يسهل عليَّ مرة بعد اخرى وقد ساعدتني جدتي . ثم التفت الى مسز كندي وقال لها يظهر انك لا تدركين ان العالم مقيد بسلسلة وانت حلقة من حلقاتها . وعاد اليَّ فقال لي ان فيك قوَّة عظيمة ولكنك لا تجاهر دائماً بافكارك . بداهتك عظيمة جدًّا وعقلك موزون . ولقد تغيرت الامور منذ ثلاثة اشهر الى الآن لحرَّكتك الى اعماق نفسك . وانك لا تعلم مقدار الارتباط الذي كان بينك وبين الشخص الذي كان هنا اليوم وهو يريد ان تقي امك وتعتني بها وانت تعلم مقدار تعلقها بك وبالذي ذهب وهو اخوك . ثم التفت الى لادي لدج وقال لها احسنت فيما فعلتهِ بالصور الشمسية (وعقَّب السر اوليفر على ذلك بقولهِ انهُ لم يفهم اولاً المراد بهذا الكلام ثم فهمهُ بعد حين اذ وُجد مع ابنهِ لما مات محفظة صغيرة فيها صورتان فوتوغرافيتان كان يحملها دائماً فردتهما أُمهُ الى صاحبتها ثم قال ان لادي لدج اكَّدت لي انهُ لم يكن في الجلسة شيءٌ من الخداع أو التحيُّل بل كان كل شيءٍ يدل على تمام الصدق والاخلاص)

جلسة ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٥

فلنا ان اخوة ريمند صاروا يهتمون بمناجاته ومن ذلك ان اخاهُ ليونل ذهب الى بيت مسز ليونارد على غير انتظار منها ظهر اليوم السابع عشر من نوفمبر وهي لا تعلم من هو على قوله وطلب ان يجلس معها فادخلتهُ غرفة اقفلت شبابيكها واضاءت فيها مصباحاً احمر وقالت لهُ ان اسم مرشدتها فدى وفي نحو دقيقتين اصابها الذهول فجعلت تتكلم وهاك بعض ما كتبهُ من كلامها

نهارك سعيد . انت من الروحيين

ليونل — لم اكن اعلم ذلك

ستعلم ذلك . هنا روحان واقفان الى جانبك اكبرها تام النمو واما اصغرهما فلا يظهر لي واضحاً حتى الآن . الكبير طويل القامة لهُ لحية وليس لهُ شاربان . حاجباهُ غليظان مستقيمان شعرهُ خفيف في اعلى رأسهِ وشائب في اسفلهِ يظهر انهُ كان اشقر قبلما شاب . وروح آخر وهو شاب في نحو الثالثة والعشرين او الخامسة والعشرين كما يظهر من منظرهِ طويل القامة قوي البنية غير سمين شعرهُ اشقر قصير يحلق وجههُ . وجههُ اميل الى الاستطالة منهُ الى الاستدارة منخراهُ واسعان نوعاً . واراهُ يحاول ان يخفي وجههُ لكي لا اراهُ وها هو يضحك ولكنني عرفتهُ فانهُ ريمند وهو يضرب الآن بكفهِ على كتفك واري على وجههِ دلائل السرور والبشر . وقد حاول ان يظهر لك في البيت ولكن الامور كانت هناك مشوشة وقد وصل اليك حينئذٍ ولكن حالت الحوائل دون شعورك بهِ

ليونل — ماذا نعمل حتى تسهل علينا مناجاتهُ في البيت

لا يعلم فان ارواحاً اخرى تحضر وتشوش الحال فانهُ ما ابتدأ بتحريك المائدة حتى فقد تسلطهُ عليها

ليونل — ايتذكر جلسة سابقة في البيت قال لي فيها ان عندهُ اشياء كثيرة يريد ان يطلعني عليها

فدى — نعم فانهُ يريد ان يخبرك عن المكان الذي هو فيهِ . فقد اشكل عليهِ الحال في اول الامر اما الآن فصار يرى الاشياء حولهُ حقيقية لا وهمية كما رآها اولاً . واول من لقيهُ جدهُ . ثم لقي كثيرين غيرهُ يعرف بعضهم بالسماع فرآهم كلهم اجساماً حقيقية حتى حسب انهُ لا يزال في قيد الحياة وفي جسمهِ الارضي . وهو يسكن الآن في بيت من الآجر وحولهُ اشجار وازهار واذا ركع على الارض اتسخت ثيابهُ من الطين . والشيء الذي

لا افهمهُ حتى الآن ان النهار والليل لا يتعاقبان كما على الارض · وانما تحدث الظلمة اذا شئت ان تكون ظلمة · وقد خطر لي اننا نحن نخلق الاشياء التي حولنا نتصورها تصوراً فنراها اي اننا نرى البيوت والازهار والاشجار والاراضي لاننا نتصورها ولكن هذا ليس كل ما هنالك

يصعد من الارض دائماً شيء كيماوي في شكله وحينما يصل الينا يتشكَّل باشكال مختلفة ويصير اجساماً محسوسة · هذا ما يحدث حيث انا وهو الذي يكوّن الاشجار والازهار · ولا يعرف اكثر من ذلك ولكنهُ مهتم بدرس هذه المسألة

ليونل — اود ان اعرف هل يستطيع ان يتصل باحد على الارض

فدى — احياناً يستطيع ان يتصل بالذين يودون ان يروهُ والذين يحق لهُ ان يراهم فيراهم · وقد قيل لي انني استطيع ان ارى كل من اريد ولا صعوبة في ذلك وهذا مما يجعل العيش هنا رغداً

ليونل — ايستطيع ان يساعد الذين على الارض

فدى — هذا جانب من عمله ولكن اكثر عمله لا يزال متعلقاً بالحرب · لقد عدت الى البيت حسب الظاهر ولكنني لا ازال في ميدان القتال

لهُ شغل مع ابيهِ ولكن شغلهُ لا يزال في ميدان القتال يساعد الشبان الذين يُنقَلون الى عالم الارواح

ليونل — ايقدر ان يستطلع المستقبل

فدى — يظن احياناً انهُ يستطيع ذلك ولكن الانباء بالمستقبلات صعب

ليونل — ايستطيع ان يخبرنا عن حالة الحرب الآن

ستصطلح الاحوال وهي الآن اصلح مما كانت من كل وجه ولا استطيع ان اتجرد من الاهتمام بها ويظهر لي اننا خسرنا بلاد اليونان والمرجح ان ذلك بخطإٍ منا فاننا فعلنا الآن ما كان يجب ان نفعلهُ منذ اشهر وقد اهملنا السرب طويلاً فكان لذلك تأثير سيء في رومانيا فصارت تخشى ان يحل بها ما حلَّ بالسرب اذا اتحدت معنا · والكل متفقون على ان روسيا ستفلح في الشتاء فان رجالها الفوا احوال بلادهم في البرد والالمان لم يألفوها فسيتقدم الروس في كل فصل الشتاء

ثم قالت فدى ان اخا ريمند واختهُ اللذين كانا طفلين كبيرين حضرا ايضاً ووصفتهما وكانت الوسيطة تتكلم بلسان فدى مرةً وبلسانها عن لسان ريمند مرةً اخرى كما ترى

فيما تقدم. وليس في هذه الجلسة شيءٌ يستحق الذكر سوى وصف المكان الذي فيه ريمند بانهُ متجسم مثل الاماكن الارضية فيهِ بيوت واشجار وازهار والقول بانها متصعدات ارضية تصعد من الارض وتتجمَّد هناك

جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩١٥

ذهبت لادي لدج الى مسز ليونارد في ٢٦ نوفمبر لحضرت روح ابنها ودار بينهما حديث طويل نذكر بعض فقراتهِ مكتفين منها بما قلَّ ودلَّ

ريمند او فدى عن لسانهِ — انا مسرور جدًّا ولاسيما لانكم انتم سررتم

امهُ — نعم نحن مسرورون وسنقابل عيد الميلاد بوجوه طلقة كما قال ابوك

ريمند — ساحضر معكم حينئذٍ

امهُ — اذن سنضع لك كرسيًّا على المائدة

ريمند — ساحضر واجلس على الكرسي ولكنني لا اريد ان ارى احداً يحزن حينئذٍ او يتنهَّد

امهُ — وسنشرب كلنا على ذكرى صحتك وسعادتك

ريمند — واريد ان تفتكروا حينئذٍ انني انا اتمنى لكم الصحة والسعادة

امهُ — لقد سرنا ما بلغنا عن ثيابك (قال السر اوليفر لدج ان هذه الثياب ذكرت في جلسة لم يستطع الوصول الى تفاصيلها لنشرها)

ريمند — انستطيعين ان تتصوريني لابسًا حلَّة بيضاء . لم اكن اعبأ بها في اول الامر ولم ارد ان البسها وكان شأني شأن رجل جاهل ذهب الى الارياف في بلاد حارة وقام في نفسهِ ان يبقى لابسًا الثياب التي كان يلبسها في المدينة لكنهُ اضطرَّ اخيراً ان يلبس لبس السكان الذي اقام بينهم . وقد بقيتُ لابسًا ثيابي الارضية الى ان اعتدت اقليم المكان اما الآن فلا اظن انني استطيع ان اجعل اخوتي يرونني بثوبي الابيض . اما انتِ فقللي عملك حتى لا تتعبي كثيراً

امهُ — انا قوية جدًّا

ريمند — نعم انت قوية ولكنكِ تتعبين كثيراً وهذا يشغل بالي

امهُ — اني اود ان امضي اليك سريعًا ولو كان لديَّ كل ما يسرني هنا

فدى — قال انهُ يأتي ويراكِ وانت نائمة وكثيراً ما تغادر روحكِ جسدكِ وانت نائمة وتصعد الى عالم الارواح حينما يكون جسدكِ نائمًا

جلسة ٣ دسمبر ١٩١٥

حضرها السر اوليفر لدج في بيت مسز ليونارد وقد قال فيها ريمند ان جسدهُ مثل جسدهِ الارضي وانهُ يقرص نفسهُ احياناً فيشعر كما كان يشعر وهو في جسدهِ الارضي واما احشاؤُهُ الباطنة فليست مثل احشائهِ التي كانت لهُ وهو على الارض ولم يرَ احداً من الذين حولهُ يخرج دم من جسمهِ . ولهُ عينان واذنان وحاجبان مثلما كان لهُ وهو على الارض وقد نبت لهُ سن جديدة بدل سن فقدها قبلاً . و يعرف رجلاً قُطعت يدهُ فنبتت لهُ يد اخرى بدلاً منها . والذين فقدوا بعض اعضائهم في الحرب يتولَّد لهم غيرها هنا واما الذين تصيبهم القنابل فتمزق ابدانهم تمزيقاً فهؤُلاء تمضي مدة قبلما تتمكن اجسامهم الروحية من التكامل لانهُ يتبدَّد من اجسامهم الارضية بعض المواد الاثيرية بانفجار القنابل فيمضي زمن قبلما تتجمَّع . اما ارواحهم فلا تؤَثر فيها القنابل . وما يتعلق بالذين تمزقت اجسامهم لم يرهُ بعينهِ بل سمع بهِ سمعاً

وسأَلهُ ابوهُ عمَّا يحدث بالذين تحرق اجسامهم فاجاب انهُ اذا حَرق جسم واحدٍ عُرضاً ووصل خبرهُ الى هنا اتت روحهُ اولاً ثم يأتي طبيب اسمهُ طبيب الارواح و يساعدها على استرجاع جسمهِ . ويجب ان لا تحرق اجسام الموتى عمداً لاننا نتعب كثيراً في جمع رفاتها وعلى كل حال يجب ان لا يحرق الجسم قبلما يمضي عليهِ اسبوع . فقال ابوهُ ولكن اذا فسد الجسم و بلي فكيف يتولد منهُ الجسم الروحاني

فاجاب ان الروح لا تخرج من الجسد حالاً حينما يقال انهُ مات بل تبقى فيهِ مدة بعد ذلك و بالامس توفي رجل و بلغ اقاربهُ هنا انهُ عُقدت النية على حرقهِ بعد وفاتهِ بيومين فاستدعوا طبيباً من اطباء الارواح وكلفوهُ ان يخلص روح ذلك الميت من جسدهِ باسرع ما يمكن فضغط الروح واخرجها و بقيت متصلة بالجسد بحبل دقيق فاضطر ان يقطعهُ . وهو يعتقد انهُ يصعد من الجسم الارضي مادة اثيرية يتكوَّن منها الجسم الروحاني او تحل في الجسم الروحاني المعدّ لها وتشكلهُ بشكل الجسم الارضي الذي خرجت منهُ . وسأَلهُ ابوهُ قائلاً ترى فرقاً بين الرجال والنساء

فقال الناس هنا رجال ونساء ولكنني لا اظن ان نسبة الفريق الواحد الى الآخر مثل نسبتهِ على الارض تماماً . والشعور قلما يختلف ولم ارَ اولاداً ولدوا هنا وانما ترسل الارواح الى الاجسام الارضية لكي يولد لها اولاد على الارض . والمحبة المتبادلة بين الرجال والنساء هنا تختلف عن محبة الرجال للرجال او محبة النساء للنساء . ومقابلة الرجل لزوجتهِ هنا ليت

مثل مقابلته لابنته او مثل مقابلة زوجته لابنها · وقال ايضاً انهُ لا يطلب الطعام حتى الآن ولكنهُ يرى البعض يأكلون ويعطى لهم طعام يشبه الطعام الارضي · وقد جاء شاب بالامس وطلب سيكارة وهو يرى ان السكائر معدومة هنا مع وجود معامل تعمل كل شيء لا من مواد جامدة بل من مواد روحية وغازات · والسكائر التي تصنع في هذه المعامل تشبه السكائر الارضية وهو لم يجرِّبها لانهُ لا يميل الى ذلك ولكن الشاب الذي طلب السيكارة اخذها حالاً ثم لما شرع في تدخينها قلَّ اهتمامهُ بها ولم يدخن سوى اربع سيكارات كأنها لم تلذ لهُ فاهملها · وهذا شأنهم في كل ما يتشوقون اليهِ حينما يأتون الى هنا فانهم يطلبونهُ اولاً بلهفة ثم تبطل رغبتهم فيهِ · فبعضهم يطلب لحماً وبعضهم يطلب اشربة روحية كالهوسكي والصودا وهذه الاشياء تصنع هنا ولكن متى حصلوا على ما يطلبون منها مرةً او مرتين اكتفوا بهِ ولم يطلبوا المزيد · وقد سمع عن سكيرين ادمنوا المسكر هنا اشهراً ولكنهُ لم يرَ احداً منهم والذين رآهم ابطلوا المسكر كلهم

فقال لهُ ابوهُ لقد قلت قبلاً ان بيتك مبني بالاجر فكيف ذلك ومِمَّ صُنع هذا الآجر

فاجاب انهُ لا يعلم حقيقة من اي شيء صُنع ولكن بلغهُ مِمَّن يثق بكلامهِ ان هذا الاجر يصنع من بعض المتصعدات الارضية فانهُ يصعد من الارض جواهر كجواهر المادة تجتمع هنا وتتكاثف وتصنع منها قوالب كقوالب الاجر (الطوب الاحمر) اذا لمستها بيدك شعرت بها كما تشعر بالاجر تماماً · وقد رأيت هنا حجارة من الصوان (الغرانيت) · والمتصعدات من الارض مستمرَّة وتكون دقائقها اولاً لطيفة لا ترى ولكنها اذا وصلت الى الاثير تغيرت بعض التغير حتى اذا بلغت الينا تناولها البعض وصنعوا منها مصنوعات صلبة · وكل ما يحلُّ بهِ البلى على الارض لا يفنى بل تصعد منهُ متصعدات تصل الينا وهي من قبيل الرائحة التي تعبق من المواد · والرائحة تنتشر من كل جسم بالٍ حتى من الخشب البالي فهذه الرائحة تصل الينا وتتكوَّن اجساماً مثل الاجسام التي صدرت منها

ويظهر لي ان الرائحة التي تأتينا من الخشب البالي تصير هنا خيوطاً تنسج منها الثياب لكن هذا على سبيل الظن · اما ثيابي انا فيظهر لي انها مصنوعة من خيوط ثياب بليت عندكم · والبعض هنا لا يدركون ان لما نراهُ حولنا اصلاً ماديًا بل يتكلمون عن الثياب انها روحية مصنوعة من النور بكوَّنها الفكر على الارض · اما انا فلا اعتقد ذلك · وهم يعتقدون ان الثياب التي يلبسونها انما هي ثياب فكرية ناتجة عن الحياة الروحيَّة التي كانوا يحيونها · ولو قلت لهم انها مصنوعة من مواد ارضية لم يصدقوك بل قالوا انها اثواب من نور ينسجها الفكر

ولذلك اتخطى هذا الموضوع · ويظهر لي ان الذين يعيشون على الارض عيشة روحية ينالون الثياب الروحية باسرع مما ينالها غيرهم ولعلَّ هذا هو سبب حسبانهم ان اصلها روحي حيكت بسبب الحياة الروحية التي عاشوها · وعندنا ازهار هنا وهي اصلاً من الازهار التي تذبل عندكم فان متصعداتها تصعد الى هنا وتصير ازهاراً انتهى

والكلام طويل وكلهُ على هذا النحو من اللغو· ولو كنا حاضرين في هذه الجلسة مع السر اوليفر لدج لما استطعنا عليها صبراً فان كل المصابين بالصرع الهستيري يستطيعون ان يقولوا مثل هذا القول اذا كانوا مطلعين على بعض المذاهب الباطنية والاقوال العلمية والقصص الخرافية · وكل الذين يهدسون ويحلمون قد يهدسون ويحلمون بمثل ذلك و يذكرون اموراً سمعوها اتفاقاً ولم ينتبهوا لها او لم يهتموا بها

واننا نستغرب جدًّا كيف لم يلقِ السر اوليفر لدج على ابنهِ بعض المسائل العلمية التي اجوبتها محدودة وهو يعلمها والوسيطة لا تعلمها · مثل نسبة محيط الدائرة الى قطرها وكيفية استعلام مساحة المخروط الناقص ومقدار بعد الشمس عن الارض بالاميال او بعد الشعرى عنا بسني النور والعبارة الكيماوية للحامض النتريك والحامض الكبريتيك والسكر والنشا ودليل انكسار النور في الماء ودليل انكسارهِ في زيت الزيتون او الماس ونحو ذلك من المسائل الرياضية والكيماوية والطبيعية التي لا يحتمل ان تكون الوسيطة عارفة بها ولا شبهة في ان ابنهُ يعرفها وهي محدودة بالحروف والارقام فلا سبيل للتلاعب فيها والقول المبهم · فاذا ذكرتها الوسيطة على صحتها فالذي انطقها بها روح ريمند نفسهِ او روح اخرى مثل روح ريمند واذا عجزت عن معرفتها فهي خادعة او مخدوعة · وفي مثل هذه المسائل لا يفيد الاَّ استخدام الوسطاء الذين يتكلمون كلاماً او يكتبون كتابةً · وعلى كل حال يجب ان لا يشاركهم السائل او مَن يعرف الاجوبة اقل مشاركة لانهُ قد يرشدهم الى الجواب المطلوب على غير قصد منهُ

وكل ما ذكرناهُ من الاعتراض والتعقيب على السر اوليفر لدج واهل بيتهِ لا يثبت ان ارواح الموتى تتلاشى او لا تبقى في الوجود او لا يمكن الاتصال بها ومناجاتها· كلاَّ بل ان احتمال وجودها واتصالها بالاحياء ارجح جدًّا من احتمال تلاشيها واستحالة اتصالها بالاحياء· ولكن الطرق التي استخدمها السر اوليفر لدج في الجلسات التي لخصناها حتى الآن غير كافية للاقناع من باب علمي· وسنرى ما يكون من الجلسات التالية فاننا وجدنا في بعضها ما لا نرى لهُ الآن تعليلاً الاَّ اذا فرضنا صحة التلبثي او صحة مناجاة الارواح كما سيجيء

طرائف من ادب العرب

(٥)

الرشيد ونكبة البرامكة

« لما صلب الرشيد جعفر البرمكي امر بابقائهِ على الجذع مدة وعيَّن لهُ حراساً لئلاَّ ينزلهُ الناس ليلاً وكان السبب في الامر بانزالهِ انهُ سمع شخصاً يخاطبهُ بهذه الابيات وهو مصلوب:

وهذا جعفر في الجذع يمحو محاسن وجههِ الريح القتامُ
اما والله لولا خوف واشٍ وعين للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجَر استلامُ »

وفي المستطرف للابشيهي حكاية نسبت في مكان آخر للاتليدي فحواها ان شيخاً في ايام المأمون كان يزور آثار دور البرامكة ليلاً ويذكرهم كثيراً ويندبهم ثم ينصرف حتى اذا كانت ليلة من الليالي وقد درى المأمون بهِ وانتدب بعض الجواسيس لتسمّع رثائهِ اذا بهِ ينشد:

ولما رأيت السيف جندل جعفراً ونادى منادٍ للخليفة في يحيي
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات غيرها . فلما فرغ من انشادهِ استيق الى حضرة المأمون وقيل لهُ في ذلك فذكر للخليفة ما كان لهم عليهِ من الايادي الخضرة وما آل اليهِ امرهُ بعدهم من حكاية اشبه بالخرافة منها بحادثة واقعية لفرط ما نالهُ من جودهم . قال ابرهيم بن ميمون فرأيت المأمون وقد دمعت عيناهُ وظهر عليهِ حزنهُ وقال « لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابكِ واياهم فاشكر ولهم فاوفِ ولا حسانهم فاذكر »

وقد بلغ من استطارة صيت البرامكة في الكرم ان الناس في الشرق نسوا حاتماً او تناسوهُ واحلوهم محلهُ فضربوا بهم المثل في الجود . وربما ساعدهم على نسيان حاتم او تناسيهِ كونهُ سابقاً اياهم بنحو قرنين من الزمان والناس شؤونهم ميالون الى التخلص من كل قديم والتعلق بكل جديد . اما نكبة البرامكة المشار اليها فقد قصها ابن الاثير في كاملهِ والمسعودي في مروجهِ فقال الاول ما خلاصتهُ

وكان سبب ذلك ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن اختهِ عباسة بنت المهدي وكان يحضرها اذا جلس للشرب . فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها .

فاجابهُ الى ذلك فزوَّجها منهُ وكانا يحضران معهُ ثم يقوم عنهما · فولدت لجعفر غلاماً وخافت الرشيد فسيرتهُ مع حواضن لهُ الى مكة · فعلم الرشيد ذلك

وقيل كان السبب ان الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي الى جعفر فحبسهُ ثم دعا بهِ ليلة وسألهُ عن بعض امرهِ فقال لهُ اتق الله في امري فوالله ما احدثت حدثاً ولا آويت محدثاً · فرق لهُ وقال اذهب حيث شئت ووجه معهُ من اداهُ الى مأمنهِ · وسأل الرشيد جعفر عن يحيى فقال هو بحالهِ في الحبس · فقال بحياتي · ففطن جعفر فقال لا وحياتك وقصَّ عليهِ امرهُ فقال نِعْمَ ما فعلت · فلما قام عنهُ قال قتلني الله ان لم اقتلك

وقيل كان من الاسباب ان جعفراً ابتنى داراً غرم عليها عشرين الف الف درهم (نحو ستمائة الف جنيه) فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه غرامتهُ على دار فما ظنك بنفقاتهِ وصلاتهِ وغير ذلك فاستعظمهُ

قيل وكان من الاسباب ايضاً ما لا تعدهُ العامة سبباً وهو اقوى الاسباب ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلق باستار الكعبة في حجتهِ هذه: اللهم ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبني · اللهم ان كان رضاك ان تسلبني مالي وولدي فاسلبني الاَّ الفضل · ثم ولَّى فلما كان عند باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول اللهم انهُ سمج بمثلي ان يستثني عليك — اللهم والفضل · وسمع ايضاً يقول اللهم ان ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك · اللهم ان كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا وان احاط ذلك سمعي وبصري وولدي ومالي حتى يبلغ رضاك · ولا تجعل عقوبتي في الآخرة فاستجيب لهُ

ولما رجع الرشيد من الحج ارسل مسروراً (١) الخادم ومعهُ جماعة من الجند الى جعفر ليلاً وعندهُ ابن بختيشوع الطبيب وابو زكار المغني وهو في لهوهِ وابو زكار يغني

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليهِ الموت يطرق او يغادي
وكل ذخيرة لا بدَّ يوماً وان كرمت تصير الى نفاد

قال مسرور فقلت لهُ يا ابا الفضل الذي جئت لهُ هو والله ذاك قد طرقك اجب امير المؤمنين فقال حتى أُوصي فاتتني رسل الرشيد تستحثني فمضيت بهِ اليهِ فاعلمتهُ وهو في فراشهِ فقال ائتني برأسهِ · فاتيت جعفراً فاخبرتهُ فقال الله الله · والله ما امرك الاَّ وهو سكران ثم قتلهُ بعد تردد كثير ومراجعة الرشيد مراراً لعلهُ يعفو عنهُ · ولما قتل جعفر قيل لابيهِ قتل الرشيد ابنك · قال كذلك يقتل ابنهُ · قيل وقد أُخرب ديارك · قال كذلك تخرب ديارهُ ·

(١) والمسعودي يسميهِ ياسراً كما سترى

فلما بلغ ذلك الرشيد قال قد خفت ان يكون ما قالهُ لانهُ ما قال شيئاً الأ ورأيت تأويلهُ
وهاك ما قالهُ المسعودي ملخصاً :

كان ايقاع الرشيد بالبرامكة في سنة سبع وثمانين ومئة (نحو سنة ٨٠٤ مسيحية) واختلف في سبب ذلك فقيل احتياز الاموال وانهم اطلقوا رجلاً من آل ابي طالب (وهو يحيى بن عبد الله كما جاء في رواية ابن الاثير) كان في ايديهم . وقيل غير ذلك والله اعلم

ثم ذكر حكاية جعفر والعباسة مطولاً ولكنهُ أبان ان اجتماعهُ بها كان بحيلة دبرتهـا بالاتفاق مع امهِ فلما ادرك ما فعل قال للعباسة لقد بعتني بالثمن الرخيص وحملتني على المركب الوعر وانظري ما يؤُول اليهِ حالي . وبلغ الرشيد خبر العباسة من زبيدة زوجتهِ ام الامين[1] فامر خادمهُ ياسراً بقتل جعفر ففعل بعد تردد كثير كان السبب فيهِ مكانة جعفر عند الرشيد فلم يصدق ياسر ان سيدهُ يأمرهُ بقتلهِ . ثم امر بضرب عنق ياسر قائلاً اني لا اقدر انظر الى قاتل جعفر

وقد رجعت الى السكلوبيذيا البريطانية فرأيتها تقول في نكبة البرامكة ما يأتي :

« وحكاية نكبتهم مفعمة بالخيال واشبه شيءٍ بالاساطير ولكنها ليست بعيدة الاحتمال . فقد كان هرون يسرُّ سروراً خاصًّا بعشرة اختهِ العباسة وجعفر . فلكي لا يفترق عنهما من غير اخلال بالرسوم والآداب المرعية اقنعها بعقد صيغة زيجة صورية يملك بها جعفر مجالسة العباسة والنظر اليها والاجتماع بها في مجلس الرشيد لا غير . ولكن شروط هذا العقد لم يعمل بها فلما نمي الى الرشيد ان العباسية حامل امر فقبض على جعفر وقطع راسهُ وحبست سائر اسرتهِ ونزعت املاكها منها ولم يستثنَ الأ محمد اخو يحيي . والمرجح ان من الاسباب المهمة في حنق الرشيد عليهم وشاية جلسائهِ من اهل بطانتهِ وقولهم لهُ انهُ بات العوبة في ايدي عائلة قوية » . وقالت في موضع آخر . ويظهر ان السبب الاعظم في ايقاع الرشيد بهم سوءُ استعمال السلطة التي كانت لهم فكثر حسادهم وانتهزوا الفرص لا يغار صدر الرشيد عليهم واشعارهِ بانهُ ليس خليفة الأ بالاسم فقط . ومما زاد سخطهُ عليهم في رأي بعض العارفين اطلاقهم سراح يحيي بن عبد الله »

على ان ما حملني على الاستغراب تجاهل بعض الكتاب لهذا الحادث الجلل كأن لم يكن كجلال الدين السيوطي مثلاً صاحب المؤَلفات المعروفة في تفسير القرآن وصاحب تاريخ الخلفاء وهو من كتّاب اواخر القرن التاسع واوائل العاشر للهجرة (اواخر الخامس

(١) اما ابن الاثير فيقول ان الشاكي جارية من جواريها وقع بينها شرٌّ فانهت الى الرشيد

عشر واوائل السادس عشر للمسيح) . فانهُ اتى على ترجمة الرشيد في ست صفحات كبيرة فذكر ما لهُ وما عليهِ واشار الى كل دقيقة من دقائق اعمالهِ ولكنهُ لم يذكر ايقاعهُ بالبرامكة لا تصريحاً ولا تلميحاً ولا سمَّى واحداً منهم الاَّ يحيى بن خالد وذلك مرتين فقال في الاولى ان يحيى بن خالد البرمكي اشار على الرشيد بعدم الوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم (الاحمر) كما كان في نيتهِ بحجة ان الروم يخطفون الناس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم الى الحجاز فتركهُ . وفي الثانية اشارة صغيرة الى استيزار يحيى بن خالد حيث قال « ولما ولي الرشيد الخلافة واستوزر يحيى بن خالد » . وفي موضع ثالث اشارة الى البرامكة حيث قيل « قال الجاحظ اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيرهِ وزراؤهُ البرامكة وقاضيهِ ابو يوسف وشاعرهُ مروان بن ابي حفصة ونديمهُ العباس بن محمد عم ابيهِ وحاجبهُ الفضل بن الربيع انبه الناس ومغنيهِ ابرهيم الموصلي وزوجتهُ زبيدة »

فاذا لم يفسَّر سكوت السيوطي عن ذكر نكبة البرامكة بشكهِ فيها فلا ادري بماذا يفسرونهُ وهذه النكبة اشهر الحوادث في تاريخ الرشيد باجماع مؤَرخي العرب . اما تفسيرهُ بالنسيان فلا يسلّم بهِ عاقل . ولكن يقال من جهة اخرى انهُ ان كان السيوطي يشك في الحادث فقد كان يشير الى ذلك الشك ولو بكلمة

وقد رأَيت ابن خلدون يذكر نكبة البرامكة و يصفها وصف الحوادث الواقعية التي لا ريب فيها ولكنهُ انكر حادثة العباسة وجعفر في فصل طويل عقدهُ على اسباب النكبة ودافع فيهِ عن عرض الرشيد في اختهِ العباسية دفاعاً سامياً سداهُ الحمية العربية ولحمتهُ المروءة فقال في بدء فادعهِ « ومن الحكايات المدخولة للمؤَرخين ما ينقلونهُ كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة اختهِ مع جعفر بن يحيى بن خالد » الى ان قال « وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها وهي ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومتهِ وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها . قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين بعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش . فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهبا عنها واين توجد الطهارة والذكاء اذا فقدا من بيتها » .... الى ان قال « وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجارهم اموال الجباية فغلبوا الرشيد على امرهِ وشاركوهُ في سلطانهِ » وذكر بين الاسباب حادثة يحيى بن عبد الله التي ورد ذكرها آنفاً . وابن خلدون متقدم على السيوطي بمئة عام

نقيب

بغداد الحاضرة

تتمة ما سبق

(٢)

تجارتها

وكانت محطًّا للرحال وكعبة يحجّ اليها سالك الحَزْن والسهلِ
فذو المال يأتيها ليكثر مالهُ وذو الفضل يأتيها لينبغ في الفضل

لو نظرنا نظرة الى ماضي بغداد وتصفحنا تاريخها التجاري لوجدناهُ حافلاً بالحوادث التجارية الخطيرة التي امتازت بها دار السلام وقد بقي اثر لذلك الماضي الى اليوم يدلنا على سعة ثروتها وامتداد تجارتها الصادرة والواردة في اول ايامها . فقد تبودلت التجارة بينها وبين الصين والهند وفارس والشام والجزيرة ومصر ولا تزال بقية باقية لها وهي لا تبلغ عشر ما كانت عليهِ في عصرها العباسي المجيد اذ كانت ام البلاد الشرقية وعروسها

وتجارة بغداد اليوم متأخرة كالعلم والعمران والزراعة التي فيها فان هذه كلها تكاد تفقد في انحاء العراق العربي كلهِ . ومن المعلوم ان التجارة تكثر حيث يكثر العمران وينتشر العدل والامان واما البلاد التي اخربها الجهل وشاع فيها الفساد فلا شأن فيها للتجارة ولاسيما دار السلام فانها من يوم سقطت بيد الاعجام تكثر فيها الفتن والحروب وتتداولها ايدي حكام مختلفين لا يهمهم شقاء البلاد وسعادتها

ولا أدل على حياة البلاد من التجارة تدخلها وتخرج منها فلو قدرت تجارة بغداد في ايام السلم لم تتجاوز مليونين من الليرات فنستطيع بهذا ان نستدل على تأخر البلاد الكسروية التي قيل انها اخصب البلاد واهمها موقعاً

ولما كانت البلاد بعيدة وقليلة المواصلات كان ما يرسل اليها من الغرب قليلاً وما يصدر منها اقل فقد صدر منها الى اوربا وامريكا سنة ١٩١٢ ما تبلغ قيمتهُ ١١ ٠٢٧ ٢٩٥ فرنكاً والى الهند والصين وجاوه ما قيمتهُ ٤ ٢٦٠ ٤٩٠ فرنكاً فلو جمعت هذه الى تلك كانت ١٥ ٢٨٧ ٧٨٥ فرنكاً . هذا ما يخرج منها الى البلاد التي تتصل تجارتها بها أتم اتصال واما ما يردها من الصين والهند وجاوه والخليج الفارسي فثمنهُ ١٧ ٢٥٥ ٣٢٥ فرنكاً وكان الوارد اليها من امريكا واوربا ٩ ٤٦٩ ٧٠٤ فرنكات واذا أُضيفت الى ما قبلها كانت

٠٢٩ ٧٢٥ ٢٦ فرنكاً فالواردات تزيد على الصادرات بنصف مليون جنيه تقريباً

واذا رأيت المال الذي يدخل صندوق الحكومة من الجمرك علمت المقدار الذي تكسبهُ الحكومة من التجارة فقد كانت واردات المكوس سنة ١٣٢٦ مالية اقل من ١٧٠٠٠٠٠٠ قرش صحيح عثماني اي اربعة ملايين فرنك و ٠٠٠ ٢٥٠ ٣١ وفي سنة ١٣٢٧ زادت الضرائب الى ١١ بالمائة فبلغت الواردات ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٦ تساوي ستة ملايين ونصف من الفرنكات ولجمرك البصرة من الوارد ما يساوي ٠٠٠ ٣٥٠٠ الى ٠٠٠ ٠٠٠ ٤ ليرة عثمانية ودخل ميناءها ٢٥٠ سفينة تجارية محمولها ٢٣٤ ٩١٩ ٣١٩ طنًّا ما بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩١٢

وانواع تجارة بغداد كثيرة فمن صادراتها الصوف بلغ ثمن ما صدر منهُ سنة ١٩١٢ ٦٠٠ ٦٣٦ ١٠ فرنك وثمن المن منهُ يتراوح بين ١٦ و٢٥ شلنًا والمن ثلاث ليبرات انكليزية ونصف · والتمر يستبضع الى مصر والشام والاستانة واوربا وذهب منهُ في السنة المذكورة ما يقدر باكثر من ٨٥٠ ٢٢٣ ١ فرنكًا · والرز والبر والشعير والذرة والسمسم والعدس والدخن يرسل الى بلاد العرب واميركا ويكون ثمنهُ ٩٥٠ ٠٥٤ ٢ فرنكاً · والسمن يزيد ثمنهُ في كثير من السنين على ٩٢٥ ٠٠٩ ٢ فرنكًا وهو فيها رخيص مبتذل · والعفص يبعث الى امريكا واوربا ويقدر بمبلغ ٣٧٥ ٧٢٩ ٢ فرنكاً على وجه التقريب · والسوس ارسل منهُ في السنة المتقدمة ١٨٩٤ كيسًا بيعت بمبلغ ٥٠٠ ٣٩ فرنك · واللوز والخشب والوبر والافيون والزفت والجلود وبلغ ثمن صادرها ٦٠٠ ٩٠٦ فرنك واشياء اخرى كالبسط والحرير وغيرهِ · والخيل وغيرها وترسل الخيل الى الهند وثمن الحصان في بمبي من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ فرنك يسافر اليها كل سنة ما يزيد على ٦٠٠٠ حصان

ووارداتها كثيرة من اوربا والهند والصين وفارس والشام ومصر وخليج فارس وجاوه كالشب والخرز والكافور والشمع والدارصيني والفحم الحجري والقرنفل والنارجيل والبن والنيل والزاج والغزل والعقاقير والحناء والمرآة والصفيح والرصاص والفولاذ والفضة والقصدير والحبال والصابون والسكر وهذا يأتيها من مصر ايضاً ومن بلجيكة والمصري اقل ثمنًا واقل استعمالاً · والخشب الجاوي والصندل واشياء كثيرة · والذي يردها من اوربا واميركا لا يقل عما يردها من هذه الجهات · فالمسكرات بلغت ٩٧٥ ٢٦٠ فرنكًا · والشمع بلغ ثمنهُ ٧٢٥ ١٨٧ فرنكاً والطاباق والملاط (الاسمنت) بلغ ٠٠٠ ١٨٦ فرنك ومن بضائع الغرب الفحم والمعادن والاصباغ والاقمشة والزجاج والملبوس بجميع انواعهِ واشكالهِ واغلب الالات الحديدية والاخشاب وماكنات الماء والخياطة · وبلغ ثمن الماكنات المائية

٥٠٠ ٦٢٣ ٢٠ فرنك والثقاب (الكبريت) والمياه المعدنية والورق والمآكل والزيت الحجري ما يساوي ٦٥٠ ٦٩٣ فرنكاً والصابون والسكر والشاي واشياء اخرى شهيرة

فمن النظر في هذه الارقام يعرف ما لبغداد من الاهمية التجارية — وقد كانت في ايام العباسيين اهم مدينة تجارية في الشرق والغرب فهي منبع التجارة كما هي منبع العلم وكان فيها ذوو الملايين من التجار الاغنياء الذين لهم شهرة واسعة في تلك العصور

زراعتها وريها

سر في اي جانب من جوانب العراق واقصد ايَّ سهل من سهوله فانك لا تجد الاَّ ارضاً مواتاً ذات تربة خصبة — ترى ارضاً خالية لا نبات فيها ولا ماء تأوي اليها الذئاب والثعالب · تراها زراعة صالحة لزراعة غالب النباتات التي في بلاد الارض ولكنك تجدها بيداء مجدبة لا عشب فيها ولا كلاء · ولا نتوغل في الصحارى البعيدة بل اذهب الى ضفاف دجلة والفرات لعلك تجد نباتاً وشجراً واقواماً فقراء · درَّ درُّ العدل ماذا فعل في ايام الاكاسرة والعباسيين وويح لنا من الفساد والتخريب · ان بؤساً وفقراً مدقعاً في جزيرة آرام بلاد بابل والكلدان ذات الجنان المعلقة والرياض الغناء

يضيق صدري اذا تذكرت هذه السهول وما يقاسي اهلها من الشقاء والعناء في حياتهم — بلادهم واسعة ومياههم فائضة غزيرة تجري ضياعاً الى بحر فارس وهم فقراء جياع ولسان حالهم ينشد

امياه دجلة والفرات تربثي ان العراق كما رأيت جديبُ
سيلي على مهل فان بلادنا عطشى اليك لها جوى ووجيبُ

يقول ولكوكس ما معناهُ ان ارض ما بين النهرين صالحة لزراعة كل النباتات التي تزرع في جهات خط الاستواء ويمكن زراعة القطن فيها في الصيف · وهواء ما بين النهرين موافق لزراعة قصب السكر وحرارة الاقليم كافية لتربية القطن (والاهالي اليوم يزرعون القطن قليلاً ولا يهتمون بزراعتهِ كثيراً ولو اهتموا لكثر عندهم ونما نموًّا جيداً) وذكر ان في تربة البلاد مواد كثيرة نافعة للزراعة تغلب فيها المركبات الكلسية والحوارية وفيها عناصر الازوت والحامض الفصفوري والبوتاس

وذكر غيرهُ ان تربة العراق تغل ٤٠٠ ضعف ولكنهُ نقل عن بعض مؤرخي القدماء انها كانت تغل من ٢٠٠ الى ٣٠٠ ضعف

وذكر ان سهول ما بين النهرين التي يمكن سقيها بالري مساحتها ١٣٠٠٠٠٠٠ فدان

فهي بمقدار ما يروي النيل مرتين ومعدل طول هذه الجزيرة ٧٠٠ كيلومتر وعرضها يختلف بين ١٠ كيلومترات الى ١٠٠ كيلومتر. يسقيها الفرات ودجلة وروافدها وهذه الجزيرة تشبه المثلث لها زاويتان شماليتان من هيت و بلد وزاوية جنوبية عند القرنة وطول دجلة من بلد الى البحر ١٠٤٠ كيلومتراً تقريباً وطول الفرات من هيت الى القرنة ٩٣٠ كيلومتراً تقريباً. ومن القرنة يتألف شط العرب من دجلة والفرات ثم ينتهي الى نهر قارون لتجتمع ثلاثة انهر تصب في خليج فارس. وطول شط العرب من القرنة الى البحر ١٦٠ ك وعرض الفرات من ٢٥٠ الى ٤٥٠ متراً وعمقهُ ثلاثة امتار ونصف وتختلف قوة انحداره ومعدلها متر واحد في الثانية. وفي موسم الفيضان ترتفع المياه الى ٥٠ سنتيمتراً . واما دجلة فلها عرض يختلف فقد يبلغ في بعض الامكنة في شمالي بغداد اربعة كيلومترات وقد يكون ٥٠ متراً في امكنة اخرى ومعدل عرضها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ متر وعمقها ستة امتار وسرعتها كسرعة ماء الفرات وفي مواسم الفيضان ترتفع المياه الى ٢٥ سنتيمتراً فوق ضفتيها وفيضان النيل متران ونصف

اما كمية مياه دجلة في الثانية فيبلغ معظمها في نيسان الى ٤٠٠٠ متر مكعب وتهبط في شهري تشرين وايلول الى ٢٥٠ متراً والنهران يفيضان في وقت ويغيضان في وقت واحد (هذا ما يقول ولكوكس ولكن الذي نعهدهُ انهما يفيضان في اوقات مختلفة وفي قليل من السنين يفيضان في وقت واحد) ويختلط بمياه النهرين كربونات الكلس والمغنيسيا ومواد اخرى تزيد على ما في مياه النيل من المواد المختلطة بها واذا كانت الكمية التي يصبها الفرات ٣٠٠ متر مكعب ودجلة ٢٥٠ متراً مكعباً في كل ثانية فمجوعهما ٥٥٠ متراً مكعباً . فالظاهر ان هذه المياه لا يمكنها ان تروي في فصل الصيف اكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ فدان . واما في مواسم الفيضان يوم تكون كمية المائين ٦٥٠٠ متر مكعب في الثانية فيمكنهما ان يسقيا ٣١٠٠٠٠٠٠ فدان . فعلى هذا ان النهرين لا يكفيان لسقي الاراضي الصالحة للزراعة في فصل الصيف (ولا سيما في الايام التي يسميها العراقيون ايام الصيهود اذ تنضب المياه ولا يستطيع الفلاح ان يروي اراضيهُ الاَّ بالجهد هذا في هذه الايام والزراعة متأخرة فكيف لو عمرت الارض وشقت الترع على ما رسم ولكوكس) بل لا يمكنهما ان يرويا ثلث هذه المساحة كما يجري في مصر في مواسم النضوب. و يمكن استدراك هذا الامر ببناء خزانات كخزانات مصر فتكون المياه اذ ذاك تكفي ١٣٠٠٠٠٠٠ فدان وليس هذا مبنيًّا على الحدس والظن وانما هو حقيقة راهنة . ففي العهد السابق كان اهل هذه البلاد يحتفرون ترعًا و يخزنون المياه حتى صارت بلادهم جنانًا ناضرة كما ذكر المؤرخون منهم بلينيوس واحيان مرقلان وابن

سيرابيون. اما مياه الامطار فتنزل في العراق ايام الشتاء وهو من تشرين الثاني الى نيسان يهبط المطر في ١٨ يوماً منهُ وكميتهُ ٢٠٣ مليمترات وفي ايام الصيف واول فصلهِ في ايار وآخرهُ تشرين الاول وزمن المطر فيهِ يوم واحد وكميتهُ ٩ مليمترات فمجموع كمية المطر في ايام السنة ١٩ يوماً وكمية مياهها ٣٠٢ من المليمترات ولا يكاد هذا كلهُ يكفي لسقي واحد في بلاد ما بين النهرين

اهلها

تبلغ نفوس ولايتي البصرة وبغداد ٢٠٠٠٠٠٠ وفي بغداد نفسها من السكان الذكور ٣٦٣ ٦٧ من المسلمين و ٢٠٧٣٦ من غيرهم فمجموعهم ٨٩٠٩٩ . هذا على ما ذكر في التقويم الذي قومهُ المرحوم ناظم باشا سنة ١٩١٢ وفي الولاية كلها من ١٢٥ الى ١٣٥ الف نفس منهم ٠٠٠ ٣٦ من اليهود و ٦٠٠٠ من المسيحيين و ١٨٠٠ من اللاتين وذكر بعضهم ان في نفس بغداد الى ٢٣٥٠٠٠ من المسلمين وهذا غير صحيح . والاحصاء المتقدم هو آخر احصاء على ما اعلم . وفي كتب الجغرافيا التركية ان نفوس ولاية بغداد تقدر بمبلغ ١٢٠٠ الف ونفوس البصرة تقدر بمبلغ ٨٠٠ الف وكل هذا على وجه التقريب فان الحكومة لا تعتمد على احصائها وتعدادها . وما نشرهُ ناظم باشا اقرب الى الصحة وابعد عن التخمين وكانت نفوس بغداد في ايام المرحوم مدحت باشا ٢٧٣ ٦٣ منهم ٦٨٩ ٥٢ مسلمون والباقون غيرهم. ولو قسنا هذا الاحصاء باحصاء ناظم باشا لوجدنا الزيادة في نفوس المسلمين اقل من غيرهم مع انهم اكثر اهل البلد عدداً وما ذلك الا لان المسلمين خصوا بالجندية والزواج يقل فيهم وعدم الاهتمام بمسائل الصحة جعل نموهم يتناقص . ولو قسنا هذا بما كان لبغداد من النفوس في العصر العباسي لوجدنا فرقاً كبيراً فقد كان يسكنها اكثر من مليوني نفس في تلك الايام . وكيف يبقى اهل بغداد كثيرين وقد حدثت فيهم حوادث كادت تستأصلهم وتفني خضراءهم وغضراءهم في العصر العباسي وبعدهُ فقد قتل هولاكو فيها اكثر من مليون من اهلها وقتل تيمور كثيرين منهم وامر عسكرهُ ان يأتي كل منهم برأسين من اهلها فقتلوا النساء والرجال وقتل من المسلمين ٩٠٠٠٠ غير المتدينين الآخرين. ولما دخلها السلطان مراد الرابع أمعن في اهلها قتلاً لاخلالهم بشروط التسليم. فكيف لا تقل نفوسها ولا تفنى رجالها بعد هذا

عاداتهم

العادات التي تعودها ابناء دار السلام لا تخالف عادات المصريين الا يسيراً . فرجالهم ونساؤهم لكل منهم عادات يراعون في بعضها جانب الدين والتعبد وقد لا تتعلق العادة

بطرق من الدين فيمضون بها كما تطلبهُ اذواقهم و يناسب نشأتهم وسواء كانت تلك العادة مستحسنة او مستهجنة فانهم استحسنوها وتعودوها وكذلك كل قوم يألفون ما تعودوهُ غير ان الامم المدنية لا تعجبها العادات المصطلح عليها ان لم يؤيدها دين او مصلحة او قومية على ان الاديان لا تتعرض لما تجري بهِ العادة بل تبحث عن كل ما يدخل في قولنا دين وتدين وشريعة وتشريع واما العادات فهي اصطلاحات احدثها القوم قبل الدين او بعدهُ . وليس عادات البغداديين سائرة على مثال واحد بل هي تختلف باختلاف المذاهب والاديان فكثير من عادات اليهود غير عادات النصارى والمسلمين وكذا عادات المسلمين تخالف غيرها . وكانوا منذ عهد غير بعيد متخالفين في العادات كتخالفهم في النحل وفي السنين الاخيرة اخذت العداوات الدينية والاحن التعصبية تزول من الصدور فتقارب القوم وتآلفوا قليلاً

واهل بغداد ككثير من الشرقيين سريعو التقليد يحبون التشبه بالقوي في جميع ظواهرهِ الاَّ في امر يظنونهُ مخالفاً لدينهم فانهم بطاء في تركهِ شديدو العصمة لهُ . وكانوا قبل عشر سنين يتميزون في اشكالهم وهندامهم فلبسة اليهودي غير لبسة المسلم وللنصراني لبسة تخالفها وكان المسلمون يلبسون العمائم العربية فكانوا اثراً من آثار العباسيين ثم اخذوا يلبسون (العقال) و (الكشيده) و (السربوش) والعمائم التركية واشتركوا في الطربوش على خلاف في المذاهب لانهُ اللبس الرسمي . ولهم عادات لا تخلو منها امة في الدنيا حتى الامم المدنية كالتشاؤم والطيرة . فانهم يتشاءمون من اشياء كثيرة . فنعيق الغراب في دار احد قطينها مسافر يدل على بعد سفرهِ واليأس من ايابهِ . ونأج البوم يدل على ميت يموت في الدار ونباح الكلاب من غير اغراء آية على حدوث شر قريب . وعواء بنات آوى آية الجدب والقحط الذي يحدث في السنة الى غير هذا من التشاؤم . واكثر ما تؤثر هذه الآراء في نسائهم . والعامة يعتقدون اقتدار الموتى من الصالحين على النفع والضر فيستغيثون بالرمم البالية ويتبركون بزيارتها و يثبتون لاوليائهم كرامات خرافية اشبه بميثولوجيا اليونان وسخافات اهل منغوليا واواسط افريقية . واكثر شيوع هذه الخرافات في الهند ومصر والشام واطراف جزيرة العرب ولا تجد لها اثراً في قلب الجزيرة . وليست هذه العقيدة مقصورة على الموتى الاولياء بل هي تتعداهم الى الجماد من الاحجار والاشجار والمعادن . ففي جوار بغداد مسجد للجنيد بن محمد فيهِ ثلاثة جلاميد سود يزعمون انها تشفي الامراض والآلام فمن وضعها على محل الألم زال وهذه النحلة تشبه نحلة العامة في مصر

الزاعمين ان الصخرة التي في جامع عمرو بن العاص تشفي وان الاسطوانة التي في مسجد الحسين تشفي ومثل هذا كثير في مصر . ولهم اعتقاد بالشجر كاعتقاد عامة مصر بالشجرة التي في الروضة المعروفة عندهم بالمنصورة فيتبركون بها و يذهبون اليها يدعونها و يستغيثون بها وهذه هي الوثنية التي جاء الدين للقضاء عليها . ولو ان الحكومة زجرت العامة عن هذه السخافات لاحسنت كل الاحسان . ولي عودة الى شرح خرافات العامة في مصر انشرها في هذه المجلة ان وسعت لي مجالاً

فمن هذا تعلم ان العامة في بلاد المسلمين متقاربون في العادات والاوهام الفاسدة ولو توسعنا في شرح مذاهبهم في الجماد والمقابر والجن لافضى ذلك الى تطويل ليس هذا موقعهُ . ولنساء بغداد عادات تعودنها . فمنها كثرة الحياء وشدة التحجب . فهنَّ يسترن جميع اعضائهنَّ و يضربن بالبراقع الكثيفة على وجوههن ولا يلبسن الثياب الضيقة التي تمثل اعضاءهن و يلبسنَ العباآت الطويلة يسحبن ما طال منها على الارض شبراً وشبرين . ويكتمن زينتهن كل الكتمان ولا يتبرجن . والجهل فاش بينهن فلا علم ولا تعليم والفتاة تنشأ في بيت ابيها جاهلة اسيرة لا شأن لها كسائر نساء البلاد الشرقية . ولهنَّ عادات كالمصريات في اجتماعهنَّ ايام الاعياد في المقابر و يخرجن اليها عصر كل خميس يندبن الموتى ويبكين على قبورهم و يرثينهم بما يشيع بينهنَّ من المراثي التي ينظمنها بلغتهن وهي كثيرة مستفيضة على السنتهنَّ . و يجتمعن في بيت الميت سبعة ايام وسبع ليالٍ و يلطمن وجوههنَّ وصدورهنَّ ويعولن اعوالاً شاجياً . و يمزقن جيوبهنَّ و يلبسن الحداد شهوراً وسنين بحسب ما يبلغ حبهنَّ للميت و يقصرن شعورهنَّ و يكسرن دمالجهنَّ و يحثين التراب على رؤوسهنَّ و يخضبن شعورهنَّ بالطين بدل الحناء ولا يتبعن الجنائز كما تفعل نسوة مصر و يعتقدن بالسخافات ما تعتقد نساء مصر من الاغترار بالدجالين الذين يدعون القدرة على انتاج العاقر واجتلاب المحبة بالكتابات والسحر وارجاع ازواجهنَّ وابنائهنَّ من السفر البعيد . و يطرقن بالحصى و يضربن الرمل و يتفاءلن و يعلقن الكتابات بصدورهنَّ وزنودهن وشعورهنَّ و يعلقنها باطفالهنَّ . و يكثرن زيارة الاولياء وينذرن لهم النذور و يتخذن الشمع والسرج و يطلين ابواب مساجدهم بالحناء اشارة الى قضاء حاجاتهنَّ و يربطن الخيوط كما هو معروف في مصر . ولهن عادات عجيبة يطول ذكرها

القاهرة (محمد الهاشمي البغدادي)

الثورة الروسية

اسبابها ونتائجها

اشرنا في مقتطف مايو الماضي الى الثورة الروسية التي ثلت عرش بيت رومانوف وقياصرة الروس لانها اضطرت القيصر نقولا الثاني الى التنازل عن عرش ابيهِ واجدادهِ ولم تمهد سبيلاً لتنصيب غيرهِ من بيتهِ بدلاً منهُ · وحتى كتابة هذه السطور لم يعلم بالتحقيق كيف تكون حكومة الروس في المستقبل

ولكل مسبب سبب فلا بدَّ من سبب او اسباب انتجت هذه الثورة وهـذا ما نقصد البحث فيهِ الآن

نشرنا منذ اربع سنوات مقالات ضافية في تاريخ روسيا يجد فيها المطالع ادلَّة كثيرة على ان قياصرة الروس حكموا شعبهم غالباً بيد من حديد · فالقيصر ايفان الرابع الملقَّب بالرهيب زحف مرة على امارة نوفغورد وقتل من اهلها ستين الفاً بينهم كثيرون من النساء والاولاد · وفي عهد ابنهِ ثيودور قيِّد الفلاحون بالارض التي يفلحونها فصاروا عبيداً ارقاء فيها يباعون ويشترون معها · ولما اختير ميخائيل رومانوف سنة ١٦١٣ لعرش روسيا كان اشراف البلاد قد اعتادوا الصلَف والعتو فتعذَّر عليهم الاقلاع عنهما وكان ميخائيل حدثاً في الخامسة عشرة من عمرهِ فلم يستطع ان يكبح جماحهم ويرغمهم على طاعتهِ · وجرى اكثر خلفائهِ مجرى ايفان الرهيب من حيث ارهاق الرعية وتعذيب الناس عذابات مبرحة ولو كانوا من اشرف اشراف الامة واكثرهم تنعُّماً فكانوا يخلعون مفاصل من يريدون تعذيبهُ ويقطعون يديهِ ورجليهِ ويسلخون جلدهُ وهو في قيد الحياة او يخوزقونهُ او يحرقونهُ وهلمَّ جرًّا من انواع العذاب الجهنمي · واخفها النفي الى سيبيريا حيث يقضي المنفيُّ عمرهُ متحملاً اشد انواع الضنك الى ان ينجيهُ الموت منها

لكن اساليب العمران الحديث دخلت روسيا منذ عهد بطرس الاكبر فانشئت فيها المدارس الجامعة والجمعيات العلمية ونشأ منها علماء وادباء من الطبقة الاولى بين علماء الارض وادبائها وحسبنا ذكر الاستاذ مندليف العالم الكيماوي والكونت تولستوي الفيلسوف الاجتماعي · وكان لنسائها نصيب وافر من العلم والعرفان كما لرجالها · والعلم يكبِّر النفوس فتطلب الاتساع واذا اشتدَّ عليها الضغط والتضييق فلا بدَّ من ان تتغلب عليهما يوماً ما وهناك

الانفجار العظيم كما اذا وضعتَ ماء في اناء من الحديد وسددتهُ سدًّا محكماً وسخنت الماء فيهِ او بردتهُ فانهُ يتمدَّد و يشق الاناء مهما كان متيناً

فاذا اردنا الاجمال في ذكر الاسباب التي انتجت الثورة الروسية قلنا ان انتشار الافكار الحرَّة في روسيا آل الى تقويض اركان الحكومة الاستبدادية لان الحرية والاستبداد لا يجتمعان الاَّ الى حد محدود . واما اذا اردنا التفصيل فلا بدَّ من الاسهاب في ذكر الاسباب المباشرة لهذه الثورة

لا شبهة في علاقة الحرب الحاضرة بالثورة الروسية فقد دخلها الروس غير مستعدين لها وظاهر الامر انهم هم الذين اثاروها وحقيقتهُ ان الحكومة اشتدت اولاً في الاخذ بيد السرب والانتصار لها وغرضها انقاذ تلك المملكة من سطوة النمسا بالوسائل السياسية ولكن الحزب الحربي في المانيا خدعها كما اثبت الاستاذ جوردان في المقالة البليغة التي نشرناها لهُ في مقتطف ابريل ومايو الماضيين فاقنعها ان المانيا امرت بالتعبئة العامة قاصدة اخذ روسيا على غرة . ثم ان المانيا استدرجت الروس الى ان دخلوا بلادها ونفد ما عندهم من الذخيرة القليلة فارتدت عليهم حتى اضطروا ان يتركوا ما دخلوهُ من البلاد و يعودوا الى بلادهم مدحورين وكادوا يصلون في رجوعهم الى عاصمتهم واستعدت دوائر الحكومة الروسية لمغادرة العاصمة امام سيل الالمان الجارف . وكان في البلاد يدٌ المانية خفية تحاول اثارة الشعب ليخرج على حكومتهِ و يضطرها الى عقد الصلح فاحتكرت الطعام ومنعت وصولهُ الى الجياع من الشعب والى الجنود ايضًا . وزاد غيظ الشعب بما ارتكبهُ اعوان رسبوتين من الجرائم . فهذا واستعداد البلاد للثورة على الاستبداد وحسبانها دك صروح الجور والاثرة غاية تتوخاها النفوس الابية والمساواة بين طبقات الامَّة غرَضًا طالما تاق الشعب اليهِ وحث العلماء والادباء على تطلُّبهِ — ذلك كلهُ اعدَّ البلاد لاضرام نار الثورة واطلاق القوة المتجمعة في بارودها حالما كرَّ الصخر على الزناد

ولقد بدا التحفُّز للثورة الروسية منذ خمسين سنة وكان اولاً محصوراً في الشبان تلامذة المدارس واستمرَّ كذلك ثلاثين سنة . وفي غضون هذه المدة كثرت المعامل الصناعية في البلاد واجتمع فيها الوف العمال فشاركوا التلامذة في الجنوح الى الثورة وانتشر هذا الميل بين الفلاحين حتى اذا قام البعض سنة ١٩٠٥ وطلبوا حريتهم السياسية قام الفلاحون ايضًا وطلبوا ان يحرَّروا هم وارضهم اي ان يملكوا الارض التي يفلحونها . وقد تمكنت الحكومة حينئذٍ من قمع الثورتين حسب الظاهر ولكن الميل الى الثورة لم يزل من النفوس

فعاد الناس الى الشكوى سنة ١٩١٤ وشقّ بعضهم عصا الطاعة وقاوموا جنود الحكومة علانية في شوارع العاصمة لكن نشوب الحرب الاوربية صرف النفوس عن اغراضها الذاتية الى الغرض العمومي وهو مقاومة العدو العام وظهر حينئذٍ كأن الحرب انقذت روسيا من الثورة الداخلية وألَّفت بين طبقات شعبها . ولو استمرَّ الفوز للروس الى ان عُقد الصلح لترجح تأخُّر الثورة او انتفاؤها اذا صارت الحكومة نيابية دستورية حقيقةً . ولذلك فالقضاء على الحكومة المطلقة في بلاد الروس نتيجة لمقدمات سابقة مصبوغة بالدم والدموع وغاية طالما توخاها العلماء والادباء والمفكرون في تلك البلاد

وكان من نتائج ثورة الافكار سنة ١٩٠٥ ان انشئ المجلس النيابي المعروف بالدوما . وهو دواء مسكّن لا شافٍ استنبطهُ الكونت وت الملقب بسمسار الحكومة . ثم قصّرت اشبار الدوما سنة ١٩٠٧ وعاد انحصار الامر والنهي في دوائر الحكومة ولكن بقيت الدوما حصنًا للدستور يلجأُ اليهِ اذا اريد المطالبة بحقوق الامة لانها تمثلها كما حدث فعلاً في الوقت الحاضر . وقد طالما تمنى اهل السيادة من الروس القضاء على الدوما فلم يقضَ عليها بل بقيت لئلا الحكم الجمهوري فان الدوما الاخيرة انتُخبت كما انتُخبت الدوما السابقة حسب القانون الذي سنَّ في ٣ يونيو سنة ١٩٠٧ واعطي اكثرية الاصوات لاصحاب الاراضي الواسعة واصحاب الاموال الوافرة ولذلك وافقت على دخول الحكومة في هذه الحرب . ولكن لم تمضِ سنة على الحرب حتى ظهرت كل عيوب الحكومة ولما اجتمعت الدوما في ١٩ يوليو سنة ١٩١٥ كانت آراء اعضائها قد تغيرت تمامًا فقامت على الوزارة وعزت اليها كل اسباب الانكسار في غليسيا وكل ما حدث من الاهمال وانفاق الاموال في غير محلها فاجتهدت الحكومة حينئذٍ في اصلاح الخلل اجابة لرغبة الدوما والشعب ولكن الطبع غلاب فلم تنتهِ سنة ١٩١٥ الاَّ ورسبوتين والايدي الخفيفة التي كانت تعمل معهُ سرًّا قد تغلبت على الحكومة

الاَّ ان الدوما لم تبطل سعيها فانضمت احزابها بعضها الى بعض — ولا افعل من المحن في ضم الاحزاب المتفرقة — وتألف منها حزب كبير في ٢٥ اغسطس سمَّى نفسهُ حزب التقدم فجاراهُ اكثر اعضاء الحكومة الوقتية والوزراء المائلون الى الثورة . ولما اجتمعت الدوما في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٦ وافقها مجلس الدولة على مطالبها وهي اولاً القضاء على اليد الخفية التي طوحت بالحكومة . وثانيًا تأليف وزارة قوية تشارك الدوما في العمل ويكون اعضاؤُها من الذين تثق بهم الامة تمام الثقة . وبعد خمسة ايام اجتمع مؤْتمر الاعيان المتحدين وهو حصن الحكومة الحصين وقرر مثل ذلك . واتضح حينئذٍ ان الوزارة كانت قد خانت الامة

وجعلت تسعى الى عقد الصلح المنفرد مع المانيا ولو ضحت مصالح الامة. وقام بعض الاعيان وقتلوا رسبوتين لكن الحكومة لم تعبأ بذلك حتى اذا امتلأت كاسها ثار العمال في بتروغراد وساعدهم تلامذة المدارس ثم انضمَّ اليهم الجيش الذي هناك وسار اعضاء الدوما في طليعة الثائرين وكان من امر الثورة ما كان كما اثبتناه في مقتطف مايو الماضي

ان فساد الحكومة الروسية مما تضرب بهِ الامثال ولكن الشعب لم يتمكن من قلبها قبلاً لعدم الاتفاق بين احزابهِ . ولم تتفق هذه الاحزاب قبلاً على الحكومة الا مرة واحدة وذلك سنة ١٩٠٥ لكن المتطرفين منهم خوَّفوا المعتدلين وهم اصحاب الاراضي والمعامل فانفصلوا عن سائر الاحزاب . وكان الجيش لا يزال موالياً للحكومة فلم تفلح الثورة حينئذٍ واما الآن فالجيش مع الشعب على ما يظهر

وتبقى مسألة مهمة بل هي اهم المسائل وهي هل الشعب الروسي مستعد للحكم الجمهوري وهل في البلاد العدد الكافي من الرجال الذين يعرفون ان يحكموا انفسهم و يقفوا عند حدود الانصاف فيعطوا كل ذي حق حقهُ ويمنعوا اعتداء القوي على الضعيف. والجواب ان المبادىء الاشتراكية دخلت روسيا وانبعث فيها لانها وجدت في الشعب الروسي تربة صالحة لنموها فنشأت فيها جمعيات العمال والاشتراكيين الذين يطلبون توزيع الاراضي على السكان. ولما انتُخبت الدوما الثانية كان الاعضاء الاشتراكيون ١٧ في المئة من حزب اليمين وعشرين في المئة من حزب الشمال مع ان الانتخاب لم يكن حرًّا . والمرجح انهُ اذا وقع الانتخاب لمجلس الدوما الآن وكان عامًّا وجرى على تمام الحرية فاكثر الاعضاء يكون من الاشتراكيين . واكثر زعماء الاشتراكيين من ذوي العفَّة والاستقامة والتبصُّر في عواقب الامور فلا يبعد ان يبتدعوا اساليب جديدة تساوي بين طبقات الناس على قدر الامكان او تصلح الفروق الطبيعية وتمنع الفروق الصناعية حتى لا يهتضم احد حق غيرهِ ولا يقف عثرة في سبيل راحتهِ ورفاهتهِ بل يعيش الجميع على نوع من الوئام لا يفوقهم فيهِ النحل والنمل . ولكن بلاد الروس واسعة جدًّا وكثير من شعوبها غير مستعد لهذا النوع من الحكم الجمهوري الاشتراكي وجمهور الاشتراكيين يعلم ذلك وقد صرَّحوا في بيانهم الذي نشروهُ في ٢٧ مارس الماضي ان حالة البلاد الحاضرة تمنع جعل الثورة الحاضرة ثورة اشتراكية عمومية . ولا شبهة في ان زعماء الثورة الذين هم زعماء الحزب الاشتراكي سيجربون نشر المبادىء الاشتراكية والعمل بموجبها وجري الحكومة عليها والمرجح نجاحهم لان شعوب السلاف ميَّالة الى المبادىء الاشتراكية

واعقد المشاكل في سبيل الروس مشكلة الاراضي فان الفلاح الروسي يعتقد ان الارض التي يزرعها يجب ان تكون لهُ وهو لا يحلم بغير الزمن الذي يملك فيهِ تلك الارض وعندهُ ان لا انصاف بغير ذلك

والمرجح ان الاشتراكيين يستصفون كل الاراضي التي يمتلكها كبار الاغنياء ويوزعونها على الفلاحين او على نقاباتهم· ولقد كان من اول افعال الحكومة الوقتيَّة انها استصفت املاك القيصر الواسعة واملاك بيتهِ ولا بدَّ من ان تجري الحكومة الحاضرة مجراها ولكن اذا تيسَّر استصفاء الارض واقتسامها لا يتيسَّر استصفاء المعامل واقتسامها لان المعمل الذي يشتغل فيهِ الف عامل لا يستطيع كل منهم ان يستقلَّ بجزء من الف جزء منهُ كما يستطيع الف فلاح يزرعون عشرة آلاف فدان ان يستقل كلٌّ منهم بزرع عشرة افدنة · وهذا ايضاً ليس في مصلحة الامة بنوع عام لان كل الاعمال الكبيرة كانشاء الترع والمصارف وجلب الاسمدة ونقل الحاصلات الى اسواق الدنيا الكبيرة لا يستطيعهُ صغار المالكين اي الذين يملك الواحد منهم فداناً او اثنين او عشرة بل كبار الملاك وكبار الاغنياء وهؤلاء كلهم امناء على اموال الامة ومصالح الامة يكتسب الواحد منهم الوف الجنيهات في السنة ولكنهُ لا يأكل اكثر من رغيف واذا مات لا يدفن في اكثر من مترين من الارض واذا اسرف في معيشتهِ فاسرافهُ انفع من اقتصادهِ من حيث توزيع الاموال واذا لم يسرف هو اسرف اولادهُ واحفادهُ· ومهما احسنت روسيا في حكمها الجمهوري لا تحسن اكثر من الولايات المتحدة الاميركية ولا اكثر من سويسرا والجمهورية في المكانين لم تستطع ان تمنع التفاوت بين طبقات الناس وما يملكون· ولو وزّعت الاموال عليهم بالسواء اليوم لوجدتهم متفاوتين فيها بعد ايام قليلة لان الطبيعة لم تساوِ بينهم

ولقد كان المظنون ان عامَّة الشعب الروسي ينظرون الى القيصر بنوع من العبادة او الاكرام الديني وان لهُ في نفوسهم المنزلة الثانية بعد الله حتى لما طيَّر الينا البرق خبر الثورة وخلع القيصر لم نكد نصدقهُ وكان رجال الحكومة الروسية يظنون ذلك ايضاً حتى لما وضع الكونت وت نظام الانتخاب للدوما قصد ان يكون جانب كبير من اعضائها من الفلاحين لاعتقادهِ انهم يعبدون القيصر فكان كما دبَّر ولكنهُ وُجد ان اكثر اولئك الاعضاء من الاحرار المتطرفين

والذين يعرفون احوال روسيا تمام المعرفة يقولون انها اكثر استعداداً من غيرها للحكم الجمهوري لان الشعب الروسي يكره السياسة فابتعد عن حكومتهِ وادار أُمورهُ بنفسهِ

وتجد اصول الحكم الذاتي في اماكن كثيرة في روسيا فان الفلاحين يجتمعون بعضهم مع بعض في ايام معلومة ويديرون امورهم ويفصلون فيما بينهم من الخصومات وهم من هذا القبيل اقرب الى الحكم الذاتي من الفلاحين في سائر البلدان وعندهم مجالس الاقاليم (زمستوف) انشئت سنة ١٨٦٤ حين الغاء الاستعباد الزراعي اعضاؤُها من الملاَّك والفلاحين وبعض سكان المدن وهي مستقلة عن ادارات الحكومة ولو اسميًّا . ولقد كانت هذه المجالس دائمًا شوكاً في جنب رجال الحكومة وكان العداء مستحكمًا بينها وبينهم ولكنها افادت الحكومة من وجوه شتى واليها ينسب نشر التعليم الاوربي في البلاد واصلاح معايش السكان . ولما نشبت الحرب زاد عملها وزادت فائدتها فاشتركت مع المجالس البلدية في كل الاعمال . وهي التي اعدَّت الاطعمة والالبسة للجيوش وصنعت لها الذخيرة . ولما نشبت الحرب تألفت في كل البلدان الصناعية من روسيا لجان الصناعات الحربية . والبرنس جوزف لفوف الذي عين رئيسًا للوزارة الاولى عقب الثورة هو رئيس اتحاد مجالس الاقاليم الذي يضم اربع مئة مجلس منها

فاساس الثورة الروسية واساس الحكم الجمهوري فيها ليسا ضعيفين كما يظن قبل امعان النظر ولكنهما قويان متينان . ومهما تكن اسباب الحرب الاوربية فرجال الثورة الروسية ينظرون الى هذه الحرب كوسيلة استخدمها رجال الحزب الحربي البروسي لاذلالهم والقضاء على استقلالهم او كما قال جورج بلجانوف زعيم الاشتراكيين الروسيين انها وسيلة الالمان الطامعين في بسط سيادتهم على الدنيا ولذلك فهم يحاربون المانيا لينجوا من شرها

ومتى وضعت الحرب اوزارها فلا يبعد ان تصير روسيا اكبر ضمان للسلم في العالم بعد ان كانت اكثر الممالك رغبة في فتح البلدان للاكتساب من خيراتها وفتح الابواب لايجاد الاسواق لمتاجرها الاول بالسلاح والثاني بالسياسة . وقد قضت الثورة على الاول واعلنت الحكومة الروسية الجديدة انها لا ترغب في فتح بلدان جديدة . واما الثاني اي ايجاد الاسواق للمتاجر فالاهتمام بحال الشعب يغني عنهُ لان بلاد الروس واسعة جدًّا وخيراتها وافرة وشعبها كثير قادر ان يستقل بنفسهِ ويستغني بما عندهُ من كل وجه . ومتى استثمر خيرات بلادهِ وصنع ما يحتاج اليهِ من الآلات والادوات بنفقة قليلة انتقلت مصنوعاتهُ الى اسواق الدنيا وراجت فيها ولو لم يهتم هو بترويجها لانها تكون ارخص من غيرها . ولعل الولايات المتحدة الاميركية اصلح البلدان لتستعين بها روسيا وتنسج على منوالها

ذكرى قاسم امين

(تابع ما قبلهُ)

يرى قاسم : « ان الانسان يولد شريراً خبيثاً قاسياً محتالاً كذوباً . . » الخ . وليس معنى ذلك انهُ لا يؤْمن الانتقال الوراثي بل هو يقرر هذا القول من جهة ان هذه الرذائل موجودة الاصول في النفس الانسانية بالقوة وليست النفوس الفاضلة عديمة الاستعداد لها مطلقاً بل غاية امرها انها بما فيها من صفات الخير اي من الفضائل تتغلب على هذه الشهوات فتعدم ظهورها بالفعل دون ان تجرد ما بالنفس منها بالقوة . وتكون هذه الكلمة جارية من حيث التعليل مجرى قوله في كلمته :

« فالخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل للاستغراب منهُ هي الحال الطبيعية اللازمة »

نتيجة لازمة لرقة الشعور وسلامة الذوق في تعرف الجمال ان يتعرض قاسم للكلام في العشق . وكيف لا يتكلم فيهِ . كيف لا يتكلم في معنى شغل نفوس كل الشبيبة بل كثيراً ما يتعداها الى غيرها من اطوار الحياة الاخرى . وما اظنهُ كان يتكلم فيهِ كلام رجل خالي الغرض بالمرة بل يظهر من تأليف عباراتهِ في الكلمات ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٤ و ٩٤ انهُ هو ايضاً ليس بعيداً عنهُ . وقليلاً ما كان النظر المجرد الى الحوادث او الفكرة في معنى الحب يعطيان وحدهما هذا الوصف دون ان يكون للوجدان دخل فيهِ . على ان الحب في نظر قاسم هو الهوى العذري او العشق الشعري . وهو على ما وصفهُ ليس بعيداً عن طبائع الاشياء وفي الحق ان الطبيعة لا تركب في المرء اي احساس عبثاً بل لا بد لها من ان تقصد بهِ غرضاً من اغراضها ولقد فسر ذلك بان الولد الذي يولد من زوجين متحابين ابلغ في مقدار الحياة الانسانية من سواهُ فكأَن هذا الشعور بين الزوجين انما كان لبقاء الاصلح

ان نفساً على ما وصفتُ كثيرة الاطلاع على ذاتها والجد في تهذيبها لا بد لها من ان تعروها السآمة الوقت بعد الوقت ويكون من دأْبها العزلة وحب الانفراد كما قال قاسم

« وجدت السآمة غالباً في الاجتماعات وما شعرت بها في الوحدة . اشتاق الى الناس فاذا اختلطت بهم رأَيت وسمعت ما يزهدني فيهم فافر منهم وارجع ملتجئاً الى نفسي فاجد فيها الراحة والسرور »

على ان من لوازم هذه النفس المسؤُومة الجنوح الى الصداقة على اتم معناها الممكن

تلقي بنفسها بين ذراعيها وتجد منها موئلاً من السآمة ومفرّاً من حزن الخلوة . قال قاسم :

« اكبر سرور السرور الوحيد الذي يخفف عن الانسان حمل الحياة ويرغبهُ في بقائها وينسيهِ الزمن والساعة ويجعلهُ يتمنى ان يحكم عليهما بالوقوف . هو ان يوجد في بيت صديق عزيز ويجلس على كرسي يستريح فيهِ محاطاً باشياء اعتاد ان يراها بنظرهِ ويلمسها بيدهِ . وفي هذا الجو الذي يشرح صدرهُ ويسكن اعصابهُ يقضي زمناً من الليل في احراق سجائر وهو ينظر الى الدخان الذي يتصاعد منها الى السقف يتحدث مع اشخاص يحبهم فيخاطبهم ويسمعهم بلا تكلف ولا تحضير ولا حساب يفتح قلبهُ ويفرح عن احساساتهِ المحبوسة ويترك زمام عقلهِ على هواهُ يمشي ويرمح وينط فرحاً بحريتهِ في اختلاط الافكار وائتلاف القلوب يجد على هذا الشكل لذة مسكرة لا شبيه لها »

وربما كان ذلك الصديق العزيز الذي يعنيهِ في هذه الكلمة هو صديقهُ سعد زغلول باشا فانهُ كان قد بلغ من صداقتهما انهما يكادان لا يفترقان واليهِ اهدى كتابهُ (المرأة الجديدة) بهذه الجملة المؤثرة :

« فيك وجدت قلباً يحب وعقلاً يفتكر وارادة تعمل انت الذي مثلت اليَّ المودة في اكمل اشكالها فادركت ان الحياة ليست كالمعتاد وان فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها

« من هذا امكنني ان احكم ان هذه المودة تمنح ساعات احلى اذا كانت بين رجل وزوجتهِ ذلك هو سر السعادة الذي رفعت صوتي لاعلنهُ لابناء وطني رجالاً ونساءً »

كذلك لا بد لمثل هذه النفس العميقة المائجة تحت صورة وديعة هادئة من ان تضيق يوماً عن احتمال مقاصدها وهمومها فتنبجس منها هذه المقاصد بالكتابة او الخطابة . — هكذا كان قاسم فانهُ لم يكتب ليكتب او ليتعجب ولكنهُ كان يكتب كما قال سعد زغلول باشا على قبرهِ

« يا قاسم غيرك يكتب ليرضي واما انت فكنت تكتب لتنفع »

رأى قاسم بعد التفكير ان السعادات المختلفة لكل امة انما هي نتائج حالتها الاجتماعية ورأى الجمعية المصرية وقتئذٍ قليلة الصفات التي تسلحها للمزاحمة على مرافق الحياة في الوقت الحاضر فرأى انهُ لا بد من تغيير حال الجمعية الى حال تتفق مع مقتضيات المزاحمة الحالية . ولا شك ان من يحاول الاصلاح الاجتماعي انما يعني بامر اللغة التي هي ركن للجمعية والحرية التي هي شرط لازم لصحة الجمعية وسلامتها والعائلة التي هي الجمعية الصغرى واُس الجمعية الكبرى فان اجزاء الجمعية انما هي العائلات لا الافراد

لذلك بحث قاسم من حيث هو كاتب اجتماعي في اللغة وقال عن الحرية وافاض في اصلاح العائلة المصرية او تحرير المرأة المصرية

قال في اللغة بياناً لحالها وانتقاداً على طريقة الرسم فيها :

« في اللغات الأُخرى يقرأُ الانسان ليفهم . اما في اللغة العربية فانهُ يفهم ليقرأً فاذا اراد ان يقرأَ الكلمة المركبة من هذه الاحرف الثلاثة (ع ل م) يمكنهُ ان يقرأها عِلْم او عَلَم او عِلِمَ او عُلِمَ او عَلَّمَ او عُلِّمَ . ولا يستطيع ان يختار واحدة من هذه الاَّ بعد ان يفهم معنى الجملة فهي التي تعين النطق الصحيح . لذلك كانت القراءة عندنا من اصعب الفنون »

وفي مقام انتقاد الذين يوثقون اللغة بوثاق شديد حتى لا تتبع قانون الرقي والتحول قال الكلمات الآتية :

« لا ادري ما هي غاية الكتَّاب الذين اذا ارادوا التعبير عن اختراع جديد يجهدون انفسهم في البحث عن كلمة عربية تقابل الكلمة الاجنبية المصطلح عليها كاستعمالهم مثلاً كلمة السيارة بدلاً من كلمة الاتوموبيل . ان المقصد تقريب المعنى الى الذهن فالكلمة الاجنبية التي اعتادها الناس تقوم بالوظيفة المطلوبة منها على وجه اتم من الكلمة العربية . وان كان مقصدهم اثبات ان اللغة العربية لا تحتاج الى اللغات الاخرى فقد كلفوا انفسهم امراً مستحيلاً اذ لم توجد ولن توجد لغة مستقلة عن غيرها مكتفية بنفسها

« يظهر ان باب الاجتهاد اغلق في اللغة كما اقفل في التشريع فقد صار من المقرر بيننا ان اللغة العربية وسعت وتسع كل شيء

« لكي يكون هذا الاعتقاد صحيحاً يجب ان نفرض ان هذه اللغة نتيجة معجزة فظهرت كاملة من يوم وجودها في العالم . وهذا يناقضهُ قيام الدليل على ان جميع اللغات خاضعة لقوانين التحول والرقي العام وتابعة في اطوارها لسير الانسانية فهي اذن مظهر من مظاهر غريزتها الطبيعية التي لا تزال تنتج وتبدع كما فعلت في الماضي . ولا ادري لماذا يريد قومنا ان يستبعدوا من اللغة العربية الكلمات الفصيحة وطرق التعبير الجميلة التي نسمعها احياناً في لغة العامة بحجة انها لم ترد على لسان العرب . نحن خلفاء العرب في لغتهم فكل ما تخترعهُ ملكاتنا في اللغة يعد عربيًّا بالطبع »

وفي مقام وصف علاج اللغة قال :

« لم ارَ بين جميع من عرفتهم شخصاً يقرأُ كل ما يقع تحت نظرهِ من غير لحن . اليس هذا برهاناً كافياً على وجوب اصلاح اللغة العربية

«لي رأي في الاعراب اذكرهُ هنا بوجه الاجمال وهو ان تبقى اواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك باي عامل من العوامل. بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللغات الافرنكية واللغة التركية ايضاً يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال الخ. بدون ان يترتب عليهِ اخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كما هي »

اما انتقادهُ فانَّا نشاركهُ فيهِ من جميع الوجوه واما العلاج الذي ذكرهُ فقد يكون غير نافع في ترقية اللغة بل قد تقتصر الفائدة منهُ على اقتصاد بعض قواعد ليس في تعلمها والمران بمراعاتها مشقة. ولكن ضرر هذا الرأي الذهاب بشخصية اللغة فان بعض اللغات الاخرى تتغير فيها اواخر الكلمات باختلاف مراكزها في الجملة او بحسب العوامل الداخلة عليها ومع ذلك فهي سائغة لاهلها سائرة في طريق الرقي والنجاح

والظاهر ان تأخر اللغة جاء من الاهمال في تعلمها ومن القضاء على التعليم بكل انواعه في الاقطار العربية في القرون الماضية. ولقد بدأ الناس يتعلمونها وبدأوا كذلك يتعلمون بها العلم فلا بد من رجوعها الى شبابها ولكن لا بد لذلك من ان لا يقف اهل اللغة بها عند الحد الذي وصلت اليهِ الآن كأنها نتيجة معجزة كما قال بحق قاسم بك امين. بل يقبلون لها الزيادة المنفصلة للضرورة مع مراعاة دفع الحرج عن الناس

لو فعل اهل اللغة ذلك لما وصلت بعد الى الحد المطلوب بل لا بد لهم من التفكير في اصلاح العيوب التي وضع قاسم اصابعنا عليها كما وضع اصابعنا على جراحنا الاجتماعية وجعل يداويها واعني بهذا آراءهُ في تحرير المرأة والمرأة الجديدة

لم يكن قاسم في محاولة هذا الضرب من الاصلاح مقلداً تقليداً مجرداً كما ادُّعي عليهِ. بل هو فوق ذلك القائلُ وهو اصدق رواية لرأيهِ ممن عداهُ

« مهما كان الرأي في حكم الاتراك لمصر فلا ريب عندي ان الامة المصرية استفادت منهم كثيراً. وجدت فيهم انسانية راقية فاقتبست منهم بالمعاشرة والمصاهرة وترتيب المسكن والتفنن في الملبس والمأكل وكثيراً من العادات الحسنة والصفات الادبية

« واذا كان التعليم قرّب ما بين الرجال من المسافة فهي لا تزال الى الآن بعيدة بين المرأة التركية والمرأة المصرية حتى انك لترى الرجال المهذبين يتهافتون على طلب الزواج بالاولى بقدر ابتعادهم عن الثانية. واليوم وجد المصريون والاتراك ... امامهم انسانية ارقى اختلطت بهم اختلاطاً كبيراً فاخذوا يقلدون الاوربيين في جميع شؤُون حياتهم ولا ارى ان هذا التقليد سيكون لهُ اثر حميد في انقاذ امتنا من الحال التي هي فيهِ الآن »

نعم لم يرد قاسم تقليداً مجرداً لا يصدر الاّ عن مفتون بالمدنية الغربية ينقلها الى قومهِ بلا حساب للنتائج ولا قياس لما بين الشرق والغرب من الخلاف. انما اراد اصلاحاً اجتماعيًّا مصدرهُ الشريعة ومنهجهُ التربية والتعليم . وغايتهُ تأهيل الجنس اللطيف في مصر للحياة وللعمل فيما هو ميسر لهُ . او بعبارة اخرى غايتهُ رفع مستوى القوى الاجتماعية في الامة المصرية الى كفاءة المزاحمة في الحياة المدنية

ما كان جمود الجنس اللطيف في الطبقتين الوسطى والعليا وتجردهُ عن الحياة بالمرة اكتشافاً اكتشفهُ قاسم بك امين . انما هو حقيقة ناصعة يبصرها الاعشى ويمسكها الاشل. حقيقة تجبه المتعلم كلما دخل دار ابيهِ او زار ذوي الارحام . حقيقة ظهرت آثارها ظهوراً محزناً في فشل العائلات الحديثة التي تتألف من متعلم ذي اطلاع في الحياة المنزلية وفتاة أسيفة لا خلق مطمئن ولا عقل هاد ولا علم حتى بترتيب اثاث بيتها . هذه الحقيقة المحزنة كانت موضع نظر الطبقة المتعلمة في البلاد . وكلهم يرى ضرورة الخروج من هذه الحال التعسة فلم يجرأ ولا واحد منهم ان يتحمل مسؤُولية معاداة القديم . الاّ قاسم فانهُ لعظم ما بهِ من مبلغ الحياة ولما ذكرت لكم من الصفات مد يدهُ ليأخذ بناصر المرأة المظلومة وليعبر عن الشعور الذي اختمر في مشاعر بيئتهِ وليحمل وحدهُ مسؤُولية اطلاعهم . ومثل قاسم بها جدير

جاء قاسم للاصلاح من بابهِ . وذكَّر الناس بان حبس المرأة على هون امر ابطلهُ الاسلام وان حرية المرأة امر طبيعي قررهُ الاسلام. وان طلب العلم والتفكير واجب على المرأة كما هو واجب على الرجل بشريعة الاسلام. وان المرأة في الدين الاسلامي أوفى حقًّا من كل نساء العالم. وان حبسها على الجهل بامور الحياة وعن التمتع باللذائذ العقلية وارادتها على التعطل الاّ عن الحلى كل ذلك مصدرهُ الاستبداد

وضع هذه الاصول ثم ابان ما يترتب على الزواج المبني على اصل من المحبة بين الزوجين والاختيار في عقد الزواج من النتائج الاخلاقية والسعادة المنزلية وما يترتب عليها من زيادة في مبلغ الحياة والنتائج الاقتصادية والنتائج الاجتماعية التي هي رفع مستوى الامة كما قدمنا للمزاحمة في معترك الحياة العامة

***

غير انني اشير لكم الى ما قوبل بهِ قاسم تلقاء هذا الخير الذي زفهُ الى امتهِ . لاقى ما لاقاهُ كل مصلح من قبل . طعن كتابي هو اشد ضروب الطعن . طعن من جميع المقامات حتى من الذين يعلمون . كان من قرأهُ ومن لم يقرأهُ سواء في الطعن عليهِ . كذلك حال الرأي

العام تلقاء كل اصلاح اجتماعي على الخصوص لانهُ دائماً طعنة مميتة في صدر المألوف وما اشد شغف الرأي العام بالمألوف كما قال قاسم :

« اذا رأيت الرأي العام يرمي احد رجال الحكومة بالخيانة ساخطاً عليهِ شديد الرغبة في سقوطهِ فاعلم انهُ غالباً رجل طاهر وعالم نافع · واذا رأيت الرأي العام معادياً لكاتب وأعدَّ لهُ خصوماً يتسابقون الى نقض افكارهِ وهدم مذهبهِ وعلى الخصوص اذا رأيتهم ذهبوا في مطاعنهم الى السب والقذف فتحقق انهُ طعن الباطل طعنة مميتة ونصر عليهِ الحق · ما هو الرأي العام أليس هو في كثير من الاحوال هـذا الجمهور الابله عدو التغيير خادم الباطل ومعين الظلم · لو انتظر المصلحون دائماً رضاء الرأي العام لما تغير العالم عما كان عليهِ من زمن آدم وحواء » ·

على ان الرأي العام اذ يجني على اشخاص المفكرين ينشر بعنادهِ مذاهبهم كانما الباطل يعين الحق احياناً على الفتك بهِ وعلى هذه السنة انتشر مذهب قاسم · انتشر واخذ مأخذهُ من النفوس حتى اصبحنا الآن لا نعلم رجلاً في البلاد يعارض في تعليم البنات

الى تحكّم الرأي العام في حرية الرأي يشير قاسم بقولهِ :

« الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر · في البلاد الحرة قد يجاهر الانسان بان لا وطن لهُ ويكفر بالله ورسلهِ ويطعن على شرائع قومهِ وآدابهم وعاداتهم ويهزأ بالمبادىء التي تقوم عليها حياتهم العائلية والاجتماعية · يقول ويكتب ما شاء في ذلك ولا يفكر احد ولو كان من الد خصومهِ في الرأي ان ينقص شيئاً من احترامهِ لشخصهِ متى كان قولهُ صادراً عن نية حسنة واعتقاد صحيح · كم من الزمن يمر على مصر قبل ان تبلغ هذه الدرجة من الحرية »

ان الذين اعتدوا على حرية الرأي بالتعرض لاشخاص المفكرين عقاباً لهم على مذاهبهم لم يبوءوا الاَّ بتبعة جناياتهم دون ان يبلغوا منها ما يريدون · هب انهم بلغوا ما ارادوا من اشخاص سقراط ومن جليلي ومن ابن رشد ومن اضرابهم فهل قضوا على مذاهبهم · كلاَّ انما هم تصدوا الى ان يقتلوا شوق الانسان الى الكمال · وعبثاً يفعلون فالطبع غالب دائماً على امرهِ

لا نعجبوا من الجهلاء الذين لا يحتملون حرية النقد العلمي · بل احق منهم بالعجب العلماء الذين يشفقون على الشبان من جراء الحرية العلمية وهم يعلمون ان التطرف فيما هو دائماً اخف ضرراً مما تورثهُ طبائع الاستبداد

ايها السادة

اعترف باني لم اوفِ درس قاسم حقهُ من البحث والايضاح لان ذلك غير ميسور في مسامرة واحدة وحسبي لفت الاذهان الى درسهِ حتى الدرس حتى تتم القدوة الحسنة بهِ ويكثر فينا مثلهُ من الكتاب الذين وصفهم بقولهِ :

« ولكن الكاتب المحب لفنهِ ينشر افكارهُ كما هي . ينشر الحقيقة منزهة عن الزيادة والنقصان لا يقبل ان يبدل فيها او يغير منها او يتنازل عن حرف مراعاة لاي امر كان . هو العاشق الذي يعتقد الكمال فيما يحبهُ ولا يتصور وجود شيء يعادلهُ ولا يبالي بذم الناس بل يجد فيهِ نوعاً من حماسة الغضب منبهاً لاعصابهِ منشطاً لقواهُ مغرياً لهُ على الاستمرار والثبات »

احمد لطفي السيد

مصر منذ اربعمائة سنة

(٧)

السلطنة المصرية

بقية المقاطعات والكاشفيات

اما الكاشفيات التابعة فواقعة شرقي النيل وهي :

المقاطعة الحادية عشرة . كاشفية المنيا وهي كثيرة الاتساع الأ ان بلادها الآهلة بالسكان قليلة وليس فيها سوى ٥٩ بلداً وحاكمها يدفع للباشا اثني عشر كيساً والى الاغاوات اربعة اكياس وقسطها المفروض عليها من خراج السلطنة مائة الف اردب من القمح ولا تدفع مالاً . والكاشف يؤَجر الاراضي الى الملتزمين حسب تقدير دفاتر الديوان ولا تروى اراضي هذه الكاشفية الأ متى زاد مقياس النيل على اثنين وعشرين ذراعاً ونصف واذا انخفض عن ذلك تبقى بوراً ولا يزرع فيها الارز ولا القصب لصعوبة الري

المقاطعة الثانية عشرة . كاشفية الشرقية . وهي صغيرة وحاكمها يدفع للباشا خمسة اكياس والى الاغوات وغواتهم كيساً ونصفاً وقسط هذه الكاشفية من خراج السلطنة عشرون الف اردب قمح وعشرون كيساً وعندهُ من الاجناد السباهية ٢٥ وعدد بلادها ٣٣٠ ويزرع في اراضيها الشمر والانيسون

وعند حدود مصر الشرقية مقاطعة صغيرة في برية سيناء تدعى كاشفية قطية وحاكمها

يلقب في الديوان كاشفاً شرقاً يقيم في قلعة حصينة لحفظ الحدود من تعدي قبائل العرب و يدفع للباشا اربعة اكياس والى الجند كيسين . وفي برية سيناء ثلاثة قلاع أخرى وحصون تحت سلطة هذا الحاكم . وتحت امرهِ قوة كبيرة من الجنود تدفع رواتبهم وعلائقهم من الخزينة السلطانية

وكل الاراضي المصرية ملك السلطان بحكم الفتح توَّجر بالالتزام و يدفع عنها الخراج او توْخذ منها العشور ما عدا الاراضي الموقوفة على الحرمين وعلى بعض الجوامع والحجاج الفقراء والاعمال الخيرية . وتقسم هذه الاوقاف الى اربعة اقسام كبيرة وهي الاوقاف السليمانية والمحمودية والمرادية والحسنية على أسماء السلاطين الذين وقفوها (وسيأتي بيان ذلك في باب الايرادات المصرية) وليس عليها خراج سلطاني فكل ريعها يصرف في الابواب الموقوفة لها

وقال وانسليب سنة ١٦٧١ « وتقسم مصر الى ست وثلاثين مقاطعة او كاشفية في كل منها حاكم يدعى كاشفاً يرجع في احكامهِ الى ديوان الباشا بمصر عدا كُشَّاف الصعيد الاعلى فانهم تابعون حاكم الصعيد وهو مستقل في اعمالهِ . وهذه اسماء كاشفيات الصعيد الاعلى . ابو تيج . طما . طهطا . العسيرات . جرجا وهي حاضرة صاحب الصعيد . ثم برديس وفرشوط و بهجورة وارمنت واسنا وكلها غربي النيل

واما مقاطعات الصعيد الواقعة شرقي النيل فهي اخميم وشرقي المرج والخيام وشرقي فاو وقوص وقنا والقصر وابريم . ثم كاشفيات الصعيد الاوسط وهي منفلوط وتمتد اراضيها واحكامها الى الواحات ثم كاشفية الاشمونين ومقام حاكمها في المنيا ثم كاشفيات بني سويف والفيوم والجيزة واطفيح . واما الكاشفيات البحرية فهي المنوفية والغربية والبحيرة والقليوبية والمنصورة والشرقية»

وقال ماليت قنصل فرنسا في مصر سنة ١٦٨٠ :

« وقد اختلفت الكتاب في تقسيم المقاطعات المصرية على عهد المصريين القدماء فقال احدهم انها كانت اربعين مقاطعة واما هيرودوتس فقال انها ثمانية وعشرون وقال غيرهُ ان الكهنة قسموا البلاد بحسب اختلاف المعبودات التي كانت تعبد فيها »

المدن المصرية

قال ماليت سنة ١٦٨٠ « كان في مصر على قول بعض المؤَرخين والكتاب ثمانية عشر الف مدينة و بلد وعلى ظني انهم بالغوا كثيراً في تقديرهم هذا حتى ان اوسابيوس المؤَرخ

القديم المعروف قال ان عدد المدن المصرية على عهد الملك امحسيس بلغ نحو عشرين الف مدينة . وقال لاغوس ان عددها لم يزد على الثلاثة آلاف على عهد الملوك البطالسة . فبين هذين القولين اختلاف عظيم ولكن على ما ارى ان اوسابيوس وهيرودونس حسبا في تقديرهما كل المدن والقرى والعزب . واما لاغوس فلم يحصِ سوى المدن الكبيرة الآهلة . والحقيقة ان مصر كانت بلاداً عامرة آهلة كثيرة السكان لانك تجد بين كل مرحلة واخرى بلاداً قديمة خربة واطلالاً دارسة واذا اعتبرنا بالمدن البلاد الحصينة ذات الاسوار فليس في مصر الآن مدن محصنة بالقلاع سوى الاسكندرية ودمياط ورشيد والمنصورة حتى ان القاهرة نفسها تهدمت اسوارها وليس فيها حصن سوى القلعة العظيمة المشرفة عليها »

تعداد سكان مصر واجناسهم

قال ماليت « يصعب كثيراً معرفة عدد سكان البلاد المصرية واحصاؤُهم بالتدقيق . واذا رجعنا الى اقوال بعض المؤرخين القدماء نرى ان اوساسبيوس قدرهم على عهد الفراعنة بسبعة ملايين ونصف وقال غيرهُ انهم بلغوا عشرين مليونًا واتبع هذا الرأي مؤرخو العرب فيما بعد . وهذا الرأي يحتمل تصديقهُ لان شواطئ النيل وضفاف الترع من الاسكندرية الى اسوان كانت مكتظة بالبلاد العامرة المتلاصقة . ولكن تقلب الحكومات العديدة وخراب المدن القديمة وتوالي الاضطهادات والظلم والفقر والامراض والاوبئة ادت الى نقص كبير في سكان مصر . ولقد اقمت في وادي النيل نحو خمس عشرة سنة وجلت في ارجائهِ وخبرت احوالهُ وقرأت كتب مؤرخي العرب عنهُ فغلب على ظني ان تعداد سكانهِ لا يتجاوز الآن الاربعة ملايين . انظر الى خرائب الاسكندرية القديمة فقد قرر المؤرخون القدماء ان عدد سكانها مع ضواحيها بلغ في ابان مجدها وعظمتها على عهد البطالسة والرومان ثلاثة ملايين . واما الآن فلا يزيد على خمسين الفاً . ومدينة مصر القاهرة التي مجموع سكانها يعادل ثمن سكان القطر كلهِ لا يزيد عدد سكانها على ثلاثمائة وخمسين الف نفس فعلى هذا القياس التقريبي كان عدد سكان القطر المصري ثلاثة ملايين . وعدا ذلك فمعدل الوفيات كثير بمصر وخصوصاً عند تفشي الطاعون . وقال لي احد المرسلين الكاثوليك وقد اقام مدة طويلة في البلاد انهُ حدث طاعون منذ عشرين سنة ومات فيهِ نحو مليونين من السكان فقد لبث هذا الوباء متفشياً في مصر اكثر من تسعين يوماً وكان متوسط الوفيات اليومية عشرين الفاً . وفي القاهرة وحدها كان يموت في اليوم الف نفس

« وذكر المؤرخون القدماء انهُ لما اجتاح احشويرش ملك الاشور بين البلاد المصرية اخذ اكثر اهلها اسرى بعد ان خرب المدن وردم الترع والاقنية وهدم الهياكل والقصور العظيمة حتى اصبحت البلاد خراباً بلقعاً . ولما جلس قسطنطين الكبير على عرش بزنطية وتدين بالنصرانية اصدر امراً بقتل الوثنيين في مصراي المصريين القدماء وهدم هياكلهم ومحق اثارهم . ولما جلس يوليانوس الملقب بالجاحد بعدهُ نقض امر قسطنطين وامر بقتل المسيحيين وهدم كنائسهم فكل هذه الاسباب من بواعث نقص السكان منذ القديم

الاقباط

« واما سكان مصر الآن فمؤلفون من المسلمين المصريين او بالحري الفلاحين ومن الاقباط والعربان والاتراك والاروام واليهود والسوريين والارمن والافرنج . والاقباط وحدهم من بين هذه الاجناس هم المصريون الاصليون . وكانوا يعدون بالملايين واما الآن فيعدون بالالوف . فقد نقص عددهم نقصاً كثيراً متوالياً منذ توالت احكام اليونان والرومان والبزنطيين والعرب والاتراك والمماليك وتحملوا اضطهادات كثيرة على عهد قياصرة الروم في القسطنطينية بسبب اتباعهم مذهب ديوسقورس وافتيخوس القائل ان للمسيح طبيعة واحدة وقد دان بالاسلام جزءٌ كبير منهم بعد الفتح . واشتد الاضطهاد عليهم على عهد السلاطين الفاطميين والايوبيين وخصوصاً في زمن الحاكم بامر الله والباشاوات الاتراك والحكام المماليك حتى اصبح عددهم الآن لا يزيد على ثلاثمائة وخمسين الفاً »

قال وانسليب سنة ١٦٧٠ :

« اما الاروام بمصر فهم من مهاجري المورة والجزر اليونانية وليسوا من نسل اليونان الفاتحين الذين كانوا على عهد الاسكندر والبطالسة وكثيرون منهم اختلطوا الآن بالاقباط بواسطة الزواج ففقدوا جنسيتهم . واما عدد الاقباط بمصر فقد نقص نقصاً كبيراً بسبب الاضطهادات المتوالية التي انزلت بهم في عهد الحكم اليوناني والروماني والبزنطي والاسلام فقد كان عددهم عشرة ملايين حينما افتتح الاسكندر بلادهم وبعد الفتح الاسلامي نقص عددهم الى ستمائة الف . واما الآن فيبلغ خمسة عشر الفاً كما قال بطريركهم حينما زرتهُ [1]

وسبب هذا النقص العظيم توالي الاضطهادات من عهد ملوك الرومان كما تقدم القول فقد قتل الوثنيون منهم في اوائل النصرانية نحو مليون نفس . وقتل منهم في ليلة عيد

(١) لا ريب ان وانسليب اخطأ في هذه الرواية وربما اراد عدد الاقباط في القاهرة

الميلاد بامر ديو قلطيانوس قيصر ثمانون الفاً دفنوا في جبل اخميم وفي رواية بعض المؤرخين انهُ قتل منهم في نواحي اسنا في بدء النصرانية عدد هائل حتى غطت جثث الشهداء مساحة ثمانين فداناً من اراضي الصعيد . وتحملوا اضطهادات كثيرة من قياصرة الروم المسيحيين لسبب تمسكهم بعقيدة ديوسقورس القائل ان للمسيح طبيعية ومشيئة واحدة . وقتل منهم في الاسكندرية وحدها بامر الملك يوستنيانوس نحو مئتي الف نفس في يوم واحد حتى اضطروا ان يهجروا بلادهم ويختفوا في البراري والقفار ومن ذلك الوقت نشأت اديرة النساك في الصحارى والواحات . وبعد الفتح الاسلامي تدين كثيرون منهم بالاسلام حتى كانت بلاد وقرى تدخل افواجاً في الاسلام باهلها وقسيسيها ومشايخها وهذا سبب نقص عددهم »

وقال في موضع آخر « ذهبت في ١٣ سبتمبر لزيارة بطريرك الاقباط وكانت توثقت عرى الصداقة بيني وبينهُ ودعوتهُ ان يتناول الغداء معي في منزلي . فأبى وقال انهُ لا يقدر ان يخرج من قلايتهِ خوفاً من ان يلحق بهِ اذى وانهُ لم يخرج من دار البطركية منذ اكثر من سنة لان الحكام وضعوا عليهِ الرقباء والجواسيس واذا خرج فانهم يتخذون ذلك حجة لاضطهادهِ او لاستنزاف المال منهُ . وشكا لي كثيراً من هذا التضييق وقال ان كل البطاركة بمصر من الطوائف الاخرى احرار فيما يفعلون فيزورون منازل رعاياهم ويتنزهون ويسافرون اينما شاؤوا واما انا فلا يسمح لي بالخروج من داري الأ بامر الباشا بعد ان اوضح الغرض من سفري وادفع بعض المغارم على سبيل الحلوان

« والحق يقال ان لا طائفة مسيحية تحمل الضيق غير هذه الطائفة المسكينة لان ليس لها عضد من احد وليس بين ابنائها واعضائها من هو عظيم الوجاهة او كثير العلم اوذو ثروة وسلطة ليدافع عن ابناء جلدتهِ فليس لاحد من الاقباط منزلة او اعتبار عند الاتراك فكلهم مكروهون من الحكام والاهالي وهم عندهم ثفالة العالم . وكثيراً ما يخطر على بال الحاكم ان يأمر باقفال كنائسهم حتى بيوتهم ايضاً بلا سبب لكي يبتز منهم المال

« وحدثت اثناء وجودي بمصر حادثة جديرة بالذكر وهي ان احد الانكشارية غضب يوماً ما على عشيقتهِ وهي مومس فذبحها واخذ جثتها والقاها في بركة الازبكية بالقرب من حي الاقباط . ولما رآها السوباشي محافظ المدينة عند الصباح اتهم الاقباط بقتلها وامر

باقفال كل بيوت الاقباط القريبة من هناك وتسميرها ولم يسمح بفتحها الاّ بعد ان دفعوا لهُ الفي غرش ديواني(١) دية دم تلك المومس

« وفي هذه السنة ضاعف ابرهيم باشا نائب السلطان وحاكم مصر الضرائب على الاقباط بمصر . وكانوا يدفعون قبلاً مبلغاً محدوداً في كل سنة للخزينة السلطانية وضرائب اخرى معينة لبعض الاشراف كالسيد البكري وسيد السادات وغيرهما وهذه المغارم معروفة بضرائب الحماية وذلك عدا ضريبة الاعناق وهي غرشان عن كل رجل بالغ من الاقباط. وهذه الضريبة تزيد وتنقص تبعاً لعدالة الحاكم او ظلمهِ . واما الضرائب المفروضة على اقباط الصعيد والارياف فموزعة على القرى والبلاد فكل قرية تدفع مبلغاً محدوداً والاقباط يجمعونها من بينهم ولما ضاعفها ابرهيم باشا هذه السنة وارسل الخولية لجمعها من البلاد فرّ كثيرون من الفقراء الى الجبال والقفار وتركوا منازلهم خوفاً من الظلم وضرب السياط . ويعطى كل من يدفع هذه الضريبة ورقة حمراء عليها ختم السوباشي واسم القبطي الدافع ولا يقيد فيها سوى ثلثي المبلغ المدفوع لان الثلث الثالث رسم او اجرة للسوباشية والخولية »

وقال ماليت عن العربان سنة ١٦٨٠

« واما قبائل العربان بمصر فهم مشتتون في اطراف البلاد ولهم امتيازات مخصوصة . ومنهم البدو وهم اهل وبر يعيشون تحت الخيام وينتجعون المراعي والاراضي الخصبة »

اليهود وغيرهم

واما اليهود ففي ايديهم مالية البلاد وجماركها وكبارهم يتعهدون بتقديم الفضة والذهب لدار الضرب السلطانية بمصر . واما الافرنج والسوريون والارمن فاصحاب مهن وحرف وتجارة »

الفلاحون

وقال في موضع آخر

« واما الفلاحون المسلمون فهم تحت سيطرة الحكام الاتراك يسخرون في الفلاحة وبناء الجسور والاعمال الشاقة والسياط على ظهورهم واسم الفلاح عند التركي ممقوت مكروه

(١) الغرش يساوي عشرة من غروشنا فهي تساوي الف جنيه بنقودنا اليوم

الترك

وقال في موضع آخر عن الاتراك ووفودهم الى مصر:

« فبعد ان استولى السلطان سليم الاول على مصر سنة ١٥١٧ اقبل الاتراك والجراكسة والاناؤوط والاروام من كل انحاء السلطنة الى مصر للارتزاق واستثمار الاراضي واستلام زمام الاحكام وحضر ايضاً عدد كبير من اليهود الاسبان على اثر اضطهادهم وطردهم من بلادهم . وفي كل سنة يقبل الى مصر كثيرون من العالم الاسلامي للتجارة والارتزاق من تونس والجزائر ومراكش وفاس . ولما استولى البنادقة على بلاد المورة وجزائر بحر الروم اقبل كثيرون من الاروام للارتزاق . وكذلك لما استولت النمسا على المجر هاجر كثيرون من اهلها الى مصر وقد تدين اكثرهم بالاسلام ودخلوا في وجاقات الانكشارية والسباهية وتولوا زمام الاحكام . واقبل من اسطنبول كثيرون من الضباط والاغاوات والوزراء المعزولين وتوطنوا في مصر ووجدوا من حكامها الحماية والتعضيد . واعظم وزير الآن ومقرب لدى السلطان في اسطنبول يفضل ان يكون وزيراً في مصر على ان يكون صدراً اعظم او والياً على اعظم ولاية في السلطنة . وكثيرون من الوزراء واغاوات الوجاقات احضروا معهم الى مصر التحف والجواهر التي وقعت في قبضة ايديهم من السرايات السلطانية في ابان الفتن التي حدثت في اسطنبول او عند عزل السلاطين »

وقال ماليت ايضاً في موضوع آخر

« واكثر السور بين بين روم وكاثوليك مقيمون في دمياط ورشيد واكثر التجار الافرنج في الاسكندرية واما اليهود فمنتشرون في كل البلاد وهم يهود اصليون من زمن الفتح ويهود مهاجرون و يبلغ عددهم جميعاً ٢٥ الى ٣٠ الفاً »

وقال مارسل في اواخر القرن الثامن عشر عن تعداد اهالي مصر « كانت البلاد المصرية عامرة آهلة على عهد ملوكها الاقدمين . فقال بعض المؤرخين ان المصريين كانوا يبلغون عشرين مليوناً . واتبعهم كتاب العرب في هذا الرأي غير ان ديودورس الصقلي المؤرخ اليوناني (عاش على عهد اغسطس قيصر وكتب مؤلفات تاريخية كثيرة) وسترابون (جيوغرافي يوناني من اماسيا كان في زمن طيبار يوس قيصر) قالا ان عدد سكان مصر ثمانية ملايين على عهد الملوك البطالسة . ولما فتح عمرو بن العاص مصر كانت كثيرة السكان و بلادها عامرة واما الآن فيصعب علينا معرفة الاحصاء الحقيقي لسكان

وادي النيل · فقد جرى اخيراً احصاء تقريبي مبني على عدد البيوت في مصر والثغور والارياف فوجد ان الذكور القادرين على حمل السلاح بلغوا نحو مليون ونصف · واما مجموع التعداد فبلغ نحو مليونين وتسعمائة الف تقريباً وهذا بيانهم بحسب اجناسهم :

٢٦٠٠٠٠٠	مسلمون مصريون
١٥٠٠٠٠	اقباط مصريون
١٢٠٠٠	اتراك
٧٠٠٠٠	عربان وبدو
٥٠٠٠	برابرة ونوبيون
٢٠٠٠	عبيد وزنوج
٥٠٠٠	مماليك جراكسة وارناؤوط وجيورجيون
٧٠٠٠	يهود
٥٠٠٠	سوريون
٥٠٠٠	اروام
٢٠٠٠	ارمن
١٠٠٠٠	افرنج اوربيون
٢٨٩١٠٠٠	

وهذا بيان اجناس الاوربيين

٣٠٠٠	ايطاليون (منهم ١٠٠٠ مالطيون)
٦٠٠٠	فرنسويون
٢٠٠	انكليز
٢٠٠	نمسويون
٥٠	روس ومجر
٢٠	اسبان
١٥٠	سويسريون وبلجيكيون وهولنديون و بروسيون ودنمركيون
٩٦٢٠	

واذا بحثنا في التفاوت العظيم في عدد سكان القطر المصري بين عهد الفراعنة والبطالسة وبين هذا الزمن وجدنا ان ذلك ناتج من تقلبات الاحكام والظلم وبواعث الخراب والدمار وتوالي الحروب والفتن والامراض والاوبئة ولاسيما الطاعون والمجاعات المتعددة في سني القحط وانخفاض النيل

وصف القاهرة وضواحيها

كان تنود قد حضر الى مصر سنة ١٥١٢ تابعاً لفرنسوى دي جيهان المرسل سفيراً ومعتمداً سياسيًّا من لويس الثاني عشر ملك فرنسا لدى قانصوه الغوري سلطان مصر لتقرير السلام وحل المشاكل التجارية والسياسية بين الحكومتين والسعي في فتح كنائس بيت المقدس . وقد جرى لهذا السفير استقبال حافل في الاسكندرية ومصر على مثال ما استقبل سفير البندقية . قال تنود :

« وفي ١٥ مارس وصلنا الى بولاق فاستقبلنا اميرال السلطان والمماليك وأرسلت لنا الجياد من الاسطبل السلطاني . وخصص لنا قصر عظيم لنزول السفير واتباعهِ وهو قصر فخم مزخرف بالنقوش المذهبة واعمدة المرمر والفسيفساء وابوابهُ من الابنوس المرصع بقطع العاج والصدف . وقد قيل لنا ان نفقات بنائهِ وزخرفة نقوشهِ بلغت ثمانين الف دوقة ذهب وحولهُ بستان كبير غرست فيهِ كل الاشجار المثمرة من برتقال وتفاح وليمون وبرقوق وموز يروى من مياه النيل بواسطة السواقي وتجري اليهِ في اقنية تحت الارض . وبين بولاق والقاهرة نحو الف بستان للسلطان على هذا المثال

« وفي اليوم الثاني من وصولنا وصل ركب الحج من مكة بقيادة امير الحج وهو ابن عم السلطان الغوري ومع هذا الركب مائة الف جمل لحمل امتعة الحجاج والبضائع المختلفة التي وردت للسلطان من بلاد العرب والهند بواسطة تجارهِ ومديري امواله تحت حراسة مائة مملوك وكل هذه الالوف من الاكياس ملآنة بالبهارات والعطورات والافاوية والنارجيل والحجارة الكريمة والسجادات العجمية

« وبعد ثلاثة ايام استقبل السلطان السفير المرة الاولى بعد ان ارسل لنا هدايا كثيرة مؤلفة من طيور ودجاج وزبدة ورز وسكر وعسل واثمار . كما ان السفير قدم للسلطان الهدايا المرسلة لهُ من ملك فرنسا وهي مؤلفة من اثواب واقمشة حريرية وديباجية وكلها منسوجة بالذهب واثواب من صوف بديعة الصنع قيمتها الفا دوقة ذهب . وقابل السلطان السفير مرحباً بهِ ومبالغاً في مجاملتهِ والتلطف بهِ وقال لهُ : اقم ايها السفير عندنا

على الرحب والسعة فانت واتباعك في ضيافتي مدة اقامتك بمصر واحسب نفسك كأنك في فرنسا وطنك

« وجرى اثناء اقامة السفير بالقاهرة مهرجان فتح الخليج وهو عيد وطني عظيم تقام فيهِ الحفلات والملاعب وتنصب الخيام في ميدان واسع بالقرب من جزيرة الروضة وتزين المراكب وتطلق الانوار المختلفة ويقبل السلطان والامراء والعلماء والاعيان ويفتحون سد الخليج باحتفال عظيم فتجري المياه فيهِ ويخترق القاهرة ويكون ذلك اليوم يوم فرح عام عند الاهالي ويلقون انفسهم في الخليج عراة رجالاً ونساءً واولاداً وتجري مسابقات كثيرة في السباحة »

ولما حضر السائح نوردن الدنمركي سنة ١٦٣٥ حضر حفلة فتح الخليج ورسم موقع الاحتفال والزينات والملاعب وموقف الجنود والاعيان والامراء وهي اقدم صورة اخذت فنقلناها لاطلاع القراء عليها كاثر عياني قديم

وتتمة للفائدة نذكر كيف كانت تقام حفلة فتح الخليج على عهد سلاطين مصر نقلاً عن كتاب تاج الرياسة لابي القاسم الشهير بابن الصيرفي المأخوذ عن نسخة خطية في مكتبة كمبردج نشرها سنة ١٩٠٥ حضرة مدير الآثار العربية

ركوب الخليفة لفتح الخليج

« وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين يأخذ النيل في الزيادة ويعمل في بيت المال من التماثيل المختلفة من الغزلان والسباع والفيلة والزرازيف عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس بالصندل مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب وكذلك يعمل اشكال التفاح والاترج وغير ذلك وتخرج الخيمة العظيمة فتنصب للخليفة في بر الخليج الغربي وتلف عمد الخيمة بديباج احمر او ابيض او اصفر وينصب فيها سرير الملك مستنداً اليهِ ويغشى بقماش كتان ابيض وعرانيهِ ذهب ظاهرهُ ويوضع عليهِ مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة ويضرب لارباب الرتب من الامراء بجري هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم ثم يركب الخليفة على عادتهِ في المواكب العظيمة بالمظلة وتوابعها من السيف والرمح والالوية وسائر الآلات ويزاد فيهِ اربعون بوقاً عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ومن الطبول العظام عشرة . فاذا كان يوم الركوب حضر الوزير من دار الوزارة راكباً على هيئة عظيمة ويركب حينئذٍ ارباب القصر الذي يخرج منهُ الخليفة ويسير معهُ الاستاذون المحنكون مشاةً حولهُ وعليهِ ثوب يسمى « البدنة » حرير مرقوم بذهب لا يلبسهُ

غير ذلك اليوم والمظلة بنسبتهِ · ويسير الموكب على هـذا الترتيب حتى يأتي الى الجامع الطولوني ويكون قاضي القضاة واعيان الشهود جلوساً ببابهِ فيقف لهم الخليفة وقفة لطيفة ويسلم على القاضي فيتقدم ويقبل رجلهُ التي من جانبهِ وباقي الشهود امامهُ ويقفون اربعة اذرع عنهُ فيسلم عليهم ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتي ساحل الخليج · فاذا قرب الخليفة الخيمة يتقدمهُ الوزير على العادة المتبعة فيترجل الخليفة على باب الخيمة ويجلس على المرتبة الموضوعة لهُ فوق السرير ويحيط بهِ الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون ويوضع للوزير كرسيهُ كالعادة فيجلس ورجلاهُ يطأ آن الارض · ويقف ارباب الرتب صفين من سرير الملك الى باب الخيمة · وقرّاء الحضرة يقرأون ساعة فاذا فرغوا استاذن صاحب الباب على دخول الشعراء للخدمة فيؤْذن لهم · فيتقدمون واحداً بعد واحد على مقدار منازلهم المقررة لهم وينشد كل منهم ما وقع لهُ نظمهُ فاذا يفرغ يتقدم غيرهُ والحاضرون يتتبعون على كل شاعر ما يقولهُ ويحسنون لهُ ما حسن · فاذا انقضى هذا المجلس قام الخليفة عن السرير فركب الى المنظرة المعروفة بالسكرة والوزير بين يديهِ وقد فرشت بالفرش المعدة لها · فيجلس الخليفة بمكان معد لهُ منها ويجلس الوزير بمكان منها بمفردهِ · ويجلس القاضي والشهود في الخيمة البيضاء الدبيقي فيطل منها استاذ من الاستاذين المحنكين فيشير بفتح السد فيفتح بالمعاول وتضرب الطبول والابواق من البرين · وفي اثناء ذلك يصل السماط من القصر صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة شدة من الطيافير الواسعة في القواوير الحرير وفوقها الطراحات النفيسة وريح المسك تفوح منها فيوضع في خيمة وسيمة معدة لذلك · ويحملون منها للوزير واولادهِ ثم لقاضي القضاه والشهود ثم الى الامراء على قدر مراتبهم · وعلى الموائد من انواع التماثيل المقدمة الذكر خلا القاضي والشهود فانهُ لا يكون على موائدهم تماثيل · فاذا اعتد ذلك في الخليج دخلت فيهِ العشاريات (الذهبيات) اللطاف وورائها الكبار وهي سبعة الذهبي المختص بالخليفة والفضي والاحمر والاصفر والاخضر واللازوردي والصقلي وهو عشاري انشأهُ تجار من صقلية وعلى العشاريات الستور الدبيقي الملون وفي اعناقها الاهلة وقلائد العنبر والخرز الازرق ويسير حتى يرسو على بر المنظرة التي فيها الخليفة · فاذا صلى الخليفة العصر ركب لابساً غير الثياب التي كانت عليهِ في اول النهار ويسير في البر الغربي من الخليج شاقاً البساتين حتى يصل الى باب القنطرة ويسير الى القصر»

ديمتري نقولا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الخضر والبقول والحبوب

في زمن الغلاء

غلت مواد الطعام التي يؤتى اكثرها من الخارج والتي مقدارها قليل محدود لا يزيد على مقطوعية البلاد فرطل اللحم يباع في اسواق العاصمة يوم كتابة هذه السطور بستة غروش ونصف اي بلغ ثمن اقة اللحم نحو ثمانية عشر غرشاً. واقة الدقيق تباع الآن باربعة غروش الى خمسة والزيت والسمن والسيرج والزيتون كل ذلك غالي الثمن جداً حتى الفول محصول البلاد غلا ايضاً فبيع الاردب منهُ بثلاثة جنيهات . ولا نرى شيئاً رخيصاً مما يؤكل الآ الخضر والبقول التي يمكن الاكثار منها في هذا القطر الى اي حد يراد فقد كان رطل الطماطم يباع منذ بضعة ايام بربع غرش . والخضر قليلة الغذاء ولكنها اذا اكلت مع الخبز فقد تغني عن اللحم والبيض والزيت والسمن والسكر وما اشبه . ألا ترى ان جسم الانسان مؤلف من لحم ودهن وعظم وعصب مثل جسم الجمل والثور والفرس والخروف فما يقوت هذه الحيوانات ويغذيها يجب ان يقوت الانسان ويغذيهُ اذا اكلهُ . نعم ان جهاز الهضم في جسمهِ يختلف كثيراً او قليلاً عن جهاز الهضم فيها وعاداتهِ تختلف عن عاداتها ولكن هذا لا يمنعهُ من ان يغتذي بالمواد التي تغتذي بها هي لاسيما وان جمهور الفلاحين يكتفي بخبز الذرة وقليل من البصل والفول والمش والكشك وما يأكلهُ من الخضر والبقول كالقثاء والقاوون والحلبة الخضراء والشكوريا

فيحسن ان يمعن النظر في مواد الطعام المختلفة التي يسهل الوصول اليها في هذا القطر لانها من حاصلاتهِ ليظهر ما في كل مئة رطل مما يؤكل منها من الغذاء . وقد اثبتنا الجدول التالي لذلك وهو منقول عن تحقيقات ديوان الزراعة باميركا . ورتبنا هذه المواد فيهِ حسب ما فيها من الغذاء

	ماء	بروتين	دهن	كربوهيدرات	رماد	وحدات الحرارة في الرطل
فاصوليا ناشفة	٩٫٥	٢٤٫٦	١٫٠	٥٧٫٥	٢٫٩	١٦١٢
عدس	٨٫٤	٢٥٫٧	١٫٠	٥٩٫٢	٥٫٧	١٥٨١
فول يابس	١٢٫٦	٢٢٫٥	١٫٨	٥٥٫٢	٣٫٥	١٥٦٤
فول اخضر	٥٨٫٩	٩٫٤	٠٫٦	٢٩٫١	٢٫٠	٧٢٣
بطاطا حلوة	٦٩٫٠	١٫٨	٠٫٧	٢٦٫١	١٫١	٥٥٨
ذرة خضراء	٧٥٫٤	٣٫١	١٫١	١٩٫٢	٠٫٧	٤٥٩
فاصوليا خضراء	٧٤٫٦	٧٫٠	٠٫٥	١٥٫٢	١٫٠	٤٥٤
بطاطس	٧٨٫٣	٢٫٢	٠٫١	١٨٫٠	١٫٠	٣٧٨
خرشوف	٧٩٫٥	٢٫٦	٠٫٢	١٦٫٠	١٫٠	٣٥٨
بصل اخضر	٨٧٫٦	١٫٦	٠٫٣	٩٫١	٫٦	٢٢٠
هليون مسلوق	٩١٦	٢٫١	٣٫٣	٢٫٢	٠٫٨	٢١٣
بنجر	٨٧٫٥	١٫٦	٠٫١	٨٫٨	١٫١	٢٠٩
كوسا	٨٨٫٢	١٫٤	٨٫٢	٨٫٢	٠٫٨	٢٠٦
جزر	٨٨٫٢	١٫١	٠٫٤	٨٫٢	١٫٠	٢٠٥
لفت	٨٩٫٦	١٫٣	٠٫٢	٦٫٨	٠٫٨	١٧٨
كراث	٩١٫٨	١٫٢	٠٫٥	٥٫٨	٠٫٧	١٤٧
كرنب	٩١٫٥	١٫٦	٠٫٣	٤٫٥	١٫٠	١٤٣
قنبيط	٩٢٫٣	١٫٨	٠٫٥	٣٫٧	٠٫٧	١٣٨
فجل	٩١٫٨	١٫٣	٠٫١	٥٫١	١٫٠	١٣٣
باذنجان	٩٢٫٩	١٫٢	٠٫٣	٤٫٣	٠٫٥	١٢٧
يقطين	٩٣٫١	١٫٠	٠٫١	٤٫٠	٠٫٦	١١٧
طماطم	٩٤٫٣	٠٫٩	٠٫٤	٣٫٣	٠٫٥	١٠٤
خيار	٩٥٫٤	٠٫٨	٠٫٢	٢٫٤	٠٫٥	٧٩
خس	٩٤٫٧	١٫٢	٠٫٣	٢٫٢	٠٫٩	٨٧

فيرى من هذا الجدول ان الفاصوليا الناشفة وكذلك اللوبياء الناشفة والبازلاَّ الناشفة اكثر الحبوب غذاءً و يقرب منها العدس والفول والحمص فان الماء قليل في هذه الحبوب وفيها كثير من البروتين الذي يتكون منهُ اللحم في جسم الحيوان وكثير من الكربوهيدرات كالنشا والسكر التي تحصل منها القوة والحرارة . ولذا كانت وحدات الحرارة في الرطل منها اكثر كثيراً من وحدات الحرارة في الرطل من اللحم الاَّ اذا كان دهناً صرفاً او نخاعاً او بعض القطع الخصوصية واكثر من الغذاء في السمك على انواعهِ

ثم ان الاطعمة لا يتناول الجسم كل مواد الغذاء منها الاَّ اذا هضمها . وفي الاطعمة عناصر اخرى قليلة المقدار لكنها ضرورية للتغذية وهي المسماة بالڤيتامين او المواد الحيوية ولكن هذه المواد موجودة ايضاً في حبوب القطاني وفي اكثر الخضر بدليل اغتذاء الناس والحيوانات بها اذا اقتصرت عليها . فالمجال واسع لدى الفقراء ولدى الاغنياء ايضاً الذين يريدون ان يقتصدوا في نفقات طعامهم وشرابهم باختيار الاطعمة الكثيرة الغذاء الرخيصة الثمن اذا قوبلت بغيرها مما الغذاء فيهِ مساوٍ للغذاء فيها

ومما يحسن سوقهُ هنا ان الزبدة الصناعية تقوم مقام الزبدة الطبيعية ولو كانت أرخص منها كثيراً . والزيت يقوم مقام السمن والزبدة . واللحم المدهن اكثر غذاءً من غير المدهن وكذلك السمك المدهن اكثر غذاءً من غير المدهن . ولا يزال ثمن السكر وعسل السكر رخيصاً اذا قوبل بثمن غيرهِ وكذلك السمك واللبن والبيض لا تزال رخيصة اذا قوبلت اثمانها بثمن اللحم والجبن الاوربي . وكل مواد الطعام البلدية لا تزال ارخص من مواد الطعام التي يؤتى بها من الخارج

هذا ناهيك عن ان الاكثرين يأكلون اكثر مما تحتاج اليهِ اجسامهم ولا يبعد ان ربع الطعام الذي يؤكل الآن فضلة زائدة لا داعي لها ومنها ضرر كبير فتتعب اعضاء الهضم وتقلل راحة النوم على غير جدوى . وقلما رأينا احداً جرَّب تقليل طعامهِ وابطل اكل الفاكهة والحلويات بعد الطعام الاَّ سمعناهُ يقول ان هضمهُ تحسَّن وصحتهُ جادت على اثر ذلك . فعسى ان يكون ما تقدم مفيداً في زمن الغلاء هذا

الدلك

الدلك و يسمَّى ايضاً التدليك والتسميد هو ما يسميهِ الفرنج مسَّاج Massage وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة مسّ العربية في رأي لتريه العالم الفرنسوي الشهير وصاحب القاموس

الكبير. والظاهر ان معظم الكتّاب الانكليز يرون رأيهُ هذا. ففي القاموس الانسكلوبيذي ان الكلمة مشتقة من ياسو اليونانية اي العجن او مسّ العربية. وقرأنا في قاموس طبي قولهُ « يظن ان اصل الكلمة عربيّ » . وقالت السيكلو بيذيا البريطانية « ان الكلمة مسّاج مقتبسة من العربية كما يذهب اليهِ لتريه »

ولسنا نعلم كاتباً عربيًّا استعمل المسّ لما يسمّونهُ المساج ولكنهم استعملوا الدلك لهُ او لما يشبههُ . فقد جاء في القاموس دلك الشيء بيدهِ مرسهُ ودعكهُ . ودلكت المرأة وجهها بالطيب ضمخته وطلته ومنهُ قول الراجز

ابيت اسرى وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

وليس ببعيد ان تكون كلمة مساج مأخوذة من معس لامسّ فقد جاء في التاج « معس الاديم (اي الجلد) اذا دلكهُ في الدباغ دلكاً شديداً حتى لينهُ . واصل المعس المعك والدلك للجلد بعد ادخالهِ في الدباغ »

وترجح السيكلو بيذيا ان الفرنسويين القدماء اخذوا الدلك عن اطباء العرب . على ان الدلك كان معروفاً عند اليونانيين القدماء والشعوب القديمة غيرهم . فقد ذكر هوميروس في الاوديسي ان النساء كنّ يعركن الابطال و يجففنهم عند رجوعهم من المعارك . وعرف الدلك في الهند من قديم الزمان حيث سمّي تشامبوا ومنهُ كلمة شامبوونغ Shampooing التي نراها في دكاكين بعض الحلاّقين عندنا والمراد بها غسل الرأس وتعطيرهُ . وقد جاء في تاريخ الاسكندر عند غزوتهِ للهند سنة ٣٢٧ قبل المسيح انهُ استخدم بعض الدالكين الهنود والحقهم ببطانتهِ وكذلك استعمل الدلك الصينيون القدماء

وقد وصف ابقراط الدلك لمعالجة تيبّس المفاصل وتابعهُ على ذلك غيرهُ من الاطباء اليونانيين . ووصف اور يباسيوس فرك الاجسام باليدين على مثال ينطبق كل الانطباق على الدلك المعروف عندنا . على ان الاطباء اليونانيين اهملوا الدلك بعدما خرج عن دائرة الطب والمعالجة القانونية وتحول عن مجراهُ الاول الى مجرى آخر أسيء فيهِ استعمالهُ واقترن بالفجور والخلاعة . وفي عهد الروم والرومان والمصريين والترك ادخل الدلك الى الحمامات وبات جزءًا غير منفصل عنها ولا يزال كذلك الى الآن . واستعملهُ المتوحشون في كل صقع لمعالجة المرضى ولعلهُ نشأ بينهم على استقلالهم من غريزة يشاركهم فيها الحيوان الاعجم وهي فرك موضع الألم او ضغطهُ او لحسهُ فهو لذلك اقدم طرق العلاج كلها

وصف الرحالة الشهير الكبتن كوك من مكتشفي القرن الثامن عشر معالجة اهل جزر الباسيفيك المصابين بالشياتكا اي عرق النسا فقال :

« أصيب رئيس مركبنا بالروماتزم في ساقهِ من اعلى الورك الى اسفل القدم . فما كاد المركب يرسو بنا حتى صعدت اليهِ ام الريس واخواتهُ الثلاث وثماني نساء غيرهنَّ قصد معالجتهِ فاضجع على فراش فاحطن بهِ من كل جانب وجعلن يعصرنهُ بين ايديهنَّ من راسهِ الى اخمصهِ وخصوصاً في ساقهِ . و بالغن في ذلك حتى شعر بان عظامهُ تطقطق وبقين كذلك نحو ربع ساعة . ولما فرغن رأى نفسهُ مستريحاً فلم يمانع في دلكهن اياهُ مرة اخرى قبل نومهِ فنام نوم العافية . وفي الصباح اعدن الكرة عليهِ للمرة الثالثة ثم دلكنهُ مرة اخرى مساء فزال الالم عنهُ تماماً ولم يعاودهُ »

والنساء في بلاد الشام يعالجن تطبُّل المعدة بالدلك ويسمينهُ تمسيداً و يعالجن تيبُّس العضلات بالدلك ايضاً واذا اصيب احد بتيبّس في ظهرهِ نام على بطنهِ ووقف واحد على ظهرهِ وجعل يدوسهُ بشدة

اما نتيجة الدلك طبياً فهي زيادة دورة الدم في العضو المدلوك ونشر الرطوبات الماكثة وتحسين التغذية الموضعية والعامة واصلاح صفة الدم . ومما يلاحظ ان الدلك الاصولي يجب ان يكون من الاطراف الى القلب فيساق الدم الفاسد منها اليهِ والى الرئتين حيث يجدد فيهما و ينقى من الفضول ثم يدفعهُ القلب الى الاطراف نقياً خالياً من الشوائب

الملابس

تصنع الملابس عادة من القطن او الكتان او الصوف اما من كلٍّ منها وحدهُ او مخلوطاً بعضها ببعض . ولكل من هذه المواد خواصٌ تميزهُ عن الآخر . فالقطن لا يمتصُّ الماء ولا يتقلّص و ينكمش بالغسل وهو ابطأ ايصالاً للحرارة من الكتان واسرع ايصالاً لها من الصوف بكثير ورخيص وطويل العمر

اما الكتان فمثل القطن في عدم امتصاصهِ الماء وعدم انكماشهِ بعد الغسل ولكنهُ انعم ملمساً منهُ

واما الصوف فكثير الامتصاص للماء يتخلّل الماء مسامّهُ و يبقى فيها الى حين وهذه المزية تجعلهُ لازماً لا يكاد يستغني عنهُ للبس وقت كثرة افراز العرق من الجسم سواء كانَ

ذلك في البلاد الحارة او في الاعمال العنيفة التي يكثر افراز العرق فيها · ولما كان بطيء الايصال للحرارة فانهُ يبقي لابسهُ دافئاً · والمراد ببطء الايصال وسرعتهِ ان من المواد ما لا تمرُّ فيهِ الحرارة بسهولة ومنها ما تمرُّ فيهِ الحرارة بسهولة فالاول اصطلح على تسميتهِ بالموصل الرديء والثاني بالموصل الجيد · ومن الاول الصوف ومن الثاني القطن والكتان · والحرير بين بين · فاذا قلنا ان الصوف يدفئُ لابسهُ فليس المعنى انهُ يضيف حرارة الى حرارة جسمهِ لان حرارة الجسم تبقى على حال واحدة في الصحة ولا ترتفع الاَّ في المرض · وانما المعنى انهُ لما كان قليل الايصال للحرارة فانهُ يمنع حرارة الجسم من الاشعاع وحرارة الجوّ من الوصول الى الجسم اذا كانت اعلى منهُ و بذلك تحفظ حرارة الجسم على حال واحد · بخلاف القطن والكتان فانهما لا يمنعان حرارة الجسم من الاشعاع ولا حرارة الجوّ من التأثير فيهِ لانها تخرقهما ولذلك كان لابس الصوف اقل تعرُّضاً لتقلبات الجوّ وما يتبعها من الانحرافات البدنية من لابس القطن والكتان

اما الحرير فلما كان لا يلبس على الجسم مباشرة الاَّ قليلاً اكتفينا بالاشارة اليهِ ولكن يقال اجمالاً انهُ اسرع ايصالاً من الصوف وابطأ من القطن والكتان

اللبن

في انكلترا جمعية ترجمة اسمها « جمعية اللبن النظيف الوطنية » اصدرت حديثاً تقريراً بنتيجة فحصها للبن الذي يقدم الى الاطفال في بعض الاماكن التي يربون فيها · واللبن الذي فحصتهُ الجمعية مأخوذ من ٢٧ بائعاً مختلفين فوجد ان ستة من النماذج يحتوي كلٌّ منها على نصف مليون مكروب في السنتمتر المكعب لا اكثر من ذلك وان واحداً يحتوي على اكثر من مئة مليون وان اثنين فيهما مكروب السل ولم يذكر صريحاً نوع هذه المكروبات غير المكروب الاخير وهو مكروب السل · والغالب ان تكون المكروبات التي تخالط اللبن من الانواع الضارة ولاسيما اذا غسلت آنية اللبن بماء غير نقي ولم تنظف الحلابات ايديهن ولذلك لا يجوز ارضاع الاطفال من لبن البقر الاَّ بعد اغلائهِ او تعقيمهِ تعقيماً يميت كل المكروبات الضارة منهُ · والغالب ان ما يصيب الاطفال من الاسهال والدوسنطاريا مسبب من ارضاعهم لبن البقر قبل تعقيمهِ او من تركهِ مكشوفاً للهواء بعد تعقيمهِ او من عدم تنظيف الرضاعة ممَّا يعلق بها و يبقى فيها من آثار اللبن من يوم الى آخر فتقع عليهِ المكروبات الضارة وتنمو فيهِ



دود القز

مدة حياتهِ وتأثير الحر والبرد فيهِ

ان مدة حياة دود القز مرتبطة بدرجة حرارة جوّ البلد الذي يربّى فيهِ فاذا كان حاراً قصرت مدة حياة الدود وان كان بارداً طالت وهي على وجه عام في البلدان المعتدلة المناخ تختلف من ٣٢ يوماً الى ٣٦ تبتديء من ساعة ولادتهِ الى حين نسجهِ غلافهُ الحريري وانما يشترط ان تكون حرارة الجو بين الدرجتين العشرين والخامسة والعشرين فوق الصفر بميزان سنتغراد · غير انهُ قد ثبت بالاختبارات العلمية التي اجريت الى الآن ان جسم الدود يتحمل درجات حرارة الجوّ على اختلافها ولكن الى حدٍّ محدود فتراهُ يعيش بين الدرجتين الثامنة والثانية عشرة فوق الصفر وتلك حال الجو في اوان تربيتهِ ببعض انحاء اوربا وجبل لبنان ولكن حياتهُ تطول فيها حينئذٍ من ٤٠ يوماً الى ٥٠ يوماً على الاكثر وتلجيء المربين الى استعمال الحرارة الصناعية لتدفئة الاماكن التي يربّونهُ فيها فترتفع الحرارة في داخلها الى الحد المطلوب ونقصّر مدة حياة الدود دون ان ينشأ عن ذلك اقل ضرر · وقد يعيش ايضاً بين الدرجتين الثلاثين والاربعين تبعاً لاحوال الجو في بعض البلاد الحارة من قارتي آسيا وافريقية فتكون مدة حياتهِ حتى يشرنق من ٢٤ الى ٢٨ يوماً فقط اي اقل من المقرر لمتوسطها بعشرة ايام تقريباً وفي هذه الحالة يوفر المربّي جانباً عظيماً من المصاريف كنفقات توليد الحرارة الصناعية واجرة العمال وما شاكل ذلك من النفقات التي تدخل في هذا الباب · اضف الى ذلك الفائدة الكبرى الناجمة عن اجتناب اخطار الامراض والاوبئة والآفات التي يتعرض لها الدود اثناء هذه المدة فضلاً عن توفير التعب كما هو معلوم · فلا عبرة والحالة هذه بما يزعمهُ بعضهم من ان حرارة الجو مضّرة بدود القز لانها على عكس ذلك لازمة لهُ لا صالحة فقط كما تبيّن ولكن بشرط ان يتبع المربي الاحكام المقررة للتربية فلا يحيد عنها

وبما ان تربية دود القز قد أُهملت في القطر المصري لاسباب ذكرناها في كتابتنا بالتفصيل بعد انتشارها فيهِ حيناً من الزمن ايام ساكن الجنان محمد علي باشا جد مولانا

صاحب العظمة السلطان الكامل ادام الله ملكه ادّعى قوم ان اهالها كان لعدم نجاحها بسبب حرارة الجو في هذا القطر وبلوغ هذه الحرارة ايام تربيتهِ الى درجة لا يتحمّلها الدود فتناقلت حينئذٍ الالسنة هذا الزعم الذي لا يزال راسخاً في النفوس حتى الآن وعلّلهُ الناس بعد ذلك بما ينطبق على ما تخيّلهُ كلٌّ منهم لا على اساليب التمحيص والتحقيق والنقد الدقيق · ولبيان فساد زعمهم هذا نكتفي بذكر تجربتين قام بهما اثنان من امهر العارفين بفن تربية دود القز في القرن التاسع عشر وهما الراهب دي سوفاج[1] الفرنسوي والعلامة كانتوني[2] الايطالي · فلقد ربّى الاول دود الحرير بقصد التجربة في ابنية تختلف حرارتها الداخلية من ٣٠ الى ٣٧ درجة فوق الصفر بميزان سنتغراد فنجحت تربيتهُ نجاحاً تامًّا وعاش الدود ٢٤ يوماً فقط ثم نسج فيالجهُ الحريرية حسب المراد · اما الثاني فقد تجاوز هذا الحد كثيراً لانهُ ربّى الدود في مكان ابلغ حرارتهُ الداخلية الى ٤٧ درجة بميزان سنتغراد فلم تلحق بهِ هذه الحرارة اقل اذى ولا ظهرت عليهِ دلائل الآم ما من حين ولادتهِ الى يوم نسجهِ غلافهُ الحريري · فيستنتج اذاً ان زيادة الحرارة لا تضرّ بالدود مطلقاً كما يتوهم بعضهم لكنها على العكس اذا استوفيت الشروط الصحية في الاماكن تزيد في نشاط اعضائهِ وتقصر مدة بقائهِ دوداً فضلاً عن ان الحرير الذي يخرجهُ يكون حينئذٍ اجود جنساً واشد لمعاناً مما لو طالت ولكن ينبغي في هذه الحالة اطعام الدود مراراً متكررة في اليوم كما سيجيء الكلام عليهِ في النبذة التالية · وليس في هذا التكرار ما يعتبر زيادة في النفقات لان قدْر ورق التوت الذي يأكلهُ الدود في اطول مدة يعيشها يساوي عين القدر الذي يتغذى بهِ في اقصر حياة لهُ

ومما يجدر بنا الاشارة اليهِ قبل ختام هذه النبذة والبدء بالكلام على تربية دود القز اجمالاً وكيفية القيام بها في هذا القطر خصوصاً ان لهذه التربية عدا الاعتبارات التي يجب مراعاتها في بعض الاحوال قواعد واحكاماً وضعها لها اشهر اساتذة هذا الفن بعد درسهم طبيعة دود الحرير سنين عديدة وقيامهم بالتجارب العلمية الكثيرة المختلفة التي لم تبق مجالاً للريب والتي لا بد لكل مربٍّ لدود القز او راغبٍ في هذا الفن ان يتبعها رجاء ان يتلافى العواقب الوخيمة ويتوصل الى ضالتهِ المنشودة · واهم هذه الاحكام تنحصر في الاربعة الامور التالية نبسطها بالايجاز فنقول :

(١) Abbé de Sauvages (٢) Cantoni

اولاً يجب اعداد عدتنا ووضع خططنا لئلا تدهمنا المفاجئات في اثناء عملنا فيضيع تعبنا عبثاً ونبوء بالفشل والخسران

ثانياً انتقاء جنس البزر الخالي من الامراض والعاهات ويكون ذلك اما بقيامنا بالتبذير الافرادي وفحص البزر والفراش على طريقة العلامة باستور[1] كما هو مبيَّن في موَّلفنا في موضوع تربية دود الحرير واما بالاعتماد على بزر مفحوص مجلوب من البلاد الاوربية من عند اشهر المبزّرين المقررين لدى حكوماتها والحائزين لثقة جمهور المربين للدود

ثالثاً اعداد المعدات اللازمة لعملنا وتطهيرها في الاماكن الصالحة التربية فيها واخذ الاحتياطات الواقية للدود من اعدى اعدائهِ اي المكروبات والحشرات والاستعانة على الدوام بالثرمومتر والايجرومتر[2] لمعرفة درجات الحرارة والرطوبة في داخل الاماكن المشار اليها

رابعاً تقدير كمية ورق التوت اللازمة لتغذية الدود المراد تربيتهِ واعداد هذا الورق تدريجيًّا في المواعيد المعينة لذلك والاعتناء بهذا الورق كل الاعتناء لان عليهِ معظم التعويل في تغذية الدود و بالتالي في نجاح موسم الحرير

ولا نتولى البحث هنا في جميع الاحتياطات التي يجب اتخاذها لما يستوجبهُ ذلك من الشرح الكثير ولكننا نقول بالاختصار ان الاحتياطات التي مر ذكرها وان تكن اهمّ الامور التي يجب مراعاتها الاَّ انها ليست في الحقيقة الاَّ جزءًا مما ينبغي اجراؤُهُ من الاحتياط ورمزاً الى كل ما يجب الانتباه اليهِ

وسيتلو هذه النبذة نبذة رابعة في تربية دود الحرير

الفونس خلاط
اختصاصي بفن تربية دود الحرير

[المقتطف] اطلعنا على الاصل الفرنسوي الذي نقل عنهُ حضرة كاتب هذه المقالة ما نقلهُ عن تأثير الحرارة في تربية دود الحرير فاذا هو كما نقل . ولم نكن نعلم قبلُ ان دود الحرير يعيش ويجود في البلاد الحارَّة ولو بلغت درجة الحرارة بين الثلاثين والاربعين . وكل ما كتبهُ حضرتهُ في هذا الموضوع الى الآن غاية في التدقيق وصرنا نرجح ان حرارة القطر المصري لا تمنع تربية دود الحرير فيهِ

---

(1) Pasteur (2) Thermomètre, Hygromètre

القطن المصري واسعارهُ ومستقبلهُ

نشرت جريدة الشرق الادنى مقالة لي ضمنتها ارقاماً تتبين منها اسعار القطن المصري والقطن الاميركي في الاعوام الثلاثة السابقة · وظهر من هذه الارقام ان القطن المصري ظل مدة وثمنهُ قليل الارتفاع بالنسبة الى القطن الاميركي ثم تغيرت الحال بعد ذلك تغيراً عظيماً فنشرت الآن هذه الارقام معما يخص المحصول الاخير اتماماً للفائدة

اسعار القطن الاميركي والمصري في آخر يوم جمعة من كل شهر من سنة ١٩١٣ — ١٩١٧

	١٩١٣ — ١٩١٤			١٩١٤ — ١٩١٥			١٩١٥ — ١٩١٦			١٩١٦ — ١٩١٧		
	اميركي	مصري	زيادة المصري عن الاميركي	اميركي	مصري	زيادة المصري عن الاميركي	اميركي	مصري	زيادة المصري عن الاميركي	اميركي	مصري	زيادة المصري عن الاميركي
			في المئة			في المئة			في المئة			في المئة
اغسطس	٧,٠٠	٩,٧٦	٤١	٦,٢٠	٨,١٥	٣١	٥,٦٣	٧,٧٥	٣٨	٩,٤٢	١٢,١٠	٢٨
سبتمبر	٧,٨٥	١٠,٣٠	٣١	٥,٥٥	٧,٨٥	٤٢	٦,٥٩	٩,١٠	٣٨	٩,٤٧	١٤,١٠	٤٩
اكتوبر	٧,٦٣	١٠,٢٥	٣٤	٤,٨٠	٧,٠٠	٤٦	٧,٠٢	٩,٥٠	٣٦	١١,١٤	١٧,٠٠	٥٢
نوفمبر	٧,٢٢	١٠,١٠	٤٠	٤,٤٦	٧,٠٥	٥٨	٧,٢٨	٩,٧٠	٣٣	١١,٩٠	٢١,٨٥	٨٠
دسمبر	٧,٠٦	٩,٩٠	٤١	٤,٦٢	٦,٣٠	٣٦	٧,٧٥	١٠,٠٥	٣٠	١٠,٦٣	١٩,٥٥	٨٥
يناير	٧,٠٩	٩,٥٥	٣٥	٥,٠٢	٦,٥٠	٣٠	٧,٩٣	١١,٣٥	٤٣	١٠,٩١	٢٠,٩٥	٩٢
فبراير	٧,٠٨	٩,١٥	٢٩	٤,٩٧	٦,٨٠	٣٦	٧,٧٢	١١,٧٥	٥٢	١١,٣٣	٢٢,٦٥	١٠٠
مارس	٧,١١	٨,٨٥	٢٤	٥,٥٢	٧,٨٥	٤٢	٧,٧٧	١٠,٧٤	٣٨	١٢,٧٧	٢٤,٢٥	٩٠
ابريل	٧,٣٦	٩,٠٥	٢٣	٨,٦٦	٨,٢٠	٤٥	٧,٩٤	١٠,٧٧	٣٦	١٢,٨٨	٢٧,٠٠	١١٠
مايو	٧,٧٥	٩,٣٥	٢٠	٥,٢٤	٧,٦٠	٤٥	٨,٤٧	١١,٣٩	٣٥	١٣,٩٠	٢٦,٥٠	٩٠
يونيو	٧,٥٨	٩,١٠	٢٠	٥,٢٠	٧,٤٠	٤٢	٨,٢١	١١,٦٥	٤٢	١٣ يونيو ١٧,٣٥	٢٧,٨٥	٦٠
يوليو	٦,٨٦	٨,٧٠	٢٧	٥,٣٠	٧,٣٠	٣٨	٨,١٥	١١,٩٠	٤٦			
المتوسط	٧,٢٧	٩,٤٥	٣٠	٥,٢٢	٧,٣٤	٤٠	٧,٥١	١٠,٤٢	٣٩			

(والسعر المذكور هنا هو سعر الليبرة في بلاد الانكليز بالبني الانكليزي)

ويرى من هذا الجدول ان الحالة اخذت تتغير تغيراً عظيماً من شهر نوفمبر الذي نشرت فيهِ مقالتي المشار اليها آنفاً . ففي آخر نوفمبر زاد فرق سعر القطن المصري على سعر الاميركي ٨٥ في المئة بعد ما كان هذا الفرق ٥٢ في المئة . ثم استمرت الزيادة في نسبة صاعدة فبلغت ١١٠ في المئة . وهذا اعظم ما بلغهُ الفرق في السعر بين القطنين فان اعظم فرق سابق بينهما كان ١٠٢ في المئة وقد وقع في شهر ابريل سنة ١٩١٠ وكان سببهُ حينئذٍ ان محصول اميركا في عام ١٩٠٩ — ١٩١٠ كان قليلاً ولكن محصول القطن المصري كان اقل وانكشف جانب كبير من المضاربين في بورصة الاسكندرية وهم بائعون فلم يتيسر لهم تسليم ما باعوهُ بسبب قلة المحصول حينئذٍ [1]

ان ما نراهُ في هذا العام بمقابلة احوال القطنين عظيم وعندي ان اسبابهُ واضحة لا تحتاج الى بحث كثير فان الذي يتتبع سير الاسعار يرى ان الزيادة في سعر القطن المصري على سعر الاميركي اخذت تهبط هبوطاً واضحاً ولاسيما في الاسبوع الماضي (الاسبوع الثالث من يونيو) فقد استغرق القطن الاميركي الاهتمام وارتفع ارتفاعاً كبيراً و بلغ الاميركي مدلنج يوم ١٣ يونيو ١٧٫٣٥ بنس وهو اعلى سعر بلغهُ ولم يزد سعر المصري عن ٢٧٫٨٥ بنس . ومع ان سعر المصري هذا لم يسبق لهُ مثيل منذ سنة ١٨٦٠ فانهُ لا يزيد على سعر القطن الاميركي المتقدم سوى ٦٠ في المئة . ولكن لا يحسبن احد ان الفرق بين سعر القطنين سيظل قليلاً الى هذا الحد لان حسباناً كهذا يكون معرضاً للخطإ العظيم

وقد ظهرت الآن جميع المعلومات الخاصة بمحصول العام الماضي للقطن المصري فصار في حكم الطاقة إمعان النظر في النتائج ففي ٩ يونيو ١٩١٦ نشرت في هذه الجريدة بياناً لحالة محصول القطن المصري في ٢٦ مايو من كل عام من الاعوام التالية لعام ١٩٠٧ — ١٩٠٨ وفعلت ذلك لتقدير النتيجة النهائية لمحصول ١٩١٥ ولما كانت النتيجة عظيمة الاهمية لدلالتها على ما يحتمل وقوعهُ في العام التالي رأيت ان اعيد هنا نشر هذا الجدول الى عامنا هذا :

جدول ببيان مساحة المزروع في مصر والمحصول ومتوسط محصول الفدان من سنة ١٩٠٧ — سنة ١٩١٧

(١) [المقتطف] بلغت النسبة بين سعر القطن المصري والاميركي في بورصة لفربول يوم نشر هذه المقالة من المقتطف اي ٢٤ يوليو ٢٨٫٧٥ لاكتوبر و٢٩٫٠٠ لنوفمبر و٣١٫٥٠ للبضاعة الحاضرة من القطن المصري . وتسليم اكتوبر ونوفمبر للاميركي ١٦٫٦٠ وتسليم يناير ١٥٫٩٥

العام	المساحة بالوف الافدنة	المحصول بالوف القناطير	متوسط محصول الفدان بالقنطار	الواصل الى ٢٦ مايو بالقنطار	مجموع الصادر بالقنطار
١٩٠٧—٨	١٫٦٠٣	٧٫٣٣٥	٤٫٥١	٧٠٣٨٠٠٠	٧ ١٧٢ ٠٠٠
١٩٠٨—٩	١٫٦٤٠	٦٫٧٥١	٤٫١٢	٦٦٣٩٠٠٠	٦ ٦٧٨ ٠٠٠
١٩٠٩—١٠	١٫٥٩٧	٥٫٠٠١	٣٫١٣	٤٨٨٩٠٠٠	٤ ٩١٢ ٠٠٠
١٩١٠—١١	١٫٦٤٣	٧٫٥٧٤	٤٫٥٧	٧٥١٨٠٠٠	٧ ٥٧٩ ٠٠٠
١٩١١—١٢	١٫٧١١	٧٫٤٢٤	٤٫٣٣	٧٢٢٣٠٠٠	٧ ٢٧٣ ٠٠٠
١٩١٢—١٣	١٫٧٢٢	٧٫٥٣٣	٤٫٣٧	٧٤٣٨٠٠٠	٧ ٤٧٤ ٠٠٠
١٩١٣—١٤	١٫٧٢٣	٧٫٦٨٤	٤٫٤٦	٧٥٦٧٠٠٠	٧ ٦١٢ ٠٠٠
١٩١٤—١٥	١٫٧٥٥	٦٫٤٦٤	٣٫٦٩	٦٣٢٢٠٠٠	٦ ٣٦٧ ٠٠٠
١٩١٥—١٦	١٫١٨٦	٤٫٧٢٧	٣٫٩٨	٤٥٣٨٠٠٠	٤ ٦١٦ ٠٠٠
١٩١٦—١٧	١٫٦٥٦	٥٫٢٠٠ *	٣٫١٤ *	٤٩٧٤ ٠٠٠	٥ ١٠٠٠٠٠ *

* بالتقدير .

وقد بلغ الواصل الى (الاسكندرية ؟) في ٢٥ مايو من هذه السنة ٤٢٩ ٤٩٧٤ قنطاراً وهذا يبعث على الترجيح بان المحصول لا يتجاوز ٢٠٠٠٠٠ ٥ قنطار فاذا قسمنا ذلك على عدد الافدنة المزروعة قطناً بحسب الاحصاء الرسمي وهو ٥١٢ ٦٥٥ ١ فدانا كان متوسط محصول الفدان ٣٫١٤ قنطار وهذا يكاد يساوي اوطأ متوسط عرف لمصر اي متوسط محصول سنة ١٩٠٩ ويزيد عليه بنطاً واحداً فقط

بقي علي ان اطبق هذه النتائج المتقدمة على المحصول القادم . ولم اتلقَّ الى الآن معلومات صحيحة عن مساحة الاراضي المزروعة قطناً في هذا العام ولا اصدق التقدير الذي اسفر في العام الماضي عن خلل عظيم فبعد ما قدرت مساحة الاطيان المزروعة قطناً بمليوني فدان تبين انها لم تتجاوز ٠٠٠ ٦٥٦ ١ فدان

ولكن هب ان مساحة الاراضي المزروعة قطناً هذا العام لا تقل عن مساحة ما زرع في العام الماضي وهذا اعظم ما يمكن ان نرجوهُ قياساً على ما رأيناهُ في اميركا فما هو المحصول الذي ينتظر من مصر . اني اعتقد ان متوسط محصول الفدان في هذا العام لا يزيد على متوسط محصوله في الاعوام الثلاثة الماضية فان دودة اللوز اخذت تفتك بالزراعة وهذا

المتوسط بلغ ٦٫٣ القنطار للفدان فيكون المحصول المقبل نحو ٦ ملايين قنطار على الاكثر طود — نقلاً عن جريدة الشرق الادنى

(المقتطف — كتب الاستاذ طود هذه المقالة قبل ان تبلغهُ الاخبار الاخيرة عن فتك الدودة القرنفلية فهل يتعين علينا أن نعد هذا التقدير مبلغ محصول القطن المصري في المستقبل فاذا كان ذلك كذلك فليتوقع أصحاب مصانع نسج القطن الرفيع في لنكشير المتاعب في المستقبل

ثم هل يجوز لنا ان نتقاعد ونستكين حتى تحل المشاكل والمتاعب اننا اذا فعلنا ذلك جرَّت هذه الخطة علينا مخاطر لان زراعة القطن تستغرق ستة اشهر قبل جنيها وهو لا يزرع سوى مرة واحدة في السنة فاذا نقص القطن عن المقدار المطلوب وجب ان ننتظر ١٨ شهراً قبل ان نتمكن من تلافي النقص

ثم ماذا تفعل اميركا لسد النقص الواقع في القطن المصري الذي تستورد منهُ الآن مقادير عظيمة . ان اميركا تستطيع ان تستعمل قطن السي ايلند ولكن هذا لا يروي غليل الغزالين والنساجين في لنكشير واميركا تستطيع ان توسع نطاق الزراعة في اريزونا وكليفورنيا حيث يستغلون الآن قطناً يضاهي القطن المصري في اوصافهِ وطبيعتهِ فاذا تم ذلك فان مصر قد تلقى مناظراً جديداً لها في زراعة انفردت بها حتى الآن وهي زراعة القطن الفاخر . فعليها ان تفيق من سباتها اذا شاءَت ان تحفظ مقامها في العالم وتبقى في مقدمة البلدان التي تستغل اجود انواع القطن

الجنسنج

اسمهُ العلمي Panax ginseng وهو نبات اشتهر عند الصينيين شهرة فائقة اذ ينسبون اليهِ خواص طبية عظيمة الشأن فانهم يزعمون انهُ النبات الوحيد الذي في جذرهِ جوهر يصلح ان يكون دواءً لكل داءٍ وترياقاً لكل سم ومقوياً لكل ضعف . بل هم يذهبون الى اكثر من ذلك فيقولون انهُ يعيد الحياة الى الشيوخ والمرضى وانهُ اذا كان هناك دواءٌ يرد عادية الموت كان ولا شك جذر الجنسنج . ولفظة الجنسنج وما عداها من النعوت الصينية الاخرى مثل جنش وينندس معناها كلها الدواء الناجع او الجليل او الاعلى تعظيماً لامرهِ واعترافاً بخطورتهِ

ينبت هذا النبات في الصين في الاقاليم النائية كمنشوريا وكوريا فلا يمكن الحصول عليهِ الاَّ بعد الجهد العظيم والانفاق الطائل لذلك كان ولا يزال يباع في الاسواق الصينية بثمن لا يكاد يخطر على بال حتى ليباع الجذر بوزنهِ ذهباً خالصاً . ولم يكن هذا النبات معلوماً

لدى الغربيين فقامت من فرنسا بعثة عام ١٦٩٧ ابتغاء الحصول على بعض المعلومات الخاصة بالنباتات الصينية فلم تأتِ مباحثها بما ينقع الغلّة عن الجنسنج او بما يكون حجة قاطعة عنهُ . ولكن احد القسوس الفرنسيين عام ١٧١٨ اثبت انهُ يمكن الاستعاضة عن جذور الجنسنج بجذور نبات يشبهُ تمام الشبه ومن الفصيلة نفسها اسمهُ Panax quinquefolium وهو ينبت قرب مدينة مونتريال من اعمال كندا في اميركا الشمالية . عند ذلك هب الكنديون من سباتهم واخذوا يصدرون من جذور نباتهم الى الاسواق الصينية ما استطاعوا تصديرهُ فكان ذلك سبباً لزيادة ثروة البلاد والافراد معاً . فلما رأى الصينيون كثرة الوارد على اسواقهم هبطت قيمة تلك الجذور قليلاً تبعاً لقانون الطلب والعرض . واخذ الشكُّ يتسرب الى افئدة الاهالي اذ عهدهم في جذور الجنسنج الندرة ومع كل ذلك فلم يكن الهبوط كبيراً جداً فان جذور النبات الكندي لا تزال تباع في هاتيك الاسواق و يقدر ثمن الاوقية منها بنحو خمسة وثلاثين جنيهاً ومحصول الفدان الواحد بسبعة آلاف جنيه وما ذلك الاَّ لاعتقاد الصينيين بخواصهِ الطبية وفوائدهِ التي اتينا على خلاصتها . واذكر اني قرأت اخيراً في مجلة (كوينزلاند الزراعية) مقالاً لاحد الكتاب الاقتصاديين يستحث فيها ابناء وطنهِ على زراعة ذلك النبات الثمين مبيناً لهم بالاحصاءات العديدة والاسانيد الوثيقة ان قيمة المحصول من فدان الجنسنج قد تبلغ ذلك المبلغ الجسيم

اما تلك الخواص التي ينسبونها الى جذور الجنسنج فمغالى فيها كثيراً وهي لا تتعدى كونها مقوية تصلح في امراض فقد الشهية وضعف الجهاز الهضمي الناشئين عن الاجهاد العصبي

وهذا النبات من الفصيلة الارلياسية الشبيهة بالفصيلة الخيمية ذو جذور لحمية مغزلية في اطرافها بعض الياف دقيقة وساق بسيطة مستقيمة تعلو الى ٤٠ سنتيمتراً تحمل في جزئها العلوي ثلاث اوراق مركبة كل واحدة منها تحتوي على خمس وريقات غير متساوية بيضية سهمية حادة مسننة الحافات . وازهارهُ حشيشية اللون تتكون منها خيمة بسيطة وتحمل عنباً مستديراً يصير احمر اللون عند نضجهِ . وتلك الجذور لا تقدم للبيع الاَّ بعد غسلها ثم ازالة الجذور المتولدة على سطحها و بعد ذلك تغلى في الماء بضع دقائق ثم تغلف بخرق رقيقة وتجفف وتوضع في علب من الرصاص وتحاط بالكلس وقاية لها من تسلط الحشرات عليها . وتنضج بذور الجنسنج في شهر سبتمبر فان زرعت وهي غريضة نبتت اول عام والاَّ لم تنبت الاَّ بعد عامين من غرسها

احمد عبد الخالق
موظف بقسم البساتين



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأْتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الفجر الاول

لمحمد علي بمصر

تصوَّر الشاعر محمد علي باشا مؤَسس العائلة المالكة بمصر يخاطب الفجر ليلة وفودهِ الى هذه البلاد

غريبٌ بهذي الدار لكنني اذا ... رأَيتُك خلتُ الدار مهبطَ آبائي
تلوح لعيني والظلام ترددت ... جحافلهُ ما شئتَ في اعين الرائي
فيشتدُّ مني العزمُ والناسُ نوَّمٌ ... عن المجد تلهي نفسهم خمرةُ الداء
ارادة نفسي من عصيرك انها ... لنورك ظمأَى فاروِ غلةَ احشائي
اذا خانني صبري اخالك واقفاً ... تعيد رجائي من سناكَ بايماء
فارجع للجُلَّى وبي منك شعلة ... تنير طريقي في منابتِ آرائي
يتيمٌ ولكني همامٌ فليس لي ... من الاهل الاَّ البأْسُ يردد اعدائي
شغوف بمن تُعلي الخاطرُ قدرهُ ... فسيانَ صبحي ان هممتُ وامسائي
لئن كنتُ امياً فلستُ بمحجمٍ ... عن العلم ان العلم مصدر نعمائي
أُصيخُ لصوت المجد في كل ساعة ... وما أُذُني يوم النداء بصمَّاء
وقفت كأَني للعيون سحابة ... اذا هزها ريح تفيض بانواء
فدهري امام العزم مني كأَنهُ ... غريق وذاك العزمُ امواجُ دأْماء
ستُكتَبُ في سفر الحياة وقائعي ... و يقرأُ اهل الارض معجز انبائي
الا ايها النيلُ الذي فاض خيرهُ ... على امةٍ مهضومةِ الحق معطاء
ارى فيك يا مرآة نفسي صورةً ... من المجد تهديني لمنبع سرائي

ويا هرماً يرنو اليَّ ملبيًا ندائي وفي احشائه سر عليائي
وما هو الا مثلُ عزمي تجسمت نواصيهِ حتى بات يستلفتُ الرائي
كلا نامدى الايام في مصر خالدٌ لهُ ان دنا ليلٌ منارةُ اضواء
لقد كنت قبل اليوم عن مصر نائيًا فها انا في مصر ولست الفتى النائي
فيا بلداً يجري بهِ النيل ضاحكاً ويهتز جذلاناً يحاول ارضائي
لئن ناصب المقدورُ نفسي حروبهُ وهَشَّمَ من عزمي بواترَ امضائي
فما انا ممن يُرغم الدهرُ أنفهُ ولا انا ممن يستكين الأَواء
سيخضلُّ منك الزرعُ بعد مماتهِ ويُخضب ظهر الارض في كل صحراء
وعدتُك مجداً لم ترَ العينُ مثلهُ وسوف ترى عيناك يا مصر ايفائي

محمد تيمور

سمك مكتتب

الى حضرات العلماء اصحاب المقتطف

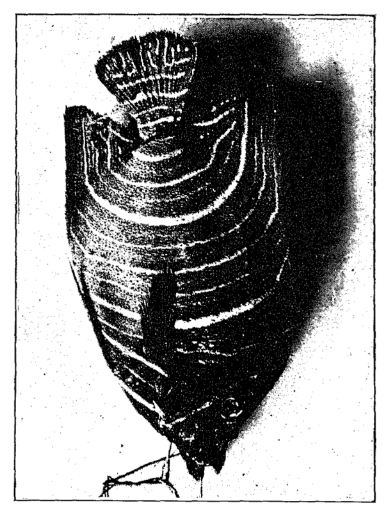
صيدت في يوم الثلثاء الماضية ١٣ شهر جون (يونيو) من مياه زنجبار سمكة وعلى ذيلها من الجهتين كتابة قرئت كذا « شأن الله » من الجانب الواحد و « لا اله الاَّ الله » من الجانب الآخر وصورة السمكة مصدرة اليكم بالطي الامل ان تتأملوا المسئلة وتفتونا عن رأيكم فيها وتنشروا وجهي السمكة في مقتطفكم الازهر واطال المولى بقاكم

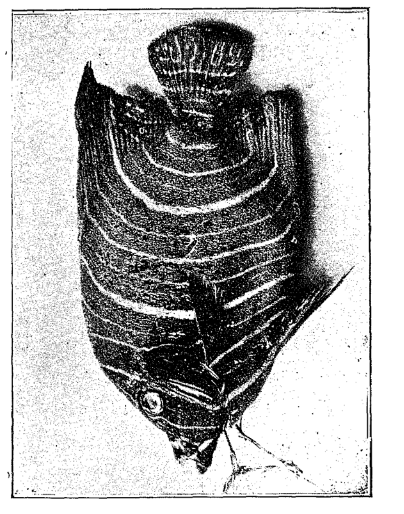
الداعي صالح بن علي بن صالح بك

ترجمان الوكالة البريطانية في زنجبار

ملاحظة : صائد السمكة هذه باعها بثلاثة بيسات (٣ مليمات تقريبًا) وقطع ذيلها ثم خيط بالجسد والخياطة ظاهرة في الصورة وقد احدثت هذه الكتابة رجّة عظيمة فمن قائل انها معجزة وآخر انها غريبة من الغرائب والسمكة مصبرة في زجاجة وقد بيعت بخمسمائة وخمسين ربية (٣٦ جنيهًا وكسور) وصورها تباع عند المصور الفتوغرافي المذكور اسمهُ وعنوانهُ في ختمهِ على ظهر الصور الداعي صالح

[المقتطف] نشرنا صورة السمكة من وجهيها ويظهر ان رجلاً عارفًا فعل المواد الكيماوية كتب على ذيل السمكة بمادة تزيل اللون محل الكتابة مثل الحامض الاكساليك او الصودا الكاوي فظهر محل الكتابة مبيضًا وهي حيلة للكسب الحرام





سمك مكتتب

مقتطف اغسطس ١٩١٧
امام الصفحة ١٨٨

باب التقريظ والانتقاد

الالحان الشجية

في الموسيقى العربية والافرنجية

وضع هذا الكتاب حضرة رزق الله افندي شحاته الاسيوطي تذكاراً للمحسنين المشهورين المرحومين ويصا وحنا بقطر لانهما كانا « اول من شاد على نفقتهِ الخصوصية مدرسة من اكبر المدارس المصرية لها الفضل على الوف المتخرجين منها »

والكتاب يشتمل على مقدمة وتمهيد يليها ثمانية فصول في الموسيقى وتاريخها ودرجات الصوت وآلات الطرب والصوت الانساني والنظام السولفائي وعلامات الوقف وانواع الاصوات الاربعة وغير ذلك

وقد نشر فيهِ اناشيد الدول العظمى واغاني الكليات والمدارس وترانيم ترحيب والحان رثاء منظومة على الاصول الموسيقية وموقعة على اوائل الاحرف من اسماء درجات الصوت في السلّم الموسيقي بدل العلامات الافرنجية المصطلح عليها . وانما فعل ذلك تسهيلاً على الذين يريدون ان يتعلموا ما جاء فيهِ من الالحان وهم من المبتدئين في الفنّ

وضمنهُ ايضاً اربعين لحناً او اكثر من اشهر الاغاني الانكليزية مثل تبراري وجوانيتا وهوم سويت هوم . وبعض الالحان المصرية الجديدة وكلها موقعة على العلامات الافرنجية المعروفة

وجميع ما في الكتاب يدل على ما بذل حضرة موءلفهِ من التعب والعناية حتى خرج كما نراهُ كتاباً حاوياً لمبادىء الموسيقى وقد طبق فيها العلم على العمل بحيث ينتفع بهِ المبتدئ ولا ينكرهُ ابن الفنّ

كتاب التعاون في الزراعة

هو كتاب الشهر بل كتاب السنة الفهُ حضرة البحاثة المدقق صادق حنين بك مدير قسم الادارة والاحصاء في وزارة الزراعة ومدرس التعاون في مدرسة الزراعة العليا بالجيزة . الفهُ لاظهار مزايا التعاون الزراعي وشدة الافتقار اليهِ في هذا القطر وكبر الفائدة التي ترجى

للقطر منهُ . فتحناهُ ونحن لا ننتظر ان نجد فيهِ متسعاً للكلام حتى يملأَ مجلداً كبيراً . ولا ادلة مقنعة على وجوب الاخذ بهذا التعاون في القطر المصري لكثرة ما يحول دونهُ من العقبات . ولا فصولاً متسقة تمتلك لب المطالع بما فيها من مشوّقات المطالعة والاستشهاد باقوال كبار الكتّاب والمفكرين وامهات المؤلفات . فلم نكد نتصفح فصلاً او فصلين منهُ حتى رأينا امامنا اقوالاً محكمة وآراء معتدلة ونظراً خالياً من التطرُّف وخزانة جامعة لزبدة ما قيل في هذا الموضوع . فان كان الطبيب الذكر جرجس بك حنين والد المؤلف قد الَّف اوسع كتاب وادق كتاب يرجع اليهِ في الضرائب والاطيان وسيبقى المرجع الوحيد في هذا الموضوع فالمؤلف قد اخرج لابناء العربية اوسع كتاب وادق كتاب في التعاون الزراعي وسيبقى كتابهُ هذا عمدة في هذا الموضوع الى امد بعيد لاننا لا نتوقع ان نرى في العربية كتاباً ادق منهُ او اوسع

واذا قُدّر لشركات التعاون الزراعي ان تنتشر في هذا القطر فلا غنى لها ولكل عضو يحسن المطالعة من اعضائها عن اقتناء هذا الكتاب وامعان النظر فيهِ والرجوع الى قواعدهِ اونةً بعد اخرى للارتشاد بها . وهو اكبر مرغب في انشاء هذه الشركات واصدق مرشد للسير فيها على اسلوب يجنى منهُ النفع ويؤْمن فيهِ العثار فان المؤلف لم يكتفِ بسرد اختبارهِ وما يوحيهِ اليهِ عقلهُ بل جمع فيهِ خلاصة اختبار الشعوب الاوربية الانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية والهولندية وما اشبه في كل فرع من فروع التعاون واسند كل شيء الى المصادر التي نقل عنها وهي نحو اربعين مصدراً وكلها من اهم المؤلفات التي تبحث في هذا الموضوع وملابساتهِ

وفصول الكتاب ثمانٍ وعشرون فصلاً متسلسلة متناسقة كانها قضايا الهندسة في اصول اقليدس جامعة لكل الاغراض التي ترمي اليها شركات التعاون في الزراعة والقوانين التي تبنى عليها وما تستلزمهُ من الشروط لنجاحها وما يجب ان تحذرهُ ممَّا يضرُّ بها . والكلام في ذلك كلهِ غير مقصور على القواعد والاحكام بل هو معزز بالامثلة والشواهد كانهُ تاريخ لشركات التعاون في الدنيا بكل انواعها مع تطبيق ذلك على حالة القطر المصري

فايَّد في الفصل الاول فائدة التعاون لان شعارهُ «الفرد للجماعة والجماعة للفرد». وقال انهُ نظام اختياري اساسهُ تبادل المعونة بحيث يسعى الفرد لمصلحة المجموع الذي ينتمي اليهِ سعياً مقروناً بالغيرة والاخلاص ويسعى المجموع لمصلحة الفرد ذلك السعي بذاتهِ . ثم بيَّن كيف

يتم هذا السعي الافرادي والاجتماعي وما الفرق بينهُ و بين سعي الجمعيات الخيرية والشركات التجارية . وبيّن في الفصل الثاني تاريخ التعاون الزراعي على انواعهِ بنوع عام من قديم الزمان الى الآن ثم فصّل هذه الانواع في الفصول التالية تفصيلاً مسهباً كبنوك التعاون ونقابات شركات التعاون وجمعيات اتحاد النقابات وكل ما يتعلق بها على ما هو جارٍ العمل بهِ في ممالك اوربا المختلفة وفي بلاد الهند ايضاً . والكلام في ذلك كلهِ على غاية التفصيل مشفوع بالامثلة والشواهد. مثال ذلك عدد بنوك التعاون المركزية في فرنسا فقد جاء فيهِ الاحصاء التالي

البنوك المركزية

عددها	٩٨	بنكاً
رأس مالها المكتتب بهِ	٢٣ ٣٣٠ ٣٤٢	فرنكاً
رأس مالها المدفوع	٢١ ٥٥١ ٣٢١	«
مالها الاحتياطي	٦ ٢١٢ ٩٧٦	«
مجموع قيمة الودائع	٢٠ ٠٣٦ ٠٩٧	«
مجموع قيمة الكمبيالات التي قطعتها او جدّدتها	١٨٢ ٦١٨ ٨٠١	«
« « السلف التي اقرضتها للبنوك القروية	١٤٥ ٩٥٧ ٧٥٤	«
مجموع اعانة الحكومة	٨٥ ٨٨٨ ٧٢٦	«

عدد البنوك القروية

عددها	٤٢٠٤	بنوك
عدد اعضائها	٢١٥ ٦٩٥	عضواً
رأس مالها المكتتب بهِ	٢٠ ٧٠٥ ٩٣١	فرنكاً
رأس مالها المدفوع	١٣ ٥٢١ ٥٥٣	«
مالها الاحتياطي	٢ ٨٣١ ٩٦٦	«
مجموع قيمة السلف التي اقرضتها لآجال قصيرة في سنة ١٩١٢	٨٥ ٤٩٢ ١٧٠	«
سلف كانت باقية من السنة السابقة	٦١ ٥٩٩ ٨٨٣	«
سلف ردت قيمتها في اثناء السنة	٨٢ ٢٦٩ ٣٩٤	«
سلف بقيت لدى الاعضاء في نهاية سنة ١٩١٢	٦٤ ٨٢٢ ٦٥٩	«

وعند الكلام على مصانع الزبدة التعاونية شرح عملها في بلاد الدنمارك فقال

« ولما كانت مصانع الزبدة التعاونية في الدانمرك قد بلغت من الرقي وحسن الادارة مبلغاً أحلها في الصف الاول من المنشآت التعاونية في العالم اجمع فقد رأينا ان نأتي على طرف من تاريخها ووصف نظامها

« كان الباعث الاول على نهضة التعاون في صناعة الزبدة في بلاد الدانمرك دخول اميركا مضمار المنافسة في تصدير الحبوب الى الاسواق الاوربية في الخمس والعشرين سنة الاخيرة من القرن الماضي فان الدانمرك كانت من البلدان التي شعرت بوقع هذه المنافسة اكثر من سواها نظراً لان الغلال التي تنتجها كانت تفيض عن حاجتها فتصدرها الى غيرها من البلدان حيث تبيعها بيعاً رابحاً وكانت الحبوب الى ذلك العهد اكبر دعامة للزراعة الدانمركية لغلاء ثمنها ولنماء حاصلاتها بسبب الوسائل العلمية الحديثة التي استعملت في الزراعة فلما هبط سعر الحبوب هبوطاً بليغاً مستديماً بعد سنة ١٨٨٠ من جراء المنافسة الاميركية واقفلت اسواق المانيا في وجه الحبوب الدانمركية منذ سنة ١٨٧٩ بسبب التعريفات الجمركية المرهقة التي فرضها البرنس بسمارك لحماية الحاصلات الالمانية شرع زرّاع الدانمرك يفكرون في علاج هذه الازمة الزراعية الشديدة التي حلت بهم فلم يروا بداً من توجيه هممهم شطر انماء الحاصلات الحيوانية لكي يستعيضوا بها مما فقدوهُ من رواج الحبوب . ومما ساعدهم على احداث هذا الانقلاب انهُ كان في البلاد عدد يذكر من البقر وان كبار ذوي الاملاك الزراعية كانوا قد مارسوا صناعة الزبدة من قبل في مصانع اقاموها في اراضيهم . على ان تلك المصانع وحدها لم تكن لتغني فتيلاً وكان لا بد لهم من تدبير وسائل هذه الصناعة لدى صغار ذوي الاملاك الزراعية . ولا يخفى ان الفلاح الصغير لا قبل لهُ بنفقات شراء الآلات والاجهزة التي تلزم لهذا الغرض ولا سبيل لهُ الى بيع القليل من الزبدة التي يصنعها بيعاً رابحاً

« فلما اخترع الفرّاز وترتب على اختراعهِ سهولة معالجة كميات اللبن الكبيرة في وقت قصير واستخراج الزبدة الجيدة منها بنسبة تزيد نحو عشرة في المائة عما كان ينتج من اللبن بعينهِ من قبل كان ذلك من بواعث اقبال فلاحي الدانمرك على العمل المشترك فاسسوا في سنة ١٨٨٢ اول مصنع تعاوني للزبدة فكان نجاحهُ بحيث اقيمت على مثالهِ المصانع الاخرى في جميع انحاء البلاد على جناح السرعة فبلغ عددها بعد عشر سنوات ثمانمائة مصنع »

وهذا الفصل طويل يملأ الكلام فيهِ على الزبدة تسع صفحات قال في آخرها « ان معظم ما تصدرهُ الدنمارك من الزبدة يرسل الى بريطانيا العظمى فالمجموع الذي صدَّرتهُ في سنة

١٩١٢ بلغ ٨٧٠٩٠ طنًا من الزبدة منها ٨١٢٨٧ طنًا صدرت الى بريطانيا العظمى وحدها وهو نحو خمسين ما يرد اليها ومن المحقق ان مصانع الزبدة هي التي دفعت الازمة الزراعية عن الدنمارك فانها احدثت ثروة جديدة في البلاد . و بعد ان كانت قيمة صادرات الزبدة واللبن ونحوهما سنة ١٨٨١ مليونًا ومائتين وخمسة عشر الف جنيه اصبحت سنة ١٩١٣ احد عشر مليونًا وسبعمائة وخمسين الف جنيه »

وقد ختم الكتاب بفصل مسهب عن شركات التعاون في مصر ضمنهُ القانون الذي وضع لها قبيل الحرب ولم ينفذ حتى الآن وسنلخص هذا الفصل في الجزء التالي

ونختم هذه السطور بتقديم الشكر الجزيل الى حضرة المؤلف لاتحافهِ ابناء العربيـة بهذا الكتاب النفيس راجين ان تستفيد منهُ البلاد اكبر فائدة

التعليقات الجديدة

على قانون العقوبات الاهلي

يُفرَض على كل انسان في بلد ان يكون عارفًا بقوانينهِ . ولكن القوانين تتغير من وقت الى آخر باضافة او حذف او تغيير او تبديل وتُحدَّد معانيها واغراضها باحكام المحاكم عند التطبيق . فخير ما يخرج الى الناس كتاب يشمل القوانين وما يتصل بها من التعليقات والاحكام التي تصل بها الى زمن نشر الكتاب وتزيل كل غموض من معناها . وكتاب التعليقات هذا وافٍ بهذا الغرض على ما يلوح لنا مما طالعناهُ منهُ . فهو لازم لرجال القضاء لانهُ جمع لهم ما قد يصعب عليهم جمعهُ من التغييرات والتعليقات والاحكام والزم منهُ لجمهور الناس لانهُ قرَّب اليهم فهم قوانين بلادهم وازال من امامهم ما قد يقع من الالتباس فيها . مثال ذلك المادة ١١٠ التي موضوعها الاكراه وسوء المعاملة من الموظفين لافراد الناس . فقد ذكر فيهِ نص المادة ثم تعليقات الحقانية عليها ثم اربعة من احكام المحاكم التي صدرت في هذا الموضوع . واذا كان القانون من القوانين التي تناقش فيها مجلس شورى القوانين او الجمعية التشريعية ذكرت خلاصة المناقشات فيهِ فيكون ذلك بمثابة تاريخ للقانون يزيدهُ وضوحًا لانهُ يبين الحامل عليهِ وآراء نواب الامَّة فيهِ . وحبذا لو ذكر حضرة المؤلف الداعي الذي دعا الحكومة المصرية الى اعفاء الراشي من العقوبة اذا اعترف مخالفةً بذلك قانونها السابق وقوانين غيرها من الدول . فاننا نتذكر ان الداعي لاعفاء الراشي كان هذا : — كثرت شكوى اصحاب الاطيان من مهندسي الري انهم لا يسمحون

بارواء الاطيان الاَّ لمن يرشوهم فيرى المزارع نفسهُ مضطرًّا ان يدفع عشرة جنيهات مثلاً والاَّ تلف زرعهُ وقيمتهُ الف جنيه ولا وقت للشكوى والمطاولة لان الزرع لا ينتظر من يوم الى يوم . فقال ولاة الامر حينئذٍ اذا كان الامر كذلك فمن يرشُ مضطرًّا على هذه الصورة فلاجناح عليهِ اذا اعترف بما فعل . وحينئذٍ اضيفت الفقرة الاخيرة الى المادة الثالثة والتسعين على ما تقدَّم . ولعلَّ ذكْر هذا التاريخ يمنع من التوسع والاطلاق حيث لا محل لذلك اي حيث يستطيع الراشي ان يتصل الى غرضهِ بغير الرشوة

والكتاب حافل بالتعليقات والاحكام التي تشرح مواد قانون العقوبات احسن شرح وهو كبير يقع في ٥٣٦ صفحة ولهُ فهرس هجائي يسهل الوصول الى موادهِ المختلفة . فلحضرة مؤَّلفهِ الفاضل محمد عبد الهادي بك الجندي جزيل الشكر على هذه التحفة النفيسة

جامع عمرو

محاضرة لحضرة الباحث المحقق يوسف افندي أحمد وهي اول محاضرة لهُ في الآثار العربية في القطر المصري لان جامع عمرو اقدم الجوامع في هذا القطر ولو لم يبقَ فيهِ شيءٌ حتى الآن من عمارتهِ الاولى . قال : ويتضح مما قالهُ ابو سعيد سلف الحميري ان الجامع كان خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين والطريق يطيف بهِ من كل جهة وكان لهُ بابان يقابلان دار عمرو وبابان في بحريهِ وبابان في غربيهِ وكان سقفهُ مطاطاً جدًّا ولا صحن لهُ فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائهِ من كل ناحية . ثم اخذ يتسع بحسب احتياج اهلهِ حتى صار في سنة ٢١٢ طولهُ ١٩٠ ذراعاً وهو طول الجنب الذي فيهِ القبلة وعرضهُ ١٥٠ ذراعاً اي ٦٦ و١٢٦ متراً في ١٠٠ متر وقد صار متوسط مقاسهِ الآن ١٢٠ متراً في ١٠٨ امتار »

ثم لخَّص تاريخ الجامع والزيادات التي زيدت فيهِ في ازمنة مختلفة وما تخرَّب منهُ واعيد بناؤُهُ وما وضع فيهِ من المنابر وما بني لهُ من المآذن واوضح ذلك كلهُ بالرسوم المختلفة قال ان اول زيادة زيدت فيهِ كانت سنة ٥٣ للهجرة ثم هدمهُ قرة بن شريك بامر الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ وبناهُ ثانية ثم توالت الزيادات فيهِ الى ٣٥٨ هجرية ثم احترق مع الفسطاط سنة ٥٦٤ امر بحرقهِ جوهر مؤْتمن الخلافة لئلاَّ يخطب فيهِ لبني العباس فاعادهُ صلاح الدين سنة ٥٦٨ . وسنة ٧٠٢ تشعث الجامع وانفصل بعض اعمدتهِ وهدم بناء حيطانهِ بزلزلة حدثت في اواخر السنة فرممهُ واصلحهُ الامير سلار نائب السلطنة في عصر

الناصر محمد بن قلاون . ثم اصلح ثانية سنة ٨٠٤ وثالثة سنة ٨٧٦ . واهمل ذكرهُ بعد ذلك من كتب التاريخ على قول المؤلف الى سنة ١٢١١ حين رأى الامير مراد بك ان يهدمهُ كلهُ لسقوط سقفهِ واعمدتهِ وميل شقتهِ اليمنى بل سقوطها فاقام اركانهُ وشيد بنيانهُ ونصب اعمدتهُ وكمل زخرفتهُ وبنى فيهِ منارتين وجدَّد جميع سقفهِ بالخشب النقي وبيضهُ فتم بناؤُهُ على احسن ما يكون وفرشهُ بالحصر الفيومية وعلق فيهِ القناديل واقيمت فيهِ الجمعية آخر جمعة من رمضان سنة ١٢١٢ وكتب على لوح من الرخام اعلى المحراب الكبير الابيات التالية

انظر لمسجد عمرو بعد ما درست رسومهُ صار يحكي الكوكب الزاهي

نعم العزيز الذي لله جدّدهُ مير اللواء مراد الآمر الناهي

لهُ ثواب جزيل غير منقطع على الدوام بانظار واشباه

ثم تقوض بنيانهُ وآل الى الخراب التام الى ان شرع ديوان الاوقاف في تجديدهِ سنة ١٣١٧

والمحاضرة مسهبة تملأُ ١٦٠ صفحة وفيها كثير من الرسوم فلحضرة كاتبها جزيل الشكر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) منافع الكاد

الزقازيق سليمان بك احمد اباظه . نرجو ان تخبرونا عن الكاد لاننا سمعنا عنهُ اقوالاً كثيرة منها ان ابن اياس قال في تاريخهِ ان هذا الكاد كان يغرس بمصر . وقد ارسلت اليكم الآن غصناً للتحقيق هل هو الكاد

ج . الكاد او جوز الكاد كلوي الشكل طول الجوزة منهُ نحو بوصة يحيط بنواتهِ غلافان الخارج منهما صقيل رمادي اللون جلدي القوام داخلهُ مادة سمراء حريفة وفي نواتهِ مادة زيتية طيبة الطعم تؤكل نيئة ومشوية في البلاد الحارة حيث تنمو شجرة الكاد . ويقال ان زيتها يقوم مقام زيت الزيتون في الطبخ . وينتفخ عرق الجوزة حتى يصير كالكمثراة وطعمهُ حامض طيب وهو يؤكل ايضاً ويسمى تفاح الكاد واذا اختمر تكون منهُ

شراب مسكر . ويخرج من الشجرة صمغ كالصمغ العربي . والغصن الذي ارسلتموهُ الينا يشبه ورقهُ ورق الكاد ولكن ذلك لا يكفي للاستدلال على انهُ الكاد Cashew نفسهُ بل لا بد من رؤْية الثمر ايضاً او الثمر والزهر

(٢) علاج الشلل

مصر . عبد الحليم افندي نصير . رأيت اطفالاً وشباناً وشيوخاً رجالاً ونساءً ورعدة تلازم ايديهم وتتجلَّى في اصابعهم اذا مسكوا جسماً ايًّا كان . ولي صديق في الخامسة والعشرين من عمرهِ وسيم جسيم قوي البنية ذو شغف بالالعاب الرياضية ولا يدخن ولا يدمن خمراً فاذا امسك بيراعة او اي شيءٍ ارتعدت يدهُ وطالما يصيب قدميهِ ذلك . وتردَّد على جملة اطباء فلم ينجع العلاج ولهُ اخت مصابة بهذا الداء ولكن باقي اخواتهما صغاراً وكباراً منهُ براءٌ . فهل من سبب وهل من دواءٍ

ج . العلاج الراحة والكهربائية وتقوية الصحة وتغيير العمل او حال المعيشة وهذا العلاج يفيد بعض الفائدة ولكنهُ لا يشفي . والسبب في الدماغ مثل اسباب سائر انواع الشلل ولكن حقيقتهُ غير معروفة

(٣) احترام الغني

المرابعين . احمد افندي الالفي . ارى الناس يحترمون الغني احترام خضوع لمجرَّد غناهُ وان لم يكن ذا فضل عام او خاص ويعظمون موظف الحكومة تعظيم تهيُّب وحذر لمجرَّد وظيفتهِ وان كان لا سبيل لهُ عليهم الَّا بالحق . وقد استقرَّ ذلك في العرف العام حتى كأَنهُ من الواجبات اومن مقتضيات الادب والشرف وحتى صار الذي لا يجري هذا المجرى وان حسن ادبهُ وسلوكهُ موسوماً بعين الاستغراب ومرجوماً بالكبر . وما احسب ذلك الاَّ من اثر فعل الاستبداد الغابر في الاخلاق والنفوس . فما رأيكم وهل الجمهور في البلاد الاوربية المتنورة كانكلترا وفرنسا كذلك

ج . يحترم الناس الغنيَّ لاعتقادهم انهُ يملك قوة عظيمة للنفع والضر لان المال قوة ومن اعظم القوى الآن والقوَّة تستحق الاحترام اذا رجي نفعها وخيف ضرُّها . فاذا ثبت لهم ان الغني بخيل لا يستطيع ان يستعمل اموالهُ لا في نفع ولا في ضر ابطلوا احترامهُ او احتقروهُ . وهذا امر معروف مشهور وطالما ذكرهُ الشعراءُ . قال القطامي

والناس مَن يلقَ خيراً قائلون لهُ
ما يشتهي ولام المخطيءِ الهبَلُ

وقال زهير ابن ابي سلمى

ومَن يك ذا فضل فيبخلْ بفضلهِ
على قومهِ يستغنَ عنهُ ويذمم ِ

ويعظمون الموظف ايضاً لاعتقادهم انهُ يملك قوة للنفع والضر فاذا أُقيل من الوظيفة

وثبت لهم انهُ غير عائد اليها اهملوهُ . فالتعظيم للقوة التي يعتقدون انها في يده لا لهُ . كنا اذا زرنا احد وزراء مصر السابقين نجد المركبات الكثيرة امام بابهِ حتى بعد ان استقال من منصبهِ وكان يرجى رجوعهُ اليهِ فلما شاخ وثبت انهُ غير راجع صرنا لا نرى زائراً يزورهُ الاَّ نادراً

واكثر الناس في اوربا وفي كل مكان على هذا النمط لا يشذُّ عنهم الاَّ الذين اعتدُّوا بانفسهم او احتقروا حطام الدنيا . والتعليم والمبادىء الجمهورية والاشتراكية تجعل المرء يقدر القوة قدرها الحقيقي لا يزيد عليهِ فيعدُّ الغنيَّ وكيلاً على الاموال التي في يدهِ والموظف مقيداً بقوانين وظيفتهِ لا يستطيع ان يتعدَّاها فيقلُّ تعظيمهُ للاول وتخوُّفهُ من الثاني

(٤) تمدد المعدة والحامض البوليك

ومنهُ . ما هو افضل علاج يصفهُ حذَّاق الاطباء لمداواة تمدُّد المعدة والحامض البولي

ج . يعالجون تمدد المعدة البسيط بغسلها يوميًّا لازالة ما يعلق بها من الفضلات المختمرة فيشعر المريض براحة عظيمة وكثيراً ما يشفى تماماً . اما اذا كان التمدد مستعصياً ربما اقتضى الامر عملية جراحية معروفة عند الاطباء باسم gastro-enterostomy فيفتح فيها البطن وتثقب المعدة من اسفلها ويفتح ثقب آخر في الامعاء الدقاق ثم يخاط العضوان الواحد بالآخر فيسهل على المعدة بذلك تفريغ ما فيها ويمتنع الاختمار

واذا زاد مقدار الحامض البوليك في الجسم عن الحدّ الطبيعي اصيب الجسم بامراض مختلفة اشهرها النقرس او داء الملوك ومعالجة النقرس طويلة متشعبة اهمّ ما فيها الانتباه الى الطعام باكل اشياء معينة والامتناع عن اخرى وحفظ البطن ليناً بالمسهلات واراحة الجسم واستعمال المكمدات الحارة وشرب مركبات الدواء المعروف باسم colchicum (اللحلاح)

(٥) التنويم المغنطيسي ومعرفة الغيب

ميت غمر م . ا . ح اجتمعت فئة من الادباء وتباحثوا في كثير من المواضيع العلمية من جملتها التنويم المغنطيسي وتأثيرهُ في اكتشاف بعض الحقائق المجهولة وانتقلوا من ذلك الى ان هذا العلم ربما تكون الدول المتحاربة الآن او بعضها تستعملهُ في معرفة الخطط الحربية وحركات الجيوش للدول الاخرى فهل ذلك واقع والاَّ فلماذا لم يستعمل واذا استُعمل هل يمكن ان يأتي بفائدة

ج . يظهر من استعمال الطيارات في اكتشاف مواقع العدو وما في ذلك من الخطر الشديد على الطيارين ان المتحاربين لا يعرفون طريقة اخرى لاكتشاف المواقع . وكل ما هو محقق من امر التنويم المغنطيسي

لا يستدل منهُ على معرفة الغيب. وقد ينبئ النائم بشيء فيصدق ولكن الناس كلهم قد ينبئون باشياء كثيرة فيصدق انباؤُهم اما لانهم كانوا يعرفونهُ قبلاً او لانهم بنوهُ على مقدمات معروفة لديهم فيكون نتيجة لها. فاذا وقف الخبير بالزراعة في غيط قطن او قمح فقد يقدّر محصولهُ فدان القطن بخمسة قناطير ومحصول فدان القمح بستة ارادب فيأتيان كما قدّر لانهُ بنى حكمهُ هذا على معارف سابقة لا لانهُ انبأ بالغيب. ومع ذلك فاذا اريد التدقيق التام الى حد الدرهم في قنطار القطن وحد ربع القدح في اردب القمح فلا احد يستطيع ان يصيب تماماً الاَّ اذا اتفق لهُ ذلك اتفاقاً. والغالب ان الذين يرون في اقوال النائمين النوم المغنطيسي مطابقة للواقع يكونون من اصحاب الاوهام الذين تقوم المطابقة في اذهانهم لا في الخارج. فاذا قال لهم النائم ان الذي سرق امتعتكم من ابناء بيتكم ثم وجدوا ان السارق احد ابناء البيت حقيقة قالوا صدق وايم الحق. واذا وجدوا انهُ خادم من الخدم قالوا هذا هو معناهُ بقولهِ من ابناء بيتكم. واذا وجدوا انهُ اجنبي من المترددين على البيت قالوا هذا هو معناهُ لان المتردد على البيت كابن البيت. واذا وجدوا انهُ اجنبي لم يتردَّد على البيت في زمانهِ اهملوا كلام النائم ونسوهُ ولم يلتفتوا الى ان الخطأ دليل سلبي قاطع. فلا يستعمل التنويم المغنطيسي في الحرب لان لا فائدة منهُ

(٦) الامساك المستعصي في الطفل

المنيا. مدام خليل برسوم. ما سبب الامساك المستعصي المستديم في الطفل وعدم نمو جسمهِ مع كثرة استعمال الوسائط الصحية اللازمة لهُ. لنا طفل عمرهُ ثمانية اشهر اما جسمهُ فلا يزيد على جسم ابن اربعة اشهر فقط وذلك لعدم نموهِ كما يجب وقد ظهر لهُ سنان

ج. يظهر ان كبدهُ غير قائمة بوظيفتها كما يجب ولا نرى غنًى عن استدعاء الطبيب ليعالجهُ ويقف على علاجهِ ويرى تأثيرهُ فيهِ

(٧) لماذا نعيش

دفنو فيوم. عبد الله افندي عبد العال لماذا نعيش واذا كانت الحياة لمجرَّد الحياة فحياتنا اذن للاشيء والاَّ فلماذا

ج لا سبيل الى حل هذه المسألة بالعلم اي لا نستطيع بواسطة علومنا ان نعرف الغاية التي وجد لها الانسان معرفة يقينية كما نعرف ان النار تحرق الخشب والصور تنعكس عن المرآة والزوايا الثلاث من المثلث المستقيم الاضلاع تعدل زاويتين قائمتين. ولكن في نظام الكون وفي كل جزء منهُ من دلائل الحكمة والقوة ما يقف عندهُ العقل مبهوتاً فيقتنع من ذاتهِ لذاتهِ ان

وجوده لا ينتهي بانصرام حبل الحياة كما يقتنع بان النار تحرق الخشب والصور تنعكس عن المرآة . نعم ان الحرق والعكس عملان حسيان خاضعان للامتحان وخلود نفس الانسان غير حسي ولا خاضع للامتحان ولكن العقل اعتقد بامور اخرى غير محسوسة ولا خاضعة للامتحان لانهُ رأى فرضها امراً واجباً لتفسير بعض الظواهر الطبيعية كما فرض وجود بعض الكواكب و بعض العناصر قبل ان اكتشفها وكما فرض وجود الاثير ومقدار مرونتهُ وهو لم يرَهُ حتى الآن واذا كانت النفس خالدة فلها عمل آخر في حياتها الاخرى

(٨) كيف تتكون الحياة

ومنهُ . كيف تتكون الحياة في الجسم

ج . هذا من المسائل الغامضة . والمرجح الآن ان كل ما في الكون المادي مادة وقوة او قوة فقط والمادة من بعض مظاهرها فهل الانسان مركب من جسم طبيعي وقوة طبيعية فقط او فيهِ فوق ذلك قوة روحية . هذا امر لم تقم الادلة العلمية عليهِ حتى الآن ولكن كثيرين يرجحونهُ وهم يفتشون الآن عن ادلة علمية تثبتهُ و بعضهم يظن انهُ يوجد مع الجسم المادي جسم روحاني نوراني لا يرى بالعين . ومن هذا القبيل مباحث السر اوليفر لدج التي ترونها في الكلام على الحياة بعد الموت ومناجاة الارواح

(٦) طعام ينصهُ الجسم كلهُ

ومنهُ . هل من الممكن ان يكتشف طعام ينصهُ الجسم كلهُ ولا يترك لهُ فضلات و يكفي لغذائهِ تماماً وهل فكَّر احد في ذلك

ج . ترون جواب سوءَال مثل هذا في الجزء الماضي

(١٠) القديس جيورجيوس

القاهرة احد المشتركين . كلما ذكر اسم القديس جيورجيوس الكبدوكي ذكر التنين الذي قتلهُ واذا صوَّر القديس صوّر التنين تحت رجلي فرسهِ مطعوناً برمحهِ فهل هذا التنين حيوان حقيقي وجد في الزمان الغابر او هو مجازي يقصد بهِ كبح جماح النفس وامساك العواطف وما هو التاريخ الصحيح عن هذا الوحش

ج . يقال انهُ يمكن رد قصة التنين الى القرن السادس وانها من المحتمل ان تكون مقتبسة من قصة فرساوس الذي يقال في خرافات اليونان انهُ قتل تنيناً قرب ارسوف او قرب اللد . والتفسير الذي فسرتموهُ حسن ولكننا لا نعلم هل بوءَ يدهُ آباءُ الكنيسة ومن المحقق ان مار جرجس هو قديس انكلترا والبرتغال ويكرمهُ المسيحيون والمسلمون وقد استشهد سنة ٣٠٣ للميلاد

(١١) لوبيا كوبا

ابو حمص . عبد الله افندي مخيون . عثرت حديثاً على نوع من اللوبياء لم ارَ في

حياتي مثلهُ . وهذه اللوبياء لا تختلف عن اللوبياء البلدية في شيءٍ الاَّ في طول قرونها التي يبلغ الواحد منها خمسة وثمانين الى خمسة وتسعين سنتمتراً وربما بلغ المتر طولاً ويحتوي القرن الواحد على عشرين او احدى وعشرين حبة كبيرة تزيد في الحجم على حبوب اللوبياء الاعتيادية . وقد زرعت هذا النوع لاول مرة كما تزرع النباتات الزاحفة فبلغ طول القرن خمسة وسبعين سنتمتراً . ولكنني علمت انهُ من النباتات المتسلقة فزرعتهُ مرةً اخرى ومكنتهُ من تسلُّق بعض الاشجار الكبيرة فنما نموًّا قويًّا واحاط بالشجرة من كل جوانبها وتدلَّت قرونهُ من حولها فكانت اشبه شيءٍ بالثعابين . ومن هاتهِ القرون قرنان ارسلتها لكم الآن بطريق البريد . فهل ترون هذا النبات غريباً ام تعرفونهُ من قبلُ . ومن اي الممالك مصدرهُ واذا انتشرت زراعتهُ عندنا فهل يرجى ان يصير من البقول الشهيرة التي تصدر الى الخارج

ج . رأينا هذه اللوبياء في عين زحلتا من جبل لبنان منذ خمس وثلاثين سنة ولكننا لم نبحث حينئذٍ عن وطنها الاصلي وعن فائدتها بالمقابلة مع غيرها فارسلنا سؤالكم الآن الى جناب المستر برون مدير قسم البساتين فاجابنا « ان هذه اللوبياء من نوع لوبياء كوبا Dolique de Cuba وقد جربنا زرع هذا النوع في جنائن القسم ووجدنا انهُ لا يزاحم اللوبياء الازميرلية في وفرة المحصول كما انهُ اقل جودة من النوع الازميرلي او البلدي لان القرون كثيرة الالياف فلا تستحب للاكل خضراء وبزورهُ الجافة يكون الاقبال عليها في السوق قليلاً لانها ليست بيضاء اللون »

(١٢) الغذاء في التبن

مصر احد القراء . سمعت البعض يقولون انهُ لا يوجد شيء من الغذاء في التبن الذي تعلف بهِ الدواب والمواشي فهل ذلك صحيح ولماذا يطعم التبن اذاً للمواشي ان كان لا يغذيها

ج . في تبن القمح غذاء ولكنهُ غير كثير فغلة الفدان من القمح تبلغ نحو ستة ارادب من الحب فيها ٣٤ رطلاً من النتروجين ونحو عشرة احمال من التبن فيها نحو ١٢ رطلاً من النتروجين عدا ما فيها من المواد الكربوهدراتية . والمواد النيتروجينية من اهم مواد الغذاء . وتبن الفول اكثر غذاء من تبن القمح فان في الحمل منهُ اكثر من ثلاثة ارطال من النتروجين



اوجه القمر في شهر اغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٣	٧	١١ صباحاً
الربع الاخير	٩	٩	٥٦ مساء
الهلال	١٧	٨	٢١ »
الربع الاول	٢٥	٩	٨ »
القمر في الحضيض	٣	١١	٥٤ »
» » الاوج	١٨	٢	٣٠ »

السيارت

عطارد والزهرة — يكونان كوكبي مساء
المريخ وزحل — يكونان كوكبي صباح
المشتري — يشرق نحو نصف الليل

تذكار السر وليم رمزي

على اثر وفاة السر وليم رمزي العالم الكيماوي المشهور في اواسط العام الفائت عقدت جلسة عمومية في اكتوبر الماضي جمعت كثيراً من اصدقائهِ ومحبيهِ فبحثوا في اقامة تذكار لهُ يخلّد اسمهُ وعملهُ وحضر الاجتماع مندوبو الحكومة الانكليزية والحلفاء والمحايدين فقرّ رأي المجتمعين على جمع مقدار من المال لينفق على ترقية علم الكيمياء الذي كان السر وليم في مقدمة المشتغلين بهِ علماً وعملاً . وعينت لجنة لهذا الغرض برآسة المستر اسكويث رئيس الوزارة الانكليزية السابق وعضوية سفراء الحلفاء والمحايدين ومعتمديهم وبعض الوزراء الانكليز وفي جملتهم المستر لويد جورج رئيس الوزارة الحالية ورؤساء الجامعات الانكليزية الكبرى . وعينت كذلك لجنة تنفيذية لبيان الوجوه التي سينفق المال فيها تذكاراً للفقيد واهمها اولاً انشاء وظائف مدرسية تسمَّى Ramsay Research Fellowships وثانياً انشاء معمل كيماوي تابع لمدرسة University College في لندن حيث كان السر وليم استاذاً للكيمياء مدة ٢٦ سنة اكتشف فيها اعظم مكتشفاتهِ الكيماوية الطبيعية . ويكون المعمل لتعليم الكيمياء الهندسية او الصناعية ويسمَّى Ramsay Memorial Laboratory of Engineering Chemistry . وفي نية اللجنة ايضاً ضرب مدالية باسم Ramsay Medal يعطاها الذين يتفوقون في المباحث الكيماوية . وتقدر اللجنة ان

مبلغ مئة الف جنيه يكفي لهذا الغرض · وقد بلغ ما جمعهُ اصدقاءُ الفقيد حتى الآن ١٤٠٠٠ جنيه منها ٥٠٠٠ جنيه من شركة برونر وموند المعروفة والف جنيه من كل من ستة اشخاص ومبالغ اخرى من ٥٠٠ جنيه الى جنيه واحد من اشخاص غيرهم

بركة قارون

بركة قارون او بحيرة قارون من اغرب المواقع الطبيعية في الدنيا فان سطحها اوطأ من سطح بحر الروم بنحو ٤٥ متراً وهو لا يلزم حالة واحدة على مدار السنة بل يكون على اعلاهُ في شهر مارس ويبقى على حالة واحدة تقريباً الى اواسط شهر مايو و ينخفض بعد ذلك بسرعة حتى يبلغ اوطأهُ في شهر سبتمبر ويعود الى الارتفاع بسرعة الى دسمبر ويبقى دسمبر و يناير على حالة واحدة تقريباً · والفرق بين اعلى منسوب واوطإهِ في السنة الواحدة اكثرهُ متر واقلهُ ٣٥ سنتمتراً والمتوسط السنوي نحو ٦٠ سنتمتراً

واذا قوبل منسوب البركة الآن بمنسوبها منذ خمس وعشرين سنة ظهر انها ارتفعت اولاً ثم انخفضت ثم ارتفعت وارتفاعها وانخفاضها قليلان · وهاك جدول مناسيبها بالمتر في اول مارس هذه الخمس والعشرين سنة منقولة عن تقارير وزارة الاشغال العمومية

السنة	المنسوب تحت سطح بحر الروم
١٨٩٣	٤٤,٥٩
١٨٩٤	٤٤,٦٥
١٨٩٥	٤٤,٩٨
١٨٩٦	٤٤,٩٧
١٨٩٧	٤٥,٠٨
١٨٩٨	٤٥,١٣
١٨٩٩	٤٥,٠٦
١٩٠٠	٤٤,٩١
١٩٠١	٤٤,٧١
١٩٠٢	٤٥,٠٠
١٩٠٣	٤٥,٢٤
١٩٠٤	٤٤,٩٩
١٩٠٥	٤٤,٥٨
١٩٠٦	٤٤,٥٩
١٩٠٧	٤٤,٣٣
١٩٠٨	٤٤,٢٥
١٩٠٩	٤٤,٣٠
١٩١٠	٤٤,٣٢
١٩١١	٤٤,٢٣
١٩١٢	٤٤,٢٠
١٩١٣	٤٤,٤٥
١٩١٤	٤٤,٩٥
١٩١٥	٤٥,١٥
١٩١٦	٤٥,٤٤
١٩١٧	٤٥,٤٥

ولأخذ هذه المناسيب ادارة مخصوصة

ومقياس مخصوص وهي تحفظ بالتدقيق في مديرية الفيوم وفي وزارة الاشغال العمومية

ولهذه المناسيب فائدة كبيرة في فصل بعض المشاكل والخصومات التي تقع بين الملاك المجاورين لبركة قارون مثال ذلك ان يقال ان رجلاً اشترى ارضاً من الحكومة حددتها في ١٢ يونيو سنة ١٨٩٤ وقالت في تحديدها « ان حدها البحري اطيان غرقانة بمياه بركة قارون» ورسمتها وكتبت على الرسم عند حدها البحري « الاطيان الغرقانة بمياه بركة قارون» ثم وضع هذا الرجل يدهُ على اطيان بينها الآن وبين بركة قارون ارض عرضها نحو ١٥٠ متراً وكان ارتفاعها عن بركة قارون في ٢١ يوليو الماضي ثلاثة امتار. فيستحيل ان تكون هي نفس الاطيان التي اشتراها من الحكومة لان بركة قارون لم تهبط من سنة ١٨٩٤ الى الآن ثلاثة امتار بل هبطت اقل من متر لان منسوبها كان في ١٢ يونيو سنة ١٨٩٤ ٤٤،٨٦ وفي ٢١ يوليو هذه السنة ٤٥،٨٠ ولذلك كان حد هذه الاطيان البحري سنة ١٨٩٤ اعلى من بركة قارون باكثر من مترين فهي حتماً غير الاطيان التي كان حدها البحري غرقان بمياه بركة قارون اي غير الاطيان التي اشتراها من الحكومة

المهاجرة من اوربا الى اميركا

بلغ عدد الذين هاجروا من اوربا الى اميركا في اواخر القرن الماضي وفي هذا القرن عند تعاظم سيل المهاجرة ٣٣ مليوناً منهم ثمانية ملايين ونصف مليون من انكلترا وستة ملايين من المانيا ومليونان من بلاد سكندنافيا (اي الدنمرك واسوج ونروج) والبقية من بلاد اوربا المختلفة . ويقدر عدد المهاجرين من ارلندا باكثر من نصف المهاجرين من انكلترا كلهم اي نحو ٤ $\frac{1}{2}$ مليون ومن رأي البعض ان سيل المهاجرة من اوربا الى اميركا لا ينقطع على مرور الايام وان عدد سكان الولايات المتحدة سيبلغ ٥٠٠ مليون سنة ٢٢١٧ فيخص الميل المربع ١٦٦ نفساً . ولا يخشى ان تغص الولايات بهم لان الميل المربع منها يحتمل ٥٠٠ نفس. فاذا حسبنا ان ثلث مساحتها لا يصلح للسكن فان الثلثين يسعان ٩٠٠ مليون

الكهربائية والزراعة

جربت في انكلترا تجارب لبيان فعل الكهربائية في انماء الزرع فاختير لذلك بقعة مساحتها ٩ افدنة زرعت فيها بذور الاوت في ٢٧ مارس واقيمت التجارب فيها تحت مراقبة مس ددجن . وخلاصتها اطلاق مجرى كهربائي على اسلاك تمرّ بين الزروع مراراً كثيرة جمعت فكان مجموع مدتها ٨٤٨ ساعة. فلم ينتصف شهر مايو حتى ظهر ان الزروع المكهربة اكثر نموّاً من الزروع التي لم تكهرب

وبقيت الاولى محافظة على اسبقيتها الى آخر الموسم . وكانت الكهربائية تطلق في النهار فقط ولا تطلق البتة عند نزول المطر . فكانت النتيجة ان موسم الارض المكهربة زاد على الموسم الآخر ٤٩ في المئة حبوباً و٨٨ في المئة تبناً . وقدرت زيادة الثمن بستة جنيهات وسبعة شلنات في كل فدان . وبلغت نفقة الكهربائية ١١ شلناً فقط

وهذه التجارب هي تتمة تجارب اخرى جربت قبلها لمعرفة تأثير الكهربائية في الزراعة . ومما يستحق الذكر ان موسم البرسيم الذي زرع بعد الاوت كان احسن في الارض المكهربة منهُ في غير المكهربة . ومن رأي اصحاب هذه التجربة انهُ لا يزال هناك عدة امور يجب استجلاؤُها قبل الحكم البات في تعميم استعمال الكهربائية لتحسين الزراعة

البنجر بدل القطن

كتب كاتب في السينتفك اميركان يقول ما خلاصتهُ : حار الناس في كيفية حصول المانيا على القطن لعمل النتروسليولوز الذي يصنع منهُ البارود اللادخاني . فقد ظهر من التجارب ان الخشب لا يقوم مقام القطن في هذه الصناعة وان البارود الذي يصنع من النشا دونهُ في صفتهِ . فلا يقوم مقام القطن تماماً في هذه الصناعة سوى مادة هي نفاية مادة اخرى كثيرة الوجود في المانيا بوجه خاص . واريد بها نفاية البنجر . فان جميع السكر الذي يباع في المانيا يستخرج من البنجر فتبقى النفاية وهي تقدر بملايين الاطنان فلا يبعد ان يستخرج الالمان منها المادة اللازمة لعمل البارود اللادخاني . اما ان هذه المادة تصلح لعمل هذا البارود فاعرفهُ من اختباري الماضي في اعمالي . فقد صنعت منها هذا البارود مع ضعف الوسائط وقلة الآلات اللازمة لذلك واری ان مثل ذلك لا يعسر على كيماويي الالمان مع الوسائل الكثيرة التي عندهم . ولست اعلم علم اليقين ان الالمان يصنعون البارود المذكور من رب البنجر بعد استخراج السكّر منهُ ولكني لا اشك في ذلك لان القطن نادر عندهم في هذه الايام ورب البنجر افضل كثيراً من ربّ الخشب لعمل السليولوز فضلاً عن انهُ موجود بكثرة على الدوام وهو نفاية صناعة كبيرة هي صناعة السكّر

هبات عالم كريم

توفي في كندا السر وليم مكدونلد رئيس جامعة مكجيل المشهور بهباتهِ العلمية الكثيرة . فما أنفق على هذه الجامعة ٧٠ الف جنيه لبناء بناية للهندسة كاملة العدة ما عدا المال الذي وقفهُ لها وقدرهُ ٤٢ الفاً . و٦٠ الف جنيه على بناء بناية للطبيعيات . و١٠٠ الف جنيه على بناية للكيمياء والتعدين

وتعليم فن البناء . ووهب ٣٠ الف جنيه لمدرسة الحقوق و١٨ الف جنية لعلم الطبيعة و١٠ آلاف جنيه لمقاصد اخرى . واشترى للجامعة المذكورة قطعة ارض في جوارها بثني الف جنيه . وانفق ٣٦ الف جنيــه على اصلاح التعليم في القرى . وختم هذه المكارم بمكرمتين عظيمتين اولاهما انشاء كلية سميت باسمهِ للعلمين والفلاحين وزوجاتهم كلفت ٦٠٠ الف جنيه . وثانيتهما انهُ لما تمّ انشاء هذه الكلية وهبها الجامعة مكجيل مع ٤٠٠ الف جنيه وقفاً عليها . فيكون مجموع ما انفقهُ على التعليم ١٥٦٦٠٠٠ جنيه

تشابه الاشقاء والشقائق

جرب بعض العلماء تجارب ليعلم منهــا الى ايحدّ تتشابه الاشقاء والشقائق (اي الاولاد من اب واحد وام واحدة) في الصفات العقلية وهل هذا الشبه اعظم في الصفات العقلية التي تؤثر فيها التربيــة المدرسية ام لا . واتخذ قياساً لتجاربهِ سرعة تعلم القراءة وسرعة الكتابة ونوعها والقدرة على التهجية وسرعة الادراك وقوة الحافظة والقوة البدنية . فوجد ان تشابه الاشقاء والشقائق شديد في الصفات العقلية والبدنية واشدَ في الصفات التي لا تؤثر فيها التربية المدرسية منها في غيرها . ومآل ذلك الى تأييد المذهب القائل ان عقل المرء هو في الاكثر نتيجة الوراثة مثل جسمهِ وان اثر البيئة ضئيل فيما بين الاقرباء الاقربين من وجوه الشبه

الجرائم والوراثة

يؤْخذ من مقالة نشرت في مجلة يوجنكس الانكليزية (اي اصلاح النسل) ان هناك علاقة متينة بين الوراثة وجرائم الاحداث . فان الكاتب درس تاريخ اثنتي عشرة عائلة فظهر لهُ من هذا الدرس شدة علاقة الوراثة بالجرائم . ومن رأْيهِ ان ارتكاب الاحداث للجرائم نتيجة مباشرة عن البيئة التي يكونون فيها سواء في ذلك اقوياء العقول وضعافها . وعليهِ اذا أُريد اصلاح النسل وجب الاهتمام بعمل الطبيعة والتربية معاً لا منفردين

موسم القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية من اول سبتمبر الماضي الى ٢٧ يوليو ٥٠١٢٢١٧ قنطاراً يقابلها ٤٥٨٢٧١٦ من العام الماضي و٦٣٤٤٣٤٩ من العام الذي قبلهُ

وبلغ الصادر من اول سبتمبر الى ٢٧ يوليــو ٤٥١٦٠٩١ قنطاراً يقابلهــا ٥٣٦٨٨٥٧ في العام الماضي و٦٠٣٦٧٨٥ في العام الذي قبلهُ

صوت انفجار الالغام

يقال ان كثيرين من اهل لندن وضواحيها وفي جملتهم رئيس الوزارة الانكليزية سمعوا صوت انفجار الالغام في ابتداء معركة مسين بفرنسا . وقد سجلت آلة رصد الزلازل في مرصد شيد زلزلة خفيفة في يوم الانفجار فلا يبعد ان تكون نتيجة ذلك الانفجار . ويعلم القراء من التلغرافات التي جاءتنا في حينها انهُ انفجر حينئذٍ ١٩ لغماً في وقت واحد على مدى عشرة اميال وان زنة المواد التي انفجرت بلغت ٤٥٠ طنًّا فثغر الانفجار فوهة كفوهة البركان قطرها ٣٠٠ قدم وعمقها ٧٠ قدماً

الخزف الفرنسوي

كانت فرنسا تشتري من المانيا سنوياً قبل الحرب ٥٠٠ طنٍ متريٍ من الخزف الذي يستعمل في العدد الكهربائية ولكنها تصنع الآن ما يلزمها منهُ وما يزيد على حاجتها . فان سبعة معامل تصنع في السنة ٥٠٠٠ طنٍ وتؤمل ان تصير بعد قليل بحيث تستطيع صنع ٩٠٠٠ طن او اكثر

الذهب في العام الماضي

بلغت قيمة المستخرج من الذهب في العام الماضي ٩٥٧٢٥٠٠٠ جنيه وقيمة كل المستخرج من سنة ١٨٥٠ الى آخر السنة الماضية ٢٦٤١٠٣٨٠٠٠ جنيه . وكان المستخرج من الترانسفال وحدها في العام الماضي ٣٩٤٨٥٠٠٠ جنيه ومن الولايات المتحدة الاميركية ١٩٠٣٧٠٠٠ ومن استراليا ٨٨٤٢٠٠٠ جنيه . وجملة ما استخرج من استراليا من اول اكتشاف الذهب فيها الى آخر العام الماضي ٦٦٠٢٣٦٠٠٠ جنيه

المعالجة بالكهربائية

كتب جرَّاح الى مجلة «لانست» الطبية الانكليزية يقول : نعالج بالكهربائية اصابات الروماتزم تحت الحادة والمزمنة والتهاب الاعصاب والجروح العفنة غير المؤلمة وتيبس المفاصل وغير ذلك من الامراض . ففي هذه الجروح يكون فعل المعالجة بالكهربائية ازالة الرائحة الكريهة المتصاعدة عنها سريعاً والتئامها التئاماً سهلاً طبيعيًّا

الفضة في العام الماضي

بلغ ما استخرج من الفضة في العام الماضي ١٧٧٤٠٠٠٠٠ اوقية فقط وكان في العام الذي قبلهُ ١٩٣٩٠٠٠٠٠ وبلغ المستخرج السنوي اكثرهُ في السنين الاخيرة سنة ١٩١١ فانهُ بلغ حينئذٍ ٢٢٦٢٠٠٠٠٠ اوقية

تسمم الطعام

في اميركا شركة كبيرة لصنع الاطعمة الحيوانية والنباتية وبيعها محفوظة في العلب. تبرعت بمبلغ ٣٠ الف ريال لجامعة هارفرد تنفق مدة ثلاث سنوات على مباحث وامتحانات تعرف بها ماهية «تسمم» الطعام الذي اصطلحوا على نعتهِ بالبتومايين وخصوصاً ما حفظ منهُ في العلب. وقد تولت مدرسة هارفرد الطبية هذا البحث بعدما اشترطت ان تترك حرّة في اختيار الطرق والاساليب التي تستصوبها

مكافحة مرض النوم

كتب بعضهم الى مجلة ناتشر من المستعمرة الالمانية التي احتلها الانكليز في شرق افريقية يصف طريقة لمكافحة ذبابة تستسي التي تسبب مرض النوم. وخلاصتها ان يشعل نوع من الغازات ويفضل النوع الذي لا يضرّ الناس ولكنهُ يضرّ الذباب فتحملهُ رياح المواسم (وهي تهب هناك من الشرق فوق البحر الى الغرب) الى داخلية البلاد فوق البقاع التي يكثر الذباب فيها فيميتهُ

الحديد في سنة ١٩١٥

ليس لدينا احصاء عما استخرج من الحديد في العام الماضي اما ما استخرج سنة ١٩١٥ فبلغ ٦٤٥٢٠٠٠٠ طن وكان اكثر من ذلك كثيراً قبل الحرب ففي سنة ١٩١٣ بلغ ٧٩٤٠٠٠٠٠ طن

النحاس في العام الماضي

بلغ ما استخرج من النحاس في العام الماضي ١٣٩٧٠٠٠ طن ولم يبلغ هذا المقدار في السنين السابقة فكان ١٠٦١٠٠٠ سنة ١٩١٥ و ٩٢٤٠٠٠ سنة ١٩١٤ و ١٠٠٦٠٠٠ سنة ١٩١٣

البوتاسا من خشب الموز

ظهر من بعض التجارب الحديثة ان الطن من جذوع شجر الموز وسوقهِ يصير ١٨٨ رطلاً بعد تجفيفهِ فيها ١٣,٧ في المئة بوتاسا

اللبن المغذي

ظهر من البحث في تركيب اللبن ان اللبن الجيد يجب ان يكون فيهِ ٨,٥ في المئة من المواد الجامدة غير المصل وغير السمن و٣,٢٥ في المئة من السمن او الزبدة

هبة ايطالية

يقال ان رجلاً ايطاليًّا من نزلاء مرسيليا وهبها مليونًا وار بمائة الف جنيه لانشاء مستشفى كبير

فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٥

السر هنري روسكو

Sir Henry Roscoe

فقد الانكليز في اوائل هذه الحرب عالمين كبيرين وكيماويين مشهورين السر هنري روسكو والسر وليم رمزي . اتفقا في براعتهما الكيماوية واختلفا في اميالهما السياسية

فان السر وليم رمزي كان عدوًّا لاساليب الالمان كما يظهر من مقالاتهِ الكثيرة التي نشرها في مجلة ناتشر لا يكاد يعترف لهم بفضل . ومن اقوالهِ المأثورة ان الغرض الذي يرمي اليهِ الالمان هو سيادة الخاصَّة على العامَّة وهم مكروهون في معاملاتهم فان اساليبهم بعيدة عن الانصاف وكلامهم لا يوثق بهِ حتى رجال العلم منهم لا يبرأُون من ذلك . وقد نقلنا عنهُ في مقتطف نوفمبر ١٩١٤ قولهُ « ان الالمان يعاملون الضعيف منهم بالشدَّة الى ان يقوى او يموت ولذلك قوي مجموعهم وصار غرضهم الذي يرمون اليهِ التسلط على المسكونة وعندهم انهم اذا تسلطوا عليها اصلحوها . وقد صار هذا رأي كل طبقاتهم وهو الذي قادهم الى هذه الحرب وهم يتوسلون بكل وسيلة لنيل هذه الغاية حقًّا كانت او بطلاً

« امَّا هذه آراؤُها وهذه مطالبها لا يستطاع الصبر عليها . لا مشاحة في ان الالمان رقَّوا العلوم والفنون ولبعض افرادهم شهرة واسعة وفضل لا ينكر ولكن الابتكار قليل عندهم وجهد ما يفعلونهُ انهم يتناولون مكتشفات غيرهم ومخترعاتهم ويستخدمونها في الاعمال ويجرون فيها على اساليب من الدقة والتقييد تنطبق على طبعهم المشار اليهِ آنفاً كأنهم جنود في جيش عامل . ويقال ان آدابهم في التجارة ليست الآن على ما يرام فلا يوثق بكلامهم ولا يركن الى معاملتهم . وهم في العلم غير معصومين من هذه المعرَّة وعليهِ فهم عائدون الى

البربرية رغماً عن دعواهم انهم متفوقون في العمران. وفعال جنودهم القبيحة كقتل الابرياء غير المحاربين وتخريب المباني الفاخرة ومعاملتهم النساء والاولاد باشد انواع القسوة كل ذلك من مظاهر طباعهم

« ولذلك فهذه الحرب التي اثارتها المطامع تناولتها المروءة فضربت بها الفظاظة والمبادىء فضربت بها الاغراض وتناولها الحق فضرب بها الباطل . وتدلُّ الدلائل الآن على ان النصر سيعقد للحلفاء و يكون الفوز للعدل والرحمة . و يجب ان يكون شعار الحلفاء منع الحرب بتاتاً في المستقبل ونزع الاستبداد الذي نخر آداب الامة الالمانية كالآكلة حتى لا ينمو ثانية

« ولا خوف من ان العلم يضعف بضعف الالمان لان ليس لهم فيهِ شأن كبير بل قد يقوى بتقليل ادعيائهِ . واكثر ما ينسب الى الالمان يجب ان ينسب الى الاسرائيليين الذين سكنوا بلادهم . ونحن واثقون ان الشعب الاسرائيلي يستمرُّ في خطتهِ و يتابع اشغالهُ العلمية والفلسفية »

اما السر هنري روسكو فكان رأيهُ في الامة الالمانية مخالفاً لرأي السر وليم رمزي

ولد في ٧ يناير سنة ١٨٣٣ و يتم من ابيهِ وعمرهُ اربع سنوات فربتهُ امهُ وربت فيهِ الميل العلمي فدرس في مدرسة لندن الجامعة ونال شهادة بكالوريوس في العلوم ثم مضى الى جامعة هيدلبرج بالمانيا حيث كان بنصن الكيماوي استاذاً للكيمياء وكان في اوج شهرتهِ حينئذٍ واليهِ ينسب توجيه اميال روسكو الى قرن علم الكيمياء بالعمل . فدرس هناك ثلاث سنوات وعاد الى انكلترا معجباً بالالمان . و بعد سنة جُعل استاذاً للكيمياء في كلية منشستر خلفاً للاستاذ فرنكلند فاقام في هذا المنصب ثلاثين سنة واليهِ ينسب الفضل في جعل الكيمياء علماً عملياً في البلاد الانكليزية وكان يعترف دائماً بفضل استاذهِ بنصن عليهِ . وكانت المودة محكمة بينهُ و بين كثيرين من علماء الالمان مثل منغس وروز وهلمهلتز وكوب وكشهوف وكونكي . ثم لما جعلت العلاقات تتوتر بين انكلترا والمانيا استاء من ذلك وكتب يقول انهُ اذا نشبت حرب بين هاتين الامتين المتصلتين نسباً وعقلاً كان ذلك من اعظم البلايا على العمران . وقضى ايامهُ الاخيرة وهو آسف كاسف البال حاسباً ان مصالح العلم ستداس بهذه الحرب

ومؤَلفات روسكو كثيرة فكتابهُ الكبير في الكيمياء ظهر في مجلدات كثيرة وهو اوسع ما كتب في الكيمياء حتى الآن . وكتابهُ الصغير في مبادىء الكيمياء يدرَّس في المدارس لانهُ جمع فاوعى على ما فيهِ من الاختصار . وكتابهُ في الحل الطيفي من اوسع ما كتب في بابهِ . ولهُ مباحث دقيقة في الفناديوم والنيوبيوم والتنجستن والاورانيوم وما اشبه من العناصر الكيماوية

الولايات المتحدة الاميركية والحرب

أغرورٌ واعتداد بالذات ام تقدير وتدبير حملت الالمان على ابداء العداء للولايات المتحدة الاميركية وتحدّيها يوماً بعد يوم حتى اضطرت ان تمتشق الحسام وتنضم الى الحلفاء في هذه الحرب الزبون · المرجح عندنا ان الغرور هو الحامل لهم على ذلك

وما نرجحهُ نحن يكاد الالمان انفسهم يرجحونهُ كما يظهر من اختلاف لهجتهم الآن عنها قبل هذا الانضمام ولاسيما بعد ان حبطت مساعيهم في بلاد المكسيك التي استفزوها لمشاغبة الاميركيين ومحاربتهم · وقد بان لهم الآن انهم اخطأوا في اعتمادهم على المكسيك كما اخطأوا في تقديرهم الاول وهو الوصول الى باريز والقضاء على قوة فرنسا في بضعة اشهر ثم القضاء على قوة روسيا والعودة الى انكلترا · والظاهر انهُ لولا ثقتهم بالفوز العاجل ما اضرموا نار هذه الحرب بل سعوا مع الساعين الى الاتفاق على ما يريح الامم من النفقات الحربية ويضمن لها السلام سنين كثيرة · ومن المحتمل انهُ لو اتفقت الدول على ذلك لأيّدت مبدأ اهتضام القوي للضعيف الذي لا يستطيع المقاومة وجرت على فلسفة الالمان وهي القضاء على مَن ليس في عرفهم صالحاً للبقاء او استخدامهُ في مصالحهم كالبهم البكماء

وعسى ان يكون من انضمام الولايات المتحدة الى الحلفاء اكبر ضامن لفوز العدل على الظلم والحرية على الاستبداد

والولايات المتحدة اكبر البلدان المتمدنة واغناها بلا نزاع يزيد عدد سكانها على مئة مليون من النفوس لكنها لما اعلنت اشتراكها في هذه الحرب في ٤ ابريل الماضي كان جيشها اقل من جيش سويسرا ولم يكن في اسطولها طراد واحد من نوع الدردنوط ولم يكن فيهِ من الطرادات السريعة سوى ثلاثة ولم يكن عندها من الغواصات العاملة سوى خمسين وعند الالمان فيما يقال ٣٢٥ غواصة

لكن الشعب الاميركي هو مصدر قوتهِ الفائقة بعلمهِ وحزمهِ · وقد يقال ان خمسةً من اصل الماني وهؤلاء قد يمالئون الالمان على الحلفاء · والعدو الداخل اقوى على الضرر من عشرة اعداء خارجين · ولكن يقال ان الذين اظهروا ميلهم الى الالمان لا يزيدون على خمسة في المئة وقد كان ذلك قبل الحرب حينما كانت الدعوة الالمانية في اوجها فلما ضعف شأنها انكفأ اكثرهم عنها · وقد اعتمدت الحكومة الاميركية على جعل التجنيد اجباريًّا واحصت

الرجال الذين سنهم بين الحادية والعشرين والثلاثين فبلغوا عشرة ملايين فعزمت ان تختار منهم اولاً مليونين تدرب منهم خمسمائة الف فخمسمائة الف أُخرى وهلم جرًّا ثم تختار مليونين آخرين ومليونين بعدهما الى ان تضع الحرب اوزارها . وإعداد العدد الكافي من الضباط والقواد لهذا الجيش العرمرم صعب جدًّا ولكنهُ ليس اصعب على الاميركيين مما كان على الانكليز منذ ثلاث سنوات . فان ابناء المدارس الاميركية مثل ابناء المدارس الانكليزية ربوا لكي يكونوا ضباطاً بقليل من التدريب . والشاب الاميركي ينشأ على حب الالعاب الرياضية فيركب الخيل ويطلق الرصاص ولا ينقصهُ شيءٌ من الصفات العسكرية وهو شديد النجدة لا يحجم عن خصام اذا لزمت لهُ قوة . فلا خوف اذاً من قلة الجنود او عدم استعدادهم او تعذر وجود الضباط لهم

اما الاسطول فامرهُ اسهل من امر الجيش لان الاسطول الاميركي كان من الاساطيل القوية ليس فيهِ طرادات من نوع الدردنوط ولكن كان فيهِ ٢٣ بارجة من البوارج السابقة للدردنوط و١٣ بارجة من نوع الدردنوط وبعضها من الدردنوط الاعلى الذي قطر فوهة المدفع من مدافعهِ ١٤ بوصة وكانت الحكومة الاميركية قد شرعت في بناء ست بوارج من نوع الدردنوط الاعلى . وكانت ميزانيتها البحرية اقل من ثلاثين مليون جنيه سنة ١٩١٦ فجعلتها في فبراير الماضي قبيل دخولها في الحرب نحو ٧٦ مليون جنيه واقرّت على انفاق ١٠٣ ملايين من الجنيهات تبني بها اربع بوارج من نوع الدردنوط الاعلى تضع فيها مدافع من عيار ١٦ بوصة . واربع طرادات حربية من نوع الدردنوط و٣٠ غواصة و٢٠ مدمرة وذلك في ثلاث سنوات ثم تلحقها بست بوارج وطرادين من نوع الدردنوط وما يلزم لها من سائر السفن الحربية . وخوّل وزير البحرية ان ينفق ثلاثين مليون جنيه على بناء المدمرات ونحوها مما تدمر بهِ غواصات الالمان

ومعامل اميركا اقدر معامل المسكونة كلها في استعدادها لبناء السفن وعمل الآلات والاسلحة . والمعمل الذي يستطيع ان يصنع خمسمائة الف اوتوموبيل في السنة اي الف وسبعمائة اوتوموبيل كل يوم يستطيع ان يصنع ما يريد من الطيارات والغواصات والمدمرات مهما زاد عددها وكبر حجمها

وهذه الزيادة في الاسطول الاميركي تقتضي زيادة كبيرة في البحارة وضباطهم وامراء البحر . وشأن الحكومة الاميركية في ذلك شأن الحكومة الانكليزية حينما دعت هذه الحرب الى زيادة اسطولها وزيادة الالوف من البحارة والضباط لان الشعب الاميركي لا يقل عن

الشعب الانكليزي في حب اقتحام الاخطار وسرعة التدرُّب على الاعمال ولا سيما ان سواحلهُ البحرية كثيرة حول الاوقيانوس والبحيرات الاميركية وبحَّارة سفنهِ التجارية يعدون بعشرات الالوف وعندهُ مدارس بحرية لتربية الضباط وامراء البحر وهي قد لا تكون كافية الآن ولكن معدن الرجال على تمام الاستعداد لعظائم الاعمال

والولايات المتحدة اقل استعداداً من غيرها لمحاربة المانيا في الهواء لقلّة ما عندها من الطيارات والطيارين ولكن البلاد التي اخرجت ولبور واورڤل ريط وانشأت معامل يصنع الواحد منها نصف مليون اوتوموبيل في السنة لا يتعذر عليها ان تصنع الوفاً من الطيارات في سنة واحدة وتدرّب الالوف من الطيارين . وسنفرد لهذا الموضوع المقالة التالية

قلنا ان الولايات المتحدة اغنى البلدان كلها . وقد بدت فائدة غناها للحلفاء في ان حكومتها اقترضت من شعبها ١٤٠٠ مليون جنيه بفائدة ½ ٣ في المئة سنويًّا لكي تقرضها للحلفاء بهذه الفائدة . وهي غنية بالمعادن والغلال غناها بالنقود وقد اخذت تساعد الحلفاء في ذلك كلهِ

لكن كثرة الاجانب فيها ستكون من المشاكل التي تعوق سيرها بعض الشيء فنيو يورك المدينة الكبرى سكانها ٥٦٠٠٠٠٠ ومن هؤلاء ٢٧٨٠٠٠ المان و٢٦٠٠٠٠ نمسويون ومجريون و٢٥٢٠٠٠ ارلنديون و٤٨٤٠٠٠ روس و٣٤٠٠٠٠ ايطاليون . وشيكاغو عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠٠ فيهم ٣٥٠٠٠٠ من الالمان والنمسويين والمجر . وقس على ذلك سائر المدن الكبيرة . وفي الولايات كلها عشرة ملايين من السود وهم في بعض الجهات اكثر عدداً من البيض . فليس من السهل التوفيق بين هذه العناصر وجعلها كلها على قلب واحد . وما من بلاد استطاعت ان تجمع بين العناصر المتباينة جنساً وديناً ولغات ومشارب واميالاً وتجعل منها امّة واحدة حربية في بضعة اشهر . واكبر فارق الآن فارق اللغة فان لهؤلاء النزلاء خمس مئة جريدة بالبوهيمية والدنماركية والفنلاندية والفرنسوية والالمانية واليونانية والهولندية والمجرية والايطالية والنروجية والبولندية والاسوجية والعبرانية والعربية وما اشبه حتى يعجز الرقباء عن مراقبتها ولكن لو كانوا كلهم من اصل واحد او من بيت واحد وامة واحدة لوجدت بينهم اختلافات كثيرة يصعب التوفيق بينها . والعبرة في هذه الامور بالاكثرية الكبرى وقد ظهر حتى الآن ان هذه الاكثرية مع الحلفاء قلباً وقالباً

الحرب في الهواء

"الحرب في الهواء" كلمة كانت تقال لما هو وَهْمٌ لا حقيقة لهُ . ثم لما اتقنت الطيارات بعض الاتقان ألَّف بعضهم رواية تخيَّل فيها ان اكثر المعارك الحربية انتقلت من الارض الى الهواء فركب الجنود الطيارات بدل المركبات البرية والمراكب البحرية وتقاتلوا في عنان الجو . وما كان حينئذٍ خيالاً وهميًّا صار الآن حقيقة راهنة فقد نُقل الينا قبيل كتابة هذه السطور ان الحكومة الاميركية قطعت الاموال اللازمة لبناء ٣٥٠٠ طيارة حربية وتعليم ٦٠٠٠ طيار . ومن رأي المستر هنري ودهوس من كبار المهتمين بالطيران ان اميركا تستطيع ان تصنع ٥٠٠٠ طيارة قبل ختام هذه السنة . والآن يبلغ عدد الطيارين الاميركيين في جيوش الانكليز والفرنسويين في فرنسا الف طيار . ومع الجيش الفرنسوي فريق قائم برأسهِ كلّهُ من الطيارين الاميركيين . فالرجال الاميركيون على استعداد تام لركوب الطيارات ويقال ان كل مَن يركب الخيل يسهل عليهِ ركوب الهواء

وكل يوم تأتينا الاخبار عن فعال الطيارين في ميادين القتال فانهم قاموا مقام الفرسان في استكشاف مواقع العدو وخنادقهِ ومدافعهِ فيطيرون فوقها ويرشدون جنودهم حتى يسدّدوا مدافعهم اليها او يرمونها بالقنابل ويدمرونها تدميراً . وقد يلتقون بطياري العدو فينشب القتال بينهم من كر وفر وهجوم ودفاع ومناجزة بالبنادق والمدافع والقنابل الى ان تدور الدائرة على احد الفريقين فيلوذ بالفرار او تتلف طيارتهُ او تقع بهِ او يقتل فيها . وقلما يمرُّ يوم ولا يقال فيهِ انهُ حدثت معركة او معارك من هذا القبيل في الميدان الغربي

ولا يقتصر فعل الطيارات على الاستطلاع والارشاد بل انها تغير على دور الصنعة ومستودعات الذخيرة ومعامل الاسلحة والقطارات الحربية والمراكب والبوارج والغواصات والنسافات وتدمر كل ما تستطيع تدميرهُ بما تقذفهُ من القنابل الشديدة الانفجار . وقد زاد الالمان على ذلك انهم يغيرون على المدن الآمنة الآهلة بالسكان ويلقون القنابل عليها لا لقتل المحاربين واتلاف المواد الحربية بل لارعاب الناس بقتل نفر منهم كما فعلوا في عاصمة الديار المصرية في الخريف الماضي حينما اغارت عليها طيارة المانية والقت فيها بضع قنابل فقتلت وجرحت بعض المارة . وكما فعلت بعض الطيارات الالمانية بمدينة لندن في ٧ يوليو الماضي فانها كانت اثنتين وعشرين طيارة وكان معها نحو مقدار كبير من المواد المتفجرة

فقتلت بها ٢٩ رجلاً و ٦ نساء و ٥ اولاد وجرحت ٩٨ رجلاً و٤٤ امرأة و٥٢ ولداً وجملة القتلى والجرحى ٢٣٤ نفساً . وهو عدد لا يذكر من مدينة سكانها سبعة ملايين ولا شأن لهُ في معارك هذه الايام التي يقتل في المعركة منها الوف وعشرات الالوف . ولو اغارت هذه الطيارات على مدينة لندن مئة يوم متوالية وقتلت كل يوم ما قتلتهُ في اليوم الاول ما زاد قتلاها على ٤٠٠٠ نفس وكم من معركة من معارك هذه الايام يقتل فيها في يوم واحد اكثر من ذلك ومع هذا فالحرب سائرة سيرها والخصمان لا يروعها قتل هذه الالوف. فاذا كان احد الخصمين يظن انهُ يقضي على الخصم الآخر بثلاثين طيارة او بثلثمائة طيارة يطير بها على مدن خصمهِ فهو في ضلال مبين . ولكن لو كان عدد الطيارات ثلاثة آلاف او خمسة آلاف وقتلت في كل غارة عشرة آلاف نفس وجرحت عشرين الفاً وكررت ذلك يوماً بعد يوم وخربت جانباً كبيراً من المدن كل مرة لترجح انها تنال بغيتها من خصمها . وهذا ما تنو بهِ الحكومة الاميركية فانها عازمة ان تصنع الآن ٣٥٠٠ طيارة كما تقدم ويقال انها تستطيع ان تصنع ٥٠٠٠ طيارة وتتمها قبل آخر السنة. فاذا صنعت هذا العدد العديد من الطيارات ودربت الطيارين على الطيران والقاء القنابل فقط وارسلت معهم قليلاً من الطيارين المتدربين على الحرب في الهواء هجوماً ودفاعاً حتى يحموهم من طياري العدو وقصدوا المدن الالمانية الآهلة بالسكان والقوا عليها الوف الاطنان من القنابل خربوها تخريباً وقتلوا اكثر سكانها فتنتهي الحرب باسرع ما يمكن . واذا لم يستحلوا فعل ذلك بل اقتصروا على الفتك بالمحاربين ومنع وصول الذخيرة اليهم بتخريب معامل الاسلحة والقطارات التي تنقلها وتنقل الزاد نالوا بغيتهم وقضوا لبانتهم على اسلوب يجيزهُ العرف ولو كان القتل قتلاً كيفما وقع ونفس الجندي ليست ارخص من نفس ابنهِ وزوجتهِ

والظاهر ان المانيا لا تستطيع ان تباري الحلفاء في كثرة ما تصنعهُ من الطيارات ولاسيما بعد ان انضمت اميركا اليهم . ولا شبهة ان اميركا تستطيع وحدها ان تصنع اضعاف اضعاف ما يصنعهُ الالمان والظاهر انها مصممة على ذلك وسترسل الالوف من الطيارات والطيارين الى اوربا بعضهم للقتال وبعضهم للغارة والتخريب والتدمير . والانكليز والفرنسويون باذلون اقصى اجهدهم في زيادة عدد العمال في معامل الطيارات . وقد قال الوزير لويد جورج بالامس انهم زادوا عدد العمال في معامل الطيارات ثلاثة وعشرين الفاً . كأن الطيارات صارت اكبر معتمد في هذه الحرب

كتب مدير جريدة الطيران في الجزء الاخير من مجلة لندن يقول « ان الطيار الذي

يطلب منهُ ان يقصد بلاد العدو ويلقي فيها القنابل يكفي لتدربهِ ستة اسابيع واميركا بلاد واسعة لا تخلو على مدار السنة من اماكن صالحة للطيران فتستطيع المدارس التي تعلّم هذا الفن ان تقصدها وتعلم الطيارين فيها . وهي تفعل ذلك الآن . وقد اشتهرت بانها تسرع فيما تصنعهُ من الآلات والادوات ورجالها لا يحجمون عن اقتحام المخاطر ولم ارَ رجلاً يحسن ركوب الخيل الأَّ رأيتهُ يحسن الطيران بسرعة اذا قصد . وكم في اميركا من الشبان الذين يحسنون ركوب الجياد كأَنهم ولدوا على صهواتها

« ولا يخفى ان الاماكن التي تعتمد عليها المانيا في جلب الذخيرة منها كلها على مقربة من فرنسا حتى يسهل وصول الطيارين اليها والعودة منها فاذا قصدوها وخربوا ما فيها من المناجم والمسابك والمعامل وكرروا الهجوم عليها حتى منعوا اصلاحها فقدَ الجيش الالماني الجانب الاكبر من مصادر اسلحتهِ وذخيرتهِ واضطرَّ الوف من العمال الى العطلة . واذا قلَّت الذخيرة في يد الجيش فسدت امورهُ وتضعضعت احوالهُ وسهل القضاء عليهِ

« واذا كثر عدد العمَّال العاطلين تآمروا وكثرت شكواهم بعضهم الى بعض . واذا استمرَّ القاء القنابل عليهم ثبت لهم ان الجيش صار عاجزاً عن حمايتهم فيزيد تذمرهم ويجاهرون بالعصيان

« وزد على ذلك انهُ يسهل على الطيارين ان يتلفوا كل مرافىء الغواصات الالمانية التي في سواحل البلجيك واذا خربوا سد ترعة بروج الذي بينها و بين البحر في زيبروج انصبَّ ماؤُها كلهُ في البحر عند كل جزر فترتطم السفن الحربية الالمانية في الطين عند بروج او تخرج الى عرض البحر وتتعرض للتلف

« وتستطيع هذه الطيارات ان تخرب كل مستودعات الطيارات الالمانية في بلجكا وما يجاورها فلا يبقى سبيل لها لتغير على فرنسا او انكلترا »

وجملة القول ان الحرب في الهواء صارت حقيقة بعد ان كانت مجازاً وانهُ يحتمل ان يكون لها اليد الطولى في انهاء هذه الحرب . فاذا تحقق ذلك وجاء اكثر الطيارات والطيارين من اميركا كان لها الفضل الاكبر في تقصير مدة الحرب . واذا نتج عن هذه الحرب تقييد مطامع ذوي المطامع حتى لا يعتدوا على حقوق غيرهم نتج من الشر خير وحمد الناس سراهم عند صباحهم . واذا لم تفلح الطيارات ولا غيرها من الوسائل بل استمرَّت الحرب سنوات اخرى وتمكنت الحزازات من النفوس ثبت ان هذا العمران لا يصلح للبقاء

صفحة من تاريخ التجارة المصرية [1]

التنازع والتخاصم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند

ايها السادة الكرام وايها الابناء الانجاب

حياكم الله تحية مباركة طيبة ومتعكم جميعاً بالصحة والعافية وجعل تجارتكم رابحة في الدنيا والآخرة

وقفت بكم هذا الموقف منذ ثلاث سنوات ومن بواعث سروري الصحيح ان اقف بينكم اليوم ذلك الموقف مرة ثانية . وان اشاهد بعيني تقدُّم المدرسة المطرد في سبيل الفلاح . فانني اعتقد ان كل خطوة تخطوها أَية مدرسة الى الامام انما هي حجر جديد يوضع في دعائم الرقي الذي نتمناهُ لمصر . و يقيني ان بلادنا لن تفلح الفلاح المطلوب الأ اذا انصرفت طائفة كبيرة من ابنائها الى الشؤُون الاقتصادية وحوَّلوا همتهم الى الامور المالية ليكونوا قدوة صالحة للامة كلها في وجوب الاعتماد على النفس

ايها السادة

لو كان الانسان يستطيع ان يستغني عن غيرهِ من الناس وان يحصّل بنفسهِ كل ما يحتاج اليهِ في حياتهِ على اطلاقهِ فلا يطلب من غيرهِ شيئاً ولا يمدّ الى سواهُ يداً لا بالاخذ ولا بالعطاء لما احتاج الناس الى التجارة . ولكن الامر على غير ذلك فانهُ من المستحيل — حتى في الخيال — تصور هيئة اجتماعية مؤَلفة من شخص واحد يفي عملهُ بحاجات نفسهِ او مؤَلفة من اشخاص عديدة لا اختلاط بين افرادها بل كل منهم يكون عالماً قائماً بذاتهِ غريباً عن العالم الذي يحيط بهِ او يجاورهُ . فالسندباد البحري عند العرب وروبنسون كروزي عند الافرنج اذا كانا استطاعا — كما تقول الاقاصيص — ان يعيشا في عزلة تامة عن البشر لمدة ما — وان يجدا كل ما يحتاجان اليهِ انما هما من ابناء الخيال لا من ابناء الاجتماع . اما الانسان بحسب ما تدركهُ عقولنا اي باعتبارهِ جزءًا من الاجتماع الذي نعيش فيهِ لا هيئة كاملة مستقلة فهو من مهدهِ الى لحدهِ ومن مطلع فجرهِ الى مغرب شمسهِ محتاجٌ الى اخيهِ الانسان احتياجاً مطلقاً . وهذا ما يعبّر عنهُ الحكماء بقولهم « الانسان مدني بالطبع »

(١) من خطبة لصاحب السعادة احمد زكي باشا السكرتير الاول لمجلس النظار القاها في احتفال المدرسة الاميركية بالاسكندرية في ٢٩ يونيو مساءً عند توزيع الشهادات على المنتهين من تلامذة القسم التجاري منها

فهو يعطي جارهُ ما يزيد عن حاجتهِ مما يصنعهُ و يأخذ في نظير ذلك ما يحتاج اليهِ مما يزيد عن مطلوب جارهِ . وتلك هي التجارة

فالتجارة انما هي تبادل الحاجات بين الناس . ذلك هو تعريفها في ابسط مظاهرها . وانما اتسعت دائرتها وتشعبت احوالها باتساع دائرة العمران وازدياد الحاجيات ازدياداً هائلاً دعا اليهِ تبسط الناس في طلب النعيم وامعانهم في التهافت على الترف تبعاً لسنة الارتقاء

فليست التجارة عملاً كل فائدتهِ عائدة على التاجر وانما هي عمل عام يهم الجمهور كلهُ . وتزداد الاوطان قوة ورخاء و يسراً بنسبة رواج حركة التجارة فيها ومنافستها لغيرها في هذا الباب الفسيح من ابواب الرزق

رب قائل يقول : وما هي وظيفة التجارة بالتمام ؟ الناس هم الذين ينتجون والناس هم الذين يستهلكون . فاي مجال لذلك الدخيل بين فريقي المنتجين والمستهلكين ؟

أقول لكم تلك الوظيفة في كلمات وجيزة . يزرع الناس الارض و يدخلون الى بطونها فيستنبطون منها الارزاق والمعادن . يتسنمون قلل الجبال و يغوصون في اعماق البحار فيستخرجون منها اللآلىء والخيرات . ثم يكومون هذه المحاصيل التي تدرها عليهم امهم (الطبيعة) بلا حساب وتزيدهم منها كلما زادوا اقداماً . ولكن هذه المحاصيل يجب تصريفها وايصالها الى من يحتاجون اليها والا كانت عديمة الجدوى عديمة القيمة « والمندل الرطب في اوطانهِ حطب » . فالتجارة هي التي تتكفل بهذه المهمة لان وظيفتها تصريف هذه المحاصيل وتوزيعها . وهذا العمل منتج في ذاتهِ فعلاً لا مجازاً . لان الانتاج هو ايجاد قيمة لشيء انعدمت قيمتهُ او قلّت وهو ما تفعلهُ التجارة

لذلك كان للتجارة منذ بدء العمران اثر فعال في حياة الناس وكانت في كل حين من اقوى العوامل في انتقال مظاهر الحضارة من اقليم الى آخر . فكان التاجر وهو آتٍ بقافلتهِ من اقاصي البلدان الى بلد غريب يقتبس عنهُ و يبث فيهِ — ولو على غير علم منهُ — كثيراً من العادات والاخلاق والافكار . فكان كل تاجر رسولاً من رسل الحضارة في تلك الايام التي لم يكن فيها بخار ولا كهرباء ولا تليفون ولا تلغراف . وقد شهد التاريخ بان القوافل التجارية — البرية على متون الابل والدواب والبحرية على متون المراكب الشراعية بل على متون الاقدار — هي التي كانت واسطة الاحتكاك ووسيلة التواصل بين مختلف الامم من الجهتين الحسية والمعنوية

ومما يجب ان لا يبرح عن البال ان التجارة كانت ملازمة للحضارة في كل زمان ومكان فحيثما ارتقت احداهما ارتقت الاخرى حتماً وابنما انحطت الاولى ضاعت الثانية بلا جدال

انظروا قليلاً الى الماضي — بل الى الحاضر — وقولوا لي لماذا كان للبحر الابيض المتوسط على الدوام ذلك المركز الممتاز الذي لا يضارعهُ مركز سواهُ ؟ ولماذا انحصرت الحضارة القديمة تقريباً في البلاد الواقعة على ضفافهِ فكان سكانها اكبر الامم شأناً واعظمها جاهاً وأظهرها اثراً ؟ ليس ذلك لان البحر الابيض ماؤُهُ عذب فرات وماء غيرهِ من البحار ملح أجاج. ثم هو في الواقع صغير اذا قيس بغيرهِ من البحار. إنما السبب كل السبب هو في انهُ كان طريق التجارة بين الامم كان الصلة بين الشرق والغرب. وقد قلنا ان التجارة والحضارة متلازمتان هيهات ان تفترق احداهما عن الاخرى

تُرى أيهما كان العلة وأيهما كان المعلول ؟

أكان انتشار التجارة سبباً في رقي الحضارة ام كان تقدم الحضارة داعياً الى اتساع دائرة التجارة ؟ اللهم اني استغفرك من الزلل واعوذ بك من مواقف الخطل ! فانا مقر اني عاجز عن الجواب قاصر عن فصل الخطاب. وانما انا ارى ان كلاًّ منهما علة ومعلول سبب ونتيجة. فشأنهما شأن البيضة والدجاجة او هما كحلقة السلسلة المفرغة لا يدرى اين طرفاها

ولما كانت التجارة هي الدعامة الكبرى للثروة واضمن السبل للوصول اليها فهي إذن بلا جدال الأُس الذي يبنى عليهِ رقي الامم ورفعة شأنها. لذلك كان امل مصر كبيراً في أبنائها العاكفين الآن على تعلُّم التجارة عساهم يستردون لها مكانتها الجديرة بها حتى يصح لهم ان يصيحوا في جوانبها بملءِ افواههم : هذه بضاعتنا رُدَّت الينا

نعم فقد كان الشرق على الدوام ولا يزال المورد الذي تتناول منهُ بلدان العالم حاجاتها وتستجلب المواد الاولية اللازمة لمصنوعاتها. ولما كانت مصر هي الصلة بين الشرق والغرب وطريق التجارة العامة كان لها حتماً بسبب موقعها الجغرافي شأن لا يستهان بهِ. وهذا الشأن هو الذي جعلها مطمح الانظار ومرمى الابصار على ممر الازمان

لو شئت ان انوّه هنا — ولو بالايجاز التام — عن حالة مصر من هذا القبيل في مختلف ادوارها لاعجزني المقام وضاق بي المجال. ولكن لو قام بينكم اديب ضليع ووضع مؤلفاً شاملاً في تاريخ مصرنا التجاري بصفتها صلة الامصار من اول عصور التاريخ الى الآن واستوعب الادوار التي تقلبت عليها في هذا المضمار : من فلاح وخيبة ويسر وعسر وتقدم وتدهور ونهوض وهبوط لاخرج للناس كتاباً قيماً يجمع بين الطلاوة والفائدة

على ان ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ . فسأُحادثكم الليلة عن دور من ادوار مصر في ميدان التجارة واسمعكم من طريف الحديث وتليدهِ ما لم يكن يخطر لاحدكم على بال

على اني قبل ذلك اذكر لكم على سبيل الاستطراد ان المسلمين ينظرون الى التجارة نظرة احترام خاصة و يكبرونها أجل إكبار . ذلك لان رسولهم عليهِ الصلاة والسلام كانت حرفتهُ التجارة . فقد بدأ حياتهُ قبل الرسالة تاجراً فكان يذهب الى الشام لهذا الغرض حيث اشتهر بالامانة ايما اشتهار فكان للناس اكبر نبراس هداهم الى ان الامانة هي رأس مال التاجر وسرُّ نجاحهِ وعماد ثروتهِ . واي مهنة يعتبرها المسلمون اشرف من المهنة التي تشرفت بانتساب رسولهم الكريم اليها ؟ فلا غرو ان فطروا على إكبار التجارة والتجار وتاريخهم كلهُ ادلة ناصعة ناطقة بما للتجارة في نفوسهم من الاحترام و بما كان لها من الاثر الصالح في انتشار الاسلام ونشر حضارتهِ . اذكر منها — والحديث شجون — مثلين اثنين يحلو لي ذكرها بصفتي مسلماً و بصفتي مصريًّا لانهما يدلأن على رفعة النفس وشرف الاحساس وصدق المبادىء . يدلأن على ان الشرقي متى كان حكيماً حازماً ترفَّع عن السفاسف والصغائر ووصلت نفسهُ الى درجة من السموّ عديمة النظير

واول المثلين عن صلاح الدين يوسف بن ايوب . وثانيهما عن مجدد شباب مصر ومعيد مجدها اعني بهِ طبعاً محمد علي الكبير رأس الاسرة العلوية والجد الاعلى للكريم ابن الكريم الكريم حسين بن اسماعيل بن ابرهيم

هل جاءكم حديث ابن ايوب ؟ ذلكم هو صلاح الدين فخر الملوك الصيد وتاج الامراء الصناديد بل زينة الرجال على الاطلاق حارب الصليبيين حرب القروم فصرعهم وصرعوهُ وغلبوهُ وغلبهم والحرب سجال . وليس الفخار صفة للانتصار وليس العار ملازماً للانكسار انما الفخر ان يكون الرجل متصفاً بصفات الكرام وان لا يحيد قيد شعرة عن مبادىء الشهامة والمروءة والفتوة . ومن ذا الذي بلغ ما بلغهُ ابن ايوب من كريم الشيم ومحاسن الاخلاق التي رفعت قدرهُ واجتذبت نحوهُ قلوب الاعداء قبل الاصدقاء واظهرت اسمهُ في التاريخ محوطهُ هالة من الانوار؟

عرفناهُ حامياً لدينهِ حامياً لبلادهِ حامياً لدولتهِ . فماذا كان نصيبهُ فيما يتعلق بالتجارة ؟

اصدر هذا الملك الكبير امرهُ الى قوّادهِ وجنودهِ بان لا يتعرضوا للتجار المسيحيين باذًى وان لا يقلقوا راحتهم لاي سبب ما . لان هؤلاء التجار ليسوا من المحاربين . فكانت قوافل التجار المسيحيين الاوربيين تروح وتجيء في بلاد المسلمين هادئة مطمئنة لا يعترضها

معترض والحرب حينئذٍ مستعرة الاوار والمعارك والغزوات قائمة من الجانبين

ومَن اولئك المسيحيون الاوربيون هم الذين جاؤُوا ديار المسلمين غازين فاتحين . الذين جاؤُوا لينزعوا عن تاج صلاح الدين درة من اثمن الدر

تالله ان هذا المثل لهو من ابلغ الامثال التي وردت في التاريخ وهو وان كان يرجع على الاخص الى روح التسامح التي اشتهر بها صلاح الدين وتعطّرت بذكراها الاسفار والايام الاَّ انهُ يدلّ بصورة جلية على ما كان للتجارة من المكانة والاحترام عند ملوك الاسلام

ولقد اثرت هذه القدوة الحسنة في الصليبيين انفسهم فحذوا حذو خصمهم الكريم وسمحوا لقوافل التجار المسلمين بان تمر في الاراضي التي كانوا يمتلكونها ويحتلونها دون ان يتعرّض لها احد منهم بسوء على الاطلاق

بل اسمعوا ما قالهُ في هذا الشأن السائح ابن جبير الاندلسي الشهير والمدفون برمل الاسكندرية المعروف باسم « سيدي جابر » . قال ما نصّهُ بالحرف الواحد : « ومن اعجب ما يُحدَّث بهِ ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى وربما يلتقي الجمعان ويقع المُصافّ بينهم ورفاق (قوافل) المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم . شاهدنا ذلك في هذا الوقت [الذي هو شهر جمادي الاولى سنة ٥٨٠ للهجرة = اغسطس — سبتمبر سنة ١١٨٤ للميلاد] . من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك وهو من اعظم حصون النصارى وهو المعترض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر بينهُ وبين القدس مسيرة يوم او اشف قليلاً وهو سرارة ارض فلسطين ولهُ نظر عظيم الاتساع متصل العمارة يذكر انهُ ينتهي الى ٤٠٠ قرية . فنازلهُ هذا السلطان وضيّق عليهِ وطال حصارهُ بهِ واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق الى عكة كذلك وتجار النصارى ايضاً لا يُمنع احد منهم ولا يُعترض . وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤَدونها في بلادهم وهي من الأَمنة على غاية وتجار النصارى ايضاً يؤَدون في بلاد المسلمين على سلعهم . والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال . واهل الحرب مشتغلون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب »(١)

أفرأيتم ما وصل اليهِ التجار بون في القرن الثاني عشر للميلاد اي في قلب القرون الوسطى — في تلك العصور التي يدعوها ابناء اوربا ظلماً بعصور الظلام — فقد وصلوا في تلك الايام الخالية الى ما لم يصل اليهِ المستنيرون والمتحضرون المعاصرون لنا في القرن

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٨٧ — ٢٨٨ من الطبعة الثانية بليدن

العشرين بل قد بلغ اولئك الاقوام غاية ربما لا تدركها الانسانية بعد قرون طوال من احترام تجارة العدوّ في إبّان القتال !

اما محمد علي فانتم تعلمون ما كان بينهُ و بين الدولة العثمانية من الوقائع الجسام وتعلمون أن مصلحتهُ كانت في تلك الايام متناقضة مع مصلحة بريطانيا العظمى فهي التي وقفت في سبيلهِ وحالت بينهُ و بين تحقيق امانيهِ ولكنهُ بالرغم من اشتداد نار الحرب بينهما واستحكام العداوة — اتى بعمل اعجز اهل الحلم من المتقدمين والمتأخرين(١)

فاسمعوا ما قالت احدى الجرائد الانجليزية وهي جريدة « نومسماتيك كرونيكل » في المجلد الخامس من المجموعة الاولى صحيفة ١٤٧ الى ١٥٠ :

« وفي اثناء هذه الحرب بينما كنا نحاصر ثغور الباشا ونحرق مدنهُ وقراهُ ونلقي الخراب والدمار في أراضيهِ وننفي عساكرهُ آلافاً بعد آلاف ونعرض حياتهُ للخطر كان هذا الشيخ الجليل الوقور يترك طريق المواصلات الاكبر مع الهند مفتوحاً وينقل رسائلنا عن طريق بلادهِ ويحمي رعايانا من السوء سواء كانوا من التجار أو من السفَّار مع ان قوانين تلك الامم التي يدعونها « متمدنة » تسمح لهُ باعتقالهم كاسرى حرب و بالاستيلاء على مقتنياتهم ومصادرتها لنفسهِ طبقاً لاحكام تلك القوانين

« لقد تغلَّب ذلك الرجل الكبير بصورة موجبة للاعجاب على الاهواء البشرية السافلة والاغراض النفسانية المنحطة في ظروف من اشد الظروف حرجاً فعمل بمبادىء سامية تنمُّ عن كرم منقطع النظير وهي في جوهرها وحقيقتها مبادىء مسيحية فانقلبت الامور ووجب ان يحسب المغلوب غالباً ظافراً . ولا شك انهُ متى تبددت الاوهام وزال ما رسخ في الاذهان فان الاجيال المقبلة ستمجد ذكراهُ وتحفظ اسمهُ في عداد المحسنين للانسانية »

وقد اطنبت الصحف الانجليزية في الثناء على محمد علي لاجل هذا العمل الجليل وأجمعت الغرفة التجارية في بمبي على صياغة نوط (ميدالية) قدمتهُ لهُ مع عريضة شكر إعجاباً بما ابداهُ من الشمم وما اظهرهُ من علوّ النفس . وهذه العريضة محفوظة بنصها الانكليزي في دار الآثار العربية واليكم ترجمتها :

« عن مدينة بمبي في ١٩ يونيو سنة ١٨٤١

« الى حضرة صاحب السموّ محمد علي باشا والي مصر

---

(١) البيانات الآتية مأخوذة عن بحث ليعقوب ارتين باشا باللغة الفرنسية في مجلة « مصر » سنة ١٨٩٧

« مولانا

« نحن الموقعين على هذا اعضاء الغرفة التجارية بمدينة بمبي نلتمس من مكارم سموكم ان تسمحوا لنا بالتعبير عما يخالج افئدتنا من عظيم الشكران وخالص الامتنان لما تفضلتم بهِ من حسن الرعاية وكريم العناية الخاليين عن الغرض في نقل المسافرين وتبادل الرسائل عن طريق مصر في زمن الحروب التي نشبت اخيراً في الشرق

« وكونوا سموكم على يقين باننا نقدر هذه الرعاية الجليلة التي منحتموها لنا في وقت لو حرمتمونا اياها في اثنائهِ لحقنا خسائر جمة بسبب تأخير وصول البريد بل احتمال فقده

« ولو ان هذا العمل صدر عن دولة مصادقة لدولتنا لكان من واجبنا ان نرفع لها فرض الشكر عليهِ . اما وقد صدر عن سلطة كانت في ذلك الوقت معادية لحكومة بلادنا وكان صدورهُ عن محض ارادتها فانهُ يلوح لنا انهُ جدير بخالص شكرنا القلبي بل هو فوق ذلك خليق باعجابنا المتناهي

« واسمحوا لنا يامولاي فضلاً عن ذلك بأن نؤكد لكم ان ذكرى هذا الفعل الجميل ستبعث في افئدتنا على الدوام الشعور بعظيم الحمد وفائق الثناء . ولنا وثيق الامل بان الذي ظهر بمظهر العدو الكريم الاخلاق الكريم الافعال سيكون لبلادنا صديقاً لا تغيّر مودتهُ الايام(١) »

***

ذكرتُ هذين المثلين للدلالة على شهامة الشرقي وعلى احترامهِ للتجارة — فهل يقدر أحد من ابناء الغرب ان يضارع اهل مصر في هذه المكارم ؟ وها هي اخبار الحرب الحاضرة الهائلة تتكفل بالجواب !

ذكرت لكم « صلاح الدين » و « محمد علي » لانني اريد ان اترنم دائماً بمفاخر بلادي لاحياء الكمالات التي اعتقد انها لا تزال كامنة في نفوس قومي عساهم يتنبهون لانفسهم ويعملون على استرجاع مكانتهم . وان احيد عن هذه الخطة كلما سنحت لي فرصة لانني اعتقد ان الذكرى تنفع المؤمنين

ذكرتُ لكم صلاح الدين ومحمد علي . واريد اليوم ان اقف في منتصف الطريق بين هذين البطلين اللذين أسسا دولتين كبيرتين في وادي النيل . ففي منتصف هذا الطريق

(١) ويلي ذلك الامضاءات وعددها ٢٧ من أكابر التجار الانجليز يستوقف الانظار فيها امضاء تاجر مسلم كتب اسمهُ بالانجليزية ووضع فوقهُ هذه العبارة : « المخلص ميرزا علي محمد بن محمد علي خان شوشرى »

سقطت في مصر دولة كانت لها الزعامة الدينية والسياسية في الشرق وكانت لها السيطرة على بلاد اوربية بسبب التجارة

اريد اليوم ان اناجيكم بقليل مما وصل اليهِ علمي عن التجارة العامة الاممية ولكن من الوجهتين التاريخية والجغرافية ومع الاقتصار على ما يتعلق بمصرنا المحبوبة . أُريد ان اساجلكم الحديث عن اهمية هذا الوادي البهيج وادي النيل السعيد من حيث مركزهُ التجاري المنقطع النظير ذلك المركز الذي جعل لبلادنا في وقت من الاوقات رجحانًا عظيماً في كفة السياسة العمومية وجعل لاهلينا بل لاجدادنا الاقربين مقاماً ممتازاً في الثروة العمومية . فلقد كان اليسار في ذلكم الوقت مادّاً رواقهُ على هذا القطر واهليهِ بما اوجب ازدهار الفنون الجميلة على ضفتيهِ وفي كل نواحيهِ . وناهيكم بالعاصمة القاهرة فقد كانت جنة الدنيا وقرارة العليا بل كانت في مجموعها عبارة عن متحف فخم عظيم لا تزال بقاياهُ القليلة الجليلة في الاحياء الوطنية شاهدة بذلك المجد الذي لا يعادلهُ فخار

لاجل ان يكون التفاهم بيني وبينكم متبادلاً (على ما يقول التجار) وتامًّا كاملاً على رأي ارباب الاقلام اطلب اليكم ان ترجعوا معي بالخيال الى الخريطة الجغرافية والى الماجريات التاريخية في اوائل القرن العاشر للهجرة (اوائل القرن السادس عشر للميلاد)

فاولاً — اذا نظرتم بعين البصيرة الآن الى ما استوقف انظاركم في حلقة الدروس الجغرافية وتخيلتم الخريطة الجامعة : إذن لرأيتم مصرنا هذه مركزاً طبيعيًّا للقارات الثلاث القديمة (افريقيا) و (آسيا) و (اوربا)

تدبّروا رعاكم الله هذا الموقع البديع ! فقد كان ولا يزال محط الابصار ونقطة الاتصال بين سائر الاقطار

أَفلا ترون بحر القلزم (البحر الاحمر) ساجداً خاشعاً امام سواحل مصر الشرقية وها هو بحر الروم (او بحيرة المملكة العربية في ايام عز العرب الذي نسميهِ الآن بالبحر الابيض المتوسط) يترشَّف ثغورها من جهة الشمال ثم ينطلق مغتبطاً بهذا الوصال حتى ينتهي من جهة الغرب الى بحر الزقاق (بوغاز جبل طارق) حيث تختال مغاني الاندلس الزاهرة تكتنفها رياض بلاد البرتقال المطلة على البحر الاخضر بحر المظلمات بحر اقيانُس كما يسميهِ العرب وهو الذي ندعوهُ الآن متابعة للافرنج بالمحيط الاطلنطي ويغلط من يقول الاطلسي ذلك البحر الخضم الذي تترادف امواجهُ كالجبال حتى رأس الزوابع المعروف برأس الرجاء الصالح ومن هنالك يتصل بلجج المحيط الهندي المسمى لدى العرب ببحر الزنج وبحر الهند الذي

ينتهي الي شطوط الهند والهند الصينية ثم ينعطف في اقصى نهاياتهِ عند الشمال الغربي الى زقاق ضيق تكثر فيهِ الكوارث وتنتابهُ النوائب وهو المعروف عند جميع الامم بالاسم الذي وضعهُ لهُ العرب اعنى باب المندب . هذا الزقاق تنفذ منهُ الامواه الى بحر القلزم باسم القلمة فالمدينة (Clisma) التي لا تزال بعض بقاياها الضئيلة ماثلة شمالي مدينة السويس

والى هنا انتهيتُ من تخطيط الثلث الاول من تلك الدائرة العظمى التي مركزها بلاد مصر

اما الثلث الثاني فهو بلاد اوربا ولا ازيدكم بها تعريفاً . ففيها ما فيها من ضخامة الملك واستبحار العمران بل فيها قبة الاسلام والمدينة الخالدة ومدينة الانوار وسلطانة البحار وانما اشير على جناح السرعة الى ما لهُ ارتباط وثيق فيما انا بصددهِ . اعني تركية اوربا وجمهوريات البنادقة وجنوة وفلورنسه وبلاد القيطلان ومملكة اسبانيا ومملكة البرتغال — كانت في ذلك العهد قابضة على جميع ازمة التجارة في ديار اوربا وكانت لها السيطرة والرجحان في سياسة ايطاليا بسبب علاقاتها التجارية ومحالفاتها السياسية مع السلطنة المصرية

اما الثلث الثالث فهو قارة آسيا مهبط الجنس البشري منبع الامم موطن النبوءات مصدر التجارات . فلقد اودع الله فيها من كنوز الطبيعة وذخائر الصناعة ومفاخر الزراعة ما هو فوق الوصف والتعريف . والذي يهمنا منها في هذا المقام هو بلاد الهند وحسبك ببلاد في بحرها الدر وفي برّها الذهب وفي جبالها الياقوت والماس وفي شعابها العود والكافور وجميع انواع الطيب . كالقرنفل (Girofle) والسنبل (Nard) والدار صيني (Cinamone) والقاقلة (Cardamone) والسليخة = القرفة (Canelle) والكبابة (Cubèbe) والبسباسة وهي قشرة جوز الطيب وغزال المسك . بل هي بلاد لا تقاس في الارض بمملكة سواها لاتساع اقطارها وكثرة اموالها

ثانياً — اذا رجعنا الى ما استرعى اسماعنا وروّع البابنا من الحوادث التاريخية في الربع الاول من القرن العاشر الهجري او بطريق التحقيق والتدقيق الى المدة المنحصرة بين سنتي ٨٩٨ و ٩٢٣ ﻫ (١٤٩٢ م — ١٩١٧ م) وقفنا على مكانة مصرنا في التجارة الدولية الاممية وعلمنا كيف انهار ملكها وكيف ضاعت ثروتها في وقت واحد معاً

فلاجل استحكام الاخذ والعطاء بيني وبينكم فيما انا آخذ بسببهِ من البيان ينبغي لي ان أسرد لكم اسماء بعض المشاهير من الذين كان لهم شأن في تمثيل تلك الرواية الواقعية على مسرح العالم في اوائل المدة الزمانية المعروفة بالعصور الحديثة

يقول الفرنساويون A tout Seigneur, tout tronneur وانا اترجم هذه المقولة

« الامير اولى بالتصدير » . لذلك كان من الواجب ان ابدأ بذكر اصحاب التيجان ومديري المالك في تلك الايام

فاولهم واكبرهم بلا مراء ولا جدال هو ذلك الذي صحّ لهُ ان يقول كلمة سبقهُ سلفهُ اليها وهي : « أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي » . ذلكم هو السلطان الملك الاشرف ابو النصر عبد الله قانصوه الغوري الذي جلس على عرش مصر وعمرهُ ستون سنة وبقي حاكماً عليها ١٧ من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩٢٢ هـ (١٥٠٠ الى سنة ١٥١٦ م) الى ان لقي مصرعهُ تحت سنابك الخيل بمرج دابق بالقرب من حلب وهو يدافع بنفسهِ عن تاجهِ وصولجانهِ ويحمي بيضة ملكهِ برمحهِ وسنانهِ . وهو الذي يسميهِ البرتقاليون Canaças ثم حرفوا اسمهِ الى كانسور Cansor

وكان في القسطنطينية حينئذٍ السلطان سليم الثاني فاتح مصر المعروف عند البرتقاليين باسم Selimxà

في مكة الشريف بركات بن محمد بن بركات

في اليمن الملك الظاهر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن طاهر آخر دولة بني طاهر التي تلقت الملك عن بني رسول قتلهُ في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣ (ابريل سنة ١٥١٧ م) الامير حسين الكردي المصري

في عدن الامير مرجان العامري وهو الذي صدّ البرتقاليين عنها حينما هجموا عليها بقيادة الفونسو البوكرك في سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م) وقد حرّف البرتقاليون اسمهُ كما يأتي :

Mira Merjâo. Miramijan, Mirhmiriam, Miramirjâo, Miramizam, Miramegena.

في كجرات (جزرات) Gaudjerat السلطان ناصر الدين ابو الفتح مظفر شاه خليل من قبلهِ ابوهُ محمود شاه بن محمد شاه بن احمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه وكانت كنباية (Cambaya) من جملة ممالكهِ

في كاليكوت عاصمة بلاد ميليبار السامري (1) وهو وثني قد دافع البرتقال عن بلادهِ وانكى فيهم كثيراً

(1) هذا الاسم يطلق على كل من تملك السلطنة في كاليكوت وهو مشتق من كلمة (تاموتيرى) و (ساموری) و (سومور) باللغة السنسكريتية وعنها لفظة سامري في لغة الملايو ومعناها (ملك البحر) ويسميهِ العرب السامري واما البرتقاليون فيقولون Samorin وعنهم الافرنج عموماً Zamorin

واذكر على سبيل الاستطراد اسم السلطان ابي عبدالله بن محمد الاحمر النصري المعروف عند الافرنج بطريق التحريف والاختصار باسم بو أبديل (Boabdil) وهو الذي انقرضت على يديهِ البقية الباقية من ملك المسلمين الطويل العريض الفخيم الجليل بديار الاندلس

اما مشاهير افراد الشرقيين فهم :

احمد بن ماجد رجل ماهر في سلك البحار الهندية وهو الذي تودّد اليهِ ڤاسكو دوجاما واسكرهُ حتى دلّهُ على طريق الهند

الامير حسين الكردي الذي يذكرهُ البرتقاليون باسم ميرهوسم (Mirhocem) الذي ارسلهُ السلطان الغوري لاغاثة ملوك الهند من عادية البرتقال

الريس سلمان امير الاسطول المصري

اما ملوك الافرنج في ذلك العصر فكانوا

يوحنا الثاني ملك البرتقال الملقب بالكامل (le Parfait) وكان ولوعًا بالاكتشافات البحرية . ثم عمانوئيل الثاني خليفتهُ على سرير البرتقال وهو الملقب بالسعيد (le Fortuné) ولقد حُقّ لهُ ذلك اللقب فقد خدمهُ الجد والسعد الى آخر حد حتى استعمر بلاد الهند وانتزع التجارة من مصر

ثم فردينند وايزابلا الكاثوليكيان المشتركان في الجلوس على عرش اسبانيا وهما اللذان استصفيا ملك العرب بالاندلس من السلطان ابي عبد الله الاحمر النصري . وكان لهما الحظ الاوفر من استكشاف امريكا

اما مشاهير رجالات الافرنج الذين يعنينا شأنهم فهم :

دياز البرتقالي الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح

وكرستوفر كولومب الجنوي مكتشف امريكا

وفاسكو دوجاما البرتقالي الذي سماهُ قطب الدين النهروالي في « البرق اليماني » « ألي مَلَندى » تحريفًا لعنوان وظيفة « الميرانتي » (Almirante) التي اخذها البرتقاليون عن لفظة « أمير البحر » فحرف العرب لفظ اجدادهم [1]

---

(١) نظير ذلك قول اهل اسكندرية « مغازة » و « ترسانة » فان هذين اللفظين مأخوذان عن كلمتين طليانيتين Darsena, Magazzino نقلها الافرنج عن لفظين عربيين « ما مخزن » و « دار الصنعة »

وألفونسو ألبوكرك (Alphonse Alburquerque) والى الهند الشرقية باسم ملك البرتقال وهو الذي اكتشف للاور بين جزيرة زنجبار وحاول امتلاك مصر اوتخريبها بتحويل مجرى النيل الى البحر الاحمر ولكنهُ لم يفلح وتوفي سنة ١٥١٥ م (سنة ٩٢١ هـ) اي قبل الفتح العثماني بسنتين

وهناك رجل هو شرقي غربي اوفي الحقيقة هولا الى هولاء ولا الى هؤلاء فقد كان طليانيًّا فتمشرق وكان يهوديًّا فتسلم ثم تنصر واسمهُ جسبار وسيأتي الكلام عليهِ في محلهِ. خزاهُ الله

***

لماذا خصصت الكلام على هذه الحقبة التاريخية المنحصرة بين سنتي ٨٩٨ و٩٢٣ للهجرة؟ لان سنة ١٤٩٢ م (٨٩٨ هـ) كان فيها زوال ملك المسلمين عن الاندلس بتسليم غرناطة. وفيها وضع كرستوف كولومب قدمهُ في ارض الدنيا الجديدة فانهالت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وخيرات «الهنود الغربية» على مملكة اسبانيا

ولان دياز كان اكتشف رأس الزوابع قبل ذلك اي سنة ١٤٨٦ (٨٩١—٨٩٣ هـ) ولقد تمكن ڤاسكو من اجتيازهِ فعلا في سنة ١٤٩٧ (٩٠٣ هـ) والقى مراسيهُ في سنة ١٤٩٨ (٩٠٤ هـ) ببلاد الهند على مدينة كاليكوت Kalikotta, Calicut [1] التي يسميها العرب قاليقوط ايضاً وهي التي نحت الفرنج من اسمها لفظة Calicot للدلالة على نوع القماش المعروف الى الآن بهذا الاسم لامتيازها بنسجهِ. وهي غير مدينة كلكته (Calcutta) التي اقامها الانكليز من عهد غير بعيد في بلاد الهند

اذا تقرر هذا وارسلنا رائد النظر الى ما جرى ويجري وراء الستار وتدبرنا مثار الحروب التي وقعت بين الدول من قديم الزمان الى هذه الساعة لتحققنا ان التجارة كانت ولا تزال هي السبب الاصلي في شبوب نيرانها وما تجرهُ وراءها من و يلات الفوادح والاهوال. نعم ذلك هو الواقع وعين اليقين — ولكن هذه العلة الاساسية — وهي التجارة — كثيراً ما تكون مستترة بحجاب (كثيف او شفاف) من الاغراض الاخرى مثل نشر الدين او المحافظة على الناموس او غير ذلك من المرامي التي يتذرع بها ارباب الحل والعقد في سوق الجماهير الى المجازر البشرية

ستأتي البقية

(١) ومعنى ذلك باللغة السنسكريتية قلعة الديك

مغامز المعاجم العربية

مقدمة البحث

من ينعم النظر في المعاجم العربية التي الفت في اخريات هذه الايام و يقابلها بالدواوين التي من جنسها تلك التي صنفت في العهد الاول من هذه اللغة يرَ ان الفرق زهيد لا يكاد يذكر مهما ادعى اصحابها التفوق على من تقدمهم في هذا الضرب من التصنيف بخلاف من تتبع معاجم الافرنج فانهُ يراها تدرجت تدرُّجًا يضاهي تدرج الطفل في العمر اذ تراهُ كهلاً بعد ان كان وليداً

اني لا اقول ذلك من جهة الظواهر الخارجية وسهولة البحث والتنقير عن الكلمة فان المتأخرين فاقوا المتقدمين في هذا المعنى ولم يحصلوا على هذا الغرض الأ من بعد ان الَّف الافرنج تآليفهم في اللغة فتاثرهم مؤلفونا احسن التأثر بل ربما فاقوهم في عدة امور هي طفيفة لكن لها شأن يذكر في مثل هـذه الدواوين التي هي بمنزلة المعهد والمرجع لمن يريد تثبت الالفاظ وسرعة ايجادها ضناً بالوقت وتفاديًا من الوقوف على ما لا يريدهُ في وقت بحثهِ من الالفاظ الخارجة عن موضوعهِ

اما قولي ان المحدثين من واضعي المعاجم لم يزيدوا شيئًا يذكر على ما صنفهُ الاوائل فهذا يرجع الى تعريف الالفاظ ونقل عبارات المتقدمين بدون تدبُّر والقاء الكلام على عواهنهِ وقلة تدبُّر ما يكتبونهُ الى غير هذه الامور التي تحققها اذا ما اخذت بيدك هذه التصانيف وتتبعت ما ورد فيها واستقريتهُ وانتقدتهُ بفكر و بصيرة · ولما كان المقتطف حامل لواء العلم الى جميع الديار العربية وكان وحدهُ صوت العلماء من كل صقع وحدب وهو شيخ المجلاَّت العربية اتيتُ بهذه المقالة لاتحف بها قراءهُ جهابذة العرفان حتى اذا وضعوا معجمًا من المعاجم اللغوية ادخلوا فيهِ ما يحسّنهُ في العيون وينحّي عنها سوء الظنون· فاقول :

ذكر مغامز المعاجم

في الدواوين اللغوية عدة معايب ومغامز لا بد من ان تزال منها صونًا لها في هـذا العصر عصر التقدم والرقي والاصلاح · ومن هذه المغامز :

١ً ان المؤلفين لم يذكروا في دواوينهم كثيراً من الالفاظ المستعملة في تصانيف المؤرخين والكتَّاب واصحاب الفنون والصنائع المختلفة ولذلك لا ترى فيها اثراً للكلم الواردة

في مفاتيح العلوم وشفاء الغليل وابن خلدون وابن القفطي وغيرهم كالبلاذري وابن الاثير من الالفاظ المولدة والمحدثة والموضوعة عند العلماء سدًّا للحاجة في عصرهم وعصرنا . ولا بد من امثلة على ذلك : اطلب مثلاً هذه الكلمات في معاجمهم فانك لا نقف عليها من أثر فالادوية الآتية وهي الزهرج والطاليسفر والفاغرة (لاصل النيلوفر) والسنجسبوية والغلفلبوية لا وجود لها فيها . — والكيذ والمزاعمة والابتزاز والحصّار والتشريق والكنار دُوْزيّ والكنار شبّي والتسيير بالمعاني التي يعقدها بها المنجمون والفلكيون غير معروفة في مصنفات لغتنا . واذا نقرت فيها عن الاسطرلاب الصدفيّ والمسرطن والمبطح فانك لا تجد لها ما يفيدك عنها ادنى فائدة . فاذا طالعت كتب المولدين في عهد العباسيين وكتاب الاغاني للاصبهاني فانك تجد ذكر السجاح والصياح والاسجاح والاضعاف والصحيح الإسجاح واذا سألت عنها اعلم موسيقيي العصرين المتقدم والمتأخر لم يستطيعوا ان يفيدوك ادنى فائدة وما النقص الأخلق المعاجم من هذه المصطلحات

ولهذا ترانا لا نعذر لغويي العصر من اهمال الالفاظ الحديثة الوضع كالجريدة والمجلة والمجهر والمنطاد والسيارة والبرقية ولسان البرق والقطار والخافلة والسلك واللاسلكي والمقالة والنبذة والمعتمد والمفوّض والاعتماد واللامركزي الى غيرها التي تعد بالعشرات مع انك ترى معاجم الافرنج يذكرون المصطلحات العلمية والفنية والاوضاع الحديثة وهذا ما يجب علينا ان نحتذيهم فيه

٢ً كثير من المعاجم الحديثة التأليف ادعى اصحابها انهم دونوا في مصنفاتهم جميع الالفاظ الواردة في كتب السلف اللغوية وزادوا عليها اشياء عثروا عليها في مطاوي ابحاثهم ومطالعاتهم . واذا استقريت بعض المواد وجدت فيها نقصاً . فانك لا تجد مثلاً في محيط المحيط واقرب الموارد ومدّ القاموس ومعجم فريتاغ هذه الكلمات مثلاً : العركل والعظرب والجعفلين والجُزْن والجهانة الى نحوها . لا ان هذه الكلم مما يحرص عليها بل انما نقول هذا القول ردًّا على بعض من ادعى تدوين جميع ما ورد في كتب السلف . ولهذا ازيد على ما تقدّم انهُ يجب على اللغويين المحدثين ان يطالعوا معاجم الاقدمين ككتاب العين والقاموس واللسان وتاج العروس والمصباح والصحاح واساس البلاغة وغيرها مطالعة كافية مادةً بعد مادة ولقط ما يوجد فيها مما فات المحدثين ليصنعوا معاجم شاملة وافية . وان لا يكتفي المحدثون بذلك بل عليهم جمع ما تشتت من الفاظ المولدين والادباء والكتاب على اختلاف طبقاتهم لتكون الفائدة عامة . ويحسن بناشري كتب الاقدمين ان يذيلوها بما ورد فيها من

الالفاظ الغريبة او الخاصة بالمؤلف و بسط الشرح عليها كما يفعل الافرنج في يومنا هذا حتى اذا اراد اللغوي العصري ان يؤلف معجمهُ يهون عليهِ جمعها بدون مطالعة الكتاب كلهِ وهو مما يشق عليهِ · بل مما يشق على جماعة يصنفون معجماً واحداً في هذا المعنى فكيف بالواحد المستقل بنفسهِ

٣ ومما يجدر بالنقد ان المحدثين خلطوا بين الفصيح والمولد والعامي والمستهجن والقبيح والمائت من الالفاظ وهو امر شنيع يستقبحهُ العرب وقد ادخلهُ الافرنج في تآليفهم الحديثة فاخذهُ عنهم صاحب محيط المحيط واقرب الموارد ومن اخذ عنهما · وقد صرح بعضهم ان الكلمة الفلانية هي عامية وهي ليست من ذلك في شيء ككلمة زغل وزغلول · ومنهم من قضى انها مولدة او مماتة والامر على غير ما توهموهُ · فعلى اللغوي الحديث ان يدرس طبقات اللغويين وطبقات الفاظهم ولا يمزج القبيح بالصحيح والحي بالمات والقديم بالحديث والمستهجن بالفصيح فهذهِ كلها من المساوىء التي لا تغتفر في لغتنا · او لا ترى الافرنج انفسهم قد وضعوا رموزاً لكل طبقة من الالفاظ فينبهون على صحيحها من سقيمها وقديمها من حديثها ودخيلها من صحيحها وموضوعها من منقولها الى غير هـذه مما تراهُ مدوّناً في كتبهم

٤ من غريب اعمال اللغويين المحدثين كصاحب محيط المحيط واقرب الموارد والمنجد ومعجم الطالب وغيرهم انهم ذكروا بعض الالفاظ في غير مظانها ومعاهدها وها انا ذا اسوق اليك مثلاً فانهم ذكروا كلمة « هوذا » في مادة (ه و ذ) وهو من اغرب الغرائب · اما اللغويون العارفون باصول الكلم الواقفون على الالفاظ اهل الاشتقاق والنحو فانهم ذكروها في مادة « ها » كما في لسان العرب والتاج والقاموس ونحوها

٥ ان الاقدمين والمحدثين قد غلطوا أغلاطاً لا تحصى في معرفة الدخيل من الالفاظ فانهم قالوا ابليس من بلس وانها عربية واسطرلاب مركبة من اسم حكيم وضع هذه الآلة وكان اسمهُ (لاب) ثم وضع على آلاتهِ اسطراً فسميت : اسطرلاب · وقالوا : الخندريس من الخدرسة وقال صاحب محيط المحيط الحرباء معرب حُرْبَا بالفارسية (كذا مع انهُ ليس في لغة الفرس حرف الحاء) ومعناهُ : حافظ الشمس (كذا · وليس في الفارسية كلمة تقرب من هذا اللفظ و يراد بهِ الشمس او الحافظ او حافظ الشمس · والمعروف ان هذه الدويبة تعرف باسم « آفتاب پرست) ومعنى هذا اللفظ المركب : الساجد للشمس او العابد لها · فاين هذا من قول صاحب المحيط · اما اذا كانت اللفظة قد انتقلت من صورة الى صورة

فلا يكاد العرب ينتبهون لاصلها . فالرقين مثلاً لفظة تعني الدراهم وهي على وزن جريح الأ ان اصلها الرقين بكسر الاولين جمع رِقة في حالتي النصب والجر واصل رقة ورق كما قالوا اصل عدة وعد واصل ورق من الفارسية پَرَه و يقال فيها پاره وهي القطعة من كل شيء فاستعاروها للدراهم من باب التغليب وهي الكلمة التي نقلها الترك الى لغتهم بصورة پاره فاخذناها عنهم وقلنا پارة بالهاء المنقوطة باثنتين . ومعنى الورق على الصحيح هو المعروف عند الافرنج بكلمة Petite monnaie

٦ً ومما يجدر بالنقد ايضاً ان بعض المعاجم نسيت ان تنبه عن عجمة بعض الالفاظ او عامياتها او مولدها او سيئها او حوشيها او مماتها فاختلطت بالفصيح من الفاظ العرب وهو عيب شائن فالزَّيه مثلاً اعجمية مصرية الاصل . وجهانة صفة لا موصوف واصلها فارسي وذكر بعضهم كفر يتاغ ومحيط المحيط الجهانة الشابة وهو خطأ وكان يجب ان اقرن بموصوف ليبين انها صفة فيقال شابة جهانة . —وعندي انها من الفارسية «جوان» اي شاب مثل اللاتينية Juvenis والفرنسوية Jeune ويحتمل ان هاء جهانة للتأنيث وان مذكرها جهان تبعاً للاصل وقد ورد جيان بهذا المعنى ونقلهُ دوزي عن بعض العرب

٧ً ارى ان بعض اللغويين ضعيفو البصر في تحقيق بعض الالفاظ فالكشّ مثلاً عند العراقيين معروف عند صغارهم وكبارهم باديهم وحضريهم بمعنى المئبر وهو ما يلقح بهِ النخل فجاء في تاج العروس في مادة ابر : قال ابن الاعرابي : المئبر والمأبر : ما يلقح بهِ النخل كالحش انتهى . (كذا) وقال في هامش لسان العرب : المئبر كمنبر ما تلقح بهِ النخلة كالحش كذا في الاصل ولعلهُ كالمحش انتهى ما في الهامش . قلت انا : والاصح كالكش اي ان المئبر بمعنى الكش وهو ما يلقح بهِ النخل . فانظر كيف ان صاحبي اللسان والتاج لم يهتديا الى سواء السبيل . وقال صاحب التاج في مادة ك ش ش : الكش بالضم : الحرف (هكذا بالفاء في الآخر) الذي يلقح بهِ النخل . والاصح ان يقال الحرّق (وزان علم وبقاف في الآخر) وهو شمراخ الفحال يلقح بهِ او الحرق (وزان قصب) وهو بالمعنى المذكور ويقال لهُ ايضاً الجُشْن (وزان قُفْل) . وقال الشرتوني في ذيل اقرب الموارد في مادة ابر : المئبر كمنبر ما تلقح بهِ النخلة كالحشّ وعلى هامش اللسان كذا في الاصل ولعلهُ كالمحش » اه كلامهُ . فانهُ هو ايضاً لم يهتدِ الى الحقيقة

ومن غريب هذه المعاجم على اختلاف حجمها وتحقيق اصحابها انها لم تحقق ان الدَّمَه (وزان قصب) والدمَّة (وزان حبة) والدَّامَه شيء واحد لهذا اللعب المعروف عند الافرنج

باسم Jeu de dames وهو لعب قديم الاستعمال في الشرق وكان يعرفهُ قدماء المصريين كما رأيناهُ مصوراً في بعض رسومهم . واللفظة الافرنجية عربية النجار اذ اخذ الغربُ هـذا اللعب عن الشرق

٨ً ومما يؤخذ عليهم انهم تلاعبوا ببعض الكلم العربية مما ورد في المتن او في الشرح فخبطوا فيها وخلطوا . قال في التاج : عسد يعسد . اهملهُ الجوهري وهو من حدّ ضرب : سار في الارض . هكذا في سائر النسخ وهو تصحيف قبيح وقع فيهِ . وذلك ان ابن دريد قال في الجمهرة « والعَسْد ايضاً البَيْر فصحّفهُ المصنف بالسير ثم اشتق منهُ فعلاً فقال عسد يعسد اذا سار ولم ارَ لاحدٍ من ائمة اللغة ذكر العسد بمعنى السير فتامل وانصف » اه

وقال في القاموس : الممتش كمنبر . . . والصواب الممتش على صيغة اسم المفعول والفاعل من امتشّ واصل الممتش من امتش وهو اللص الخارب

وجاء في تاج العروس في مادة مغش : أُمغيشا . . . وكانت البسّ عيناً مالحة . وهو كلام مصحف واصلهُ . وكانت أُلّيس (مصغرة مشددة اللام بعدها ياء ساكنة) من مَسالحها وقال : يوم البس والصحيح : يوم أُلّيْس . اذ ليس عند العرب يوم يعرف بالبس بل بأُلّيس .

وقالوا في تعريف القفاعة : الحجارة التي تطفو والصواب الحجاة . وقالوا في ح ي ر : والنسبة الى الحيرة : حاريّ كما قالوا في تمر تمري (بتاء مثناة قبل الميم) والصحيح كما قالوا في نَمِر (بفتح فكسر) نَمَري (بفتح فسكون) اذ لا شذوذ في النسبة الى التمر وانما الشذوذ الى النمر بفتح وسكون واذا نسب اليهِ تسكن الميم . والمراد من ذلك انهُ كما شذت النسبة الى النمر (بالنون) شذت النسبة الى الحيرة

وفسّروا الوكة بالغيظة المُشْبَعَة والصيح بالغيضة المسبعة

وقال جميع اللغويين في تعريف ابي براقش : طائر صغير بري كالقنفذ . والصحيح كالقنبر وهل يُشبَّه الطوائر بالقنفذ ولا مناسبة بينهما . ثم زادوا التعريف غرابة انهم قالوا : ولهُ ست قوائم والظاهر ان اول من عرّف هذا الطائر ورآهُ كان احول فرأى الزوج زوجين ثم نظر الى ظلها فظنها لهُ فقال ما قال ولم ينتبه الى ان اكلّ طائر رجلين لا غير . على ان الاقدمين اذا عذروا في تعريفهم القديم السقيم فلا يعذر المحدثون الذين ينقلون مثل هـذه السخافات التي لا معنى لها اليوم

والاغلاط في التعريف اكثر من ان تحصى . راجع مثلا تعريفهم لليعسوب والفار والجرذ ونحوها من علم الحيوان . والنفاطير او التفاطير لحبّ الصبا او الشباب فكل ذلك

من التعاريف القديمة التي لا يهتدى الى معناها الاَّ بعد الجد والجهد

٩ً من مزايا المعاجم اللغوية الوقوف على معنى الغريب من الالفاظ · والحال اننا نجد بعضهم يُفسّر اللفظ المألوف بلفظ عويصٍ غامض فقد جاء في القاموس : الحِبْر : النِقْس ولو شرح اللفظة وقال : المادة السائلة التي يكتب بها لاصاب وادّى المراد · وفسّروا القنفذ بالشَيْهم والجُهْن بالجُون الى غيرها مما لا حاجة الى ايراده لان مقامنا هنا مقام تذكير لا مقام تفصيل

١٠ً في اغلب المعاجم اغلاط صرفية مخالفة لنصوص او اصول او قواعد النحاة · قال في محيط المحيط في مادة «ا ل و» : والأِلوة والأُلوة والأَليّة والأَليًا : القسم ج الآَيَا والحقيقة ان ألآَيَا جمع أَليّة او أَليًّا وليست جمع الوة المثلثة الهمزة فان جمع هذه هي أُلى بضم الهمزة وبكسرها · وجمع بعضهم القس على قساوسة وهو خطأ والصواب ان القساوسة جمع قسيس مثل شماس وشمامسة وجمع فعال وفعيل وفعول المشددة من باب واحد · وجمعوا اتون على اتانين بنونين في الآخر يفصلها ياء (ورد هذا الجمع في التاج والقاموس وتاج العروس وغيرها) والاصح اتاتين كما نبَّه عليهِ صاحب المصباح وورد في كلام الاقدمين وشعرهم المتين

١١ً كثيراً ما قال اللغويون مع الصرفيين اشياء جازمين فيها عدم وجود مثلها او ندرتها او حصر عددها · اما حقيقة الامر فليست كذلك · مثلاً : قال التاج في مادة سقف : «اسقف النصاري · زاد غيرهُ : وأُسقُفُّهم كأُرْدُنّ اي بضم الاول وتشديد الآخر وعليهِ اقتصر ابن السكيت فيما نقلهُ الجوهري : ولا نظير لهُ سوى أُسرُبّ» اه · والحال قد ورد غيرهما في كلام العرب كأُتْرُجّ وأُشْكُزّ

وقال الفارابي في ديوان الادب «لم يأتِ على فُعلال شيءٌ من اسماء العرب الرباعي السالم الاَّ مكرراً نحو الفسطاط والقرطاط · فاما القسطاس فحرف رومي وقع الى العرب فتكلمت بهِ · وقيل : القسطاس : الصيرفي · وقال الاصمعي : القرناس : حرف الجبل ...» قلت : وجاء القرطاس (وهي مثلثة) والدقناس (طائر) والبرجاس والسرحاب وبلغار وبرطاس وغيرها · فاطلاق النفي في كتبهم في غير موضعهِ

وفي التاج في مادة زند وجمعها على ازناد ما حرفهُ : «اما ازناد فشاذ ولا نظير لهُ الاَّ فرْخ وافراخ وحمل وأَحمال لا رابع لها كما قالهُ ابن هشام · والحال اني قد جمعتُ نحو مائة كلمة جمع فيها فعل المفتوح الفاء على افعال منها طنف واطناف نسر وانسار نهر وانهار

عزدواعراد نبذ وانباذ جمل واجمال (بمعنى جَمَل بالتحريك) الى غيرها مما يطول ذكرهُ ·
وفي كتب اللغة كثير من مثل هذا الاطلاق وكذلك في كتب الصرفيين والنحاة وهو مما يحتاج الى ان ينظر فيهِ ويصحح لان عصر النقل عن الائمة بدون نقد كلامهم قد ذهب مع من ذهب

١٢ أدخلَ العرب الفاظاً اعجمية واساؤُوا نقل معانيها فقد قالوا : « الشكيمة كسفينة الانفة والانتصار من الظلم وايضاً العهد وايضاً الشم · هكذا في النسخ والاولى الشمم · وفي بعض النسخ : والفهد والسم وهو غلط وبكل ما ذكر فُسّر قولهم ذو شكيمة (انتهى عن تاج العروس)

قلتُ هكذا فسرها اغلب اللغويين · اما الشكيمة بمعنى العهد فغريب اذ ليس في المادة ما يؤيد هذا المعنى · واما الشم فكذلك بعيد بخلاف الشمم فقد يقرب من معنى الانفة فان ابتعد عنهُ شيئاً في المعنى فمحتمل في العربية والمثل فيها اكثر من ان تحصى · واما السمّ فهو ابعد ما يكون · والصحيح عندنا ان معاني الشكيمة هنا الفهد والسُمور فتكون تعريب الشكم (كجعبَب) او الاشكم (كاسحل) وهما جلد الفهد او السمور يُسلخ من قبل البطن · والفهد هنا بمعنى الوشق loup-cervier · اما لفظة السمّ فما هي الا تصحيف السمور وهذه تصحيف السموم ثم لما رأى النقلَة ان لا مناسبة للسموم المجموعة للدلالة على الشكيمة وهي مفردة افردوها وقالوا السمّ · وهذا هو سرّ اختلاف اللغويين في شرح هذه اللفظة بمعانٍ مختلفة

وقالوا في تعريب التُفَّة : قال الاصمعي : التفة دويبة كجرو الكلب · قال : وقد رايتها اوكالفارة (كذا بفاء) وهذا نقلهُ ابن دريد وقد انكرهُ الاصمعي · — قلت : انما انكر الاصمعي هذا التشبيه لانهُ قرأها كالفارة بالفاء وانما هي كالقارة بالقاف وهي الدُبّة ومشابهة القفة للدبة امر مشهور ذهب اليهِ علماء الافرنج ايضاً في العهد الاول وفي هذا العهد · وهو احسن من قول الاصمعي : دويبة كجرو الكلب · لاسيما لاننا نعلم ان المراد بالتفة الدابة التي قال عنها الصاغاني ما يثبت وصفها احسن الوصف اذ ذكر انها من « الجوارح الصائدة ثم زاد : وكانت عندي منها عدة دواب وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة ويقال لها الفنجل وعناق الارق وفارسيتهُ « سياه كوش » وبالتركية « قرا قلاغ » وبالبربرية « بنه كدود » ومعنى الكل « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البرابرة وهي احسنها واحرصها على الصيد · قال : واول ما رايت هذه الدابة في مقدشوه » انتهى

وقال في التاج في آخر مادة ه ر ف : ومما يستدرك عليهِ « يهرفُ » كيضرب اسم سبع سمي بهِ لكثرة صوتهِ » انتهى . قلت : وهو مبني على قول ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٥) : و يقال لبعض السباع هر يهرف بصوتهِ اي يتزيد فيهِ انتهى . فالظاهر ان صاحب التاج قرأ من العبارة : و يقال لبعض السباع : يهرف ولم ينتبه الى ما قبلها وما بعدها اما انت فتيقظ

هذا بعض مغامز دواوين لغتنا ذكرتهُ على سبيل التنبيه ليعلم الناس ان كتبنا تحتاج الى اصلاح ونقد من كل جهة ليكون عندنا منها ما يعتمد عليهِ ولا نبقى على ما كنا في سابق العهد متتبعين خطوات الاقدمين خطوة بخطوة ولا نبتعد عنهم قيد شعرة . فهذا زمن قد خلا هو واصحابهُ وما علينا الاَّ السير في طريق جديدة طريق التحقيق والتدقيق طريق الجهد والنقد طريق السعي والفلاح والحمد لله اولاً وآخراً امكح

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

جلسة ١٧ دسمبر ١٩١٥

قال السر اوليفر لدج كنت اتكلم مع مسز كندي وللحال جعلت يدها تكتب فكتبت ما يأتي . مضى عليَّ مدة طويلة فقولي لابي اني هنا انا ريمند

لدج — يا ولدي

ريمند — يصعب عليَّ يا ابي ان اعبر عن كل ما اشعر بهِ اما الآن فلا مناص من القول اني احبك يا ابي احبك حبًّا جمًّا

لدج — انا اعرف ذلك يا ابني فهل تريد ان تقول شيئًا لامك واخوتك

ريمند — كنت هنا اليوم وكلمت امي ولكنني لا ادري هل سمعتني . فقُل لها ذلك وقبّلها عني

لدج — حلمتْ بك حلمًا واضحًا منذ عهد قريب رأَتك في رؤْيا عند الفجر

ريمند — لا شبهة في انها ستراني فاني في الغالب قريب منها ولكنني لا اعلم هل رأَتني قبل الآن

لدج — لقد دنا عيد الميلاد يا ريمند

ريمند — نعم وسأحضر معكم . ابتهجوا والأ احزنتموني . الامر صعب عليكم ولكن يجب ان تعلموا الآن اني على ما يرام ومرادي ان لا اغيب لحظة عن البيت يوم عيد الميلاد

وقالت مسز كندي حينئذٍ انهُ ذهب ليأتي ببولس . ثم عاد فكتبت يدها ما يأتي اتيت بميرس فقال انهُ جاء ليقول لك كلمتين ثم قال ميرس « انطلق وتقدَّم ولا تدعهم يعيقونك هيَّا بنا يا لدج » ميرس (اي كتبت يدها تحت هذا الكلام كلمة ميرس »

ريمند — قولي لابي انهُ ذهب

فقال السر اوليفر ما معنى ذلك فقالت مسز كندي لا ادري

لدج — أَمضى ميرس

ميرس — تكلمتُ وساتكلم اذا لم تضطربي . لا تفكري والأ فلا فائدة قولي للدج لا اقدر ان اصف لهُ مقدار حبي لابنهِ فاني اشعر كأَن ابني نفسهُ معي . سامحيني لانني قلما استعين بكِ على مخاطبة الناس

مسز كندي — هل معناك انني اضطرب وأَنا انقل الرسالة منك

ميرس — نعم

لدج — أَلا يزال ريمند هنا نعم

لدج — أَتعلم يا ريمند ان مسز تشيفس ام الكبتن تشيفس ارسلت لنا صورتك الفوتوغرافية ريمند — نعم عرفت ان الصورة وصلت اليكم

لدج — وهي مثل وصفك لها ورأَينا صورة الرجل المتكيء عليك . فهل صُوِّرتَ صورة أُخرى

مسز كندي — قال انهُ تصور اربع صور . اقول اربع صور نعم اربع صور

لدج — نعم عندنا الصور التي صوّرتها وحدك ولكن هل صُورتَ مع غيرك من الضباط

ريمند — سمعت يا ابي وسانظر ولكنني اظن ان عندكم الآن الصورة التي كنت اعنيها وقد رأَيتك تنظر اليها وسمعت كل ما قلتهُ . قولي لابي انني سررت جدًّا

لدج — لي سوال يا ريمند قبلما تمضي هل رأَيت المسيح

ريمند — ساراهُ يا ابي بعد قليل لم يحن الوقت لذلك لاني غير مستعد لمشاهدتهِ ولكنني اعلم انهُ حي وانهُ يأتي الى هنا . وكل الحزانى يرونهُ اذا لم يساعدهم احد وقد رآهُ بولس فانهُ تألَّم كثيراً اما انا فلا انتظر ان اراهُ الآن وسأسر برؤيتهِ حينما يحين الوقت

لدج — سيكون عيد الميلاد من ابهج الاعياد علينا الآن

ريمند — قل لامي ان ابنها سيكون معها كل النهار يوم عيد الميلاد . وسيحضر الوف والوف منا الى بيوتهم في ذلك اليوم ولكن الامر المحزن ان كثيرين منهم لا يجدون مَن يتأهل بهم . فابقوا لي مكاناً . والآن لا بدَّ لي من الذهاب . انتهى

وواضح من هذه الجلسة انهُ اذا كان السوءال مما تعرف مسز كندي جوابهُ او ممّا ليس لهُ جواب محدود اجابت عنهُ بالتفصيل والأَّ حاولت محاولةً او تكلمت كلاماً عمومياً فان ريمند تصوَّر مع الضباط اكثر من صورة واحدة والظاهر ان مسز كندي كانت تجهل ذلك فنقلت عن ريمند كلام مراوغة

وجاء يوم عيد الميلاد وقال السر اوليفر لدج انهم جلسوا فيهِ حول المائدة للتكلم مع ريمند وسروا بهِ وغنوا كثيراً وكان كأَنهُ حاضر معهم يقودهم في الغناء . ثم قال انهُ لا يرى ان ينشر شيئاً ممَّا قيل حينئذٍ بل فضَّل ان ينشر ما جرى في بعض الجلسات الاخيرة ومن ذلك جلسة في بيتهِ في ٢ مارس ١٩١٦ مع سيدة اسمها مس ود و يطلق عليها عندهم اسم ودي كانت في زيارتهم و يظهر من كلامهِ عنها انهم يعرفونها من عهد طويل وانها كانت تكثر التردد اليهم حتى حرفوا اسمها كما يفعل الصغار في تحريف اسماء الذين يألفونهم

جلسة ٤ فبراير ١٩١٦

هذه من اغرب الجلسات بما قالهُ فيها ريمند عن السماء او الفلك الاعلى حيث شاهد السيد المسيح وكانت الجلسة مع مسز ليونار التي تتكلم بلسان مرشدتها فدى او بما يقوم في نفسها وهي في حالة الاستهواء وممَّا قالتهُ عن لسان ريمند قولهُ لامهِ وكانت قد سأَلتهُ هل الجميع في السماء على درجة واحدة فقال ان الدرجات حسب الفضائل والكل يمرون اولاً على الدرجات السفلى لكي يزيدوا اختباراً أَما هو فانهُ الآن في الدرجة الثالثة أو الفلك الثالث المسمى سمرلند وهوملند وهو مكان طيب جيداً وقريب من الارض حتى يسهل عليهِ النزول اليها والوصول الى سكانها ثم قال انهُ ذهب الى مكان غاية في البهجة . فقالت لهُ وما هو فقال الله اعلم فقد أُذن لي في ان ارى ما في الفلك الاعلى من حيث تأتينا الارواح العليا ولا اظنني استطيع ان اصفهُ لك حتى تستطيعي تصورهُ

(وهنا وقف السر اوليفر لدج عن الكلام وقال انهُ لا يستنسب نشر ما قالهُ ابنهُ من وصف ذلك الفلك قبل ان تثبت ادلة الحياة بعد الموت ثبوتاً يقنع الجمهور ولكنهُ لم يرَ من الحكمة ان يمتنع عن نشر ما شعر بهِ ابنهُ على اثر ما رآهُ فقد قال انهُ شعر بانهُ ارتقى وتطهَّر وابتهج وكان جاثياً على ركبتيهِ وهاك ما قالهُ بعيد ذلك)

« عرتني رجفة يا اماه من رأسي الى قدمي لم يدنُ مني (اي السيد المسيح) ولم احاول الدنو منهُ وكان صوتهُ كجرس في اذنيَّ ولا استطيع ان اصف لكِ لباسهُ فانهُ كان في غلالة من نور ساطع مختلف الالوان . لا ادري ماذا عملت حتى اتيح لي ان ارى هـذا المنظر البهيج . لم اكن احسب اني اصير اهلاً لذلك الاَّ بعد السنين الطوال . اني عاجز عن وصف ما شعرت بهِ فهل يفهمني احد . انتِ وابي تفهمان ولكنني اود ان يفهمني غيركما ايضاً . وكلامي يعجز عن التعبير حملت حملاً في رجوعي الى سمرلند ولما وصلت اليها شعرت كاني أُعطيت قوة جديدة استطيع بها ان اوقف جريان الانهار وان انقل الجبال

« وقد سُرَّ ميرس بما جرى لي وقال ان البلوغ الى الفلك الاعلى ليس خاصًّا برجال الدين . والعبرة بما يعملهُ الانسان لا بما يؤْمن بهِ فاذا لم تؤْمن بالخلود ولكنك عملت عمل مَن يؤْمن بهِ فعشت عيشة راضية وتركت ما لا تفهمهُ فهذا كل ما يُطلَب منك . فما اسهل ما يطلب من الانسان حتى لقد يُظن ان كل الناس يعملون بهِ ولكن ما اقل العاملين

« ونحن هنا ننتظر ان نتغير الاحوال تغيراً كبيراً على الارض . وفي غضون خمس سنوات يكثر الذين يتوخون معرفة ما في الحياة الاخرى وكيف يجب ان يعيشوا على الارض حتى يكونوا في حالة صالحة حينما يأتون الى هنا »

جلسة ٢ مارس ١٩١٦

كانت هذه الجلسة حول مائدة في بيت السر اوليفر لدج ولم يحضرها وسيط من الوسطاء المعهودين بل حضرتها لادي لدج وابنتها اونور ومس ود المسماة ودي وهي التي تولَّت كتابة ما جرى وقالت ان هذه اول جلسة حضرتها من هذا النوع . وهاك خلاصة ما كتبتهُ :

« لما عزمنا على الجلوس حول المائدة قالت لادي لدج اننا نصلي دائماً صلاة مختصرة قبل الجلوس فظننتُ انها عازمة ان تصلي بصوت عالٍ لكنها لم تفعل ذلك بل صلَّت في سرها ففعلت انا مثلها وكنت قد صليت ايضاً وانا في غرفتي . وجلسنا حول المائدة ومضت مدة ولم يحدث شيء وكل ما كنت اشعر بهِ شدة برد المائدة . وبعد نحو نصف ساعة قالت لادي لدج لا اظن انهُ عازم على الحضور ومع ذلك ننتظر قليلاً ايضاً ثم نمضي . وبعد قليل قالت هل حضر احد الليلة لكي يكلمنا . تعال يا ريمند اذا استطعت لاننا نريد ان نري ودي ما هي الجلسة يا حبيبي اتظن انك تستطيع ان تحضر

فلم تتحرك المائدة اي لم تجب بشيء لا سلباً ولا ايجاباً

وفي مدة نصف الساعة الاولى قبلما تكلمت لادي لدج كنت اشعر بدغدغة في كفيَّ واصابعي ثم شعرت كان شيئاً حاول مدَّ يديَّ وكأن فقاعة هواء خرجت من المائدة ولطمت راحتيَّ شعرت بها في الاول مرةً واحدة ثم ثلاث مرات ثم اثنتي عشرة مرة ثم شعرت كانَّ صوتاً خرج من وسط المائدة . وكلما شعرت بشيءٍ من ذلك كانت لادي لدج تسألني هل حركتُ يديَّ وان كنت قد حركتهما فيكون ذلك على غير قصد مني فلم اقل شيئاً ثم قالت هي ونورا ما هذا فان المائدة لم تفعل مثل ذلك قبلاً . فاخبرتهما حينئذٍ بما شعرت بهِ

لادي لدج — هل تنتظر مجيءَ احد فاننا نود جدًّا ان يحضر احد بعد هذا الصبر الطويل ولكن لا مجيب . فقالت لا اظن اننا سنفلح هذه النوبة . فقلت لها اصبري قليلاً فان الدغدغة عادت الى يديَّ . وقالت اونور نعم واظن انهُ يوجد شيء . وحينئذٍ شرعت المائدة تتحرك فقالت لادي لدج يا حبيبي ريمند اهذا انت

فتحركت المائدة ثلاثاً (اي نعم)

لادي لدج — احسنت لان ودي كانت مشتاقة جدًّا الى حضورك

فتحركت المائدة ذهاباً واياباً حركات تدل على السرور والابتهاج

ودي — اتظن ان فيَّ قوة نفسية المائدة — لا

لادي لدج — ذهبت لورنا (اختهُ) لتمرّض الجنود وهم مصابون بالتيفويد اتظن انها تعدى منهم المائدة — لا

لادي لدج — اتستصوب ذهابها المائدة — نعم

لادي لدج — اراك تهز المائدة كانها حصان من خشب اتتذكر حصان الخشب في نيوكاسل المائدة — نعم

لادي لدج — اتقدر ان تذكر لنا اسمهُ . وتليت حروف الهجاء حينئذٍ فوقفت عند الحروف التي مجموعها كلمة برنس (وكان يسمي ارتشر برنس)

ثم تحركت المائدة حركات القلق فقالت اختهُ اونور اراهُ يريد ان يخبرنا شيئاً فتلوا حروف الهجاء فوقفت عند الحروف التي مجموعها « محبتك لاختي الصغيرة » ولما تمت العبارة تلوناها عليهِ فاظهر بحركات المائدة الابتهاج الشديد ولاسيما عند ذكر كلمة « اختي » فقالت امهُ اتعني اختك للي . فقالت المائدة نعم . فقالت امهُ هل هي هنا فقالت المائدة نعم فقالت امهُ اهي هنا في هذه الغرفة . فقالت المائدة نعم . فقالت امهُ اتستطيع للي ان ترانا . فقالت المائدة لا . فقالت امهُ يا حبيبتي للي ان امك تحبك جدًّا وسآتي واراك يوماً ما

واسعد برؤيتك يا حبيبتي فلقد احسنتِ بمجيئك مع ريمند فساعديهِ دائماً على الحضور الى ان يصير قادراً على الحضور وحدهُ . سلمي على اخيك بل

وظهر حينئذٍ كأن المائدة تحاول ان تقع في حضن لادي لدج ثم شعرنا كأن ريمند يريد ان يمضي فسألناهُ هل هذه رغبتهُ فقالت المائدة نعم فودعناهُ وذهب . انتهى

ويظهر لنا ان قيام هؤُلاء النساء الاربع حول المائدة نصف ساعة كافٍ لاستهوائهنَّ مع ما فيهنَّ من الاستعداد لذلك وان الجلسة قصرت لانهُ لم يكن هناك وسيطة مثل مسز ليونارد ومسز كندي تطيلانها بالكلام الفارغ كما تشاءان. وان مس ود كتبت ما كتبت بعد الجلسة لا في اثنائها لان يديها كانتا موضوعتين على المائدة حينئذٍ فيحتمل انها كتبت ما قام في وهمها لا ما حدث حقيقة

جلستا ٣ مارس ١٩١٦

دبرت جلستان لاجل الامتحان واقامة الدليل الاولى جلسها السر اوليفر لدج في بيت مسز كندي وكان هناك امرأة اسمها مسز كلغ قال انها من اللواتي تتصل بهنَّ ارواح الموتى باعظم سهولة فيصرن آلة في يدها . ووصل السر اوليفر لدج الى بيت مسز كندي قبيل الظهر وجلس معها في غرفة الاستقبال ودخلت حينئذٍ مسز كلغ وقالت أهذا هو الرجل الذي يراد ان اجلس معهُ فقالت لها مسز كندي نعم واجلستها على كرسي قرب الموقد . وللحال وقع عليها السبات فقالت انها تجد الغرفة ملأى بالناس وانها سمعت واحداً يذكر اسم السر اوليفر لدج . فسألت هل من احد هنا يعرفهُ فقلت لها انا اعرفهُ . ثم قالت مَن هو ريمند ريمند ريمند فانهُ واقف الى جانبي . ثم اغمي عليها او اصابها البحران وجعلت تتشنج وتتنهّد كمن قُطع نفسهُ ثم قالت ساعدوني ساعدوني هاتوا الطبيب . وبعد قليل هدأ روعها ثم جعلت تقول انا مبسوط يا ابي قل لامي . واستمرَّت على مثل هذه الاقوال وهي تضع يديها عليَّ كأنها تريد ان تعتنقني وتظهر معظم بهجتها بما تعجز عن التعبير عنهُ بالكلام كأن ريمند نفسهُ حلَّ فيها . وثبت لي ذلك من انها صارت تتكلم كأنها ريمند نفسهُ فذكر ان مسدسهُ لم يُعَد وانهُ لم يتم كتابة الصفحة الاخيرة من يوميتهِ واخيراً ودعنا وجاء بدلاً منهُ روح شخص آخر من الضباط فجعلت مسز كلغ تتكلم بصوت الآمر الناهي. ثم ذهب هذا واتى مرشدها واسمهُ هوب فاخذت تتكلم بلسانهِ كلاماً جليًّا منسجماً

والجلسة الثانية جلسها السر اوليفر لدج مع مسز ليونارد في بيتها وكان رجل من رفاقهِ اسمهُ سونشين قد قصدها هو وزوجتهُ وهي لا تعرف مَن هما لكي يستخبراها عن ابنهما وكان

مهندساً وقد وقع عن جبل مغطّى بالثلج واختفى اثرهُ وكان ريمند يعرفهُ فحضر واخبرها عنهُ انهُ توفي من غير الم . فلما جلس السر اوليفر لدج مع مسز ليونارد حضرت مرشدتها فدى حالاً وقالت ان ريمند حضر ايضاً واشارت الى حضورهِ في الجلسة السابقة لمساعدة الاستاذ سونشين وزوجتهِ ولم يكن السر اوليفر يعلم ذلك ثم قالت انهُ حضر مع بولس اليوم الى بيت ام بولس ولكن لم تكن الجلسة مع ام بولس بل مع سيدة أُخرى كبيرة السن[1] واراد ان يتكلم بواسطتها لكنهُ وجد الكلام بواسطتها صعباً

لدج — ومن كان هناك ايضاً

فدى — لا يعلم لان الامور لم تنجلِ لهُ بل كان كأَنهُ في ضباب (ثم انتقل الكلام من ضمير الغائب الى المتكلم فتكلمت بلسان ريمند قائلة) ماذا اصاب تلك المرأَة حتى صارت تتخبَّط فظننت انني امرضتها فلو لزمت السكوت لسهل الامر وقد حاولت مسز كندي مساعدتها فلم تفلح ولا استطيع ان اعمل بواسطتها ما يكون امتحاناً دقيقاً ولو استطعت ان اتحكم فيها (وعادت الى الكلام عن ريمند بضمير الغائب) وقد ضحك عليها هو وبولس .. وكان واثقاً انك انت هناك وان مسز كندي هناك ايضاً ولكن كل شيء كان مضطرباً ويطلب منك اذا اردت ان تمتحنهُ او تمتحنهُ في احوال متشابهة[2]

ويلي ذلك كلام عن اناس آخرين ان لم تكن مسز ليونارد عارفة باخبارهم فالاخبار عنهم من قبيل المعجزات ولكن ان كانت عارفة باخبارهم فقد خدعت السر اوليفر لدج وكذلك وصفت لهُ بلسان ابنهِ كيف يجلس في بيتهِ ويكتب او ينفخ وقال ان وصفها صحيح فان لم تكن عارفة بذلك فهو من الغرابة بمكان كوصفها لخيام نصبها اولادهُ وقضوا فيها بعض ايام النزهة ولقارب قائم على عجل ولهُ شراع يجري بهِ على الرمل . والوصف حسن ولو لم يكن صريحاً وقد رسم صور ذلك الفوتوغرافية في كتابهِ . ومن رأيهِ ان فدى عرفت الوصف من شعورها بما هو قائم في ذهنهِ بالتلبثي ان لم تكن قد عرفتهُ من روح ريمند نفسهِ . مع ان هناك فرضاً آخر اقرب الى المعقول من هذا ومن ذاك وهو ان مسز ليونارد رأَت هذه الصور

(١) وقد علق السر اوليفر لدج على هذا الكلام شأْناً كبيراً لان الاشارة فيهِ الى مسز كلغ ولم تكن فدى تعلم شيئاً عن جلستهِ مع مسز كلغ صباح ذلك اليوم . وهذا يصح اذا لم يكن في الامر غش مطلقاً ولكن ما ادرانا انهُ لم يكد يخرج من بيت مسز كندي حتى جعلت تكلم من في بيت مسز ليونارد بالتلفون مخبرة بما حدث في بيتها . والعالم مطية الجاهل (٢) وقد اعجب السر اوليفر بهذه الاشارات الى جلستهِ مع مسز كلغ حاسباً ان كل ما جرى لا غشَّ فيهِ مطلقاً

الفوتوغرافية في بيتهِ وسمعت قصتها فوصفتها لهُ الآن . وان كانت عالمة بما فعلت فهي خادعة وأن كانت غير عالمة فهي غير خادعة بل معبّرة عمّا في ذهنها الباطن على غير قصد منها . وقد اهمّت مسز ليونارد بوصف هذه الاشياء لانها علمت ان السر اوليفر لدج كان قاصداً ان يمتحن صحة تجلي ابنهِ لها بالاستعلام منهُ عن امور لا تعلمها هي فتركها تختار الامور التي تريدها . وعندنا انهُ كان عليهِ ان يختار هو الامور التي يعلم جيداً ان ابنهُ يعرفها وهي لا تعرفها كبعض القوانين الرياضية والطبيعيَّة كما قلنا في الجزء الماضي

ثم طلب من فدى ان تسأل ريمند عن طائر في حديقة بيتهِ . فقالت نعم قال انهُ كان يقفز من مكان الى آخر . فقال السر اوليفر دعينا من الطيور واسأليهِ عن المستر جكسن وكان هذا اسم طاووس في حديقة البيت اصيب بمرض في رجليهِ ثم وُجد ذات يوم ميتاً كأنهُ وقع من شدة البرد ودق رقبتهُ قبل هذه الجلسة ببضعة ايام فاستدعت لادي لدج رجلاً ليصبرهُ وارتهُ قائمة من الخشب كانت تريد ان تنصبهُ عليها مصبراً . وكان كلام فدى عنهُ مطابقاً للواقع ولا يحتمل ان تكون مسز ليونارد عرفت عن تصبيرهِ من احد لان السر اوليفر قال ان آخر شيءٍ رآهُ حينما خرج من بيتهِ ليأتي الى بيتها كان الرجل الذي استدعتهُ لادي لدج ليصبر الطاووس . وقد علل معرفتها ذلك اما ان روح ريمند عرفت ما جرى فاخبرت فدى بهِ واما ان عقلها تأثر مما في عقل السر اوليفر بالتلبثي . وعندنا ان هناك فرضاً آخر وهو ان السر اوليفر لدج نفسهُ اصيب بشيءٍ من الذهول وهو امام الوسيطة فكان يسمع ما هو قائم في ذهنهِ لا سيما وان كلامها بلسان فدى غير جلي . ومن مزايا هذه الوسيطة انها تتكلم بانكليزية مكسرة مختلة واذا طُرح عليها سؤَال لا تعلمهُ ارتبكت ولجأت الى المراوغة . سألها السر اوليفر في هذه الجلسة لتسأل ريمند هل حضر منذ عهد قريب في جلسة اخرى استدعاهُ اليها شخص آخر فقالت ما ترجمتهُ « لا يقول كثيراً كلا لا يقول لا شيءَ عن ذلك قوَّتهُ غير عظيمة ويخشى ان يغلط . اني اودعك الآن يا ابي اهدِ محبتي الى امي صرت الآن اقرب اليك مما كنت قبلاً ولكنني لست احمق حتى لا اظهر ذلك . اهدي محبتي الى الجميع . ليونل ولد محبوب . محبتي للجميع » . الى غير ذلك من الاقوال المألوفة مع ان السر اوليفر اشار الى جلسة جلسها المستر هل مع بيترس الوسيط في ذلك الوقت واستدعوا فيها روح ريمند فلما لم تكن مسز ليونارد عارفة بها اجابت بالمحاولة والمراوغة كما تقدم ومع ذلك كتب السر اوليفر لدج في آخر ما كتبهُ عن هذه الجلسة «انها كانت على غاية ما يرام وفيها امور كثيرة مؤيدة بالبرهان »

جلسة ١٧ ابريل ١٩١٦

كانت في بيت السر اوليفرلدج وكتبت لادي لدج ما جرى فيها قالت كنت انا وابناي وبناتي الاربع في غرفة الاستقبال وابناها اسكندر وليونل ومس وُد وكان البنات واخوهم اسكندر يغنون و ينقرون على البيانو فقالت مس ود انها تشعر كأَن ريمند في الغرفة معهم جاء يسمع الموسيقى فاتيت بالمائدة التي نضع ايدينا عليها ووضعتها قرب البيانو ووضعت ابنتي اونور يدها عليها وللحال جعلت تهتز فوضعت انا يديَّ ايضاً وسأَلناه هل ريمند هنا فاجابت نعم وجعلت تتحرك حسب حركة الاصوات الموسيقية كأَن ريمند كان يشارك اخوتهُ في غنائهم واتى ليونل ووضع يدهُ معنا . وكنا نحاول ابعاد المائدة عن البيانو وهي تحاول الاقتراب منهُ فجاء اسكندر بوسادة ووضعها بينها وبين البيانو لكي لا تؤَثر في صوتهِ لكنها ظلت تحاول الالتصاق بهِ الى ان خرقت الوسادة . ثم جعلت تحرك رجلاً من ارجلها الثلاث وكان هناك لوح علوهُ نصف قدم ممتد على دائر ارض الغرفة في اسفل جدرانها فوضعت المائدة رجلها على اعلاهُ ورفعت الرجلين الاخريين في الهواء وجعلت تكرر ذلك مرةً بعد اخرى على سبيل اللعب والفكاهة ثم ارتمت على الارض فقلنا لها هل نساعدك على النهوض فاجابت كلاً وحاولت النهوض من تلقاء نفسها فعجزت فعرضنا مساعدتنا عليها فابت فقال ليونل مخاطباً ريمند « ان يدي تحت المائدة وانا متضايق من جراء ذلك افلا تسمح لي برفع المائدة » فضربت المائدة ثلاث ضربات اي قالت نعم فرفعناها . ثم قلتُ انا اني اريد ان اسأَلك يا ريمند سؤَالاً على سبيل الامتحان ما هو اسم الفلك الذي انتم فيهِ الآن (لانني كنت قد سمعت ان ريمند قال لمسز ليونارد انهم في الفلك الثالث وان اسم هذا الفلك سمرلند (اي بلاد الصيف) فحسبت ان ذلك من عنديات مسز ليونارد . وامر هذه الافلاك لا ينطبق على عقلي ولكن قد يكون المراد بها الاحوال التي تكون فيها النفس . ثم تلونا حروف الهجاء فوقفت المائدة عند هذه الحروف Summerrlodge فسأَلناها الم يقع خطأٌ في تكرير الحرف r وفي حروف lodge بدل land فاجابت بالنفي اما انا فبقيت معتقدة ان ذلك خطأ ثم عرفت ان الذي كتب ما حدث في الجلسة المشار اليها آنفاً مع مسز ليونارد كتب هذه الكلمة هكذا Summer R. Lodge كما هجيت لنا »

وعلّق السر اوليفر لدج على ارتفاع ارجل المائدة انهُ لا يؤَكد انها تحركت كذلك من تلقاء نفسها ولكنهُ يؤَكد انهُ لم يحركها احد قصداً او وهو شاعر انهُ حركها

طرائف من ادب العرب

(٦)

حول لفظتين

« من كتاب تقويم اللسان لابن الجوزي : جواب لا يجمع وقول العامة اجوبة كتبي وجوابات كتبي غلط والصحيح جواب كتبي . حاجات وحاج جمع حاجة وحوائج غلط . يقال الحمد لله كان كذا ولا يقال الحمد لله الذي كان كذا .. العروس يقال للرجل والمرأة لا للمرأة فقط . لا يقال كثرت عيلتهُ انما يقال كثرت عيالهُ والعيلة الفقر »

هذا ما نقل صاحب الكشكول عن ابن الجوزي ولم يخالفهُ فيهِ ولا علّق عليهِ بشيءٍ . اما انا فاقول :

جاء في محيط البستاني : الحاجة السؤْل ج حاج وحاجات وحوائج على غير قياس كأنهم جمعوا حائجة . وهو كما قالوا عوائد في جمع عادة . وكان الاصمعيّ ينكرهُ ويقول هو مولّد . وانما انكرهُ لخروجهِ عن القياس والاّ فهو كثير في كلام العرب . ويُنشد لبعضهم

نهار المرء امثلُ حين يقضي حوائجهُ من الليل الطويل »

انتهى . وقد اشار تاج العروس الى قول الاصمعي « هو مولّد » وقال : اما قولهُ انهُ مولّد فانهُ خطاء منهُ لانهُ قد جاء ذلك في الاحاديث وفي اشعار العرب الفصحاء . فمما جاء في الحديث ما روي عن ابن عُمَر ان رسول الله (صلعم) قال ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم في حوائجهم » الخ . وفي الحديث ايضاً ان الرسول قال « اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه » . و « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها » . ثم اورد ابياتاً للشماخ والاعشى والفرزدق وابن الاعرابي وابن خالويه تتضمن لفظة حوائج . وقد خُطِّئَ الحريري لانهُ خطأ « حوائج » في كتابهِ درة الغواص . وقال الخليل « ألا تراهم جمعوا الحاجة على حوائج » فاثبت صحة حوائج وانها من كلام العرب . قال التاج « وانما غلط الاصمعي في هذه اللفظة كما حكي عنهُ حتى جعلها مولدة كونها خارجة عن القياس لان ما كان على مثل الحاجة مثل غارة وحارة لا يجمع على غوائر وحوائر » ولكن نقل عن بعضهم ان « الاصمعي رجع عن هذا القول وانما هو شيءٌ كان عرض لهُ من غير بحث ولا نظر . وهذا الاشبه بهِ لان مثلهُ لا يجهل ذلك اذ كان موجوداً في كلام النبي (صلعم) . وكان

الحريري لم يرَ بهِ الاَّ القول الاول عن الاصمعي دون الثاني » انتهى . والتاج نقل عن لسان العرب

وكنت اقلب الاغاني (الجزء الاول) فقرأت قول ابن زياد المكي

ثلاث حوائج ولهنَّ جئنا فقم فيهنَّ يا ابن ابي جرابِ

وقرأت فيهِ عن الثريا عشيقة عمر بن ابي ربيعة : فبينا هي عند ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان اذ دخل عليها الوليد فقال من هذه فقالت الثريا جاءتني اطلب اليك في قضاء دين عليها وحوائج لها » الخ

وعلى ذكر الحوائج تخطر « العوائد » المختلف كل الاختلاف في صحتها كجمع عادة لا كجمع عائدة . قال صاحب التاج : ومن جموع العادة (غير عاد وعادات) عوائد ذكر في المصباح وغيرهِ وهو نظير حوائج في جمع حاجة . والذي صرح بهِ الزمخشري وغيرهُ ان العوائد جمع عائدة لاعادة »

اما كثرة ورود عوائد جمع عادة في ابن خلدون فلا يؤْخذ بها لان ابن خلدون حجة بين كتاب العرب في الفلسفة والادب لا في اللغة

والخلاصة ان كلمة حوائج صحيحة وان تكن غير قياسية لورودها في الاحاديث النبوية . وقد اخطأَ الاصمعي فيها ثم اصلح خطأَهُ . واخطأَ الحريري ولم يصلح لانهُ بنى حكمهُ على خطإِ الاصمعي ولم ينتبه الى اصلاحهِ . واشار اليها الخليل اشارة تدلُّ على صحتها والقول ما قال الخليل . وقد وردت في شعر الجاهليين كالاعشى وشعر المخضرمين كالشماخ وشعر اعاظم الثقات في اللغة كابن الاعرابي وشعر كبار المولدين كالفرزدق ونثر بعض اعاظم الكتاب كالاصفهاني نقلاً عن اعلام المولدين كعمر بن ابي ربيعة ومعاصريهِ

اما ما اسند الكشكول الى ابن الجوزي من قولهِ « جواب لا يجمع وقول العامة اجوبة كتبي وجوابات كتبي غلط والصحيح جواب كتبي » فهو قول سيبويه لا ابن الجوزي ولكن هذا نقلهُ ولم يذكر مصدرهُ . والظاهر انهم لاحظوا في لفظة جواب كونها اسم مصدر كلفظة كلام فلم يجمعوها مثلها . كذلك يظهر انهم حماوا لفظة سؤَال عليها حمل النظير على النظير وان لم تكن اسم مصدر وانما هي مصدر سأَل لاننا لم نرَها مجموعة في كتاب من كتب اللغة . ولكن جمعها ليس محظوراً ككل مصدر يتعدَّد فانهم يجيزون جمعهُ مثل اشربة جمع شراب واطعمة جمع طعام . والحق يقال ان هذه مشكلة من المشاكل التي يحسن باعلام اللغة حلُّها بوضع القواعد الصريحة فيها . فان الكلام كثيراً ما يقتضي جمع

بعض الالفاظ التي انكروا جمعها حيث يراد التعدد ولا يكاد المعنى يستقيم بلفظ المفرد. فإما المحافظة على القديم مع ما فيهِ من الاضطراب واما الانتقال منهُ الى طلاوة الجديد . وهذا يأتي بنا الى حزبي المحافظين والاحرار في اللغة كما في السياسة . وقد دلّ الاختبار ان الاولين هم الخاسرون على مرّ الزمن وان الآخرين هم الرابحون

***

ومن الالفاظ التي كثر الاخذ والرد فيها لفظة عائلة وهل هي صحيحة ام لا . وغاية ما اهتديت اليهِ بعد مراجعة كتب اللغة والاطلاع على بعض كتب الادب ان عائلة لم تذكر الاَّ في قاموس واحد هو محيط البستاني وقد جاء فيهِ انها « موَّنث العائل . وعائلة الرجل زوجتهُ واولادهُ ومن تكفَّل بهِ واقاربهُ لابيهِ » ولا ادري من اين جاء بهذا التعريف. وجاء في اقرب الموارد للشرتوني « عائلة الرجل عيِّلهُ لم اقع عليها ولكنها تصح قياساً » . اما لفظة عيلة التي جرَّب بعضهم استعمالها مكان عائلة بحجة انها هي الصحيحة وان عائلة خطأ فليست صحيحة بهذا المعنى وانما معناها الفقر كما قال ابن الجوزي . وسائر القواميس على ان عيال ككتاب وعيِّل ككيِّس هما اللفظتان الصحيحتان . والعيِّل قد يكون للمفرد وجمعهُ حينئذ عالة او ان هذه جمع عائل على قول لسان العرب . او العيِّل واحد العيال في قول آخر والجمع عيائل

وقد رأيت ابن الاثير المؤرخ يستعمل لفظة عيالات حيث يريد العيال فقال في موضع « فلما انهزموا اقروا بالاسلام خشية على عيالاتهم فامنهم » . وقال في موضع آخر عند كلامهِ على ردَّة اليمن الثانية « فاستنقذوا طائفة اخرى من عيالات الابناء » الخ . ولم اعثر على هذه اللفظة في كتاب آخر ولعلها جمع الجمع مثل رجالات جمع رجال ولكن جمعاً مثل هذا ليس قياسيًّا . وغني عن البيان ان ابن الاثير ليس حجة في اللغة فان لم ترد في كتاب يؤخذ بهِ في اللغة كمقامات الحريري او اغاني الاصبهاني وجب ألاَّ يؤخذ بها

الجنّ والشياطين

« قال في حكمة الاشراق عند ذكر الجن والشياطين وقد شهد جمع لا يحصى عددهم من اهل دربند من مدن شروان وقوم لا يعدون من اهل ميانج من مدن اذربيجان انهم شاهدوا هذه الصور كثيراً بحيث اكثر اهل المدينة كانوا يرونهم دفعة في جمع عظيم على وجه ما أمكنهم دفعهم . وليس ذلك مرة واحدة او مرتين بل كل وقت يظهرون ولا تصل اليهم ايدي الناس » انتهى

ولو جلست الى عامة الناس تسمع ما يروون عن الجنّ او الجان والتوابع الشياطين والغيلان والهواتف والسعالي لاعياك السمع وما اعياهم الكلام — سواءٌ في ذلك عامة اهل مصر والشام وايطاليا وروسيا حتى انكلترا وفرنسا وغيرها من البلاد العالية الكعب في العمران. فقد كان العرب في جاهليتهم يزعمون ان الغول تتغول لهم في الخلوات وتظهر لخواصهم في انواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وكانوا يزعمون ايضاً ان لها رجلي عنز فاذا اعترضتهم في الفيافي دعوا عليها بهذا البيت من الرجز

يا رجل عنز انهقي نهيقا   لن تنزلي السبيل والطريقا

فتشرد في بطون الاودية ورؤوس الجبال. وقد ذكر عمر بن الخطاب (رضه) انهُ شاهد ذلك في بعض اسفارهِ الى الشام وان الغول كانت تغول لهُ وانهُ ضربها بسيفهِ وذلك قبل ظهور الاسلام. فلما جاء الاسلام قلّ التحدث بالجان كما قلّ بعد ترعرع المسيحية

واذا رجعت الى القاموس وجدتهُ يقول ان «الغول ساحرة الجنّ وشيطان قيل يأكل الناس او دابة رأتها العرب وعرفتها وقتلها تأبط شرًّا». وفيها يقول تأبط شرًّا من ابيات

وادهم قد جبت جلبابهُ   كما اجتابت الكاعب الخيعلا[1]

فاصبحت والغول لي جارة   فيا جارتي انت ما اهولا

فمن كان يسأل عن جارتي   فان لها باللوى منزلا

قال المسعودي: «وكانت العرب قبل الاسلام تزعم ان الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة. وقد وصفها بعضهم فقال:

وحافر العنز في ساق مدملجة   وجفن عين خلاف الانس بالطولِ

«وللناس كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار. وهو نوع من الانواع المشيطنة يظهر في اكناف اليمن واعالي صعيد مصر» الى آخر ما هناك فليراجع في موضعهِ

والظاهر ان المسعودي استنكر ما يروى عن الجن من الحكايات الكثيرة التي ذكرها فقال «وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمنعون مما ذكرنا و يأبون ما وضعنا فاوردنا ما قالهُ الناس من اهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذي تصنيف ان يورد جميع ما قالهُ اهل الفرق في معنى ما ذكرناهُ»

(١) جبت قطعت. والكاعب الفتاة. والخيعل قميص للنساء

وعلّل روئية بعض الناس للجن على ما يزعمون بقولهِ : وقد تنازع الناس في الهواتف والجان فذكر فريق منهم ان ما تذكرهُ العرب من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحُّد في القفار والتفرد في الاودية ٠٠٠٠ لان الانسان اذا صار في مثل هذه الاماكن يوجد لهُ تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلتهُ الظنون الكاذبة والاوهام المؤْذية الفاسدة فصورت لهُ الاصوات ومثلت لهُ الاشخاص واوهمتهُ المحال بنحو ما يعرض لذي الوسواس ٠٠٠٠ فتوهم ما يحكيهِ من هتف الهواتف بهِ واعتراض الجن »

ومن اغرب ما نسب العرب الى الجن نظم الشعر . فذكر المسعودي حكاية من حكاياتهم خلاصتها ان علقمة بن صفوان جدّ مروان بن الحكم لامهِ رأى في ضواحي مكة جنيًّا على صورة نصف انسان كانوا يسمونهُ شقًّا فقال الشقُّ

علقم اني مقتولْ وان لحمي مأكول
اضربهم بالمدلول ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالي ولك اغمد عني منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كلٌّ منهما صاحبهُ فخرَّا ميتين

وذكروا عن الجنّ بيتًا قالتهُ في حرب بن امية حين قتلتهُ والبيت مشهور عند علماء البيان يأتون بهِ شاهداً على تنافر الحروف وهو :

وقبر حرب بمكان قفرُ وليس قرب قبر حرب قبرُ

ودليلهم على انهُ من قول الجنّ انهُ لم يتأتَ لاحد من الانس ان ينشدهُ ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع (١) في انشادها

وكان العرب يزعمون ان لكل شاعر مجيد تابعًا او جنيًّا يلقنهُ الشعر . روى مطعون الاعرابي عن ابيهِ قال : مررت بشيخ عليهِ اطمار فعلمت انهُ جانّ فقلت لهُ اتروي شيئًا من اشعار العرب فقال نعم فانشأ يقول

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من آل سلمى ولم يلمم بميعادِ

(١) التردد من حصر او عيّ

الى آخر ستة ابيات فلما فرغ من انشاده قلت لهُ هذا الشعر لعبيد بن الابرص · فقال الجني ومن عبيد لولا هبيد · فقلت ومن هبيد فانشأ يقول

انا ابن الصلادم ادعى الهبيد حبوت القوافي قرمي اسد
عبيداً حبوت بمأثورة وانطقت بشراً على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هـذا معدّ

قلت من مدرك · قال هو ابن داغم صاحب الكميت وابن عمي وكان الصلادم وداغم من اشعر الجن

وقال ابن مظعون لماحدثهُ ابوهُ بهذا الحديث انهُ احبّ اذ علم ان لشعراء العرب شياطين تنطق به على ألسنتها ان يعرف ذلك ورجا ان يلقى مدركاً الذي ذكر الهبيد لابيهِ ···· فورد عليهِ رجل من اهل الشام فتمشيا معاً ثم وقف الرجل يصلي وجلس ابن مظعون يروي لابنيهِ شعر النابغة فانفتل الرجل من صلاتهِ وحدثهم بحديث فحواهُ انهُ لقي ذات يوم شيخاً اضرم النار وجلس حولها هو وصبية لهُ صغار · و بعد حديث طويل معهُ سألهُ اتروي من اشعار العرب شيئاً قال نعم قال انشدني للنابغة · فقال الشيخ اتحب ان انشدك من شعري انا قال نعم فاندفع ينشد لامرىء القيس والنابغة وعبيد · ثم اندفع ينشد للاعشى فقال الشامي لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمان طويل · قال للاعشى · قال نعم · قال الشيخ فانا صاحبهُ · قال فما اسمك قال مسحل السكران بن جندل · فعرف اذ ذاك انهُ من الجن فسألهُ من اشعر العرب فقال « ارو قول لافظ بن لاحظ وهياب وهبيد وهاذر بن ماهر » · فقال الشامي هذه اسماء لا اعرفها · قال اما لافظ فصاحب امرىء القيس · واما هبيد فصاحب عبيد بن الابرص و بشر· واما هاذر فصاحب زياد الذبياني وهو الذي استنبغهُ

وذكر آخر انهُ لقي جنياً فاستنشدهُ من اشعار العرب فانشدهُ قول امرىء القيس « قفا نبك » الى آخر المطلع المشهور فلما فرغ قال لهُ لو ان امرأَ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام ···· قال انا والله منحتهُ ما اعجبك منهُ · قال فما اسمك قال لافظ بن لاحظ فعرف انهُ من الجن وسألهُ من اشعر العرب فقال

ذهب ابن حجر بالقريض وقولهِ ولقـد اجاد فما يعاب زيادُ
لله هاذر ان يجود بقولهِ ان ابن ماهر بعدها لجواد

فسأله من هاذر فقال انهُ صاحب الذبياني وهو اشعر الجن واضنهم بشعرهِ

ويروون للجنّ شعراً كثيراً يضيق بنا المقام عن ايرادهِ · منهُ قصيدة تناهز الخمسين بيتاً اولها

الدهر يأتيك بالعجائب ان الدهر فيهِ لديك معتبرُ
بينا ترى الشمل فيهِ مجتمعاً فرّقهُ من صروفهِ القدرُ
لا تنفع المرء فيهِ حيلتهُ مما سيلقى يوماً ولا الحذرُ

وقد اشار الاعشى في بعض قولهِ الى اشتراك الجن والانس في النظم وما زعموا من ان لكل شاعر تابعاً فقال :

شريكان فيما بيننا من هوادةٍ صفيان انسي وجنّ موفقُ
يقول فلا اعيا بقول يقولهُ كفاني لا عيّ ولا هو اخرقُ

وذكر ان رجلاً اتى الفرزدق فقال اني قلت شعراً فانظرهُ · قال انشد فقال :

ومنهم عُمَرُ المحمود نائلهُ كانما راسهُ طين الخواتيمِ

فضحك الفرزدق وقال يا ابن اخي ان للشعر شيطانين يدعى احدهما الهوبر والآخر الهوجل · فمن انفرد بهِ الهوبر جاد شعرهُ وصح كلامهُ ومن انفرد بهِ الهوجل فسد شعرهُ · وانهما قد اجتمعا لك في هذا البيت فكان معك الهوبر في اولهِ فاجدت وخالطك الهوجل في آخرهِ فافسدت · وان الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فنحر فجاء امرؤُ القيس فاخذ راسهُ · وعمرو بن كلثوم سنامهُ · وزهير كاهلهُ · والاعشى والنابغة فخذيهِ وطرفة ولبيد كِرْكِرَتهُ[1] ولم يبق الاّ الذراع والبطن فتوزعناها بيننا · فقال الجزّار يا هؤلاء لم يبق الاّ الفرث والدم فامروا لي بهِ فقلنا هو لك · فاخذهُ وطبخهُ ثم اكلهُ ثم ... فشعرك يا هذا من ... ذلك الجزار · فقال الفتى فلا اقول بعدهُ شعراً ابداً»

وقد اعتقد اليونان والرومان بالتوابع الذين يوحون الى الشعراء بشعرهم ويسمونهنّ « موزا » وفي الانكليزية والفرنسوية Muses وادعوا انهن نساء ورقوهن الى مصاف الالاهات · وذكرهنّ ملتن في مطلع فردوسهِ المفقود ونعتهنّ بالسموات واستمد معونتهن على نظم قصائدهِ كما اشرت الى ذلك سابقاً

(نقيب)

(١) صدرهُ

التزوج بالاجنبيات

منافعهُ ومضارهُ من الوجهة البيولوجية والاجتماعية

(١)

اذا وضعت بعض الحيوانات الاولى (البروتوزى) في مرق اللحم وراقبت نموها مدة من الزمن وجدتها في بادىء الامر تتكاثر بسرعة الى ان يبلغ تكاثرها حدهُ الاقصى ثم تبتدئُ في دور التناقص فتقل قوة انقسام افرادها على التدريج حتى تقف عن الانقسام ثم تبتدئ تنحل حتى تموت كلها ولكنك اذا اضفت اليها عدداً من الحيوانات التي من نوعها حالما تبتدئُ ان تضمحل تجدها تتحد مع هذه الحيوانات الاجنبية بقوة شديدة ثم تبتدئُ تتكاثر مرة اخرى بنفس القوة الاولى . اي ان الدم الاجنبي جدد فيها قوة التناسل بعد ان مالت الى الاضمحلال

مثل آخر من الطبيعة : خذ زهرة ما وتأمل فيها تجد ان اوراقها الملونة تلتف حول قضبان دقيقة جدًّا على رؤُوسها قمم صغيرة صفراء وهي تحتوي على الخلايا الذكرية الملقحة وفي وسط هذه القضبان قضيب اثخن من الباقي ينتهي برأس كرأس الدبوس وفيهِ مادة لزجة وهو القضيب الذي يؤَدي الى البويضات الانثوية . وعليهِ تحتوي هذه الزهرة على المادتين اللازمتين للتلقيح وهما الخلايا الذكرية والبويضات الانثوية ويمكنها ان تلقح نفسها ولكنها لا تفعل ذلك الاَّ عند الضرورة الشديدة . فانها تنتظر اولاً ان تلقحها الريح من شجرة اخرى او ان تنقل اليها نحلة او احدى الحشرات الاخرى شيئاً من الخلايا الذكرية العالقة بها من شجرة بعيدة عنها واذا لم يتيسر ذلك انتظرت عسى ان يصل اليها شيءٌ من الخلايا الذكرية من نفس الشجرة التي هي جزء منها ولكن من زهرة اخرى . واذا لم يتيسر ذلك ايضاً لم يبقَ لها بدٌّ من ان تكتفي بما لديها وتلقح نفسها بنفسها اي بواسطة الخلايا الذكرية التي فيها . ولكنها لا تفعل ذلك الاَّ بعد الانتظار الطويل وبعد ان يولي زمن صباها وتبتدئ ان تشيخ . ولو تيسر للجزء الانثوي من الزهرة خلايا ذكرية من هذهِ الثلاثة الانواع وامكنها ان تختار منها لاختارت دائماً الخلايا الآتية من الشجرة الاجنبية وكانت الثمرة الناتجة من هذا الامتزاج اجود من التي تنتج من المزيجين الآخرين

هذان مثلان ذكرتهما تسهيلاً لفهم قانونين مهمين من قوانين علم الحياة (البيولوجيا) يسريان على جميع الاحياء من المكروب الى الانسان . اولهما انهُ لا بد من دم اجنبي لحفظ النوع فكما ان المكروبات تزيد الى حد ما ثم تموت اذا لم يضف اليها كمية من الخارج من

نفس نوعها كذلك تنقرض الاسرة من البشر التي تتزاوج افرادها مدة طويلة بدون ان تمتزج بدم غريب . وذلك يبدأ تدريجيًا فتظهر اولاً على افراد هـذه الاسرة علامات المرض (Degeneration) فيكثر فيها عصبيو المزاج والمدمنون للخمر وذوو الاخلاق الغريبة . ثم ينتهي الامر بان اطفالها تموت في السنين الاولى من عمرها كانها شاخت لان ليس في خلايا اجسامهم قوة الانقسام والتكاثر فيقف نمو الطفل في الاشهر او السنين الاولى ثم يموت كما يموت الشيخ . وامثال هذه العائلات المسكينة ليس بقليل في بلاد يحل بل يستحسن فيها التزاوج بين ابناء العم والخال

ولكن الامة التي ينحصر تزاوجها فيها ابعد عن الانقراض من العائلة لان دائرة التزاوج فيها اوسع منها في العائلة . الاَّ انهُ بهذه الواسطة تزداد مميزات الامة عن غيرها وضوحاً سواء كانت هذه المميزات حسنة ام رديئة . فالاسرائيليون معروفون مثلاً بالانف الاقنى ويعسر عليك ان ترى اسرائيليًّا ليست فيهِ هذه الخاصة . وقد تتعدى الخلة الحسنة عند تمكنها من امة حدّ الاعتدال فتسبب لها ضرراً او مذمة . فالكرم في حد ذاتهِ ممدوح ولكنهُ قد تمكن من العربي الى حد انهُ كان يذبح لضيفهِ ناقتهُ التي كان يرتزق منها هو وعيالهُ اذا لم يكن لديهِ غيرها . وقد بلغت ملكة التروي والنظر في العواقب بالقبطي مثلاً حتى جعلتهُ لا يقدم على اي عمل عظيم ما دام فيهِ شيءٌ من المجازفة . ووصل بهِ كبح جماح النفس وكظم الغيظ الى حد احتمال الاهانة بدون طلب الاقتصاص لنفسهِ من مهينهِ وهو يعد ذلك كرم اخلاق وغيرهُ يعدهُ جبناً

هذا ما يقال في الصفات الحسنة اذا تمكنت من امة بالتوارث الى حد التطرُّف اما الصفات الرديئة فلا يمكنها اذا تمكنت الاَّ ان تتأصل حتى تتحول من رديء الى اردأ . ومن اراد ان يضرب لذلك امثالاً محسوسة لا يتعذر عليهِ ذلك . ومن البديهي والحال هذه ان امتزاج الامم بعضها ببعض يخفف من وطأة حسناتها وسيئاتها في وقت واحد وينتج مزيجًا معتدلاً والطبيعة نفسها تسعى الى مزج الشعوب بعضها ببعض

فالمثل الثاني وهو مثل الزهرة التي تختار أبعد الخلايا الذكرية لتلقح بهِ نفسها كما ان الخلايا الذكرية ايضاً تنضم الى البويضة الاجنبية بقابلية اقوى من التي انضمت بها الى بويضة من نفس الشجرة أو الزهرة — هذا المثل يفسر لنا قانوناً آخر يسري على كل الاحياء وهو ان الفرد يختار للتناسل فرداً آخر ذا صفات مكملة لصفاتهِ الذاتية . فالرجل القوي يجذبهُ ضعف المرأة والمرأة القوية الارادة تميل الى التزوج من رجل

يمكنها ان تتاسلط عليهِ . واظن انني لا استطيع ان اضرب لذلك مثلاً اكثر اقناعاً من ان اذكّر القارىء بمقدار شغف المصريين وهم شعب اسمر ببياض البشرة فعامتهم لا يفرقون بين البياض والجمال بل يتخذون الاول مقياساً للثاني . وكلنا نعرف شغف المصريين بالعيون الزرقاء والاوربيين بالعيون السوداء . ان هذه العوامل التي تجعل الشخص يميل الى التزوج بشخص آخر ذي صفات تخالف صفاتهِ هي نفس العوامل التي تنفر الاخ من التزوج باختهِ وتسبب عدم ميلهِ الى ابنة عمهِ . واذا بحثت عن اسباب التزاوج بين اولاد العم وجدت ان الحامل على اكثرها فوائد مادية لا غير

وكما ان الثمرة الناتجة عن تلقيح زهرة بخلايا ذكرية من شجرة غريبة تكون احسن من الثمرة الناتجة من تلقيح الزهرة بخلايا ذكرية من نفس الشجرة او من نفس الزهرة كذلك يكون النسل الناتج من ابوين مختلفين في الجنسية اقوى على مقاومة عوامل الانحلال ومزوداً بقوة تناسلية تفوق ما لوالديهِ منها . فقد اظهر احصاء بوس Boas في امريكا الشمالية مثلاً ان متوسط المواليد من الهنود الامريكيين ٦ اطفال للمرأة المتزوجة ومتوسط ما تلدهُ المرأة الخلاسية[1] التي من دم هندي واوربي ثمانية اطفال . وفي بارجواي تلد المرأة الخلاسية اكثر من الهندية او الاوربية التي تعيش في نفس البلاد . ويقول Le Vaillant ان متوسط ما تلدهُ المرأة من الجنس الهتنتوتي ثلاثة او اربعة اطفال ولكنهم باختلاطهم مع العبيد يصبح هذا العدد ثلاثة اضعاف ويبلغ اكثر من ذلك عند تزاوجهم مع البيض . وقد احصى E. Fischer متوسط ما تلدهُ المرأة في مستعمرة المانيا الواقعة في جنوب افريقيا الشرقية فوجدهُ ثمانية اطفال . والشعب الساكن في هذه البلاد وهو خليط نقي من الهتنتوت والبوير من الجيل الرابع الى السابع اي انهُ من حين ان دخل البوير بلاد الهتنتوت واختلطوا باهلها وكونوا هذا الشعب لم يتزاوج البيض مع هذا الشعب مرة اخرى . وقد توالد هذا الشعب من اربع الى سبع مرات ومع ذلك لا تزال قوة التناسل فيهِ اكثر من الشعب البويري في افريقيا الجنوبية الانكليزية الذي متوسط ما تلد المرأة منهُ ٦,٣ الطفل[2]

هذا شيء يثبت لنا ان الطبيعة ميالة الى مزج الشعوب بغض النظر عن احوالنا الاجتماعية ومآربنا السياسية او المادية . الاّ ان هناك عقبات كبيرة لا يمكن اغفالها اذا نظرنا الى الامور

(١) الخلاسي الولد بين ابوين ابيض واسود

(٢) Das Weib in der Natur und Völkerkunde Dr. Ploss & Dr. Bartels.

كما هي من وجهتها العملية. فقد اصبح اهم اركان مدنية عصرنا الحالي تكوين عائلة لاجل التناسل. والاسس التي تبنى عليها العائلة هو السلام الداخلي الذي يستحيل دوامهُ اذا لم يكن هناك تفاهم تام بين الزوجين حتى يستطيعا ان يديرا حركة مملكتهما الصغيرة ومشاركة احدهما للآخر في السراء والضراء وحتى يجد كل منهما لنفسهِ عزاءً في الآخر عند المحنة. هذا التفاهم يقوي الانسان على احتمال نكران الذات الذي يثبتهُ كل رجل او امرأة بتنازلهِ عن حبهِ لذاتهِ ومشاركتهِ لقرينهِ طول حياتهِ وتضحية كل شيء في سبيل اسعاد هذا القرين وغيرهِ من الاشخاص الذين يوجدهم هذا الاتحاد في حيز الوجود. وبدون هذا التفاهم يعيش الزوجان جنباً الى جنب وهما غريبان الواحد عن الآخر. ولما كان لكل شعب اخلاق وعادات تختص به دون سواهُ ويصعب على الفرد التخلي عما ربي عليهِ واعتياد عادات غريبة عنهُ ربما كان الى ذلك الحين يحتقرها كان من الصعب جداً ايجاد التفاهم بين زوجين من جنسين مختلفين. وكثيراً ما كانت صعوبة التفاهم هذه الصخرة التي تحطم عليها سفينة السلام التي تنقل العائلة في بحر الحياة فان شعلة النار المقدسة التي تتقد في صدر الصبا قلما تقوى على عواصف الخريف وغيومهِ المظلمة. وما اطول الحياة واقصر ربيعها

الشرق شرق والغرب غرب والبحر الذي تمر فوقهُ الشمس بينهما يستغرقها نهاراً كاملاً. للغربيين اخلاق ولنا اخلاق فمن اين لنا ان ننظر الى الحياة بنفس المنظار الذي ينظرون هم اليها بهِ ما دامت وسائل الاختلاط بيننا وبينهم معدومة بالمرة سواءٌ كان السبب في ذلك تجنبهم او جعلنا من بيوتنا حصوناً لا يتخطاها اجنبي حتى اصبح الطريق الوحيد لدرس اخلاقهم الذهاب الى بلادهم والعيش بينهم مما لا يتيسر للجميع. ويؤلمني ان اسطر هـذه الحقيقة المحزنة وهي ان العدد الاوفر من شبابنا الذين يذهبون الى اوربا يرجعون منها وهم لا يعرفون عن الروح الاوربية سوى ما يرونهُ من حركة شوارعها وملاهيها. وانا لا اقصد بذلك لفيف المصطافين الذين يجمعون عرق الفلاح المصري بالنقطة ليرووا بهِ شوارع باريس بل اقصد معشر الطلبة الذين يذهبون لاستقاء العلوم من ينبوعها. وانا لا الومهم لعدم ادراكهم للروح الاوربية لان المدة التي يقضونها هناك اقصر من ان تكون كافية لدرس اخلاق شعب غريب ولانهم يقضون اكثر اوقات الفراغ معاً فقلما يختلطون بافراد الامة وعائلاتها التي يعيشون بينها. فاني اتذكر انني لم ابتدىء ان اشعر بان للامة التي كنت اعيش بينها هناك حياة روحية لم اكن ادركها الى ذلك الحين الاَّ بعد ان مضيت بينهم اربعة اعوام وانا لا اعرف كلمة من لغتهم فتعلمتها من افواههم كما يتعلمها الطفل ومضيتها

بينهم لم اختلط فيها بمصري سوى مدة ستة اسابيع مضيتها بمصر . و بعد ان بدأت افهم شيئاً عن الروح الاوربية اتضح لي اني عشت طول هذه المدة ونظري اقصر من ان يرى الروح التي تقود اوربا الى الامام . قلت اني لا الوم شباننا الذي قضوا بضع سنوات في اوربا ولم يفهموا اهلها ولكنني الومهم لانهم يدَّعون علم ما ليس لهم بهِ علم و يصفون اوربا ليس كما هي بل كما استطاعوا ان يدركوها

وهذه كلمة وان كانت خرجت بي عن موضوعنا الأ أني لم اتمالك ذكرها لابيّن البون الشاسع الذي يفرق الشعوب بعضها عن بعض من الوجهة الاخلاقية واوضح شيئاً من صعوبة التفاهم بين افرادها . ورأيي في ذلك الموضوع من رأي الاستاذ بلويلز استاذي المحترم في علم البسيكولوجيا وهو ان التزاوج بين الاجانب لا يؤَدي الى السلام العائلي الأ تحت شروط مخصوصة يتقدم فيها التفاهم التام على الميل الشخصي . فانا احذّر لفيف الشبان الاغنياء الذين يذهبون الى اوربا لاجل الاصطياف فيها من الاقدام على زواج عاجل واحذر لفيف الطلبة الذين يرحلون لتلقي العلوم من ان يضعوا كفهم في اول كف ناعم يمتد اليهم وفوق كل ذلك انبهُ الشاب المصري الذي يريد ان يتزوج باجنبية مولودة او متربية في مصر ظنّاً منهُ انها اقرب الى فهم اخلاق البلاد من غيرها الى ان هذه الاجنبية ربيت على شيء واحد رضعتهُ من ثدي امها وهو الازدراء بالمصري . وليس هنا موضع البحث في احقية هذه التربية او عدمها

هذا ما يقال على وجه عام من جهة ضرورة وصعوبة تفاهم الزوجين المختلفي الجنسية ولكنهُ لا يجوز تطبيق ذلك على كل حالة خصوصية فكم من مرة صح فيها قول القائل اتى فرأى فاحب . وكم من مرة ذابت فيها كل هذه الصعوبات امام نار حب حار طاهر يدفع بكل قوة الى الامتزاج كما يذوب الشمع امام النار فالتحم قلبان آتيان من اقاصي الارض التحاماً ابدياً على ما هما عليهِ من اختلاف المواطن والمذاهب . وهل في ذلك غرابة ونحن نعلم ان الطبيعة ميالة الى الجمع بين النقيضين والفرنسيين يقولون Les extrêmes se touchent اي الطرفان يلتقيان

تعرفت وانا في برن عاصمة سويسرا بآنسة حوت قسطاً كبيراً من صفات الشرقيين والغربيين معاً فكانت تستطيع فهم الموسيقى الغربية والشرقية الامر الذي يكاد يستحيل على اوربي واطلعتني على بعض قصائد نظمتها فاذا فيها روح عربية بلسان الماني فان خيالها لا يعرف حدّاً سوى اللانهاية والروح التي تصورت عوج بن عناق يمد يدهُ الى اسفل فيصطاد السمكة

من اعماق البحر ويمدها الى اعلى فيشويها في قرص الشمس هي نفس الروح التي كانت تملي عليها اشعارها. حدثتني هذه الفتاة فقالت ابي سويسري الماني وامي عربية من قبيلة اولاد نايل من عرب الصحراء الافريقية تزوج بها في الجزائر وبعد ان بلغتُ الخامسة من عمري توفيت امي فلم يستطع وابي ان يعيش بدونها ومات بعدها ببضعة اشهر وانا وان كنت لا اعرف العربية ولكنني احب الصحراء وقد زرت مصر وضربت في صحرائها على الجمال ورأيت ابا الهول في ليلة قمراء وانا وحدي فلم اتمالك مخاطبتهُ بصوت مسموع أسائلهُ عما رأت عيناهُ الشاخصتان الى الابدية ويكنهُ قلبهُ الصخري من اسرار الدهر

فمن يقول ان ذلك الجذع الذي نبت في جبال الالب وتلك الزهرة التي ترعرعت في الصحراء لم يكوّنا شجرة واحدة اثمرت ثمرة صالحة

(٢) نظرة تاريخية

كان قدماء المصريين كغيرهم من الامم يعتقدون بان لجنسهم مزايا على بقية الخلق تجعلهم يزدرون غيرهم من شعوب الارض وينظرون اليهم كشيء نجس فرغمًا عن الخدَم الجليلة التي اداها يوسف الصديق للمصريين اذ خلصهم من الجوع سبع سنوات بحسن تدبيرهِ ورغمًا عن اعترافهم بفضلهِ وتوليتهِ منصبًا رفيعًا كالمنصب الذي كان يتولاهُ لم يتنازلوا لان يسمحوا لهُ ان يجلس معهم على مائدة طعامهم لاعتبارهِ نجسًا . ولما نما اليهود صاروا امة قوية وتغلبوا على ارض كنعان احتقروا جميع الشعوب وحسبوهم نجسين كما كان يحسبهم المصريون من قبل واطلقوا على هذه الشعوب الغريبة كلمة امم وكانوا يعيرون افرادها بكلمة (يا اغلف) وهذا منتهى الاحتقار عند اليهود . وهذا النوع من احتقار الاجانب كان شعار كل الامم القديمة لا يزال الصيني الى اليوم يحتقر الاوربي ويقول ان شعرهُ الاشقر كشعر الشياطين وان لحيتهُ الطويلة تشبه لحية القرود

غير انهُ كلما اغرقت الامم في المدنية خففت من كبريائها وعرفت انها ما هي الأَ بشر مثل غيرها . فلذا لا يفكر اليوم احد في المعارضة في زواج رجل جرماني بامرأة لاتينية او رجل سلافي بامرأة جرمانية وبالعكس ما دامت هذه الامم في درجة تكاد تكون واحدة من الرقي جسمًا وعقلاً حسب اصول علم الانثروبولوجيا اي من الجنس الابيض . ولكنك تجدهم يعارضون بكل قواهم في تزاوج جنسهم بالجنس الاصفر او الاسود باعتبار ان هذين الجنسين ادنى من الجنس الابيض في المراتب الانثروبولوجية . فالصيني الذي يتزوج بامريكية يكون نسلهُ منها ارقى منهُ واحط منها فيكون هو الرابح وهي الخاسرة . اي ان الجنس

الابيض يتحاشى الامتزاج بالاجناس التي هي ادنى منهُ لئلاَّ يكون نسلهُ احط منهُ بينما تجد الاصفر والاسود يريان في امتزاجهما بالجنس الابيض رقيًّا لنسليهما · اما مركز الشعوب التي يسمونها بالملونة كالهندي والمصري فواقع بين الاثنين اي ان الاوربي لا يعارض معارضة شديدة في التزاوج بها ولكنهُ لا يعتبر نفسهُ الرابح من هذا التزوج

استطاع قدماء المصريين ان يحفظوا انفسهم من الاختلاط بالاجانب حتى اعتناقهم للمسيحية التي ساوت بين جميع الشعوب وعلَّمت اليهود ان كل امم الارض مختارة لان تكون شعبًا للرب وان الله سبحانهُ وتعالى لا يحابي للاجناس · وقد كانت مصر في ذلك الحين محكومة بالرومان الذين اعتنقوا المسيحية ايضًا فلم يكن هناك مانع من تزاوج الامة المحكومة بالحاكمة فاختلط المصريون بالرومان واليونان الذين كانوا قاطنين مصر في ذلك الحين واعتنقوا المسيحية ايضًا وتنازلوا عن اعتقادهم القديم بان لجنسهم مزايا خاصة بهِ تجعلهم ارفع من ان يختلطوا بالامم الاخرى وبذلك زرعت العيون الزرقاء والشعر الاشقر في دم المصريين فاصبحت تجد في العائلة الواحدة أخوين أحدهما ذو وجه مصري قديم لا تفرقهُ عن الاشكال المنقوشة على جدران المعابد والآخر بعيون فاتحة وشعر اشقر ووجه لا تفرقهُ عن وجوه الاوربيين الساكنين بيننا الآن وان كانت شمسنا مع الوقت تلوحهُ حتى يصبح اسمر لا يختلف كثيرًا عن لون وجه اخيهِ الآخر

الاَّ انهُ بدخول الاسلام مصر وطرد الرومان منها انقطع المصريون الذين بقوا على دينهم عن سائر الشعوب المسيحية نحو ثلاثة عشر قرنًا حتى الربع الاخير من القرن الماضي وكل هذه المدة لم يتزاوجوا لا بالعرب الفاتحين ولا باخوانهم الذين اعتنقوا الاسلام وذلك لاختلاف الدين فظلوا طول هذه المدة لا يتزاوجون الاَّ بينهم لعدم تمكنهم من الاختلاط بالمسيحيين الاجانب الى ان جاء اليوم الذي دخل فيهِ الاجانب المسيحيون ليتاجروا معنا ويزاحمونا في بلادنا فاذا بنا قد نسينا اننا اختلطنا بهم يومًا ما وفي أوردتنا اكثر من نقطة من دمهم فرجعنا الى انفتنا التي كانت لنا من عهد وثنيتنا غير اننا وضعناها في قالب حديث يوافق مسيحيتنا فانزل من لا يزالون منا يعيشون في عصر التوراة انفسهم منزلة اليهود واعتبروا انفسهم شعب الرب واطلقوا على اخوانهم في الدين لفظة الامم وهربوا من الاختلاط بهم هروب السليم من الاجرب

امين حنا نسيم
دكتور في الطب

(ستأتي البقية)

الاطعمة المحفوظة

وفحصها كيماوياً من ابحاث الاستاذين جوتيير و بريجر وغيرهما

(١) لحوم العلب

ان فساد اللحوم وما ينتج عنهُ من المركبات النتروجينية ذات الخصائص السامة عُرف قبل الآن فوصفهُ باروز وكرنر و پانوم وغيرهم من الباحثين فقالوا ان تلك المركبات تحاكي المركبات السامة التي توجد في النباتات والتي تدعى المركبات شبه القلوية Alkaloids وقيل ايضاً انها تظهر في لحوم الاسماك باسرع مما تظهر في لحوم البقر وما شا كلها وانها تظهر ببطء في لحوم طيور الصيد. ثم اتى زولزر وسونشيس فبحثا في حقيقة تلك المركبات وماهية عناصرها

وخلاصة الابحاث الاخيرة ان اشد تلك الاجسام فتكاً هي ما يدعونها المركبات شبه القلوية الحيوانيـة او Ptomaines اما ما تشابهها تماماً وهي Leucomaines فهي مركبات يرجح انها غير سامة تتولد بانحلال الاجسام النتروجينية داخل الخلية الحية لا كالاولى بواسطة البكتيريا ولذا يسمونها علاوة على ما تقدم بالمركبات الفسيولوجية شبه القلوية . وعلى كل حال فهذا التقسيم لا يفي بالمرام فبعض هذه المركبات يتكون بكلتا الواسطتين السالفتين اي بواسطة البكتريا وانحلال الاجسام . وقد ارتقى البحث والاستقراء في هذا الموضوع الهام فتناولهُ سالمي ونتكي وجوتيير و بريجر . وقد كان للعالم نتكي اليد الطولى في العمل وهو اول من توصل الى استحضار اول مركب من الاولى في حالة نقية ثم عقبهُ جوتيير واليك خلاصة ابحاثهِ : —

اولاً مركبات نتروجينية يكون فيها عنصر الازوت (النتروجين) جوهراً فرداً واحداً وتابعة لسلسلة الحوامض الدهنية ومنها :

تريمثيلامين وُجد في نوع من السمك المخلل . ودياثيلامين وُجد في خلاصة فاسدة من لحم البقر . وترياثيلامين وُجد في لحم الحوت الفاسد . و پرو پيلامين و بيوتيلامين وُجدا في كبد الحوت التي بدأ فسادها . واميلامين وُجد في زيت كبد الحوت

ثانياً مركبات نتروجينية يكون فيها من الازوت جوهران فردان وتابعة لسلسلة الحوامض الدهنية منها تترامثيلين — ديامين وُجد في لحم الخيل الفاسد ويسمى ايضاً Putrescine

وپنتاميثيلين — ديامين وُجد في لحم السمك العفن والدم الفاسد ويسمى ايضاً Cadaverine . ونوريدين وُجد في لحم البقر الفاسد والمواد الزلالية والجلاتينية الفاسدة . وسبرين وُجد في اللحم الفاسد عموماً

ثالثاً مركبات مشتقة من الجونيدين وهو المركب الذي يحتوي على ثلاثة جواهر فرد من عنصر الازوت ومنها ميتلجونيدين وُجد في لحم الخيل والبقر الفاسد

رابعاً مركبات نتروجينية (Ptomaines) ليس فيها اكسجين وتابعة للسلسلة البنزينية Benzene Series ومنها :

كوليدين وُجد في لحم السمك الفاسد والجلاتين الفاسد . و پارڤولين وُجد في لحم الخيل العفن بعد بضعة شهور . وكورينديين وُجد في لحم نوع من السمك الفاسد يسمى Cuttle . وديهيدروكوليندين وُجد في لحم الخيل والسمك الفاسدين

خامساً مركبات نتروجينية (Ptomaines) تحتوي على الاكسجين ومنها :

نيورين وُجد في لحم البقر الفاسد بعد خمسة الى ستة ايام . وكولين وُجد دائماً مع نيورين . ومسكارين وُجد في لحم السمك العفن . و بيتايين وُجد في اصداف البحر و يرجح انهُ غير سام فيكون من المركبات القلوية . وحمض الهوموپيپريدين و ينتج من انحلال فيبرين ولحم البقر . وميتيلوتوكسين وُجد في اصداف البحر السامة . وميداتوكسين وُجد في لحم الخيل الفاسد بعد ٩اشهر الى ١٥ شهراً . وجادينين وميثيلجادينين وُجدا في لحم السمك الفاسد وخصوصاً الحوت ومركب اكتشفهُ بريجر يوجد دائماً مع الاميداتوكسين . ومركبات نيتروجينية تابعة للسلسلة البنزينية ولها خاصية الاتحاد مع الحوامض لتكون املاحاً اي (Bases) ومنها :

ثلاثة انواع من تيروزامين وُجدت في كبد الحوت الذي بدأ فسادهُ . وميدين وُجد في لحم الانسان الذي بدأ فسادهُ

فمن ذلك العدد الهائل من المركبات السامة التي توجد غالباً في علب اللحوم المحفوظة التي مضى عليها الوقت القانوني يظهر لنا اهمية الموضوع من الوجهة التوكسيكولوجية . وقد سنّت اغلب حكومات اوربا قوانين لصنع الاطعمة المحفوظة والاتجار بها اهمها ان يكون تاريخ صنع الطعام ظاهراً واضحاً خارج الصفائح المعدة لذلك . كذلك التاريخ الذي يصير بعدهُ الطعام فاسداً . وان لا يوجد على الصفائح اكثر من لحام واحد واذا وجد اثنان او اكثر فمعناهُ ان الصفيحة فتحت ثم وضعت بعض العقاقير الطبية المضادة للفساد والعفونة

كحوامض البوريك والساليسيليك والبنزويك وملح البورق وغيره او بعض الالوان الصناعية لما فقد لونهُ الطبيعي كبعض اصباغ الانيلين الحمراء والبرتقالية وغيرها او اعتمد الغش كأن مزج الطعام بالنشاء او ما شابه ذلك

اما عن الخصائص الفارماكولوجية لتلك المركبات شبه القلوية الحيوانية ففيها ما يشبه تأثيرهُ المركبات شبه القلوية النباتية كالاتروبين Atropine والهيوسيامين Hyoscyamine في تمدد حلقة العين وبعضها له صفات سامة . فمن علامات ذلك اولاً تمدد في حلقة العين يعقبهُ انقباضها ويكون التنفس خفيفاً والنبض ضعيفاً والحرارة نصف طبيعية والبشرة منداة بالعرق ثم تفقد قوة تحريك العضلات ثم يعقب ذلك سبات عميق ثم تشنجات يليها الوفاة . وقد تفقد قوة تحريك العضلات حتى تحت تأثير الكهربائية وهذه احدى علامات التسمم بالمسكارين الذي يوجد في لحوم الاسماك الفاسدة . وتأثير هذه المركبات على البنية يختلف شدة وضعفاً فمنها ما لا تأثير لهُ سوى بمقادير كبيرة في حين ان غيرها تكون مميتة في كميات صغيرة جداً . وعلى ذلك يظهر جلياً ان علامات التسمم بالحوم العاب تختلف اختلافاً عظيماً باختلاف نوع تلك المركبات وكميتها ووجود ما كان مفعولهُ ضعيفاً يخفف بلا شك تأثير الشديد منها

والمركبات النتروجينية التي تحتوي من الازوت جوهراً واحداً منها ما تأثيرهُ السمي ضعيف والبيوتيلامين بكميات كبيرة يحدث تشنجات يعقبها شلل العضلات والاميلامين ذلك السم الزعاف يؤثر في حلقات العين فيمددها ويعقب ذلك تشنجات الموت

والمركبات النتروجينية التي فيها من الازوت جوهران ليس لها تأثير يذكر على البنية ولذلك تعتبر سموماً خفيفة اما الكاداڤرين فيمتازعنها لانهُ يؤثر في الاغشية المخاطية فيلهبها . والميثيلجونيدين سم زعاف جداً فحقنة واحدة منهُ في جسم حيوان صغير تحدث تمدد الحلقتين ويعقبهُ تشنجات ثم الموت وذلك لا يستغرق أكثر من عشرين دقيقة

ومن المركبات النتروجينية التابعة للسلسلة البنزينية والتي لا تحتوي على الاكسجين الكوليدين والبارڤولين والكورينيدين والديهدروكوليندين كلها سموم قتالة فالكورينيدين كالكورير (وهو مادة راتنجية من نوع الاستركنوس يستعمل خلاصتهُ اهل جنوب امريكا لسم سهامهم في الحرب ولم يستعمل قط في اوربا سوى في حادثة واحدة . قيل في محاكمة توليوموري وانصاره المتهمين بقتل الكونت بونمارتيني عام ١٩٠٥ انهم ارادوا قتله بواسطة ذلك السم القاتل) يحدث بكميات صغيرة شللاً عاماً . والديهدروكوليندين يحدثُ

سباتاً ثم شلل الاعضاء يعقبهُ تشنجات حادة · اما النيورين وهو احد المركبات التي تحتوي على الاكسيجين فيحدث سيلاناً في اللعاب وانقباضاً في الحلقتين يعقبهُ تشنجات ثم الوفاة · اما فعل الكولين فيشبه سابقهُ ولكن ليس الى ذلك الحد · والمسكارين ذو خصائص سمية هائلة فبكميات صغيرة جداً يحدث سيلاناً في اللعاب وانقباضاً في الحلقتين واسهالاً وتشنجات يعقبها الموت · ويستعمل الاتروبين ترياقاً في احوال التسمم بالثلاثة المركبات الفائتة لان خصائصهُ هي بعكسها

والبتابين ليس بسام والميداتوكسين بكميات صغيرة تعقبهُ علامات تسمم خفيف وبجرعة كبيرة يحدث اسهالاً ثم احمراراً في العينين ثم تشنجات الموت · والجادينين سم خفيف جداً غير ان ما يشتق منهُ وهو الميثيلجادينين بكميات كبيرة يحدث علامات شلل الاعضاء والمركب الذي اكتشفهُ بريجر ولم يسمّ بعد يشبه الكورير فعلاً وتأثيراً

ويراعى في صنع الاطعمة المحفوظة التعقيم بالحرارة وسواء كانت الآنية زجاجية او معدنية فلا بد من سدها سداً محكماً فاذا اهملت هذه الشروط ولم يعتمد الفتح ثانياً ووضع العقاقير الواقية تطرق الفساد وانتفخت الصفائح بواسطة الغازات الناتجة من اختمار الطعام واذا اريد اختبار تلك الغازات والوقوف على حقيقتها فلا بد من جمعها وتستعمل لذلك طريقة دوريس وليس هذا محلّ وصفها

واذا لوحظت رائحة كريهة عند فتح الآنية فهذا دليل قاطع على الفساد واذا امسكت قطعة من ورق عباد الشمس الاحمر المنداة بالماء فوق الآنية المفتوحة وتحول لون الورقة الى الازرق دل ذلك على تطرق الفساد الى الطعام وعلى كل حال نخير الطرق التي يستدل بها على وجود المركبات النتروجينية الفائتة الذكر هي الحصول عليها في حالة نقية من الطعام واختبارها بواسطة تفاعلها الكيماوي مع بعض المحاليل المعروفة · ولتمام الفحص الكيماوي لا بد علاوة على ما تقدم من امرين اولهما التحقق من الطعام هل حقيقة يحتوي على لحم وما هو نوعهُ لانهُ ظهر حديثاً ان بعض المعامل الخاصة بصنع الاطعمة المحفوظة وخصوصاً خلاصات اللحوم تغش الجمهور فتضع بدلاً من الخلاصة الحقيقية ما يضاهيها شكلاً وطعماً من المواد الزلالية وخلاصات اخرى من لحوم رديئة لا تصلح ان تكون طعاماً بصفهُ الاطباء لمرضاهم والناقهين منهم

وكان لاكتشاف التفاعل بين البروتينات والمصل المرسب العون الاكبر في تحقيق هذه المسألة الهامة فيمكن بهذه الطريقة الحكم على حقيقة الطعام ونوعهِ وهل هو من لحم البقر او

الجمل او الماعز او ما شاكلها ويمكن ايضاً الحكم بمقدار الماء في كل مائة جزء من الطعام كذلك الرماد والكلورين والفصفور والازوت ومقارنتها بالمقادير الخاصة باجود انواع اللحم المعروفة وعليهِ يمكن الخبير التحقق من نوع اللحم الذي هو تحت الاختبار

ثانياً وهو الاهم البحث عن المعادن في الطعام لان ذلك ربما كان السبب الاكبر للتسمم فالقصدير والرصاص والنحاس هي اهم المعادن التي توجد عادة في الاطعمة السامة والاول يوجد غالباً في معظم الاطعمة لان الآنية القصديرية شائعة جدًّا والنحاس يأتي من الآنية التي تستعمل في تجهيز الطعام ومن الجلاتين الذي يضاف بكميات كبيرة للاطعمة والذي يمتزج بالنحاس من الاواني التي استعملت في صنعهِ وربما ايضاً من كبريتات النحاس التي يستعان بها غالباً على تحسين الوان الاطعمة الخضراء خصوصاً الخضروات كالسبانخ واللوبياء

واخيراً لا بد من الفحص المكروسكوبي فانهُ يظهر اللحم الجيد باليافهِ العضلية حافظة لشكلها التخطيطي المتقاطع اما عند وجود البكتيريا فتفقد هذه الالياف اشكالها الصليبية التخطيطية ويحكم على الطعام بالفساد

(٢) المقانق او السجق

والتسمم بهِ يعرف في الانكليزية باسم Botulism لانهُ يتسبب من بكتيريا تدعى B. Botulinus وحوادثهُ شائعة في فرنسا والمانيا وغيرها وذلك لان السكان يأكلونهُ نيئاً او غير ناضج وقد اكتشف تلك البكتيريا فان ارمنجن عام ١٨٩٥ واستخلصها من زرع جهزهُ من لحم الخنزير المملح وقد كتب اوسپيوف عن تأثيرها في خنازير غينيا فقال (اولاً) تقيح في اجفان العين (ثانياً) امساك في البراز وانحباس في البول (ثالثاً) تمدد في حلقات العنين (رابعاً) شلل في الاعضاء (خامساً) عسر في التنفس (سادساً) ضعف عام ينتهي بالموت · وعند التشريح وجد تغيير ظاهر في شكل المادة الرمادية للنخاع الشوكي ووجدت كذلك تغييرات خفيفة في المخيخ والجوهر القشري للمخ · ويظهر تأثيرها في الانسان بعد تفريخها بثماني عشرة ساعة الى ثمانٍ واربعين ساعة وعلامات التسمم بها هي ثقل وتهييج في المعدة يعقبهُ قيء واسهال ويليهِ ضعف عام ثم ظلام البصر يعقبهُ ارتخاء في العضلات ثم الوفاة وذلك لا يستغرق اكثر من اربعة ايام الى ثمانية وفي هذه الاحوال اذا كان التسمم مسبباً من تلك البكتيريا بلا داعٍ آخر فلا ترتفع حرارة المصاب ولا يعتريهِ اختلاط في

القوى العقلية · وقد احصى سينكيهل ١٦٥ حالة انتهت بالوفاة من ٤١٢ اصابة وتسبب التسمم عادة كما هو معروف من امتصاص القناة الهضمية اتوكسين البكتيريا · وقد اشار ڤان ارمنجن الى ان اللحوم المحفوظة ربما احتوت على عدد ومقدار هائل من الباشلس وتوكسينهِ بدون ان يظهر على الطعام اقل علامات الفساد كرائحة كريهة او طعم ينذر بالخطر · وقد توصل حديثاً الاستاذان بريجر وكمپر الى استخلاص توكسين من زرع نقي للبكتيريا السالفة الذكر B. Botulinus واظهر التحليل الكيماوي انهُ يشبه شبهاً تامًّا توكسين الدفتيريا والتتنوس · وفي اعتبار ابيران ان المركبات النتروجينية ذات الخصائص السامة وسموم المقانق Sausage Poisons لا تعتبر توكسينات Toxins بل مواد او اجساماً تكسيجينية · وقد عرف التوكسيجين بكونهِ المحصول الكيماوي الذي اذا حقن بهِ جسم حيوان لا يحدث تأثيراً ساماً الاَّ عند ما تنتبه لهُ خلايا الجسم · وقد ضرب مثلاً لذلك يودور الصوديوم Sodium Iodide وغيرهُ من الاملاح غير العضوية التي عند حقنها في دم حيوان لا تحدث تأثيرها الخاص الاَّ بعد ست ساعات الى ثمانٍ

وقد استمر الاطباء لا يعرفون مصدر ذلك السم او التوكسين الذي يسبب ذلك التسمم الى ان اتى هيلجر الكيماوي فنجح في استحضار مادة تشبه العسل قواماً من امعاء ستة اشخاص توفوا بهذا التسمم وأبان ان لها صفات الكوربير السالف الذكر

اما الحيوانات الطفيلية وهي ما تسمى Parasites التي توجد عادة في المقانق الفاسدة فنوعان واحد يسبب مرضاً يدعى Trichinosis وآخر هي تلك الحشرات الصغيرة Larva التي تتحول الى احدى الديدان الشريطية المعروفة وهي Taenia Coliun وذلك عند ما تتغذى من امعاء الانسان

ومن اللحوم التي تغش بها المقانق لحم الخيل ويكشف هذا الغش بطرق مختلفة كلها مبنية على الحقيقة الآتية وهي ان لحوم الخيل تحتوي على كمية عظيمة من الجليكوجين Glycogen · وغالباً لا توجد لحوم الخيل في المقانق الانكليزية لان الاتجار بها بدون اعلان يعد هناك جريمة كبيرة يعاقب صاحبها عليها اشد العقاب والجليكوجين يسمى ايضاً النشا الحيواني لوجودهِ دائماً في كبد الحيوان

(لها بقية)

فهيم نجار
الطالب بمدرسة الصيدلة
في قصر العيني

مصر منذ اربعمائة سنة

(٨)

مصر القاهرة

نقلاً عن تنود سنة ١٥١٢ قال :

« اما القاهرة فمدينة عظيمة آهلة بالسكان وهي اكثر اتساعاً من باريس بخمس مرات وكذلك سكانها يزيدون على سكان باريس خمس مرات . وتزرع في ضواحيها الاشجار المثمرة والخضر والقرطم ويستخرج من القرطم زيت يعادل ما يستخرج من الخمر في مقاطعتي اورليان وشمبانيا لان في مصر عشرين الف جامع وفي كل منها ثلاثمائة مصباح يجب ان تضاء في كل ليلة عدا الزيت اللازم لانارة البيوت والقصور والشوارع ليلاً دع الشموع وخشب الاشراق . والمطاعم في القاهرة كثيرة جداً في كل طريق وشارع وتحت العراء والخيام . واما الخمر فممنوع بيعها جهاراً وهي غالية الثمن حتى ان القارورة منها تباع بثلاثين درهماً من الفضة

« ويرد الماء الى احياء المدينة من النيل بالقرب يحملها السقاؤون على ظهورهم ويبلغ عددهم نحو مائة الف عدا خمسمائة جمل تحمل على ظهورها القرب لتوزع على قصور السلطان والامراء وترش بها طرق المدينة . واللحوم والاسماك والفاكهة والحبوب على انواعها رخيصة جداً والاهالي في بسط ورخاء غير ان الاسواق والشوارع قذرة جداً ولا يهتم بتنظيفها وكنسها . تلقى فيها الاقذار وجثث الخيول والكلاب والقطط والطيور المائتة وطول النهار تحوم حولها النسور والغربان ولها رائحة كريهة ولذلك كانت الوفيات في القاهرة كثيرة جداً والاوبئة والحميات منتشرة

« اما تجارة القاهرة فواسعة جداً والتجار فيها كثيرون وفي اسواقها تباع الاقمشة البندقية والبغدادية والدمشقية والعطور والافاويه الهندية والاقمشة الحريرية الشامية والاسلحة الدمشقية الشهيرة والسجادات العجمية وسبائك الذهب والفضة والحجارة الكريمة من ماس وياقوت وزمرد . وللتجار الافرنج فنادق او وكالات مخصوصة لبيع بضائعهم وكذلك للتجار المغاربة والتونسيين والاتراك واليمنية اسواق مخصوصة وحوانيت كبيرة وتجارة واسعة . وقيل لنا ان بالقاهرة وحدها مئتي تاجر يبلغ قيمة تجارة كل منهم نحو مليون دينار ذهباً والفي تاجر تزيد قيمة تجارتهم وبضائعهم على مائة الف بندقي

« وكثيرون من اغنياء التجار والاهالي يخشون التظاهر بغناهم وثروتهم خوفاً من البلص والمغارم ومظالم الحكام . وقيل لي ان احد اغنياء اليهود وهو صرّاف السلطان قتلت ابنتهُ زرافة في حديقة السلطان خطاءً فاضطر ابوها ان يدفع غرامة مالية لخزينة السلطان ثمانمائة الف بندقي ذهباً على سبيل التعويض ومع ذلك ظل غنيًّا معروفاً

« وقصر السلطان من ابدع قصور الدنيا زخرفة وحدائقهُ كثيرة وفيها من التحف والزخارف والرياش الثمينة مالا يدركهُ عقل ويأكل على مائدتهِ في كل يوم نحو عشرة آلاف مملوك من رجال حرسهِ واتباعهِ وفرسانهِ وتقدم العلائف في كل يوم لعشرة آلاف جواد ما عدا مرتبات الوزراء والمماليك والقواد(1)

« وايرادات السلطان من مصر والبلاد العربية وسورية وبين النهرين نحو عشرة ملايين دينار في السنة . ويقال ان في خزنة السلطان قانصوه الغوري من الذهب المكنوز خمسين مليون دينار . وفي القاهرة عشرة آلاف يهودي ولهم اسواق واحياءٌ مخصوصة ويقطنون في حي يقال لهُ حي الصقالبة واكثرهم اغنياءُ وفي ايديهم الصرافة والتجارة . وفي القاهرة عشرة آلاف مسيحي بين اقباط وافرنج واروام وللاقباط كنائس كثيرة اكبرها كنيسة العذراء وكنيسة مار جرجس وكنيسة القديسة بربارة » (انتهى)

وقال الامير الروماني دلا فاله سنة ١٦١٤ في وصف القاهرة :

« نزلت ضيفاً في دار قنصل فرنسا . وهذه المدينة اكبر من القسطنطينية ورومية وباريس واهلة بالسكان وكثيرة الاتساع وبيوتها ممتدة خارج الاسوار الى مرفإِ بولاق . وفيها سبع بوابات كبيرة تقفل ليلاً ويبلغ عدد شوارعها وحاراتها وطرقها نحو ثمانية عشر الفاً وفي رواية اخرى نحو ستة وعشرين الفاً . ولكل شارع وحي وحارة اسم مخصوص يعرف بهِ الاَّ انها غير نظيفة ولا منتظمة وبينها اربعة شوارع كبيرة جدًّا وطويلة ومعظم بيوتها صغيرة وضيقة ومتلاصقة ومظلمة ومع ذلك ففيها قصور عظيمة فخمة من ابنية السلاطين والامراء القدماء تعادل اعظم القصور في نابولي ورومية . واما جوامعها فكثيرة جدًّا . وكان كل سلطان يتولى الملك يبني قصراً وجامعاً ينسبان اليهِ »

---

(1) قال بطرس مارتيرا دانغيرا سفير الملكة ايزابلا والملك فرديناند لدى سلطان مصر سنة ١٥٠٢ في رحلتهِ ما نصهُ « ان كل مملوك من مماليك السلطان يأخذ في كل شهر ست اشرفيات ذهب (دينار) ولهُ في كل يوم ثلاثة ارطال لحم وثلاثة ارطال خبز وعلف لجوادهِ ما عدا نفقات الامراء والقواد وتبلغ نحو مائتي الف ذهب لكل منهم في السنة »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ في وصف القاهرة :

« وبيوت القاهرة تمتد من القلعة الى سهل واسع بشكل بيضاوي ويقال ان فيها اربعة وعشرين الف شارع وحي مأهول . وفيها كثير من الجوامع والمستشفيات والمدارس والمارستانات . واما قصور الامراء والوزراء وقواد السناجق فعظيمة فخمة . وبينها فنادق الافرنج ووكالات التجار داخلها المخازن الواسعة للبضائع . وكانت تجارة القاهرة فيما مضى عظيمة متسعة غير انها قلّت كثيراً منذ انقطاع واردات الهند بسبب تعدي المراكب البرتوغالية على المراكب المصرية التجارية في البحر الهندي فانقطع ورود القرنفل والفلفل والزنجبيل والعطور وخصوصاً النيلة التي كانت تصدر الى كل انحاء اوربا بكثرة عظيمة . واكثر تجارة القاهرة الآن محصور في السكر والكتان والجلد والاقمشة البلدية والبخور اليمني والصمغ العربي والسوداني والحبشي وريش النعام وكل هذه تصدر الى بلاد الافرنج

« وفي القاهرة اسواق كثيرة واشهرها خان الخليلي وسوق النحامين وسوق العبيد لمشتري الجواري . والعبدُ يباع في هذه السوق بثمانية ريالات والجارية البيضاء يبلغ ثمنها احياناً خمسمائة غرش . وتخترق شوارع القاهرة وبيوتها برك ومستنقعات وفي ضواحيها بساتين كثيرة وغياض زاهرة ومروج خضراء وتتخللها القصور والمتاحف البديعة

« واما سكان القاهرة فاظن انهم اكثر عدداً من سكان باريس غير ان وفياتها كثيرة بسبب تراكم الاقذار في طرقاتها وانتشار الامراض والاوبئة . واكد لي بعضهم انهُ مات من السكان في خلال ثلاثة اشهر من سنة ١٦١٨ ستمائة الف نفس بالطاعون . ومعظم سكانها من المسلمين وبينهم بضعة آلاف من النصارى (الاقباط) واليهود والاروام . والخضر واللحوم والمواد الغذائية كثيرة جداً ورخيصة الثمن في هذه المدينة وكثيرون من الاهالي ميالون الى معاشرة الافرنج فيصاحبونهم ويزورونهم ويجلسون على موائدهم ويشربون من خمرهم سرّاً

« وبيوت القاهرة حقيرة قذرة غير ان فيها كثيراً من القصور الباذخة المتينة البناء المزخرفة بالرخام والنقوش والمفروشة بانخر الرياش . والكبراء في مصر كرماء لطفاء يقدمون لكل مَن يزورهم القهوة والمشروبات والمربيات الممزوجة بالزنجبيل والعطر والمسك »

وقال في موضع آخر عن القلعة :

« والقلعة في القاهرة عظيمة الاتساع يجتاز الداخل اليها ثلاث بوابات كبيرة محصنة ثم يدخل قاعة كبيرة فيها اثنان وعشرون عموداً كبيراً من البرفير والغرانيت طول الواحد منها خمسون قدماً ومحيطهُ عشر اقدام . وعلى تيجانها النقوش البديعة والكتابات القديمة

مما يدل على انها نقلت من المبا كل القديمة في الصعيد· والديوان الكبير محاط برواق عظيم وقناطر مدعومة باعمدة كبيرة وارصفة مرصوفة بالمرمر وسقوفهُ مزينة بالنقوش المذهبة البديعة الرسم · وبجانب القلعة ميدان واسع حولهُ القاعات العظيمة والاسطبلات ومساكن الباشا والكيخيات وفي وسطهِ سارية عالية فوقها تفاحة من ذهب · ويسكن في القلعة الآن امير كبير من الامراء السابقين جاوز من العمر الثالثة والتسعين ويدعى الامير قانصوه بك وجعل كل عبيدهِ ومماليكهِ حكامًا وكشافًا وسناجق وبينهم ثلاثة عشر سنجقًا يحكمون الآن مديريات البلاد · وبين الامراء العظام قانصوه الاكبر اعطي رتبة الوزارة من استانبول وعندهُ كثيرون من السناجق والجنود تحت امرتهِ وهو غني جدًّا ذو ثروة طائلة تقدر بالملايين يتبرع كل سنة للخزينة السلطانية في استانبول بستة ملايين ذهب بندقي · وكان هذا الامير في الاصل مملوكاً لبعض البكوات الشراكسة اشتراهُ سيدهُ من سوق العبيد بخمسة غروش ثم اعتقهُ وامَّرهُ قبل موتهِ »

وقال في موضع آخر :

« ويجلب الماء الى القلعة من النيل باقنية فوق قناطر عالية عددها ثلاثمائة وخمسون قنطرة وعلوكل قنطرة منها ثلاثون قدمًا تملأ منها الآبار والصهاريج وتسقى البساتين حول القلعة · وتوزع على صهاريج الجوامع وقصور الامراء والسبل العمومية في الشوارع لشرب الاهالي والفقراء وعابري السبيل وفي فم الخليج سواقٍ وآلات كثيرة لرفع المياه من النيل الى هذه القناطر »

وقال تفنود سنة ١٦٣٥

« والقاهرة قائمة عند سفح المقطم على شكل هلال حول القلعة بعيدة عن نهر النيل · وكانت قديمًا عند شاطىء الروضة في مصر القديمة في بقعة يقال لها الفسطاط · والماء يجلب اليها على الجمال من بولاق بقرب من الجلد واما الفقراء فيستقون الماء من البرك والمستنقعات وهي كثيرة تتخلل البيوت والشوارع ولذلك تكثر فيها الامراض لان ماءها راكد متعفن · وهذه المدينة عظيمة متسعة كثيرة السكان · وقال بعضهم انها اكبر من باريس · ويوماً ما اتفقت مع بعض مواطني من الافرنج واستأجرنا الحمير ودرنا حول المدينة مدة ساعتين ونصف في سير متمهل فمحيطها على ما رأيت ستة اميال · وفي يوم آخر ركبت من فم الخليج مع جندي انكشاري استأجرتهُ لحراستي ومشينا على موازاة مجرى الخليج حتى وصلنا الى آخرهِ في مدة ساعتين فعددت خطواتي بواسطة كمية من حبوب الفول وضعتها في جيبي وكنت كلما



شجرة البلسم

مقتطف سبتمبر ١٩١٧
امام الصفحة ٢٦٩

سرت مائة خطوة التي فولة فوجدتهُ على هذا الحساب خمسة آلاف ومائة خطوة

« والبيوت داخل المدينة متلاصقة مزدحمة بالسكان الاَّ انها متفرقة في الضواحي . وبين القاهرة وبولاق برك كثيرة حولها قصور فخمة ومقاصف بديعة للامراء والعظماء كثيرة الغياض والبساتين والاشجار المثمرة . واكبر هذه البرك بركة الازبكية يمر فيها الخليج

« وفي القاهرة ثلاثة وعشرون الف حي اومحلَّة وفي كل حي شوارع وحارات كثيرة وفي كل شارع منها جامع على اقل تقدير . وفي كل حيٍ رجلان يقومان بحراستهِ ليلاً وهذان الرجلان ينتخبان من رجال الحي بالمناوبة وهما مسئولان عن كل سرقة او حادثة تحدث اثناء حراستهما . وللمدينة سبع بوابات مصفحة بالحديد يقوم بحراسة كل منها سوباشي وبيدهِ مفاتيح المغلاق . وكل شوارعها وطرقها ضيقة كثيرة الاقذار ماعدا سوق الافرنج (الموسكي) وخان الخليلي . وكل انسان حر في البناء وربما بنى بيتاً عند ملتقى الطرق ولا يعارضهُ احد اذ ليس هناك قانون للتنظيم »

المطرية وشجرة البلسم

قال السائح تنود سنة ١٥١٢ عند وصفهِ وصول سفير فرنسا الى المطرية : « واستقبلنا من قبل السلطان ترجمانهُ الاول تانغربباردي (وقد سبق ذكرهُ في مقالة سفارة البندقية) وهناك بستان عظيم للسلطان حولهُ سور عالٍ مزروع بشجر البلسم وبجانبهِ قصر فخم يقيم فيهِ اوقاتاً معلومة . ولا يسمح لاحد قط بالدخول الى بستان البلسم الاَّ بامر السلطان غير ان الترجمان سمح لنا بالتفرج عليهِ بنوع استثنائي اكراماً لمنزلة السفير . فادخلنا اليهِ خمسة بعد خمسة . فدخل السفير اولاً مع القنصل وشاه بندر تجار الافرنج بالقاهرة واحد النبلاء من اتباع السفير ثم دخلت انا . فاقترب الترجمان من احدى الشجيرات واخذ سكيناً من عاج وجرح بها ساقها فسال منها لعاب اسمر عطري الرائحة ملأ منهُ قارورة صغيرة ثم سكب منهُ بعض نقط على ظاهر كف السفير والقنصل والنبيل وبعد هنيهة سال العطر من باطن الكف كالعرق وعبق الارجاء برائحتهِ الذكية

« وقد اخذ السفير بسماح السلطان بضع قوارير من هذا البلسم الثمين اهداها بعد رجوعهِ الى فرنسا الى الملكة وارشيدوق النمسا ومطران ما يانس والدوقة ماريَّا ابنة دوقة دي بورغونيا وغيرهم من الامراء والاميرات وهذا البستان خاص بالسلطان ولا ينبت البلسم في مكان غيرهِ ويستخرج منهُ في كل سنة كمية وافرة يرسل منها السلطان هدايا الى بعض الملوك والامراء وامبراطور خيتا (Khita) ؟ وملك الحبشة والتركي العظيم (سلطان الاتراك)

وشاه الفرس . وقد اخذ بعض النبلاء والزوار من اتباع السفير شيئًا من هذا العطر بعد ان دفعوا مبلغًا طائلاً

« وهذا العطر نقي شفاف خاثر القوام بخلاف العطر الذي يباع في اسواق فرنسا مقلداً تحت اسم « عطر البلسم المصري » وقد الف العالم الالماني نودلوف دي شودهيم والاخ ار يوستو وفابر كتبا عن هذا العطر بينوا فيها الفروق التي تميز العطر الحقيقي السلطاني من المقلد وطبعت هذه الكتب في المانيا سنة ١٤٧٣ (١)

وقال تنود في موضع آخر

« ولما حدثت الفتنة بين ابن السلطان اتابك وبين الامير قانصوه الملقب بخمسمائة التجأ هذا للقلعة ثم هرب واختبأ في قصر المطرية فاتبعهُ السلطان الفتى وحاصرهُ ودخلت جنودهُ الى بستان البلسم فقلعوا اشجارهُ ليتمكنوا من مهاجمة الامير في قصرهِ . ولم يبقَ من هذا الشجر الثمين في البستان سوى بعض اشجار فقل ايراد العطر مدة عشر سنين الى ان نمت الشجيرات الصغيرة التي زرعت حديثًا » وقال سائح آخر الماني بعد تنود :

« وبالقرب من القاهرة بلدة المطرية حيث شجرة العذراء وهي من الجميز وبجانبها عين ماء صافية تنبع من الارض وهناك بستان كبير يزرع فيهِ شجر البلسم يستخرج منهُ عطر وهو اجود واثمن عطر في العالم اجمع . واجود من العطر الذي يستخرج من بلسم بلاد العرب والهند . واذا وضعت نقطة منهُ في باطن الكف فانها تسيل الى ظاهر الكف كالعرق . واذا وضعت منهُ نقطة في الماء فانها لا تختلط بهِ بل تغور الى اسفل الاناء ثم يمكن اخراجها بواسطة دبوس . وهذا العطر يشفي كل جراح الجسم مهما كانت بليغة ويطهرها من الفساد واذا دهنت بهِ دجاجة مذبوحة فانها تبقى دهراً ولا يعتريها الفساد . ولا تنبت هذه الشجرة

(١) شجرة البلسم قديمة في مصر كما قال احمد بك كمال في كتابهِ اللآلئ الدرية في النباتات والاشجار المصرية القديمة « والبلسم شجر يستخرج منهُ عطر » وقال المستر لاين قنصل انكلترا بمصر في القرن السابع عشر ان البلسم شجرة كانت تزرع في حدائق السلطان بالمطرية ويستخرج منها عطر ذكي الاَّ ان هذه الشجرة انقرضت منذ القرن الثامن للهجرة . ورجحت دائرة المعارف ان اصل هذه الشجرة من البلاد العربية . وقال بعضهم انها من بلاد الهند غيران الرأي الاول هو الارجح لان التوراة نفسها ذكرت البلسم في جلعاد وجلعاد في البلاد العربية حيث قيل « أَلا بلسم في جلعاد او ليس هناك طبيب فلمَ لا يشفى جرح ابنة شعبي » (ارميا ٨ : ٢٢ :) وفي قاموس دوزي Dozy العلمي ان البلسم على انواع كثيرة اشهرها البلسم العربي . والزهر البلسمي وبلسم اليهودية والبلسم الابيض Opabalsamum وبلسم كوباي والبلسم المائع Myrrhe Stactée والبلسم الهندي

في غير هذا البستان والذي يستخرج منهُ الآن قليل جدًّا بالنسبة الى ما كان يستخرج في الزمن السابق . وهذا البستان واسع جدًّا يخفرهُ حرس مسلح من قبل السلطان . ولا يسمحون لاحد بالدخول اليهِ وخصوصاً اذا كان مسيحيًّا او يهوديًّا لانهم يعتقدون انهُ اذا لمس احدهم شجرة ما فانها تيبس »

وقال ماليت قنصل فرنسا بمصر سنة ١٦٧٢ :

« ولما اقتربنا من القاهرة وصلنا الى بلدة المطرية حيث شجرة العذراء والينبوع الطبيعي واظن انهُ الينبوع الوحيد في مصر كلها. وهناك بستان عظيم كان يزرع فيهِ البلسم ويستخرج منهُ العطر والكنيسة القبطية تشتري منهُ في كل سنة مقداراً يسيراً بمال كثير لمزجهِ بماء الميرون الذي يدهن بهِ الاطفال حين العماد حسب الطقس الشرقي

« ومنذ مائة سنة انقرضت هذه الشجرة وليس في البستان الآن سوى بضع شجيرات صغيرة . والباشا حاكم مصر كثير الاهتمام بها غير انهُ لا يستخرج منها الآن عطر لانها صغيرة وطول الشجرة قدم واحدة وثخنها بقدر الابهام »

وقال في وصف شجرة البلسم بعد ان رسم صورتها التي نقلناها من كتابهِ

« ولا يزيد طول شجرة البلسم على ثلاثة اذرع وورقها صغير اخضر لماع تزهر وتثمر ثمراً صغيراً كاللوز وقشرة الشجرة مزدوجة فالظاهرة تغلب عليها الحمرة والداخلة السمرة . ومن بين القشرتين يخرج العطر المشهور ولهُ رائحة ذكية »

وقال وانسليب سنة ١٦٧٥ :

« ذهبت في ٢٧ يوليو مع بعض التجار الفرنسويين لزيارة شجرة العذراء في مكان يدعى المطرية على بعد بضع مراحل من القاهرة وللتفرج على الاماكن الاثرية والبستان المشهور الذي كان يزرع فيهِ شجر البلسم . فدخلنا مرجاً اخضر بجانبهِ مصلى اسلامي بناهُ ابرهيم باشا احد باشاوات مصر منذ خمس عشرة سنة على انقاض كنيسة قبطية قديمة بقرب البئر المعروفة بالعجائبية ومنع المسيحيين من زيارة شجرة العذراء والدخول الى هذا المكان . وقد الغي هذا المنع بعد ان عزل الباشا

« و بالقرب من هذا المصلَّى المدعو عندهم « المقعد » بركة من المرمر الملون يجرى اليها الماء من البئر العجائبية بقناة تحت الارض . وفي تقاليد الاقباط ان العذراء كانت تستقي الماء وتغسل ثياب ابنها في هذه البركة . وقد اجيز اخيراً للكهنة الافرنج اقامة قداس سري في هيكل يقام قرب الشجرة والمصلى . واما البئر العجائبية فواسعة الفم عميقة جدًّا وماؤُها عذب

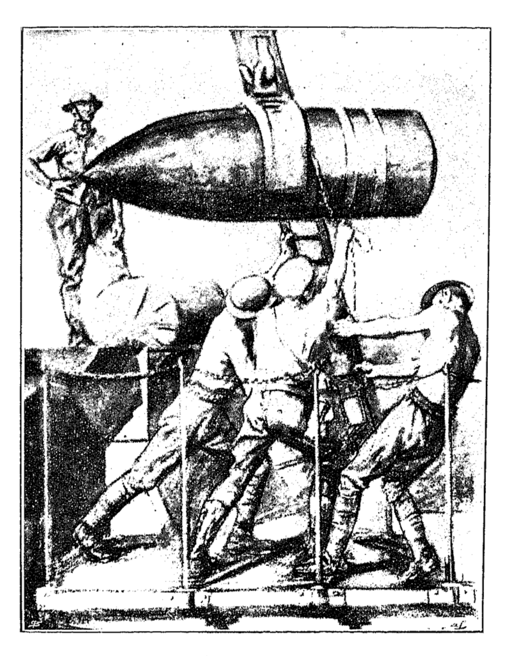
لذيذ الطعم و يقال انهُ جارٍ من النيل · وقرأت في كتاب عربي لمؤرخ يدعى عمرو بن الوردي ان سيدنا المسيح اغتسل في هذه البئر · وكان ماؤُها ملحًا اجاجًا فصار عذباً حلواً · وارى ان ماء هذه البئر من ينبوع طبيعي لا صلة لهُ بماء النيل اولاً لبعد النهر من المطرية وثانيًا لان ماءها يبقى على مدار السنة صافيًا ولا يزيد ولا ينقص بخلاف ماء النيل الذي يفيض و يتعكر في ايام الفيضان · وقرأت في كتاب خطي لمؤرخ عربي يدعى ابن الحكم اشتريتهُ واضفتهُ الى مكتبتي العربية التي اخذتها معي الى اوربا ان ماء هذه البئر العجائبية يسقي شجر البلسم وهو لا يعيش ولا ينمو الاَّ بها وان اصل مائها من بئر زمزم في مكة · وحقيقة الامر ان البلسم العطري المشهور الذي كان مزروعًا في بستان المطرية وانقرض الآن من الوجود لا يعيش ولا ينمو في غير هذا المكان

« و بعد ان استرحنا واكلنا ما تيسر لنا دخلنا الى بستان البلسم ولم يكن فيهِ سوى شجيرة واحدة لا يسمح لاحد بالدنو منها او بلمسها وقد وصفت في كتابي الاول الذي كتبتهُ بالايطالية ودعوتهُ الكنيسة الاسكندرية هذه الشجرة وصفاً وافياً وكيفية استخراج العطر منها وفي هذا البستان شجرة الجميز القديمة المعروفة بشجرة العذراء التي استراحت تحت ظلها السيدة البتول مع ابنها

« و بين آباء الاراضي المقدسة المعروفين بالجبليين المحافظين على هذا المكان المكرم و بين المشايخ المسلمين سكان المطرية خلاف عظيم بسبب هذه الشجرة فكل فريق يدعي ملكيتها فالمشايخ يقولون ان الشجرة القديمة شاخت وقامت من مكانها وهذه غيرها من املاك البستان السلطاني · والرهبان يقولون نعم ان الشجرة القديمة قامت سنة ١٦٥٦ وحفظت داخل الكنيسة كتذكار اثري محترم الاَّ ان هذه الشجرة النامية فرع من فروع القديمة نمت وكبرت في مكانها الى ان وصلت الى هذا الحد · واني لا ادخل في معمعة هذا الجدال لان المسألة ليست بذات اهمية كبيرة

« وقد عثرت في كوسكام وهو دير قبطي قديم بالقرب من منفلوط على كتاب قديم جدًّا باللغة الحبشية حصلت عليهِ بعد شق النفس و بذل المال · وفيهِ شرح وافٍ عن المطرية وشجرة العذراء والصورة العجائبية الموجودة في كنيسة للاقباط بالقرب من هناك تدعى منية السويد · وعن شجرة البلسم وكيفية زرعها واستخراج العطر منها · وساترجم هذا الكتاب الى اللغة الايطالية عند رجوعي الى بلادي واطبعهُ ان شاء الله · و بعد ان زرنا المسلة القديمة عدنا الى فندقنا بالقاهرة »

ديمتري نقولا



القنابل الانكليزية الكبيرة

مقتطف سبتمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٢٧٣

همة الانكليز في هذه الحرب

كان عدد التجارة في السفن الحربية الانكليزية ١٤٠٠٠٠ سنة ١٩١٤ فصار ٣٠٠٠٠٠ سنة ١٩١٦ و ٤٠٠٠٠٠ سنة ١٩١٧ لكثرة ما زيد فيها من البوارج ونحوها

وكان عدد الجنود العاملين وقت السلم نحو ٢٠٠٠٠٠ فصاروا الآن ٥٠٠٠٠٠٠ وكان عدد جيش المستعمرات ٣٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٥ فصار الآن ١٠٠٠٠٠٠

وقد بلغ عدد الاسرى الذين اسرهم الانكليز من الالمان في الميدان الغربي ٨٥٠٠٠ الى حد يونيو الماضي وعدد الاسرى الذين اسرهم الالمان من الانكليز هناك ٣٦٠٠٠ وبلغ عدد المدافع التي غنمها الانكليز من الالمان الى ١٥ يونيو الماضي ٤٨٥ والزيادة مستمرة

وغنم الالمان من الانكليز ٧٠ مدفعاً فقط ٦٠ منها في التقهقر من مونس سنة ١٩١٤

وكان عند الانكليز قبل الحرب ثلاثة معامل فقط لعمل الاسلحة والذخيرة فصار عندهم الآن تسعون معملاً والعمل فيها مستمر نهاراً وليلاً وعندهم عدا ذلك ٤٠٠٠ معمل آخر تخصصت لعمل الذخيرة . ويبلغ عدد العمال في معامل الاسلحة والذخيرة الآن ثلاثة ملايين من الرجال ومليوناً من النساء

وقد زاد عدد ما يصنع في الاسبوع من القنابل الكبيرة جداً ٤٢٥ ضعفاً منذ اول انشاء وزارة الذخيرة الى الآن وزاد عدد المدافع الكبيرة التي صنعت في السنة الثانية ١٨٤٣ ضعفاً عمَّا كان في السنة الاولى والتي صنعت في السنة الثالثة ٣٦٠٠ ضعف

وان شئت ان تتصور كبر القنابل الكبيرة فانظر الى الصورة المقابلة حيث ترى اربعة رجال يساعدون الآلة الرافعة على انزال قنبلة من هذه القنابل الى مركبة تنقلها الى حيث المدفع الذي تطلق بهِ فانها اطول من رجل واغلظ من رجلين . وهي ترفع كذلك وتزج في المدفع من خزنتهِ ويوضع بعدها البارود الذي تراهُ في كيس كبير على المركبة ثم تقفل خزنة المدفع ويشعل الذخير فيشتعل البارود ويدفع القنبلة مسافة عشرين ميلاً الى ثلاثين بعد ان تعلو في الجو بضعة اميال ومتى وصلت الى الارض وانفجرت فتحت فيها فوهة كفوهة البركان وخرَّبت كل شيءٍ تصل اليهِ شظاياها . والويل للذين على مقربة من موقعها . ولقد كان الالمان يخافون من انضمام الانكليز الى الفرنسويين والروس فثبت لهم ان خوفهم كان في محلهِ ولعلهم رأوا الآن اكثر مما قدَّروا



التعاون في الزراعة

وعدنا في مقتطف اغسطس ان نلخص الفصل الاخير من كتاب التعاون في الزراعة لانهُ خاص بهذا التعاون في مصر فيحسن بكل المشتغلين بالزراعة ان يطلعوا عليهِ · بدأ المؤلف هذا الفصل بقولهِ

« لا شبهة في ان الفلاح المصري من اشد الناس افتقاراً للتعاون فاننا كيفما قلبنا الطرف في شؤُون حياتهِ نراهُ عاجزاً عن تدبيرها تدبيراً يعود عليهِ بأقصى ثمرات عملهِ لما ينقصهُ من المعارف والخصائص التي يقتضيها الفوز في سبيل الحياة. نعم انهُ على جانب عظيم من الصفات الطيبة التي لا غنى عنها للنجاح ولكن هذه الصفات وحدها لا تكفي لادراك تلك الغاية

الفلاح المصري كدود غير ملول صبور على المكارهِ دائب على اشق الاعمال من قبل شروق الشمس الى ما بعد غروبها في جميع اوقات السنة غير شاكٍ او متأفف من حر الصيف وقر الشتاء قنوع بالكفاف من العيش قلما يفكر في الانصراف الى البذخ والنعيم في ملبسهِ ومأكلهِ ومشربهِ وقلَّ ان يكون اسيراً للخمر فهو اذن اداة مثلى لاستغلال الارض »

ثم قال « ان هذا الرجل المجد الذي نرى صورتهُ في آثار الفراعنة الاقدمين وهو عريان لم يتدثر الاَّ بخرقة تستر عورتهُ واقف في شمس الهاجرة يعمل في الشادوف ليرفع الماء من النيل لري زرعهِ جدير بان يكون صاحب الحق الاول في خيرات الارض التي يفلحها »

وقد يتبادر الى الذهن من هذه العبارة الاخيرة ان خيرات الارض تذهب الى غيرهِ من المالكين او المرابين ولكن ليس هذا غرض المؤلف بل غرضهُ ان الفلاح لا ينال كل خيرات الارض لانهُ يجهل كيفية الحصول عليها والاحتفاظ بها بدليل قولهِ بُعيْد ذلك « ولكن الواقع ان هناك كثيراً من العوامل التي حرمتهُ من جانب كبير من نصيبهِ من تلك الخيرات »

ثم شرح هـذه العوامل فقال انها جهل الفلاح بالقراءة وهذا الجهل حرمهُ من مطالعة نشرات وزارة الزراعة التي تتوخَّى فيها ايقاف الفلاحين على وسائل الوقاية من الآفات التي تصيب الزرع وتوجيه عنايتهم الى بعض وجوه الاصلاح الزراعي التي تتناول الحرث والغرس والري والتسميد والحصاد وانتقاء البذار · وقس على ذلك ما يذاع من الفوائد

الزراعية في الكتب والمجلات والصحف . ثم بيَّن ان الزراعة صارت علماً وان المطَّلع على اصول هذا العلم العامل بها يستغل من الارض اكثر مما يستغل غيره ولا يتفق ذلك الا للفلاح المستنير الآخذ بمستحدثات العلم الزراعي

واشار الى ضرر آخر من اضرار الامية وهو سهولة وقوع الفلاح الامي في حبائل « المحتالين وخصوصاً المرابين الذين اتخذوا من جهلهِ وحاجتهِ الى المال وسيلة لامتصاص دمهِ واستلاب ملكهِ الضئيل فترتب على ذلك قيام الشكوك والهواجس في نفسهِ واخذتهُ المخاوف من جميع الناس وقلة ثقتهِ بهم ومال الى ظن السوء بكل مَن يعاملهُ فتوهم فيهم الرغبة الى خذلهِ او غبنهِ وكثيراً ما دفعهُ هذا الوهم الى التذرع بالحيلة والخداع والجنوح الى المطل واستباحة حقوق سواه »

« اضف الى ذلك ان المصارف فتحت في وجههِ ابوابها ومهدت لهُ سبل الاستدانة برهن عقارهِ فكان ذلك من العوامل الجديدة التي طرأت على حياتهِ وهو لم يحصل بعد على التربية الاقتصادية التي ترشدهُ الى جر النفع من وراء تلك العوامل . نعم ان كثيراً من اهل الحزم والفطنة من صغار الفلاحين قد انتفعوا من الرهن العقاري نفعاً جمًّا لم يكونوا ليحصلوا عليهِ بغير ذلك من الوسائل في سبيل اصلاح اراضيهم وتوسيع نطاقها غير ان السواد منهم غرَّهُ تدفق الاموال حواليهِ فتدهور في هوَّة الاقتراض وتغلغل في قيود الدين وبعد ان كان مديناً للمرابي وحدهُ اصبح مديناً لهُ ولبنوك الرهن معاً ودفعهُ قصر النظر في الشؤون المالية الى الانفاق عن سعة مما اقترضهُ غير حاسب حساباً لصعوبة الوفاء مع تراكم الفوائد حتى لقد يصح ان يقال انهُ اصبح يفلح الارض لفائدة دائنيهِ »

ولا ندري هل احصى احد عدد الذين وقعوا في شرك الدَّين وغُبنوا او اسرفوا فوجد ان اكثرهم من الاميين الذين يجهلون القراءة والكتابة لا من الذين لا يجهلونهما . فان الذي نعلمهُ بالاختبار ان الرجل الذي يجهل القراءة والكتابة والحساب اذا كان صاحب ملْك فهو في الغالب اقدر في المعاملات من ابنهِ المتعلّم واحرص منهُ على حفظ المال وابعد منهُ عن الاسراف . ولكن اختبارنا غير واسع فلا يحق لنا ان نبني عليهِ حكماً

ثم قال المؤلف « ان الفلاح مغبون في شراء البذور والسماد وبقية حاجات الزراعة مغبون في بيع حاصلاتهِ مغبون في سعر الفائدة التي يؤديها على المال المقترض وفي شروط اقتراض ذلك المال . وقد جرى غبنهُ هذا مجرى الامثال على أَلسنة الناس في هذه البلاد وخصوصاً من كابد منهم شؤون الحياة القروية

« فهو اذاً في حاجة الى العلم في حاجة الى المال في حاجة الى تدبير امور زراعتهِ تدبيراً يقلل من نفقاتها و يعلي من ثمراتها و يعود عليهِ باقصى نصيب من تلك الثمرات »

واستطرد من هذه النتيجة الى وجوب التعاون في الزراعة قائلاً انهُ « افضل حل للمسألة الزراعية وخير وسيلة لترقية شأن الزراع وانارة بصائرهم وتنظيم مواردهم وحماية مرافقهم

« ومما يزيد الشعور بالحاجة الى التعاون في هذه البلاد ان اولئك الفلاحين الصغار الذين وصفنا سوء حالهم بوجه الاجمال ليسوا بالفئة القليلة بل هم عامة الزراع وركن الثروة الزراعية الاول كما يتضح من الاحصاء الآتي الذي وضع في سنة ١٩١٥ (١)

	عدد	مساحة الملاك فدان
ملاك وطنيون يمتلكون ما لا يزيد عن ٥ افدنة	١ ٤٤٠ ٥٩٥	١ ٤٣٠ ١١٦
« « « اكثر من ٥ الى ١٠ افدنة	٧٥ ٣٧٣	٥٢٣ ١٧٤
« « « « ١٠ « ٢٠ فدانًا	٣٦ ٠٣٣	٤٩٥ ٦٥٨
« « « « ٢٠ « ٣٠ «	١٠ ٧٢٥	٢٦٠ ٧٨٦
« « « « ٣٠ « ٥٠ «	٨ ١٥٤	٣١٣ ٩٠٢
« « « « ٥٠ . . . . «	١٠ ٧٨٥	١ ٧٢٦ ٨٩١
الجملة	١ ٥٨١ ٦٦٥	٤ ٧٥٠ ٥٢٧

« ولذلك تحركت همم المصلحين واتجهت عنايتهم الى تمهيد السبيل لادخال نظام التعاون في هذه البلاد وكان من الطبيعي ان يقوم على رأس هذه النهضة المباركة كبير النبلاء الذي اجمع الناس بحق على تلقيبهِ بأبي الفلاح صاحب العظمة السلطان حسين الاول مذ كان رئيساً للجمعية الزراعية الخديوية (السلطانية الآن) فانهُ اعزهُ الله وابقاهُ بعد ان رأى رأي العين تلك النتائج العجيبة التي عادت على فلاحي البلاد الاوربية من وراء التعاون اخذتهُ الغيرة على مصلحة الفلاح المصري فدعا الى تأليف لجنة في ربيع سنة ١٩٠٨ من كبار الزراع تحت رياستهِ لدرس المشروع وتقرير وسائل تنفيذهِ وفي ذلك الابان بعينهِ قام المرحوم المبرور عمر بك لطفي بدعوتهِ التعاونية وقضى صيف تلك السنة في ايطاليا باحثاً

(١) عن كتاب الاحصاء السنوي العام للقطر المصري سنة ١٩١٦ الذي اصدرتهُ مصلحة عموم الاحصاء

منقباً منكبّاً على درس المنشاءات التعاونية التي اقامها الاقتصادي الكبير لوتساتي وهي التي اشرنا اليها في غير هذا المكان · و بعد عودتهِ من هناك اخذ في نشر الدعوة الى التعاون فكان من ثمرات تلك الدعوة انشاء شركة التعاون المالي في القاهرة في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩ برعاية عظمة السلطان حسين وسمو الامير يوسف كمال برأس مال قدرهُ ٣٤١٢ جنيهاً ثم انشئت على يديه عدة شركات للتعاون المنزلي في القاهرة و بعض عواصم القطر · واول شركة تعاون زراعية هي نقابة شبرا النملة التي أُسست في ٢٥ ابريل سنة ١٩١٠ برياسة حضرة سليمان بك زكي العبد عمدة تلك القرية وقد انشئت بعد ذلك على مثالها عدة نقابات اخرى في بعض القرى اقدمها نقابات نشيل وناهيه وسنتماي وكوم النور واوليله ومحلة دياي

« اما لجنة اعيان الزراع المتقدم ذكرها فكان من نتائجها ان اللجنة التنفيذية للجمعية الزراعية اجتمعت في ٣٠ يناير سنة ١٩٠٩ وعينت لجنة من الاختصاصيين لدرس الموضوع وتقرير ما تراهُ فيهِ فقررت ان نهضة التعاون الزراعي في البلاد تتوقف على تشريع خاص يسهل انشاء شركات التعاون و يحررها من قيود القانون العام التي لا تتفق مع مبادىء التعاون ووضعت مشروع قانون لهذا الغرض لبث محلاً للنظر الى ان ندبت الجمعية في سنة ١٩١٢ مسيو ربييه المفتش العام في وزارة الزراعة الفرنسوية وقتئذٍ فبحث ذلك المشروع بحثاً وافياً ووضع مشروعاً آخر لا يختلف عنهُ اختلافاً جوهرياً

« كل ذلك والحكومة ترقب بعين الاهتمام هذه الحركة الفكرية الى ان صدر قانون الخمسة الافدنة في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٣ وكان من نتائجهِ غل ايدي صغار الزراع عن الاستدانة لان ضمان دائنيهم اصبح قاصراً على غلة اطيانهم فاصبح من المتعيّن التعجيل بسن قانون للتعاون الزراعي يسهل على هؤلاء الزراع الحصول على ما يفتقرون اليهِ من المال وغيرهِ من الوسائل اللازمة لاستغلال املاكهم استغلالاً يعود عليهم بالنفع المنشود فانشأت الحكومة مشروع قانون في اوائل سنة ١٩١٤ وعرضتهُ على الجمعية التشريعية فبحثتهُ في جلسات ١٤ و ١٥ و ١٦ يونيه من تلك السنة واقرتهُ بعد ادخال بعض التعديل عليهِ · على ان هذا المشروع لم يصدر بهِ المرسوم السلطاني بعد لان بعض نصوصهِ لا تزال محلاً للنظر فضلاً عن ان الشؤون الخطيرة التي نشأت عن الحرب الحاضرة قد حالت دون الاهتمام بامر النهضة التعاونية الى حين

« وقد توخت الحكومة بسن ذلك القانون قيام شركات التعاون الزراعية على مبادىء التعاون الصحيحة وتدبير الوسائل الكفيلة بحماية مصلحة اعضائها ومعامليها وتخويلها شيئاً

من المزايا التي تعينها على بلوغ اغراضها السامية كما سيجيء تفصيلاً

ومن اهم الامور التي اتجهت اليها عناية الشارع وضع شكل قانوني لتلك الشركات يتفق مع اغراضها والمبادىء التي تقوم عليها وذلك لان النصوص التي وردت في القانون العام عن الشركات على اختلاف انواعها لا تلائم على اطلاقها حالة شركات التعاون فان لم يوجد قانون خاص لهذه الشركات اضطر منشئوها الى الاجتهاد القانوني في اقتباس متفرق النصوص من القانون العام وتقييدها قدر الاستطاعة بما يتفق مع مبادىء التعاون

« ولا يخفى ان النظام الذي تقوم دعائمهُ على محض الاجتهاد في تصريف القانون يندر ان يسلم من النقض باحكام القضاء ولا يقاس في شيء بنظام اساسهُ التشريع الصحيح

« ولا يضاح ما تقدم يتعين علينا ان نصف انواع الشركات المختلفة كما يؤْخذ من احكام القانون العام الواردة في شأنها »

ويلي ذلك قوانين الشركات المنصوص عليها في القانون المصري وهي مما يجب ان يرجع اليهِ كل من يشاء ان ينشئ شركة في القطر المصري وبعدهُ نص القانون المشار اليهِ آنفاً الذي وضع لشركات التعاون وهو عشرون مادة . واتبعها المؤَلف بشرح موجز علقهُ على كل مادة منها . ولقد احسن بهذا الشرح غاية الاحسان ولاسيما حيث ذكر اوجه الخلاف بين الحكومة والجمعية التشريعية كما في الاختلاف على المادة الثانية التي يقال فيها « ان شركات التعاون الزراعية تتكون بعقد رسمي او عرفي مصدق فيهِ على توقيعات المتعاقدين » فقد قال ان هذه المادة كانت مثار خلاف شديد بين الحكومة وبعض اعضاء الجمعية التشريعية فالحكومة ترى انهُ يجب ان لا تنشأ شركات التعاون الزراعية الاَّ بترخيص وزير المالية . والاعضاء الذين يخالفونها قالوا بوجوب اطلاق الحرية للناس في تأليف هذه الشركات بلا حاجة الى ترخيص اداري . وقد كانت الاغلبية في صف هذا الرأي الاخير فاقرَّتهُ الجمعية . ودافع هو عن رأي الحكومة وبيَّن احقيتهُ بكلام مسهب وادلة مقنعة

وقد انتقد على بعض المواد كالمادة التاسعة وقال في الختام ان الحكومة توخت من هذا القانون وضع نظام وطيد الدعائم لشركات التعاون الزراعية يطلقها من قيود القانون العام التي لا تلائم مصلحتها ويضمن لها التمتع بالشخصية المعنوية ويكفل قيامها على مبادىء التعاون الصحيحة وحماية مصلحة اعضائها ومعامليها

وسنعود الى تتمة هذا الفصل في الجزء التالي

زراعة البطاطس

قال مكاتب المقطم من اشمون : البطاطس من المواد الغذائية الضرورية في قطرنا وقد قل الوارد منهُ من اوربا في السنوات الثلاث الماضية بسبب الحرب لذلك غلا ثمنهُ في اسواق مصر حتى حرم الفقير طبخهُ . فاهتمت وزارة الزراعة بالامر ورأت ان الفرصة سانحة لتعميم زرع البطاطس في الاراضي الملائمة لزرعهِ فيها وارشاد الزراع الى طرق زرعهِ وعهدت الى معاونيها في افهام الزراع ما ينالونهُ من الفائدة اذا عملوا بارشادها وتعليمها وقد عمل الزراع بذلك فاقبلت زراعتهم واصابوا ربحاً وافراً ولما كان في ذكر الطرق التي اتبعت في زرع البطاطس فائدة للزراع قابلت بعضاً من ذوي الخبرة في زرع هذا الصنف فكان محصل ما قالوهُ لي هو

ان الارض التي تصلح لزرع البطاطس هي الارض الصفراء الخفيفة فان المحصول يكون وافراً فيها والنوع جيداً . اما الزمن الذي يوافق فيهِ الزرع فشهرا فبراير واغسطس اعني مرتين في السنة . اما محصول زرع فبراير فيسمى بالصيفي ومحصول اغسطس بالشتوي وهاك طرق زرع البطاطس

تحرث الارض ثلاث مرات وتزحف وتخطط على ابعاد متساوية بين كل خط وخط ٦٥ سنتمتراً ثم تمسح بالفأس بعناية تامة بحيث تصير التربة ناعمة جداً ثم توضع التقاوي وهي اجزاء من البطاطس التي فيها عيون (بزور) قوية في الثلث الاعلى من الخط على ابعاد مختلفة ففي الارض الضعيفة توضع على ابعاد بين الواحد والآخر ٣٥ سنتمتراً . اما في الارض القوية فتوضع على ابعاد من ٤٠ سنتمتراً الى ٤٥ سنتمتراً ثم تروى الارض وبعد ٢٠ يوماً الى ٢٥ يوماً تعزق بالفأس بكل دقة ويكون حينئذٍ قد ظهر النبات على الخطوط ويمكن في هذه الحال ترقيع مكان الفاسد من التقاوي التي لم تنبت . وتروى الارض اربع مرات بين كل رية واخرى عشرون يوماً . وقبل استخراج المحصول من جوف الارض بخمسة وعشرين يوماً تمنع المياه عن الزراعة بتاتاً لكي تجف فيستخرج المحصول سليماً ولا يتطرق التعفن اليهِ بعد ذلك وهو في المخازن

هذا وقد رأيت زراعة بطاطس في عزبة صاحب العزة اسكندر بك مسيحه في ناحية الحما فراقني ما رأيتهُ من عنايتهِ وشدة اهتمامهِ بها . وعلمت ان متوسط محصول الفدان مئة وخمسة عشر قنطاراً وصافي ثمنهِ نحو خمسين جنيهاً . وهو محصول جيد في جانب المحاصيل

الاخرى . فحبذا لو عممت زراعة هذا الصنف في الاراضي الموافقة لهُ التي ذكرت وصفها في رسالتي هذه لانهُ يأتي بمحصول جيد والسلام

موتمر الحبوب

عقد موتمر الحبوب في مدينة كنساس باميركا ونظر في قلة مواسم الحبوب في الدنيا فاشار بالامور التالية

(١) ان تضمن الحكومة سعراً معيناً للحبوب لا تهبط قبل مضي سنة بعد انتهاء الحرب

(٢) التبكير في زرع الحبوب على قدر الامكان ولاسيما اذا زرعت كشفاً

(٣) اختيار التقاوي وقت الدراس للوسم المقبل ولتكن على تمام النظافة وتعالج المعالجة التي تمنع ظهور الآفات فيها اذا كانت معرَّضة لها

(٤) تزرع في كل ناحية اصلح التقاوي للزرع فيها ويجب على مدارس الزراعة ودواوين الزراعة ان تهتم بتعيين الاصناف الصالحة لكل جهة

(٥) يجب منع الاعشاب الغريبة من النمو مع الزرع باستعمال التقاوي الخالية من بزورها او بزرعها بعد زراعة اخرى تنظف الارض من الحشائش كالبرسيم

(٦) يحسن امتحان قوة البزور على الانبات في دور الحكومة الخاصة بذلك وذلك قبل زرعها لاختيار ما يقل البزر الميت منهُ

(٧) يحسن معالجة التقاوي مهما كان نوعها بالعلاج الذي يمنع ظهور مرض الخميرة والصدإ فيها

(٨) اذا وجد في الاطيان اعشاب تصاب بمرض الصدإ او مرض الخميرة وجب استئصالها منها قبل زرع الحبوب فيها

(٩) يتلف كثير من الحبوب وقت ضمها ودرسها وتذريتها فيجب الانتباه لذلك ليقل التلف على قدر الامكان

(١٠) يجب ان يعتاد الناس خلط القمح وقت طحنهِ بحبوب اخرى كالذرة على انواعها والشعير والفول او يكثروا من اكل هذه الحبوب واكل الفول وكسب بزر الكتان وكسب الفول السوداني بدل القمح اذ يحتمل ان الاراضي الصالحة لزرع القمح اذا زرعت كلها لا تكفي لمقطوعية كل نوع الانسان في المستقبل

كيف ينقل الطاعون البقري في السودان

نشرت جريدتنا السودان الصادرة في ٨ اغسطس الرسالة التالية لمكاتبها من مروي في مديرية دنقلة قال فيها : —

بعد ان خفت عندنا وطأة الطاعون البقري عادت فزادت هذه الايام ولاسيما في جهة تنجاسي الزويس وسعر بت والكروى ونوري واسلي

وقد اكتشف حضرة الملازم الاول محمود افندي صدقي الطبيب البيطري ان سريان الوباء من جهة الى اخرى وانتشاره انما يتم بواسطة الحمير وانها تحمل جراثيم الوباء فان الطاعون البقري انتشر في بلدة تنجاسي في بادىء الامر دون ان تصاب بلدة الدبيبة لعدم وجود حمير فيها الا انهُ منذ مدة توجه احد اهالي تنجاسي الى الدبيبة راكباً حماراً فلم تمضِ ثلاثة ايام على ذهابهِ الى تلك البلدة حتى ظهر الطاعون فيها فاصيبت ابقار خمس سواقٍ من الجهة البحرية وخمس في الجهة القبلية

جمعيات التعاون الزراعي في الهند

اقرّت حكومة الهند على انشاء هذه الجمعيات منذ اثنتي عشرة سنة فتألفت ونجحت في غضونها نجاحاً كبيراً . وقد جاء في التقرير الذي صدر حديثاً عن سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ ان عدد هذه الجمعيات بلغ ١٩٦٧٥ وعدد اعضائها ٩١٨ ٤٣٦ ورأس مالها الذي تشتغل بهِ ٦ ٨٨٤ ٠٠٠ جنيه ومن ذلك مبلغ ١٠٧٠٠٠ جنيه من الحكومة . وكان عدد هذه الجمعيات في العام السابق ١٧٣٢٧ وعدد اعضائها ٨٢٤ ٤٦٩ ورأس مالها ٥ ٩٢٧ ٠٠٠ جنيه . واكثر هذه الجمعيات في البنجاب فان فيها ٣٣٩٣ جمعية عدد اعضائها ١٤٨ ٠٤٣ ورأس مالها ١ ٣٧١ ٠٠٠ جنيه

وقد جاءت التفاصيل عن ١٧ ٧٢٩ جمعية رأس مالها الذي تشتغل بهِ ٣ ٤٤٠ ٠٠٠ مع ان رأس مالها الحقيقي ٥١٠٠٠٠ جنيه ومالها الاحتياطي ٤٠٢ ٠٠٠ والباقي اكثرهُ اموال اقترضتها من البنوك وأقرضتها لاعضائها وقد بلغ صافي ربحها في السنة الماضية ١٣٢ ٠٠٠ جنيه . وهي تستدين الاموال بفائدة ٦ الى ٩ في المئة وتدينها لاعضائها بفائدة ٩ الى ١٢ $\frac{1}{2}$ في المئة . مع ان الفلاح مهما كانت احوالهُ حسنة لا يستطيع ان يستدين هناك باقل من ٢٠ في المئة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

النهاية

وقفت كليوبطرة تنظر مرقس انطونيوس يحارب اكتافيوس وخافت الهزيمة فعزمت على الانتحار وهالها ان تموت وحيدة فارسلت الى مرقس انطونيوس تخبرهُ بموتها فبكى وطعن نفسهُ بخنجرهِ ومات شهيد غرامهِ فلما وافاها خبر انتحارهِ اسلمت نفسها للثعبان وماتت قبل ان يأسرها اكتافيوس

يا ظلامَ النفس رفقاً بالأُلى ظلم الدهرُ وقدماً ظلموا
رقدوا في ساحة الهم وقد كانت الدنيا لهم تبتسمُ
قد طوى الدهرُ سماءً لمعت لَهُمُ من قبلُ فيها انجمُ
جفَّت الخمرُ ففي الكأس دمٌ وكذا الدنيا خمورٌ فدمُ
نكَّسوا الطرف وقد لاحت لهم صورٌ عن سعدهم تزدحمُ
ندموا عما جنت ايديهمُ حيث لا ينفع يوماً ندمُ
فهمو كالليث يبكي يائساً وحرامٌ ان يضامَ الضيغمُ
انما الدمع لسان ناطق يتولى قلبَ من لا يرحمُ
غير ان الدهر سيفٌ حدهُ قاطع فيهِ القضاءُ المبرمُ

***

وقفت في ساحة القصر وقد وقفت فيهِ قديماً تظلمُ
ترسل الدمع على الخد دماً والأسى في رأسها يلتطمُ
لا ترى في يومها السعد وقد حجب السعدَ غمامٌ مرْزِمُ

فاذا الصبح اتاها ضاحكاً هالها منهُ سوادٌ اقتمُ
واذا الزهرُ رنا مبتسماً وجدت في الزهر ناراً تضرمُ
تسمعُ الجيش يلبي ربهُ ليس في الجيش اصمٌ ابكمُ
كل مغوارٍ يرى الروح فدى لبلادٍ في حماها يكرمُ
وترى الاعداء هبوا للوغى وعلى النصرِ جميعاً اقسموا
زُمرٌ ماجت كبحر مزبد قادها من للردى يقتحمُ
اسد لا يرهبُ الموت وهل يرهب الموتَ الجريءُ المقدمُ
فكأن الارض ميدانٌ بهِ كل حي ثائرٌ منتقمُ
خافت المقبي وما الخوف سوى صارمٌ يقطر منهُ الالمُ
هي بين النصر والأسر غدت شبحاً قد غابَ عنهُ الكلمُ
اسلمت للشك قلباً هالعاً فهو من اظفارهِ لا يسلمُ
وازدرت هول الردى قائلة كل عيشٍ بالردي يختتمُ

***

كان انطنيوس صباً مغرماً فانقضى الحبُ ومات المغرمُ
مات والآلامُ تستهدفهُ والأسى يلهو بهِ والتهمُ
مات مكلومَ الحشا منتحراً نادماً طوراً وطوراً يندمُ
هو والخنجرُ في احشائهِ شبحٌ لليأسِ يعلوهُ الدمُ
جاءهُ نعي التي فارقها حية يسعى اليها الكرمُ
لم تكن ماتت ولكن هالها موتها والصب حيٌّ ينعمُ
اينَ من ضحى لها اوطانهُ لم يعض القلبَ منهُ الندمُ
طائعاً للحب لا يرعى سوى عهدهِ ذاك الاثيمُ المجرمُ
خان روما مستبداً ناسياً ان ركن الحق لا ينهدمُ

***

كيف تحيا ربة الحسن وقد مات من كانت بهِ تعتصمُ
عقها الاعوانُ في نكبتها مثلاً للغدرِ يا ويحهمُ
ليس في الدنيا وفيٌّ صادقٌ فهمُ ان ماتت الدنيا همُ
ايه كليوبطرةُ اليوم انقضت عنك آمالٌ وزالت امَمُ

انت في القصرِ خيالٌ زائلٌ وهو في العين مخيفٌ مظلمُ
أَنت والارقمُ يرنو جائعاً حيةٌ يرنو اليها ارقمُ
لا تظني انَّ في حسنك ما يسجد الليث لهُ يسترحمُ
ان اكتاف جريءٍ قادرٌ ولهُ النيل ومصرٌ مغنمُ
وجمال العمرِ ماضٍ ذاهبٌ وجمال الطهرِ لا ينعدمُ
وابتداء الحي منّا عدمٌ وختامُ الحي منا عدَمُ

محمد تيمور

دار السلام

دار السلام وقبّة الاسلام دارت عليك حوادث الايامِ
فسقطت من ابدٍ مخربةٍ الى ابد معمرةٍ لكل رمام
ابدٍ تحثك للترقي والعلى وحياة الاستقلال والاقدامِ
ونجوت من شرك الجناكرة الالى ظلموا وما عرفوا برعي ذمام
لا تجزعي بغداد إمّا قيل عنـ ـكِ سقطتِ بعد معارك وصدام
فلربما سقطت فرائد غادة ثم ارتقت للجيد بعد نظامِ
وتقلب الحدثانِ انفع موقظٍ للناس من سنةٍ بهم وسئام

عهود هارون

هل تذكرين عهود هارون وما أسداك من شرف ومن اعظام
ام تذكرين ايادي المأمون اذ أحيا بربعك دولة الاقلامِ
وأقام للزوراء مجداً خالداً بخوالد الآثار والآطام
فبلغت من درك الحضارة غاية اعيت مداركها على الافهامِ
ايامَ كنتِ على البلاد مليكةً امّارة بالنقض والابرام
ايامَ تحيين العقولـ وتحكميـ ـن بها على الارواح والاجسام
ايام مدرسة النظام[1] وشيخها محيي العلوم وصاحب الإلجام

---

(١) هي المدرسة النظامية والجامعة العربية الخالدة الذكر والتي كان من اساتذتها الفيلسوف العربي الكبير صاحب احياء علوم الدين والجام العوام وهو الامام الحجة الغزالي

لهفي على تيك المدارس وهي بالـ علماء قد غصت وبالاعلام
أمست دوارس ما بها من دارسٍ او باحث متتبع فهامِ
او شاعرٍ يحكي الرضيَّ بشعرهِ او ناثر كابن العميد امام
اخنى على بغداد شعب خرَّبوا صرح العلوم وقبة الاسلام
بغداد قد فتح الطريق ولم تعد تلك العقاب ونلتِ كل مرام
لاعذر بعد اليوم ان لا ترجعي مجد الجدود وعزَّك المتسامي
بغداد جدي للعلى او تضربي اسمى قبابٍ للعلى وخيام

السؤال

اين الرصافة وهي زاهرة وبا سمة بوجه زمانها البسّامِ
ام اين جسرك اذ تهادى فوقهُ عين المهى واوانس الآرامِ
ام اين ذاك الكرخ ام اقمارهُ محقت بخسف الظلم بعد تمامِ
ام نهر عيسى(١) العذب ام جناتهُ ام قصرهُ الموفي على الاعلامِ
ام نهر طابق والمعلّى والرُّفَيْـ ـل عفت مجاريها وهن طوامي
ام سائر الانهار وهي غزيرة فكانها ظمأى بشهر صيامِ
ام اين يا بغداد بركة زلزلٍ(٢) أغدتْ حقيقتها من الاوهامِ

جواب بغداد

فسمعت همساً خافياً وكانها بغداد قالت لي بغير كلامِ
افتى الشآم اثرت اشجاني لما ذكرتني بالبيض من ايامي
هوّن وان تنصف فقومك أجرموا فعددت ظلماً ذاك من اجرامي
تخذوا الغريب الاجنبي بطانة في الجيش والاموال والاحكامِ
وجفوا بنيَّ تسامحاً فلذاك ضا عَ العربُ بين الترك والاعجامِ
كم نلت من ذين العدوّين الاذى بل كم بكيت اسىً بدمع هامِ
يا نسل جنكيز وهولاكو الاولى جنحوا الى بوزقورد(٣) لا الاسلامِ

(١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ونهرهُ كان تحت الجنات جارياً واليهِ ينسب اول قصر بناهُ الهاشميون في بغداد ايام المنصور (٢) بناها في بغداد رجل يقال لهُ زلزل ضرب بهِ المثل في ضرب العود ايام المهدي والهادي وهارون (٣) صنم كان الاتراك يعكفون عليهِ في جاهليتهم الطورانية فقام اليوم دعاة العصبية التركية يعظمونهُ و يدعون اليهِ و ينظمون القصائد في تقديسهِ

هل تحسبون نسيت ماضي جوركم وفعالكم يا افظعَ الاقوامِ
او ما حملتُ من البلاء وانهُ لتكل عنهُ كواهل الاهرامِ
كلاّ ورب الراقصات الى منى والعرب في عرفاتَ بالاحرامِ
يا ترك لا ينسي الاذى والظلم ما صبّ الاذى الا على الظلاّمِ
او لستمُ احفاد هولاكو الذي قد دكّ اعلامي ودق عظامي
وقدحتمُ شعب النبي مظالماً فاضطرّ يوماً لامتشاق حسامِ
وأجارهُ ابن محمد بقيامهِ لله لا لعلّي ولا لحطامِ
وهو الامام المجتبي من كان ينـ صحكم ويدفع عنكم ويحامي
لم تستبينوا نصحهُ الاّ ضحى الـ غدِ بعد ضرب النار والالغامِ

الدين النصيحة

ان تسمعوا مني النصيحة فارجعوا للصين قبل قيادكم بخطامِ
هي دار جنكيز وهولاكو معاً ومواطن الاخوال والاعمامِ
قد طهرّ الله العراق بطردكم عنهُ فليس لكم بدار مقامِ
واذاقكم « مود » الردى ففررتم جبناء والجبناء غير كرامِ
فعسى ألنبيُّ ينتضي هنديةً فيعيد للماضي ربوع الشامِ

عز الدين آل علم الدين

البيراميدون والحميات

نشرت المجلة الطبية والمصرية بعدد شهر مايو سنة ١٩١٧ مقالة في علم الركه قالت فيها « ان استعمال البيراميدون وما شاكلهُ من مخفضات الحرارة مضعف للقلب ولا فائدة منهُ بل بالعكس ازدادت مدة سير الحمى عند كل مريض اعطي لهُ وكان ارتفاعها اعلى مما لو ترك المريض بغير هذه الادوية وكثيراً ما اوقف اعطائها وكان ذلك سبباً في انقطاع الحمى »

ولما كانت المشاهدات الاكلينكية وآراء الاطباء المشتغلين بفن العلاج الطبي لا تطابق ما جاء في هذه المقالة عن البيراميدون جئت بهذا المقال ردّاً على ذلك فاقول :

من المعلوم انهُ اذا كان المرض يدافع دفاعاً شديداً عن حرارتهِ كما يتضح من قلة هبوطها عند استعمال طريقة العلاج بالماء المعروفة والصعود السريع على اثر ذلك فهو دليل على ان العلاج بهذه الطريقة فقط لم يأت بالفائدة المطلوبة لانهُ لم يؤثر التأثير الكافي في

الحمى الشديدة و يكون التحسن حينئذٍ وقتيًا و يظل خطر الحرارة الشديدة باقيًا · فعدم التمكن من تخفيض الحرارة بواسطة العلاج بالماء يدل غالبًا ان الانذار خطر · ومن المعلوم ايضًا ان الارتفاع الشديد في الحميات ناتج على العموم عن توكسين الحمى وهو اهم سبب لضعف عضلات القلب ولما كان العلاج بالماء في مثل هذه الاحوال لا يؤثر التأثير الكافي ودفعًا لخطر سوء التأثير في القلب رأى اكثر الاطباء ان يستعملوا ادوية تعين على تخفيض الحرارة تلافيًا لهذا الضرر

وقد جربت عقاقير كثيرة مختلفة لهذه الغاية كالكينا والاسبيرين والكروجينين واللاكتوفينين والانتبرين والبيراميدون وغيرها ولكن كان لمعظمها موانع يحول دون اعطائها · ولكن لوحظ ان استعمال البيراميدون بمقادير صغيرة لا تأثير لهُ في عضلات القلب بل هو ذو نتيجة حسنة جدًّا اذ يعين على تخفيض الحرارة الشديدة وهو الجوهر الوحيد المأمون العاقبة من بين جميع الجواهر الاخرى التي من هذا القبيل · فقد جاء في كتاب فن العلاج تأليف البير روبين Albert Robin ما ترجمتهُ « ان البيراميدون يمتص و يفرز بسرعة زائدة و ينشط التغييرات الكيماوية العضوية ويزيد الاحتراق العضوي وفعلهُ في المجموع العصبي بطيء ومنتظم وهو غير سام الاَّ بمقادير كبيرة و يمتاز ايضًا بان ليس لهُ تأثير سيء في القلب والدورة الدموية ثم انهُ مخفض للحرارة الشديدة استعمالهُ مفيد في الانفلونزا والروماتيزم الحاد والتدرن والتيفوس والتيفويد والالتهاب الرئوي والحمرة » الخ

وممن اشار ايضًا باستعمالهِ مورتس وجاكوب ونوبيكور في كتاب فن علاج الامراض المعدية Moritz, Jacob, et Nobecourt Théropeut que des Maladies Infectieuse

وقد شاهدت استعمال البيراميدون مدة ثلاث سنوات حين وجودي بمستشفى الحميات بالقاهرة حيث عولج في هذه المدة عدد لا يقل عن عشرة آلاف مريض ولم اشاهد ادنى خطر من اعطائهِ · والطريقة المتبعة هي ان يعطى منهُ عشرة سنتيجرامات كل ساعتين للمريض البالغ وذلك لا يمنع من استعمال المنبهات كالحقن بزيت الكافور والكونياك والشمبانيا وغيرها عند الضرورة · ولما كان من المعرقات ايضاً فيستعمل بدلاً من كافورات البيراميدون في احوال حمى التدرن لتخفيض الحرارة ومنع العرق ايضاً

اما القول ان كل مريض اعطيَ البيراميدون طالت مدة الحمى معهُ وكان ارتفاعها اعلى مما لو ترك من غير هذا الدواء فانهُ لا ينطبق على المشاهدات الطبية ولا على آراء

مشاهير الاطباء . ومثلهُ القول ايضاً ان الحمى انقطعت عند ايقاف اعطاء البيراميدون فيظهر ان ذلك كان في الاسبوع الاخير للحمى عند انتهاء سيرها

يستنتج مما تقدم ان استعمال البيراميدون بمقدار قليل قانوني ضروري في الاحوال التي لا تنخفض فيها الحرارة انخفاضاً كافياً بطريقة العلاج بالماء المعروفة . وليس منهُ ضرر البتة على القلب بل ان منافعهُ عظيمة كما قرر مشاهير اطباء فن العلاج وكما شاهدتهُ بنفسي في مستشفى الحميات في حوادث كثيرة

الدكتور ڤيتالي
مفتش صحة قسم عابدين
وطبيب بمستشفى الحميات سابقاً

جبور الطبيب

حدثني شيخ جليل القدر قال : عندنا في الوطن طائفة كبيرة من الكتب الخطية النادرة الوجود القديمة العهد كان يورثها الاباء الى الابناء من اسرتنا و يوصوننا بالاحتفاظ بها . وبعض هذه الكتب طبية كان افراد العائلة يقرأونها ويطببون اهالي بلدنا (احمج) وما جاورها بما عرفوهُ من هذه الكتب . واتفق ان احد افراد العائلة وهو ابن اخي درس الكتب الطبية الموجودة عندنا وشاء ان يحصل على شهادة من المدرسة الكلية تخولهُ ان يتعاطى مهنة صيدلي . فجاء بيروت ولما مثل امام الدكتور كيك احد اساتذة الكلية اخذ الدكتور يسألهُ عن بعض الاعشاب وما ينسب اليها من الادوية فكان التلميذ يجيبهُ عن اسماء الاعشاب وخواصها باسماء عديدة منها ما هو معروف عند الدكتور ومنها ما هو غير معروف . فدهش الدكتور وقال لهُ من اين عرفت هذه الاسماء . قال من كتاب جبور الطبيب الموجود عندنا وهو مصور بهِ الاعشاب وخواصها واسماؤُها العديدة . فطلب الدكتور منهُ ان يأتي بالكتاب الى المدرسة الكلية . فاجاب ان ليس بالامكان ذلك لان عائلتنا لا تسمح بهِ فاذا سلم بهِ واحد لا يوافقهُ الباقون . ثم عزم الدكتور كيك ان يذهب بنفسهِ ليرى الكتاب فسافر مع التلميذ الى بلدنا احمج (موطن التلميذ) لكن سفر الدكتور كان بدون جدوى لاننا قلنا لهُ ان الكتاب فقد منا (والحقيقة موجود عندنا ولا يمكن التسليم بهِ) فتأسف الدكتور على فقدهِ وقفل راجعاً . انتهى . فمن هو جبور الطبيب وما هي مؤلفاتهُ وهل يوجد منها شيءٌ مطبوع

جوندياهي (البرازيل) حسيب ابو خلف

[المقتطف] سمعنا عن جبور الطبيب في السنين الاولى من صدور المقتطف . والراسخ في ذهننا انهُ كان مثل كثيرين من الاطباء القدماء الذين لم يدرسوا العلوم الطبيَّة درساً قانونيًّا بل اعتمدوا على ما وقع في يدهم من الكتب الطبية قديمة كانت او حديثة مع شيءٍ من الحذر . ولا ينتظر ان كل مرض ينتهي بالموت ولو لم يعالج فاذا انتهى بالشفاء كما ينتهي كثير من الامراض نسب شفاؤهُ الى العلاج وقد لا يكون العلاج مما ينفع ولا مما يضرُّ

اما كتاب النباتات المصور فيحتمل ان يكون ما قيل عنهُ صحيحاً لان ابن البيطار صاحب كتاب المفردات الطبيَّة يقال عنهُ انهُ رأى بعض النباتات التي كتب عنها وصورها. وقد شاهدنا في صبانا كتاب نباتات عربيًّا مصوراً وفيهِ فوائد تلك النباتات الطبيَّة . ولو عُني احد بدرس كتاب تقويم الابدان الذي ذكرناهُ في باب التقاريظ في هذا الجزء وعمل بهِ لافاد في معالجة كثير من الامراض . وبمثل ذلك كان الاطباء الاقدمون يعالجون امراضاً كثيرة ويشفونها . ولا نعلم ما هي مؤلفات جبور الطبيب

اغاثة الفقير

حضرة الفاضل محرر مجلة المقتطف

اطلعت على نبذة في المقطم موضوعها اغيثوا الفقير واكسبوا الاجر. فخطر على بالي اني لما كنت مقيماً بمدينة شيكاغو بالولايات المتحدة بين سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ لقيت المستر وليم هفمان العالم الفيلسوف الطبيعي فسألتهُ عن حقيقة فهمهِ لصفات الطبيعة وهل هي كما يقول بعضهم عمياء صماء او كما يقول غيرهم حكيمة رشيدة . فقال وهل يعقل ان الغارس لبزور الارتقاء وبقاء الاصلح في الخليقة يكون اعمى واصم . ان العمى والصمم لا يمكن ان يكونا من شأن واضع اساس العلم لان ناموس الارتقاء وبقاء الاصلح الذي غرستهُ الطبيعة في الخليقة هو بالطبع اساس العلم . وما العمي والصمم الأ من صفات عقولنا القاصرة عن فهم مغزى الطبيعة . مثال ذلك ان الغني يشفق على الفقير ويتصدَّق عليهِ مع انهُ لو تركهُ لنفسهِ لاضطرتهُ الحاجة الى السعي والجد والنجاح لان الحاجة تفتق الحيلة او لزال من امام من هو اصلح منهُ للبقاء . ففي اشفاقنا عليهِ نقاوم الناموس الطبيعي

دمياط احد القراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ماذا نأكل

لم يختلف الناس على مسئلة اختلافهم على نوع الطعام الذي يؤْكل ومقدارهِ وما يكفي الجسم منهُ وما يلائمهُ وما لا يلائمهُ . فلذلك انقسموا من هذا القبيل فرقاً واشياعاً نذكر البعض منها على سبيل التفكهة والفائدة

فمن هذه الفرق النباتيون وهم القائلون بان يقتصر المرء على اكل المواد النباتية ويمتنع عن اكل الحيوانية . وقد تفرع عن هذه الفرقة شعبتان الواحدة تقول بتحليل البيض واللبن من المواد الحيوانية دون غيرهما . والثانية تتابعها عليهما وتضيف السمك اليهما

ومنها فرقة اللاَّبروتيين وهي التي لا تعنى بنوع ما يؤْكل من الطعام بل بمقدارهِ وعنايتها مقتصرة على مقدار البروتيين الذي يجب ان يكون في الطعام . وعندها انهُ كلما قلَّل الانسان منهُ سواء كان مصدرهُ حيوانيًّا ام نباتيًّا كان ذلك خيراً لهُ . لذلك يحرمون السمك واللحم واللبن والبيض والجبن والقطاني من فول ولوبياء وعدس ويحللون شرب الدخان والخمر . وبتحريم هذه المواد وجدوا انفسهم ضمن دائرة ضيقة جدًّا فبينا كان همهم بادئ بدء مقدار البروتيين الذي يجوز ان يؤْكل رأَوا في آخر الامر ان الحصر حصر في الكمّ والكيف معاً بل ان التضييق عليهم اشدّ في الوان الاطعمة التي يشتهونها منهُ في مقاديرها

ومنها فرقة اللاَّيوريك وهي فرقة راعها الحامض اليوريك (او البوليك) في البدن وخوف عواقبهِ فحرمت كلَّ ما خيّل اليها انهُ يجلبهُ او يحتوي على شيءٍ منهُ كالسمك وسائر اللحوم والقطاني والشاي والقهوة والمرق على انواعهِ والخبز الاسمر وبعض الخضر كالهليون والفطر . ولكن اتباع هذه الفرقة يأْكلون ما شاؤُوا من المواد النشوية والدهنية على ما في الاكثار منها من الاضرار الكثيرة كما هو مشهور طبًّا

وقامت فرقة من الغلاة تحرّم اللبن وهو ابسط الاطعمة واسهلها هضماً واقلها ضرراً بانية حرمها على كون مقدار ما يحويهِ من الجير مضرًّا بالجسم

وغلت فرقة مثلها فحرّمت اكل كل ملح من الاملاح حتى ايّ لون من الوان الطعام يحوي شيئًا من الملح العادي ولو كان الطعام في الغاية من الجودة . يقابلها من جهة اخرى الفرقة التي تقول ان الاستحمام بماء البحر الملح هو الشافي لمعظم الاسقام التي تصيب الناس

وربما كان اكثر غلوًّا من هذه الفرقة او تلك مَن يحرّم شرب اية السوائل على الاطلاق وفي جملتها الماء سواء كان ذلك مع الطعام او قبلهُ او بعدهُ . واذا اعتدل وتساهل سمح بشرب شيء قليل من السوائل ولكن في غير اوقات الطعام

وهناك فرقة تنهى عن كل طعام مختمر وتجيز كل طعام مطبوخ . واخرى تقول باكل كل طعام نيئًا لم يطبخ على نار ولكنها حرصًا على قابلية انصارها ان تفقد تجيز طبخ الطعام النيء بعض الشيء على اشعة الحرارة الكهربائية فيصير امرأً في افواه آكليهِ

وقامت فرقة بحرب عوان على اللبن الرائب فالتف حولها كثيرون من انصارها وقلّ انصار اللبن الرائب وكان متشنيكوف زعيمهم كما يعلم القراء ورأيهُ فيهِ مشهور فلا نعيدهُ هنا

ونشأت فرقة لا تهتمّ اقل اهتمام بكمّ الطعام ولا كيفهِ وانما تحصر اهتمامها بطريقة اكلهِ وخلاصتها مضغ كل طعام مضغًا جيداً قبل ازدرادهِ . واتباعها كلّ يوم في ازدياد . وربما كانت ارشد هذه الفرق واهداها الى الصواب

ونختم بذكر فرقتين غريبتين ولكنهما شائعتان في كل مكان واتباعهما كثار . الواحدة فرقة تستغني عن طعام الصباح بدعوى ان العقل والجسم اقدر على العمل والمعدة فارغة صباحًا منهما والمعدة ملآنة . وفرقة تقول بالصيام والاقتصار على العشاء او الغداء كبعض قبائل البدو

والغالب ان ما اعتاد الانسان هو الاصلح لهُ وما اعتاد سكان بلاد هو الاصلح لهم واذا ابدلوهُ بغيرهِ تعبوا ولو في اول الامر . وهذا يعلمهُ كل احد باختبارهِ

غرائب الامزجة والاذواق

جاء في بعض امثال الغرب «طعام رجل سمّ آخر» . ولا ادلّ على صحة هذا المثل من الشواهد الآتية :

في الناس قوم اذا اكلوا شيئًا من الفروله ظهر عليهم طفح جلديّ لا يزول حتى يضايقهم مضايقة شديدة

ومنهم من اذا اكل العسل اصيب بالقيء والاسهال حتى لقد حكي عن واحد اصيب بهذين العرضين من وضع لزقة عسل على جلده

ومن الناس من لا يذوق اللحم بتاتًا فاذا اكلهُ اورثهُ قيئًا شديدًا

وكذلك منهم من يصاب بقيء ودوار من اكل شيء من السكر

وذكروا عائلة كانت تظهر على الذكور منها اعراض السمّ على اثر اكل شيء من الفروله . اما الاناث فلم يكنَّ يشعرن بشيء من هذه الاعراض . واعجب من هذا كله ان غلامًا من غلمانها مات من اكل حبة واحدة من هذا الثمر

ومن المشهور عن الخلّ طبًّا انهُ قابض قاطع للدم ولكنهُ سبَّب نزيفًا لبعض المرضى

وحكوا عن رجل كان لا يذوق القهوة الاَّ اعتراهُ القيء . وعن آخر كان يصاب بنوب عصبية وقيء من اكل التفاح

وذكر السر مورل مكنزي قصة رجل كان اكل البيض يفعل فيهِ فعل السحر ولو بمقدار قليل وانهُ ورث هذا الطبع عن اهلهِ حتى الجيل الرابع قبلهُ . وضعوا لهُ مرة شيئًا من البيض في القهوة ولم يكن يعلم ذلك فجحظت عيناهُ واحمرّ وجههُ وانقبض حلقهُ واشتد بهِ الالم كمن اصيب بالصرع

ونحن نعرف رجلاً من اعيان هذه العاصمة اذا وضع في طعامهِ شيء من البيض شعر بهِ مهما كان قليلاً واعتراهُ ألم شديد

ونعرف آخر كان يصاب بالقيء اذا اكل شيئًا من الفاصوليا او شمّ رائحتها ثم زال منهُ ذلك وهو الآن يأكلها كما يأكل غيرها . وسيدة اصيبت مرةً بطفح شديد من اكل المقانق والذين اكلوا معها لم يصابوا بشيء

وحكي عن آخر انهُ كان يصاب بالمغص وورم الحلق واللسان والشفتين وازرقاق الوجه من اكل شيء من البقدونس

وعن آخر انهُ كان اذا اكل الرز في شكل من الاشكال يشعر بضيق في الصدر وبأزما شديدة . اكل مرة شيئًا من الخبز والجبن وشرب شيئًا من البيرة . فلم يمضِ الاَّ القليل حتى اخذتهُ اعراض التسمم بالرز . وظهر فيما بعد انهُ وضع في زجاجات البيرا التي شربها بعض حبات من الرز لزيادة الاختمار

ومن الناس من اذا اكل التين شعر باكلان في فيهِ وبلعومهِ . ومن اذا اكل لحم العجل اعتراهُ طفح جلدي . او شكولاته توالى عليهِ العطاس

على ان اغرب الامزجة مزاج رجل عاش في اواخر القرن الثامن عشر . كان اذا اكل خبز قمح يصاب باعراض تسمم شديدة و بقيء اشد مما يصيبهُ من تناول احد المقيئات . ثم يصاب باكلان كثير في سطح جلدهِ وبمغص ويزداد الاكلان مدة يومين ثم يخف حتى ينقطع بعد مرور عشرة ايام من اكل الخبز . وكان يصحب هذا الاكلان سعال قوي و بصق كثير من البلغم كأنهُ في درجات السلّ الاخيرة . وكانت تصيبهُ هذه الاعراض كلها من شم رائحة الدقيق ولكن على درجة اخفّ

معاش الامهات

افضل اساليب الاحسان

في هذه العاصمة جمعية اسرائيلية تنفق اموالها على الفقيرات وهنَّ في حال النفاس . وطالما اعجبنا بهذا العمل الجليل النافع الذي اذا عدَّت اعمال البر والاحسان كان في المقام الاول . ولا ندري هل هو استنباط شرقي ظهر في عاصمة الديار المصرية اول مرةً او ان الذين عملوا بهِ هنا اقتبسوهُ من جمعيات تعمل بهِ في اوربا

وسواءٌ كان هذا العمل اصلاً او فرعاً فقد نشأ عمل يشبههُ في اميركا منذ ست سنوات فقط لكنهُ اوسع نطاقاً منهُ واعم فائدة ومنشئهُ القاضي هنري نيل من اهالي شيكاغو

قال واصفاً كيف اهتدى اليهِ : رأيت ذات يوم من ربيع سنة ١٩١١ ان محاكم الصغار تأمر باخذ الاطفال من امهاتهم اذا كنَّ فقيرات جدًّا لا يستطعن اعالة اطفالهنَّ . فقلت للذين كنت اكلمهم في هذا الموضوع وماذا تفعلون بهؤُلاء الاطفال . فقالوا نرسلهم الى معاهد تربية الاطفال وهي معاهد احسان تعول الاطفال مجاناً

فقلت من يدفع نفقات هؤُلاء الاطفال بعد ان يؤْخذوا من امهاتهم

فقالوا ان الحكومة المحلية تدفع الى هذه المعاهد عشرة ريالات في الشهر عن كل طفل

فقلت ولماذا لا تدفع هذه العشرة الريالات الى ام الطفل وتبقيهِ معها تعتني بهِ

والظاهر انهُ ما من احد خطر على بالهِ ان يسأل هذا السؤَال قبلي . وللحال اهتممت بتغيير القانون القاضي بدخول بيوت الفقراء واخذ الاطفال من احضان امهاتهم لكي يربوا في معاهد كالسجون

وفي شهر يوليو من تلك السنة تمكنت من جعل ولاية الينويز تغير قانونها المختص

بالاطفال فتسمح للنساء البائسات ان يبقين اطفالهنَّ في بيوتهنَّ وحكومة الولاية تدفع لهنَّ ما يكفي لنفقاتهم

فأُبدل قانون سلب الاطفال من احضان امهاتهم البائسات بقانون اعطاء المعاش الكافي لهؤُلاء الامهات · وما من احد يستطيع ان يعتني بالطفل كامهِ · ومهما كان المعهد الذي يربَّى فيهِ الطفل حسن النظام لا يبعد عن ان يكون سجنًا للطفل تعدم فيهِ حريتهُ وشخصيتهُ فينشأُ ضعيفًا جسداً وعقلاً شاعراً انهُ ربي على الاحسان في ملاجيء اللقطاء

يقال ان الحكومة وُجدت لاجل سعادة الامة · ولكن الامَّة موَّلفة من البيوت (العيال) فيستحيل ان تقوم سعادتها بخراب بعض بيوتها · واي خراب اشد من ان يؤْخذ من البيت اولادهُ

ولم يكد هذا القانون قانون اعطاء المعاش للامهات الفقيرات يسنُّ في ولاية الينويز حتى اقتدى بها غيرها من الولايات وصار الناس يتعجبون كيف لم ينتبهوا لذلك قبلاً

وللمسأَلة وجه آخر غير وجه البر والاحسان وهو وجه حصول النفع الاكبر من انفاق المال · مثال ذلك ان مدينة نيو يورك انفقت في العام الماضي على ملاجيء الاطفال سبعة ملايين ريال وكان في هذه الملاجيء ٢٢٠٠٠ طفل واعطت معاشًا لامهات مئة الف طفل ولم يبلغ مجموع ما اعطتهنَّ سوى عشرة ملايين ريال · اي ان الطفل في الملاجيء كلف مدينة نيويورك ٣١٨ ريالاً في السنة وفي بيت امهِ كلفها ١٠٠ ريال فقط وكانت هذه النفقة لهُ ولامهِ وما ذلك الاَّ لان ٧٦ في المئة من النفقة في الملاجيء تذهب للادارة لا للاطفال واما في معاشات الامهات فلا يذهب منها للادارة سوى خمسة في المئة

وقد ثبت بالاحصاء في محاكم الصغار ان جرائم الذين يربون في بيوتهم اقل جدًّا من جرائم الذين يربون في الملاجيء وتبلغ القلة ٩٨ في المئة هذا فضلاً عن ان الذين يربون في الملاجيء ينشأُون عالةً على غيرهم ولا يعتمدون على انفسهم · والبلاد تئن من الذين ينشأُون عالةً عليها وقد انفقت عليهم في العام الماضي ٨٠٠ مليون ريال مع انها لم تنفق على المدارس وكل معاهد التعليم سوى ٧٥٠ مليون ريال

ولقد لقي مشروع اعطاء المعاش للامهات اشد المقاومة من اصحاب المعاهد الخيرية لان رجال هذه المعاهد ينفقون على انفسهم اكثر الاموال التي يجمعونها لاعمال البر رواتب ومصاريف اخرى · فتراهم يسكنون الدور الفاخرة ويركبون الاتوموبيلات الثمينة ولكن مقاومتهم هذه كان لها اليد الطولى في جعل الجمهور يقبل على معاشات الامهات لانهم

رأوا ان كل ريال يدفعونهُ يذهب الى والدة مسكينة تعيش بهِ هي وطفلها لا الى جمعيات تنفق اكثر دخلها اجوراً لمستخدميها وثمن اثاث ورياش لمكاتبها فجادوا بالمال للوالدات عن طيب نفس

وزد على ذلك ان المنوط بهم توزيع المعاشات على الوالدات يرسلون الى كل والدة مكتوباً يقال فيهِ « ان هذا المال قطعناهُ لكِ مشاهرةً ليس احساناً منا بل هو حق شرعي لكِ حسب قوانين البلاد » . فتشعر الوالدة انها خدمت بلادها بولادة ولدها فكافأتها بهذا المعاش وانها لا تزال تخدم بلادها بتربية طفلها لان هذا الطفل للبلاد كما هو لها فتربيهِ وتعتني بهِ مدفوعةً الى ذلك بمحبتها الوالدية و بشكرها لبلادها

وما جرى في امر الاطفال هو نفس ما جرى في امر التعليم العمومي المجاني فانهُ كان اولاً يُنفَق عليهِ من الجمعيات الخيرية فلا يرغب فيهِ الاَّ الفقراء المعوزون و يظهر لهم كانهُ خاص بالمساكين . ثم تناولتهُ الحكومة واشركت الجميع فيهِ اغنياء وفقراء فزالت عنهُ معرَّة الفقر وصار التلاميذ يحسبون ان الحكومة تنفق عليهم لا على سبيل الاحسان بل لانها مضطرة الى ذلك بقوانين البلاد وانها تنفق ليس من مال الاحسان بل من مال الامَّة لتعليم اولاد الامَّة

والاسلوب الذي جرينا عليهِ الآن لاعالة اطفال الفقراء على نفقة الامة كبَّر نفوس هؤلاء الفقراء وجعلهم يعتقدون ان الاموال التي ينقدونها كل شهر هي حق لهم على البلاد لا صدقة يتَصدَّق بها عليهم بعض المحسنين . ونشأ اولادهم شاعرين انهم لم يربوا في بيوت اللقطاء والمعوزين بل في بيوت آبائهم مثل غيرهم من اولاد الامَّة وان كانوا قد أُنفق على تربيتهم من اموال الامَّة فذلك لان الامَّة ادركت ان ذلك واجب عليها لقاء ما تتحملهُ الامهات من الآلام والاوجاع والاتعاب في ولادة الاولاد للامة وتربيتهم و بذلك علا شأن الزواج وولادة الاولاد لانهما صارا خدمةً عمومية لمصلحة الامَّة

هذه خلاصة المقالة التي كتبها القاضي نيال مبتدع هذا المشروع المفيد . ولا يخفى ان العمل بهِ سهل في بلاد كاميركا تكون الامهات فيها متعلمات مهما كنَّ فقيرات فاذا نلنَ مساعدة مالية اغنتهنَّ عن التسوُّل او عن ترك اطفالهنَّ للملاجئ اللقطاء استطعن ان يحسنَّ تربيتهم ولكن ذلك قلما ينطبق على حال الفقراء في الشرق لان نساءهُ جاهلات في الغالب فلا يحسنَّ تربية اطفالهنَّ ولذلك يرجح ان تربيتهم في الملاجئ اصلح لهم واما اذا انتشر التعليم العمومي وتعلم بنات الفقراء وصرن يحسنَّ تربية اطفالهنَّ فلا افضل من مساعدتهنَّ على هذه الطريقة



تقويم الابدان لابن جزلة الطبيب

انفس الهدايا واثمنها

كنا نعنون هذا الباب بباب الهدايا والتقاريظ تفاؤُلاً باهداء الكتب المفيدة الى مكتبة المقتطف فنستفيد منها ونفيد . ثم رأينا ان نبدل العنوان بعنوان آخر لان الكتب التي كانت تهدى الينا يقصد بها اما تقريظها او الاعلان عنها . لكن هذه القاعدة خولفت الآن مخالفة كبيرة تستوقف النظر فان البحَّاثة المحقق صاحب السعادة احمد زكي باشا السكرتير الاول لمجلس الوزراء قصد الاستانة منذ بضع سنوات فبحث في مكاتبها عن نوادر الكتب العربية وصوَّرها بالفوتوغرافيا لكي تطبع وتنشر . ومن الكتب النادرة التي صورها كذلك كتاب تقويم الابدان لابن جزلة وهو في مئة صفحة وصفحتين طول كل صفحة منها ٢٨ سنتيمتراً وعرضها ٢٩ مكتوبة بخط جميل جدًّا سنة ٥٩٦ للهجرة اي بعد وفاة المؤَلف بمئة سنة . ثم جمع هذه الصفحات بل الصور البديعة وجلَّدها في كتاب كبير تجليداً جميلاً متيناً واهداهُ الى مكتبة المقتطف . والهدايا على مقدار مهديها . والمؤَلف يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة من اشهر اطباء العرب يعدُّ من طبقة ابن سينا وابن بطلان وابن التلميذ والفخر الرازي . قال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء انهُ « كان من المشهورين في علم الطب وعملهِ ولهُ نظر في علم الادب وكان يكتب خطًّا جيداً منسوباً وقد رأَيت بخطهِ عدة كتب من تصانيفهِ وغيرها تدل على فضلهِ وتعرب عن معرفتهِ . ولهُ من الكتب كتاب تقويم الابدان صنفهُ للمقتدي بامر الله . وكتاب منهاج البيان فيما يستعملهُ الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبيَّة في تدبير الصحة وحفظ البدن لخصهُ من كتاب تقويم الابدان »

وترجمهُ القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان فذكر ما تقدم من كتبهِ وقال انهُ توفي سنة ٤٩٣

وتقويم الابدان جداول وشروح كتذاكر الجيب التي توضع للمشتغلين بالتطبيب . فالجداول تتناول كل الامراض والافات التي كانت معروفة في عهد المؤَلف والشروح تتناول

تدبير هذه الامراض والافات اي طرق علاجها. مثال ذلك الكلام على الحمّى التي سماها حمّى يوم فقد ذكر ثمانية انواع منها في صفحة واحدة ووصف مَن يصاب بهذا النوع او ذاك منها وسنهُ والزمان والمكان اللذين يكثر هذا النوع فيها والانذار فيهِ وسماهُ السلامة والخوف. والسبب والعلامات وهل يجوز الاستفراغ فيهِ او لا يجوز اي هل يجوز اطلاق الدم او الامعاء . والتدبير الملكي اي معالجة الذين يصعب عليهم اخذ الدواء الكريه كالملوك والاطفال والتدبير السهل الموجود للذين يسهل عليهم استعمال كل علاج . مثال ذلك قولهُ في حمى يوم الناتجة عن التعب انها تصيب اصحاب المزاج اليابس من الشبان في زمن الصيف والبلاد الحارة وهي سليمة العاقبة وسببها الرياضة المجاوزة للاعتدال وعلامتها يبس الجلد وصغر النبض ويترك فيها الاستفراغ . والتدبير الملكي فيها الاستحمام والدلك المعتدل ودهن البنفسج ولحم الفراريج والجداء . والتدبير السهل الوجود الراحة والنوم والاستحمام والدهن . وقال في تدبير هذه الحمى ان اوفق ما يدبَّر بهِ صاحب هذه الحمى الدعة والسكون في المواضع التي يقتضيها الوقت فاذا انحطت الحمَّى فليدخل الحمام ويجلس في الايوان الذي فيهِ الماء الفاتر ثم يخرج منهُ فيدلك بدنهُ دلكاً معتدلاً بدهن البنفسج والنيلوفر ثم يصب عليهِ الماء الفاتر الكثير . فاذا خرج وسكن فليغذَّ بالفراريج واطراف الجلى والخس والهندباء وبقلة الحمقاء ويستكثر من الغذاء في دفعات كثيرة ليخلف عوض المحال

وقال في الكلام على حمَّى الغب انها تصيب اصحاب المزاج الحار اليابس في سن الشباب وزمن الصيف في البلدان الحارة اليابسة . والانذار فيها السلامة اذا كانت ذات مرات وسببها عفن الخلط الصفراوي خارج العروق . وعلاماتها انها تنوب يوماً ويوم لا . نافض شديد ولدع كنخس الابر وحرارة لداعة ونتن البول ولونهُ كلون النار وعطش شديد وان كانت داخل العروق . واختلاط الذهن . والاستفراغ بماء الرمانين بشحمها مع سكر وشراب الورد المكرر وبسكنجبين وثلج . والتدبير الملكي ماء الشعير بشراب البنفسج وماء البطيخ الهندي والجلاب والطباشير . والتدبير السهل الموجود ماء الرمان المز وبزر بقلة وماء خيار والماء البارد اذا لم تكن المعدة او الكبد خفيفة

وقال في التدبير العام انهُ بعد استفراغ الخلط ينبغي ان يسقى يوم النوبة ماء تمر هندي مصفى مع سكنجبين وجلاب وماء الرمان . ويوم اخلالها يسقى خمسين درهماً ماء الشعير مع اوقية سكر طبرزد وبعدهُ باربع ساعات اوقية ونصف سكنجبين ساذج ويمتص الرمان المز ويأخذ الاجاص ويأكل الخس فان كان صيفاً فيبرد ما يتناول بالثلج ويكون في هواء

بارد فان كان شتاء ففي موضع معتدل الهواء فان عرض الغثيان واحس بحرارة فيقيأ بالسكنجبين وماء حار ويأخذ بعد القيء شراب الحصرم وشراب الرمان الحامض

وقال في الكلام على السرطان انهُ يصيب اصحاب الامزجة الباردة واليابسة من الكهول ويظهر في الخريف في البلاد الباردة وهو غير مخوف الا ان تأكّل او قرب من عضو شريف وسببهُ المرة السوداء اذا كان بعضها خارج العروق وبعضها داخلها وعلاماتهُ شدة الصلابة وشكلهُ شبيه بشكل السرطان والاستفراغ فيهِ بالفصد وان كان في امرأة فبادرار الحيض ثم بمطبوخ الافثيمون . والتدبير الملكي الطلي بالتوتيا والمرداسنج واسفيداج الرصاص ودهن ورد وشمع . والتدبير السهل الموجود شمع ودهن وطين ارمني . وقيل في التدبير العام انهُ قبل ان يتقرح ينبغي ان يضمد بمرهم الزنجفر فان تقرح فيطلى باسفيداج الرصاص وتوتيا مغسول ودهن ورد وماء الكرفس او القنطريون المسحوق بماء او اصل الشبث ولسان الحمل مسحوقين معجونين بماء . فان استحكم وعظم ولم يصلح بالادوية فان كان في الرحم فلا سبيل الى قطعهِ . وكثيراً ما يعرض فيهِ نزف وان كان في الثدي وكثيراً ما يعرض فيهِ نزف ايضاً او كان في موضع من البدن لا تجاوزهُ شرارين كثيرة فيعالج بالحديد بان يقوّر بموسى حادة ثم تعصر العروق بعد ذلك ليبرز منها الدم ثم يعالج بالسمن والمراهم الداملة للقروح

وقال في الكلام على الهيضة (ولعلها الكوليرا) انها تصيب اصحاب الامزجة الباردة من الكهول في الخريف في البلدان الجنوبية وهي مخوفة وسببها فساد البلغم لكثرتهِ او رداءة كيفيتهِ وعلاماتها الكرب والعطش والغثيان ثم القيء والاسهال ويجب فيها الاستفراغ بالقيء بالماء الحار ودهن لوز . وان اسرف القيء فيسقى المنبه . هذا هو التدبير الملكي . والتدبير السهل الموجود الانغماس في الماء البارد ويستكثر من النوم . وقال في التدبير العام ينبغي ان يضمد البطن بالآس والسفرجل ودهن الورد والطين الارمني ويشم الروائح الطيبة كالصندل وماء الورد والكافور والسفرجل وان اسرف الاسهال او القيء حتى يحدث غشيان فيرش الماء المبرّد وماء الورد على الوجه ويشد عضل الساعدين والساقين ويدلك القدمين فاذا افاق فيعطى السفرجل والتفاح ويغذى بالخبز المبلول بمثلث او بماء التفاح والكعك او بمرقة دراج او فروج زيرباج بكعك او سمّاقية او زركشية أُلقيَ فيها قطع السفرجل والتفاح . فان وجد حرارة فيعطى سويق الشعير بالماء المثلوج وتبرد المعدة بالصندل وماء الورد فان كان القيء بلغميًّا فيعطى شراب التفاح الطيب

ويتبع ذلك شروح كثيرة مسطورة في اوائل الصفحات واواخرها لكن المجلد اخطأ في وضع الصفحات فجلدها متوالية بدلاً ان يجلد كل اثنتين متقابلتين لتتصل سطور الواحدة بسطور الاخرى

والخط من ابدع ما رأَتهُ عيننا مثل خطوط اجمل المصاحف

ولم نسمع انهُ عني احد بطبع هذا الكتاب ونشرهِ مع انهُ ترجم الى الفرنسوية وطبع فيها. ولا شبهة في ان اطباءنا يجدون فيهِ فوائد كثيرة علمية فيرون طرق العلاج القديمة وما قد يكون فيها من الاساليب النافعة ويرون ايضاً كيف كان القدماء ينظرون الى الامراض واسبابها . ويستفيد الكتَّاب والمترجمون منهم معرفة المصطلحات الطبية القديمة ويرون ان طبيباً من المشهود لهم بالادب كان يفضل الخطأ المشهور على الصواب المهجور

هذا واننا نكرر الشكر لسعادة المهدي الكريم على هذه الهدية النفيسة وعسى ان نتمكن من الافادة بها

كتاب التفسرة

اي الاستدلال باحوال البول على المرض

الدكتور احمد بك عيسى طبيب الامراض الباطنة في المستشفى العباسي من اشهر الاطباء المصريين بالبحث والتحقيق وتحلية جيد العربية بنفائس الكتب الطبيةً . اتحفنا الآن بكتاب يعد اكبر مساعد للطبيب على تشخيص المرض لان البول شديد التأثر بحال الانسان من الصحة والمرض حتى كان الاطباء ا قدمون يلقون عليهِ جل اعتمادهم في تشخيص الامراض ومن ذلك قول بعضهم في الطبيب ثابت بن قرة

هل للعليل سوى ابن قرة شافِ ... بعد الاله وهل لهُ من كافِ
فكأَنَّهُ عيسى بن مريم منطقاً ... يهب الحياة بايسر الاوصاف
مثلت لهُ قارورتي فرأى بها ... ما اكتنَّ بين جوانبي وشغافي
يبدو لهُ الداءُ الخفي كما بدا ... للعين رضراض الغدير الصافي

وكتاب التفسرة واسع جدًّا في بابهِ جامع الآراء ما يعتمد عليهِ ومن الطرائق ما يُرجع اليهِ فقد خدم بهِ اخوانهُ الاطباء وابناء العربية اجل خدمة وهو يقع في نحو مئتي صفحة كبيرة موضحة بالرسوم

الدولة العثمانية
في لبنان وسورية

هذا عنوان كتيّب بقلم كاتب انتحل اسم « المسعودي » ووصف فيهِ حكم الدولة العثمانية للبنان وسورية في مدة اربعة قرون اي من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٩١٦ وهو صورة جلية لماضي البلاد السورية يشتمل على تمهيد في حكم المماليك والصليبيين ثم على ستة فصول الاول سورية في القرن السادس عشر · والثاني سورية في القرن السابع عشر · والثالث سورية في القرن الثامن عشر · والرابع سورية في القرن التاسع عشر واوائل العشرين · والخامس لبنان بعد نظامهِ الحديث · والسادس سورية بعد نظام لبنان الحديث · ننقل شيئاً من الفصل الاخير · قال :

« وقد كان دستور لبنان نعمة لسورية لانهُ غلّ ايدي الولاة عن ارتكاب المنكرات فيها · وحال دون ما كانوا يتذرعون بهِ من القلاقل التي كانت تقع في لبنان لاجتياحهِ والاستطراد الى اجتياح انحاء سورية وانزال الويلات باهلها ولاسيما ما كان داخلاً منها في حكم امراء الجبل · وكان لانتشار المدارس الاوربية بعد سن هذا النظام شأن خطير في ايقاظ شعور السوريين فاقبلوا عليها اقبالاً عظيماً · وكانت المدارس الوطنية الى بدء تلك النهضة ابتدائية قاصرة على جهة دون اخرى · فاخذ الاهلون يتبارون في الاكثار منها وجروا فيها على لوائح المدارس الابتدائية فازداد الطلبة اقبالاً على اقتباس الآداب الغربية ونشأ الجيل الجديد راقياً متنوراً ميالاً الى انتهاج خطة الغربيين في ترقية البلاد واصلاح شأنها · وبدت هذه النهضة الادبية على اتمها في بيروت حتى باتت كعبة القصّاد من طلاب العلم ومنتجعي المعارف كما كان شأنها في عهد الرومان حيث كانت تلقب بمدينة العلوم والشرائع · و برزت من ذلك اللسان الارضي الذي يقف عندهُ بحر الروم في الشرق كمنارة عظيمة تبعث اشعة العلم والعرفان الى ما وراء البحار ولاسيما الى ارض الفراعنة فكان للقبس الذي جاء هذه الارض منها شأن عظيم في تأسيس نهضتها الحديثة · ولولا سيف عبد الحميد الذي كان مصلتاً فوق رقاب المتنورين من رعاياهُ في الربع الاخير من القرن الماضي لدخل القرن العشرون على سورية وهي سيدة الممالك الشرقية »

والكتاب جزيل الفائدة للسوريين عموماً وللبنانيين منهم خصوصاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) فوائد الختان

مصر . عبد الحليم افندي الياس نصير . ما فوائد الختان في الذكور والاناث ولِمَ لا يستعملهُ الانكليز وسائر الامم الراقية

ج . يحتمل انهُ يفيد في منع تجمع الاوساخ ولاسيما في البلاد الحارَّة . ويقال انهُ يفيد ايضاً في التزوج وان هذا هو السبب الاصلي الذي لاجلهِ استعمل ولذلك كان وقتهُ اولاً قبيل الزواج وقيل غير ذلك . والختان شائع في بلدان كثيرة وقد جعل الاطباء يصفونهُ الآن في اوربا واميركا في بعض الاحوال

(٢) فوائد الزواج

ومنهُ . ما المزايا الطبيعية التي يستفيدها الزوجان كلاهما من القِران عدا الذرية

ج . لا شبهة ان للزواج فوائد ادبية وصحية ومعاشية فالآداب المتفق عليها تحفظ بالزواج اكثر مما تحفظ بغيرهِ وكذلك الصحة تحفظ بهِ اكثر مما تحفظ بغيرهِ وتدبير المعيشة اسهل على المتزوج منهُ على غيرهِ

(٣) الذكور والاناث

ومنهُ . ما هو العامل في اختلاف الذكور عن الاناث وهل في مقدور الانسان ان يخلف ذكوراً او اناثاً حسب ارادتهِ وهل للتغذية اثر في ذلك

ج . لا يزال بعض العلماء يبحثون في هذا الموضوع بحثاً مؤيداً بالتجارب في الحيوانات ولكنهم لم يكتشفوا حتى الآن شيئاً يحسن ان يقال انهُ عامل حقيقي في البيضة الملقحة حتى تصير ذكراً او انثى حسب الارادة . وقد خطر لنا خاطر منذ سنين كثيرة اشرنا اليهِ في بعض اجزاء المقتطف الماضية وهو انهُ يكون في البيضة دقائق صغيرة من كل اعضاء الام وفي الجرثومة الملقحة دقائق صغيرة من كل اعضاء الاب فحينما تدخل الجرثومة الملقحة البيضة لتلقيحها يخرج منها جانب مما فيها اي يخرج جانب من الدقائق الممثلة لجسم الانثى ويدخلها دقائق ممثلة لجسم الذكر فاذا اتفق ان خرج منها كثير من مقومات جنس الاناث تولَّد من الباقي جنين ذكر

والاَّ فجنين انثى . ولذلك فمن المحتمل انهُ اذا كانت جرثومة الذكر قوية بالغة اشدها من النمو وانمى من البيضة تكوَّن منها ذكر والاَّ فانثى ويمكن الاستدلال بامور كثيرة على احتمال هذا التعليل او ارجحيتهِ

ومن ثمَّ يظهر فعل التغذية فان نساء الاغنياء المترهفات تكثر ولادتهنَّ للبنات . والفقيرات اللواتي يتركن أفضل الاطعمة لرجالهنَّ تكثر ولادتهنَّ للذكور

(٤) بداءة الخلق

ومنهُ . ما اول شيءٍ خُلق في العالم على رأي الطبيعيين وكيف نشأ ومن كوَّنهُ

ج . يستدل العلماءُ الطبيعيون ممَّا يرونهُ في السماءِ من انواع السديم او المادة السحابية انها هي المادة الاولى وان الارض والنظام الشمسي كلهُ كان سحاباً او دقائق صغيرة منتشرة في الكون هي دقائق المادة وانهُ كان فيها قوة التجاذب بين دقائقها . وهم لا يعلمون كيف نشأَت ولا مَن انشأَها ولكن عقولهم تدلهم على انهُ لا بدَّ من ان يكون لها منشىءٌ انشأَها في زمن من الازمنة

(٥) الحصبة

ومنهُ . من اي الاصقاع سرى مرض الحصبة الى مصر ولماذا يتفشى في الاطفال دون سواهم ولماذا لم يعمل على حسمها شأن الجدري

ج . الحصبة قديمة ذكرها الرازي وغيرهُ من اطباء العرب . ولا يحتمل انها كانت غير معروفة في القطر المصري ولكن قلما كان القدماءُ يفرقون بينها وبين الجدري . وهي تصيب الكبار والصغار على حدٍ سوى ولكن يقل ظهورها في الكبار لانهم يكونون قد حصبوا وهم صغار وهي من الامراض التي يصاب بها الانسان مرةً واحدة . ولم يهتمَّ العلماءُ باكتشاف مصل واقٍ منها لانها سليمة في الغالب

(٦) الاسكندر وافيال النحاس

ومنهُ . أَصحيح ما روي عن الاسكندر من انهُ صنع فيلة نحاسية جوفاءَ حشاها نفطاً وكبريتاً في محاربة فور ملك الهند

ج . ان ترجمة الاسكندر الحقيقية لا يذكر فيها شيءٌ من ذلك ولكن للاسكندر ترجمات كثيرة موضوعة ذكرت فيها هذه القصَّة وامثالها من موضوعات القصَّاصين . وترون الخبر الصحيح عن معارك الاسكندر والخبر الموضوع في ترجمتهِ التي نشرناها في المجلدين الثالث والعشرين والرابع والعشرين من المقتطف

(٧) الاسود في الحرب

ومنهُ . ما اقدم امَّة استعملت السباع في حروبها وكيف الف قدماءُ المصريين الاساد ومن اي فج كانوا يقنصونها وكيف استخدموها في حروبهم

ج . يظهر من النقوش المصرية ان استخدام الاسود في الحرب قديم جدًّا

فرعمسيس الثاني يمثَّل في حرب الحثيين ومعهُ اسد في مركبتهِ . واذا ربي الاسد شبلاً صغيراً نشأ اليفاً حتى ان القدماء كانوا يستخدمونهُ في الصيد كالكلاب . وكانت الاسود تصاد في غابات القطر المصري نفسهِ وعلى مقربة من الاهرام كما يظهر من الآثار القديمة . وكان الاسد يذلل كما يذلل الآن بالتربية والتدريب من الصغر

(٨) ولادة البغال

ميت غراب . محمد افندي سعفان . لماذا لا تلد البغال

ج . لان اعضاء التناسل فيها ممزوجة من صنفين مختلفين وغير مستكملة واحداً منهما حتى تتأهل لتوليد البويضات او الجراثيم التي تلقحها ولكن يتفق احياناً ان تولد بغلة كثيرة الشبه بالفرس امها فتكون اعضاء التناسل فيها صالحة للتوليد . وقد رأينا بغلة من هذا النوع عند المرحوم عمر باشا لطفي وكانت كثيرة الشبه بالفرس وقد حملت من حمار وولدت بغلاً

(٩) حيوان من البقرة والجمل

ومنهُ . هل يولد حيوان من البقرة والجمل كما تولد البغال من الخيل والحمير

ج . كلاَّ لان نوع الجمل بعيد جداً عن نوع البقر ولكن يحتمل ان يقع التوالد بين البقر والجواميس وبين الجمال العربية والجمال التترية ذات السنامين اما الحمير والخيل فمن اصل واحد لم يبعدا عنهُ بعداً شاسعاً كما بعدت الجمال والبقر عن الاصل المتولدة منهُ

(١٠) انواع التطعيم

ومنهُ . ذكرتم في مقتطف السنة السادسة وجه ٥٢ ان السفرجل يمكن تطعيمهُ بالاجاص فتكرموا علينا بشرح عملية التطعيم

ج . انواع تطعيم الاشجار مختلفة اشهرها الخمسة التالية

الاول ان يقطع غصن طري من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها و ينزع منهُ جانب فيهِ ورقة وتحتها برعم كما ترى فوق الرقم ١ في الشكل الاول . واذا قطع معهُ شيءٌ من الخشب وجب نزعهُ منهُ بالتأني حتى لا يبقى فيهِ الاَّ القشر السليم واسفل الورقة والبرعم الذي تحتهُ . ثم يبرى طرف قضيب من قضبان الشجرة التي يراد تطعيمها و يشق قشرهُ شقًّا كحرف التاء الافرنجية كما ترى فوق الرقم ٢ في الشكل الاول ويجب ان يصل الشق الى الخشب ولا يجرحهُ ثم ترفع طرفي القشر برأس السكين وتدخل الجزء الذي نزعتهُ اولاً في هذا الشق وتسوي طرفيهِ عليهِ كما ترى فوق الرقم ٣ وتربطهُ ربطاً محكماً بقشر شجر او بخرقة ولكن لا تشد الرباط كثيراً . فينمو البرعم ويغتذي مما تحتهُ ويتولد منهُ غصن مثل الشجرة التي أُخذ منها . وعلى هذا الاسلوب يطعم التوت البري بتوت جوي

فتقطع قضبان التوتة البرية كلها ويطعم منها ثلاثة او اربعة واذا ظهرت فيها فروخ اخرى غير فروخ المطاعيم نزعت منها حال ظهورها فتصير قضبانها كلها من نوع الشجرة التي طعمت بها

الثانية ان يقطع غصن صغير من الشجرة التي يراد التطعيم بها ويكون فيهِ برعم او اكثر كما تقدم ويبرى حتى تكون فيهِ زاوية داخلية كما ترى في الجزء الاعلى الذي فوق الرقم ٤ في الشكل الاول ثم تبري غصناً من الشجرة التي تريد تطعيمها حتى يستقر المطعوم عليهِ ويلتحم بهِ كما ترى فوق الرقم ٤ ويطلى الغصن والطعم بالطين او نحوهِ لكي لا يجف المطعوم سريعاً بتبخر الرطوبة منهُ . ويفضل ان يكون في الطعم برعمان او ثلاثة لا برعم واحد ويجب ان يتصل قشر الطعم بقشر المطعم كما ترى فوق الرقم ٤

الطريقة الثالثة ترى فوق الشكل ٥ وهي ان يبرى المطعوم من تحت البرعم حتى يصير كالاسفين ويقطع الغصن الذي يراد تطعيمهُ قطعاً فرضياً حتى يدخل الاسفين فيهِ قليلاً فرضهُ كما ترى فوق الرقم ٥ ثم يربط بقشرة او بخرقة

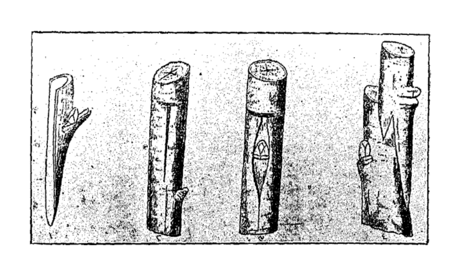
والطريقة الرابعة عكس الطريقة الثالثة وهي ان يبرى الغصن الذي يراد تطعيمهُ كالاسفين ويفرض الطعم حتى يركب على هذا الاسفين كما ترى فوق الرقم ٦ ويربط الجزءان معاً

والطريقة الخامسة اكثر استعمالاً من غيرها وهي شائعة في تطعيم الليمون والزيتون وذلك بان يقطع ساق الغرس بمنشار ويسوَّى اعلى القطع بسكين ماضية وتقطع أقلام من الشجرة التي يؤخذ منها الطعم وتبرى اطرافها كالاسافين وتدخل بين القشر والخشب كما ترى فوق الرقم ٧ . ويسهل عليك ذلك بان تصنع قلماً من الخشب الصلب مثل الطعم تماماً وتدخلهُ بين القشر والخشب حيث تريد ان تضع الطعم حتى تجعل لهُ مكاناً هناك ثم تنزعهُ وتضع الطعم مكانهُ وتلف المطعوم بالخرق والطين

(١١) الامزجة الاربعة

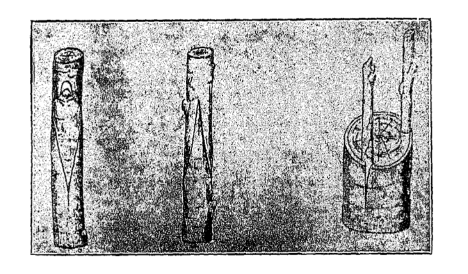
ومنهُ . ما الذي قرَّرهُ الطب الحديث في الامزجة الاربعة التي اقرها بقراط وهل لكم في وصفها

ج . كان القدماءُ يقولون بالاخلاط الاربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وان الامزجة ناتجة من امتزاج اثنين او ثلاثة من هذه الاخلاط (والاخلاط ترجمة حرفية لكلمة كراسس اليونانية) وقال بقراط ان الامزجة الاربعة ناتجة من اختلاط اربعة عناصر ثانوية او مركبة وهي الدم والبلغم والصفراءُ والسوداءُ وان الدم مؤَلف من الحار والرطب والبلغم من البارد والرطب والصفراء من الحار واليابس والسوداء من البارد اليابس . وكل



١ ٢ ٣ ٤

الشكل الاول



٥ ٦ ٧

الشكل الثاني

مقتطف سبتمبر ١٩١٧
امام الصفحة ٣٠٤

ذلك مرفوض الآن ولكن لا يزال الاطباء يقولون بالامزجة الاربعة ويسمونها بالاسماء التالية وهي الدموي والبلغمي او اللمفاوي والسوداوي او العصبي والصفراوي . وترون كلاماً مسهباً على الامزجة في الجزء الاخير من المجلد العاشر من المقتطف والاول من المجلد الحادي عشر . وفي الجزئين السادس والسابع من المجلد السابع عشر

(١٢) التزوج بين الاقارب

الاسكندرية . انطون افندي غالي . هل لزواج الرجل من قريبته تأثير في نسلها

ج . نعم فاذا كان فيهما ميل الى مرض وراثي قوي هذا الميل في نسلها واذا كان فيهما صفة اخرى جسدية او عقلية قويت هذه الصفة في نسلها في الغالب

(١٣) مص القصب

ومنهُ . ايهما اعظم فائدة للجسم عصر قصب السكر وشربهُ ام مصهُ

ج . مصهُ اذ يكثر حينئذٍ مزجهُ باللعاب والهواء

(١٤) اليازجي وانتقاد لسان العرب

مصر . علي افندي جندي . قرأت ان الشيخ ابرهيم اليازجي كان نقادة كبيراً وانهُ كان ينتقد كلام العرب الصميمين في الجاهلية والاسلام ولم يفلت من يدهِ كتاب لسان العرب . فاذا كان هذا الكتاب اوثق مصدر يعتمد عليهِ في لغة العرب فعلى اي سند كان يعتمد حضرتهُ في نقدهِ

ج . لما اتسع ملك العرب وانتشرت بهِ العربية اهتمَّ الفرس وغيرهم من الذين تعلموها بجمع متنها ووضع القواعد لها تسهيلاً لحفظها . ووضع القواعد للغة منتشرة في بلاد واسعة وبين اقوام مختلفين ليس بالامر السهل واذا قلنا انهُ يستحيل ان توضع قواعد قليلة للغات ملايين من الناس حتى تشملها كلها لم نخطىء فاذا اعتمدنا على القواعد التي وضعها سيبويه والذين بعدهُ وعلى الكلمات التي نجدها في كتب اللغة المعروفة وقلنا هنا كل العربية التي كان العرب يستعملونها قبل الاسلام وبعدهُ وما خرج عنها غلط وجدنا الغلط كثيراً . ولكن اذا قلنا ان المحفوظ من الفاظ اللغة وتراكيبها هو الاصل فاذا خرج بعضها عن القواعد المعروفة وزاد عمَّا في كتب اللغة لزمنا ان نقول ان القواعد ناقصة وكذلك كتب اللغة. وقد كان المرحوم الشيخ ابرهيم من الفريق الاول في الغالب يحسب ان الصحيح من العربية هو ما وافق القواعد الموضوعة ولم يخرج عن متن اللغة المحفوظ في كتبها الموثوق بها

اما انتقادهُ على لسان العرب فكان اكثرهُ في محلهِ لكثرة ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطإ والتحريف ولان ابن منظور اخطأ في بعض ما نقلهُ عن غيرهِ كما ترون في مقالة خاصَّة في هذا الجزء

(١٥) بيض الفراش

واقد عزيز افندي سور يال. ارسلنا الى حضرتكم طي هذا جسمًا غريبًا وجدناهُ لاصقًا بساق نبات من نبات الذرة وترون انهُ مكون من غشاء ملاصق للساق يشبه جلد الثعبان تعلوهُ اجسام تشبه بزور الكمون. والجزء المرسل لكم هو نحو ثلثي الجسم الذي وجدناهُ فنرجو افادتنا بماهيته

ج. هو بيوض فراشة وقد فقدناهُ قبلما تحققنا نوعها ولكننا نرجح انهُ من نوع الدود الكبير الذي يأكل نبات الذرة فان الفراشة تبيض هذا البيض كما تبيض فراشة دود القطن بيضها. ويخرج الدود من البيض ويغتذي بما حولهُ من النبات الى ان يبلغ تمام نموه فيصنع لنفسه شرنقة ويصير فيها زيزًا والزيز يستحيل فراشة وهلمَّ جرًّا

(١٦) اصل المعتقد الديني

دفنو فيوم. عبد الله افندي عبد العال. ما كيفية تسرُّب فكرة الدين الى العقول لاول مرة افلا ترجع الى الموت والخوف والوهم السائدين عليهم وكيف تصوَّر الناس وجود الهٍ باديءَ بدءٍ وكيَّفهُ في صورة قوة هائلة بدون مادة

ج. يظهر من مباحث العلماء الباحثين في هذا الموضوع انهُ ليس في الامكان معرفة اصل الاعتقاد الديني من البحث في آثار البشر او في اخبارهم السالفة وتواريخهم ولا بدَّ من الرجوع الى الظنون المبنيَّة على الفلسفة العقلية او علم النفس (سيكولوجيا) وعلى المشاهدات العصرية. وهذا البحث عويص جدًّا يتعذَّر ايضاحهُ الاَّ في صفحات كثيرة وكلهُ ظنون او احتمالات ومرجحات والكلام فيها كثير يزيد على ما فيهِ من النفع. وقد نشرنا آراء هربرت سبنسر في ذلك في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف في فصول مختلفة المواضيع كآراء الاولين صفحة ١٨٣ والموت والبعث ومعتقد الاولين فيهما صفحة ٢٥٧ والحياة بعد الموت صفحة ٣٢٩ والعالم العتيد صفحة ٤١٦ وتسلط الارواح ٥٠٩ والعرافة والسحر والتنجيم ٥٨٥ والمعابد والمذابح والصلاة والصوم ٧٢٩ و ٨١٤ وعقبنا على ذلك كلهِ صفحة ٨١٨

(١٧) تغلب الرجل على المرأة

ومنهُ. كيف تغلَّب الرجل على المرأة ونزع حريتها مع اننا نرى الذكر والانثى من الحيوان الاعجم يعيشان معًا ولا يعبث احدهما بحرية الآخر

ج. ان الانثى اضعف من الذكر في الغالب والقوي يتغلَّب على الضعيف ولذلك امثلة كثيرة في طوائف العجماوات

وقد اختلف الناس في معاملة رجالهم لنسائهم من قديم الزمان فبعضهم ساوى بين الرجل والمرأة وبعضهم فضَّل الرجل على المرأة وبعضهم فضَّل المرأة على الرجل.

والفواعل الكبرى لتفضيل الرجل على المرأة ترجع الى القوة البدنية وبعض التعاليم الدينية

(١٨) نطق الانسان

ومنهُ . كيف امكن الانسان النطق لاول مرة وهل من حيوان يستطيع النطق غير الببغاء

ج . ان الغراب يتعلم النطق كالببغاء . اما الانسان فالمرجح عند العلماء انهُ لم ينطق بالكلمات دفعةً واحدة بل كان يصوت اصواتاً قليلة تماثل اصوات بعض الحيوانات كالهر والكلب والفرس واصوات بعض الاشياء الطبيعية كحفيف الشجر وخرير الماء وكثرت هذه الاصوات وتنوعت على تمادي العصور في الوف كثيرة من السنين وتداولها الناس بالقدوة الى ان صار منها لغة او لغات بسيطة والداعي اليها التعبير عن المراد فان الاصوات اصلح لذلك من الاشارات



اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	١	٢	٢٨ مساءً
الربع الاخير	٨	٩	٥ صباحاً
الهلال	١٦	٠	٢٧ مساءً
الربع الاول	٢٤	٧	٤١ صباحاً
البدر	٣٠	١٠	٣١ مساءً
القمر في الحضيض	١	٩	٥٤ صباحاً
« « الاوج	١٤	٤	٤٢ مساءً
« « الحضيض	٢٩	٨	٦ «

السيارات

عطارد — يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره

الزهرة — تكون كوكب مساء

المريخ وزحل — يكونان كوكب صباح

المشتري — يشرق نحو الساعة ١٠ مساء

الطيران بعد الحرب

سئل فوكر الالماني مخترع الطيارة المعروفة باسمهِ عن رأيهِ في الطيران بعد الحرب فقال ما خلاصتهُ ان نقل الركاب من مكان الى آخر سيبلغ بعد الحرب شأناً عظيماً وتفضل الطيارات على سائر وسائل الانتقال لانها اسرع منها . وعندهُ ان الطيارات ستكون اعظم مزاحم في الاسفار البحرية لاعظم البواخر التي تمخر في البحار الكبرى لانها

تقطع الاتلانتيكي مثلاً في يوم ونصف او يومين . قال وحالما تنقضي الحرب يجرب قطع الاوقيانس المذكور بالطيارات فلا تمضي خمس سنوات حتى يبيت قطعهُ من الامور العادية التي لا تستوقف نظر احد

المريخ وترعهُ

درس الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي المشهور وجه السيَّار المريخ من مرصد هارفرد في جزيرة جامايكا فاستدل منهُ على امور جديدة تخالف الرأي المشهور الآن . من ذلك ان البقع السوداء في المريخ تغيّر مراكزها كل سنة بين تقدم وتأخر مسافة بضع مئات من الاميال وكثيراً ما تنقل معها في انتقالها خطوط المريخ التي يسمونها ترعهُ او قنواتهِ . وكذلك تغير هذه البقع الوانها من خضراء الى ربداء . وقد رئيت بقع زرقاء الى حين عند القطب وقيس عرض الترع فاذا هو يختلف بين ٣٠ ميلاً و ١١٠ اميال

بلاد فلسطين

كتب الدكتور ماسترمان الانكليزي مقالة عن فلسطين بيَّن فيها مزاياها وعيوبها . وهو من الذين ساحوا فيها كثيراً ولا يزال الى الآن سكرتيراً لجمعية التنقيب عن الآثار القديمة فيها . ومن رأيهِ ان البلاد لا تصلح في حالتها الحاضرة لاستعمار الاوربي لها وان حاجتها الاولى هي زرع الغابات وانشاء نظام للري واعادة حقول الكروم في الجبال كما كانت عليهِ في الماضي منضوداً بعضها فوق بعض في سطوح مائلة على اسناد الجبال . وهذه الحقول هي ما يسمَّى في بلاد الشام جلالي واحدها جلّ . كذلك البلاد في حاجة امسّ الى مكافحة امراض البلاد المنتشرة وهي الملاريا والرمد الصديدي والدوسنطاريا والسلّ . قال « والبلاد لا تحتمل في حالها الحاضر زيادة سكان فلذلك أرى ان باب الاستعمار فيها ضيق بعد الحرب اذا أُريد ان يكون الاستعمار واسع النطاق »

بلاد الزلازل

سميت اليابان ببلاد الزلازل لكثرة تناوبها لها . واشبهت ايطاليا اليابان من هذا القبيل بين بلاد اوربا وولاية كليفورنيا بين ولايات اميركا . فقد جاء في بعض الاحصاءات ان آلات قياس الزلازل سجلت فيها ٦٦ هزة سنة ١٩١٦ وهذا يزيد على مجموع الهزات التي سجلت في سائر الولايات المتحدة في السنة المذكورة على انها كانت كلها هزات خفيفة لم تحدث ضرراً يذكر

اما ايطاليا فيؤْخذ من احصاءات عشرين سنة (١٨٩١ — ١٩١٠) ان عدد الزلازل والهزات التي حدثت في تلك المدة بلغ ٥٩٢٢ اي بمتوسط ٢٩٦ في السنة .

وان زلزلة كلابريا التي حدثت سنة ١٩٠٥ تلتها ٣٩٦ هزة وزلزلة مسينا التي حدثت سنة ١٩٠٨ تلتها ١٢٢٧ هزة

ثياب من الياف البنجر

في اسوج مهندس بدأ منذ عشرين سنة يجرب التجارب لصنع نسيج متين من الياف البنجر يصلح لعمل الثياب منهُ . فنجح بعض النجاح ولكن كثرة النفقات حالت دون توسعهِ في التجارب بحيث يكون لمشروعهِ نفع من الوجهة التجارية على ان الحرب بغلائها جرأتهُ على استئناف تجاربهِ فوفق تمام التوفيق الى صنع ملابس من الياف البنجر كثيرة البقاء وأرخص من الصوف الصناعي وقد لبس منها هو وبعض اصحابهِ . وسيشرع في اقامة معمل كبير لذلك

مجمع تقدم العلوم البريطاني

كان هذا المجمع قد قرر عقد اجتماعهِ السنوي هذه السنة في مدينة بورنموث ولكنهُ عاد فعدل عن ذلك بسبب تضييق الحرب والغى عقد الاجتماع بالمرة . وهذه هي اول مرة منذ انشائهِ لم يعقد فيها اجتماعهُ السنوي وعليهِ سيبقى السر ارثر ايفانس في منصب الرآسة سنة اخرى ويرأس السر تشارلس بارسونز الجلسة السنوية القادمة التي يؤمل عقدها في مدينة كاردف

نقص غلة الحبوب

قُدّرت غلة القمح في شهر مايو الماضي في الارجنتين واوروغواي واستراليا وزيلندا الجديدة ٢٩٠٨٠٠٠٠ كوارتر يقابلها في العام السابق ٤٦١٤٤٠٠٠ كوارتر فالنقص يبلغ ٣٧ في المئة (والكوارتر نحو اردب ونصف) وقدرت غلة الاوت ٦٥٢١٠٠٠ كوارتر وكانت في العام السابق ١٠٩٨٤٠٠٠ فالنقص ٤٠٫٦ في المئة

وقُدّرت المساحة المزروعة قمحاً شتويًّا هذه السنة بالنسبة الى ما كانت عليهِ في العام الماضي ٩٣ في المئة في الدنمارك و ١٠٥ في اسبانيا و ٨٥ في فرنسا و ٩٢ في بريطانيا و ١٠٤ في سويسرا و ٧٩ في الولايات المتحدة و ١٠٩ في اليابان و ١٠٠ في الجزائر . والمساحة المزروعة شعيراً ٩٣ في اسبانيا و ١١٠ في فرنسا و ٩٩ في سويسرا و ٨٨ في اليابان و ٩٥ في الجزائر

وقُدّر محصول القمح الشتوي في الولايات المتحدة هذه السنة ٣٧٣٠٠٠٠٠٠ بشل (والبشل نحو خمس اردب) وكان في العام الماضي ٤٨٢٠٠٠٠٠٠ بشل . ومحصول قمح الربيع ٢٨٣٠٠٠٠٠٠ بشل وكان ١٥٨٠٠٠٠٠٠ بشل في العام الماضي . ومحصول الشعير ٢١٤٠٠٠٠٠٠ بشل وكان

في العام الماضي ١٨٠٠٠٠٠٠ بشل . والاطيان المزروعة بقمح الربيع هــذه السنة ١٩٠٣٩٠٠٠ فدان وكانت في العام الماضي ١٧٩٥٦٠٠٠ فدان . اما في فرنسا فالارض المزروعة بقمح الشتاء ٩٤٣٢٠٠٠ فدان وبقمح الربيع ٩٥٨٠٠٠ فدان والجملة ١٠٣٩٠٠٠٠ فدان وكانت في العام الماضي ١٢٨٠٠٠٠٠ فدان وكانت حالة الزراعة الشتوية في اول مايو ٥٢ وفي مايو السابق ٨٠ والزراعة الربيعية ٥٧ وفي العام الماضي ٧٢

وتقدر مساحة الاطيان المزروعة قمحاً في الهند هذه السنة ٣٣٠٤٠٠٠٠ فدان يقابلها في العام الماضي ٣٠٢٥٥٠٠٠ فدان ويقدر المحصول هذه السنة ٤٧٤١٣٠٠٠ كوارتر وكان في العام الماضي ٤٧٩٢٢٠٠٠ كوارتر

المغالاة بالتحف

لم تنقص الحرب من رغبة غواة التحف في المغالاة بها وابتياعها باثمان فاحشة فقد بيع في السابع والعشرين من شهر يوليو الماضي بعض التحف القديمة من متحف هوب اولها تمثال اثينا الذي يظن انهُ من عمل فيدياس النحات اليوناني المشهور بسبعة آلاف ومئة واربعين جنيهاً (٧١٤٠) وكان هذا التمثال واسطة عقد ذلك المتحف وهو من رخام بارا يمثل امرأة يونانية جامعة بين الجمال والانفة كما كانت نساء اليونان في القرن الخامس قبل المسيح حين صُنع هذا التمثال

وثانيها في غلاء الثمن تمثال انتينوس كحامل الكاس لاريانوس وهو من رخام بارا وقد بلغ الثمن الذي بيع بهِ ٥٨٨٠ جنيهاً

وثالثها تمثال هيجيا إلاهة الصحة وهو من الرخام ايضاً وقد بلغ ثمنهُ ٤٢٠٠ جنية

ورابعها تمثال امرأة يونانية ممَّا يوضع في المعابد تذكاراً وقد بلغ ثمنهُ ٣٥٧٠ جنيهاً

واغرب من ذلك كلهِ ان كاساً من الخزف كانت للملك هنري الثاني ارتفاعهــا تسع بوصات بلغ ثمنها ٣٧٨٠ جنيهاً

هبات اميركية

وهب الكولونل باين مئتي الف جنيه لكل من جامعة يايل ومكتبة نيويورك العمومية . ومئة الف جنيه لكل من المدرسة الطبية في جامعة كورنل ومدرسة فيلبس واربعمائة الف جنيه لكلٍّ من كلية هملتن وجامعة فرجينيا . والمجموع مليون واربعمائة الف جنيه

واعطى المستر لاوي بربور جامعة مشيغان ١٥٠٠٠٠ ريال

ويقال ان الاموال التي انفقت وستنفق على انشاء مدرسة شيكاغو الطبية ستبلغ خمسة عشر مليوناً من الريالات اي ثلاثة ملايين من الجنيهات

حامض يذيب الزجاج والصيني

وصف الدكتور سمث مادة جديدة تذيب الزجاج والخزف والصيني والنكل وتؤثر في البلاتين ايضاً وهي فصفات الصوديوم الحامض الذي عبارتهُ الجبرية ص ب٤ ف٦ ا١٧

طيارة انكليزية كبيرة

جربوا حديثاً طيارة انكليزية ضخمة فارتفعت الى علو سبعة آلاف قدم تحمل ربانها وعشرين راكباً وستة من البنادق المتعددة الطلقات او ما سميت بالمدافع الآلية او السريعة و ١٥٠٠ رطل من الديناميت

محطة لاسلكية قوية

شرعت وزارة البحرية الاميركية في بناء محطة قوية للتلغراف اللاسلكي في مدينة فلادلفيا تكون من اقوى محطات العالم فترسل الرسائل بها ثلاثة ارباع المسافة حول الارض اي الى بعد نحو ١٦ الف ميل

متانة الخرسانة المسلحة

ثبت في هذه الحرب ان القنابل الكبيرة التي تمزق قباب الصلب تمزيقاً لا تؤثر في مباني الخرسانة المسلحة الاَّ قليلاً فقد كان في شمال فرنسا خزان للماء من الخرسانة المسلحة طولهُ ٨٠ قدماً وعرضهُ ٤٠ قدماً وعمقهُ ١٢ قدماً قائم على اعمدة دقيقة ارتفاعها اكثر من اربعين قدماً وقد استعمل الالمان سقفهُ للاستكشاف فلما اخلوا بلدة هنبك التي هو فيها في شهر مارس الماضي كسروا الاعمدة القائم عليها بالديناميت بعد عناء شديد فوقع الخزان على الارض سليماً وثقب الالمان ثقوباً في جوانبهِ وضعوا فيها الديناميت وحاولو نسفهُ بها فلم يفلحوا

بدل القطن والكتان والصوف

ادَّعى الالمان انهم اكتشفوا في نوع من البوص Typha الذي ينمو في المستنقعات اليافاً تقوم مقام القطن والكتان والصوف فتستغني المانيا بها عما تستوردهُ من هذه المواد . ويقال انهُ جمعت اموال طائلة من اصحاب معامل الغزل والنسج ومن كبار التجار والماليين لعمل التجارب اللازمة قبل الشروع في زرع هذا النبات . والحاجة تفتق الحيلة ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ

جمعية علمية للحلفاء

انشأ الاستاذ جان مسّار الفرنسوي مقالة في المجلة العلمية الفرنسوية اشار فيها بتأسيس جمعية علمية من رجال الدول المتحالفة لتسهيل تبادل الكتب العلمية وتزاور العلماء ونشر الخلاصات العلمية وانشاء دور العلم

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي والخمسين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٥

بسائط علم الفلك

تمهيد

علم الفلك او علم الهيئة من اسمى العلوم واعلقها بالنفس . واذا اريد التدقيق فيهِ فهو من اعوص العلوم لانهُ مبني على ادق القوانين الرياضية والطبيعية ولكن مبادئهُ العامَّة لا يصعب تجريدها من هذه القوانين وبسطها على اسلوب يقرّبها من الاذهان حتى يفهمها كل احد بنوع عام فيرى فيها من الفكاهة ما لا يراهُ في افكه القصص الموضوعة . ولا افكه من النظر في كتاب الطبيعة والاطّلاع على ما فيهِ من المدهشات . وهذا ما اردنا بيانهُ في الفصول التالية فان مرادنا ان نشرح حقائق علم الفلك على اسلوب يفهمهُ العامَّة لخلوهِ من التدقيق الرياضي ويرضى بهِ الخاصَّة لاشتمالهِ على كل ما عُرِف من الحقائق الفلكية حتى الآن

الرأي القديم في الفلك

نظر القدماء الى الشمس والقمر والنجوم كما ينظر اليها عامَّة الناس الآن فرأوا الشمس جسمًا منيرًا كراحة اليد سعةً تطلع صباحًا من الشرق وتغيب مساءً في الغرب . وبين شروقها اليوم وشروقها في الغد يوم كامل نهار وليل فتقسم الزمان الى ايام متساوية . ويختلف المكان الذي تشرق منهُ والمكان الذي تغيب فيهِ من يوم الى آخر اختلافًا قليلاً او كثيرًا فيطول النهار او الليل بحسب ذلك . واذا راقبنا المكان الذي تشرق منهُ والمكان الذي تغيب فيهِ في فصل الربيع حينما يكون النهار والليل متساويين وجدنا انها تشرق من الشرق تمامًا وتغيب في الغرب تمامًا ثم تنحرف شمالاً في شروقها وغروبها . وبعد شهر من الزمان نجد انها انحرفت كثيرًا فصارت تشرق من مكان يبعد شمالاً عن المكان الذي كانت تشرق منهُ وتغرب في مكان يبعد شمالاً ايضًا عن المكان الذي كانت تغرب فيهِ . وان النهار طال

والليل قصير . واذا دمنا على مراقبتها حتى يصير النهار على اطولهِ والليل على اقصرهِ وجدنا انها تكتفي بما تقدمتهُ شمالاً في شروقها وغروبها ثم تجعل ترتد جنوباً يوماً بعد يوم في الشروق والغروب الى ان يعود النهار والليل متساوبين وتتخطَّى ذلك جنوباً الى ان يصير النهار على اقصرهِ والليل على اطولهِ . وتعود فتتقدم في شروقها وغروبها شمالاً الى ان يعود التساوي بين النهار والليل ثم تتخطى ذلك كما تخطتهُ قبلاً الى ان يصير النهار على اطولهِ والليل على اقصرهِ . وتكون المدة بين الوقت الذي كان فيهِ النهار على اطولهِ اولاً والمدة التي عاد فيها النهار على اطولهِ ثانيةً نحو ٣٦٥ يوماً . واذا راقبنا الشمس كذلك زماناً طويلاً وجدنا ان النهار يعود الى اطولهِ والليل الى اقصرهِ كل ٣٦٥ يوماً بالاطراد وان الفصول من صيف وخريف وشتاء وربيع تتكرَّر دواماً في هذه المدة. اي ان الشمس في دورانها الظاهر حول الارض تقسم الزمان اولاً الى اقسام متساوية كل قسم منها نهار وليل وهي الايام وثانياً الى اقسام اخرى متساوية كل قسم منها ٣٦٥ يوماً وهو السنة الشمسية . وفي السنة اربعة فصول مرتبطة بالشمس ولو لم تكن محدودة في عدد ايامها

والقمر يماثل الشمس جرماً حسب الظاهر ولكنهُ اقل منها نوراً ويختلف عنها ايضاً في انهُ يكون هلالاً يظهر في المساء فوق الافق الغربي بُعَيْدَ غروب الشمس و ينحدر نحو الغرب و يغيب فيهِ ثم يظهر في المساء الثاني اعلى مما ظهر في المساء الاول والجزء المنير منهُ اوسع مما كان في المساء الاول . ويزيد بعداً نحو الشرق واشراقاً ليلة بعد ليلة الى ان يتكامل و يصير بدراً كاملاً بعد ١٤ ليلة او ١٥ ليلة. و يتأخر طلوعهُ من الشرق ليلة بعد أُخرى ويتناقص الجزء المنير منهُ ليلة بعد ليلة الى ان يعود هلالاً يطلع في الصباح قبل الشمس و يغيب في المساء بعدها بقليل . والمدة بين الهلال والهلال نحو ٢٩ يوماً ونصف يوم وهي الشهر القمري. فالقمر يحدد الزمان ويقسمهُ الى شهور قمرية ولكن هذه الشهور لا تقسم السنة قسمة صحيحة كما لا يخفى

والنجوم تظهر بعد ما تغيب الشمس—الكبيرةُ منها اولاً قبيل اشتداد الظلمة ثم الصغيرة عند اشتدادها. وترى كأنها تسير من الشرق الى الغرب كما يسير القمر ليلاً وكما تسير الشمس نهاراً فما يكون منها في كبد السماء يغرب نحو نصف الليل وما يكون منها عند الافق الشرقي يغرب نحو الصباح ولكن ما يكون منها اليوم عند الافق الشرقي في ساعة معلومة لا يكون هناك بعد ليلة او ليلتين في تلك الساعة عينها بل نراهُ قد تقدم قليلاً نحو الغرب . و بعد شهر من الزمان نرى ان تقدمهُ نحو الغرب بلغ سدس الفلك اي انهُ يقطع السماء كلها من الشرق الى الغرب في ستة اشهر . و بعد ستة اشهر أُخرى اي بعد سنة كاملة يظهر في

السماء في المكان الذي كان فيهِ في اول تلك السنة . والنجوم كلها جارية هذا المجرى كأنها تدور حول الارض دورتين دورة كاملة من الشرق الى الغرب كل نحو اربع وعشرين ساعة ودورة أخرى كاملة حول الارض من الشرق الى الغرب كل سنة . ويستثنى من ذلك خمسة كواكب يتغيَّر مقرها بين النجوم من شهر الى آخر وهي الزهرة والمشتري والمريخ وزحل وعطارد فان هذه النجوم ويقال لها الكواكب السيَّارة او المتحيرة تدور حول الارض حسب الظاهر كل يوم من الشرق الى الغرب كما تدور سائر النجوم ولكنها لا تدور حولها دورة كاملة كل سنة بل لها حركات مختلفة كما سيجيء

وبعض النجوم كبير شديد اللمعان كالمشتري والشعرى والعيوق والدبران وبعضها صغير جدًّا لا يراهُ الاَّ حديد البصر . وما بقي بين بين . وفي السماء ايضًا شيء مضيء كالسحاب يسير سير النجوم من الشرق الى الغرب وهو المجرة او درب التبان وقد ظن البعض انها مؤلفة من نجوم صغيرة قبلما ثبت ذلك من رؤيتها بالنظارة

ومجموع النجوم الذي يكون عند الافق مدة شهر من الزمان حيث تغيب الشمس اطلق القدماء عليهِ اسم "برج" وقالوا ان الشمس تغيب في هذا البرج او ذاك بحسب غيابها في شهور السنة وكانوا قد قسموا السنة الى اثني عشر شهراً فقالوا ان البروج اثنا عشر برجاً حسب شهور السنة سموها باسماء مختلفة وقد جمع بعضهم اسماءها العربية بقولهِ

حَمَلَ الثورُ جوزة السرطانِ ورعى الليث سنبل الميزانِ
ورمى عقرب بقوس لجدي فاستقى الدلو حوتهُ بامانِ

وتوهموا لها صوراً تنطبق على هذه الاسماء فصوروا نجوم برج الحمل بصورة حمل وهو صغير الخرفان . ونجوم برج الثور بشكل ثور . ونجوم برج الجوزاء بشكل ولدين توأمين . ونجوم برج السرطان بصورة سرطان وهلمَّ جرًّا . والظاهر ان الشمس كانت تغيب في برج الحمل في بداءة فصل الربيع حينما قسموا هذه النجوم الى بروج وقد تغير ذلك الآن بعض التغير كما سيجيء

وهنالك امور اخرى لا تُرَى كل يوم متعلقة بالشمس والقمر والنجوم . فالشمس تكسف في بعض السنين فيظلم وجهها كلهُ او بعضهُ . يبتدئ الكسوف من طرف منها وينتهي في طرف آخر ويدوم ساعة او اكثر او اقل . والقمر يخسف احيانًا كثيرة فيظلم وجههُ كلهُ او بعضهُ . وقلما تمضي ليلة ولا تُرَى فيها نجوم تسقط من السماء وتضيء قليلاً ثم تختفي . وقد تتساقط نجوم كثيرة جدًّا في ليلة واحدة . ويظهر في السماء احيانًا نجم لهُ ذنب طويل او قصير يقيم اياماً او شهوراً يظهر كل ليلة بين النجوم ويغيب معها ولكن محلهُ بينها ينتقل

من مكان الى آخر الى ان يختفي تماماً . وقد رأى الناس ذلك كلهُ من قديم الزمان ولا يزال عامتهم وخاصتهم يرونهُ الآن كما رآهُ اسلافهم. وجمهورهم لا يهتم بما يرى ولا ينتبه لما فيهِ من الغرابة او الدلالة ولكن بعض الخاصة انتبه الى ما رأى فقاس السنة من حركة الشمس كما تقدم فرأى انها ٣٦٥ يوماً ونحو ربع يوم . وقاس الشهر القمري من سير القمر ورأى ان القمر لا يخسف الاَّ اذا كان بدراً والشمس لا تكسف الاَّ في آخر الشهر القمري. وان كل كسوف وكل خسوف يتكرر بعد ١٨ سنة وعشرة ايام ونحو ثلثي يوم . وان فصول السنة تابعة للجهة التي تشرق منها الشمس وكذا طول النهار وطول الليل او قصرهما

وقد ادرك هؤُلاء الخاصة ان القمر بعيد جدًّا عن الارض وان الشمس ابعد منهُ وان نورهُ ليس اصليًّا بل مستمد منها كما ان نور الارض مستمد منها ايضاً . وان خسوف القمر ناتج من وقوع ظل الارض عليهِ فهي كرة لان ظلها مستدير والشمس اكبر منها لانها تجعل لها ظلاًّ طويلاً صنوبريًّا وهو الذي يخسف القمر بالمرور فيهِ

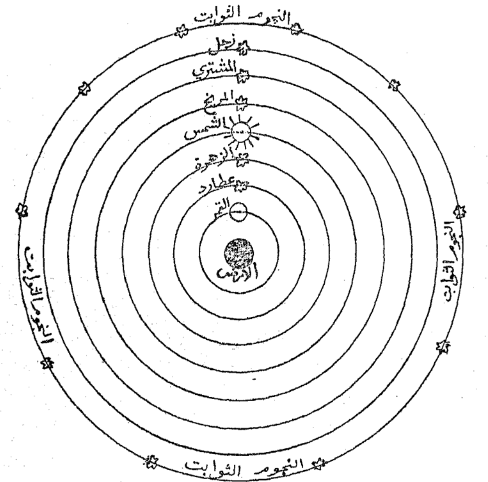
وقد استغربوا كما يستغرب العامَّة الآن كيف تغيب الشمس في المساء عند الافق الغربي ثم تظهر في الصباح عند الافق الشرقي واغرب من ذلك ان القمر يغيب مثلها و يطلع مثلها ولكنهُ يخالفها في ازمنة شروقهِ وغيابهِ وفي تغيُّر وجههِ. وكذلك النجوم تشرق وتغرب ولكنها لا تكتفي بهذه الدورة اليومية حول الارض بل تدور حولها دورة سنوية ايضاً كأن السنة الارضية وهي ٣٦٥ يوماً ونحو ربع يوم حاكمة على الشمس والقمر والنجوم . والكواكب السيارة مشمولة بهذا الحكم ولكن كل واحد منها خاضع لسير آخر خاص بهِ . رأَوا كل ذلك فاخذوا يبحثون عن اسبابهِ اي عن القوانين الطبيعية المتسلطة على الشمس والقمر والنجوم من حيث علاقتها بالارض وعلاقتها بعضها ببعض

واول حقيقة اكتشفوها وتحققوها هي ان الارض كرة قائمة في الفضاء على لا شيء و بذلك تفسَّر كيفية دوران الشمس والقمر والنجوم حولها اي فوقها في النهار وتحتها في الليل . وان القمر اقرب الاجرام السموية اليها ففلكهُ او مدارهُ اقرب كل الافلاك الى الارض وفوقهُ فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك النجوم كما ترى في الشكل التالي . و ينسب هذا الرأي الى بطليموس العالم اليوناني الذي نشأ في الاسكندرية بين سنة ١٠٠ و ١٧٠ للميلاد وهو الرأي الذي جرى عليهِ العرب لما تعلموا الفلك من كتب اليونان ونقلوا كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي الى العربية وزادوا عليهِ تحقيقاً واكتشافاً كما سيجيء لكنهم لم يخالفوا رأيهُ من حيث دوران

الشمس وسائر السيارات حول الارض ولو قالوا ان الشمس اكبر من الارض

وقد جمع الشيخ اليازجي اسماء هذه السيارات حسب ترتيبها من الابعد الى الاقرب بقوله

تلك الدراري زحل فالمشتري وبعدهُ مريخها في الاثر
شمس فزهرة عطارد قمر وكلها سائرة على قدر



اما كيف عللوا حركات هذه الكواكب على اختلاف انواعها فما يطول شرحهُ

وبقي رأي بطليموس شائعاً معمولاً بهِ ١٤٠٠ سنة بعد موتهِ . ومن يطالع الزيج الصابي الذي وضعهُ ابو عبد الله محمد بن سنان بن جابر الحراني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٩٢٩ للميلاد اي منذ نحو الف سنة يعجب مما كان القدماء يبذلون من الجهد والعناء في تعليل حركات الشمس والقمر والكواكب والنجوم والفلك كلهِ بحسب هذا الراي مع قلة وسائلهم

وسنشرع في الجزء التالي في تعليل ما يعرف من علم الفلك الآن موضحين ذلك بالرسوم مكتفين بما لا يتعذر فهمهُ على جمهور القراء

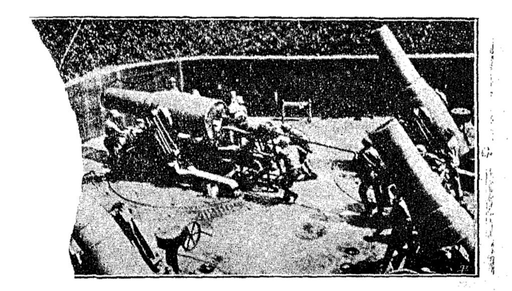
المدافع الاميركية

خصصنا هذه السطور بالمدافع الاميركية لا لانها اقوى من غيرها بل لاننا رأينا في السينتفك اميركا تفصيلاً لها وصوراً توضح فعلها

شرعت اميركا منذ سنوات تسبك المدافع الضخمة لتحمي بها مدخل ترعة بناما من طرفيها وتحمي سائر سواحلها . واختارت اولاً مدافع ضخمة لكنها قصيرة الانبوب وقصيرة المدى ايضاً ولو كانت من اكبر ما صُنع من نوعها الى ذلك الحين وهي المرسومة في الشكل الاول المقابل . فلما نشبت الحرب الحاضرة وظهر من المعارك البحرية ان قنابل البوارج تصل الى ستين الف قدم رأت الحكومة الاميركية ان لا بدَّ لها من ان تزيد المدافع التي تحمي بها سواحلها وترعة بناما قوةً ومدًى فسبكت مدافع من عيار ١٦ بوصة طول كل مدفع منها ٦٩ قدماً وثقلهُ ٥٤ طنًّا وثقل قنبلتهِ ٢٤٠٠ رطل وسرعتها حين خروجها من المدفع ٢٧٠٠ قدم في الثانية وقوتها ١٢١٤٣٠ طنًّا قدمية وطول مداها ٢٧ ميلاً وثلث ميل وهي تخرق لوحًا من الصلب سمكهُ ١٢ بوصة ولو كان في آخر مداها

وترى صورة مدفع من هذه المدافع في الشكل الثاني وتحت طرفهِ صورتهُ واقفًا تجاه دار البلدية في مدينة نيويورك وتحت خزنتهِ صورة قنبلة من قنابلهِ وصورة رجل واقف الى جانبها وهي اطول منهُ قليلاً . وتحت ذلك صورة وهمية تمثل سير قنبلة هذا المدفع وارتفاعها في الجو الى علو شاهق ثم انصبابها على الغرض مع بعدهِ الشاسع عن المدفع . فالمدفع عند الحرف ا وقد اطلقت قنبلة منهُ بعد ان رفع على زاوية ٤٥ درجة فسارت في الجو صعداً حتى بلغ ارتفاعها ٤٤١٠٠ قدم . وقد رسم تحتها ثلاثة من جبال الالب الواحد فوق الآخر وهي جبل بلانك وارتفاعهُ ١٥٧٨٢ قدماً وجبل مترهورن وارتفاعهُ ١٤٧٧٥ قدماً وجبل جنغفرو وارتفاعهُ ١٣٦٦٩ قدماً ثم سقطت عند الحرف ب على بعد ٢٧ ميلاً وثلث ميل من المدفع

وواضح من هذه الصورة الوهمية ان البشر وصلوا في تقوية مدافعهم واتقانها وسرعة تسديدها واطلاقها الى حد يفوق التصور فتعلو قنبلة الواحد منها فوق ثلاثة من اعلى جبال الارض ويبلغ مداها مرحلة لا يقطعها الراكب المجد في نهارهِ . ومما يدل اوضح دلالة على عظم قوة هذه المدافع ان المدافع البحرية الكبرى التي كانت تصنع منذ ثلاثين سنة من عيار ١٦ $\frac{1}{2}$ بوصة كان طولها ٤١ قدماً فقط وثقل قنبلتها ١٨٠٠ ليبره وسرعتها حين خروجها



الشكل الاول

الشكل الثاني

مقتطف اكتوبر ١٩١٧
امام الصفحة ٣١٨

من فم المدفع ٢٠٨٧ قدماً في الثانية من الزمان وقوتها ٥٤٣٩٠ طناً قدمية اي اقل من نصف القوة التي تقذف بها قنبلة المدفع الجديد المرسوم ههنا

قلنا ان قنبلة هذا المدفع الطويل قطرها ١٦ بوصة وهذه قوتها وهذا مداها وهذا فعلها وقد ثبت الآن ان الانكليز صنعوا مدافع اكبر منها قطر قنبلة المدفع منها ١٨ بوصة وثقلها ٣٠٠٠ ليبرة وسلحوا بها بوارجهم الجديدة فكيف يكون فعلها بما تصيبهُ من السفن الحربية . لا غرابة في احتراس المانيا من اخراج اسطولها الى عرض البحر لئلاَّ يتعرَّض لقنابل هذه المدافع . ولا بدَّ من ان تكون الحكومة الانكليزية قد امتحنتها ورأت فعلها الذريع ولكنها لم تعلن ذلك او اعلنتهُ ولكننا لم نطلع عليهِ . غير ان السينتفك اميركان ذكرت فعل قنابل المدافع التي طولها ٤١ قدماً والمدافع التي طولها ٦٠ قدماً وهي من عيار ١٢ بوصة فقط فقالت امتُحن مدفع من المدافع التي طولها ٤١ قدماً ومدفع آخر من مدافع البارجة اركنساس الاميركية الذي عيارهُ ١٢ بوصة فقط وطولهُ ستون قدماً فاطلق الاثنان على غرض مبني من ٢٠ قدماً من خشب السنديان و ٥ اقدام من حجارة الغرانيت و ١١ قدماً من الخرسانة المسلحة و ٦ اقدام من الاجر وعشرين بوصة من صفائح الحديد و ٨ بوصات من الحديد الصاج ثم ٢٠ قدماً من خشب السنديان و ٥ اقدام من حجارة الغرانيت و ١١ قدماً من السمنت المسلح و ٦ اقدام من الاجر . فقنبلة المدفع الطويل خرقت هذا الغرض كلهُ واما قنبلة المدفع القصير فخرقت اقل من نصفهِ . والقنبلة الاولى يزيد ثمنها وثمن البارود الذي تطلق بهِ على ٣٣٦ جنيهاً

وترى فعل القنبلتين مرسوماً في اسفل الشكل الثاني وهو منقول عن السينتفك اميركان

ومما يستوجب الدهشة والاعجاب السرعة التي تسدَّد بها هذه المدافع وتحشى وتطلق فاذا لم تصب قنبلتها الغرض في الطلق الاول فالغالب انها تصيبهُ في الطلق الثاني او الثالث ومن ثم يسهل تكرير اصابتهِ الاَّ اذا كان متحركاً فقد تخطئهُ القنابل حينئذٍ الى ان ترى جهتهُ وتحسب سرعتهُ

ولقد كان من ثمار هذه الحرب الخبيثة اتقان البوارج والمدافع والبنادق والطرادات والغواصات والطيارات . ومن ثمارها الطيبة اتقان معالجة الجرحى والمرضى وتعزيز المبادئ الجمهورية والاشتراكية . وعسى ان يكون من اهم نتائجها بث مبدإِ التساوي بين الامم بالفعل لا بالاسم

المكتشفات العلمية في دار الحرب

قد ينتج من هذه الحرب خير عميم في مصالح الناس وسياسات الامم تنسي ابناء هذا العصر ما تكبدوهُ من المشاق وتحملوهُ من مضض العيش وتعود على ابنائهم بنعم ما كانوا ينالونها لولا ما سُفك من الدماء وتلف من الاموال

وكم قد رأينا من تكدر عيشة واخرى صفا بعد اكدرار غديرها
وكم طامع في حاجة لا ينالها ومن آيس منها اتاهُ بشيرها

وقد يكون نصيب العلم من ذلك وافراً فيزيد سخاء الدول على التعليم والبحث العلمي ويزيد اقتران العلم بالعمل لتتوفر الراحة لنوع الانسان

ولم يعدم العلم اناساً يشتغلون بهِ في زمن هذه الحرب وفي ميادين القتال ولو كانوا من الجنود فلما كانت الخنادق تحفر في غاليبولي عثر الحافرون على بعض العاديات اليونانية والرومانية فجمعوها وحرصوا عليها لتضم الى آثار الانسان التاريخية او السابقة لزمن التاريخ . ولما كانت الخنادق تحفر في شمالي فرنسا عثر الحافرون على عظام المستودن من نوع الفيل القديم الذي كان في اوربا قبل عصر التاريخ فحرصوا عليها لكي يضموها الى آثار الحيوانات البائدة

ولما تقدمت الجيوش البريطانية في جهة غزة رأى بعض الاستراليين منهم اكمة في وادي غزة فخطر لهم ان فيها اثراً دارساً فاحتفروها فاذا هناك ارض كنيسة قديمة وقد رصفت بالفسيفساء اي بحجارة صغيرة ملونة نظمت حتى يكون من مجموعها كتابة واشكال كما ترى في الصورة المقابلة ووجدوا عليها عظاماً بينها جماجم اولاد دلالة على ان اناساً لجأوا الى تلك الكنيسة باولادهم زمن حرب فقتلوا كلهم وبقيت عظامهم هناك . والكتابة باليونانية و يظهر انها من القرن الرابع الى السابع و يقال فيها ما ترجمتهُ « بنى هذه الكنيسة سيدنا جورجيوس الكلي القداسة والوقار » والظاهر انهُ كان مطراناً او بطريركاً . وتحت الكتابة صورة كاس وطاووس على جانبيهِ وصورة سلة عنب وحمامتين وصورة دالية وقضبانها وصورة اسد وثور وخروف وارنب وغزال وطيور مختلفة ونحو ذلك من الرموز التي كانت شائعة في الصناعة البزنطية في القرون المسيحية الاولى

وعسى ان يرى ابناء هذا الجيل داراً للآثار السورية في ربوع الشام كما يرى سكان هذا القطر داراً للآثار المصرية في ربوعهم

نور الكواكب والعين

اذا نظرنا الى السماء في ليلة ظلماء صافية الاديم خيل الينا ان نجومها « لاعداد لها » كما قال الشاعر العربي . لكننا اذا اخترنا بقعة معينة وحصرنا نظرنا فيها وشرعنا نعدّ نجومها رأينا ذلك مستطاعاً . واذا جاوزنا هذه البقعة الى ما تاخمها لم نرَ صعوبة في عدّ نجومهِ اكثر مما رأينا فيما قبلهُ وهكذا الى ان نأتي على آخر السماء نحصي نجومها المنظورة وقد كنا نحسب ان ليس ذلك في الامكان ونخرج من حسابنا مدهوشين من سرعة الاحصاء . وربما كان ادعى الى الدهش ان النجوم التي رأيناها بالعين المجردة واحصيناها لا تزيد على الالفين عدًّا

وهذا العدد قليل جدًّا بالنسبة الى ما كنّا نظنّ . وما نظنهُ نحن الآن كان يظنهُ الذين سلفونا منذ قديم الزمان حتى ضرب المثل بكثرة النجوم في قصائد كل شاعر ومقالات كل ناثر . فلِمَ هذا الخطأ المشترك يا ترى

يعلل ذلك اولاً بانهُ اذا صفّت الاشياء صفوفاً منتظمة بعضها فوق بعض او الى جانب بعض سهل عدّها ووقع في الذهن انها على كثرتها اقلُّ في الحقيقة مما هي . ولكن اذا تركت منثورة هنا وهناك في بقعة واسعة يقصر دونها مجال الابصار كما هي الحال في كواكب السماء حكمنا بانها اكثر عدداً مما هي في واقع الامر

هذا اولاً . وثانياً ان مقابل كل كوكب نبصرهُ بوضوح وجلاء كوكبين او ثلاثة كواكب لا تظهر جلية مما يدلُّ على انهُ لو كانت لنا عيون اكثر حساسة من هذه العيون لرأينا من النجوم اكثر مما نرى الآن بكثير . وهذه النجوم الضئيلة النور نراها اوضح ونحن ننظر الى ما يجاورها منها ونحن ننظر اليها رأساً . ألا ترى وانت تراقب الثريا انك اذا رمقتها ببصرك ولم تنقلهُ بين نجومها استطعت عدّ نجومها باسهل مما لو أجلت نظرك فيها بين نجمة واخرى تحاول عدّهن واحدة واحدة . وسبب ذلك ان الجزء من شبكية العين الذي نميز بهِ دقائق الاشباح من حدود والوان وغيرها صغير جدًّا واذا كنّا ننظر الى شيءٍ فاننا نحرّك مقلنا عن غير ارادة فتقع صورة ذلك الشيء على هذا الجزء من الشبكية وتنطبع عليهِ فنراهُ واضحاً . والاجزاء المحيطة بهِ منها اكثر احساساً وتأثراً بالنور الضعيف من الجزء المركزي . وعليهِ فقد نرى كوكباً من الكواكب اذا وقع اشعتهُ على هذه الاجزاء

وبعبارة اخرى اذا كنّا ننظر الى غيره مما يجاوره لا اليهِ . ثم اذا ادرنا عيوننا اليهِ نحاول التحديق بهِ وقعت صورتهُ على مركز الشبكية وهو اقل تأثراً بالنور الضعيف مما يحيط بهِ كما تقدم فلا نرى الكوكب او نراهُ ضئيلاً جدًّا

ورب سائل يسأل ما هو اصغر حدّ للنجوم التي ترى بالعين المجردة . فنقول ان ذلك يتوقف على قوة العين بادئ بدء . فان من الناس من بصرهُ حديد يرى الى ابعد ما يرا الاكثرون . ومنهم من مجال الإبصار فيهِ ضيق محدود . على انهُ يقال اجمالاً ان العين العادية ترى النجوم الى القدر السادس اذا كان الجوّ صافيًا ومن مكان قريب من سطح البحر . وهذا آخر حدّ لها ولا سيما اذا تقرر انها ترى هذه النجوم بصعوبة او لا تكاد يراها

ونور النجم الذي من هذا القدر يعادل $\frac{1}{100}$ من نور نجم من القدر الاول كالدبران مثلاً ولزيادة البيان نقول ان مصباحاً كهربائيًّا بقوة شمعة واحدة يرى عن بعد ٣٦٠٠ قدم او نحو ثلثي ميل مساويًا لنور الدبران . فاذا اردنا رؤيتهُ كما نرى النجوم التي من القدر السادس اي التي لا تكاد ترى بالعين المجردة وجب ان يبعد عنّا $\frac{1}{2}$ ٦ ميل او نحو عشرة اضعاف المسافة الاولى

على ان هناك اعتبارات اخرى يجب ان لا يغضي عنها . اهمها ان الظلام في اشدّ الليالي حلكاً ليس حالكاً على التمام بل يشوبهُ نور يجيء من الوف النجوم التلسكوبية التي لا ترى بالعين المجردة ولكنها كثيرة الى حدّ ان ترسل الينا من النور اكثر كثيراً مما ترسل النجوم التي ترى بالعين . هذا اذا صرفنا النظر عن نور الشفق وهو في جوّ الارض على الدوام كما يظنّ الآن . وهذان النوران هما اللذان نستهدي بهما في الليالي الليلاء اذا مشينا في العراء ولا مصباح في ايدينا والبدر مفتقد في السماء . وهذا النور الذي يأتينا من النجوم التلسكوبية كافٍ على قلتهِ لان يخسف نور النجوم الضعيفة فلا يرى او يرى اقلّ مما هو حقيقة

وقد ظهر من بعض التجارب انهُ لو كان الظلام تامّ الحلك في الليالي التي لا بدر فيها لرئيت نجوم القدر السابع او الثامن بسهولة . وظهر ايضاً ان الكوكب في السمت يفقد ٢٠ في المئة من ضوئهِ قبلما يصل الينا بسبب امتصاص الهواء لهُ . وكذلك ترى في المراصد الفلكية التي في اعالي الجبال حيث الهواء قليل البخار والغبار نجوم لا تكاد ترى من الاماكن التي على مساواة سطح البحر . وظهر من ارصاد فان دربلت في مرصد جبل ولسن المشهور ان اقصى ما تراهُ العين المجردة هناك يقارب القدر السابع اي ان اضأَل نجم يرى هناك اضعف نوراً

من النجوم التي ترى على مساواة سطح البحر مرتين ونصف مرة . وبعض السبب في ذلك هو الفرق بين المكانين من حيث شفوف الهواء ولكن السبب الاكبر يرجع الى استطارة النور . فانهُ لما كان النور اقلّ استطارة في الاماكن العالية كجبل ولسن منهُ في الاماكن التي على مساواة سطح البحر كانت ديباجة الجوّ في الاولى اظلم منها في الثانية وهذا يساعد على رؤية الكواكب الضعيفة النور كما لا يخفى . ولذلك يرى الذين يصعدون الى رؤوس الجبال او يحلقون في الجوّ بالطيارات ان وجه الجلد يسودّ كلما اخذوا في الارتفاع

بغداد الحاضرة

لغة اهلها

(٣)

يهتم الغربيون بدرس لغات العامة في الاقطار العربية ما لا يهتم اهلها الناطقون بها وقد وضع لكثير من لغات العامة معاجم تجمع شواردها وتشرح غوامضها وترجع الصحيح الى صحتهِ والفاسد الى فسادهِ . ولا اعرف للغة بغداد معجماً خاصًّا بها ولكن جماعة من المستشرقين كتبوا عنها وعن لغات العراق العربي فيهم الدكتور مايسنر والدكتور يحيي الدانيماركي ولويز ماسنيون وكانت ابحاثهم قاصرة لا تغني شيئًا وقد اهتم بعض ادباء البلاد بهذا الموضوع فانشأُوا الفصول المفيدة

ولغة بغداد تخالف لغة مصر وسائر البلاد العربية في المشرق والمغرب تخالفها في لهجتها وفي كثير من مفرداتها المستعملة . وكيف لا تخالفها وهي نفسها متخالفة في بغداد فلغة مسلميها غير لغة يهودها وغير لغة نصاراها ولكل من هؤُلاء لهجة معروفة فان المتكلم بمجرد ما ينطق يعرف دينهُ . واقرب لغة تشبه لغة بغداد في القطر المصري هي لغة البحيرة فان اهل البحيرة ينطقون القاف كجيم مصر وكذا قاف بغداد ولكن اليهود في بغداد ينطقونها قافًا عربية مقلقلة كما تنطق بها بعض بلاد الفرات واهل عدن و بعض بلاد اليمن . وجيم البحيرة فصيحة معطشة كجيم بغداد ولهجة بغداد غير لهجة البصرة والموصل على ان هذه القاف المنطوقة في البحيرة و بغداد هي لغة بني تميم وجيم مصر لغة لبعض اليمن . ولهجة العامة في بغداد سهلة لينة لا تخلو من رقة تناسبها ولو حذف بعض الفاظها العجمية واعربت لكانت لغة قريش

وهذا شأن غالب لغات العامة واهلها يتساهلون في مخارج الحروف · ولغة مصر اقوم مخارج من لغة بغداد وان كانت بغداد تفوق مصر بنطق الجيم والثاء المثلثة والذال المعجمة والزاي والظاء المعجمة · واهل بغداد لا يفرقون بين الضاد والظاء في النطق كما ان اهل مصر لا يفرقون بين الضاد والدال · ولغة بغداد تزيد على لغة مصر ببعض الحروف العجمية فان (پ) التي بين الفاء والباء موجودة فيها ولا يستطيع المصريون نطقها وحرف (چ) الذي بين الجيم والشين ينطقهُ عامة بغداد والمصريون ينطقونهُ (ش) وحرف (ك) الفارسية غير منطوق في مصر و ينطق في بغداد

واهل بغداد يكسرون اول المضارع وهي لغة بهراء وهذا ما يعرف عند علماء اللغة بتلتلة بهراء · و بهراء هذه بطن من قضاعة من القحطانية وهم بنو بهراء بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة ومن هذه القبيلة المقداد بن الاسود و يقال ان خالد بن برمك مولى لبني بهراء قالهُ القلقشندي

ولغة بغداد تتصرف بالالفاظ العجمية تصرفها بالالفاظ العربية فتشق منها الماضي والحال والاستقبال والفاعل والمفعول · فتأخذ عن التركية (جالشمق) الاجتهاد مثلاً فتصرفها وتقول (اچالش) اي اجتهد وهو (يچالش) اي يجتهدو (راح اچالش) ساجتهد و (انت مچالش) اي مجتهد · وكذا يقولون في (سكترمك) الطرد و (ويرمك) العطاء يستعملون منها الامر فقط و يستعملون الفاظاً كثيرة من اللغة التركية والفارسية والهندية وغيرها · واغلب ما تدخل الالفاظ التركية لغة الموظفين والضباط وارباب الرتب العسكرية والاهلية فانها لغتهم الرسمية وهم يحسنونها اكثر مما يحسنون العربية لغة آبائهم واوطانهم بل قد لا يستطيع موظف ان يكتب كلمة او جملة مفيدة في لغتهِ وقد لا يمكنهُ ان يفهم ما يطالعهُ في اللغة العربية

ولا يزيدون شيئاً من الحروف على الكلمات التي يسلطون عليها النفي بل يوردونها كما ينطق بها العرب فيقولون (ما اقعد) و(ما اشرب) و (ما اقوم) · وفي لغتهم شين يضعونها في اول الكلمة فيقولون مثلاً (شِتْرِيدْ) و (شكُو شماكُو) و (شِتَاكُلْ) ومعنى الاولى اي شيء تريد · والثانية اي شيء ما يكون والثالثة (اي شيء تأكل) وهذه الشين يكسرونها كسراً خفيًّا لا يشعر بهِ السامع وهي مختزلة من كلمة (ايش) الفصيحة وقد يوردون هذه الكلمة (ايش) كما هي فيقولون (ايش هـذا) ومن لغاتهم المختزلة لفظة (شْنُوْنْ) و (شِنُوْ)

الاولى تقوم مقام (كيف) فمعنى (شنون اروح) كيف اروح والثانية تقوم مقام ما الاستفهامية فمعنى (شنو البس) ماذا البس؟ ومعنى (انت شنو) من انت؟ للتهكم والتحقير

وهكذا يختزلون الكلمات اختزالاً يبعدها عن اصلها الصحيح وهو يجري في كثير من الفاظهم فقولهم (هِسَّهْ) بكسر الهاء وشد السين مع فتحها وها في الآخر ساكنة مختزلة من (هذه الساعة) و يقابلها في لغة مصر (دلوقت) وفي لغة الشام (إسَّا) ويقولون (لِسَّه ماجا) اي الى هذه الساعة ما جاء وهي مستعملة في مصر والشام

و يتساهلون في مخارج الحروف فيقولون (وين كنت) بالكاف التي بين الشين والجيم وبعضهم ينطق الكاف فصيحة وقلما يغيرونها و يتساهلون ايضاً في ادخال الكلمات الاجنبية الى لغتهم فيقتبسون من الفارسية والتركية والهندية والفرنسة والانكليزية ففيها لكل هذه اللغات آثار كما في لغة عامة مصر

نبذة من امثالهم

ليست امثال العامة خالية من الحكمة والموعظة بل قد ترى فيها ما ترى في امثال الحكماء والفلاسفة . وفي كل لغة امثال يضربها الناطقون بها و يتداولونها في غضون مخاطباتهم ومحاوراتهم . واكثر امثال العامة يشابه الامثال الواردة في الحكم والاشعار والاحاديث وهي تنطبق عليها وكثير منها صحيح مخترع وللعامة مئات منها نقتبس منها الاشهر شيوعاً ونفسر ما يحتاج الى تفسير

(١) نُوايَهْ تِسنِدْ حِبْ — نواية نواة والحب فصيح وهو الخابية — ويشبه هذا قول الشاعر

لا تحقرن صغيراً في مخاصمة   ان الذبابة ادمت مقلة الاسد

(٢) الطُوْلْ طُوْلْ النَّخْلَهْ والعقِلْ عَقْل السَخْلَهْ — السخلة ولد الغنم وهي فصيحة وهذا كقول حسان

لا عيب في القوم من طول ومن قصر   جسم البغال واحلام العصافير

(٣) ما تِعرُفْ خيري إلاَّ تجربْ غيري — المثل مضروب في مصر

(٤) العصفور يِتفَلّى والصيّادْ يِتْقَلّي — يتفلى من فلي رأسهُ من القمل يشبههُ قول القائل

يا من لياليهم باللهو قد قصرت   تذكروا اننا طالت ليالينا

(٥) كلُّ جديدٍ لهُ لذه — كقول الشاعر

لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غير لذيذ

(٦) يتعلَّمْ الحجامة بْروسْ اليتامه (اليتامه) اليتامى وهو واضح المعنى

(٧) بيضةِ اليومْ احسنْ من دجاجةْ باكرْ (باكر) معناه الغد — نحواه خير البر عاجله

(٨) نفسي غنيه وتحب الهديه

(٩) سدْ بابكْ وأمِّنْ جارَكْ — كقولهم الحزم سوء الظن بالناس

(١٠) الشقْ كبيرْ والرُقعة صغيرة — كما يقولون اتسع الخرق على الراقع

(١١) غرابْ يقولْ لغرابْ وجهكْ اسودْ . هو كقول ابي الاسود الدؤلي

لا تنه عن خلق وتأتي مثلهُ عار عليك اذا فعلت عظيم

(١٢) الجملْ لو يشوفْ حدبتهْ كان انكسرتْ رُقُبتهْ — تضرب لمن ينسى عيبه ويذكر عيب غيره كقوله :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنهُ فانت حكيم

(١٣) تتباهى القرعة بشعرْ اختها . مشهور في مصر

(١٤) حرامي وتنبَاقْ عصاهُ — تنباق — تسرق

(١٥) اللي يهدي لك جرادة اهدي لهُ جمل — هذا ضد قول الحريري

وكِل للخل كما كال لي على وفاء الكيل او بخسهِ

(١٦) الكذاب احترق بيتهُ وما احد صدقهُ — المثل مشهور وواضح

(١٧) القرش الابيض ينفعْ بيوم الاسود . يضربهُ المصريون في مقام الاقتصاد

(١٨) ما احد يقول لبني حامضْ — يعني لا احد يذم نفسهُ او لا احد يرى عيبهُ

(١٩) الديك يموت وعينهُ بالمزبله — كقول عامة مصر يموت الزمار وصبعهُ يلعب

(٢٠) يوَدّيكْ للبحرْ ويجيبك عطشان — كالمثل المصري (يضحك عا الديب ويأكل غداه)

(٢١) خل مالك عند اللي عندهُ مال وخلي ولدك عند اللي عندهُ ولد . المثل واضح لا خفاء فيه

(٢٢) عصفورين بحجر — يضرب لمن تساعدهُ الفرصة على اداء عملين قصد احدهما

(٢٣) صامتْ صامتْ وفطرتْ على خبز شعير . هو واضح وتقول العامة في مصر (وفطرت على بصله)

(٢٤) البلاش ما ينحاش · يعني الذي لا قيمة لهُ لا يمنعهُ مانع

(٢٥) المفلس بالقافلة امين

(٢٦) بيت الإسكافي حافيْ وبيت السقا بلا مي · كقول المصر بين باب النجار مخلع · ودار البنا مهدودة · وسمكري وما عنداش لمبه · كقولهم — طبيب يداوي الناس وهو عليل

(٢٧) حجارة القريب تفجخ · تشج · فحواهُ المثل العامي في مصر دخان القريب يعمي

(٢٨) حافي ومحني رجليه — يضرب للفقير المسرف او لمن يضع الاشياء في غير موضعها

(٢٩) مثل السرج عاالبقرة · يضرب لمن يستعمل شيئًا لا يليق بهِ اي كمن يشد سرج الحصان على البقرة

(٣٠) مِنْ قلة الخيل شدوا عاالكلاب سروج · يضرب لمن يرتفع وهو ليس اهلاً للرفعة

(٣١) راكب بالسفينة وكاسر عين الملاَّح · يقال لمن يستعمل الوقاحة مع من انعم عليهِ وهو كالمثل المصري يأكل الهدية ويكسر الزبدية

(٣٢) على قدْر لحافك مدْ رجليك · يضرب في مقام الاقتصاد وهذا معروف في مصر

(٣٣) جت تكحلها عمتها · يذكر لمن اراد الاصلاح فافسد وهو من امثال مصر

(٣٤) ركبتك ورايي تحط ايدك بالخرج

(٣٥) الناسْ بالناسْ والقرعهْ تمشط الراسْ — يضرب لمن يتداخل في ما لا يعنيه

(٣٦) امشِ ويا العيّار لباب الدار · هو معروف في مصر

(٣٧) بعدما شاب ودوه الكتاب · هذا اشهر من ان يشرح

(٣٨) يبوقْ الكحلْ من العينْ · يبوق — يسرق · يضرب للص المحنك في السرقة

(٣٩) النعجة تتباهى بلية الخروف · لية — الية · تتباهى تفتخر · يضرب لمن يفتخر بشرف غيرهِ

(٤٠) في الوجه مراية وفي القفا سلاية · يضرب للمنافق ذي الوجهين يمدح بمشهد الرجل ويذم بمغيبهِ كقولهِ

الارب من تدعو صديقًا ولو ترى مقالتهُ بالغيب ساءك ما يفرى

فهذه اربعون مثلاً اخترناها من امثال العامة الذين في بغداد وهي من اشهر ما يضربونهُ وافصحهُ واقربهُ الى الموعظة والتذكرة

إقليمها

الحرُّ يشتدُّ صيفاً والبرد شتاءً ويبتدئُ فصل الشتاء بتشرين الثاني ويبقى الى نيسان . وفي شهر كانون الاول وكانون الثاني يشتد البرد وليس لهُ درجة معينة ينتهي اليها في اوقاتهِ المعلومة ولكنهُ يزداد وينقص ومعدل حرارة الشتاء (٢٣) من الميزان المئوي . ويبرد الشتاء فينزل ميزان الحرارة الى ٨ تحت الصفر في المدن و١٦ في الخلاء . وقد يهلك بهذا البرد حيوان وناس — وفي ليلة هلك ١٨٠٠٠٠ خروف لتاجر في البرية ويهلك نبات وشجر—فالباقلاء (الفول) يفسدها البرد اذا ثقل وفي بعض السنين يفسد الليمون والبرتقال . واول الفصل الصيفي ايار وآخرهُ تشرين الاول الذي يرق فيهِ دجلة ويعذب ويحلو . والعجم يحسدون العرب على ماء دجلة في هذا الشهر ومعدل حرارتهِ ٢٥ بميزان المئة ويتقد فيبلغ ٤٨ في الظل و ٦١ في الصحراء واشد ما يكون في آب حيث يقولون في امثالهم (آب اللهاب يحرق المسمار بالباب) وفي تموز فيقولون (تموز ينشف المَيْ بالكوز) وتتقد حمارة القيظ فتؤْذي الرضعاء والاطفال ويموت بعضهم . والحر والبرد جافان لا يضران كثيراً ويجد اهلها لذة للبرد ويتذمرون من الحر فانهُ يمنعهم عن كثير من اعمالهم اليومية . وقد يفاجئهم الحر في شتاء بعض السنين — فيكثر اذ ذاك النزلة والزكام — وقد يسبق الحر اوانهُ فيبلغ ٣٥ و ٣٦ وهذا قليل . وتهب الرياح الشرقية فتزيد الحرارة وتثير السحب والفلاحون يستبشرون بها وهي محبوبة في الشتاء ويكرهونها في الصيف لانها تزيد الحر وهي تأْتيهم من الجنوب الشرقي لا من الشرق وقد ينزل الثلج والبرَد وغالبهُ ينزل كالحمص وينزل كالبيض في سنين واتذكر اني كنت صغيراً فسقط في ليلة برد كالبيض ظننت انهُ صخر وحطم الاشجار وزجاج النوافذ واعترتني رجفة لشدة وقعهِ لا ازال اذكرها . وينزل الثلج كالقطن المندوف في سنين قليلة فيقل نتاج النخل ويهلك النبات والاهالي يستعدون للشتاء بالملابس الثقيلة واهل البادية يلبسون الفراء ويصطلون النار وفي الصيف يسكنون السراديب ويسبحون في دجلة ويحسنون السباحة ويعبرون النهر جماعات

وذكر ويلكوكس ما حاصلهُ ان اقصى الحرارة في ايام الربيع تختلف بين ٢ ، ٢٣ درجة

في تشرين الثاني الى ٤، ١٥ في كانون الثاني ثم ترتفع في نيسان فتبلغ ٧، ٢٨ وتهبط حرارة هواء الليل في كانون الثاني الى ٣، ٤ في بغداد . وفي بعض السنين تهب رياح شديدة تكسر الاشجار والنخل الباسقات التي قد يبلغ طول الواحدة منها ٨٠ قدماً وطول سعفتها ١٢ قدماً وتموج مياه دجلة فتنهار الرمال التي على شطوطها و يغلق الجسر . وتهب الرياح الغربية فتنعش النفوس بانفاسها العليلة ومجراها الهادىء — وتكون في الشتاء صرصراً فلا تحملها النفوس . وهواء بغداد جاف فيه رطوبة قليلة واقل ما تكون في كانون الاول حيث يحوي ميزان الرطوبة من الماء (٩، ٥) مليمترات . ويعلو الضغط الجوي في هذا الشهر فيكون متوسطهُ ٧٦٨ متراً وينخفض قليلاً في كانون وشباط ويهبط سريعاً فيكون ٧٥٣ في تموز ويرتفع تدريجاً في آب و يصعد سريعاً الى كانون الاول ما بين الهلالين . عن ويلكوكس

تواريخها

نختم بحثنا في بغداد بكلمة صغيرة عن الكتب التي الفت في تاريخها . فاهمها واشهرها . تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهلها ووارديها تأليف الامام الحافظ ابي بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ وهذا الكتاب لم يطبع بعد وفي دار الكتب السلطانية منهُ مجلدان وفي الازهر المجلد الرابع والخامس والسادس والسابع وقطعة من الجزء الثامن فلو ضمت الى ما في دار الكتب السلطانية لكان احسن . ومنهُ في باريس ولندن نسختان تامتان وفي الجزائر نسخة اخرى . وفي ليدن ثلاثة اجزاء . وفي الاستانة نسخة في كتبخانة داماد ابرهيم باشا واخرى في الكتبخانة العمومية وفي كتبخانة الفاتح والكوبرلي وابرهيم باشا وعاشر افندي . ومنهُ نسخة في برلين كانت وقفاً في المدرسة المستنصرية . ونسخة تامة في بغداد في مكتبة السيد عبد الرحمن نقيب الاشراف ومنهُ اجزاء كثيرة في سائر البلاد الشرقية والغربية . واقدم تاريخ وضع لبغداد تاريخ ابي الفضل احمد بن ابي طاهر بن طيفور البغدادي . عثر الدكتور كيلر الالماني على الجزء السادس منهُ في لندن فنشرهُ مع ترجمة المانية وطبع في ليبسك على الحجر سنة ١٩٠٨ . ومن التواريخ ذيل تاريخ بغداد لابي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني في خمسة عشر مجلداً لا أدري اين يوجد ذكرهُ صاحب كشف الظنون وتوفي السمعاني سنة ٥٦٢ . ومنها السيل على الذيل لابي عبد الله محمد

بن محمد بن حامد الكاتب الوزير المتوفى ٥٩٧ . وذيل ابي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي المتوفى ٦٣٧ . ومنها صلة الذيل لابن القطيعي المتوفى ٦٤٠ . ومنها ذيل تاريخ بغداد لمحب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى ٦٤٣ في ثلاثين مجلداً (كذا ذكر في كشف الظنون) والكتاب لهُ مختصر في ثماني كراسات لكل جلد كراسة ومنهُ في دار الكتب السلطانية نسخة نفيسة بخط المؤلف سماها . «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» . وهي للحافظ احمد بن ايبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي المتوفي ٧٤٩ انتقاها من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار المتقدم . وفي مكتبة مرجان ببغداد مجلد من الاصل . ومنها تاريخ ابن الخطيب المسمى بالدر المنتخب في مجلدين وهو موجود في حلب الشهباء — ومنها تاريخ مدينة السلام لمحب الدين البغدادي في الكتبخانة العمومية بدمشق الشام . وكتاب بغداد لاحمد بن ابي طاهر ابي الفضل المروزي كذا ذكرهُ في معجم الادباء (١—١٥٢) وسماهُ المسعودي كتاب اخبار بغداد ونقل عنهُ في تاريخه مروج الذهب . ومنها تاريخ بغداد لابي هلال الصابي ذكرهُ في كشف الظنون . ومنها البيان في اخبار بغداد لاحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب . ومنها روضة الاديب في ٢٧ مجلداً لظهير الدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧ . هذه بعض كتب المتقدمين واما كتب المتأخرين فمنها اخبار بغداد وما جاورها من البلاد في اربعة مجلدات للسيد محمود شكري الالوسي وهو لم يطبع بعد . ومنها حضارة الاسلام في دار السلام للمدور . ومنها الاسلام في عصر خلفاء دار السلام وضعهُ بالانكليزية ر . د اسبورن

ومنها تاريخ بغداد في عصر العباسيين وضعهُ بالانكليزية ايضاً العلامة جي لسترانج . ومنها تاريخ ولاية بغداد وضعهُ بالافرنسية حبيب افندي شيحا . ومنها حديقة الزوراء لابي الخير عبد الرحمن بن عبد الله السويدي في ثلاثة مجلدات . ومنها تاريخ بغداد في الازمنة المتأخرة للمستشرق كليمان هوار . ومنها تقرير القائد جونس فليكس وضعهُ بالانكليزية وطبع في بمبي سنة ١٨٥٧ . ومنها غير هذا من التواريخ الكثيرة القديمة والحديثة لا يسعنا الآن ان نخوض في ذكرها

القاهرة محمد الهاشمي البغدادي

في بادية الشام

(٤)

(طعام البادية) لا يزال البدو مقتصرين — كما ذكر ابن خلدون — على الضروري من الاقوات والملابس وسائر الاحوال والعوائد ومقصرين عما فوق ذلك من حاجيّ او كماليّ و يتناولون اقواتهم بعلاج او بغير علاج البتة الأ ما مسّهُ النار وذلك لاضطرار البدويّ الى التنقل في كل حين فاختار بحكم معيشتهِ الايسر تناولاً فتأنّق الحضارة امر لم يعرفهُ البدويّ فانهُ اذا اقام اياماً في منزلٍ واكل العصيدة عد ذلك من النعيم . وهذه العصيدة عبارة عن اللبن الحليب يغلى فيذرون عليهِ الدقيق تارة او يضعون فيهِ البُرَّ الجريش « البرغل » وقليلاً من الدهن و يقال لها حينئذٍ الجريشة . واذا ضيّف رجلاً عزيزاً ذبح لهُ نعجة او خروفاً ودعا اكراماً للضيف كثيراً من البدو لمؤاكلتهِ فكنا نفرح اذا ما حل بنا ضيف لنصيب حظنا من لحم لا نذوقهُ في البادية الأ قليلاً . اما في الاعياد والافراح فيذبحون الابل الكوماء لان لحم البعير عند البدوي سيد اللحم كلهِ .وكان بريكان الصليبي اذا اراد ان ينعّمني بطعام العشاء طبخ الارز و يسمونهُ التمّن و بعد ان ينضج باوساخهِ يضعهُ في باطية و يحفر في اوسطهِ حفرة يضع بها الزبدة التي تذوب بحرارة الطعام فتلبك الارز بالزبدة ونزدرهُ ازدراداً

وكان شاهر الحريشة الصخري يذيب السمن و يأتينا بهِ بمقلاتهِ فنغمس فيهِ خبز الصاج الفطير وقد يمزج لنا السمن بمحلب الاقط[1] وبقينا هكذا اياماً لا نغتذي الأ بالخبز والسمن وقد ورث البدو هذه الاكلة النفيسة عن اسلافهم في الجاهلية الذين كانوا يسمونها الترويل فقد نقل الثعالبي عن ابن الاعرابي قولهُ : « فاذا دلكت الخبز بالسمن فهو الترويل » ولا يزالون على آثار آبائهم الاولين في صنع خبز الملة وذلك بان يلتّوا الدقيق بالماء و يعجنوهُ عجناً خفيفاً ثم يحتطبوا و يوقدوا فيفرشوا الجمر و يطرحوا عليهِ الرغيف الثخين ثم يغطوهُ بما بقي من النار فاذا نضج الرغيف تقاسموهُ . واكثر ما يصنع خبز الملة في السفر واما في الاقامة فيأكلون خبز الصاج وفي كلتا الحالتين لا يذوقون الخبز الخمير لانهُ من الرفاهية التي حرم منها البدويّ

(١) الاقط و يقال لهُ اليوم المقط وقد شاهدتهم يصنعونهُ من اللبن الحامض و يتخذون من جبنهِ اقراصاً صغيرة يجففونها في الشمس ليدّخروها مؤونة لهم في الاسفار

فاذا ما ظفر بها شكر الله على تلك النعمة كثيراً . وقد كان سلف هؤلاء البدو الصالح يعد الخبز الخمير من فاخر القرى فما رواهُ لنا عبدالله بن مصعب قال :

وقف معاوية على امرأةٍ من بني كنانة فقال لها « هل من قِرى » قالت نعم قال « وما قراكِ » ؟ قالت : « عندي خبز خمير ولبن قطير وماء نمير » . وفي حديث ابي ذر رضي الله عنهُ : « الحمد لله الذي اطعمنا الخمير وسقانا النمير »

وسيد طعام القرى البدوية كدومة الجندل (الجوف) وسكاكة الدفينةُ وهو الثريد الذي كان العرب قديماً اذا ارادوا ان يفضلوا رجلاً قالوا : فضل فلانٍ على سائر قومهِ كفضل الثريد على سائر الطعام . وتعد الدفينة من بذخ العمران البدوي وقد اكلتها في دومة الجندل مراراً فالفيتها لذيذة شهية ولا تصنع الاَّ في الولائم اوقرى لضيف كريم . وطريقتهم في عملها ان ينضّدوا في طشت كبير (منسف) من رقائق الخبز نضداً يكفي المدعوّين ثم يغطون هذا النضد بطبقة من الارز ثم يأتون بالذبيحة ناضجة فيسقون بمرقها الثريد ويكوّمون اللحم فوقهُ تكويماً

والصابون الذي نعدهُ من مرافق العمران لا يوجد في البادية الاَّ نادراً فما كان صابوننا بعد الطعام الاَّ ان نمسح اكفنا من الدهن الكثيف بطرف الشقة من بيت الشعر . وما استغنى البدوي عن الصابون الاَّ اقتصاداً في الماء القليل في البادية كاستغناء الشارع بالتيمم عن الوضوء . وهم انما يدّخرون الماء للطبخ او اطفاء للعطش اللاذع كما يعبرون ولم ارَ بدوياً يمسح يديهِ بلحيتهِ بعد الطعام وان كنا نسمع في بلاد الشام ان « صابون العرب لحاها »

لا ينزل قِدرهم عن اثافي الموقد ويصبّ الطعام في الجفان الاَّ ويحدق بها البدو احداق الخوارج بابي نعامة يلعقونهُ وهو يكاد لشدة حرارتهِ يفور . فكنت ورفيقي نطلي جدار الجفنة بالطعام تبريداً لهُ فيستطاع نوعاً ما اكلهُ . وكثيراً ما كنا ننزع من طعامهم يدينا بسرعة ونحرك في الهواء اصابعنا ملذوعةً مستعيذين بالله من النار والطعام الحار ولذلك كنا ابطأ القوم اكلاً ولم نكن باعجلهم . . . وقلما قمت عن الجفنة الاَّ جائعاً لان يدي ما كانت لتصل باللقمة الى فمي مرةً الاَّ وتكون يد البدوي قد وصلت كما يشهد الله عشراً . فالضرورة وحدها هي التي كانت تجعلني عاملاً بالحديث الذي اخرجهُ الترمذي عن المقدام بن معديكرب : « ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطن » وهي التي كانت تدعوني لأَ تمثل بقول حاتم :



صورة الكتابة والكاس والطاووس وسلة العنب الخ

مقتطف اكتوبر ١٩١٧

امام الصفحة ٣٣٢

فاني لاستحيي اكيلي ان يرى   مكان يدي من جانب الزاد اقرعا
اكف يدي من ان تمس اكفهم   اذا نحن اهوينا وحاجتنا معا

ولهذا كان اهل الذوق من الاعراب يلاحظون ما يصيبنا من الغبن الفاحش بمشاركتنا اياهم في الاكل اذ « سباق المذكيات غلاب » فيضعون بصحفة لنأكل على حدة ونشبع على رسلنا . ولله ما اصدق ذلك البدوي الذي قيل لهُ : ما اسم المرق عندكم قال السخين . قيل فاذا برد قال لا ندعهُ حتى يبرد

وقبل ان ندرك الجوف اصطاد بعض صحابتنا حيوانًا صغيرًا ابيض البطن رمادي الظهر يداهُ اقصر من رجليهِ خلتهُ فأرة برية فسألتهم عن اسمهِ فقالوا جربوع فعلمت انهُ المراد من قول سادتنا النحاة في باب البدل : « خلق الله اليربوع يديهِ اقصر من رجليهِ » اذ ما اليربوع في الواقع الاَّ الكنغرو بصورة مصغرة . ثم امرع الصائد وشواهُ وتقاسمهُ وصحبهُ وازدردوهُ سريعًا كما يزدرد الحضري الفالوذج . وعثر بدوي آخر على اثر قنفذ فاقتفرهُ وعاد بعد هنيهة بصيدهِ وكانهُ آب بجوف الفرا فاضرم النار ورماهُ بها حيًّا ولما تمكن من القبض على عنقهِ المنقبض حذرَ النار ذبحهُ واكلهُ ورفاقهُ بعد تمام نضجهِ بجشع غريب ولقد باركت لهم ورفيقي بحصتينا من القنفذ واليربوع

ورأى عرب السرحان في رائعة النهار وقبل ان نصل الهزيم ضبعًا طاردوها بخيلهم والفرس اسرع من الضبع فادركوها واصموها رميًا بالرصاص وذبحوها واولموا تلك الليلة بها ويزعمون ان لحمها علاج من الحمى . وللبدو غرام بأكل الجراد ولعلهُ حل اكلهُ توسلاً لابادتهِ على ان لهُ في السنة المجدبة نفعًا في البادية جزيلاً

ولهذا اجاب النبي (ص) من سألهُ عن الجراد فقال : اكثر جنود الله لا آكلهُ ولا احلهُ » . وفي رواية رزين عن جابر دعا النبي (ص) على الجراد فقال : اللهم اهلك الجراد اقتل كبارهُ واهلك صغارهُ واقطع دابرهُ وخذ بافواهها عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء » . وعلى كلٍّ فاني اعلل اكلهُ بما علل بهِ الجهبذ البارع السيد احمد زكي اكل الضفادع في رحلتهِ « الدنيا في باريس » فاقول ان اكلهُ ليس بشرٍّ من ابي جلبو والمفتقة وام الخلول والعلجوم ولو اعتادهُ المرسيليون لاتخذوا منهُ طعامًا نظير « البو يابيز »

ذكر الامام الجاحظ في المحاسن والاضداد قال حدثنا بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي : من اين اقبلت ؟ قال من هذه البادية قال واين تسكن منها . قال مساقط الحمى

حمَّى ضرية ما إن لعمر الله ار يد بها بدلاً ولا ابتغي عنها حولاً حفتها الفلوات فلا يلوح ماؤُها ولا تحمى تربتها ليس فيها اذى ولا قذى ولا وعك ولا موم (البرسام) ونحن بأرفه عيش واوسع معيشة واسبغ نعمة . قلت مم طعامكم قال بخ بخ الهبيد (الحنظل) والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما اكلنا والله القِدّ واشتوينا الجلد فلا نعلم احداً اخصب منا عيشاً فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة !

(ميقوع) بعد ان رويت ركائبنا من قليب الجرادي امتطيناها وسارت بنا فوق الرمال وبين الشرق والشمال وبعد سير نحو ساعتين رأينا عن بعدٍ خيالاً ظنهُ الركب عدوًّا من شمر غازيًا وكان قد فارقنا من الركب بدويان يقصدان ماء ميقوع وقد تركناهُ على ايماننا وكان عرب من بني سليمان نازلين عليهِ وبعد ساعةٍ عاد البدويان يخبّان على راحلتيهما خوفًا من ذلك الركب الشمريّ وحينئذٍ ايقنا بالشر فهر بنا مياسرين (الى اليسار) وصرنا نتوارى عن العدو بالهضاب وما منا الا من عبَّأ بندقيتهُ كما عبَّأت مسدسي وقد شددتُ للموت الحيازيم وانا ادعو الله الأ يظفر بي اظفار الاعداء وان يكفيني مخاشيَ اللأواء واظن ان الله استجاب لي الدعاء فاعمى عين الغازين عنا ونجانا برحمتهِ جميعًا

وميقوع لم يرد بهذا اللفظ في معجم البلدان وانما ورد موقوع قال هو ماء بناحية البصرة قتل بهِ ابو سعيد المثنى الخارجي العبدي . فان كان مصحفًا عن موقوع وهو غير بعيد عرفنا ان في جزيرة العرب ماء غير واحد باسم موقوع . وهذا الماء على بعد مرحلتين من دومة الجندل ونحو ساعتين من ماء الجراوي شرقًا

(العبد) وما زلنا نطوي البيد ونواصل السير بالسرى حتى لاح لنا من بعيد جبل شاهق في البيداء قاتم اللون يقال لهُ العبد بينهُ وبين الجوف نحو فرسخ وحينما بلغناهُ الفينا بجانبهِ عدة قُلُبٍ في وهدة يحدق بها روابي من الصَّفاح الصلصالي ووجدنا الحنظل نابتًا في هذه الوهدة . وبعد ان شربنا ركبنا وخبّت بنا المطايا سيما بعد ان شاهدت خضرة النخيل وشعرت بانها على مقربةٍ من الماء النمير والعلف الوفير والظل الظليل واما انا فقد شعرت بما يشعر بهِ ركب السفينة السادرة في تيه البحار اذا ظهرت لهم الجزيرة واطمأَن فؤَادي بابتعادي عن اشراك الاتراك . ولما دنونا من دومة الجندل وجدتها في غور من الارض يحدق بها الهضاب والآكام فعلمت سبب تسمية البدو لها اليوم بالجوف وشاهدت في مدخلها الغربي انقاض سور كان بالصفاح مشيداً وما زلنا نلج في نخيل الجوف ونشاهد بيوت الشرارات الشعرية حتى بلغنا البيوت الحجرية فلم نُنخ المطايا لوصولنا بعد الغروب في قصر الامير وانخناها في مخيم طائفة من

عقيل نجد جاءت الى الجوف من الشام لاشتراء جمال للحكومة التركية · وقد رحبوا لعمر الحق بنا ترحيباً حسناً واتونا قرب صلاة العشاء بالقرى فطعمنا ونمنا وفي الصباح اتانا عبد من عبيد الامير نواف الشعلان يدعونا للضيافة في قصر الامارة فلبينا الدعوة واخذنا اولاً الى دارهِ واكرمنا بالتمر الطيب والسمن الشذي وعلمنا منهُ ان الامير ذهب الى بلدة يقال لها سكاكة وان لهُ نائباً يقال لهُ عامر · و بعد ان استرحنا في منزلهِ قليلاً سار بنا الى قصر الامارة الذي كنا نسمع ونحن بالبادية من البدو بانهُ يحاكي بفخامتهِ قصور الشام او انهُ القصر الذي خلعت عليهِ جمالها الايام · دخلنا من بوابتهِ فشاهدنا مدفعين من الطراز العتيق يقال لاحدهما المنصور غنمهُ الامير نواف من ابن الرشيد حين اكتساحهِ الجوف منهُ ثم صعدنا على درج مؤلف من نحو ثلاثين درجة ودخلنا مجلس الامير الخاص فقابلنا نائبهُ عامر وهو رجل طويل القامة اسمر اللون متقلد سيفاً مفضضاً وبعد ان حيّانا ومن مجلسهِ ادنانا امر بطعام لخصر التمر والسمن والبيض المقلي" الذي لم نذقهُ منذ فارقنا الشام فاكلنا وقضينا من الطعام الوطر وغسلنا ولله الحمد يدينا بالصابون النابلسي" المطيّب · ثم شربنا القهوة البدوية وسألنا عامر عن امرنا ومقصدنا فقلنا لهُ انّا من طلبة العلم الشريف واهل الشام · وانما فررنا من جنديةٍ لا نطيقها لانا من حملة الاقلام وانصار السلام · فرحّب بنا ووعدنا بمقدم الامير نواف خيراً

(الشرارات) قبيلة كبيرة مبعثرة في بادية الشام لم اجد احداً من المؤرخين المتقدمين ذكرها بهذا الاسم واما المحدثون منهم فقد اختلفوا اختلاف تشريق وتغريب فذهب الامير شكيب ارسلان في بحث «اكتناء عرب الشام» الى انهم من بني كلب لان نخوتهم بنو مكلب ولان التاريخ قد ذكر نزول كلب باطراف البلقاء من الشام · وذهب صاحب الرحلة الحجازية الى انهم نخذ من عبس التي كان لها في الجاهلية ذلك الجاه المنيع وكانت الى القرن الثامن الهجري قوية فاعتدت على جاراتها فنقم العرب عليها واوقعوا بها فشتت شملها الى اليمن وغيرهِ ومن ثم ضعف امرها وهي التي انجبت مثل عنترة وعروة بن الورد ويصدق عليهم في تشتتهم قول العرب : في كل واد اثر من ثعلبة · وعدهم المؤرخ البحاثة نعوم شقير في تاريخ سينا من قبائل هتيم وذكر انهم كثيراً ما يأبون دفع «الخاوة» لحماستهم وقال : «ولا يبعد ان يكون هتيم من سكان جزيرة العرب الاصليين الذين غلبوا على امرهم ولم يمكنهم المحافظة على كرامتهم بين العربان فعاشوا معهم على صغار ومن امثال اهل سينا في هتيم «الهتيمي كثير ناسه قليل باسه» ويريد بالاصليين العرب البائدة كعاد وطسم وثمود وجديس

اقول والله اعلم بحقيقتهم ان الشرارات ولا ريب من قبيلة كانت مجيدة يدل على ذلك منهم اليوم ما امتازوا بهِ من الكرم على فقرهم فقد سمعت من كثير من القبائل التي تحتقرهم بانَّ الشراري اذا ضافهُ ضيف ولم يجد ما يقريه بهِ غير ناقتهِ الوحيدة قد يذبحها اكراماً لضيفهِ ولا يبالي. وعرف الشراري في البادية بأنهُ سريع النجدة منيع الحمى شجاع يستقتل دون ان ينهب ناقتهُ الغازون . كما انهُ قد عرف في بادية الشام بذرابة لسانهِ وسرعة جوابهِ وقوة شاعريتهِ البدوية وانهُ يضارع الصليبي بقوة دلالتهِ وكونهِ أهدى بطرق جزيرة العرب ومسالكها من القطا

« للرحلة بقية » عز الدين آل علم الدين

صفحة من تاريخ التجارة المصرية

التنازع والتخاصم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند

(تابع ما قبلهُ)

وعلى ذلك اقول فيما يختص بموضوعنا ان الحروب الصليبية قد جعلت لكثير من الامم الاوربية ممالك صغيرة خاصة بهم في ارض الشام . وقد استفادت اوربا من تشييد هذه الممالك على ابواب آسيا لاستجلاب بضائع الشرق وتجارات الهند اليها مباشرة . استفحل امر هؤلاء الصليبيين في بعض الاوقات حتى « ازعجوا دمشق عن مستقرها وقرروا عليها رسوماً فرضوها على بيت المال وعلى ارباب الاملاك والتجار وحتى دبَّ دبيبهم الى مصر نفسها وارادوا انتزاعها في اواخر الدولة الفاطمية ثم اكتفوا بتقرير القطائع على خزينتها ورتبوا الشحانى (اي الاعوان) لجباية المكوس والاعشار من القاهرة والفسطاط[١] » وحتى اوشكوا على امتلاك ناصية البحر الاحمر بالقبض على طريق الحجاز باحتلال الكرك[٢] وبمحاولة وضع اقدامهم في الطور والعقبة بشبه جزيرة سينا[٣]

(١) راجع مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (٢) انظر ما تقدم ايرادهُ من كلام ابن جبير

(٣) ذكر ابن فضل الله في « التعريف بالمصطلح الشريف » ان الافرنج كانوا قد عملوا في الكرك مراكب ونقلوها الى بحر القلزم بقصد الحجاز الشريف لامور سولتها لهم انفسهم فتصدت لهم العزائم الصلاحية والهمم العادلية فاخذوا وامر بهم السلطان صلاح الدين فحملوا الى منى ونحروا بها على جمرة العقبة كما تنحر البدن بها واستمرت بايدي المسلمين من يومئذٍ

تفطن ملوك الشرق الادنى لهذه المضار فهبوا من سباتهم وتنبهوا للقيام على مرافق بلادهم . ومع ما كانوا فيه من التخاذل والتدابر والتشاحن والتطاحن فقد رأوا ان المصلحة تقضي عليهم بانضمام الكلمة وجمع الشمل — ولو الى حين ! بهذه المثابة تأتي لاسد الدين ونور الدين وصلاح الدين ونجم الدين ثم للسلطانة شجر الدر فالظاهر بيبرس فالمنصور قلاوون تطهير ارض الشام ومصر من اولئك المغاوير المغيرين . ولكن اوربا بقيت لها عكاء وهي كل الصيد في جوف الفرا . فكانت مربط الفرس ونقطة الاتصال ومحور الحركة ومركز العمل وميدان كل امل ، ولاسيما انها هي التي كانت تصدر عنها كل التجارات الشرقية الى ما وراء البحر . حينئذٍ تكفل الاشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) بازالة هذه البقية الباقية من ملك الافرنج في بلاد الشام . فكان بها تمام الفتوح وعادت كل الثغور الى اصحابها تحت قبضة الجالس على عرش مصر . وطالما حاول البابوات اعادة الكرة على سلطان مصر وتجديد الحروب الصليبية في شكل تجاري لاضعاف مصر حتى يتمكنوا بذلك من استرجاع ما فقدوهُ في الشام من الممالك[1] لكن التجارة نفسها حالت بينهم وبين ما يشتهون فان مكاسبها ومغانمها حملت الدول التجارية الاوربية على الاخلاد الى السكينة ومقابلة القضاء بالرضاء في نظير تبادل الاخذ والعطاء

اصبحت ازمة تجارات المشرق كلها بيد مصر واهلها . فلم يكن بدٌّ للامم التجارية المتوطنة على ضفاف البحر الابيض المتوسط شمالاً وغرباً من الاذعان لاسواق الاسكندرية ودمياط وبيروت . فكان البنادقة والجنويون والقيطلان (Catalans) يتهافتون عليها اذ لم يكن لهم سبيل سواها للحصول على بضائع المشرق لاسيما الفلفل وتوابل الهند التي اشتد ولع القوم في اوربا بها بحيث اصبحوا وهم لا غناء لهم عنها

فكان سلاطين مصر وتجارها يربحون من هذه التجارة ارباحاً طائلة وانهالت على مصر والشام مغانم ومكاسب فوق كل تقدير وحسبان . ولا بدع ان صارت القاهرة مخزناً عاماً لجميع تجارات آسيا واوربا تمتد معاملاتها من جبل طارق الى اقاصي الهند . ولذلك كان الافرنج كلهم في ذلك العهد لا يسمونها الا بالقاهرة العظمى Le Grand Caire

بقي الحال على هذا المنوال زهاء قرنين من الزمان او بالتحقيق منذ فتح عكاء سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) الى انقراض دولة المماليك البرجية في سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) حينما

(١) بل ان شارل الثامن ملك فرنسا المعروف بالبشوش كان في عزمهِ تجهيز اسطول كبير للاستيلاء على فلسطين واسترجاع الاراضي المقدسة (عن المقتطف في ابريل سنة ١٩١٧)

فقدت مصر استقلالها وخسرت مكانتها السياسية في العالم الاسلامي بعد ان ضاع مركزها التجاري على اثر اكتشاف البرتقال لرأس الرجاء الصالح وهكذا كانت « مصائب قوم عند قوم فوائد »

ذلك الحادث الجلل يدعوني الى شيء من البيان اذ لم يتعرض لشرحهِ الى الآن احد من اهل مصر ولا من الناطقين بالضاد . فلاغتنمن اليوم هذه الفرصة الثمينة لاحاطة اهل البيت علماً بما كان يجب ان يكونوا ادرى الناس بهِ ولا ينبئكم مثل خبير

في تلك الحقبة التي اخترتها موضوعاً للكلام اي من سنة ٨٩٨ الى سنة ٩٢٣ هـ (١٤٩٣ — ١٥١٧ م) كان العثمانيون يطمحون الى الاستيلاء على مصر بعد ان انتزعوا كثيراً من مستعمرات البنادقة في الارخبيل اليوناني وفي بحر مرمرة وكان ملك البرتقال قد وطّن نيتهُ وصحت عزيمتهُ على انتزاع السيادة التجارية من مصر وتحويل بضائع الهند وثمراتهِ الى لشبونة حتى لا تكون اوربا كلها تحت رحمة الجالس على عرش النيل . لذلك اخذ الملك يوحنا الثاني يسعى اولاً في توسيع مملكتهِ المتدانية الاطراف بالفتح والاستعمار واكتشاف ما وراء البحار

فكان من الطبيعي ان اتحاد المصلحة السياسية والتجارية يزيد في ارتباط السلطان الغوري مع جمهورية البنادقة لدفع هذه الغائلة المزدوجة التي كانت تهدد كلاًّ منهما بسوء المنقلب ووخيم العاقبة . وهو ما حصل فعلاً . وانَّى لحذر أن يمنع من قدر !

وقبل ان استرسل في شرح هذه المحالفة والافاضة فيما تقدمها من الحوادث وما أعقبها من الخطوب أرى من الواجب ان استطرد بالكلام الى ذكر مملكة اسبانيا بعد تجدد شبابها وتوحد كلمتها وارتفاع شأنها وشيوع صيتها في الآفاق . فلقد كانت هي ايضاً في تلك الحقبة التاريخية تجول في خواطر ابنائها الآمال الكبار ويحلمون بامتلاك ازمة السياسة ونواصي التجارة في العالم . لذلك نراهم ينافسون جيرانهم البرتقاليين في اكتشاف ما وراء البحار ويسابقونهم في استعمار الممالك واستعباد الامصار

افرأيتم كيف كانت مصرنا المحبوبة في ذلك الاوان واقعة بين براثن ثلاثة خصوم : الترك والاسبان والبرتقال

نترك الترك جانباً لانهم كانوا انما يتطلبون الزعامة الدينية والسيادة السياسية فقط . وقد فطرني الله ايها السادة على كراهة السياسة وكره الساسة (من حيث كونهم ساسة ليس الاَّ)

فلننظر الى ما يعنينا بصفتنا مصريين من شؤون الاسبان والبرتقال فقد كان كل منهما يتحرش ببلادنا لانتزاع مكانتها التجارية

نظر الاوربيون فرأوا انفسهم منذ فتح عكاء يؤدون لمصر جزية كبيرة وإتاوة باهظة في شكل عمولة وسمسرة . فاعملوا فكرتهم واخذوا اهبتهم للحلول محل مصر في التجارة العالمية الاممية لتتوفر عليهم تلك المغارم الفادحة ولتتوافر لهم تلك الارباح الطائلة

اخذ اهل الرأي في التفكير واقبل ارباب العزيمة على التدبير الى ان تجلت امامهم نظريتان لحل هذا المشكل العويص : احداها الامعان في المحيط الاطلنطي غرباً للانتهاء الى بلاد الهند من جهة الشرق . وثانيتهما الطواف حول افريقيا للوصول الى الهند بطريق البحر مباشرة

اختمرت هاتان الفكرتان في جنوه اولاً ثم في لشبونة وتحدث الناس بشأنهما في كلٍّ من القطرين المتجاورين (اسبانيا والبرتقال) اللذين كانت تتألف منهما بالامس الخلافة الاموية المجيدة في ربوع الاندلس الزاهرة

فاما النظرية الاولى — الامعان في المحيط الاطلنطي غرباً — فان اول من توهمها . . . . . من الاوربيين . . . . هو رجل من سكان جنوه . اقول « من الاوربيين » عمداً وقصداً مع الترصد والتربص وسبق الاصرار . لانني سأثبت لكم ان المسلمين في الاندلس وفي مصر قد كان لهم فضل السبق الى التفكير في هذه النظرية بل الى محاولة تحقيقها فعلاً وابرازها الى عالم الوجود

أنا ارى من اخص واجباتي بل من اجلها بل من اقدسها ان اغتنم هذه الفرصة السعيدة في هذا اليوم المشهود لاماطة حجاب النسيان الذي اسدلتهُ مظالم الانسان والايام على مفخرة من مآثر العرب الكرام وعلى ما كان لهم في هذا الباب من نظر بعيد ثاقب ومن اقدام جميل محمود ، وان كانوا لم يفوزوا بما هم اهل لهُ من تكليل عمائمهم في هذا المسعى بتاج النجاح

الاوربيون يعلموننا ان كرستوف كولومب من اهل جنوة هو اول رجل خطر على بالهِ امكان الوصول الى الهند عن طريق المحيط الاطلنطي غرباً بدلاً من الطريق المعتادة المسلوكة من جهة الشرق في البحر الابيض المتوسط ومصر والبحر الاحمر ثم بحر اليمن . وانهُ ذهب الى لشبونة وعرض مشروعهُ على يوحنا الثاني . ولكن كان من سوء حظ هذا الملك انهُ لم يستمع لهُ وان اهل حاشيتهِ وبطانتهِ اجمعوا على ان الجنوي مجنون او مفتون وحكموا عليهِ بانهُ على الاقل مغرّر مغرور . هكذا نصيب السواد الاعظم من ارباب العقول

الكبار ! ولذلك برح الرجل لشبونة غضبان آسفاً وولّى وجههُ شطر اسبانيا مع جنونهِ الذي يقولون وافرغ كل ما في وسعهِ من المساعي حتى اصغى اليهِ ملكاها فرديننـد وايزابلا الكاثوليكيان . فكان من امرهِ معهما ما كان وتم لهُ اكتشاف الدنيا الجديدة التي سماها الناس كلهم في ذلك الوقت « الهنود المغربية »(١) (Indes Occidentales) . لان كولومب انما كان يقصد الوصول الى الهنـد فلما انتهى الى بلاد لم يكن يتخيلها سماها بهذا الاسم واكتفى بها عن الهند المطلوبة . بذلك الاكتشاف اندفعت مرامي الاسبان عن مصر من الوجهة التجارية إذ كان للقوم في ملكهم الجديد الفخيم الطويل العريض ما يغنيهم عن الشرق وما فيهِ

هذا من حيث مصر ومركزها التجاري مع اسبانيا . اما عن الفكرة الاساسية التي ادّت الى اكتشاف امريكا فاقول :

ليت شعري ! هل خطر على قلب كولومب وهو واقف في لشبونة يرسل نظراتهِ ويبعث آمالهُ الى ما وراء هذه الامواج المتلاطمة كالجبال في المحيط الاطلنطي، ليت شعري ! أَكان يدري ام لا يدري ان العرب الاندلسيين قد سبقوهُ الى موقفهِ هذا في لشبونة هذه الى ما هو اسمى من غايتهِ وابعد من مطالبهِ

نعم ليت شعري ! هل جاءهُ نبأٌ بما كان من المسلمين من اهل لشبونة المعروفين باسم « المغررين » الذين فكّروا قبلهُ بكثير من السنين في ركوب بحر الظلمات واقتحامهِ ليعرفوا ما فيهِ من الاخبار والعجائب و يقفوا على نهايتهِ ؟

ليت شعري هل بلغهُ بالذات او بالواسطة ان ثمانية من اولاد العم المسلمين اعتمدوا على انفسهم فانشأُوا مركباً حمّالاً وادخلوا فيهِ من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ثم دخلوا البحر في اول طاروس الريح الشرقية (اعني هبوبها لتدفع بسفينتهم في طريقها حتى مغرب الشمس) وانهم جروا بمركبهم نحواً من احد عشر يوماً الى آخر ما ذكرهُ عنهم الشريف الادريسي في كتابهِ الشهير « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ؟

ليت شعري ! هل علم كولومب وهو في لشبونة ان في لشبونة درباً في موضع قريب من الحمّة يسمى بدرب المغررين تخليداً لذكرى سابقيهِ « المجنونين المفتونين المغرورين

(١) و بذلك الاسم وردت في كتب العرب المصنفة في القرن الحادي عشر للهجرة (انظر مقدمة كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالبارود والمدافع) من ضمن الكتب التي نقلتها بالفتوغرافية وهو بدار الكتب السلطانية

المغررين» ؟ اولئك الذين تقدموهُ الى السعي في ارتياد بحر الظلمات لاكتشاف الدنيا الجديدة التي وفقهُ الله الى النزول عليها بطريق الصدفة والاتفاق لا بطريق التحقيق واليقين لانهُ هو انما كان يقصد بلاد الهند من جهة الغرب ولا شيء غير ذلك

هذا من جهة التنفيذ ومن الوجهة العملية

اما من حيث النظرية نفسها فاقول :

ليت شعري ! هل دري كرستوف كولومب بان عالماً من علماء القاهرة في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قد سبقهُ اليها

مالي وللتساؤل فاليكم ما رواهُ ابن فضل الله العمري في موسوعاتهِ الحافلة الموسومة بـ « مسالك الابصار في ممالك الامصار » . فقد اورد في الجزء الاول منها (ص ٣١) ما نصهُ :

« قال شيخنا فريد الدهر ابو الثناء محمود بن ابي القاسم الاصفهاني امتع الله بهِ !

« لا امنعُ ان يكون ما انكشف عنهُ الماء من الارض من جهتنا منكشفاً مثلهُ من الجهة الاخرى . واذا لم امنع ان يكون منكشفاً من تلك الجهة لا امنعُ ان يكون بهِ من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا او من انواع واجناس اخرى »

أفلا يرى اهل العدل والانصاف من جميع الطبقات والاصناف ان للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كرستوف كولومب (وهو بالاندلس) لانهُ قال بهذه النظرية قبلهُ بقرن ونصف قرن ؟ وللاصفهاني فضلٌ اكبر على مكتشف امريكا لانهُ تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . واما كولومب فانما توهم وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي ابو الثناء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . واما كولومب فقد اجتهد في اقناع فرديننند وايزابلا صاحبي الاندلس بصدق نظريتهِ في سنة ١٤٩٢ (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ)

***

الآن وقد قمت بواجبي من نشر صفحة مطوية فيها مفخرة من مآثر العرب فيما لهُ علاقة بموضوعي في هذا اليوم ، فلأتركن اسبانيا وكولومبها جانباً لان اكتشاف اميركا وما اعقبهُ من عظمة اسبانيا التجارية لم يكن من شأنهما مزاحمة مصر في مركزها ولا في مزاياها

فلم يبق معي من خصوم مصر في تلك الحقبة سوى دولة البرتقال

وهنا تجب الاشارة بالاختصار الى النظرية الثانية حتى ينفسح امامنا المجال الى ما جرى من التنازع والتخاصم بين البرتقال وبين مصر على احتكار تجارة الهند

قلنا ان النظرية الثانية تنحصر في الطواف حول افريقيا بطريق البحر الاطلنطي توصلاً الى بلاد الهند بحراً ومباشرة ·

اول من خطرت على باله هذه النظرية هم اهل جنوة ايضاً · لست انازعهم في هذا الفخار الباقي لهم إذ لم يصل الي علمي للآن ان عرب الاندلس او اهل المغرب الاقصى تخيلوا هذه الطريق · فليبقَ هذا المجد لاهل جنوة وان كانوا جنوا بهِ جناية كبرى على مصر لا في مصلحتهم بل في مصلحة الغير فقد صحّ عليهم المثل السائر : ربّ ساعٍ لقاعد ! وكان شأنهم كما قال الشاعر :

قد يجمع المال غير آكلهِ ويأكل المال غير من جمعهْ

مهما يكن من امر النتائج الفعلية فقد خطرت هذه الفكرة على بال اخوين شقيقين من اهل جنوة هما اوجولينو وفادينو من آل فيفالدي (Ugolino et Vadino Vivaldi) وكان شأنهما شأن ابناء العم الثمانية المغررين من اهل لشبونة المسلمين · فانهما في سنة ١٢٩١ م (٦٩٠ — ٦٩١ هـ) ركبا رأسهما وانطلقا مع هواهما وغررا بانفسهما ولججا في المحيط الاطلنطي نحو الجنوب لتحقيق هذا المطلب العزيز وهو الوصول بالبحر الى طريق الهند · غير ان الرجلين لم يظفرا بامنيتهما بل نشبت بهما اظفار المنيّة · فراحا في جملة من راح شهيد الآمال الكبار · غرق الرجلان ولكن فكرتهما لم ترسب معهما في قاع البحار بل بقيت حائمة في الاذهان تتردد بين الصدور والجوانح نحو قرنين من الزمان · ثم انتقلت من امتهما ومن البحر الابيض المتوسط الى امة اخرى ناهضة هي اجدر بتحقيقها لوجودها على ساحل المحيط الاطلنطي تلك هي امة البرتقال

***

كانت تجارة اوربا مع الهند تسير من قديم الزمان في طريقين لا ثالث لهما · احدهما عن نهر الفرات والثاني عن مدينة الاسكندرية · حتى اذا كان اكتشاف الدنيا الجديدة وطريق رأس الرجاء الصالح حدث في العالم انقلاب جعل بلاد الغرب مركز الحضارة الحديثة وجعل الشرق في انحطاط يأتمر بامر اوربا في كل شيء ويسير وراءها في كل ميادين الحياة

ذلك ان البرتقال بعد ان ساعدهم الزمان واتحاد الكلمة على طرد العرب من بلادهم ، تعقبوهم في شطوط افريقيا ليمحوا دينهم من الوجود[1] و ينتزعوا من ايديهم مصادر الثروة

(١) انظر ملطبرون

والرفاهية . فكان كل نصر ينالونهُ داعية لارسال تجريدة جديدة على بلاد الغرب الاقصى . واقبلت الدنيا عليهم وابتسم لهم ثغر الزمان فكان ذلك موجباً لتهافت اهل الاقدام والمغرمين باقتحام الاخطار على مدينتهم لشبونة . تراهم حينئذٍ ينسلّون اليها من كل حدب : من ايطاليا ، من قشتالة ، من هولندة ، من المانيا ، لمشاركة ابنائها في هذه الغزوات المتواصلة طلباً للمعالي والفخار . بهذه المثابة دبّت في البلاد حركة جديدة من الحماس لم يكن لها نظير في سابق الزمان . ولقد كان لربات الحجال من بنات البرتقال اليد الكبرى في ايجاد هذا التيار تيار الحمية والاقدام . فقد آلين على انفسهن ان لا يتزوجن بغير الفتيان الذين يثبتون براعتهم وشجاعتهم في سواحل افريقيا . والمرأة اذا وجهت فكرها الى غرض من الاغراض كان امراً مقضيًّا ، يشهد بذلك تاريخ العرب والعجم وسائر الامم . لهذا السبب انهال البرتقال ومن انضاف اليهم من شباب الشعوب الاخرى على ركوب البحر والضرب فيهِ حتى امتلكوا نواصيهُ ومواِنيهُ وثغورهُ ومرافئهُ وبنادرهُ ومراسيهُ . فاصبحت الممالك المتناثرة على الساحل الغربي لافريقيا مستعمرات لتلك المملكة الناشئة الناهضة . ولقد كان لتقارير العرب واليهود اثر كبير في هذه الحركة المقرونة بالبركة لانهم احاطوا ملوكها ولاسيما الملك هنري الملقب بالملاّح المولود سنة ١٣٩٤ م — (٧٩٧ هـ) المتوفى سنة ١٤٦٠ م — (٨٦٥ هـ) او سنة ١٤٦٣ — (٨٦٨ هـ) بما في داخل تلك البلاد من الخيرات والارزاق وخصوصاً ما في غانة (Guinée) من معادن الذهب . وهكذا اخذ رجال البرتقال يتقدمون مرحلة فمرحلة في بحر الظلمات منذ سنة ١٣١٤ م — ٧١٤ هـ حتى وصل برتلي دياز في سنة ١٤٨٦ (٨٩١ — ٨٩٢ هـ) الى اقصى نهاياتهِ في جنوب افريقيا وهو الطرف الذي وصفهُ قطب الدين النهروالي صاحب كتاب « البرق اليماني في الفتح العثماني » بانهُ موضع « قريب من الساحل في مضيق احد جوانبهِ جبل والجانب الثاني بحر الظلمات في مكان كثير الامواج لا تستقر بهِ سفائنهم وتنكسر »

تلك الاهوال هي التي حملت دياز على تسميتهِ برأس الزوابع ولكن عبقرية يوحنا الثاني ملك البرتقال جعلتهُ يغتبط بهذا الاكتشاف ويرى فيهِ تحقيق أحلامهِ بالوصول الى الهند عن طريق البحر فسمى هذا الرأس من باب التفاؤل والتيمن برأس الرجاء الصالح . ولذلك اخذ في تدبير الوسائل التي يبلغ بها كل المرام . فبدأ بالعمل على ارتياد الهند اولاً من الطريق المعتادة فبعث في سنة ١٤٨٧ (٨٩٣ هـ) برسولين هما بطرس كوفيلهم (Pedro Covilham) والفونسو دو پايڤا (Alphonse de Paiva)

هبط الرجلان على الاسكندرية ثم ذهبا الى رشيد بطريق البر ومنها ركبا النيل حتى القاهرة حيث انضما الى قافلة من تجار فاس وتلمسان وذهبا في رفقتها الى الطور ومن هنالك أبحرا الى عدن فذهب ثانيهما الى الحبشة فكان فيها حتفهُ واما الاول فانحدر في بحر اليمن حتى وصل الى الهند ونزل على ساحل مليبار ودرس تجارة كُوَه (Goa) وكاليكوت (Calicut) وغيرها من البنادر التجارية ثم انقلب الى البر الشرقي لافريقيا فزار سفالة الزنج وما فيها من معادن الذهب . وفي تلك البقعة تأتى له جمع بيانات وثيقة وافية عن القسم الجنوبي الذي ينتهي الى جزيرة مدغشقر . ثم عاد ادراجهُ نحو جزيرة هرموز في جنوبي الخليج الفارسي لاستكمال معلوماتهِ عن تجارات المشرق ومن ثم عاد الى زنجبار قاصداً بلاد الاحباش فقبض عليهِ النجاشي وحال دون عودتهِ الى وطنهِ . لكن تقاريرهُ ومذكراتهِ وصلت الملك يوحنا فكانت مكملة ومتوجة لما توصل اليهِ دياز . غير ان الملك يوحنا الثاني كان قد اصابهُ مرض طويل اعقبهُ الموت فلم يتمتع بثمرة هذه الاتعاب . بل كان من سعادة خليفتهِ على عرش البرتقال وهو عمانويل الثاني الملقب بالسعيد ارسال ڤاسكو دوجاما في اواخر صيف سنة ١٤٩٧ الى بلاد الهند فاتخذ طريقهُ في البحر مَرَّباً واجتاز رأس الرجاء ووصل الى ساحل بلاد الكفرة ثم منبسة ثم ملندة وهنالك توصل الى التعرف كما يقول قطب الدين النهروالي في « البرق اليماني » بشخص « ماهر من اهل البحر يقال لهُ احمد بن ماجد صاحبهُ كبير الفرنج وكان يقال لهُ أَلِي مَلَنْدِي[1] وعاشرهُ في السكر فعلّمهُ الطريق في حال سكرهِ وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلا تنالكم الامواج . فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا في بحر الهند » . امّا موَّرخو البرتقال فلا يذكرون اسم احمد بن ماجد هذا مطلقاً بل يقولون ان الذي رافق ڤاسكو هو رجل اسمهُ المعلم كَنَه (Malem Cana) وانهُ توفى بكجرات والبعض الآخر يدعوهُ المعلم كنكة (Malem Canaqua) ومنهم مَن يقتصر على تسميتهِ كنكة (Canaqua) فقط وهنالك فريق ثالث يقول ان سلطان ملنده ارفق ڤاسكو برجلين من اهل بلادهِ العارفين بسلك هذا البحر الهندي

احمد زكي باشا
سكرتير مجلس الوزراء

« ستأتي البقية »

(١) هو الاسم الذي اطلقهُ طائفة من العرب على فاسكو دوجاما وقد سبق لنا شرحهُ

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

جلسة ٢٤ مارس ١٩١٦

خالف السر اوليفر لدج بين الجلسات فلم يذكرها حسب تواريخها بل قدَّم واخَّر فيها ومن ذلك هذه الجلسة فانهُ اخَّرها عن غيرها وقال انها كانت مع الوسيطة مسز ليونارد وان زوجتهُ جلست معها وحضر هو ليكتب ما يجري فيها . وحالما جلست مسز ليونارد حضرت مرشدتها فدى وحضر ريمند حالاً وجعلت فدى تتكلم عنهُ وبلسانهِ كلاماً مسهباً واكثرهُ مبهم من ذلك قولها انهُ ما كان يصدّق انهُ يصل الى المكان الذي وصل اليهِ حتى بلغهُ ولم يعد اليهِ بعد ذلك بل اتى مكاناً آخر حيث تلقى الخطب في نادٍ يسمَّى حلقة التعليم . والانسان يستعد للعروج الى الافلاك العليا وهو في السفلى . وهو الآن في الفلك الثالث ويستطيع ان يصل الى الفلك الرابع اذا اراد ولكنهُ يفضل ان يطَّلع على نواميس كل الافلاك وهو لا يزال في الثالث لانهُ ما زال هنا فهو اقرب اليكما وسينتظركما الى ان تصلا اليهِ ولا يريد ان يعرج الى الافلاك العليا ثم يجد نفسهُ غير متأهلٍ للاقامة فيها بل يجب عليهِ ان يعود الى حيث كان ولذلك سيصبر الى ان يتأهل تمام التأهُّل

فهل ترغبان في الوقوف على وصف الاماكن التي ذهب اليها . لقد ادهشتهُ مناظرها حتى صار يخشى ان يبالغ في الوصف وما شاهدهُ رسخت صورهُ في اعماق نفسهِ حتى لا يستطيع ان ينساها

ذهب الى مكان في الفلك الخامس لعلهُ من المرمر الشفاف كلهُ وهو غير واثق انهُ من المرمر ولكنهُ بان لهُ كذلك . والمكان مثل هيكل كبير وكان فيهِ جماهير كثيرة مزدحمة وعلى وجوههم سيماء البشر والسرور . فقال في نفسهِ تُرى ماذا ارى هنا . فلما اختلط بالجمع الذاهب الى الهيكل شعر كأنهُ شرب مقداراً كبيراً من الشمبانيا فكاد يطير فرحاً وذلك لانهُ غير مستعد لاحوال ذلك الفلك ثم دخل الهيكل فرآهُ ابيض حقيقة ولكن فيهِ انوار مختلفة فيظهر بها بعضهُ احمر وبعضهُ ازرق ووسطهُ برتقالي اللون . والالوان ليست ساطعة تبهر العين بل لطيفة تسر الناظرين فالتفت ليرى من اين اتت فرأى في الهيكل كوًى واسعة جدًّا زجاجها ملوَّن بهذه الالوان ورأى بعض الناس يقفون حيث يقع النور الاحمر

و بعضهم حيث يقع النور الازرق و بعضهم حيث يقع النور البرتقالي او الاصفر وجعل يفكّر في سبب ذلك واذا بقائل يقول لهُ ان النور الاحمر نور الحب والازرق نور الشفاء والبرتقالي نور العقل والناس يجلسون في الانوار التي يقصدون ما ينتج منها وذلك اهم ممَّا يعرفهُ الناس على الارض وسوف يزيد بحثهم في فعل هذه الانوار

وظهر لهُ ان الواقفين في النور الاحمر ذوو همة واقدام راقون في قواهم العقلية بنوع عام ولكنهم لم يقدروا ان يرقّوا عواطف الحب التي فيهم لان مشاغلهم الاخرى تغلّبت عليها . والواقفين في النور الازرق من اهل الظرف والهناء ولكن لا تظهر على وجوههم سيماء الذكاء. وشعر انهُ مجذوب الى الوقوف في النور الاحمر ولكن قال لهُ قائل لا تفعل لانهُ صار لك من ذلك ما يكفي فترك النور الاحمر ووقف في النورين الآخرين فسرَّ بالنور الازرق اكثر ممَّا سُرَّ بالاحمر . و بعد ان اقام فيهِ مدة خفَّت روحهُ ولم يعد يُعنى الاَّ بالاستعداد للحياة الروحية . وشعر كأَن ريمند القديم فارقهُ حينئذٍ وصار ينظر اليهِ كما ينظر الى شخص آخر لا شأن لهُ معهُ ولكنهُ لا يزال مرتبطاً بهِ . فقال لا جناح عليَّ اذا استطعت ان اصل الى هذه الحالة السامية البديعة . و يقول انهُ لا يستطيع ان يصف لكما ما يشعر بهِ ولكنكما اذا قرأتما ما تكتبانهِ الآن فقد تفهمان مرادهُ ولا تستطيع الالفاظ ان تعبّر عن المراد . ولذلك يكفي تأييد ما حدث

ثم جلس والمجالس هناك كمقاعد الكنائس والتفت الى ما امامهُ واذا بسبعة اشخاص مقبلين فحسب انهم معلمون آتون من الفلك السابع . فوقفوا على دكة وكان في الهيكل سبعة ممرات بين مقاعدهِ فجاء كلٌّ من هؤلاء السبعة الى رأس ممر منها ووضع يديهِ على الجلوس في مقاعدهِ ولما وصل الدور اليهِ ووضع الشخص يدهُ على رأسهِ شعر كأَن الانوار الثلاثة امتزجت فيهِ اي كأَنهُ صار يفهم كل شيء وكأَن كل ما شعر بهِ قبلاً من غيظ او همٍّ تلاشى وصار يستطيع ان يرتفع الى اي علوٍّ شاء و يرفع معهُ كل الذين حولهُ

ثم جعل الحضور يصغون الى كلام الخطيب فان احد اولئك الرجال وقف يخطب في كيف يعلّمون غيرهم من الذين في الافلاك السفلى وعلى الارض لكي يأتوا الى الحياة الروحية وهم في افلاكهم وكان وهو يسمع كلام الخطيب يتأثر بروحهِ فتدخل المعاني اعماق نفسهِ دفعةً واحدة وشعر حينئذٍ كأَن قوة كانت تخرج منهُ وتساعد الذين على الارض وفي افلاك اخرى

وبلغ ايضاً الفلك السادس وهو اجمل من الخامس ولكنهُ لم يشأ ان يقيم هناك الآن بل فضّل ان يعود الى حيث كان ليساعد الذين هناك

السر اوليفر — أيرى متاعب الذين على الارض

فدى — قال نعم انهُ يراها احياناً و يود لو استطاع ان يغير الناس حتى لا يخجلوا اذا تكلموا عن هذه الامور

وسألهُ السر اوليفر عن البيت الذي كان يسكن فيهِ وعن قولهِ انهُ مبني بالاجر واستوضحهُ معنى ذلك · فاجابت فدى عن لسانهِ بكلام مبهم ثم قالت انهُ قال ان افلاك الارواح موجودة حول الكرة الارضية وتدور معها والفلك الاسفل منها اقل سرعةً من الذي وراءهُ وهذا اقل سرعة من الذي وراءهُ وهلمّ جرًّا الى الفلك السابع وسرعة كل فلك تؤثّر في جوهِ

(وقال السر اوليفر تعقيباً على ذلك انهُ من لغو الكلام كأن فدى التقطتهُ من افواه بعض العامة)

وعادت فدى الى الكلام بلسان ريمند فقالت يود ان تأتوا اليهِ فان اباهُ يسر بكل ما يرى وسيبحث في كل ما يشاهد حتى يعرف ظاهرهُ و باطنهُ · و يقول لامهِ ان الازهار كثيرة هنا وهي لا تيبس ثم تنمو بل تتجدَّد وهي نضرة كالناس الذين هنا فانهم يتجددون دواماً · وتزيد الاجسام خفة بارتقائها في الافلاك · و يظن ان الناس صوّروا الملائكة بشعر طويل اشقر ووجوه بيضاء ملهمين الى ذلك الهاماً من الافلاك العليا · وفدى نفسها سمراء وشعرها اسود وكل الذين يُعنى بهم شعرهم اسود

وانتهت الجلسة بمثل هذا الكلام وهذا الهذيان

جلستنا ٢٦ مايو ١٩١٧

مرّ ليونل ابن السر اوليفر لدج ونورا اختهُ بمدينة لندن في ٢٦ مايو وهما ذاهبان الى مدينة ايستبرن واتيا بيت مسز ليونارد نحو الظهر وجلسا معها بين الساعة ١١ والدقيقة ٥٥ والساعة ١ والدقيقة ٣٠ وفي ذلك الوقت عينهِ قام اسكندر اخوهُ من برمنهام واتى باخليهِ اونور وروزالين الى بيتهم في مريمونت واستحضروا روح اخيهم ريمند بين الساعة ١٢ والدقيقة ١٠ والساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ وطلبوا منهُ ان يوعز الى فدى لتذكر في جلسة لندن اسم هونولولو · وكتب اسكندر الى ابيهِ الساعة ١ بعد الظهر يقول

« ان اونور وروزالين واسكندر جلسوا في غرفة الاستقبال وهم يعلمون ان ليونل ونورا كانا جالسين حينئذٍ في لندن مع مسز ليونل فسألوا ريمند ان يسلم على نورا وليونارد ويجعل فدي تقول لهما كلمة هونولولو . ولم يكن ليونل ونورا يعلمان شيئًا عن هذه الكلمة وعن قصدنا لاننا اتفقنا على ذلك اليوم الساعة ١٢ » . ووصل هذا الكتاب الى السر اوليفر لدج الساعة ٧ بعد الظهر

وجلس ليونل ونورا في لندن ولم يريا شيئًا في الجلسة يستحق اهتمامهما ولا كتبا شيئًا عما جرى فيها الاَّ بعد ما رجعا من ايستبرن اي بعد اسبوع . ولما كتبا ما كتبا اعطيا الكتابة لأبيهما ليقرأها فوجد نحو آخرها كلمة هونولولو اذ قالت فدي ان ريمند يقول لكِ (لنورا) انهُ يريد ان يعرف هل تقدرين ان تلعبي هو لا — هونولولو . الا تقدرين ان تجربي اني اراهُ يغرب في الضحك . هو يعرف لمن يتكلم ولكنهُ لا يستطيع ان يذكر اسمهُ

وهونولولو اسم اغنية وقد اشير اليها في جلسة في ١٢ ابريل ١٩١٦ الاَّ ان السر اوليفر علَّق على ذكر هذه الكلمة شأنًا كبيراً مع انها ذُكرت في جلسة سابقة كما تقدم ومع ان ابنهُ وابنتهُ كتبا ما كتباهُ بعد جلستهما باسبوع من الزمان ولا يستحيل ان يكونا قد سمعا عرَضًا من اخوتهما شيئاً عن اقتراحهم . ولا يصعب في هذه الاحوال ان ننفي كل اوجه الخداع المقصود ومع ذلك يبقى المجال واسعاً لان يذكر الواحد امام الآخر كلمة على غير قصد منهُ او يشير اشارة فتؤَثر في ذهنهِ وهو غير منتبه لها . الا ترى ان الواحد منا يمرُّ في شارع مزدحم بالمارة فيرى مئات منهم واذا سألتهُ مَن رأيت لم يستطع ان يذكر اسم احد من الذين شاهدهم ثم يرى واحداً منهم فيتذكر انهُ شاهدهُ ويرى آخر فيتذكر انهُ شاهدهُ وشاهد غيرهُ ايضاً . وهذا شأن كثير مما يفعلهُ الانسان فيؤَثر في غيرهِ او يفعلهُ غيرهُ فيؤَثر فيهِ فانهُ قد يحدث على غير انتباه منهُ او من غيرهِ ثم يعرض ما يوجه انتباههُ اليهِ فينتبه ولكنهُ يبقى غير شاعر بكثير من ملابساتهِ

ومع ذلك فاذا ثبت بعد تجارب متوالية ان هؤُلاء الاخوة والاخوات انقسموا فريقين وجلسوا في مكانين مختلفين واتفق كل فريق على كلمات قالوها لاخيهم وطلبوا منهُ ان ينقلها الى الفريق الآخر وكتبوا ذلك كلهُ في الحضرة ثم وجدوا النقل صحيحًا فهناك امر واقع يصح الاعتماد عليهِ وتعليلهُ . والذي يستطيع ان ينقل كلمة واحدة يستطيع ان ينقل فصلاً كبيراً من كتاب مثلاً . ومَن يستطيع ان يتكلم بكل الكلام الذي نقلتهُ فدي عن لسانهِ في وصف الافلاك كما ترى في الجلسة السابقة يستطيع ان ينقل من بعض اخوتهِ الى البعض الآخر

قصةً كاملة او قصيدة مما كان يحفظهُ . ولا اسهل من ان يقول لهُ فريق منها اذهب الآن وانقل الى الفريق الآخر القصيدة الفلانية تاركاً الخمسة الابيات الاولى منها او الستة الاخيرة او نحو ذلك . فامتحان مثل هذا اذا تكرَّر مراراً وصدق ازال كل الشكوك او اضعفها . ولا ندري كيف لا يخطر امتحان مثل هذا على بال السر اوليفر لدج . ولكن معتقدي مناجاة الارواح يدَّعون انها لا تعمل ما يُطلَب منها بل ما لا يُطلَب مع ادعائهم انها تود انارة الاذهان واقامة الادلة المقنعة على وجودها وانها تعمل من الاعمال الخارقة ما يناقض النواميس الطبيعية كما ترى في الجلسة التالية :—

وذلك ان اونور اخت ريمند كانت جالسة على مقعد في غرفة الاستقبال في بيت ابيها فوضعت يدها على مائدة الى جانبها وقالت ترى هل تصلح كل مائدة للتكلم مع ريمند وللحال جعلت المائدة تتحرك فطلبت من امها ان تضع يديها معها ففعلت وللحال زادت حركة المائدة وانقلبت على الارض ورفعت احدى ارجلها ووضعتها على المقعد وارتفعت هي ووقفت عليهِ وجعلت تتمايل حتى خافت لادي لدج من انها تثقب فرش المقعد . ثم نزلت المائدة الى الارض وانتقلت الى جانب مائدة اخرى كبيرة وجعلت تزاحمها وارتفعت الى ان وقفت باحدى ارجلها على حرف بارز . وقاست لادي لدج ارتفاع المائدة عن الارض باحدى يديها فوجدتهُ اربع اصابع وحاولت ارجاع المائدة الى الارض فلم تستطع كانها كانت تضغط على وسادة مملوءَة هواءً

قالت لادي لدج « ولما دارت المائدة كما تقدم التزمنا ان ندور معها فصرت انا مكان اونور وصارت اونور مكاني ثم رأينا كأن ريمند يحاول قلب المائدة الكبيرة فمددت يدي ورفعت كاساً كانت عليها لئلاَّ تقع وتنكسر لكنهُ بقي يزحم تلك المائدة الى ان اسقط كتاباً كان عليها فسألتهُ اونور هل يريد ان نفتح هذا الكتاب فاجاب نعم (وهو كتاب تلصق فيهِ امهُ كل ما يتعلق بهِ من صور وقصائد ومراثٍ وما اشبه) ففتحتهُ وارتهُ صورتهُ الفوتوغرافية وهو جالس في اوتوموبيل كان اخوهُ اسكندر قد اهداهُ اليهِ قُبَيْلَ الحرب . وسألتهُ اونور هل يرى الصورة فاجاب نعم . فسألتهُ عن اسم البيت المقابل لهم ثم تلت حروف الهجاء فوقفت عند هذه الحروف St. Germins واسم البيت St. Germains اي انهُ اخطأ في تهجئة حرف واحد . ثم ارتاهُ صوراً اخرى فسرَّ بها وارتاهُ صورة كلبهِ وطلبتا منهُ ان يذكر اسمهُ فكان ذكرهُ لهُ صحيحاً . ودامت الجلسة مدة طويلة الى ان فرغ صبر امهِ وودت مراراً ان تصرفهُ لكي تذهب وتنام فلم ينصرف الاَّ الساعة الواحدة بعد نصف الليل

ولا نري لتعليل اعمال هذه الجلسة الاَّ وجهاً من اوجه ثلاثة الاول ان امهُ واختهُ كانتا تحركان المائدة على غير قصد منهما كأَنهما فعلتا ذلك ذاهلتين بعض الذهول. والثاني انهما ذهلتا واعتقدتا حدوث ما ذكرناهُ كانهُ حدث حقيقةً وهو لم يحدث كما يحلم النائم والهاجس بحوادث كثيرة وهي لم تحدث . والثالث ان تكون روح ريمند تجلَّت لهما حقيقة وفعلت كل ما تقدم من تحريك المائدة ورفعها عن الارض والاجابة بها عن بعض المسائل وتسهيرها الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل رغماً عنهما وهي تضن على الباحثين المدققين بخمس دقائق لتثبت لهم وجودها بطريقة خالية من كل ريب. ولا نرى كيف يصدق عاقل ذلك

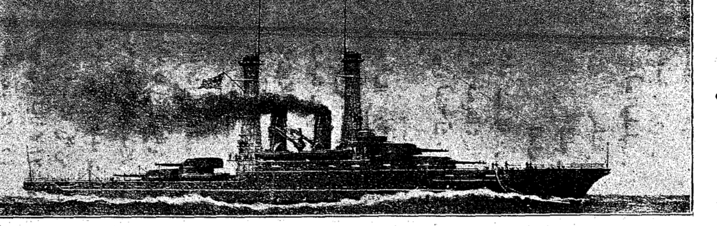
الاَّ ان الشك في صحة تجلي هذه الروح لا ينفي تجلي الارواح نفياً باتّاً ولكننا نرى ان عوامل الخداع والانخداع وافرة في كل ما تقدم كما ابنا في تعقيبنا على كل فصل من الفصول المتقدمة

وهنا انتهى ما اقتطفناهُ من فصول هذا الكتاب ويلي ذلك بحث مستفيض للسر اوليفر لدج علمي فلسفي موضوعهُ «الحياة والموت» ربما اتينا على خلاصتهِ في فرصة اخرى

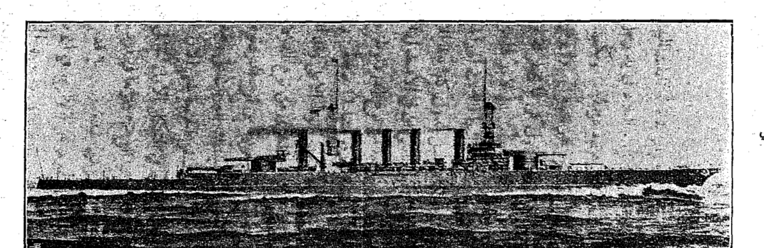
ومن الغريب اننا لم نجد ادنى اشارة الى كتاب ريمند وبحث السراوليفر لدج في المجلات العلمية مثل ناتشر وسينس والمجلة العلمية الشهرية. والظاهر انها اغفلتهُ استخفافاً بهِ

***

كتبنا ما تقدم ومثلناهُ للطبع ثم جاء البريد الاوربي فوقع نظرنا اتفاقاً على جريدة اسبوعية من الجرائد الادبية صادرة من لندن في ٨ اغسطس سنة ١٩١٧ فاذا فيها مقالة لكاتب معروف يصحُّ فيها ما قالهُ الشاعر العربي "ويأتيك بالاخبار مَن لم تزودِ" فان هذا الكاتب اشار الى مسز ليونارد بالازدراء التام وقال انها جمعت مالاً طائلاً بعد ما انتشر كتاب ريمند فانها جعلت تأخذ على كل جلسة جنيهاً وكثر قصَّادها حتى كان الواحد منهم لا يجد ساعة يقابلها فيها الاَّ اذا طلب مقابلتها قبل ذلك باسابيع. وقال ان الجدال اشتد بين السر اوليفر لدج ومنتقديهِ. والظاهر من كلام الكاتب ان السر اوليفر لم يفلح بل عاد عملهُ عليهِ بالفشل لان الحكومة الانكليزية تعقبت مدعي مناجاة الارواح بعد ذلك وحسبتهم غشاشين نصابين متشردين وحاكمت خمسة عشر من مشاهيرهم فحكمت على بعضهم بالغرامة وعلى البعض الآخر بالسجن او النفي فصدق ظننا بهم



الشكل الاول



الشكل الثاني

مقتطف اكتوبر ١٩١٧
امام الصفحة ٣٥١

الاسطول الاميركي

كانت الولايات المتحدة تُحسَد لان حكومتها لم تعنَ بانشاء اسطول كبير وتنظيم جيش ضخم يكونان ملائمين لعدد سكانها ووفرة غناها فكانت تقتصد في المال والرجال فتزيد ثروتها وتوسع زراعتها وصناعتها وتجارتها · اما الآن وقد علمت ان المانيا كانت تنوي ان تبسط سيادتها على ممالك اوربا واسيا وافريقية ثم تلتفت اليها وتحاول بسط سيادتها عليها ايضاً — حلم لا يحلم بهِ عاقل ولكن ما دام زمام البلاد في يد رجل يصدق فيهِ قول الشاعر

اذا همَّ القى بين عينيهِ عزمهُ ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في امرهِ غير نفسهِ ولم يرضَ الاَّ قائم السيف صاحبا

فانها تنقاد اليهِ صاغرةً وهو يحاول كل ما يخطر لهُ ولا يقدِّر العواقب · فلما ثبت ذلك للولايات المتحدة بالادلة القاطعة رأَت ان لا بدَّ لها من اخذ الاهبة ومبادرة الفرصة وقمع الشر قبلما يستطير و يصل شررهُ اليها فانضمت الى الحلفاء واخذت تعبيُّ جيشاً ضخماً وتبني اسطولاً كبيراً يكون اكبر اساطيل الدول كلها بعد الاسطول البريطاني

قلنا في مقتطف سبتمبر الماضي ان في الاسطول الاميركي ٢٣ بارجة من البوارج السابقة للدردنوط و ١٣ بارجة من نوع الدردنوط وبعضها من الدردنوط الاعلى الذي عيار مدافعهِ اي قطر فوهة المدفع منها ١٤ بوصة · وكانت الحكومة الاميركية قد شرعت في بناء ست بوارج من نوع الدردنوط الاعلى وقد اقرَّت الآن على انفاق ١٠٣ ملايين من الجنيهات تبني بها اربع بوارج اخرى من نوع الدردنوط الاعلى تضع فيها مدافع من عيار ١٦ بوصة واربعة طرادات حربية من نوع الدردنوط »

وقد وقفنا الآن في السينتفك اميركان على وصف هذه البوارج وهذه الطرادات فاذا هي من اقوى ما صنع من السفن الحربية حتى الآن · فالبارجة نيومكسكو التي شرع في بنائها سنة ١٩١٥ وهي المرسومة في الشكل الاول المقابل هي واحدة من ثلاث وهي اقوى من البارجة الاميركية بنسلفانيا التي تمَّ بناؤُها في الربيع الماضي وامتحنت مدافعها التي عيارها ١٤ بوصة باطلاقها على غرض بعدهُ ٦٠٠٠٠ قدم فاصابتهُ قنبلة من كل ثلاث قنابل · وتمتاز هذه البارجة على غيرها من البوارج في ان مدافعها الضخمة ١٢ لا ثمانية كما في غيرها ستة منها في برجين في المقدم وستة في برجين في المؤَخر وكل برج فوق الاخر وهو متأخر عنهُ حتى لا يعوق الواحد الآخر في ارتفاع مدافعهِ او انخفاضها · والمدافع الثلاثة تصوَّب

معًا في وقت واحد · وتفريغ هذه البارجة ٣١٤٠٠ طن وثخن درعها حول محيطها ١٤ بوصة وحول المدافع ١٨ بوصة وفيها ١٢ مدفعًا كما تقدم من عيار ١٤ بوصة و ٢٢ مدفعًا صغيرًا من عيار ٥ بوصات واربع انابيب للطربيد وسرعتها ٢١ ميلاً بحريًّا في الساعة

اما البارجة نيومكسكو المرسومة هنا فاكبر منهما قليلاً لان تفريغها ٣٢٠٠٠ طن وكذا سائر البوارج الاخرى التي شُرع في بنائها سنة ١٩١٥ و١٩١٦ ودروعها منيعة واسعة تمتد الى ثماني اقدام تحت سطح الماء · وطول كل منها ٦٠٠ قدم عند حد الماء و٦٢٤ قدمًا عند ظهرها وعرضها ٩٧ قدمًا وسيكون فيها من الضباط والبحارة ١٠٥٦

اما البوارج الاربع التي اقرَّت الحكومة الاميركية الآن على بنائها فستكون اكبر من هذه واقوى لانها ستضع فيها مدافع من عيار ١٦ بوصة · واعظم من ذلك الطرادات الكبرى التي عزمت على بنائها · ترى في الشكل الثاني صورة طراد من هذه الطرادات طولهُ اكثر من ٨٧٤ قدمًا وعرضهُ ٩١ قدمًا وتفريغهُ ٣٤٨٠٠ طن · وقوة آلاتهِ البخارية ١٨٠٠٠٠ حصان (مئة وثمانون الف حصان) وسرعتهُ ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيهِ عشرة مدافع من عيار ١٤ بوصة وعشرون مدفعًا من عيار ٥ بوصات واربعة مدافع من عيار ٣ بوصات وثماني انابيب للتربيد وعدد بحارتهِ وضباطهم ١٢٧٤ · وكان المراد ان تكون مدافعهُ الكبرى من عيار ١٧ بوصة ولكن وجد بالامتحان ان عيار ١٤ بوصة اصلح لهُ من وجوه كثيرة ولاسيما لأن طول المدفع منها سيكون ٥٨ قدمًا ونصف قدم فتزيد قوتهُ وتبلغ ٧٠٠٠٠ طن قدمية حتى اذا اطلقت مدافعهُ العشرة دفعة واحدة رفعت قنابلها جسمًا ثقلهُ الف طن الى علو ٧٠٠ قدم · ومدافعهُ العشرون التي من عيار خمس بوصات طويلة جدًّا وهي كافية لحمايتهِ من كل سفن الطربيد على انواعها · وسرعتهُ وهي ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة اي نحو ٤٠ ميلاً بريًّا يفوق بها كل الطرادات المعروفة فان اسرع الطرادات الانكليزية الطرادان ليون والبرنسس رويال وسرعة كلٍّ منهما ٣٠ ميلاً بحريًّا في الساعة · واسرع طرادات الالمان سرعتهُ ٢٨ ميلاً بحريًّا في الساعة واسرع الطرادات الفرنسوية سرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة واسرع الطرادات الايطالية سرعتهُ ٢٥ ميلاً بحريًّا · واسرع الطرادات اليابانية سرعتهُ ٢٧ ميلاً بحريًّا في الساعة وكذا اسرع الطرادات الروسية وليس عند غير هذه الدول اساطيل يعبأ بها

وكان المقام الثاني في الاساطيل البحرية بعد بريطانيا العظمى لالمانيا ولكن اميركا ستنتزعهُ من المانيا ولو لم تقضِ الحرب على الاسطول الالماني

طرائف من ادب العرب

(٧)

ما وراء القبر

« رأى بعض الصلحاء أبا سهل الزجاجي في المنام على هيئة حسنة وكان يقول بوعيد الأَبد فقال لهُ كيف حالك فقال وجدنا الأَمر أَسهل مما توهمناهُ »

اقول وهذا مما يثلج لهُ الصدر وتقرّ بهِ العين و يوافق ما اخبر بهِ وسطاء السراوليڤر لدج في كتابهِ الحياة بعد الموت اذ قالوا ان الناس هناك ينزلون في شيء اشبه بالمطهر يتطهرون بهِ من اوضار هذه الحياة الدنيا وادرانها فيؤهلون للوقوف امام الحضرة القدسية . وان كلّ ما هناك نور وصفاء وعنبر وعبير وسلسبيل واصوات ملائكية كالنوافيس يرنّ بها فضاء الاثير وفلك اللانهاية مما لا عين رأَت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

والظاهر ان صاحب الكشكول فهم من قول الزجاجي « وجدنا الامر اسهل مما توهمناهُ » ان سبب ذلك سعة غفران الله بدليل تعليقهِ عليهِ بابيات لابي نواس في عظم الرجاء وهي قولهُ :

تكثَّرْ ما استطعت من الخطايا فانك بالغ ربًّا غفورا
ستبصر ان وردت عليهِ عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيرا
تعضّ ندامة كفيك مما تركت مخافة النار الشرورا

ولكن هذا المذهب وما فيهِ من التهتك والخلاعة لا يلائم الكمال الذي هو شعار الحياة الاخرى وعنوانها

والحقيقة ان ما وراء القبر يجهلهُ العلم وان عرفهُ الايمان . وعندي ان ما يجهلهُ العلم الآن سيكشف لهُ على مرّ الزمان . واذا كشفهُ جبهت الناسَ من وراء الحجاب حقيقتان ناصعتان هما وجود علة عاقلة للعالم والبقاء بعد الموت . ولا يهمّ بعد ثبوت هذين الجوهرين البحث في الاعراض من كمّ وكيف . هذا ما يجب ان يكون لأَن ما في الكون من النظام البديع المحفوظ وسط تراكيب لا يحصى عديدها من احقر حشرة واصغر حبة الى اوسع فلك وأَبعد شمس — هذا كلهُ لا يمكن ان يكون اعتباطاً بل يدلُّ على قصدٍ . والقصد لا يكون بلا قاصد

هذه الاستدلالات واشباهها هي التي خطرت على بال فولتير او غيره من كبار المعطلين فقال وهو يجود بنفسهِ « ان لم يكن الله موجوداً وجب على الانسان ان يوجدهُ » اي ان يفرض وجودهُ والاَّ كان الوجود كلهُ كاذبًا وصورة وهمية من بنات الخيال كما يقول فريق من العلماء . فاننا في اعمالنا العادية نرجع بالبداهة كل حركة الى محرّك وكل ثقب الى ثاقب وكلّ مسلوب الى سالب وكلّ مضروب الى ضارب مهما كانت صغيرة لا شأن لها كحركة ريشة او قرية نملة او سلب متاع او ضرب زيد . فكيف نرجع هذا الكون بديع النظام بنواميسهِ الثابتة وفضائهِ اللانهائي وأفلاكهِ المتداخلة وأداهرهِ المتطاولة الى لا شيء او الى علة غير عاقلة ولا نرجعهُ الى علة عاقلة هي علة العلل والقمينة بان تصدر عنها أمثال تلك الاعمال والاوصاف المتناهية في كمالها وجلالها

الانتساب الى جهة الام

« سئل بعض الجند عن نسبهِ فقال انا ابن اخت فلان ... »

الامومة اي الانتساب الى الامّ مشهور في كل عصر ومصر . فقد انتسب العرب احيانًا الى امهاتهم كابن ام الحكم اخت معاوية . واسمهُ عبد الرحمن الثقفي ولكنهُ معروف بكنيتهِ . وبالامس ترجم كاتب عربي كتابًا عن الالمانية اسمهُ الامومة عند العرب حاول مؤلفهُ ان يثبت فيهِ انتشار هذه العادة عند العرب مع ما هو معروف من عصبيتهم وهي انتسابهم الى العصبة اي قرابة الرجل لابيهِ . ومن حين الى آخر ينتسب بعض كبار الفرنجة الى امهاتهم لسبب من الاسباب كأن يكون هذا السبب وصية مورث موسر فيضطر ورثاؤهُ ان ينفذوا الوصية خشية ان يحرموا الميراث . او لاسباب اخرى كما جرى للسر هنري كمبل بنرمن رئيس الوزارة الانكليزية الاسبق فان لفظة كمبل او كمل هي اسرة امهِ انتحلهُ عملاً بوصية خالٍ لهُ

على ان اغرب صنوف الانتساب الى الام عند العرب ما رأيت في بعض كتب الادب المشهورة . فقد عثرت فيها غير مرة على هذه العبارة « قال ابن اخت تأبط شرًّا » ويلي ذلك ابيات من الشعر فشوقني هذا التعبير الى معرفة اسمهِ فكلفت من ينقب لي عنهُ[1] فقال انهُ

(١) انا مدين بهذا للشيخ المرصفي المحقق في دار الكتب السلطانية . ففي الصفحة ٢٣٢ من لسان العرب في مادة خلل قولهُ : وقال ابن دريد الخلُّ الخفيف الجسم وانشد هذا البيت المنسوب الى الشنفرى ابن اخت تأبط شرًّا :

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ان جسمي بعد خالي لَخلُّ

ولست ادري على اي شيء اعتمد صاحب لسان العرب في هذا النسب . فان كشف لنا اديب النقاب عن ذلك كان شكرنا اياهُ بعض ما يجب

الشنفرى فزاد عجبي لاننا ان سلمنا بان تابط شرًّا والشنفرى متساويان في الحُضْر وهو العَدْو لم نستطع ان نساوي بينهما في الشعر فان لاميّة العرب ومطلعها

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأَميلُ

لهي من الشعر العربي الصريح وهي خليقة بالجاهلية التي عاش الشنفرى في اواخرها وقد بوأته مقعداً بين الشعراء يحسده تابط شرًّا عليهِ . وشرحها الشراح من المستشرقين واطنبوا في مدحها . فكيف والحالة هذه ينسب الشنفرى الى تأبط شرًّا لتعريفهِ بهذه النسبة وهو اعرف منهُ الأ ان يكون قتل تأبط شرًّا للغول كما ذكرت في المقالة السابقة قد صيره اشهر من الشنفرى . وهذا ما لا ارجحهُ لان عقلاء الكتاب من العرب كانوا يشيرون الى الاغوال وحكاياتها اشارة الساخر المنكر لها . فالمسعودي مثلاً ارجع رؤْية بعض الناس للجن الى الظنون الكاذبة والاوهام الفاسدة كما رأَيت . والجاحظ استشهد في فصل عقده على تنافر الحروف بالبيت المشهور

وقبر حرب بمكان قفرٌ وليس قرب قبر حرب قبرُ

(وقد ذكرتهُ في المقالة السابقة) فقال « ولما رأى من لا علم لهُ ان احداً لا يستطيع ان ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراهُ اذ كان من اشعار الجن صدقوا بذلك »

وقد رجعت الى ترجمة ردهوس الانكليزية للامية وهي مصدرة بتاريخ الشنفرى ونسبهِ نقلاً عن دي ساسي الفرنسوي فرأَيتهُ يذكر فيها حكاية تحالف الشنفرى وتأبط شرًّا وعمر بن براق[1] على قبيلة بجيلة واسرها لهم ثم خلاصهم من الاسر . والحكاية طويلة لم يشر فيها دي ساسي الى صلة قربى بين تابط شرًّا والشنفرى بل كلُّ ما قال عنهما انهما

---

(١) هكذا وردت كتابة اسمهِ « عمر » في هذه الترجمة وفي شرح اللامية للزمخشري . ولكنها وردت « عمرو » في الاغاني ودائرة المعارف العربية

اما الزمخشري فاكتفى في شرح اللامية باشارة خفيفة الى الشنفرى حيث قال « وقبيلتهُ الازد » . وقال المبرّد في شرحهِ ايضاً لها « الشنفرى بن الاوس بن الحجر بن الازد بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ » ولم يزد على ذلك

حليفان ومعاصران وهذا غريب ان كانا ابن اخت وخالاً (١)

***

وكان حسان بن ثابت شاعر النبي يفخر بخالهِ ولا يذكر اسمهُ وكان خالهُ خطيباً قال من ابيات :

ان خالي خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقومُ
وهُو الصقر عند باب ابن سلمى يومَ نعمانُ في الكبول سقيمُ

وكانوا يعيرون المرء باخوالهِ كما يعيرونهُ باعمامهِ وهم يريدون باخوالهِ امهُ وباعمامهِ اباهُ على الاستعارة . قال شاعر منهم

لا تطلبن خؤُولة من تغلبٍ فالزنج اكرم منهم أخوالا
لو ان تغلب جمعت احسابها يوم التفاخر لم يزن مثقالا

كما قال الفرزدق يعير جريراً

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

اما المتنبي فعكس الامر يوم رثى جدتهُ بقصيدة منها هذا البيت

ولو لم تكوني بنت اكرم والدٍ لكان اباك الضخم كونك لي امَّا

اي لو لم يكن ابوك اكرم الآباء لكان انتسابك اليَّ هو أعلى نسب لك

ونظم بعض الشعراء هذين البيتين والغالب انهما مولدان :

لي صاحب ليس فيهِ سوى البلادة عيبُ
سألتهُ عن ابيهِ فقال خالي شعيبُ

---

(١) وقد جاء في الاغاني نسب تأبط شرًّا والشنفرى في فصلين مختلفين وليس فيهِ اشارة الى كونهما قريبين . وكلُّ ما هناك ان تابط شرًّا رثى الشنفرى بعد مقتلهِ فقال من ابيات

فانك ان لاقيتني بعد ما ترى وهل يلقين من غيبتهُ المقابرُ
لألفيتني في غارة أدَّعي بها اليك واما راجعاً انا ثائرُ

على ان البيت المذكور في الحاشية الاولى والمنسوب الى الشنفرى يشبه ان يكون رثاء لخالهِ تابط شرًّا وهذا يخالف رواية الاغاني التي ذكرت ان تابط شرًّا رثى الشنفرى . ولكن غاية العجب ان لا يذكر صاحب الاغاني لامية الشنفرى بين ما ذكرهُ من شعرهِ في عشر صفحات كبيرة مما كاد يحملني على الجزم بان هناك شنفريين لو لم يتفق نسب الشنفرى الوارد في شرح اللامية لردهوس ونسب الشنفرى الوارد في الاغاني وليس فيهِ ذكر للامية

وفي امثال بعض العامة : سئل البغل من ابوك فقال خالي الحصان » كأنهُ استنكف ان ينتسب الى الحمار فانتسب الى الحصان

وفي بعض الخرافات الغربية ان الحمار اصبح ذات يوم ملكاً تدين لهُ مملكة الحيوان فعقد مجلساً من الكبراء والاعيان فنهض خطيبهم يتكلم واستنكر مخاطبة الملك باسمهِ فقال ايها الجواد الأربد فارضاهُ باللفظة الاولى وارضى الحقيقة بالثانية لان الجواد لا يكون أربد

الغلاء في مصر

« قال في كامل التواريخ ان الاسعار غلت بمصر سنة ٤٦٥ وكثر الموت وبلغ الغلاء الى ان امرأة تقوَّم عليها رغيف بالف دينار . وسبب ذلك انها باعت عروضاً قيمتها الف دينار بثلاثمائة دينار واشترت عشرين رطلاً حنطة فنهبت عن ظهر الحمّال فذهبت هي ايضاً مع الناس فاصابها مما خبزتهُ رغيف »

والمراد بكامل التواريخ تاريخ الكامل لابن الاثير وقد رجعت فيهِ الى حوادث السنة المذكورة فاذا بهِ يقول : وقطع (ناصر الدولة بن حمدان) الميرة عن مصر برًّا وبحراً فغلت الاسعار وكثر الموت والجوع وامتدت ايدي الجند بالقاهرة الى النهب والقتل وعظم الوباء حتى ان اهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة . وقطع ناصر الدولة الطريق برًّا وبحراً فهلك العالم »

وسنة ٤٦٥ هجرية توافق اواخر القرن الحادي عشر من التاريخ المسيحي قبل ابتداء الحروب الصليبية ببضع سنين . والذي يهمنا من هذا الخبر المقابلة بين الغلاء الماضي والغلاء الحاضر لو امكنت المقابلة فان حكاية المرأة المذكورة لا تفيدنا شيئاً في سبيل هذه المقابلة وتعيين مقدار الغلاء . ولكن ما تهمُّ الاشارة اليهِ سبب الغلاء وهو حصر مصر برًّا وبحراً على مثال حصر المانيا في هذه الحرب . على ان مصر في هذا الزمان زمان الحرب التي عمت الارض ولم يسلم من محنها بلد لا تزل بلداً اميناً وواديًا ذا زرع وشقة حراماً سليمة من نكبات الموت والجوع والنهب والقتل والوباء التي لم تسلم منها مصر في زمن ابن حمدان

الرجوم في مصر

« من كتاب المدهش . في حوادث سنة ٢٤١ ماجت النجوم وتطايرت شرقاً وغرباً

كالجراد من قبل غروب الشمس الى الفجر . وفي السنة التي بعدها رجمت السويداء وهي ناحية من نواحي مصر بحجارة فوزن منها حجر فكان عشرة ارطال . وزلزلت الريُّ وجرجان وطبرستان ونيسابور واصفهان وقم وتاشان ودامغان في وقت واحد فهلك في دامغان خمسة وعشرون الفاً . وانقطعت جبال ودنت من بعضها بعضاً(١) حتى سار جبل في اليمن وعليهِ مزارع قوم فاتى مزارع آخرين . ووقع طائر ابيض بحلب وصاح اربعين صوتاً يا ايها الناس اتقوا ربكم ثم طار واتى من الغد ثم فعل ذلك ثم ما رئي بعدها . ومات رجل في بعض اكوار الاهواز فسقط طائر على جنازتهِ وصاح بالفارسية ان الله قد غفر لهذا الميت ومن حضر جنازتهُ »

اما كتاب المدهش هذا فلا ادري ما هو ولكنني قرأت في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي كلاماً يشبه هذا الكلام حيث قيل « وفي سنة احدى واربعين ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد اكثر الليل . وفي سنة اثنتين واربعين زلزلت الارض زلزلة عظيمة بتونس والري وخراسان ونيسابور وطبرستان واصبهان وانقطعت الجبال وتشققت الارض . . . ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة ارطال . وسار جبل باليمن عليهِ مزارع لاهلهِ حتى اتى مزارع آخرين » . وبعد ان اشار الى طائر حلب انتقل الى سنة ٢٤٥ فقال « عمت الزلازل الدنيا فاخربت المدن والقلاع والقناطر . . . . وزلزلت مصر وسمع اهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة فمات خلق من اهل بلبيس » الخ

هذا كلهُ جرى في عهد الخليفة المتوكل بن المعتصم . ومعلوم ان ابا تمام عاش في عهد المعتصم قبل عهد المتوكل بنحو ٢٠ سنة ومدحهُ بقصيدتهِ المشهورة التي مطلعها « السيف اصدق انباءً من الكتبِ » ويقال انهُ كذَّب فيها تشاؤُم المنجمين الذين بشروا المعتصم بالكسر في حرب الروم فانتصر وفتح عمورية فقال ابو تمام في تكذيبهم

اين الرواية بل اين النجوم وما صاغوهُ من زخرف فيها ومن كذبِ
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنبِ

اقول ولعل الرجوم والزلازل وانخساف الجبال وغيرها من الحوادث الطبيعية الكثيرة التي حدثت في عهد المتوكل هي ما انبأ بهِ المنجمون في عهد المعتصم وكذبهُ ابو تمام فتأخر

(١) هذه غلطة صحتها « ودنا بعضها من بعض » او « ودنت بعضها من بعض »

الى عهد ابنهِ المتوكل !! . ولو عاش ابو تمام الى هذا العهد لعارض قصيدتهُ المشار اليها ولكنهُ مات في عهد الواثق بالله قبلهُ (١)

وقد اشار ابن الاثير الى هذه الحوادث حيث قال ما ملخصهُ « وفيها (سنة ٢٤١) كثر انقضاض النجوم فكانت كثيرة لا تحصى فبقيت ليلة من العشاء الآخرة الى الصبح . وفيها كانت بالري زلزلة شديدة هدمت المساكن ومات تحتها خلق كثير و بقيت تتردد فيها اربعين يوماً . وفيها خرجت ريح من بلاد الترك فقتلت خلقاً كثيراً وكان يصيبهم بردها فيزكمون . وفي سنة ٢٤٢ كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها فتهدمت الدور ومات ٤٥ الفاً و ٩٦ نفساً . وكان بالشام وفارس وخراسان في هذه السنة زلازل واصوات منكرة . وكان باليمن مثل ذلك مع خسف »

اما الحوادث الطبيعية فتعليلها معروف واما وقوع الطير وصياحها بالعربية او الفارسية وتبشيرها الاموات والاحياء بعفو الله وغفرانهِ فالعهدة فيها على رواتها

اصل الشّطرنج

« رأيت في بعض الكتب ان الشطرنج انما وضعها الحكماء لملوك الروم والفرس لانهم لم يكن لهم علم وكانوا لا يطيلون الجلوس مع العلماء لجهلهم واذا اجتمعوا مع امثالهم كانوا يتلاحظون بالبصر فوصفوا لهم ذلك ليشتغلوا بهِ . واما ملوك اليونان وقدماء الفرس والروم فكان لكل منهم كعب عالٍ في العلم وكانوا لا يتفرغون عنهُ لامثال هذه الامور الواهية »

هذا ما قالهُ الكشكول في اصل وضع الشطرنج وقد قرأت في السيكلوبيذيا البريطانية ١٣ صفحة كبيرة عنها . ومما جاء فيها ان اصل وضع الشطرنج مجهول فقد نسبت الى اليونان والرومان والبابليين والمصريين القدماء واليهود والفرس والصينيين والهنود والعرب حتى الارلنديين واهل وايلس وغيرهم . ومنهم من غالى فعيّن وخصص ونسب اختراعها الى يافث أو سام من اولاد نوح او سليمان الحكيم او زوجة رافان ملك سيلان او هرمس أو ارسطو أو سميراميس او زينوبيا او غيرهم . على ان الرأي المشهور هو ان اصلها هندي . وقد قدر

(١) [المقتطف] والمرجح عندنا ان ما نسب الى المنجمين من التشاؤم وضع بعد ما نظم ابو تمام قصيدتهُ هذه وبني على هذا البيت لانهُ يبعد ان يصدق المنجمون في الانباء بالمستقبلات والتنجيم فاسد . و يبعد ايضاً ان يتجاسروا على تخويف الخليفة من شر قبل وقوعهِ ولو رجحوا وقوعهُ

بعضهم عمرها بنحو خمسة آلاف سنة · واستعارها الفرس من الهنود فسموها الشطرنج · ويقول الفردوسي ان اقتباسها كان في عهد كسرى انوشروان الاول في القرن السادس للميلاد · ومن راي السيكلوبيذيا ان اصل لعبة الشطرنج التي تلعب الآن في اوربا عربي بدليل اسماء بعض القطع و بعض التعبيرات كقولهم الشاه مات

وممن لعبها من الملوك والعلماء هرون الرشيد وشارلمان وتيمور لنك وكارلوس الثاني عشر (ملك اسوج) وفردريك الكبير ونابليون الاول ولبنتز وفولتير وروسو وفرنكلين

وفي رواية ان مخترعها حكيم هندي اسمهُ سيساك اخترعها لاصلاح حال ملكهِ ففاز بامنيتهِ وسرَّ الملك بالاختراع واراد ان يحسن الى سيساك فامرهُ ان يقترح شيئًا فاقترح ان يوضع لهُ حبات قمح في ٦٤ مخزنًا في الاول حبة وفي الثاني حبتان وفي الثالث اربع وفي الرابع ثمان وهكذا على سلسلة هندسية الى الآخر فاستصغر الملك هذا الطلب في مبدإِ الامر ثم وجد ان ليس في مملكتهِ كلها قمح يسدّ طلب سيساك

***

هذا ما رأيت ان اقتبس من كتاب الكشكول في سبع مقالات · وهو قليل اذا جمع فربما لم يبلغ نصفها والنصف الباقي شرح وتعليق · و يقال بالاجمال ان لغة الكشكول وسط ليست بالبليغة ولا الركيكة والمادة شائعة تجد مثلها في العقد الفريد ومحاضرات الادباء والمستطرف والمثل السائر وخزانة الادب وغيرها · ولا غرابة فالمصدر واحد وهو ان الكتّاب المتقدمين رأوا بضاعتهم رائجة أصحيحًا كان ما كتبوهُ او موضوعًا والموضوع اقرب الى ذوق المتفكهين من القراء ملوكًا كانوا او سوقة فاكثروا من الموضوع ونقلوا عن الفرس والسريان واليونان وجاء بعدهم المتأخرون فنقلوا غير مميزين بين الغث والسمين وقلّ ان قام بينهم المنتقدون مثل ابن قتيبه والمسعودي فراجت الخرافات مع الحقائق · وقارئ الكتاب منها كأنما قرأَ الآخر · ومع ذلك رأيت ان اقتبس منها ما لم يرد في الكشكول وأُعدّي عن الباقي · وربما بدأت بالعقد الفريد لابن عبد ربهِ

(نقيب)

الكيمياء ومصالح الناس

انشأت جامعة اوكلاهاما باميركا معملاً كبيراً للمباحث الكيماوية. ولما احتفلت بفتحهِ في ٢٦ يناير الماضي خطب الدكتور وليم نويز خطبة وجيزة ذكر فيها شيئًا من فوائد علم الكيمياء وقد نشرتها مجلة سينس (العلم) الاميركية فاقتطفنا منها ما يأتي

مضى الآن (حين تلاوة الخطبة) سنتان ونصف ونار الحرب مستعرة. حدثت حادثة يظهر الآن انها من الحوادث الطفيفة فاقامت امم اوربا واقعدتها فاوقدت نار الحرب. والذين يعتقدون ان نوع الانسان سائر في طريق الارتقاء يقولون انهُ سينتج من هذه الحرب خير عام فتتفق الامم على فصل ما بينها من الخصومات بغير السلاح. كان الافراد يفصلون ما بينهم من الخصومات بالمبارزة فأبطلت المبارزة الآن من انكلترا واميركا افلا يحتمل ان تبطل الحرب كاسلوب للفصل في خصومات الامم. ومن المحقق انهُ سيأتي وقت يعدُّ فيهِ الناس هذه الحرب من اعمال الجنون كالحروب الصليبية في القرون الوسطى

وقد تعلمت الامم من هذه الحرب اموراً لم تكن لتتعلمها في زمن السلم فالمانيا تعلمت ان تساوي بين الغني والفقير في توزيع الطعام على الجميع بالسواء. وانكلترا حلّت اكثر مشاكل العمال. ونحن في اميركا استفدنا من هذه الحرب اننا جعلنا نحاول عمل الاصباغ الصناعية التي كنا نجلبها من المانيا. ولولا ما نرجوهُ من بقاء ما تعلمناهُ من الحرب بعد ان تضع اوزارها وينتشر رواق السلم في المسكونة لوددنا ان تعود ايام الجهل كما كانت قبل اشراق نور العلم. لكن لا شبهة في بقاء فوائد الحرب العلمية واخصها الاستعداد العلمي والكفاءة العلمية

وانا انظر الى الامور بعين الكيماوي ولذلك اختار امثلتي من الكيمياء لانني بها اخبر مني بغيرها ولكن ما اقولهُ عن الكيمياء يصدق على سائر العلوم

منذ اقل من مئة سنة بعد ما استراحت اوربا من حروب نبوليون اتى شاب الماني الى مدينة باريس ودخل معمل غاي لوساك الخاص. هذا الشاب هو ليبغ وهو كيماويٌّ منذ ولادتهِ اذا صحَّ ان يولد احد كيماويًا. فانهُ كان يشتغل بالكيمياء منذ حداثتهِ. ولكن مهما كان الميل في المرء شديداً لا ينمو الأَّ بانفاس استاذ قدير. وقد وجد ليبغ هذا الاستاذ في غاي لوساك فاقام عندهُ بضعة اشهر وعاد الى مدينة جسن ودخل المعمل الكيماوي الذي انشأتهُ جامعتها وهو الاول من نوعهِ والتفَّ حولهُ جماعة من الشبان الاذكياء المتقدين غيرةً. اتوهُ لكي يتعلموا منهُ الكيمياء. وكان ذلك المعمل كالكوخ الحقير في جنب القصور الباذخة التي تنشأ

الآن معامل للكيمياء ولكن انبعث منهُ نور ساطع عمَّ العالم اجمع . فان ليبغ لم يكن يحسب المعمل الكيماوي محلاًّ خاصًّا بتعليم الكيمياء بل محلاًّ يسعى فيهِ الاستاذ والتلميذ الى تعلم شيء جديد من كتاب الطبيعة . ولم تمضِ سنون كثيرة حتى انشئت معامل عديدة في المانيا على نسقهِ فصارت بها تلك البلاد مقصداً لتعلم الكيمياء يقصدها الشبان من كل اقطار المسكونة

ومن التلامذة الذين تعلموا في معمل جسن رجل اسمهُ هوفمان فهذا استدعاهُ البرنس البرت زوج الملكة فكتوريا ملكة الانكليز الى مدينة لندن فدرَّس هناك علم الكيمياء ثم استعان بشاب اسمهُ وليم بركن جعلهُ مساعداً لهُ . وأُولع بركن بهذا العلم حتى لم يكتفِ بالاشتغال بهِ مع هوفمان مدة النهار بل انشأ في بيتهِ معملاً كيماويًّا صغيراً ليشتغل فيهِ ليلاً . وحاول اكتشاف طريقة لتركيب الكينا فتولد معهُ في تجاربهِ الاولى راسب اسمر محمر من النوع الذي لا يعبأُ بهِ اكثر الكيماويين . اما هو فلم يحتقر هذا الراسب بل جرَّب تجارب اخرى عساهُ ان يصل الى طريقة لتركيب النيل (النيلة) الصناعي فوصل الى مركب لم يظهر لهُ في اول الامر انهُ من النيل في شيء لكنهُ وجد بعد إعمال النظر وتكرير الامتحان ان فيهِ مادة تصبغ الحرير وغيرهُ صبغًا احمر جميلاً . وكان عمر بركن حينئذٍ ثماني عشرة سنة فحملهُ امل الشباب على حسبان هذه المادة من الاصباغ التي يمكن استعمالها . واتفق ان اباهُ كان يثق بمقدرتهِ العلمية فمدهُ بالمال اللازم لمواصلة التجارب واستخراج هذه المادة فنجح بعد عناء شديد لكن الصباغين لم يكونوا يستعملون الاَّ الاصباغ النباتية فشق عليهم ابدالها بغيرها مما لم يألفوا استعمالهُ واضطر بركن ان يذهب الى مصابغهم ويعلمهم كيفية استعمال صبغهِ . واخيراً تغلَّب على كل المصاعب وفي سنين قليلة شاعت الاصباغ الصناعية وكثرت اشكالها جدًّا

ثم تمكن كيماويان المانيان من عمل الاليزارين اي الصبغ الذي يستخرج من الفوة وبيَّنا انهُ يمكن استخراجهُ من قطران الفحم الحجري لكنهما لم يتمكنا من عمل الاليزارين حتى يكون رخيصاً يسهل على الصباغين استعمالهُ فقام بركن وعمل ما فاتهما عملهُ

وكان المنتظر ان انكلترا التي كانت لها فضل السبق في عمل النيل الصناعي وعمل الاليزارين بطريقة تجارية يبقى لها السبق في عمل الاصباغ الصناعية لكنها تنحَّت عن ذلك وحلَّت المانيا محلها . واذا بحثنا عن السبب وجدناهُ في المعامل الكيماوية التي انشئت على مثال معمل ليبغ اي المعامل التي غرضها الاول ليس تعلُّم ما يعرف من علم الكيمياء بل التوسع فيهِ واكتشاف ما لا يعلم منهُ . هذا هو الغرض الاهم الذي كان الاساتذة وتلامذتهم يتوخونهُ في تلك المعامل . فان الشبان الذين يتعلمون على هذا الاسلوب يصير همهم الاكبر

حل المشاكل الصناعية المتعلقة بالعلم · وزد على ذلك ان الشبان الذين تخرجوا في هذه المعامل الكيماوية استخدموا في المصانع الكبيرة التي تصنع الاصباغ الصناعية فتم الاتصال بين المصانع والمعامل وتمت الفائدة لان ما يكتشف في معمل المدرسة لا تكون منهُ الفائدة المطلوبة ما لم يصنع في مصنع كبير على اسلوب تجاري · فقد يكتشف اسلوب في معمل كيماوي لعمل مادة من المواد وتمضي على الكيماوي الماهر سنوات كثيرة في المصنع وهو يجرب ويستنبط الى ان يصل الى اسلوب تصنع به تلك المادة بمقادير كبيرة رخيصة · مثال ذلك ان الكيماوي بيرا اكتشف طريقة لعمل النيل الصناعي من مادة في قطران الفحم الحجري ولكن كل المستخرج من هذه المادة في السنة لا يكفي لعمل ربع النيل المطلوب وهي مطلوبة ايضاً لصناعات اخرى فاذا طلبت لعمل النيل غلا سعرها وصار النيل الصناعي اغلى من الطبيعي · ويستحيل ان يروج والصناعي ارخص منهُ

واخيراً قام الاستاذ هيومن وحل هذا المشكل في معمل مدرسة زورخ بسويسرا حيث اكتُشفت مكتشفات كثيرة صناعية لان العلم مقرون بالعمل هناك · وقام هو ويورف وڤان دورب في هولندا وساعدا على حله فعُمل النيل من النفثالين الذي نطرد به العث · وبعد اشتغال سبع سنوات متوالية في مصانع الاصباغ تمكن الباحثون من عمل النيل على طريقة تجارية رابحة · ولم تأتِ سنة ١٩٠٠ حتى صار ما يصنع من النيل الصناعي يقوم مقام ما يستخرج من نبات النيل المزروع في ٢٥٠٠٠٠ فدان من الارض

(ووصف الخطيب اسلوب عمل النيل الصناعي ثم قال) اني رأيت هذا الوصف لازماً لنا نحن في اميركا لاننا نرى فيهِ السبيل الذي يجب ان نسير فيهِ اذا اردنا عمل الاصباغ الصناعية في بلادنا · ويظهر لي ان اصحاب المصانع جارون في هذا المضمار ولذلك فالامل بالنجاح وثيق فقد استخدم صاحب مصنع كبير في مشيغان رجلاً بارعاً في الكيمياء الآلية من جامعة مشيغان لكي يساعدهُ في عمل النيل واستدعى صاحب مصنع آخر في بفلو استاذاً من جامعة الينويز وعرض عليهِ مضاعف الراتب الذي يأخذهُ في الجامعة لكي يدير معملاً لهُ لعمل الاصباغ الصناعية

وقد كنا في بداءة الحرب نستعمل من الاصباغ ما ثمنهُ ١٥٠٠٠٠٠٠ ريال خمسها مما يصنع عندنا والاربعة الاخماس الباقية نستوردها من اوربا وكلها تقريباً من المانيا · ونحن نصبغ بها منسوجات يبلغ ثمنها مئات الملايين من الريالات فلما انقطع عنا الوارد من هذه الاصباغ وقعنا في حيرة وللحال نهض صنَّاع الاصباغ عندنا نهضة واحدة وبذلوا همتهم

ليغنونا عن غيرنا ولكن لا ينتظر ان يتمكنوا من ذلك في القريب العاجل · و يقال ان في نية الحكومة ان تضع ضريبة كبيرة على الاصباغ الواردة تشجيعاً للصناعة الوطنية

الأَّ ان اصحاب المصانع عندنا يخشون من مناظرة الالمان لهم بعد الحرب على اسلوب يعود عليهم بالخسران · قيل ان المستر دو اكتشف منذ سنوات ان في ماء مشيغان المالح مقداراً كبيراً من عنصر البروم يكفي لاستخراجهِ على طريقة تجارية رابحة فجعل يستخرجهُ واتقن طريقة استخراجهِ حتى استطاع بعد مدة ان يرسل بعضهُ الى المانيا · ولكن لم يمضِ الاَّ وقت قصير حتى جاءهُ رجل الماني وقال لهُ لديَّ ادلَّة كافية على انك صرت تبيع برومك في المانيا وهذا شيءٌ يجب ان تمتنع عنهُ · فاجابهُ المستر دو انهُ ليس في شرائع المسكونة ما يجبرهُ على الامتناع · فقال لهُ الالماني ان لم تمتنع من نفسك فاننا نبيع كل رطلين من البروم في اميركا بثمن الرطل مَّا تبيعهُ في المانيا · فلم يعبأ المستر دو بقولهِ بل استمرَّ على خطتهِ · و بعد اشهر قليلة رأى ان البروم الالماني صار يباع في اميركا بسعر ١٥ سنتاً الرطل وكان الثمن العادي ٧٥ سنتاً · وقد قصَّ المستر دو هذه القصة في شهر سبتمبر الماضي حينما اجتمعت لجنة للبحث في مسألة الاصباغ ولم يقل ماذا كانت النتيجة ولكنهُ اخبرني بها وهي انهُ اضطرَّ ان يمتنع عن بيع البروم في اميركا وصار يرسل كل ما يستخرجهُ منهُ الى المانيا ثم اتفق الالمان معهُ على ما فيهِ مصلحتهُ ومصلحتهم

وقد كان الالمان قبل الحرب يصنعون ثلاثة ارباع الاصباغ الصناعية التي تصنع من قطران الفحم الحجري فلا ينتظر ان يتخلوا عن هذه الصناعة من تلقاء انفسهم ولا بدَّ للامم التي تريد الاستغناء عن مصنوعاتهم من ان تجاهد جهاداً كبيراً في سبيل ذلك واهم مقومات هذا الجهاد العلم الذي يمكّن العامل من اتقان العمل واصلاح ما يقع فيهِ من الخلل

مثال ذلك ان شابًّا تخرج في قسم الهندسة الكيماوية في جامعة الينويز سنة ١٩١٠ · وكان في ولاية وشنطن معمل اسمنت وقع خلل فيهِ افسد الاسمنت وصار الذين يشترونهُ يردونهُ لانهُ لا يصلح وكان ذلك الشاب قد تدرَّب على طريقة البحث العلمي فاستخدمهُ صاحب المعمل فبحث واكتشف السبب وازالهُ فعاد المعمل يعمل الاسمنت الجيد كما كان

وذكر الخطيب امثلة اخرى من هذا القبيل وكرَّر الحث على انشاء المعامل الكيماوية التي يتدرَّب فيها الشبان على قرن العلم بالعمل وتوسيع نطاق العلم باكتشاف الحقائق الجديدة

ونحن في هذا القطر احوج من اميركا الى هذا الحث لانهُ لم يشجَّع احدٌ من سكانهِ حتى الآن على البحث العلمي العملي

التزوج بالاجنبيات

منافعهُ ومضارّهُ من الوجهة البيولوجية والاجتماعية

(٢)

سمعت سائلاً سأل لماذا اكثر شبان الاقباط من التزوج بالاجنبيات ؟ جلست مع اثنين من اخواني مرة فلم نستطع ان نعد اكثر من ثمانية عشر قبطيا تزوجوا اجنبيات من دائرة معارفنا وهي ليست ضيقة . فلو تسامحنا جدًّا وفرضنا ان هذا العدد يصل الى المائة والمائتين فهل هذا يستحق هذه الضجة الهائلة وسن القوانين والشرائع لحسم هذا الداء العضال الذي لا وجود لهُ الاَّ في اوهام المتخوفين منهُ

ان مجموع الذكور في الاقباط هو ٣٥٦٧٩٧ ومجموع الاناث هو ٣٤٩٥٢٥ فيكون نقص الاناث ٧٢٧٢ . ولكن لو نظرنا الى عدد غير المتزوجين وغير المتزوجات من شبان الاقباط وشاباتهم ممن قد بلغوا سن الزواج ولم يتعدوهُ بعد وحسبنا ان هذا السن بين الخامسة عشرة والخمسين لوجدنا ان مجموع عدد الذكور في هذه السن هو ٥٥٩٢٠ وعدد الاناث ٢٢٤٣٠ فيكون نقص الاناث عبارة عن ٣٣٤٩٠ اي انهُ يلزمنا من النساء قدر ما لدينا مرة ونصف مرة . اما لو اردنا ان نسلك في حسابنا مسلك المدقق وحسبنا سن الزواج للرجال من سن العشرين الى الخمسين وسن الزواج للنساء من سن الخامسة عشرة الى الاربعين وهو اقرب الى الواقع فنسقط من الاعداد السالفة الذكر ٢٠٧٢٥ وهو عدد الذكور بين الخامسة عشرة والعشرين من عدد الذكور فيصبح عددهم ٢٥١٩٥ ثم نسقط ١٢٧٩ وهو عدد الاناث في سن الاربعين الى الخمسين من عدد الاناث فيصبح عددهن ٢١١٥١ فيبلغ بذلك نقص عدد النساء مع كل هذا التسامح ٤٠٤٤ فتاة اي نحو خمسة وعشرين في المائة مما لدينا . وبعبارة اخرى ان من كل ستة شبان في سن الزواج يوجد شاب لا يجد من بنات طائفتهِ من يتزوج بها . واذا حسبنا ان متوسط ما يخلفهُ الرجل المتزوج اربعة اطفال فان نقص نسائنا يحرمنا من ١٦١٧٦ طفلاً وهذا عدد لا يصح ان يستهان بهِ شعب عددهُ ٧٠٦٣٣٢ لانهُ يبلغ ٢,٣ في المائة من مجموعهِ ومهما فرضنا ان هذا التعداد (سنة ١٩٠٧) لم يكن صحيحًا لا يسعنا الاَّ ان نسلم بالحقيقة الجلية وهي انهُ لا خوف على بنات الاقباط فان لكل مائة فتاة منهن اكثر من مائة رجل

وانما الذي يوجب التخوف الشديد هو انهُ لو صح هذا التعداد لكان ذلك سبباً في وقوف نمو الشعب القبطي ان لم نقل في رجوعهِ الى الوراء ولا يمكننا ان نبت في ذلك شيئاً حتى يظهر التعداد الجديد لسنة ١٩١٧

ان هذا الجيش من الشبان اذا رضي مضطراً ان يعيش اعزب اليوم فهو لا يرضى بذلك غداً اي انهُ اذا رضي بذلك هذا الجيل الذي يعيش الآن فلا يرضى بهِ الجيل الآتي . والحجاب الذي كان يفرقنا عن الاجانب ابتدأ ان يشف ولا بد ان يأتي اليوم الذي فيهِ يتمزق وحينئذٍ لا توجد قوة في العالم تمنع هذا الجيش من الشبان الحيارى من الامتزاج بالاجانب . وانا وان كنت شخصياً لا اعد ذلك اعظم نكبة يمكن ان يصاب بها الاقباط الاَّ اني عالم بان السواد الاعظم من هذه الطائفة يعتبرهُ كذلك . والحقيقة اني لم اجهد نفسي شفقة على هذا السواد الاعظم وانما شفقة على الفتاة القبطية التي نوردها حتفها لسوء معاملتنا اياها وهي لا تزال في زهرة حياتها

من الثابت ان الطبيعة ام الكل اشفق على الجنس اللطيف منها على الجنس القوي لعلة خفيت عن بصائر الكل ولعلها شحيحة ببناتها لان قيمتهن في انتاج النسل اكثر من قيمة الابناء لاسباب لا تخفى على المفكر فقد زودت الطبيعة الانثى بقوة حيوية تقاوم بها عوامل الفناء وهي فيها اعظم مما هي في الذكر . فمن الحقائق الثابتة رغم جهلنا بسببها ان عدد المواليد من ذكور البشر في كل بقاع الارض تقريباً يزيد على عدد مواليد الاناث بنسبة ١٠٥ الى ١٠٠ ولكن لا تكاد تمر السنة الاولى حتى ينعكس الامر فيصبح عدد الاناث اكبر من عدد الذكور وذلك لكثرة المتوفين من هؤلاء . و بعد ذلك تظل النسبة ثابتة الى ما فوق سن العشرين حين تزداد متاعب الرجال من الحياة فيفنى منهم عدد كبير تحت عبئها الثقيل و يهجر عدد آخر من بلادهِ طلبا للعيش في اقطار اجنبية حيث يسهل الحصول عليهِ . وبذلك يقل عدد الرجال بالنسبة الى عدد النساء قلة محسوسة وبالاخص في الممالك المستعمرة وذات التجارة الواسعة في الخارج كانكلترا وفرنسا والمانيا وهولندا والدنمارك وغيرها او التي يكثر اهلها من المهاجرة طلبا للعيش او هرباً من مظلمة كسورية . ولو نظرنا نظرة عامة صارفي النظر عن الحالات الخصوصية لوجدنا ان نسبة النساء الى الرجال تزداد وتقل على حسب تقدم الامة وتقهقرها . وهاك جدولاً مختصراً يبين لنا شيئاً من هذه النسبة

نسبة الاناث للذكور في بعض الممالك الاوربية على حسب تعداد Von Baeliz

سنة ١٩٠٠ وقد ذكر فيهِ عدد النساء بالنسبة الى الف رجل في كل من البلاد المذكورة

انكلترا	١٠٧٠
نروج	١٠٦٤
فرنسا	١٠٢٢
المانيا	١٠٣٢
هولندا	١٠٢٢
رومانيا	٩٧٤
اليونان	٩٢١
الصرب	٩٤٥
مصر عامة	٩٩١
الاقباط خاصة	٩٧٩

نرى من هذا الجدول بوضوح ان نسبة النساء الى الرجال في امة ما ميزان لمقدار رقيها فانكلترا مثلاً في حاجة الى عدد كثير من الرجال لادارة حكومات مستعمراتها الواسعة وعدد آخر لجيشها و بحريتها وجزء لا يستهان بهِ يسقط في ساحة معترك الحياة هذا اذا اسقطنا من حسابنا العوامل غير العادية كالحروب والاوبئة وخلافها وان كان لهذه العوامل في وقتنا الحاضر يد قوية في افناء الرجال · وقس على ذلك غيرها في الممالك ونرى ايضاً انهُ كلما انحط مركز المرأة الادبي في امة قل عددها كما هو الحال في بلاد البلقان ومصر والسبب في ذلك عدم قدر المرأة حق قدرها وحسبانها انساناً ناقصاً وعدم الاعتناء بتربيتها والمحافظة على صحتها البدنية والعقلية

والامر الذي اريد ان انبه اليهِ انظار القارىء بوجه خاص هو ان قلة النساء عند الاقباط ليست مقسمة على سني العمر بمعنى ان عدد الاناث في السنة الاولى والثانية الى آخره ليس اقل من عدد الذكور بل ان هذا النقص الهائل منحصر بين السنة العاشرة والتاسعة عشرة اي ان الموت يخضد من بناتنا في هذه السن على شكل مخيف وذلك في الحين الذي يصلحن فيهِ للزواج و يتأهبن لان يصبحن امهات · و يكفينا ان نلقي نظرة على الجدول الآتي حتى يمكننا ان نعير هذه الحقيقة المحزنة ما تستحقهُ من الالتفات

سنو العمر	ذكور	اناث
بين الولادة وتمة السنة	١٤٤٣٧	١٣٧٨٣
بين الاولى والثانية	٦٢٨٩	٦٧١٣
« الثانية والثالثة	١٠٥٠٢	١١٢٨٢
« الثالثة والرابعة	١٠٦٥٨	١٢٢٣٣
« الرابعة والخامسة	١١١٤١	١٢٠٨٨
٥ — ٩	٤٩٨٩٧	٤٨٦٤٤
١٠ — ١٤	٤٢٩٣٩	٣٤٣٥٣
١٥ — ١٩	٣٤٠٣٣	٢٨١٢٤
٢٠ — ٢٩	٥١٧٩٤	٥٦٦٦٠
٣٠ — ٣٩	٤٥٧٨٧	٤٦٠٨٣
٤٠ — ٤٩	٣٢٩٦٩	٣٢٩٠٣
٥٠	٤٦٣٥١	٤٦٦٦١

ومن ذلك نرى انهُ في السنة الاولى يزيد عدد الذكور من الاطفال على عدد الاناث بنسبة ١٠٥ : ١٠٠ كما هو الحال في سائر انحاء العالم وكما بينا فيما سبق . وفي السنة الثانية ينقلب الامر فيصبح الاناث اكثر من الذكور ويظل الحال كذلك الى الرابعة ثم يبتدئ عدد الاناث في النقصان قليلاً من السنة الخامسة الى التاسعة ولكن هذا النقص يبلغ نسبة مخيفة بين السنة العاشرة والتاسعة عشرة ثم ترجع النسبة الى حالتها الطبيعية بعد ذلك اي ان عدد النساء يصبح اكثر من عدد الرجال كما كان

ومن ذلك يتضح جليًّا ان عدد الاناث القبطيات يفوق عدد الذكور في كل سني الحياة ما عدا السنة الاولى والعاشرة والتاسعة عشر حينما تكون الفتاة لا تزال في بيت والديها فان النقص في عدد البنات في هذه السن شهادة صريحة بان عدداً وافراً منهن يموت في الوقت الذي يكن فيهِ في بيوت والديهن

امين حنا نسيم
دكتور في الطب

[المقتطف] ثم بحث حضرة الكاتب في اسباب هذا النقص فاذا اهمها عدم العناية بالمرأة مما لا حاجة الى ذكرهِ مفصلاً وانتقل الى بيان طريقة انتخاب الزوجات بين الاقباط وقرار المجلس الملي فبحث في ذلك بحثاً طويلاً نكتفي بالاشارة اليهِ

الرجل العبقري

درس في النبوغ من الوجهة العلمية

تمهيد

اتقدم الى القارىء بهذا السؤال « ماذا يحدث للعالم لو مرت خمسة قرون متطاولة لا ينبغ فيها عظيم وظلت العقول متساوية وعاش الناس عاديين لا تفوّق بينهم ولا سموّ »

ان الجواب على هذا السؤال حقيق ان يعد مشكلة علمية . ولكن الشعوب لم تفكر فيهِ قط . والمدنيات القديمة اغفلته تماماً . اما وقد هذب العلم الحيوان والنبات بالانتخاب والتوليد فان رفع مستوى العقول بات امراً ممكناً

وهذا ما حدا بالسر فرنسيس غلتون العالم الانكليزي المشهور الى درس مسألة النبوغ ووراثة النبوغ فقادهُ البحث الى وضع علم جديد سماهُ « اليوجنكس » او اصلاح النسل بالوسائل العملية . ومن ارائهِ في هذا الصدد ان من بين ٢٠ الفاً من الناس من امة متمدنة لا نجد اكثر من ثلاثة في المائة منهم متفوقين تفوقاً ذهنياً راقياً وثلاثة في المائة منحطين انحطاطاً تامًّا . فالشعوب تعيش بالكفاءة الذهنية المتوسطة . فماذا يحدث لو علت هذه الكفاءة ؟ لا شك ان الحياة تنقلب انقلاباً تامًّا

ولكن ما هو النبوغ ؟

هذا ما انا باسطهُ في هذه المقالة وفي مثلها مستنداً الى آراء الذين درسوا النبوغ من الوجهة العلمية منتفعين في ابحاثهم بالاكتشافات الجديدة في علم النفس والطب

شوبنهور لا يعد عالماً محققاً . ورأيهُ هنا اقرب الى الفلسفة منهُ الى التحقيق ولكنهُ رأي لا يشذ في جملتهِ عن ابحاث العلامة لومبروزو الذي يعد اكبر من درس مسألة النبوغ درساً علميًّا صحيحاً

هذا وقبل ان ابسط رأي شوبنهور اقول ان المدنية لم تساعد على تكثير النوابغ . قد تساعد على تحسين حالهم ولكن تنازع البقاء يتركهم دائماً مغبونين بل قد يساعد على قتلهم وخمولهم . والذين قرأوا تاريخ سبنسر يعرفون انهُ عاش فقيراً ولاقى اشد العنت والبلاء لكي يطبع كتبهُ الاولى بينما يكسب اليوم رجل اسمهُ تشارلي تشابلين اشتهر بالتمثيل المضحك ١٠٠ الف ريال في شهرين . ويكتب رجل آخر اسمهُ تشارلس جارفس رواية غرامية

سخيفة في ١٥٠ صفحة فيكسب ٦٠ الف جنيه · و يعيش ماكس مولر العالم الانكليزي الذي اتقن ٣٠ لغة وهذب علم مقابلة اللغات والسر هري جونستون البحاثة الانثروبولجي المشهور عيشة اواسط الناس بل قد لا يبلغانها

ان المدنية — كما يقول لومبروزو — لا تكثر من النوابغ بل تساعد على نهوضهم وتنتفع بظهورهم · والنابغة يظهر في كل عصر و بين كل امة ولكن تنازع البقاء الذي يهيء كثيرين من الاحياء لان يكونوا فريسة لغيرهم هو الذي يترك كثيرين من النوابغ في صفوف العامة و يضرب عليهم حجاب الخمول والضعة ان لم يوفقوا الى ظروف حسنة واحوال ملائمة لنبوغهم

على ان المدنيات جمعاء لا تحاسن النوابغ بل قد يكون منها ما هو بلاء عليهم واذى · ففي بعض البلاد الايطالية حيث التمدن عريق يندر ان يخصب النبوغ · وفي الجملة ان الفكرة الجديدة لا تجد مكاناً حسناً بين الامم التي تسود فيها الكفاءة العقلية المتوسطة العريقة في القدم · وعلى النقيض تماماً الامم الجديدة الناهضة · ففي روسيا يرحّب بالرأي الجديد وذلك لان التمدن في تلك البلاد وليد آخذ في الحياة

(١) رأي شوبنهور

بدأ شوبنهور رأيهُ في العبقرية والخلق بقولهِ ان الفروع العقلية التي تبعد النابغة عن الرجل العادي ليست الاَّ شذوذاً في نظام المخ وتركيبهِ · وعلى هذا الشذوذ يقوم كل شيء · فهو الذي يجعل الناس عاديين وعظماء فان فهم الانسان للحياة لا يتم لهُ عن طريق الحواس بل عن طريق الذهن فلهذا كان الفرق تامًّا بين النابغة والعادي في النظر الى الوجود وتقديرهِ

وليس لرجال النبوغ والتفكير ومن اليهم الذين يعيشون بعقولهم وآرائهم من العقائد الادبية والاستمكان من احوال العيشة واصطلاح العالم ما لسائر الناس بل ان هذه الملكات تضؤل فيهم وتتدلى و يكونون من الوجهة الادبية — كما يؤخذ من افلاطون في جمهوريتهِ وجوت في روايتهِ «تاسو» — مخلوقات ضعيفة ناقصة مشوهة · ولكن العواطف والمشاعر التي تكون مصدراً للخير و ينبوعاً تصدر عنهُ الفضيلة هي فيهم غالباً اقوى منها في سائر الناس الذين تكون اعمالهم انبل من نياتهم وافكارهم

ونؤكد ان الذين يدركون الفضيلة و يتفهمون معناها هم في الواقع اقرب الى الفضل والنبل ممن يعدون فضلاء · ولا يعيب الاولين ان يقصروا في ذلك فانهم لفرط ما يشغفون بالنبيل والجميل يسمون بارواحهم الى الخلود ولكن ضؤولة العالم وسخافة البشر لا تزال

تعجزهم وترميهم بالمضلة والتقصير فيعودون ولما بهم من اليأس ازهد الناس في الفضيلة او شرهم في هذا المعنى . وهم في ذلك كأهل الفنون الذين يدرجون وتدرج معهم عبقريتهم الفنية وان كانوا اجهل الناس برسوم الفن ومصطلحاتهِ ولعلهم واجدون من صلابة الزحام ما يعجزهم و يسوءهم

وكثيرون من الناس يكونون في الواقع اقل تحمساً للخير واجهلهم باصولهِ واسرارهِ ولكنهم يأتون الخير ويتمرسون بالفضل . ولهذا لا ينظر الرجل العادي الى النابغة والعظيم الأ بشيء من المقت والاحتقار ولا يتمالك العظيم ان يجزي العامة ومن اليهم اشد الازراء والسخرية وهو في ذلك معذور كل العذر

والنوابغ موءاخذون بالنقص ملومون عليهِ لان كل انسان مساهم فيهِ ولاحقهُ شطر منهُ ولكنهم حقيقون بالعطف والرثاء . وهم في باب المفاداة من الاثم واستحقاق المغفرة لا يبرأون كما يبرأ الناس اجمعون بموءاتاة الخير واصطناع الجميل والطيب بل هم مستحقون رحمة الله في اسلوب خاص بهم ولا تكون اعمالهم الوسيلة الى ذلك بل عقائدهم ونياتهم

وعاديو الناس وعامتهم لا يحتملون الوحدة ولا طاقة لهم بها ولا يحفلون قط بما تنطوي عليهِ الطبيعة من سر وغاية وذلك لانهم ابداً مهتدون بارادتهم موءتمون بها فلا يبرحون في غشية عن باطن الامور ودخائلها وما يكمن وراء ظواهرها فتمتلك اراداتهم شخصياتهم فيما لا يعدو تفاهة العيش والرزق . وكل ما يبدو لهم غير مطبوع بطابع المنفعة لا يتلقونهُ الأ بالازدراء ويمرون عليهِ قائلين « هذا لا يعنينا » ولهذا لا تبدو لهم سائر الامور الأ مغلفة بغلف قاتمة خطرة وهم لا ينبعثون الى عمل الأ اذا ارشدتهم اليهِ ارادتهم وحياتهم لا تنطوي على معنى عقلي ولا يذهبون الى ابعد مما هو مصطلح عليهِ . والحيوانات الدنيا لا تفتأ ذاهبة بوجوهها الى الارض لانها لا تعيش الأ مما ينبت تحت اقدامها ولا تستطيع ان تجد فيما حولها غاية او سرًّا سامياً . و يندر ان يستخدم العامة اذهانهم الأ اذا اقتيدوا الى ذلك بدوافع خارجة عن اراداتهم

اما الرجل المفكر والنابغة فانهُ يخضع لذهنهِ الذي يسمو الى العظمة والخلود بل انهُ ليرفع عقلهُ فوق ارادتهِ وذهنهِ لا يتقيد بالارادة بل يفوتها و يطول عليها فهو لا يكون ابداً ابن الأمة والجارية لانهُ وليد الحرة والنبيلة (١)

(١) اشارة الى ما في التوراة عن اسحق واسماعيل ابني ابراهيم

وهو لا يأخذ نفسهُ بقوانين الآداب والعرف لانهُ يضع لنفسهِ القانون والسنة بل لقد يحرر نفسهُ من امر العادة فتصبح القوانين الادبية امراً لا يمازج حياتهُ . وهو غير قدير ان يأتي اثماً خطراً كبيراً وان كان على اتيان الآثام الهينة العادية اكثر جرأة من الرجل العادي لانهُ لا يرى الحياة الأ واسطة ينفذ منها بعقلهِ وشعورهِ الى ما وراءها و يستتر بها

ولكي يفهم الناس الصلة بين النبوغ والفضيلة نقول ان الشر دافع عنيف من الارادة لا مقدرة لمخلوق على كبحهِ — دافع يقدم مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة . فالعلم الذي يأخذ الارادة بقانون صارم هو القائم على ان لكل سبب عاملاً كوَّنهُ واحدثهُ . والنبوغ في نفسهِ علم قائم بذاتهِ — علم يخلقهُ النابغة و يضمّنهُ آراءهُ والحدود التي أقامها لنفسهِ ولكنهُ علم لا يخضع قط لعلة أو سبب ولا يشترك مع علوم الناس في إن لكل سبب عاملاً كوَّنهُ وأحدثهُ

والنابغة لا يهتم بالارادة ولا يكون لهُ أثر في حياتهِ بل إن الرجل الذي ينفض عنهُ قيود العادات — اي النابغة — تنحل عنهُ قيود الارادة ولا يهتم بما يأتيهِ بالنفع بل يصبح عقلاً حرّاً طليقاً من اغلال الارادة

وهذا تفسير ما ذهبنا اليهِ من ان الرجل المفكر لا يعيش بارادتهِ . ولو انهُ خضع لهذا القانون لما عدا ان يكون امياً اوتي شيئاً من الذكاء . ولهذا لم يكن للارادة في حياة النوابغ اكبر الامر وهي بالقياس الى العقل اقل اثراً واضعف نفوذاً . على انهُ لا يستحيل ان يؤتى النابغة ارادة صارمة قوية . ولكن لما كان النبوغ عاجزاً عن التوفر على الفساد والاجرام والتمرد المطلق فانهُ مع الارادة القوية ينقلب قداسة و ينقلب النابغة قدسيّاً . ولنأخذن في توضيح ذلك

لا تكون الفضيلة بالضرورة ضعفاً في الارادة بل هي معاندة لها في تطرُّفها الشديد عن معرفة تامة بالحياة . ومعرفة الحياة والعيشة على المبادئ التي يخلقها الذهن لا تكونان الأ لرجلين — النابغة والقديس . والفرق بين الاثنين ان الاول يظهر ما ينطوي عليهِ ذهنهُ في اسلوب خاص ولا يكون ذلك الاَّ فنّاً او ما ينتهي الى الفنون . وهذا ما لا يد للقديس فيهِ لانهُ لا يرفع ذهنهُ فوق ارادتهِ فيمشي الى الزهد وانكار الحياة . وعلم القديس وسيلة الى غاية يرجوها ولكن النابغة يرفض الغايات وتستحيل عندهُ المعرفة الى فنون يجلوها للناس

ان نظام البدن يدل على ان الارادة القوية تكون ابداً ملازمة لقوة الذهن . فاذهان الجبابرة — كاذهان المفكرين والعبقريين لا تكون الأ قرينة ارادات قوية ولكنها لا تكون ابداً فوق العقل بل لا بد ان تخضع لهُ وان لزم ان تكون قوية بالضرورة . اي ان العقل

والارادة لا يكونان في مستوى من القوة بل لا بد ان يكون العقل في هذا المعنى اسمى وارقى

هذا هو ذهن العبقري وارادتهُ . ولكنَّ القديس يوازن بين الاثنين او يهادن بينهما . ويجد المتفنن لذة فيما تلده القرائح فتظل ارادتهُ متمردة يعوزها التدريب . ولهذا كان العبقريون ذوي شهوات حادة عنيفة لا ينفكون عن الانعطاف على الملاذ الجنسية وهم عرضة للغضب والانفعال الشديد . ولكنهم اعجز من ان يقترفوا الجرائم الكبرى . فاذا وقع لهم ما يقودهم الى اقترافها عادوا الى اذهانهم وتدبروا مبادئهم ومذاهبهم التي استنوها لانفسهم فتنقاد ارادتهم لعقولهم ويصبح النابغة والقديس في صف واحد عاجزين عن اقتراف الإثم الخطير

***

ومقياس النبوغ ان يسمو العقل الى ابعد مما تتطلبهُ ارادة الفرد . ولكنهُ مقياس غير ثابت . وقد يستطيع ان يخضع الانسان ارادتهُ لعقلهِ فيصل الى مستوى النوابغ . ولكن التوفر على ذلك لا يجعل المتمرس بهِ نابغاً وعظيماً بالضرورة . فانهُ وان استطال على العامة بذهنهِ ولكنها استطالة لا ترفعهُ الى مرتبة النبوغ وان سما فيهِ العقل وذلت الارادة وهو لا يكون عرضة للشهوات العنيفة ولكنهُ يترك ذهنهُ يجري وراء صنوف من العلم للعلم نفسهِ لا لتحقيق مبادىء معينة فهو لا يعد الآ من اصحاب المواهب السامية والعقول النيرة فيقضي حياة هادئة مطمئنة

والعقل الهادىء المطمئن الذي يسوق للانسان السعادة موقوف على العلاقة التي تكون بين الذهن والارادة علاقة يجب ان يرجح فيها العقل على الارادة . ولكن النبوغ وسمو العقل موقوفان على ما بين ذهن الانسان وسائر الناس من الصلة والموازنة — موازنة يجب ان يرجح فيها ذهن الفرد على اذهان الغير . ولهذا كانت السعادة والنبوغ على غير وفاق وقلما يتفقان لانسان ما

فاذا تقسمت الانسان الرغبات والشهوات والعواطف الجامحة فان عبقريتهُ ترسف في غلٍّ لا تستطيع فكاكهُ فاذا لطف من الشهوة وكسر من شرة العواطف استطاعت عبقريتهُ ان تتنفس وتعيش

وعلى العبقري ان يتحصن دون الالام والشدة وان يخفض من رغائبهِ وشهواتهِ ولكن اذا اعجزهُ ان يضرب على العاطفة الجامحة قانوناً ونظاماً فليرسلها على سجيتها فبهذه الوسيلة وحدها يستطيع ان يعيش وان يهدي الى العالم ثمرة نبوغهِ

ومحاربة الرغبات والعواطف عند الذين لو انهم خلقوا بدونها لعاشوا يقاتلون الملل والسأم من الحياة مفيدة لهم ونافعة لما يرجونهُ من وراء ذلك ولكنهُ امر يرهق الرجل الذي تنتظرهُ الاجيال التي تأتي بعدهُ لتنتفع من مواهبهِ فان هذا الرجل — كما يقول ديدرو — مخلوق غير ادبي

والقوانين الميكانيكية لا تفيد في الكيمياء كما ان قوانين الكيمياء لا تفيد في تركيب الانسان العضوي · فالشرائع التي تسيطر على العامة لا تصلح لاهل الشذوذ ولا تسد مطامعهم

والعقول السامية وليدة الدأب الطويل والجهد والعنف · اما الى اية غاية يتجه هذا الدأب فذلك امر لا قيمة لهُ في اهمية سمو العقل وعظمتهِ ما دامت هذه الغاية موكولة الى العظيم نفسهِ · وكل ما للتربية من اثرٍ في حياة النابغة أن تعين على الاستهداء الى الغاية التي يكون عندها النبوغ نبوغاً · ولهذا كانت طبيعة الانسان اجل شأناً من تربيتهِ وكل فضيلة التربية أن تلقن الانسان ما ارادهُ الغير من تهذيبهِ لا ما ارادهُ هو وان تكون اعمالهُ صدى لما اريد من تدريبهِ لا ما طبع عليهِ

ولقد اوتيت الحيوانات الدنيا من دقة الغريزة ما لم يؤتهُ البشر · ووجه ذلك انها تهتدي الى الامكنة التي تعيش فيها وتدرج منها وتميز الذين يقتربون منها ويختلطون بها وما الى ذلك مما يعدُّ عند الناس موهبة وتبصرة · فلا غرابة اذن ان يكون العبقري اجهل من العامي باساليب العيشة والعرف · بل ان الحيوانات لا تكون من الغباء والغفلة بحيث ترتكب اغلاطاً كما يفهم من لفظة « الخطا » كذلك لا يأتي العامي من السخف والخطل ما يأتيهِ النابغة

فاذا لج الناس في ايلام العظماء وأخذهم بالحدود القاسية ومحاسبتهم على اغلاطهم فان العظيم لا يبرح قاذفاً كل من هم حولهُ بالسخط والازراء · والناس من العبقري في حيرة وهو منهم في همّ وعذاب · وهم يعدونهُ حيواناً شاذاً ينقصهُ التدريب وهو لا ينزل بينهم الا في جزيرة جرداء فاذا اشتدت مصيبة بالناس لعن الدهر الذي قذفهُ بين القردة والببغاء · انتهى كلام شوبنهور

وفي الاعداد القادمة نبسط آراء لومبروز وماكس نوردو وغلتون ونيتشه و برنارد شو

القاهرة أ · ح

~~~~~~~~
~~~~~~~~

الاطعمة المحفوظة

وَلخصها كيماويًّا من ابحاث الاستاذين جوتيير و بريجر وغيرهما

(٣) اللبن المكثف والحليب

الاول هو المعروف بلبن العلب واستعمالهُ شائع في البلدان التي يقل فيها اللبن وخصوصاً لتغذية الاطفال الرضع · وهو يختلف عن اللبن الحليب في كثرة الدهن ومن ذلك يتضح وجوب تخفيفهِ بالماء · ومنهُ ما يحتوي على قشدتهِ ومنهُ ما هو خالٍ منها · وغالباً يكون النوع الاخير محلًّى بالسكر ولا يشترط ذلك في الاول وهاك النسبة المئوية لاجزائهِ في النهايتين الصغرى والكبرى :—

	يحتوي على قشدتهِ				خالٍ منها	
	محلي بالسكر		غير محلى بالسكر		محلى بالسكر	
	النهاية الصغرى	النهاية العظمى	النهاية الصغرى	النهاية العظمى	النهاية الصغرى	النهاية العظمى
جملة المواد الصلبة	٦٨٫١	٨٣٫٦	٣٩٫٢	٣٨٫٠	٥٦٫٩	٧٩٫١
بروتين	٧٫٣	١١٫٤	٨٫٠	١٠٫٠	٧٫٦	١٢٫٣
دهن	٨٫٠	١٣٫٧	٨٫٢	١١٫٩	١٫٠	٦٥٫١
سكر اللبن	١١٫٦	١٧٫٦	١١٫١	١٦٫٠	١٠٫٩	١٧٫٠
رماد	١٫٦	٣٫٤	١٫٦	٣٫٥	١٫٦	٣٫٩
سكر القصب	٣٦٫١	٤٤٫٦	....	....	٣٠٫٤	٥٢٫٦

و يلاحظ ان مقدار سكر القصب لا يدخل في تركيب اللبن الاصلي وانما يضاف بالنسب المذكورة وذلك ليحفظهُ من البكتيريا كما دل الاختبار · ثم يعتمد التعقيم بالحرارة التي تزيد على المائة لحفظ النوع الثاني · وعلى كل حال فطرق تكثيف اللبن المتبعة الآن كافية فقط لحفظهِ سليماً من باسيل الكولي Bacillus Coli وباسيل الدرن B. Tuberculosis وفيما عدا ذلك هو عرضة لانواع اخرى من البكتيريا كانواع الستربتوكوكسي Streptococci مثل ستربتوكوكس الدفثيريا Streptococcus diphtheriticus وانواع السارسيناي Sarcinae والخمائر Yeasts والسابروهيتس Saprohytes

ويظهر لنا من الجدول السابق ان النوع الحاوي لقشدتهِ وغير المحلَّى بالسكر هو ذلك

الذي يلائم حالة الاطفال الرضع لان المحلى بالسكر لا يضاهي لبن الام فان الاخير لا يحتوي على سكر القصب . واذا أُطعم الطفل هذا النوع لا يلبث ان تعتريهُ حموضة المعدة والتخمة المصحوبة بالاسهال . وفي رأي الكثيرين ان اللبن المكثف لا يصلح بالمرة لغذاء الاطفال حتى ولا النوع السالف الذكر لسببين لا يجوز اغفالها وهما :—

(١) فقدان اللبن المكثف لانزيمهِ الاصلي وذلك من الحرارة المستعملة للتكثيف

(٢) تعرض الطفل لمرض الاسكربوط Scurvy . وهذا الاخير اهم كثيراً من الاول لان وجود الانزيم لا يهم كثيراً في غذاء الطفل ونموهِ . وبين الذين لا يوافقون على استعمال اللبن المكثف غذاء للاطفال جماعة من الاطباء اقترحوا على الحكومة الانكليزية ان تأمر فتلصق على صفائح اللبن المكثف هذه العبارة : لا يوافق الاطفال Unfit for Infants وذلك لان ضرر اللبن الخالي من القشدة — وهو بالطبع الصنف الاكثر شيوعاً في الاسواق — لا يقتصر على اضعاف الاطفال بل يوقف نموهم الطبيعي فترى الطفل هزيلاً نحيفاً . وقلما ينجو من الكساح او الموت قبل السنة الاولى من حياتهِ ومن يعش بعد سن الطفولية يتعرض للجنون والذي يسلم منهُ يعيش غبيًّا ضعيف الارادة

وطرق الغش المتبعة عموماً في الالبان على انواعها تنحصر في (١) تجريدها من القشدة و (٢) اضافة كمية من الماء اليها

ولا يكفي لمعرفة اللبن الجيد البحث عن الكثافة بالهيدرومتر بل يجب معرفة كمية الدهن في كل لتر منهُ ومقارنتها بالمقادير الخاصة باجود انواع اللبن . لانهُ يمكن من يقصد الغش ان يزيل القشدة فتزيد الكثافة لفقدان اللبن لجزئهِ الخفيف وهو القشدة ثم يضع الماء تدريجيًّا حتى يحصل على الكثافة المطلوبة . وفي هذه الحالة يتضاعف الغش ثم يصعب معرفتهُ بالبحث عن الكثافة

وطريقة جربر Gerber Process وهي الطريقة المتبعة في المستشفيات لمعرفة كمية الدهن في كل لتر من اللبن تنحصر فيما يأتي : يوضع في انبوبة خاصة ١٠ سنتمترات مكعبة من حامض كبريتيك لا تزيد كثافتهُ عن ١٫٨٢٥ ولا تقل عن ١٫٨٢٠ ثم ١١ سنتمتراً مكعبًا من اللبن واخيراً سنتمتر مكعب واحد من الكحول الاميلي Amyl Alcohol ثم تسد الانبوبة بسدادة من الكاوتشك وتقلب مراراً من اعلى الى اسفل وتوضع في جهاز يدور دوراناً افقيًّا لمدة ٣ دقائق فينفصل الدهن وتمكن قراءة الدرجة التي تفصل السائل الحاوي للدهن عن

السائل الاحمر وهو الاسفل . وهذه القراءة تدل على عدد الجرامات من الدهن في كل لتر من اللبن وهي قلما تزيد على ٣٧ جراماً في اجود انواع اللبن الاوربي او البقري وربما زادت على ٧٥ جراماً في لبن الجاموس المصري . فلا غرابة اذن ان يحسد الاوروبيون اهل مصر على جودة البانهم . ومثل ذلك يقال ايضاً عن الزبدة والجبن المصري المصنوعين منهُ . ولا بد لتمام الفحص الكيماوي ان تعرف كمية الماء في كل لتر من اللبن ثم يحث اخيراً عن العقاقير الواقية من الفساد وهي غالباً الفورمالين والحامض السليسيليك والبوريك ونترات الصودا وكلورور النشادر والخل والكحول وغيرها . ومضارها عديدة وقد حظرت الحكومة الانكليزية بتاتاً استعمال الفورمالين لحفظ الاطعمة على انواعها وسمحت فقط باستعمال الحامض السليسيليك بالنسب الآتية الأَ في اطعمة المرضى والاطفال : — قمحة واحدة في كل ٢٠٠ درهم من الطعام السائل . ومثلها في كل رطل من الاطعمة الصلبة . وقد اكتشفت حديثاً طريقة لحفظ اللبن بواسطة ثاني اكسيد الهيدروجين Hydrogen Peroxide وانزيم الكاتالاز الموجود بطبيعته في الحليب غير المغلى(1) . فعند تسخين اللبن الحاوي لهذا المركب الى درجة ٥٢ سنتجراد وحفظهِ عند هذه الدرجة لمدة ٣ ساعات يتفاعل هذا الانزيم مع المركب المذكور فينتج اكسيجيناً متولداً Nascent Oxygen يحفظ اللبن سليماً من البكتيريا . واختمار اللبن عادة ناتج من تعرضهِ للهواء مدة طويلة . وذلك لاحتواء الاخير على كميات عظيمة من خميرة الحامض اللبنيك Lactic acid Ferment وهي التي من شأنها تحويل السكر اللبني Lactose الى الحامض اللبنيك . وهذا التحويل خاص بها لان لها صفة التأثير النوعي

وهذا الحامض يؤثر في احد بروتينات اللبن وهو الكاسينوجن Caseinogen فيرسب جزءًا منهُ و يظهر اذ ذاك اختمار اللبن . و يفقد الجزء المرسب حلاوتهُ . و يطلق عليهِ اهل الشرق اسم « اللبن الرائب » وهو بلا شك غذاء كبير الفائدة لمنهوكي المعدة . و يصنع اهل التتر والقوقاس انواعاً اخرى من اللبن الرائب اعتمدوا فيها التخمير المتضاعف فلا يقصرون همهم على التخمير السالف الذكر بل يصنعون خمائر اخرى من شأنها توليد

(1) ولوجود هذا الانزيم فائدة في معرفة اللبن المغلى من غيره وذلك بواسطة صبغة الجواياك Tr. Guaiac فتعطي لوناً ازرق مع اللبن غير المغلى وسبب اللون مجهول

الاختمارين الحمضي والكحولي ومن هذه الانواع ما يعرف بالكوميس Koumiss والكفير Kephir والماتزون Matzoon واللبن Leben وقد شاع استعمال الثلاثة الاول في اوربا كغذاء خفيف في عسر الهضم والتخمة وغيرهما من ادواء المعدة

(٤) الزبدة والمارجارين

الزبدة الطبيعية هي المستخرجة من البان البقر والجاموس وغيرهما من المواشي ولاستخراجها يجب خض اللبن خضاً يكفل تجمع كريات الدهن في كتل صلبة وانفصال السائل المعروف بمصل اللبن او « الشرش » . ووسائل ذلك في مصر « القرب » التي ترج بالايدي وفي اوربا الآلات . واللبن المصري على ما رأينا سابقاً غني بكمية لا يستهان بها من اهم العناصر الغذائية وهي الدهن والفلاح المصري ليس على درجة يعرف بها جيداً طرق الغش العديدة فهو يقدم زبدتهُ باثمان لو قورنت بغيرها من اثمان الزبدة الاوربية على ما فيها من الدهن القليل لرأينا الفرق عظيماً

وقد قامت اخيراً في اوربا واميركا صناعة واسعة النطاق لعمل الزبدة الصناعية او المارجارين . والنباتية منها تصنع من زيت جوز الهند الرخيص الثمن والحيوانية تصنع من دهن الثيران مع اضافة كميات خاصة من الزبدة النباتية كزيت السمسم وزيت بذرة القطن . ولهذه الاضافة علة كيماوية يعرفها اصحاب هاتيك الصناعة كما وان انتقاء زيت جوز الهند دون غيره في الاولى منها تضليل الكيماوي الخبير عند البحث والاستقراء . وقد وضعت حكومات اوربا واميركا شروطاً تقيد بها الاتجار بهذا النوع من الزبدة رحمة بالاهلين فامرت ان يكتب على صفائحها بخط واضح هذه العبارة Oleo Margarine ووضعت لها اسعاراً رخيصة فانتفع بها الفقراء لانها تقوم تماماً مقام الزبدة الطبيعية في الغذاء ولو فقدت بعض لذتها . وقد استعمل في هذه الصناعة اللبن الحليب لتحسين الطعم والالوان الصناعية كالكركم Turmeric والزعفران Saffron والاناتو Annato واصباغ الانيلين Marigold and Martius Yellow and Victoria Yellow وغيرها لتحسين اللون . وتتعرض الادهان على انواعها لفساد يدعى حموضة الزبدة والزيوت وهو المعروف بالانكليزية باسم Acidity in Butter and Oil وينشأ عن ذلك انحلال المركبات التي تكون الجزء الاكبر من الادهان عموماً وهي الاستيرات Esters الناتجة من اتحاد

الاحماض الدهنية بالكحول المعروف بالجليسرين Propeny Aalcohol or Glyceryl وخصوصاً تلك التي للاحماض الطيارة نحو حمض البيوتيرك Butyric والكابرويك Caporic والكابريليك Caprylic والكابريك Capric وذلك بواسطة مكروبات عديدة تكثر في الهواء · ونتيجة هذا الانحلال الكيماوي تظهر تلك الاحماض في الادهان فتسبب فسادها · ويجب الاسراع بالفحص الكيماوي عند اي شك في رائحة او طعم ينذر بذلك الفساد · وتضاف عادة كمية من ملح الطعام لحفظ ما يراد خزنهُ مدة من الزمن وهذه الاضافة لا تضر وليست ممنوعة قط · ويجب لمعرفة الزبدة الجيدة البحث عن مقدار الماء في كل مائة جزء فان زاد عن ستة عشر دل ذلك على الغش وهذا هو الرقم الذي تسير عليهِ معامل انكلترا · ولا بد لفاحص الزبدة المصرية ان لا يسرع في الحكم على الزبدة التي يختبرها لانهُ ربما زاد مقدار الماء عند هذا العدد وعلة ذلك واضحة وهي طريقة الصنع · فما تصنعهُ الآلات ليس كما تصنعهُ ايدي العاملات من الفلاحين وتوجد عدة اختبارات يجب الاخذ بنتائجها عند البحث عن الزبدة الصناعية نكتفي بالاشارة اليها · ومن ذلك يظهر لنا ان الاختبار الكيماوي في هذه الحالة لمن اشق الامور لان صانعي هذه الزبدة الصناعية يبذلون قصارى جهدهم لجعل نتيجة تحليلها الكيماوي تضاهي التي لاجود انواع الزبدة المعروفة · واخيراً يجب البحث عن العقاقير الواقية من الفساد وهي تكثر عادة في انواع الاغذية الغالية الثمن واهمها في هذه الحالة املاح البورون والفلورين

(٥) الجبن — صناعتهُ والعتيق منهُ

يصنع الجبن عادة من اجود انواع الالبان وقد رأينا كيف يفضل الجبن المصري غيرهُ من الجبن الاوربي لكثرة الدهن فيهِ ولولا احتواؤهُ على كمية عظيمة من الماء لكان يباع باغلى الاثمان · وتضاف عادة المنفحة Rennet وهي المستحضر المصنوع من انزيم البيبسين Pepsin Enzyme للبن بالنسبة الآتية : نقطة في نصف اوقية من الماء لكل ٢٠٠ درهم من اللبن فالافتعال الكيماوي في هذه الحالة يختلف عن ذلك الحادث في اختمار اللبن السالف الذكر ولو انهُ في كلا الحالين يتجمد اللبن فيصير قرصاً تعلوهُ طبقة من السائل العذب المعروف « بالشرش » · وتوجد انواع من الجبن مصنوعة من قشدة اللبن وهذا النوع من الجبن دسم جدًّا و يباع باثمان باهظة واخرى مصنوعة من اللبن المجرد عن قشدتهِ وهو المعروف

في مصر « بالفرز » . اما الممالح أو المخزون المعروف بالانكليزية باسم Ripe cheeses فهو الجبن العادي يترك مدة من الزمن فيتحول فيهِ بروتين الجبن وهو الكاسيين Casein الى مركبات يقل ثقلها النوعي كثيراً عنهُ وتحتوي على كمية وافرة من الازوت . وهذا النوع تكثر فيهِ الاجسام الفطرية مما يظهر عادة فوق آنية الحلوى والمربيات التي اهمل تعقيمها واذا ترك الجبن مدة طويلة زاد ذلك التحول وزاد ايضاً نمو تلك الاجسام فترى فيهِ تلك الشرنقة البيضاء وهي المعروفة « بدودة الجبن البيضاء » Acarus Domestisus ومصدرها بيض الذباب ويغش الجبن عادة بصنعهِ من البان جردت من قشدتها ثم باضافة أدهان غريبة كالمارجارين او شحم الخنزير . وقد قامت شركة اميركية بصنع المقادير الهائلة من هذا النوع ويدعونهُ Filled cheeses ويبيعونهُ باثمان زهيدة للفقراء وهو بلا شك يضاهي الجبن العادي في كمية غذائهِ

والجبن العتيق يحتوي على خميرة حمض البيوتريك ولها فائدة كيماوية لتحضير هذا الحامض في المعامل . فاذا اضيفت قطعة من ذلك الجبن الى اللبن الرائب وهو الحاوي للحامض اللبنيك تحول الاخير الى الحامض البيوتريك مع العلم انهُ لا بد من اضافة كمية من الطباشير (كربونات) وهو قلوي وذلك ليزيل الافتعال الحمضي الذي يكون خطراً على حياة الخميرة

وهذه الخميرة على ما دل الاختبار تولد في الجبن بطريقة مجهولة نوعاً من التوكسين الذي اكتشفهُ العالم فوغان Vaughan وقد لخصت خصائصهُ الفارماكولوجية فيما يأتي : قيء واسهال شديد غير منقطع . ظمأ وجفاف في الفم واللسان ثم ضعف عام تعقبهُ الوفاة . وقد شغل بال العلماء امر تسمم الطعام مدة طويلة ومنحوا الجوائز لمن فاز في هذا المضمار ولا عجب فالطعام عليهِ حياة الانسان والمخزون منهُ يسبب امراضاً يصعب شفاؤُها ان لم تودِ بحياة آكلها

فهيم نجار

الطالب بمدرسة الصيدلة

في قصر العيني

الرجولية وشبان المدارس

صحا رأد الضحى مخمور الجنان مما شاقهُ في رؤياهُ من كنز مرصود ومال موفور فتثاءب وتمطى وهو يقظان نائم ومد يدهُ اليمنى ليصيب بها ما خبأهُ لهُ القدر فلم تقع على شيء مما اراد

تلك حال شاب شاب فوداهُ مما هالهُ من بوائق الايام لا يرى في بياض نهارهِ الاَّ سواداً ولا يرى في سواد ليلهِ الاَّ احلاماً ان اطربتهُ حيناً افزعتهُ احياناً فهو خدن الآمال يبيع العاجل بالآجل وما يذهب الزمان الاَّ بانفاسهِ يصعدها من صدر مزفر · شاب يجدّ فيشقى و يشقى فلا ينال جدوى

الفيتهُ مثقفاً ذكي الفؤَاد ولكن فيهِ خشونة طبع حاد المزاج يتسلط الغضب فالحنق عليهِ لاقل شيء اومن لا شيء ولعل ما يسمونهُ نكد الطالع نازل بهِ ممسك بتلابيبهِ فدنياهُ لا تبسم لهُ ولا هو يبسم لها

تعرفت بهِ واصطفيتهُ وما فتئت اسكن من حدتهِ والطف من شدتهِ حينما اراهُ خارجاً عن طبعهِ مستسلماً لنزق تملكهُ وتهور استعبدهُ حتى سلس قيادهُ ولان · علمهُ الدهر ما عليهِ من واجب في دنياهُ وما لهُ من حق في الوجود فصار يقدر للامور عواقبها و ينزلها منازلها وما سمعتهُ بعد ذلك يذم زمانهُ بل يحسب الزمان خلق ليخدمهُ وكثيراً ما سمعتهُ ينشد

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

***

اجتمعت بهِ بعد ذلك مراراً استطلع طلع احوالهِ ومبلغ امانيهِ وآمالهِ · فرأيتهُ كبير الامل كبير الرجاء لا يخامرهُ يأس ولا يكترث لصعاب تعترض لهُ · فاليأس لا يجد الى صدرهِ طريقاً والصعاب يجاهد في تذليلها ولا يلبث ان يتغلب عليها · طفقت اعلل ذلك الانقلاب فيهِ وابحث عن اسبابهِ

علمت ان ذلك الشاب كانت تنقصهُ خلتان اذا اجتمعتا في امرىء اجتمع فيهِ اهم اركان الرجولية التي تجعل لهُ مقاماً في امتهِ · فاذا فقد احداها غلب على امرهِ وانقلب على دهرهِ ذاماً مؤَنباً اولاها اعتمادهُ على نفسهِ وثانيتهما دماثة في طبعهِ تذهب منهُ ما فيهِ من الخشونة والضجر

ففي الاولى كثيراً ما كان يعتمد على ما يسمونهُ حظاً نابذاً الجد والكد معتصماً بالتوكل

على سواه من الاقربين اليهِ . ولم تكن لهُ ثقة بنفسهِ — ومتى ذهبت ثقة المرء بنفسهِ فقد الرجولية . كان يقول في بالهِ انَّى يتسنى لي النجاح وانا لا رأس مال لي اقضي بهِ عملاً . كان يقول هذا وقد نسي ان في صدرهِ علماً واسعاً وفي رأسهِ ادراكاً قد اهملهُ كل اهمال . كان ذلك كلهُ يصور لهُ اوهاماً اقلها انهُ سيء الطالع منكود الحظ . فكان هـذا سبباً في تسلط الخلة الثانية عليهِ او ما يبدو عليهِ من موجدة وحنق ولو في ساعة الحلم والرضى

كان يقصد ابواب الحكومة طارقاً لعلها تفتح في وجههِ فيزيد اقفالها احكاماً . ويقصد الشركات فتوصد في وجههِ كل باب فيذهب في سبيلهِ مغمض العينين لا يلوي على شيء وكأن الدنيا على رحبها اضيق من سم الخياط في نظرهِ

ذلك كان شأنهُ وذلك هو شأن الاكثرين من الشبان المتعلمين هـذه الايام ولاسيما الذين سقطوا في الامتحانات النهائية . الذين نسمع شكاياتهم كل يوم . الذين ملتهم القهوات وكادت تلفظهم لفظ النواة . الذين لهم عيون ولا يبصرون وآذان ولا يسمعون وادراك ولا يفقهون لانهم لا يقدمون ولا يعملون . وانا استميحهم عذراً اذا رأوا مني حدة وشدة

***

جلس صاحبي ذات مساء مطرقاً مفكراً في تعاستهِ وشقائهِ واتفق انني مررت بهِ فالفيتهُ على تلك الحال وعوامل اليأس آخذة منهُ كل مأخذ فرثيت لحالهِ وجلست الى جانبهِ اهون عليهِ . واذا بهِ قد ابتسم وقال . لقد عنَّ لي خاطر فاعلم ايها الصديق انني لا املك من حطام دنيانا الاَّ عشرين جنيهاً بعت بها اثاث منزلي وقد بدا لي ان اوصي بصنع عشرين مركبة يد كل مركبة بجنيه — وكان ذلك قبل الحرب الحالية — اؤجرها لبائعي الخضر والفاكهة الجائلين بقرشين المركبة . قلت افعل ولا تتأخر واعتمد على نفسك وشددت عزمهُ

عرفت بعد ذلك انهُ فعل وتدرج في عملهِ من القليل الى الكثير حتى صار دخلهُ اليومي جنيهاً وكان قد صار لهُ مزاحمون فجعل اجرة المركبة قرشاً واحداً في اليوم والخلاصة انهُ جمع رأس مال قدرهُ مئة جنيه وفتح بها دكاناً . وما كان يجد في السوق سلعة رائجة الاَّ اشترى منها وباع . وما انفك ذلك دأبهُ معتمداً على نفسهِ وصارفاً اجتهادهُ الى عملهِ حتى صار اليوم تاجراً معدوداً . وكان في اثناء ذلك يجتهد كثيراً في التخلق باخلاق تذهب منهُ تلك الخشونة التي لم يكن الباعث عليها فيهِ الاَّ بؤسهُ وقلة ذات يدهِ

بدأ هذا الشاب حياتهُ التجارية برأس مال زهيد لو ذكر على مسمع شاب من شباننا الذين يملأُون الجرائد كل يوم بشكاياتهم لانغضوا رؤُوسهم وهزوا اكتافهم احتقاراً واستهزاء فاولاً لانهُ لاروح رجولية فيهم تجعلهم يقدمون على العمل احراراً مستقلين معتمدين على انفسهم . وثانياً لانهم يسمعون أن رأس مال قدرهُ مئة جنيه مثلاً قليل جداً لا يستطيعون ان يديروا بهِ عملاً او تجارة ما ولو نظروا الى بعيد لعلموا ان النجاح يكون بالاعتماد على النفس وليس بكبر رأس المال كما سيجيءُ في عرض الكلام

فالشهادة المدرسية التي تتأبطونها ايها الشبان وتتكلون عليها ينبغي لكم ان لا تعدوها رأس مالكم الوحيد وان تكن واسطة لتوظيفكم في دوائر الحكومة وانما رأس مالكم هو علمكم واتكالكم على انفسكم وانتهاز الفرص التي تسنح لكم . واذا كانت امراً مرغوباً فيهِ اليوم فستكون غداً امراً مرغوباً عنهُ ولاسيما وقد بدأت الحكومة تعودكم الاعتماد على النفس ولكن من وجه غير مباشر وكان اول هذا الطريق الغاء التوظف لحاملي الشهادة الابتدائية

لماذا يكون قصد الوالدين واولادهم في قطرنا هذا ان ينال اولادهم الشهادات على اختلافها لكي يوظفوا في دوائر الحكومة ؟ لماذا يكون قصد من ينال شهادة الهندسة مثلاً التوظف في مصلحة الري . هب ان هذه المصلحة ضاقت ذرعاً بموظفيها أييأس ذلك الشاب من حياتهِ ويجعل القهوة مجلسهُ ويعد نفسهُ تعيساً سيء الحظ منكود الطالع . أليس في وسعهِ ان يفتح مكتباً لتعاطي صناعتهِ واذا احتج عليَّ بانهُ لا رأس مال معهُ قلت ان من يعتمد على نفسهِ يوجد رأس المال لعملهِ . كذلك هو شأن جميع المفلحين الناجحين في العالم . اقرأ سيرهم ترَ انهُ لم يكن معهم في اول امرهم رأس مال يتكلون عليهِ وليس هؤُلاء الناجحون الا الذين اتقدت في صدورهم نار الرجولية

ان المتعلم المفكر يجد في قطرنا كثيراً من الاشغال والاعمال لم يطرقها من قبل طارق ولا سار في طريقها سائر . فلو نزعنا القيود من ايدينا وارجلنا واطلقنا عقولنا من الاغلال ونبذنا التقاليد جانباً لما سدت الطرق في وجوهنا . وعندي ان اليأس جبن وخور عزم فاقدموا متكلين على انفسكم ففي الاقدام منجاة وفي الجمود والاحجام قضاء على الحياة

اسحق صروف

باب الزراعة

نشرنا في مقتطف سبتمبر جانباً من الفصل الاخير الذي ختم بهِ هذا الكتاب النفيس ووعدنا باتمامهِ في هذا الجزء فنقول . بعد ان اتى المؤَلف على القانون الذي وضعتهُ الحكومة لشركات التعاون الزراعي وعلى شرح موادهِ مادة مادة وايضاح الغرض منها ختم الفصل بخلاصة مسهبة بيَّن فيها مفاد هذا القانون وما يراهُ لازماً لاتمامهِ ولنجاح هذه الشركات من جهة الحكومة ومن جهة الامَّة قال فيها ما نصهُ

« يستخلص مما تقدم ان الحكومة قد توخت من هذا القانون وضع نظام وطيد الدعائم لشركات التعاون الزراعية يطلقها من قيود القانون العام التي لا تلائم مصلحتها ولا تتفق مع طبيعة اعمالها و يضمن لها التمتع بالشخصية المعنوية و يكفل قيامها على مبادىء التعاون الصحيحة وحماية مصلحة اعضائها فضلاً عن معامليها كقصرها على المزارعين الوطنيين وتعيين الحد الادنى لعدد اعضائها وتحديد منطقة اعمالها وتعريف تلك الاعمال وتحظير التسليف لغير الاعضاء وتعليق جواز التسليف على شرط صرف السلف في الاعمال النافعة واباحة قيام الشركة الواحدة باكثر من نوع واحد من الاعمال اذا اقتضى الحال والنص على طريقة ادارة هذه الشركات واباحة تأليفها بلا رأس مال وتقرير مبدإ التضامن بين الاعضاء وعدم جواز نقص رأس المال وتعيين الحدود التي لا يجوز ان تتعداها قيمة الحصص ومنع استئثار العضو الواحد باكثر من نسبة معينة من رأس المال وتقييد نقل ملكية الحصص برضاء لجنة الادارة وعدم التوسع في الاقتراض وقبول الودائع بما لا يتفق مع درجة اهمية اعمال الشركة ووجوب تكوين المال الاحتياطي والنص على كيفية تكوينهِ ومنع تجاوز ربح الحصص ستة في المائة من رأس المال المدفوع وتقديم الحسابات النصف السنوية للمحكمة ونشرها في الجريدة الرسمية وعقاب المسئولين عنها اذا لم تكن صحيحة وتعيين احوال سقوط العضوية والاحتياط لمنع الشركات من الاشتغال بالمضاربات او بغير الاغراض المعينة في القانون ولمنع تعرضها للشؤُون السياسية

« وقد خص هذا القانون شركات التعاون الزراعية ببعض المزايا التي تعينها على النجاح كاعفائها من رسوم التسجيل والنشر ونحوها وتحريم الحجز على الحصص كما فرض على وزارة الزراعة مدها بالارشاد مما يؤَمل ان يعود عليها بخير النتائج

«على انهُ قد جاء خلواً من نص عظيم الاهمية نعني بهِ تقرير تفتيش اعمال شركات التعاون وحساباتها تفتيشاً دورياً منتظماً وقد اتينا على ايضاح فن التفتيش في الاخذ بيد المتعاونين وتدريبهم على اصول التعارف ونظاماتهِ الدقيقة وبينا بما لا يحتمل المزيد كيف اصبح في مقدمة التدابير التي تكفل حماية مصلحة اعضاء شركات التعاون الزراعية فضلاً عن مصلحة الماليين والتجار وافراد الجمهور الذين يعاملونها فلذلك يحق لنا ان نؤمل تدارك هذا النقص في التشريع التعاوني وان كان تنفيذ نص المادة السابعة من القانون لا بد وان يؤول بطبيعة الحال الى اجراء هذا التفتيش فبغير ذلك لا يتسنى لوزارة المالية ان تلم بمبلغ نجاح أعمال الشركات التي تطلب الاستدانة أو قبول الودائع إلماماً يمكنها من المصادقة على ذلك الطلب

***

« وغني عن البيان ان سن قانون للتعاون مهما مهد سبيل انشاء شركات التعاون الزراعية على صحيح الاصول ووطيد الدعائم لا يبعث نهضة التعاون في الوجود· فان قيام هذه النهضة يقتضي عزيمة صادقة من جانب الامة ورعاية من جانب الحكومة

أما واجب الحكومة فواضح لا يحتمل اللبس وهو مساعدة الاهالي على فهم المبادىء التعاونية وتنظيم مجهوداتهم في سبيل انشاء شركات التعاون الزراعية على ما يتفق مع تلك المبادىء وتدبير الوسائل الكفيلة بمنع تطرق الفشل الى اعمالها أو على الاقل بقطع شأفة الشر قبل استفحالهِ ومدها بالارشاد والخبرة الفنية فيما يعينها على بلوغ اغراضها مع البعد عن التعرض لادارة اعمالها وافساح المجال لمجهودات اعضائها فكما تحوط التعاون بسياج من العناية التي تحول دون استحالتهِ الى اداة لجر الشر على ضعاف القوم الذين يرجون منهُ محض النفع كذلك ترباً بهِ عن ان يصير تعاوناً اسمياً قائماً على غير عزائم المتعاونين

وأما الامة فان وجهاءها سيما الذين يسكنون الريف منهم لهم في نفوس اهالي القرى مكانة يجمل بهم ان يتذرعوا بها الى نشر المبادىء التعاونية السامية بين اولئك الاهالي وحملهم على الاستفادة من تطبيق تلك المبادىء على شؤون حياتهم الزراعية ولذلك يتعين على هؤلاء الوجهاء ان ارادوا الخير لبلادهم — وهم لا شك مريدون — أن يكونوا اول القائمين بنشر الدعوة التعاونية الناهضين بقراهم الى انشاء شركات التعاون الزراعية· على ان واجبهم في هذا السبيل ليس بالامر الهين فان القيام بهِ يقتضي جهداً عظيماً وصبراً طويلاً

ودأباً على العمل دون الاستسلام الى اليأس لأَقل عقبة تقف في وجههم كما يقتضي نكران الذات والارتياح الى مبدإِ الشورى والتساوي في الحقوق والواجبات

«وقد أَلمعنا في الفصل السابق الى شيءٍ من تلك العقبات وهو قليل من كثير مما لا بد للقائمين بالنهضة التعاونية من تذليلهِ . وذلك ما لا يكون الا بتعقب اصل الداء وعلاجهِ لا بمجرد محاولة تسكين آلامهِ

«ويحسن بنا هنا ان نلخص في كلمات قلائل أَهم الشرائط اللازمة لنجاح شركات التعاون الزراعية في مصر فنقول انهُ لا يجب الشروع في انشاء شركة منها في قرية الا بعد شعور اهلها بمسيس الحاجة الى تلك الشركة وبعد تدبير وسائل تقريب مبادىء التعاون واغراضهِ من افهامهم . ولا بد ان يكون في القرية بضعة رجال مستنيرين ممن يحترمهم الاهالي ليدرسوا أَهم نظامات الشركات التعاونية فيأْخذها عنهم الباقون بالبحث والمناقشة . ولا بد للشركة من كاتب نبيه يقوم بمسك دفاترها وحسابها على القواعد الصحيحة مع البساطة . ويجب ان يكون قانون الشركة سهلاً بعيداً عن التعقيد مع الاحاطة بالاصول التعاونية . ويتعين عليها ان تقصر نطاق عملها على القرية وما جاورها . وان لا تمارس من الاعمال الا ما تثق كل الوثوق بالقدرة عليهِ وان تبادر الى تكوين مال احتياطيٍّ كبير يعزز مركزها . ولتبدأْ صغيرة وتعمل بروية وحذر فلا توغل في الاقتراض أَو في قبول الامانات جزافاً . ولتكن «مرضاة الخواطر» من الامور التي تمنع بتاتاً في اعمالها فلا تقرض قرضاً ايًّا كان طالبهُ الاَّ بعد التحقق من لزومهِ للانفاق في ما يجدي ومن جدارة الطالب وضُمَّانهِ بالثقة ولا تتسامح مطلقاً في تجديد السلف عند استحقاق وفائها . ولا تحيد قيد شعرة عن بقية القواعد التعاونية التي نص عليها قانون التعاون وتضمنتها لائحتها الداخلية لا سيما اجتناب استئثار نفر قليل من الاعضاء بامرها

«ولا بد من تفتيش اعمالها وحساباتها تفتيشاً سنويًّا لا يقتصر على مراجعة الارقام بل يتناول الفحص الدقيق للتحقق من ان تلك الاعمال سائرة على المنهج القويم وان اعضاء اللجنة وبقية الاعضاء يفهمون واجباتهم وتبعاتهم حق الفهم . ويجب ان لا يتعرض من موظفي الحكومة لاعمال هذه الشركات الاَّ فريق من الثقات في مسائل التعاون ممن اتينا على صفاتهم وكفاآتهم لئلاَّ يكثر المشيرون والنصحاء ولكلٍّ رأي يختلف عن الآخر فيشكل الامر على الشركة ولا تدري اي المشورات تتبع

« اما ميدان العمل امام شركات التعاون الزراعية في هذه البلاد ففسيح لاحدّ لهُ . وانهُ ليكفيها فخاراً ان تنقذ الفلاحين من غائلة الربا وتدبر وسائل حصولهم على المال اللازم لاستغلال ارضهم بالفائدة المعتدلة وشراء بذورهم واسمدتهم وما شاكلها من النوع الجيد بالثمن المعتدل وبيع حاصلاتهم بيعاً رابحاً . ولكن هيهات ان تقف عند هذا الحد اذا نشأت نشأة صحيحة . بل لا بد لها حينئذٍ من ان تعالج غير ذلك من الاعمال بحكم التطور الطبيعي فتقوم بالانتاج التعاوني كصناعة الزبدة والجبن لاسيما وقد ثبت الآن بالاختبار ان مصانع الزبدة المصرية المعدة بالاجهزة العلمية والعمال الفنيين الاكفاء تستطيع ان تخرج زبدة من افضل ما يصنع وانواعاً شتى من الجبن الجيد الذي لم يكن احد يحاول عملهُ في مصر قبل نشوب الحرب الحاضرة اكتفاء بما يرد اليها من الخارج . وليس المقصود ان تصير مصر من البلاد التي تصدر الكميات العظيمة من الزبدة والجبن الى غيرها فان ذلك على ما يقول الخبيرون يقتضي المراعي الواسعة الاطراف ونحن في حاجة الى ارضها لزراعة قطننا وحبوبنا . ولكن المقصود ان تسد مصر حاجة اهلها من هذه الاصناف بدلاً من استيرادها من الخارج وهذا ما لا يخرج عن حد الممكنات

« كذلك خذ مسألة التأمين على حياة الماشية فان مجال العمل النافع فيها واسع المدى امام شركات التعاون الزراعية . وتوسيع نطاق زراعة الفاكهة بتعميم انشاء المشاتل في القرى الكبرى او عواصم المراكز على الاقل . والتعاون في بيع الفاكهة الغضة والمحفوظة وتربية الدجاج للاكثار من البيض وتنظيم طريقة جمعهِ وبيعهِ . وزرع الخضر والزهر في ضواحي المدن والتعاون في بيعهِ لكي لا يستبد السماسرة والتجار بالزراع . والقيام باعمال الري والصرف التي يعجز الفرد عنها وحدهُ واستخدام الآلات الحديثة الموفرة للوقت والمال في الاعمال الزراعية . والتعاون في استئجار الاراضي الواسعة وتوزيعها فيما بين المتعاونين فقد نجح هذا العمل بصفة خاصة في انكلترا بعد صدور قانون الاملاك الصغيرة في سنة ١٩٠٧ فبلغ عدد ما انشيء فيها حتى سنة ١٩١٣ من شركات التعاون لاستئجار الاراضي ١٩٧ شركة وقد استأجرت ١٣ شركة منها في تلك السنة ١٣٧١ فداناً من مجالس المديريات وزعتها على اعضائها

« ومحل الفائدة في هذه الشركات ان المالك يحصل الايجار منها بلا عناء بدلاً من مطالبة العدد العديد من صغار المزارعين واتخاذ الاجراءات القضائية عند عدم السداد ضد كل واحد منهم على انفراد ولذلك يسهل عليهِ ان يخفض من قيمة الايجار بقدر ما يقتصد من

نفقات التحصيل فينتفع الفلاح الصغير بهذا التخفيض لأن تلك الشركات لقلة نفقات ادارتها تؤجر لاعضائها بسعر لا يزيد عما استأجرت بهِ الاَّ قليلاً

« أما الضمان الذي للمالك فيستمد من تضامن الاعضاء ومن بقاء قسم عظيم من رأس مال شركتهم التعاونية بلا دفع تطالبهُ الشركة من اعضائها وقت الحاجة

ولما كان تضامن الاعضاء قد يوقع ببعضهم الخسارة من وراء اهمال البعض الآخر في زراعة الارض التي استأجرها وتقصيرهِ في سد الايجار فلذلك اصبح كل منهم رقيباً على جارهِ في العناية بالارض وترتب على ذلك اجادة فلاحة الارض واتقان زراعتها وسد ايجارها في اوقاتهِ واستقرار الزراع في الارض لتبادل المنفعة بينهم وبين ذوي الاملاك

« ولا يخفى ان كثيراً من ذوي الاموال يستغلون ما لهم باستئجار الاراضي الواسعة وتأجيرها قطعاً صغيرة لصغار الزراع فتحاول شركات التعاون محلهم في هذا العمل مما يزيد دخل الفلاح ويبلغ اجر الجهد الذي ينفقهُ في فلاحة الارض النهاية القصوى بدون ان يخسر المالك شيئاً بل ربما كانت معاملتهُ مع الزراع وهم متضامنون في شركة تعاون ادعى للثقة من معاملة أفراد الماليين

« وقس على ما تقدم سواهُ من متنوع الاعمال التي لا يُضعِف الاشتراك في تدبيرها عزائم الافراد بل يزيد من ثمرة جهدهم ويقلل من نفقتهِ . وهناك فوق كل ذلك عمل جليل نعتقد ان شركات التعاون الزراعية هي خير من يستطيع القيام بهِ وهو اصلاح حال الحياة القروية فان القرية المصرية في الغالب اكواخ حقيرة تأوي الانسان والحيوان معاً مبنية بالطوب النيء قائمة في ازقة ضيقة تعبث اوساخها واتربتها بالابصار والانفاس والفلاح عائش في هذه البيئة عيشة قل ان تختلف عن معيشة ماشيتهِ فانهما يشتغلان معاً طول النهار في الحقل ويبيتان الليل معاً في ذلك الكوخ الذي وصفنا . وقد أصبح حليف البلهارسيا والرمد أما غيرها من مختلف الادواء فانها تنتابه فان تصب تمتهُ وان تخطيء يعمر

« فاذا ارادت شركات التعاون الزراعية القيام بوظيفتها الاجتماعية في هذه البلاد حق عليها ان تكون اول العاملين في سبيل تبديل هذه الحال فتصبح المساكن القروية بيوتاً خليقة ببني البشر مستوفية شرائط الصحة الاولية مع مراعاة عزل الحيوان عن الانسان وتصير الطرقات التي تتخللها واسعة نظيفة تكنس وترش وتنار . ثم تدبر وسائل جلب الماء الصالح للشرب الى تلك القرى

على ان عنايتها بصحة الاجسام يجب ان لا تصرفها عن تدبير غذاء العقول ورياضتها فيجمل بها ان تبذل شيئاً من الجهد والمال في سبيل تربية الناشئة وتعليم الاميين القراءة والكتابة ونشر المعارف الزراعية الصحيحة بينهم

« نعم ان موارد شركات التعاون الزراعية قل ان تفي بتحقيق هذه المطالب ولكن صحة عزيمتها على الاخذ باسباب هذا الاصلاح وقيامها بما تستطيع منهُ تدريجًا لا بد ان يبعث الغيرة في نفوس اهل القرى فيحملهم على تعضيدها بالمال والهمم

« ومن المحقق ان الحكومة لا تلبث ان ترى من جانب هذه الشركات نية صادقة في ذلك السبيل حتى تأخذ بيدها وتعينها على ادراك هذه الغاية السامية

« والواجب ان تصبح شركات التعاون الزراعية على مر الزمان حلقة اتصال بين الحكومة وسائر اهالي الريف فتكون خير عامل على نشر الاصلاح واذاعة القوانين الزراعية والاقتصادية بين الاهلين وحثهم على الاخذ بها وتدبير وسائل مقاومة الآفات التي تفتك بالزرع تدبيراً مبنيًّا على العمل الاختياري المنبعث عن الاقتناع بنفع تلك الوسائل

« فمتى حان الوقت المناسب لاصدار قانون التعاون الزراعي وتكاتفت الحكومة والامة على الاخذ بيد النهضة التعاونية على ما شرحنا حق لنا ان نرجو من ورائها النفع الجم لبلادنا العزيزة . والله الموفق لكل خير » انتهى

الغذاء في الرز والقمح

في كل مئة درهم من الرز ودقيق القمح من المواد المغذية ما تراهُ في هذا الجدول

	الرز	دقيق القمح
مواد مغذية	٨٧,٧	٨٧,٢
وهي مؤلفة من بروتين	٨,٣	١٠,٨
ودهن	٠,٣	١,١
وكربوهيدرات	٧٩,٠	٧٤,٨
ورماد	٠,٤	٠,٤

فالبروتين والدهن قليلان فيهما كليهما ولكن الخبز لا يؤْكل وحدهُ بل مع اطعمة نتروجينية والرز يطبخ غالباً بالسمن ويؤْكل مع اللحم

القطن الاميركي

ترى في الجدول التالي مساحة ما زرع من القطن الاميركي وحالة الموسم في شهور نموه ومقداره في كل سنة من السنوات الثماني والعشرين الماضية نقلاً عن البصير

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩١٧	٦٩ ٥	٧٠ ٣	٧٠ ٣	٦٧ ٨	٠٠ ٠		٣٤٦٠٠٠٠٠
١٩١٦	٧٧ ٥	٨١ ١	٧٢ ٣	٦١ ٢	٥٦ ٣	١١٥١١٠٠٠	٣٥٩٩٤٠٠٠
١٩١٥	٨٠ ٠	٨٠ ٣	٧٥ ٣	٦٩ ٢	٦٠ ٨	١٢٠١٢٥٨٧	٣٢١٠٧٠٠٠
١٩١٤	٧٤ ٣	٧٩ ٦	٧٦ ٤	٧٨ ٠	٧٣ ٥	١٦٧٣٨٢٤١	٣٦١٣٣٠٠٠
١٩١٣	٧٩ ١	٨١ ٨	٧٩ ٦	٦٨ ٢	٦٤ ١	١٤٦١٣٩٦٤	٣٧٠٨٩٠٠٠
١٩١٢	٧٨ ٩	٨٠ ٤	٧٦ ٥	٧٤ ٨	٦٩ ٦	١٤٠٩٠٨٦٣	٣٤٢٨٣٠٠٠
١٩١١	٨٧ ٧	٨٨ ٢	٨٩ ١	٧٣ ٢	٧١ ١	١٦١٠٩٣٤٩	٣٦٠٤٥٠٠٠
١٩١٠	٨٢ ٠	٨٠ ٧	٧٥ ٥	٧٢ ١	٦٥ ٩	١٢١٢٠٠٩٥	٣٢٤٠٣٠٠٠
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦	٧١ ٩	٦٣ ٧	٥٨ ٥	١٠٦٠٩٦٦٨	٣٠٩٣٨٠٠٠
١٩٠٨	٧٩ ٧	٧١ ٢	٨٣ ٠	٧٦ ١	٦٩ ٧	١٣٨٢٥٤٥٧	٣٢٤٤٤٠٠٠
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ ٠	٧٥ ٠	٧٢ ٧	٦٧ ٧	١١٥٧١٩٦٦	٣١٣١١٠٠٠
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	١٣٥١٠٩٨٢	٣١٣٧٤٠٠٠
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	١١٣٤٥٩٨٨	٢٦١١٧١٥٣
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨	١٣٥٦٥٨٨٥	٣٠٠٥٣٧٠٠
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٠١٦٨٩٣
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧١١٤١٠٣
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٢٢٠٤١٤
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٧٥٨١٣٩
١٨٩٩	٨٥ ٧	٧٨ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠

١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠

محصول القطن المصري

موسم ١٩١٦ — ١٩١٧

نشرت شركة المحاصيل العمومية في الاسكندرية بيانها السنوي العام عن محصول القطن المصري والبزرة في العام الماضي اي من ١ سبتمبر ١٩١٦ الى ٣١ اغسطس ١٩١٧ وهو:

القطن

الواصل الى الاسكندرية ٥ ٠٦٢ ٥٩٠ قنطاراً
يضاف اليه لتحرير الحساب في آخر العام ٤٨ ٤٩٠ »
٥ ١١١ ٠٨٠

الصادر من الاسكندرية الى انكلترا ٣٤٦ ١٩٥ بالة
اسبانيا ١٢ ٥٣٤ »
الولايات المتحدة ١٣٤ ٨٩١ »
فرنسا ٢٨ ٠٦٣ »
اليابان ٢٠ ٦٨٣ »
ايطاليا ٥٤ ٧٢٦ »
البرتغال ٩٢٩ »
روسيا ٣٢ ٤٤٦ »
اليونان ١٤٣ »
٦٣٠ ٦١٠ » = ٤ ٨١٣ ١٢٩ »

بيان اجمالي

كان المخزون في الاسكندرية في اول سبتمبر ١٩١٦		٩٣٠٠٠ قنطاراً
الواصل كما بين اعلاه		٥١١١٠٨٠ «
المجموع		٥٢٠٤٠٨٠ «
الصادر	٤٨١٣١٢٩	
المقطوعية المحلية	٦٣٣٤٥	
ما اتلفتهُ النار	١٦٠٦	
المجموع		٤٨٧٨٠٨٠ «
الرصيد المخزون في الاسكندرية يوم ٣١ اغسطس ١٩١٧ مع ١٦٩٥٠ قنطاراً في بورت سعيد مستعدة للشحن		٣٢٦٠٠٠ «

بزرة القطن

الواصل الى الاسكندرية		٣٠٠٣٠٩٩ اردبًّا
يضاف اليهِ لتحرير الحساب في آخر السنة		١٨٨٥١ «
المجموع		٣٠٢١٩٥٠ «
الصادر من الاسكندرية الى انكلترا	١٩٩٣١٥٢	
« الى فرنسا	٤١٩٨	
المجموع	١٩٩٧٣٥٠	

بيان اجمالي

الموجود في الاسكندرية في اول سبتمبر ١٩١٦		٢٥٠٠٠
الواصل كما تقدم		٣٠٢١٩٥٠
المجموع		٣٠٤٧٤٥٠
الصادر كما تقدم	١٩٩٧٣٥٠	
المقطوعية المحلية	٩١٢٠٠٠	٢٩٠٩٣٥٠
الرصيد المخزون في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٧		١٣٨١٠٠

وقد عصر في كفر الزيات والزقازيق نحو ٣٧٠٠٠٠ اردب علاوة على مقطوعية الاسكندرية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام اللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الصحة قوام الجمال

الصحة قوام الجمال الطبيعي · وليس المراد من ذلك ان العناية بالصحة تجلب الجمال لمن لم يؤتَ الجمال بل انها تزيد المليح ملاحة وتكسب الذي لم يخص بالملاحة رواء يذهب ببعض قبحهِ · وان العين لتمتلىء برأى شخص حسن الصحة عادم الجمال وتلذُّ اكثر مما تلذ برأى شخص خرب الصحة على حسنهِ وجمالهِ · ولا يستطيع الواحد منا ان يزيد على قامتهِ قيد اصبع او ان يصغر من ملامحهِ ما ضخم او يكبر ما صغر ولكن نضارة الصحة توازن ما يفقد من المحاسن وترجح عليهِ · وفي ذلك ما فيهِ من السلوان لمن لم يؤتَ الجمال

والعناية بالصحة تقوم بالنظافة والرياضة والاعتدال في المعيشة من اكل وشرب · والنظافة تشمل نظافة الجسم والمسكن والاكل · فاذا اهمل احد هذه الاشياء ظهر الاهمال في بشرة وجههِ بادىء بدء · الا ترى اصحاب الاشغال التي لا تقتضي حركة صفر الوجوه كثيري الغضون والاسارير ولا سيما اذا اهملوا رياضة ابدانهم جهلاً منهم ان النظافة التامة داخلاً وخارجاً لازمة كل اللزوم لحفظ رونق الوجه · فان عدم الرياضة وكثرة الاكل وعدم ملاءمة الطعام للجسم — هذه كلها تولد القبض وعسر الهضم وغيرهما من امراض القناة الهضمية فيظهر اثرها على السحنة

وللناس اساليب شتى في معالجة القبض بعد وقوعهِ او لتلافيهِ قبل وقوعهِ فمنهم من اعتاد شرب كأس ماء فاتر قبيل النوم وشرب كأس ماء بارد أُضيف اليهِ بعض عصير الليمون الحامض بعيد الاستيقاظ صباحاً فكان في ذلك اعظم مانع للقبض · ومنهم من يشرب كأس ماء فاتر قبل كل طعام بنصف ساعة · الى غير ذلك · ومن الحقائق المعروفة ان معظم المصابين بالقبض يقل شربهم للماء · ولكن يقال من جهة اخرى ان الميالين الى عسر الهضم لا يحسن بهم ان يشربوا ماء او سائلاً آخر مع طعامهم بل بعد الفراغ منهُ · ومن الاشياء المنبهة للكبد والمقوية لاعضاء الهضم اكل تفاحة او شرب كأس كبيرة من عصير البرتقال قبل طعام الصباح بنحو ساعة · وكذلك يحسن ان يؤكل مع طعام الصباح شيء من الاثمار المطبوخة

ومن شر العادات الاسراع في الاكل والتهامهُ من غير عناية بالمضغ . كذلك يجب الامتناع عن اكل المآكل الكثيرة البهارات والتوابل او الافلال منها ما امكن ان لم يمكن الاستغناء عنها . ويجب ايضاً على كل من يهمهُ امر منظرهِ رجلاً كان او امرأة ان يمتنع عن شرب المنبهات او يقلل منها فانها فضلاً عن سوء تأثيرها في الصحة تخشن الجلد وتذهب ببضاضتهِ . ومن الامور المضرة بوجه خاص شرب الشاي مع اكلة كثر فيها اللحم

وليس بين مقويات الجلد ومنبهاتهِ ما هو اهم من الحمام اليومي والفرك بعدهُ لحفظ مسامهِ مفتوحة للعرق . والعرق سم يجب التخلص منهُ كما لا يخفى . على ان معظم الناس يطنبون في منافع الحمام البارد وفضلهِ على غيرهِ . والحقيقة انهُ قد يلائم الشبان واقوياء الابدان وينفعهم أما الكهول فضلاً عن الشيوخ فخير لهم ان يجتنبوهُ . والغالب ان مسح الجسم بالماء البارد باسفنجة بعد الاغتسال بالماء الحار ينفع معظم الناس

ثقل الجسم وطولهُ

عثرنا على الجدول الآتي وفيهِ متوسط ثقل الاطفال في انكلترا منذ ولادتهم الى آخر السنة الاولى من سنهم

متوسط ثقل الطفل الذكر بالرطل (الليبرة)

عند الولادة	٦و٨
ابن شهر	٧و٤
« شهرين	٨و٤
« ٣ اشهر	٩و٦
« ٤ «	١٠و٨
« ٥ «	١١و٨
« ٧ «	١٢و٤
« ٨ «	١٣و٤
« ٩ «	١٥و٨
« ١٠ «	١٦و٨
« ١١ شهراً	١٧و٨
« ١٢ «	١٨و٨

اسرّة الوجه

اسرّة الوجه هي الخطوط التي ترى في وجوه الكهول او الشيوخ بنوع خاص . وهي اول البشائر بان عصر الشباب ولّى وان شمس العمر جعلت تميل وانها لا تلبث ان تأذن بالافول . على ان هذه الاسرة قد تبكّر او تتأخر تبعاً لحالة الجسم من مرض او صحة . فمن الناس من لا تظهر هذه الاسرة على وجههِ ولو أمعن في الكهولة والغالب ان يكون صحيح الجسم حسن الصحة . ومنهم من تلوح هذه الاسرة على وجههِ وهو لا يزال في شرخ الشباب والغالب ان يكون معتلّ الجسم خرب الصحة . وللوراثة اثر في ذلك كما في غيرهِ

وهذه الاسرة وان تكن في الغالب علامة التقدم في السنّ والتخوم التي تفصل بين الشباب وما بعدهُ — قد يؤجل ظهورها ولاسيما اذا عرف سببها . وسببها في الغالب ما تقتضيهِ المعيشة الحديثة من الكدّ والنصب والهمّ وما تجرهُ هذه من الضرر على الصحة . فلينظر الانسان الى هذه الدنيا بعين قريرة ما استطاع وليسعَ جهدهُ في تبديد السحب المتلبدة في سمائها

هذا من حيث العلاج الداخلي . واما العلاج الخارجي فيقوم بالتمسيد واستعمال المراهم والبلاسم للوجه والعنق والساعدين والنحر مما سنفرد لهُ فصلاً آخر

فوائد منزلية

اذا سخّن المعجن والدقيق قبل عجنهِ فيهِ جاء الخبز خفيفاً

لزق الزنجبيل تفعل فعل لزق الخردل ولا تنفّط الجلد . وهي تصنع مثل لزق الخردل

المحاة التي تمحى بها كتابة قلم الرصاص عن الورق تزال بها اللطوخ عن الثياب

الخشب المدهون ينظف بسهولة بخرقة مبلولة بالبترول

اذا تلطخت الثياب بالدهان (البويا) سهل تنظيفها بروح التربنتينا او بمزيج من الامونيا وروح التربنتينا اجزاء متساوية يبل الدهان بهِ جيداً ثم يغسل برغوة الصابون

اذا كان الهواء رطباً تصدأ السكاكين فيهِ واردت حفظها من غير استعمال فذر عليها مسحوق الطباشير الفرنسوي واحفظها كذلك فلا تصدأ

اغلِ حبل الغسيل في الماء جيداً اذا كان جديداً قبلما تستعملهُ فيقيم مدة طويلة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

خوفو فرعون مصر

«واسأل — وانا غير شاعر بمرور الساعات — صدى مآواهم القديم عما تبقى لهُ من رنين اصواتهم» فكتور هوجو

نظرتَ الى الاكوان نظرة معتدي ودانتْ لك الارواحُ في قبضة اليدِ
هزأتَ باسرار القضاء وحكمهِ كأَنك تدري ما سينفذ في الغدِ
تطيعك قوَّادُ الجيوش جميعها ويخشاكَ يا فرعونُ كلُّ مُسوَّدِ
كأَنكَ والارواحُ حولك سجَّدٌ وما كانت الارواح قبل بسُجَّدِ
رسولُ المنايا توسل الروعَ في الورى وتخلعُ قلبَ الصابرِ المتجلدِ
إذا شئت صار الصبحُ اسودَ حالكاً يُضل فؤَاد الناسك المتعبّدِ
وان شئت صار الليلُ ابيضَ ناصعاً يسير على انوارهِ كل مُهتدي
وان شئتَ يغدو سيّد القوم عبدهم وان شئت يغدو العبد اكبر سيدِ
وقلبك حار العقلُ في كنه سرهِ ورأسك رأس الاسود المتوقدِ
وما الرعد الاَّ صوت فرعون هاجهُ من الناس ذو جُرْمٍ على الناس يعتدي
وما البرق الاَّ نظرةٌ منهُ اومضت بليل من الاهوالِ اقتمَ اسودِ
وما الريحُ الاَّ زفرةٌ من زفيرهِ تروح على الصحراء طوراً وتغتدي
فيا لك من مَلْكٍ اذا همَّ ابرقتْ نواجذُ عزرائيلَ يومَ التَّوعدِ
ينكّبُ عن ذكر العواقب جهدهُ وما ذاق يوم الفتك طعمَ التَّرددِ
أقمتَ على الصحراء قبركَ خالداً بناهُ لك الشعبُ الذي لم يخلَّدِ

بنى لك اهراماً كأن صخورها صحائف فيها الظلم اكبر مشهد
بناها بلا اجر سوى الجهد والطوى ورويتها من دمعه المتجدد
كأن العذارى حول اهرامك التي بنيت قرابين تساق لمعبد
وما النيل الا دمعهن جرت به مطامع ذي بطش به الظلم يقتدي
وقفت لدى الاهرام تصرخ غاضباً فذابت مياه الخوف من كل جلمد
وقومك يا فرعون حولك خشع تماثيل لم تثأر ولم تتوعد
ولم تدر ما يخفي الزمان لأهله ودهرك يا فرعون اكبر معتدي
سقى نفسك الكأس الاخيرة بعدما رماك بسهم في الفؤاد مسدد
قضيت ولم ينفعك ما كنت جامعاً فنمت على الغبراء غير موسد
سللت سيوف البغي جذلان ضاحكاً فقال لك الموت الزؤام الا اغمد
فاغضيت طرفاً تحرق الصخر ناره ونكست رأساً هابه كل أمجد
واغمدت سيف الظلم في الغمد مرغماً وما كان من قبل الممات بمغمد
وساويت ترب الارض لم تمنع الردى وكان الردى من قبل طوع المهند
تناجيك ارواح الضحايا وقد بدا لها منك عجز الحاكم المتشدد
وما عهدت من قبل دمعك جارياً ولا عرفت منك الخضوع لأصيد
وشعبك اضحى يوم موتك صاخباً كبحر من الاقوام موغ ومزبد
يهلل جذلاناً ويهتز ضاحكاً ولولا جلال الموت هزك باليد
والقاك في الصحراء طعمة جائع من الوحش والعقبان في كل فدفد
حرمت من القبر(١) الذي كنت ربه وما كان ذا الحرمان قصد المشيد
وما هو الا ثأر شعبك ناله جزاء وفاقاً فاحتمل وتجلد

***

اناجيك يا فرعون لو كنت سامعاً « ويأتيك بالاخبار من لم تزود »
وما الشعر الا وحي نفس كليمة لها في مجال الشعر اكبر مقصد
فان كنت يا فرعون في القبر ظامئاً لما قيل من شعر الحقيقة فاشهد
بأني قلت الحق لم اخش لائماً وما خفت ذا بأس ولم اتودد

محمد تيمور

(١) اشارة الى ان خفيو لم يدفن في حرمه عقاباً لظلمه وبغيه

بالكتاب هيام ذوي الالباب

بك يا كتاب اهيم منذ وجودي والله يعلم والانام شهودي
اياك أشتاق اشتياق متيم واليك ارتاح ارتياح عميد
وهواي مقصور عليك لان لي عوزاً اليك كما الى الممدود
أشدو وانشد في جمالك انهُ مدعاة شدوي بل مدار نشيدي
واذا نثرت ففي امتداحك ساجع واذا نظمت فانت بيت قصيدي
يا موءنسي في وحشتي ومحدثي عن كل امر نافع ومفيد
وجليس خير لا يخاف جليسهُ من نزغ نمام وشرّ حسود
وصديق أمن ليس مع اخلاصهِ خطر يروّعني بنكث عهودي
فلئن سكتَ فانت أبلغ ناطق كلماتهُ تقصارة في جيدي
ولئن عبستَ فعن وقار شائق منك العبوس وليس عن تهديد
يا قبلتي حيث اتجهت فقلتي ترنو اليك بشوقها المعهود
في العام اعياد الورى معدودة وانا بقربك كل يوم عيدي
الشمس يهديني نهاراً نورها والبدر في جنح الظلام رشيدي
ودمي يجددهُ الغذاء فيتقي جسدي الدثور بذلك التجديد
وضياء عقلي عنك يصدر مظفراً نفسي بنيل غذائها المنشود
ولديّ قطف جناك اطيب من جنى نحل ومن رشف ابنة العنقود
وحفيف تقليبي طروسك دونهُ رنات قانون ونغمة عود
فيك العلوم جميعها مذخورة فمن انتحاك يفوز بالمقصود
تغنيهِ عن استاذهِ فيقول اذ يتلوك مالي حاجة لمزيد
هذا علمت بالاختبار فقلتهُ أفبعدهُ اخشى من التفنيد
اخلقتَ جدّة هذه الدنيا ولا تنفك مذخراً لكل جديد
وطويت في الارض العصور ولم يزل لك في الورى ذكر كنشر العود
وعليك كان تقدم الانسان من عهد كما علم الجميع بعيد
فلأنت مرآة الحضارة معرض العمران والتأسيس والتشييد
ولانت مجلى البحث والتنقيب في الدنيا والاستنباط والتوليد

بك كل امر مستحيل ممكناً يبدو بلا شرط ولا تقييد
بك يرجع الماضي وعهد الحاضر الـ ـموجود يسبق فيك عهد ثمود
فيعيش فيك اليوم فانٍ بات من آلاف أعوام طعام الدود
وبك ابن هذا اليوم يحيا ان يشا في عصر آباء لهُ وجدود
منك اجتلى الانسان اصل وجوده ودرى نهاية عمره المحدود
بل منك سر الوحي ذاع مبلغاً للخلق امر الخالق المعبود
لو أنصف القراء كانوا كلهم من مذهبي وجروا على تقليدي
فبك الهيام لكل ذي لب هدى يحيا سعيداً فيك جد سعيد

اسعد داغر

نفس الانسان في قط

حضرات العلماء اصحاب المقتطف الاغر

رجائي ابداء رأيكم السديد في المسألة الآتية:

في ١٩ يناير سنة ١٩١٧ كنت في الصعيد في قرية تسمى بني حمبل تابعة لمركز ملوي واذ كنت في مجتمع للعامة سأل بعضهم رجلاً بينهم متعلماً ولا بأس بعلمهِ عن شيءٍ اشتهر عندهم بالقط فاجابهم بانهُ لا يعرف فيهِ اكثر مما تعرفون. واستفسرتهم عن هذا القط الذي هو محل البحث والاستغراب فقالوا: انهُ اذا حملت امرأة توأمين وتوحمت اثناء الحمل باشتهاء شيءٍ من الاطعمة (يعني انها لم تجد ما اشتهت) يخرج احد التوأمين احياناً ذا خاصة غريبة وهي: اذا احس بالطعام الذي كانت امهُ توحمت بهِ (مثلاً شم رائحة شواء) يغمى عليهِ وتنفصل عنهُ نفسهُ في صورة قط وتنطلق حتى اذا اكل منهُ او عجز عن منالهِ رجع الى جسمهِ وافاق. وتعجبت جداً مما قالوا وقلت ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ولكني وجدت الحضور (وهم اكثر من عشرة رجال عقلاء بالغين) مجمعين على ما قالوا وزادوا انهُ تكرر وقوع حوادث من هذا القبيل في جهاتهم. قلت اذاً عليَّ باحدهم لاشاهدهُ بنفسي فاحضروا اليَّ شاباً في العقد الثالث من عمرهِ هادئاً ساكناً لين الكلام ضعيف البنية (اسمهُ هرون بن على) وطلبوا منهُ السماح لنا بمشاهدة تلك الحالة لنتحقق منها فابى وقال معتذراً اني فقدت تلك الخاصة من منذ سنتين من وقت ان عضني كلب فلان وكانت تلك الحالة اضطرارية عندي كانت تعتريني كالنوم

ثم انا استنطقناهُ طويلاً وقص علينا اقاصيص وقعت لهُ يفهم منها ما يأتي :

(١) يعتريهِ هذا الانقلاب في حالتين تارة يشم رائحة تؤثر فيهِ فيغمى عليهِ (ومن اقاصيصهِ انهُ ذات يوم كان راكباً ردف والدهِ ماراً بعزبة كذا فشم رائحة كذا ولم يتمالك نفسهُ واحس بانتفاخ بطنهِ فاغمي عليهِ) وتارة يرى طعاماً يشتهيهِ في بيت احد جيرانهِ مثلاً واذا نام انطلقت نفسهُ بالشكل عينهِ)

(٢) افاقتهُ من الاغماء في الحالة الاولى تكون صعبة وغالباً يفيق باكياً مر البكاء. ولا يحس بشيءٍ من التعب في الحالة الثانية

(٣) انهُ في حالة تشكلهِ لا يتغير من عقلهِ وادراكهِ ولا من حواسهِ شيءٌ غير انهُ لا يملك النطق وانهُ يحفظ كل ما يراهُ و يعملهُ في تلك الحالة و يطابق الواقع تماماً

(٤) انهُ في حالتهِ تلك يضرب ويحبس ويجرح وتعتدي عليهِ الكلاب الى غير ذلك. واراني اثر جرح في فخذهِ طولهُ ثلاث سنتيات وقال الحضور انهُ نهشةُ كلب فلان حالة كونهِ قطًّا . ومن اقاصيصهِ انهُ حبسهُ احد جيرانهِ في غرفتهِ عند ما دخل ليأكل شيئاً وان والدهُ لما رأى ان جسمهُ لم يفق ادرك الامر واتى الى بيت الذي حبسهُ وتفقد بيتهُ ثم اطلقهُ بنفسهِ — فهل الروح تحبس — !!

(٥) الجرح الذي يصيبهُ في تلك الحالة يظهر بعد افاقتهِ في جسدهِ !

(٦) الطعام الذي يأكلهُ يكون ماكولاً حقيقة ولكنهُ لا يشبعهُ ولا اثر لهُ في جسمهِ غير انهُ يحس بتشفٍ نفسي

(٧) ان جسدهُ اذا حمل او نقل من مكانهِ يصاب بتعب و يمرض منهُ زمناً الى غير ذلك

فرجائي من حضراتكم ان تتفضلوا علينا ببيان موضع هذه المسألة من الصحة وعدمها مع بيان ما فيها من المشكلات التي لم نألفها بعد بل لم نسمعها و بنشر الجواب في مجلتكم الغراء ولكم مني مزيد الشكر محمد بن سياد القفقاسي

بالازهر

[المقتطف] الرجل الذي ذكرتموهُ مصاب بانحراف في وظائف دماغهِ فيتوهم ما لا حقيقة لهُ . وكثيرون من الناس يصدقون الخرافات والاوهام ولاسيما اذا شاعت زماناً طويلاً فان الشكّ الذي هو اول مراتب اليقين والتمحيص اللازم للفرق بين الحق والباطل يضعفان حينئذٍ و يبطل الاعتماد عليها . ولا تعجبوا من تصديق ما لا يصدَّق فالناس قد عبدوا الحجارة والدواب وهم في اسمى حضارتهم ونسبوا اليها الخوارق



نباتات الصباغة

لقد تركت هذه الحرب فراغاً كبيراً في الاعمال والصناعات في مصر اضطر معهُ اولو الفكر الى تلمس كثير من الطرق والحيل لسدّهِ فحاول البعض منهم مثلاً ان يستعيض عن مادة من المواد الضرورية في عملهِ بمادة اخرى تحاكيها تركيباً وماهية وانفق البعض الآخر ما لهُ واستكدّ قريحتهُ للحصول على ما يريد الحصول عليهِ وهو نادر الوجود باهظ الثمن . وسقط في ايدي كثيرين فارتبكت اعمالهم وتعطلت صناعاتهم . وقد كانت الصباغة احدى هذه الصناعات التي عانت ما عانت فارتفعت اثمان موادها الاولية وغير الاولية ارتفاعاً مرهقاً كاد يمسك عنها قوامها ويحبس روحها لولا ما تبذلهُ الحكومة المصرية من الهمة والنشاط في مكافحة ذلك الشر المستطير . فاخذت وزارة الزراعة توالي البحث وتعمل التجارب بهمة مستشارها الفني جناب المستر ددجن للتوصل الى مواد صابغة في طبيعة هذه البلاد وتربتها وهي كلما وصلت الى نتيجة حاسمة اعلنتها للملاء المصري على لسان الصحف ليستفيد من تلك التجارب وبالتالي ليخفف عن نفسهِ كثيراً من ويلات هذه النار المتأججة وليكون لهُ بعد سكونها في حاصلات ارضهِ غنى بقدر المستطاع عما كان يستوردهُ من الاسواق الخارجية

وقد اتيح لكاتب هذه السطور ان يلقي دلوهُ بين الدلاء لعلهُ يساعد ابناء وطنهِ عموماً والمشتغلين بالصباغة خصوصاً على تخفيف اليسير من ذلك العبء الباهظ . وانهُ ليرجو من حضرة المحترمين صاحبي المقتطف ان يفسحا لقلمهِ الضئيل على صفحات مجلتهما الغراء لعلهُ يقوم ببعض ما ينبغي عليهِ في خدمة هذا القطر المحبوب

***

يوجد في اجزاء كثير من النباتات مواد صابغة منها ما هو ثابت يمكن الانتفاع بهِ في تجهيز الاصباغ ومنها ما هو غير ثابت سريع الزوال . فمتى عرف النبات اولاً ثم الجزء الذي يستخرج منهُ ذلك اللون ثانياً امكن الحصول على مادة صابغة قد ينفع الاهتداء اليها في مثل هذه الايام العصيبة . وسيكون الاسلوب الذي اسير عليهِ هو ذكر اسم النبات العربي مشفوعاً باسمهِ اللاتيني العلمي ثم اسمهِ الفرنسي لكي يسهل على كل قارىء الاهتداء اليهِ . ولما كان

لكل النباتات اسماء مترادفة لاتينية كثيرة اختلفت باختلاف بحث علماء التاريخ الطبيعي · لذلك ساتوخى ارداف الاسم اللاتيني باسم العالم النباتي الذي وضع لهُ ذلك الاسم

(١) شجر الروبينيا

الاسم اللاتيني .Robinia pseudo, acacia Linn

الاسم الفرنسوي .Robinier

شجرة اصلها من امريكا الشمالية واستنبتت في هذا القطر فنجحت نجاحاً تامًّا وهي الآن منتشرة في اكثر طرق عاصمتهِ ومدنهِ الشهيرة · والمستعمل في الصباغة من هذه الشجرة ازهارها فان السائل الذي تغلى بهِ يصبغ الحرير والصوف والورق بلون اصفر ثابت · وهاك وصف طريقة اغلائها: تغسل الازهار قبل ذبولها ثم تجفف في حرارة لطيفة حتى اذا قاربت الاصفرار صب عليها الماء ثم اغلها واضف الى الماء قليلاً من الشب والجير بنسبة اوقيتين من الاول واوقية من الثاني لكل رطل من الازهار ليكون اللون زاهياً جميلاً

(٢) الكابلي

الاسم اللاتيني .Anacardium occiden tale, Linn

الاسم الفرنسوي .Anacarde d'occident

نبات اصلهُ من الهند وثمارهُ التي تستعمل عصارتها في الصباغة تباع في اسواق العطارين بالقاهرة وهذه الثمار مغلفة بغلافات تستخرج منها عصارة حريفة تنفع في صبغ الاقمشة بلون اسود ثابت

(٣) السبستان

الاسم اللاتيني .Melia azedarach Linn

الاسم الفرنسوي .Azedarac bipinné

شجرة اصلها من الهند وهي الآن كثيرة الوجود بهذا القطر وتعرف بالزنزلخت والمستعمل منها في الصباغة اوراقها فاذا اضيف الى منقوعها سلفات الحديد صبغت بلون اسود واذا اضيف اليها الشب صبغت بلون اصفر مائل الى الحمرة

(٤) السنًا المكي

الاسم اللاتيني .Cassia accutifolia Delile

الاسم الفرنسوي.Casse à feuilles aigues

نبات مصري ينبت ببلاد النوبة والصحراء العربية اذا اغليت اوراقهُ يصبغ بالاصفر

الفامق فاذا اضيف اليهِ البيطاس كان اللون افتح قليلاً . ويصبغ الصوف الذي عولج بالشب بلون اصفر زاهٍ والذي عولج بملح القصدير بلون اصفر ليموني

(٥) الحلاح الخريفي

الاسم اللاتيني Colchicum autumnale, Linn.

الاسم الفرنسوي Colchique d'automné.

نبات اصلهُ من فرنسا وهو ينبت في بلاد الشام وغزة والعريش وطور سيناء وفي اكناف الاسكندرية كابي قير ورشيد ومريوط . والمستعمل منهُ للصباغة ازهارهُ واوراقهُ فتصبغ باللون الاصفر

احمد عبد الخالق

موظف بقسم البساتين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) قصة ابي زيد وعنترة

مصر . مدرسة القضاء الشرعي . حامد افندي احمد مصطفى . الى اي عهد يرجع وضع قصة ابي زيد وعنترة وما اشبههما من القصص

ج . ان بني هلال انتقلوا من الحجاز الى القطر المصري في القرن الرابع فقد قال ابن خلدون ما خلاصتهُ ان العزيز لدين الله (المتوفى ٣٨٦ هـ) انتزع امصار الشام من القرامطة وردهم على اعقابهم الى قرارهم بالبحرين ونقل اشياعهم من العرب من بني هلال وسليم فانزلهم بالصعيد وفي العدوة الشرقية من بحر النيل فعمَّ ضررهم البلاد فاشار البازوري وزير المستنصر باصطناعهم وارسالهم الى المغرب وما اليهِ لكي يقاوموا المعز بن باديس صاحب افريقية لانهُ كان قد نقض طاعة العبيديين وحوّل الدعوة الى بني العباس فأجزل العطاء لامرائهم ووصل عامتهم بعيراً وديناراً لكل واحد منهم وقال لهم اعطيكم المغرب وملك المعز بن بلكين

الصنهاجي وكان ذلك سنة ٤١٤ للهجرة فساروا الى برقة وافتتحوا امصارها واستباحوها وكتبوا الى اخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد فجازوا اليهم فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب وسارت قبائل دياب وعرف وزغب وجميع بطون هلال الى افريقية كالجراد المنتشر حتى وصلوا الى افريقية سنة ٤٤٣

وذكر ابن خلدون الرجال المشهورين من بني هلال مثل حسن بن سرحان وسلامة بن رزق ودياب بن غانم وزيد بن زيدان . وروى بعض اشعارهم التي نظموها في ذلك العهد وهي كالاشعار التي تجدونها في قصص بني هلال كقولهم

ايارب خير الخلق من نائج البلى
الأ القليل انجاد ما لا يخيرها
وخص بها قرة مناف وعينها
ريحًا لارياد البوادي اثيرها

ثم قال ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق في الخبر يزعمون ان الشريف هاشماً كان صاحب الحجاز وانهُ اصهر الى الحسن بن سرحان في اخته الجازية ثم حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة فاجمعوا على الرحلة عن نجد الى افريقية وتحملوا عليهِ في استرجاع الجازية فطلبتهُ في زيارة ابويها فازارها اياها وخرج بها الى حللهم فارتحلوا بها ورجع هو الى مكانهِ من مكة وبين جوانحهِ من حبها داء دخيل وانها من بعد ذلك كلفت بهِ مثل كلفهِ الى ان ماتت من حبهِ . ويتناقلون من اخبارها في ذلك ما يعفي عن خبر قيس وكثير ويروون كثيراً من اشعارها محكمة المباني متفقة الاطراف وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع . والشريف الذي يشيرون اليهِ هو هاشم بن ابي الفتوح الذي خطب لنفسهِ بمكة ايام الحاكم العبيدي وتوفي سنة ٤٣٠ فولي بعدهُ ابنهُ شكر هذا وتوفي سنة ٤٥٣ . وذكر لهُ ابن خلدون قصيدة يبكي بها الجازية ويذكر ظعنها مع قومها مطلعها

يقول الشريف ابن هاشم علي
ترى كبدي حرّى شكت من زفيرها

الى ان قال

ونادى المنادي بالرحيل وشددوا
وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الادهم دياب ابن غانم
على يوماضي وليد مقرب مسيرها
وقال لهم حسن ابن سرحان غربوا
وسوقوا النجوع ان كان ناهو نميرها

وظاهر من ذلك ان قصة بني هلال كانت شائعة في عهد ابن خلدون اي في اواخر القرن الثامن الهجري اما الزمن الذي وضعت فيهِ فلم نستدل عليهِ مما لدينا من الكتب ولكن يظهر انهُ بين اوائل القرن الخامس واوائل الثامن

واخبار عنترة العبسي كانت معروفة متداولة في زمن ابي الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني المتوفى سنة ٣٥٦ للهجرة بل في زمن ابي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ للهجرة وكان ابو عبيدة في زمن هرون الرشيد وهو آية في جمع الاخبار ووضعها فلا يبعد ان يكون هو الواضع لكثير من اخبار عنتر. وقد ظن البعض ان الاصمعي كتب قصة عنتر في زمن هرون الرشيد ولكن يظهر مما كتبهُ ابو الفرج ان اخبار عنتر لم تكن في زمانه قد كتبت في قصة بل كانت تؤخذ بالسماع . والبحث عن الوقت الذي كتبت فيهِ يقتضي زمناً طويلاً لخلو كتبنا العربية من الفهارس المرتبة على حروف المعجم ولسقامة خطها وطبعها

(٢) بناء قبب المشايخ

ومنهُ . في اي زمن كان بناء قبب المشايخ التي لا تكاد تخلو منها قرية في مصر

ج . هي قديمة جدًّا كانت عند المسيحيين قبل المسلمين وعند اليهود قبل المسيحيين . وقد جاء في الانجيل قولهُ لليهود ويل لكم لانكم تبنون قبور الانبياء وآباؤكم قتلوهم . وعبادة الصلاح من السلفاء او الاستعانة بهم قديمة جدًّا شائعة عند كل الامم

(٣) حفظ الحبوب من السوس

ومنهُ . بمَ تشيرون على الفلاحين لحفظ حبوبهم من السوس

ج . بما يفعلهُ الفلاحون عادةً وهو انهم يضعون الحبوب في مواهي (قفف كبيرة) من الخوص ويطينون ثقوبها فلا يدخلها فراش السوس فتبقى سليمة من سنة الى سنة

(٤) ازالة الخرافات

ومنهُ . بماذا نزيل من عقول البسطاء ما تسلط عليها من المعتقدات الفاسدة

ج . بالعلم فان العلم الصحيح متى دخل الذهن ازال منهُ الوهم كما اذا ادخلت مصباحاً منيراً الى غرفة مظلمة فان الظلام يزول منها

(٥) الكيمان الكفرية

ومنهُ . ما اصل الكيمان الكفرية الكثيرة في هذا القطر

ج . هي اطلال مدن وقرى قديمة خربت وبنى الناس فوقها مبانٍ باللبن (الطوب النيء) فخربت ايضاً وصار من ذلك هذه الكيمان او التلال

(٦) مدير البعثة العلمية

دفنو فيوم . عبدالله افندي عبد العال

عزمت على السفر الى انكلترا في اكتوبر من العام المقبل (١٩١٨) لاتمم دراستي هناك فهل لكم ان تفيدوني عن عنوان مدير البعثة العلمية او اي شخص يكون من خصائصهِ ذلك لاستفهم منهُ عما يجب ان افعلهُ بخصوص نوع دراستي ونوع الكلية وشروطها ونحو ذلك

ج . نشير عليكم ان تخاطبوا وزارة

المعارف في مصر وهي ترشدكم الى كل ما تريدون اذ قد يتغير مدير البعثة

(٧) مجلة ناتشر

ومنهُ . ورد في المقتطف ذكر مجلة انكليزية تسمى ناتشر Nature اعجبتنيها فهل لكم ان تفيدوني عن عنوانها وقيمة اشتراكها

ج . ينشرها محل مكملن فتطلب منهُ وعنوانهُ

Macmillan & Co.
St. Martin's Street,
London.

وقيمة الاشتراك فيها في السنة جنيه وعشرة شلنات ونصف شلن

(٨) طفو الجثث

شبين الكوم . كامل افندي جرجس . حينما تغرق الجثة وتمكث ثلاثة ايام في الماء تطفو على سطح الماء فما سبب ذلك

ج . سببهُ انهُ يبتدئ فيها الانحلال وتتولد فيها غازات فتخف بها وتطفو على وجه الماء وترى حينئذٍ منفوخة من تولُّد الغازات فيها . وقد تطفو في اقل من يومين اذا كان الهواء حارًّا

(٩) صبغ شمع البارافين

مصر . زكي افندي عبد الحميد سلام . الرجا افادتنا عن كيفية صبغ شمع البرافين الابيض باللون الاصفر والاحمر لان هذا كان يرد مصبوغًا قبل نشوب الحرب الاوربية واما بعدها فانقطع ورودهُ واحتكر صناعتهُ بعض الناس دون الآخرين فان تفضلتم بافادتنا للمنفعة العامة مع العلم ان هناك صنفًا آخر اسمهُ شرازين منهُ الابيض والاحمر والاصفر ونريد صبغ الابيض منهُ كذلك لعدم وجود الاحمر والاصفر

ج . الطريقة المتبعة هي ان يذاب البرافين على النار الى درجة ٢٠٠ او ٢١٠ بميزان سنتغراد و يضاف الصبغ اليهِ بمعدل واحد في المئة وذلك قبل سبكهِ . اما الاصباغ التي تضاف فللازرق الازرق البروسياني او النيل او الالترامارين او سلفات النحاس او الانيلين الازرق . وللاحمر الكارمن او الزيرقون او الزنجفر او انواع الانيلين الاحمر . وللاصفر الكمبوج او اصفر الكروم او اصفر النفثالين . وللاخضر مزيج من الازرق والاصفر . ويمكن استعمال الاصباغ المعدنية مثل اكسيد الحديد والمغرة الصفراء . والغالب ان يذاب الصبغ اولاً في قليل من الستيارين ثم يضاف قليل منه هذا الى البرافين الذائب

ونرجح انكم تريدون صبغ الشمع المسبوك لا اذابتهُ وصبغهُ ثم سبكهُ فنظن انكم لو اذبتم صبغًا من اصباغ الانيلين في السبيرتو وسخنتموهُ قليلاً ودهنتم شمع البرافين بهِ كما هو فان ظاهرهُ ينصبغ بهِ من غير ان تذيبوهُ

(١٠) البلهارسيا

ميت عاصم · لبيب افندي نعمان · هل امرض البلهارسيا معدٍ وهل يشفي المصاب بهِ اذا عولج وما دواؤهُ

ج · هو غير معدٍ اي انهُ لا ينتقل من شخص الى آخر بطرق خفية كالجدري والطاعون بل يحدث من شرب الماء الذي فيهِ جراثيم البلهارسيا · انظروا خلاصة البحث في ذلك في الصفحة ٣٤٠ و ٣٤١ من المجلد الثامن والاربعين من المقتطف · وليس للبلهارسيا علاج خاص ولكن تستعمل لها مدرات البول و يشار على المصاب بها ان ينتقل الى بلاد لا توجد البلهارسيا في مائها فتزول منهُ رويداً رويداً

(١١) مرض الارز

ومنهُ · تجدون مع هذا سنبلة من سنابل الارز قد جفَّت وهي في الارض ومثلها كثير في غيطنا وفي كل غيطان الارز فما سبب ذلك

ج · قد يكون سببهُ مادة فطرية نمت حول اصل النبات فاماتتهُ او دودة صغيرة اكلت بعض اصلهِ في الارض فاماتتهُ · اقرأوا ما نشرناهُ في الصفحة ٤٨ والصفحة ٨٥ من المجلد السابع والاربعين من المقتطف

(١٢) الخط وصحة اليد

مصر · عبد الحليم افندي الياس نصير · هل اتقان الرسم وجودة الخط يتوقفان صحيًّا على قوة اعصاب اليد · طالما لاحظ رداءة خط من ترتعد ايديهم

ج · ان جودة الخط والرسم بعضها نتيجة الوراثة و بعضها نتيجة المران والمزاولة · وان كان ارتعاد اليد ناتجاً عن قلة التمرُّن كما يحدث لكل المبتدئين في الكتابة فانهُ يزول بعد التمرُّن الكثير وان كان عن ضعف في الاعصاب فقلما يفيد التمرُّن

(١٣) جبر الكسر واكل السمك

المنيا · ابو الليل افندي راشد · اذا اصيب شخص بكسر بفخذهِ هل يضرُّهُ اكل السمك بعد تمام الشفاء حيث يقول البعض ان اكل السمك لمن اصيب بالكسر يفك التحام الكسر فهل ذلك صحيح

ج · كلا ولا نرى ادنى علاقة بين اكل السمك والتحام العظام

(١٤) علاج الحصبة

ومنهُ · كثر مرض الحصبة عندنا فما هو انجع دواء لهُ

ج · يحفظ المصاب في سريرهِ في غرفة مظلمة مطلقة الهواء على شرط ان لا يكون السرير في مجرى الهواء و يطعم طعاماً خفيفاً مغذياً و يسقى بعض المعرقات اللطيفة واذا اشتد الزكام فلا بدَّ من الحمامات الحارة او تدفئة الجسم بلفهِ بالاحرمة الصوفية او بلف الصدر والعنق على الاقل · واذا استعمل الحمَّام فيضاف اليهِ قليل من الخردل · واذا كثر

الاختلاط فلا بدَّ من الاعتماد على علاج الطبيب

(١٥) كتب المدرسة الزراعية

سنت باولو بالبرازيل · الخواجه الياس سليمان يازجي · هل للمدارس الزراعية المصرية كتب زراعية عربية مفيدة وارجو ان تخبروني عن اسمائها

ج · وضع اساتذة الزراعة كتاباً مسهباً في الزراعة المصرية وُضع بالانكليزية وترجم الى العربية وهو واسع ومفيد لانهُ نظري وعملي · ومنذ عهد قريب انشأ احد الشبان المصريين المدرسين فصولاً في البكتيريولوجيا الزراعية نشرت تباعاً في المقتطف ثم طبعت في كتاب على حدة · وتصدر وزارة الزراعة مجلة زراعية بالانكليزية والعربية تتناول البحث في المزروعات المصرية علماً وعملاً · وتنشر وزارة الزراعة ايضاً منشورات زراعية مختلفة ترشد الفلاحين الى امور كثيرة متعلقة بخدمة الارض وزرعها ومقاومة ما ينتابها من الحشرات

(١٦) البخار والطيارات

اسيوط · ثابت افندي جرجس بشاي · لماذا لا يستخدمون البخار لتسيير الطيارات نعم ان الآلات التي تتحرك بقوة البخار ثقيلة ولوازمها من الوقود ونحوه كثيرة ولكن لا ينكر ان قوتها ايضاً عظيمة فما رأيكم في طيارة بخارية

ج · ان الآلات البخارية مهما قويت لا تكفي قوتها لطيرانها مع ما يلزم لها من الوقود

(١٧) اهتمام الدول بالاستعمار

ومنهُ · من المعلوم ان التجارة كانت قبل الحرب الحالية حرَّة مشاعة وكان لكل دولة ان تبيع متاجرها في اي مكان وفي اي مستعمرة ولو كانت لغيرها بل لها ان تزاحم الدولة المستعمرة نفسها اذا استطاعت كما كانت تفعل المانيا في معظم مستعمرات الحلفاء فعلامَ اذن نرى تهافت الدول على الاستعمار وبذلها في سبيلهِ المهج والاموال

ج · مهما تسامحت الدولة المستعمرة لغيرها فان رجال الدول الاخرى لا يقدمون على السكن في مستعمراتها واستثمار اموالهم فيها كما يقدم على ذلك رجالها لاسيما وانها لا تستخدم في ادارتها والمحافظة عليها الاَّ رجالاً من شعبها · والظاهر ان الانكليز اكثر تسامحاً من غيرهم من هذا القبيل فما يرى في مستعمراتهم من كثرة الاجانب لا يرى في مستعمرات غيرهم ومع ذلك ففائدتهم من مستعمراتهم كبيرة جدًّا

(١٨) تحريم الخمر

ومنهُ · حرمت بعض انواع الخمور في اكثر بلدان الحلفاء فجاءت النتيجة باهرة من كل الوجوه فلماذا لا يظل هذا التحريم معمولاً بهِ حتى في ايام السلم او ان الحكومات

لا نعنى بامور شعوبها الاَّ عندحلول المصائب

ج. لا يحق لنا ان نقول ان هذا التحريم سيبطل في ايام السلم اذ يحتمل ان يبقى معمولاً بهِ بعد ان ظهرت فائدتهُ وظهر إمكان العمل بهِ. والحكومات تعنى بامور شعوبها دائماً ولكن المصائب تشحذ الهمم. وهذا غير خاص بالحكومات بل هو شامل لكل الناس فان كل احد منا يهتم بتدبير طعامهِ وشرابهِ ومسكنهِ اذا انحرفت صحتهُ او انتشر الوباء على مقربة منهُ اكثر ممَّا يهتم وهو في حال الصحة والسلامة

(١٩) درس الحقوق

رمل الاسكندرية. م. س هـ. ل الافضل لطالب مصري درس الحقوق في القطر المصري او في فرنسا

ج. لو اردنا ان احد ابنائنا يدرس الحقوق لاشرنا عليهِ ان يدرس في القطر المصري وذلك اولاً لان التدريس وافٍ هنا وقد يكون اوفى للتلامذة المصريين من الدرس في فرنسا. وثانياً لان تغريب الشبان يعرضهم لتجارب كثيرة قد لا يتعرَّضون لها في وطنهم

(٢٠) انتشار الاشتراكية

ومنهُ. هل في الامكان ان تسود الاشتراكية في العالم

ج. سيزيد انتشارها ولكننا نرجح انها تتعدَّل كثيراً في مبادئها فتصير مثل الديموقراطية المعتدلة



اوجه القمر في شهر اكتوبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٨	٠٠	١٤ صباحاً
الهلال	١٦	٤	٤١ «
الربع الاول	٢٣	٤	٣٨ مساءً
البدر	٣٠	٨	١٩ صباحاً
القمر في الاوج	١٢	٢	٣٠ «
« « الحضيض	٢٨	٠٠	٤٨ «

السيارات

عطارد — يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخرهِ

الزهرة — تكون كوكب مساء

المريخ — يشرق نحو الساعة الواحدة صباحاً

المشتري — يشرق نحو الساعة الثامنة مساءً

زحل — يشرق نحو نصف الليل

تغيير المقاييس الانكليزية

لما كثر تحدث كتاب الانكليز بوجوب تغيير المقاييس الانكليزية واحلال النظام العشري محلها اهتمت الحكومة الانكليزية اهتماماً رسمياً بالمسئلة ووعدت بدرسها درس جدّ في اقرب وقت وعلى اثر ذلك عينت جمعية البنكرية لجنة لمثل هذا الغرض . فكتبت تقريراً ضافياً قالت فيهِ ان نظام الاوزان والمقاييس المتبع في انكلترا الآن عقبة في سبيل توسيع التجارة الخارجية وخصوصاً تجارة الصادرات واشارت بسكّ نقود عشرية تمهيداً لادخال النظام المتريّ برمتهِ فيما بعد . وفصلت هذه النقود فقالت انهُ يجب ابقاء الجنيه على زنتهِ الحالية وتقسيمهُ الى الف جزء يسمى كلٌّ منها « مِل » فيكون الجنيه الف مِل ونصف الجنيه ٥٠٠ . وتجعل النقود الفضية اربعة اصناف ثلاثة منها تقابل الريال ونصف الريال وربع الريال عندنا أي ان قيمة الاول تكون اربعة شلنات والثاني شلنين والثالث شلناً . أما الرابع فيكون نصف شلن . ويلغى الكرون (٥ شلنات) ونصف الكرون . وتسك نقود من البرونز باربعة ملاَّت وملين وملّ واحد . وتلغى قطعة الثلاثة بنسات وتستبدل بقطعة من النكل او ما يشبههُ قيمتها ١٠ ملاَّت . ومن رأي اللجنة ان يؤَخر هذا التغيير الى ما بعد عقد الصلح بمدة طويلة ولكنها تلحُّ في سن القوانين اللازمة لذلك الآن وبلا امهال

غرائب العدوى

ظهرت في انكلترا في السنتين الماضيتين اصابات كثيرة بالجمرة الخبيثة بين الاهالي والجنود على السواء فاشتبه ان تكون فرشة الحلاقة سببها . وبعد التحقيق والفحص المكرسكوبي في مصاب بالجمرة في احد المستشفيات وجدت مكروبات الجمرة في فرشتهِ فسئل من اين اشتراها ففحصت الفرشات الجديدة في المحل الذي باعهُ الفرشة فوجدت ملوثة كلها بمكروبات الجمرة . وحدثت اصابة اخرى ظهر ان فرشة الحلاقة سببها فتتبعوا المصدر الاصلي الذي جاءَت منهُ فوجدوا انها جاءَت كلها من بائع واحد بالجملة وانها صنعت في معمل واحد في انكلترا وثبت كذلك ان معظم الشعر الذي صنعت منهُ شعر خيل صينية لم يطهر التطهير الكافي قبل صنع الفرش منهُ . ففحص الشعر الذي لم يصنع فرشاً فوجد يعج بمكروبات الجمرة . وقد ثبت ان الغش هو اصل هذا البلاء كلهِ فان شعر الخيل الوارد من الصين يطهر قبل ارسالهِ عملاً بالقوانين الانكليزية ولكن في هذه الحالة كتب عليهِ انهُ شعر معزى وشعر المعزى لا يطهر

الحشرات ونقل العدوى

يؤخذ من خطبة خطبها الدكتور هورد الاميركي رئيس اكادمية العلوم الاميركية في « نقل الحشرات للامراض » انهُ عرف حتى الآن ٢٨٢ نوعاً من الحشرات التي تنقل مكروبات الامراض المعدية الى الانسان وسائر الحيوان وهذه الحشرات تنقل ٢٢٦ نوعاً من جراثيم الامراض . وقد قال في خطبتهِ هذه انهُ ثبت ثبوتاً لا يبقى عندهُ مجال للريب ان الحشرة الاميركية المعروفة باسم Simulium (السكَّيت) لا تنقل مرض البلاغرا

غذاءُ اللحم وغلاؤُهُ

يستفيد الجسم من الطعام فائدتين الاولى تجهيزهُ بالقوة اللازمة لهُ ليقوم بالاعمال التي يعملها وهذه القوة تأتي من الطعام الذي فيهِ كربون واكسجين وهيدروجين كالحبوب والقطاني وانواع الزيت والدهن والنشا والسكر . والثانية المواد التي تنميهِ وتقوم مقام ما يندثر منهُ من الدقائق اللحمية وهذه المواد تكون في الحبوب والقطاني ايضاً ولكنها تكون بالاكثر في اللحم الهبر . والاولى اهم من الثانية ويجب ان يكون مقدارها اكثر من مقدار الثانية والثانية اغلى من الاولى كثيراً اذا قابلنا بين ما فيهما من الغذاء

وقد حسبوا انهُ اذا علفنا الغنم والبقر بالحبوب من القمح والفول والشعير لكي تصير فيها لحماً ودهناً وجدنا ان كل مائة رطل من المواد المقوية في الحبوب لا يبقى منها في جسم الغنم والبقر الأ ثلاثة ارطال ونصف رطل . اي اننا نطعم العجل او الخروف ما يساوي مئة درهم من الدهن فلا يتكون منها في جسمهِ غير ثلاثة دراهم ونصف درهم وتكون الخسارة ٩٦ درهماً ونصف درهم

ولذلك فالاطعمة التي يستطيع الناس اكلها لا يجوز ان تعلف بها المواشي . ولا يجوز ان تعلف الأ بما لا يستطيع الناس اكلهُ كالحشيش والبرسيم والتبن والرضة واوراق الذرة وعيدانها وما اشبه

اصغر الجمهوريات

اصغر الامم الجمهورية سكان جزيرة تاڤولارا Tavolara وهي جزيرة صغيرة امام ساحل سردينيا طولها ٥ اميال وعرضها نصف ميل ولا يزيد عدد سكانها على سبعين نفساً وقد نادوا باستقلالهم سنة ١٨٨٦ فلم يعترض احد من الدول عليهم . وهم ينتخبون رئيساً لهم من بينهم لمدة ست سنوات وينتخبون معهُ مجلساً فيهِ ستة اعضاء . والرئيس والاعضاء يخدمون مجاناً

ويتلوهم سكان سنت غوت وهي قطعة من الارض على رأس قنة في جبال

البرينيس مساحتها ميل مربع فقط وعددهم ١٣٠ نفساً وحكومتهم جمهورية ورئيسهم هو قاضيهم وجابي الضرائب منهم ومعهُ مجلس فيهِ ١٢ عضواً · وقد مضى على هذه الجمهورية الآن اكثر من الفي سنة وهي مستقلة لصعوبة الوصول اليها

وعلى ١٥٠ ميلاً منها جمهورية اندورا سكانها سبعة آلاف نفس وقد استقلّت منذ القرن التاسع ولها رئيس ومجلس فيهِ ٢٤ عضواً

نور الشمس والنور الصناعي

وضع مصباح كهربائي فوق شلال نياغرا باميركا يعادل نورهُ نور خمسين مليون شمعة فهو اسطع الانوار الصناعية التي استعملت الى الآن حتى قال البعض انهُ مثل نور الشمس · ولكن الاستاذ يونغ قدَّر منذ عهد غير بعيد نور الشمس بالنسبة الى نور الشمعة فوجد انهُ اسطع من نور الف وخمسمائة مليون مليون مليون شمعة

البريد الهوائي في ايطاليا

انتظم البريد الهوائي في ايطاليا بينها وبين جزيرة صقلية وجزيرة سردينية · واحتفل باول سفرة بين نابلي وبلرمو بصقلية في ٢٤ يونيو الماضي فسارت اول طيارة مائية حاملة مقداراً كبيراً جدًّا من الرسائل وبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر نحو ٢٠٠٠ متر وسارت بسرعة تسعين ميلاً في الساعة فبلغت بلرمو في اقل من ساعتين ونصف ثم احتفل بنقل البريد من صقلية الى جزيرة سردينية في ٢٧ يونيو فسارت طيارتان مائيتان مع كلٍّ منها ما زنتهُ ١٠٠ كيلو من الرسائل في اكياس لا ينفذها الماء فوصلتا في بعد ساعة واربعين دقيقة وعادتا في نحو هذا الوقت

هبات علمية اميركية

اوصى الكولونل اوليفر باين الاميركي بسبعة ملايين ريال للاعمال العلمية والخيرية من ذلك مليون ريال لكلٍّ من مستشفى جامعة بايل ومكتبة كلفلند ومكتبة نيويورك ونصف مليون ريال للمدرسة الطبية من جامعة كورنل وثمنا الف ريال لكلٍّ من مستشفى سنت فنسنت بكلفلند وملجأ ايتام اليهود فيها ولكلية هملتون وكلية كلفتن وجامعة فرجينيا

نبات السيابدلاً والالمان

ينبت في بلاد فنزويلا نبات اسمهُ سيابدلاً من الفصيلة الزنبقية بزورهُ سامة جدًّا وتفوح منها رائحة حريفة تهيج العينين والحلق والانف حتى يكاد الانسان يختنق منها · ولما رأى الالمان منها ذلك اشتروا

كل ما يوجد منها في فنزويلا قبل الحرب ثم استعملوها فيها لتوليد الغازات الخانقة

المسلح والطبيب

المسلح الذي يعطيك السلاح او يلبسك اياهُ اطلقناهُ على مخترعي الاسلحة وصانعيها والطبيب المداوي معروف. ولم يظهر تفوُّق كلٍّ منهما في صناعته كما ظهر في هذا العصر وفي هذه الحرب بنوع خاص. فبينما ترى المسلحين يتبارون في استنباط آلات القتل والتدمير حتى فاقوا كل مَن تقدمهم في كل العصور الغابرة ترى الاطباء يتبارون في منع الادواء وشفاء ما يحدث منها حتى كادوا يحمون الجيوش المحاربة من كل مرض. فبالامس خطب الدكتور مكفيل استاذ تاريخ الطب في جامعة مكجل خطبة موضوعها عمل الطبيب في يوم في هذه الحرب فقال ان الاطباء وفوا بكل ما يطلب منهم على تمام الدقة فوقوا الجيوش من الامراض حتى انني لم ارَ احداً اصيب بالتيفويد الاَّ في الايام الاول وقت معركة السوم. ولم ارَ الذباب في المعسكرات اكثر مما يكون في بلاد الفلاحين حيث الاعتناء بالوسائل الصحية على اتمهِ. والماء الذي يشربهُ الجنود مرشح وموضوع في زجاجات نظيفة ولا يباح لاحد منهم ان يشرب ماء غير نقي. ويمتحن ماء الآبار قبلما يشربونهُ ولو كانت في خط النار. ويمتحن الطعام قبل كل اكلة لتثبت نقاوتهُ. واوقات الاستحمام منظمة كاوقات الطعام

مضادات الفساد

قال الدكاترة برونتج وغلبروسن وثورنتن ان الفلافين Flavine والاخضر اللامع Brilliant green من افضل مضادات الفساد في الجراحة فانهما يقتلان المكروبات في الجروح ولا يضران بانسجة الجسم. ويزيد فعل الفلافين اذا كان معهُ مصل فيعالج بهِ الجرح حتى يختلط بمصل الدم. والاخضر اللامع يذاب في الماء بنسبة ١ الى ٢٠٠٠ ويغسل الجرح بهِ مراراً. والفلافين صبغ اصفر يستخلص من شجرة اميركية تشبه السنديان والاخضر اللامع من الاصباغ المستخرجة من قطران الفحم الحجري

نسبة الخطر في الطيران

يؤْخذ من احصاء خسارة جنود الحلفاء في هذه الحرب ان الخسارة في القسم الطبي هي اعظم الخسارات تليها خسارة المشاة فالفرسان فالطيران. واذا ذكرنا ان فرع الطيران من الفروع الكثيرة العمل وخصوصاً في المدة الاخيرة تبين لنا ان خطر الطيران اقل كثيراً مما كان يظنّ

فقاعات صابون دائمة

يلعب الاولاد احياناً بنفخ فقاعات الصابون فلا تكاد الفقاعة تنتفخ حتى تنشق ولكن البروفسور ديور الانكليزي خطب بالامس خطبة في الجمعية الملكية بلندن شرح فيها طريقة يمكن بها نفخ الفقاعات وابقاؤُها منفوخة بضعة شهور. واري سامعيهِ فقاعات عمرها سنة. وخلاصة ما قال انهُ يجب ان يكون الهواء الذي ينفخ في الفقاعات خالياً من الغبار فلذلك يصفى من الغبار بامرارهِ وسط شيء من الصوف القطني المنفوش عند نفخهِ في الصابون. وبين الفقاعات التي عرضها فقاعة قطرها نصف متر اما الفقاعات الصغرى فاطول عمراً من الكبرى

انعاش المكهرب

من اغرب ما قرأْنا عن انعاش المكهربين بعد ما تصعقهم الكهربائية ويظن انهم ماتوا ان مفتشاً كهربائياً في نيويورك مسَّ سلكاً فيهِ مجرى كهربائي بقوة ٢٣٠٠ فلطة فصعق فهب رفيق له اليهِ وامسك بقدميهِ ورفعهما الى فوق ورأْسهُ لا يزال على الارض حتى وقع ثقل جسمهِ عليهِ ثم تركهُ يسقط. وتناول بعد ذلك قدوماً وضرب بهِ قدمي المكهرب وهو لابس حذاءَهُ. ثم جاءَهُ آخر وسحب لسانهُ والعادة في الذين تصعقهم الكهربائية ان تتقلص السنتهم وتجتمع في اقفيتها. وما كاد يفعل حتى استفاق الرجل وهو الى الآن حيٌّ يرزق لا يشكو شيئاً الا الحروق التي اصابتهُ من المجرى الكهربائي

اموال القيصر

استصفت الحكومة الوقتية في روسيا املاك بيت رومانوف وتقدر قيمتها بمئة واربعين مليون جنيه وهي واسعة جدًّا اخذها اسلاف القيصر نقولا من الرعايا حينما كان يحكم على احدهم بالنفي المؤَبد الى سيبيريا فتؤْخذ املاكهُ وتضاف الى بيت الملك. وللقيصر نقولا املاك خاصَّة تقدر بتسعة ملايين من الجنيهات وللدوقات من بيت رومانوف املاك خاصة يقدر مجموعها بستين مليون جنيه

ويقال ان للقيصر نقولا اموالاً في بنك انكلترا تبلغ سبعة ملايين من الجنيهات حفظها هناك الى ايام الشدَّة وكان للغراندوق الكسس مليونا جنيه في بنك فرنسا

وهناك اموال اخرى موقوفة على بيت رومانوس منها ما يساوي ٤٨٠٠٠٠٠ وقفهُ القيصر اسكندر الثاني ومنها ما يساوي ١٥٦٠٠٠٠ وقفهُ القيصر اسكندر الثالث

وكان دخل القيصر نقولا حينما خلع ١٧٠٠٠٠٠ في السنة لكن نفقاتهُ كانت تبلغ اربعة ملايين من الجنيهات

كسوف حلقي للشمس

تكسف الشمس كسوفًا حلقيًا في ١٣ ديسمبر القادم فيمرُّ خطهُ المركزي في قطب الارض الجنوبي ويرى في جميع الاطوال هناك وجميع ساعات الوقت المحلي . ولو كان مركز القطب الجنوبي على مساواة سطح البحر لمرَّ الخط المركزي للكسوف على اربعة اميال من القطب ولقطع محور الظل امتداد محور الارض على ارتفاع ٩١٠٧ اقدام فوق القطب . ولكن يؤخذ من اقوال امندصن وسكوت ان القطب في صعيد عالٍ علوهُ ١٠ آلاف قدم فلذلك يمرُّ خط الكسوف المركزي في القطب تمامًا

عظام المموث

اكتشف بجوار مدينة بابوم في ساحة القتال بفرنسا هيكل مموث مع بعض اسلحة من الصوان . فابلغ القائد الانكليزي الحكومة الفرنسوية ذلك فاتخذت التدابير اللازمة للمحافظة على هذه المكتشفات ريثما يبعد خط القتال عن مكانها فيتسنى اذ ذاك اكمال الحفر والتنقيب

وزراء المانيا والدم السوري

بسمارك اول من تقلد منصب وزارة الامبراطورية الالمانية وذلك من سنة ١٨٧١ الى ان اخرجهُ الامبراطور الحالي منهُ منذ سبع وعشرين سنة . وخلفهُ كبريفي ثم عزل سنة ١٨٩٤ واتى بعدهُ البرنس هوهنلوهي ثم البرنس بولوف واخيراً جاء الدكتور بتمان هولفغ ثم الدكتور ميخائيلس وكلا الاخيرين من اصل اسرائيلي اي ان اجدادهما من اهالي فلسطين بسورية

الوفاء للعلماء

توفي حديثًا العالم بستيان الانكليزي المشهور فعينت الحكومة لارملتهِ معاشًا سنويًّا قدرهُ مئة جنيه نظراً الى الخدم التي خدم العلم بها والى ضيق ذات يدها . وعينت معاشًا قدرهُ ٧٥ جنيهًا لارملة منتشن . ومعاشًا قدرهُ ٧٠ جنيهًا لارملة الدكتور غنتر . ومعاشًا قدرهُ ٧٥ جنيهًا لارملة تريمن لمثل الاسباب المتقدمة

درابزون السلالم

جرت العادة ان يقام للسلالم درابزون يضع الانسان يدهُ على خشبتهِ لكي يوقى العثار ولاسيما اذا كان نازلاً . وقد احصي عدد الذين زلت اقدامهم في الولايات المتحدة لانهم اهملوا الامساك بالدرابزون فوجد انهُ قتل فيها بسبب ذلك في العام الماضي ١١٤٩ نفسًا واصيب اكثر من ٤٠٠٠ بعاهات مختلفة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي والخمسين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٥ محرم سنة ١٣٣٦

صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول [1]

هو السلطان فؤاد الاول سلطان مصر والسودان ابن عزيز مصر الجليل وصادق الوعد اسمعيل بن البطل المغوار ابرهيم بن محمد علي الكبير منقذ مصر ومخرجها من الظلمات الى النور . وهو الحاكم التاسع من السلالة المحمدية العلوية

وُلد الامير احمد فؤاد في قصر والدهِ المغفور لهُ الخديوي اسمعيل بالجيزة في الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨٤ هجرية (٢٦ مارس ١٨٦٨ ميلادية) . ولما بلغ السابعة من عمرهِ السعيد ادخلهُ والدهُ المدرسة المخصصة لتعليم انجالهِ الامراء في رحبة عابدين . وكانت مشمولة بنظارة حضرة صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا فمكث فيها ثلاثة اعوام يتلقى مبادئ العلوم والمعارف الى ان كانت سنة ١٨٧٨ وقد اكمل السنة العاشرة من عمرهِ فاصدر والدهُ امرهُ الكريم الى دور بك المفتش في نظارة المعارف العمومية وصاحبي السعادة حسن جلال باشا وحمد الله امين باشا المدرسين في المدارس الاميرية بالسفر في معية الامير الى مدينة جنيف من اعمال سويسرا فادخلهُ دور بك مدرسة توديكم وعاد الى مصر وبقي في معيتهِ حسن جلال باشا مدرساً للغة العربية وحمدالله امين باشا مدرساً للتركية والفارسية فمكث في تلك المدرسة سنتين وهو عنوان المواظبة والنشاط والاجتهاد

ولما كانت سنة ١٨٧٩ سافر والدهُ الخديوي اسمعيل الى ايطاليا فاتى لمقابلتهِ في مدينة نابولي ومنها الى مصر ثم عاد الى نابولي واقام مع والدهِ ثلاثة اشهر في القصر الملكي الشهير المعروف باسم فاور يتا بضواحي نابولي . و بناءً على رأي جلالة الملك اومبرتو الاول ملك

(١) بقلم احد الفضلاء الباحثين المدققين

ايطاليا السابق وصديق الخديوي اسمعيل دخل الامير فؤاد سنة ١٨٨٠ المدرسة الاعدادية الملكية في مدينة تورينو ولما اتمَّ دروسهُ فيها نقل الى مدرسة تورينو الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثانٍ في سلاح الطوبجية فدخل مدرسة تورينو الحربية العليا وهي احدى المدارس الحربية الثلاث المشهورة في العالم واتم دروسهُ فيها سنة ١٨٨٨ وانضم الى الاي الطوبجيَّة الثالث عشر المعسكر في مدينة روما ومكث ضابطًا في الجيش العامل سنتين كاملتين

وسنة ١٨٩٠ سافر الى الاستانة لزيارة والدهِ فعرفهُ السلطان عبد الحميد وعرف قدرهُ فعينهُ ياوراً فخريًا لجلالتهِ وانتدبهُ بصفة ملحق حربي لسفارة الدولة في مدينة فينَّا فمكث في هذه الوظيفة سنتين قام فيهما بوظيفتهِ خير قيام

ولما كانت سنة ١٨٩٢ استدعاهُ الجناب الخديوي السابق من فينا وعرض عليهِ ان يتولى منصب كبير ياورانهِ فلبي داعي الوطن بكل ارتياح وعاد الى مصر فاسندت اليهِ رتبة الفريق الرفيعة . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٢ صدر الامر العالي بتعيينهِ سر ياوراً للحضرة الفخيمة الخديوية وهذا نصهُ :

« الى سعادتلو البرنس احمد فؤاد باشا

« انهُ بناءً على ما اتصفتم بهِ من صفات المعارف والكمالات وما هو مثبوت عندنا من لياقتكم وحسن درايتكم ووثوقنا بذاتكم قلدنا سعادتكم وظيفة سر ياورنا وصدر امرنا للسردارية بذلك وهذا لسعادتكم للمعلومية ومباشرة امور وظيفتكم هذه حسبما نعهدهُ في سعادتكم من الغيرة والحمية وفقنا المولى جميعًا لما فيهِ الخير والصلاح امين »

وظل الامير فؤاد متوليًا هذا المنصب العسكري السامي ثلاثة اعوام متوالية رفع فيها شأن العسكرية في البلاد وجعل الحرس المصري يضارع اعظم حرس في الممالك الاوربية من حيث النظام وحسن الهندام . وجميع الضباط الذين تشرفوا بالخدمة تحت امرهِ يذكرون تلك الاعوام الثلاثة بمنتهى الفخار والاعجاب

ثم رأى ان يقف حياتهُ لخدمة وطنهِ بنشر الوية العلم والعرفان وتخفيف الآلام عن بني الانسان فاول ما اتجهت اليهِ همتهُ العالية مشروع الجامعة المصرية فانها لم تكن الى سنة ١٩٠٨ الاَّ مجرد امنية من الاماني الوطنية الكبرى فاخرجها الى حيز الوجود واحتفل بافتتاحها في ٢١ دسمبر سنة ١٩٠٨ . واليك بعض شذرات من الخطبة النفيسة التي القاها في حفلة الافتتاح الرسمية بالقاعة الكبرى لمجلس شورى القوانين . قال حفظهُ الله : " لقد جاءَ اليوم الذي نقضي فيهِ الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس

القاهرة دون ان تتغرب في ربوع العلم التي نالت بفضله مكانة عالية في العمران

«وانني ابتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ اننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه الاّ لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى انهُ يتحتم عليها ايضاً ان تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح . ولا ريب عندنا في انها ستكتسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والامة باسرها"

ولم يترك مشروع الجامعة المصرية في المهد صبياً بل استمر يعضد الجامعة بعالي همته ونفوذه ويعاونها بثاقب رأيه وتدبيره حتى اصبحت بفضل الله ذات مقام رفيع بين جامعات الامم الاوربية . وبفضل سعيه المشكور لدى الدول الاوربية وُفق الى استحضار كبار العلماء المستشرقين من اوربا للتدريس فيها فقاموا بالقاء محاضرات نفيسة كانت تطبع وتنشر في انحاء البلاد كما انهم وفقوا الى وضع بعض المؤلفات في العلوم العالية واثبتوا لانفسهم على البلاد فضلاً يذكر فيشكر

وبفضل سعيه لدى دولة بريطانيا العظمى ودولتي فرنسا وايطاليا قبلت حكومات هذه الدول ان يتعلم بعض الطلبة من ابناء مصر مجاناً في جامعات لندن وباريس وروما . وانشأ مكتبة عظيمة للجامعة تحتوي ما ينيف على اثني عشر الف مجلد . وبسعيه اهدت اليها الحكومات والمعاهد العلمية الاجنبية مجموعات كتب نفيسة ونالت الجامعة خمسة آلاف جنيه اعانة سنوية من ديوان عموم الاوقاف والفي جنيه من الحكومة المصرية

وفي سنة ١٩٠٩ اسس بجانب الجامعة المصرية الجمعية السلطانية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع واحتفل بافتتاحها في ٨ ابريل سنة ١٩٠٩ فقامت بمحاضرات ومباحث نفيسة كانت تنشر في مجلة تدعى مصر الحاضرة او المعاصرة L' Egypte Contemporaine وهي من انفس المجلات المصرية

واسس سنة ١٩٠٩ ايضاً جمعية لترغيب السياح في زيارة الاقطار المصرية ومشاهدة آثارها العظيمة وذلك لتوثيق عرى الالفة والوداد بين الامة المصرية وسائر الامم الاجنبية ولتوفير اسباب الارتزاق لكثير من ارباب الحرف والصناعات الوطنية . وقد فكَّر في اقامة معرض في القاهرة تعرض فيه جميع المصنوعات الافريقية Exposition Panafricaine فلم يتم هذا المشروع للآن

وفي ٥ يناير سنة ١٩١٠ اجتمع مجلس ادارة جمعية الاسعاف بمدينة القاهرة وانتخب سموهُ باجماع

الآراء رئيساً لجمعية الاسعاف فقبل الرآسة وقام بها خير قيام والى سموهِ يعود الفضل في انشاء صيدلية كبرى في مركز الجمعية بمصر المحروسة

وفي ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٥ صدر النطق السلطاني الكريم بتوجيهِ رآسة الجمعية الجغرافية السلطانية الى سموهِ وهي الجمعية التي وضع اساسها والدهُ الخديوي اسماعيل سنة ١٨٧٥ فادركها الامير بهمتهِ واعاد اليها الحياة والنشاط بعد ان كادت تندثر وتصبح اثراً بعد عين

ومن مآثرهِ في الجمعية الجغرافية وضع اللائحة الداخلية الجديدة التي صدر بها امر عالٍ في ١١ اغسطس سنة ١٩١٧ وعنايتهُ بتنسيق مكتبتها ومتحفها المحتوي على نفائس الآثار

وفي ٢ مارس سنة ١٩١٦ تعهد برآسة جمعية الهلال الاحمر المصري تخفف حفظهُ الله آلام الاسر والاسقام عن الوف من اسرى الحرب وكلهم السنة تدعو لهُ بطول العمر والبقاء وقلوب تضرع الى الله سبحانهُ وتعالى ان يجزيهُ عن الانسانية جزاء الخير وخير الجزاء

وفي ٨ يناير سنة ١٩١٧ انتخب عضو شرف في المجمع العلمي المصري فكان من باكورة اعمالهِ المشكورة انهُ وضع جائزة مالية لمن يؤلف احسن مؤلف في تاريخ والدهِ الخديوي اسماعيل وما قام بهِ مدة حكمهِ من جلائل الاعمال

ومن اياديهِ البيضاء على مدينة الاسكندرية تأسيس مصنع لتعليم البنات الفقيرات الاشغال اليدوية الدقيقة وقد احتفل في شهر سبتمبر الماضي بافتتاح معرض عرضت فيهِ اشغالهن اليدوية فنالت اعجاب الاسكندريين وسائر الزائرين

كما انهُ فكر في انشاء معهد في ثغر الاسكندرية لتربية الاسماك واكثارها في السواحل المصرية ليكون منها غذاء وافر للفقراء والاغنياء على السواء

ومن الشركات الاقتصادية المشمولة برآستهِ شركة سكك حديد الوجه البحري البلجيكية وقد انتخب رئيساً لها في ٦ فبراير سنة ١٩١٥ خلفاً لاخيهِ المغفور لهُ السلطان حسين

وبالاختصار فانهُ كان يرأس ما ينيف على اثنتي عشرة جمعية بين علمية وخيرية واقتصادية يديرها كلها بهمة لا تعرف الملل ونشاط لا يعرف الكلل

وهو محب للسياحة والاستطلاع فقد خبر الامم وجاب الاقطار وزار معظم عواصم اوربا وتعرف بكثير من الملوك وعظماء الرجال ولهُ اصدقاء عديدون بينهم نخص بالذكر منهم جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى وجلالة الملك فيكتور عمانوئيل الثالث وجناب رئيس الجمهورية الفرنسية وملوك اسبانيا والسويد والبلجيك وسربيا ورومانيا واليونان وغيرهم

وقد فكَّر اقطاب السياسة الاوربية سنة ١٩١٢ في عرض عرش البانيا عليهِ فلم يتم هذا المشروع ولله الحمد لحسن حظ مصر فقد حفظت العناية الربانية للبلاد فؤادها وابقتهُ ذخراً لحياتها وسعادتها

ففي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هجرية الموافق للتاسع من شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ ميلادية اختار الله لجوارهِ ورضوانهِ المغفور لهُ المبرور السلطان حسين كامل وكانت وفاتهُ رحمهُ الله وقت الظهر تماماً فكأَن شمساً ارتفعت في سماء مصر ولما بلغت اوج الكمال آلت بجأة الى الزوال . فنودي باخيهِ الامير فؤاد سلطاناً على مصر والسودان وأتت الاشائر البرقية من سائر انحاء القطر تحمل آيات التهانيء والتبريك بجلوسهِ السعيد . ولسان حال مصر يتمثل بقول السموأل

اذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرامُ فعولُ

ويوم الخميس ٢٤ ذي الحجة جاءت الوفود من المديريات والمحافظات تسعى الى سلطانها الجديد وتقدم الى عظمتهِ فروض الولاء والاخلاص

واليك ترجمة التبليغ الوارد الى الحضرة المعظمة السلطانية من قبل الحكومة البريطانية وهو

«يا صاحب العظمة السلطانية

« بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية اتشرف بان اعرب لعظمتكم عن فائق الاسف الذي شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل الى علمها نعي المغفور لهُ صاحب العظمة السلطان حسين كامل الذي اكبرت الامة المصرية جميعها اخلاصهُ لكل ما فيهِ خيرها اخلاصاً لا يعتريهِ فتور وقدرتهُ حق قدرهِ فكانت وفاتهُ لديها كارثة وطنية . وانني اتشرف بابلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما اصاب شخصكم الكريم من دواعي الحداد

« هذا وانني مكلف في الوقت نفسهِ ان احيط علم عظمتكم انهُ لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للآن وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين الوارث المتعين طبعاً لوراثة العرش فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوأ هذا العرش السامي على ان يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم

« وان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد ان تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التي اعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائهِ العرش وهي مقتنعة ان في استطاعتها

ان تعمل في العمل مع عظمتكم على تلك الصداقة التي كانت شعاراً لحكم السلطان المرحوم وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهة والتقدم · ذلك الامر الذي لهُ من المكانة في نفس الحكومة البريطانية ما لا يقل عن منزلتهِ لدى عظمتكم

« واني انتهز هذه الفرصة فاقدم لعظمتكم السلطانية اجل احتراماتي

« عن القاهرة في ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ رجنلد ونجت

وفي اليوم التالي وهو ١٠ اكتوبر صدر الامر السلطاني الكريم الى حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا بتأليف الوزارة وهذا نصهُ

« عزيزي حسين رشدي باشا

« نعلم رعايانا انهُ بسبب وفاة سلفنا واخينا المحبوب المغفور لهُ السلطان حسين الاول الذي اختطفتهُ المنية قبل الاوان وملأَت القلوب حزناً عليهِ قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على ان يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقاً للنظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بيننا و بينها

« منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهرانها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك ان تصاب في مصادرها · ولقد لبى سلفنا رحمهُ الله نداء الواجب وتفانى في اخلاصهِ لمرافق بلادهِ فلم يتردد في تحمل اعباء السلطنة مع ما كان يحف بها من المصاعب · واعتماداً على ولاء رعاياهُ وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسهُ مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذي اختطهُ في المرسوم الصادر منهُ الى دولتكم عند ارتقائهِ عرش السلطنة وقد صار وضع اسس تعميم التعليم و بحث موارد ثروة القطر والشروع في الوسائل التمهيدية التي من شأنها احلال مصر في مكانة الكرامة اللائقة بها في العالم الذي سيستجد على اثر انعقاد الصلح

« ونحن اليوم ننشد ذلك الولاء نفسهُ من رعايانا في ظروف هي اكثر يمناً وتوفيقاً فقد زالت الاخطار التي كان يظهر انها تتهدد بلادنا · وعادت ثروة القطر الى ما كانت عليهِ · و بقي علينا ان نخصص انفسنا بالاشتراك مع نواب الامة اشتراكاً يزداد على الدوام لاتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذي اختطهُ سلفنا وان نحقق في جميع الفروع الاصلاحات التي من شأنها ضمان التقدم المادي والادبي في بلادنا

« ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية فاننا نوجه الى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة ومن الله نلتمس الاعانة على ما نحن قادمون عليهِ من العمل فؤاد

« عن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ (١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧) »

فاجابهُ حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا

« يا صاحب العظمة السلطانية

« اني لاشعر بالشرف العظيم الذي اوليتموني اياهُ بما تفضلتم عظمتكم بهِ عليَّ من دلائل الثقة الكبرى بتكليفي تأليف الوزارة الجديدة

« وبالرغم من اعتلال صحتي لما تحملتهُ من الاجهاد منذ ثلاث سنوات ولما نالني من الصدمة العنيفة بفقد سيد كان في آن واحد صديقاً لي فاني وفاء الى النهاية بالواجب المفروض عليَّ بصفتي مصريًّا اقدم في ظل حكم عظمتكم لخدمة بلادي القليل الباقي لي من القدرة على العمل . وبناءً على ذلك فانني آخذ على عهدتي تأليف هيئة الوزارة الجديدة فاعرض على تصديق عظمتكم السلطانية تجديد الهيئة السابقة كما كانت

« وانني بكل احترام واجلال لعظمتكم السلطانية العبد الخاضع المطيع المخلص

حسين رشدي

« عن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ (١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧) »

وللحال صدر المرسوم السلطاني بتشكيل الوزارة الرشدية الثالثة على ما كانت عليهِ

وسلطاننا حفظهُ الله يجيد مع لغتهِ العربية اللغة التركيةَ والفرنسية والايطالية و يقرأ الانكليزية و يفهمها و يعرف احوال بلادهِ وما تحتاج اليهِ اتم المعرفة و يعرف ايضاً احوال الممالك الاوربية . ولقد قام المقطم بالواجب حيث قال يوم ارتقاء عظمتهِ الى عرش مصر

« الامة اليوم بمرأى من حادث عظيم انساها الحرب واهوالها وحوّل اهتمامها الى مستقبل امورها واحوالها فقد قضى الله سبحانهُ وتعالى — ولا مردّ لقضائهِ — ان يأخذ اليهِ سلطانها العزيز بعد ما تعلقت قلوبها بعرشهِ وارتاحت الى حكمهِ ورتعت في ظلهِ آمنة مطمئنة كالولد في حضن والدهِ ووثقت بتحقيق امانيها اعتماداً على ما رأت من حكمتهِ وحسن سياستهِ وصدق غيرتهِ ومحبتهِ . وشاء الله — والخير في مشيئتهِ — ان يلقي مقاليد امورها الى سلطانها الجديد ليتم في عهدهِ ما كانت ترجو ان يتم في عهد سلفهِ . فهي طبعاً تتساءل اليوم كيف يتم ذلك وتتشوف الى معرفة الدلائل والقرائن والاسباب التي تحقق آمالها في عظمتهِ وتنيلها معظم الخير من نتائج حكمهِ . ولهذا رأينا ان نورد هنا بعض ما عنَّ لنا من تلك الدلائل والقرائن التي عرفنا بعضها بالخُبر و بعضها بالخبَر

« فما يوجب للامة الثقة بنيل الخير في عهد سلطانها الجديد ان الذين عرفوا عظمتهُ وعاشروهُ ونقدوا صفاتهِ وخبروهُ يعلمون انهُ اذا قيس بغيرهِ من الملوك والسلاطين كان من خيرتهم ادراكاً لواجباتهِ العمومية وشعوراً بما تقتضيهِ الفروض الوطنية وغيرة على انجاح الاعمال المتعلقة بهِ والقيام بالحقوق المطلوبة منهُ . ويؤيد علمهم هذا ما رأتهُ الامة في عظمتهِ من الهمة والعناية والجد والسعي في انجاح الجمعيات والمعاهد المتعددة التي تولى رآستها

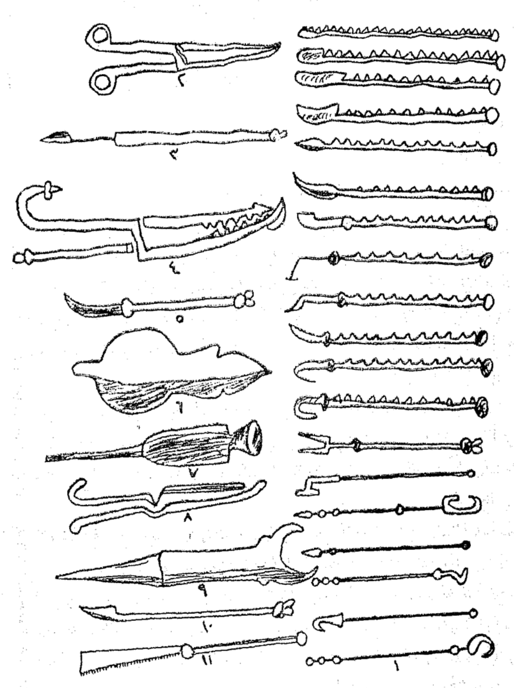
« ومما يؤيد ايضاً تلك الثقة ويقويها ان عظمتهُ متصف ببعد النظر في الامور وسعة العقل والصدر وقد شهد بنفسهِ حوادث التاريخ الحديث لهذا القطر منذ عهد المغفور لهُ والده الى هذا العهد. فوعى صدرهُ ما مر بهِ من العبر وعلم ان البلاد لا تأمن الدهر الاَّ اذا استيقظ حاكمها وسهر وقرن سياستهُ بالاحتراس والحذر واتخذ اعوانهُ ومشيريهِ من العقلاء الذين يخلصون له الولاء ويغارون على مصلحة الوطن. فعظمة سلطاننا الجديد — اعزه الله — درس ذلك كله في احسن المدارس مدارس الاختبار فاستعد للجلوس على عرش مصر وقضاء الواجبات العظيمة التي يقتضيها هذا المنصب الرفيع »

الى ان قال « فيحق للمفكر في مستقبل القطر ان يثق بحكمة صاحب العظمة سلطان مصر الجديد وان يؤمل ادراك الخير والرفاهة في حكمهِ السعيد »

اما عن مناقب عظمتهِ ومكارم اخلاقهِ فحدث ولا حرج فاول ما امتاز بهِ حبهُ الجم لوطنهِ وغيرتهُ على مصلحة مصر والمصريين وحبهُ للعلم والعلماء . ومن اعظم ما تتجه اليهِ همتهُ ترقية الزراعة والصناعة والتجارة في البلاد وتعضيد كل موارد الثروة في مصر . ومن صفاتهِ الكريمة الصدق في القول والعمل فاحب الناس اليهِ ارباب الذمة والاخلاص وابعد الناس عنهُ اهل الكذب والنفاق

وقد تفضل حفظهُ الله فقال مراراً واعاد تكراراً انهُ مستعد لوضع يدهِ الكريمة في يد كل عامل لخير وطنهِ غيور على مصلحة بلادهِ وانهُ يعتمد على معونة الجميع للسير بالبلاد في مراقي النجاح والفلاح . حقق الله ما يقصدهُ وما ينويهِ

ومن حسن حظ مصر ان عظمة السلطان فؤاد جلس على عرشها في نحو الخمسين من عمرهِ وهو سن الكمال في الملوك والسلاطين فقد جمع بين همة الشباب وحكمة الشيوخ . متعهُ الله بالصحة والعافية والسعادة والرفاهية وجعل عهدهُ بملك مصر عهد سعادة ورخاء وايام هناء ورفاء انهُ سميع مجيب الدعاء



(١) صور آلات مختلفة لتجريد الاسنان وتنظيفها (٢) مقص لقص السبل اي العروق الحمر من العين (٣) مقدح لقدح العين في عملية الكتركتا (٤) كلابة لنزع اصل الضرس المكسور (٥) عتلة لقلع اصل الضرس اذا لم يقلع بالكلابة (٦) مسعوط نقطر بهِ الادوية في الانف (٧) جفت لاخراج ما يقع في الاذن (٨) كلابة لقلع اصول الاضراس (٩) جفت لنزع العظام المتكسرة من الفك (١٠) آلة لقطع الضرس الزائد النابت خلف غيرهِ (١١) مبرد لنزع الضرس الزائد اذا امكن بردهُ

مقتطف نوفمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٤٢٥

فضل العرب على الجراحة [1]

قالت دائرة المعارف البريطانية المطبوعة حديثاً جزء ٢٦ ص ١٢٧ « فلما كان للعرب مزية في علم الطب اعظم من انهم حفظوا ما استلموهُ فيهِ من الاقدمين . وما اضافوهُ الى الجراحة بنوع خاص قليل وذلك اولاً لان دينهم يستكره تشريح الموتى وثانياً لان من طبعهم تحمُّل الآلام التي تصيبهم بالصبر والانفة من اتخاذ الوسائل لتخفيفها واطباؤهم المشهورون مثل ابن سينا وابن رشد ليس لهم شأن كبير في الجراحة واشهر من الف منهم في الجراحة ابو القاسم المتوفى سنة ١١٢٢ للميلاد وهو مشهور بنوع خاص بكثرة استعماله الكي والكاويات . وقد اعرب عن استقلال كثير بامتناعهِ عن الالتجاء الى الجراحة في معالجة الغواتر وفي قلة التجائهِ الى شق القصبة ولا سيما في تجنبهِ العمليات الجراحية في السرطان وفي تفريغهِ صديد الخراريج الكبيرة تدريجاً »

ثم قالت — وانشئت اسبتالية اوتل ديو بليون سنة ٥٦٠ وفي باريس بعد قرن . ومدرسة مونبليه انشئت ١٠٢٥ وكان التعليم على نسق عربي و يهودي . ومجلس تورز ١١٦٣ قرر عدم اشتغال الكهنة بالطب . ونقول ان كل المؤَلفات ان هي الاَّ اعادة طبع وترجمة الكتب العربية

ولقد اخذنا نبحث عن اسم ابي القاسم بين المؤَلفين ونتساءَل عن كتبهِ فلم نجدها فيما تتداولهُ الايدي ثم بحثنا في دار الكتب السلطانية والمكتبات الخصوصية فلم نعثر على شيء منها

وفيما كنا نقلب في اثار جدنا المرحوم الدكتور عبد الرحمن الهراوي بك وقع في يدنا كتاب بعيد العهد بعيد الطبع موسوم بعنوان (التصريف) لمؤَلفهِ ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وهو الجزء الحادي عشر من ثلاثين جزءًا من الكتاب كلهِ وهذا الجزء وحدهُ هو ما سنجعلهُ موضوع بحث اليوم

ولقد بحثنا كذلك كثيراً عن تاريخ هذا الكتاب وتاريخ مؤَلفهِ بالتفصيل فلم نعثر على شيء منهما تقريباً في الكتب العربية وعثرنا على نتف قليلة في الكتب الانكليزية والفرنساوية خلا كتاب مسيو لكلارك (تاريخ الطب عند العرب) فانهُ والحق يقال وفى البحث حقهُ مستنداً فيما يقول على مرأى العين او اوثق المصادر

(١) محاضرة في تاريخ الجراحة عند العرب وعمل الزهراوي الفيت في الجامعة المصرية في ٢ مارس سنة ١٩١٧

ولما بحثنا عن الجراحين وجدنا ان ابا القاسم يعد في طليعتهم بل هو الوحيد في فنهِ وكتابهُ هو الفريد في بابهِ وسنرى انهُ حفظ علم الجراحة في القرون الوسطى وانهُ كان اساساً متيناً بنيت عليهِ صروح الجراحة الحديثة التي كلما اخذت في التقدم وهي لا شك آخذة رجع معظم الفضل فيها اليهِ · ويجمل بنا قبل الدخول في الموضوع ان نسوق هنا نبذة عن الزهراوي وكتابهِ

ولد ابو القاسم في الزهراء باسبانيا سنة ٩٣٦ ه او ١٠١٣ م · ولقد كان هو المثل الاعلى في الجراحة عند العرب في القرون الوسطى وكان هو والوزير عيسى بن اسحاق الطبيبين النابغين في العلوم والمعارف وكان بيتهما دار ندوة يحضرها ذوو المكانة من الاختصاصيين في الرياضيات والطبيعيات والفلك وغيرها وكان كلاهما الطبيب الخاص للامير عبد الرحمن وكان بيتهما مفتح الابواب للسائلين وطلاب العلم وطالبي التداوي بالليل والنهار · وكان ابو القاسم وحدهُ مشهوراً بطبهِ ونبوغهِ في الجراحة في الشرق والغرب · غير ان هذه الشهرة كانت من دواعي الحطة عند العرب لانهم كانوا يمقتون الجراحة والمشتغلين بها كما حدثنا هو بذلك في نفس الجزء الواقع بين ايدينا · قال « ان السبب الذي لا يوجد من اجلهِ صانع ماهر في العمل اليدوي انهُ ينبغي لصاحبهِ ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعهُ جالينوس الخ · ولذلك قال ابقراط ان الاطباء بالاسم كثير والحقيقيون قليل جدًّا »

اما مؤلَّف ابي القاسم فيقع كما قدمنا في ٢٠ جزءا ترجمت جميعها الى اللاتينية غير انهُ لا يعرف بالضبط تاريخ السنة ولا اسم المترجم الذي نقلهُ ولكن المسيو جيراردي جريمون ترجم في القرن العاشر الجزء الاخر المتعلق بالجراحة ولا يدلنا هذا على انهُ ترجم الكتاب باجزائهِ جميعاً · قال لكلارك وفي مكتبة باريس (١٤٣٩٠) رأينا الجزء الثالث وترجمة الجزء الاول والثاني تحت عنوان باللاتيني هو (ليبي تيوريكا تك نن بركتيكا) اي النظريات المجردة لا العمليات للزهراوي والجزء ٢٨ تحت عنوان (ليبرسرفيتورس) وقد طبعت هذه الاجزاء · وترجم الجزء الخاص بالعقاقير والاقرباذين (تيرابوتيك) · ولقد رأينا دائماً مؤلفي القرون الوسطى يحيلون القارئ على الزهراوية اوكتاب المركبات الاكبر (انتيدوتير) ومما لا خلاف فيهِ ان كتاب التصريف ظهر باكملهِ تحت اسم الزهراوية وقسم الى ٢٠ جزءا وموجود برقم ٧٠١٦ من القسم اللاتيني · فالجزء ١٦ من التصريف هو الخاص بالاطعمة المختلفة في الامراض المختلفة · وفي كتاب المفردات لابن البيطار مقتبسات جمة

مذكور بجانبها انها مستخرجة من كتاب الزهراوية . وابلغ هذه الاقتباسات كيفية صنع الخبز المركب من احسن انواع القمح والذي يخمر و يكون خفيفاً خالياً من الشوائب

وفي القرن الرابع عشر اخذ دي كلوديس الذي يعد عظيماً في الجراحة عن كتاب الزهراوي ما يعد اساساً لما كتبهُ هو . على انهُ استشهد في كثير من المواضع بكتاب المركبات وقد ذكر بالاسم الجزءين ٢١ و٢٣ وذلك يدل على ان مجموعة الكتاب كانت تامة في عهدهِ . وفي القرن ١٥ رأينا مقتبسات من الزهراوي عند طبيب طلياني (فرّاري) او (مثيودي جراديليس) وكان في اكثر مواضعهِ يستشهد بكتاب الزهراوي الخاص بالاطعمة او الاغذية . وفي القرن عينه نشر الطبيب الطلياني (سندس دي اردوزيريس ده بيزارو) كتاباً خاصًّا بالسموم . وفي كل صفحة منهُ اسم ابي القاسم و يدلنا ذلك على ان المؤلف كان يملك ترجمة التصريف باكملهِ وفي هذا المؤلف معلومات مأخوذة عن الزهراوي لا تقل عن نصفهِ . بل الذي يؤكد ان (سنتس) هذا كان يملك التصريف كاملاً ان كثيراً من اقوالهِ مأخوذة من الاجزاء ٢ و٣ و٤ و٥ و٧ و٩ و١٣ و١٥ و١٧ و١٨ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٨ و٣٠ . اما الجزء الثاني ففي العمليات (براتيك) و٣ و١٥ فللادوية المركبة وهذا هو السبب الذي اطلق على الكتاب اسم (جراند انتيدوتير) لان معظمهِ في مركبات الادوية

وفي سنة ١٦٠٩ طبعت مكتبة شنك (لا بيلاشنك) هذا الكتاب ونعلم انهُ ظهرت ترجمتان لكتاب التصريف في القرن السابع عشر ولكن لا نعلم ان كانتا تامتين او لا

على ان المؤلفين العرب وان ذكروا لنا كتاب التصريف لم يعطوا معلومات وافية عن اجزائهِ ولم يذكروا الأ الجزء الخاص بالجراحة ولكن يستدل من عدة تراجم لاتينية ان الجزء العاشر او الحادي عشر هو الخاص بالجراحة . وقدم لنا المسيو برر نسخة خطية صغيرة وفيها ان الجراحة في الجزء العاشر . اما نحن فنقول ان الجزء الذي لدينا هو الحادي عشر وهو الخاص بالجراحة ولا ندري ان كان هناك جزء آخر خاص بها ام لا وها هو امام من يريد الاطلاع عليهِ . قال لكلارك : وقد بحثنا كثيراً في مكتبة باريس في القسم العبري فلم نجد فيها اكثر من نصف الكتاب . اما ابن البيطار فقد اقتبس من الزهراوي اكثر من غيره على انهُ لم يعينهُ . و بين الاجزاء الموجودة كما يأتي فنمر ٩٥١ و١١٦٥ و١١٦٧ و١١٦٨ تحتوي على الجزئين المسميين النظريات والعمليات . و١١٦٣ تحتوي على الاجزاء من ١٨

الى ٣٠ . ونمرة ١١٦٤ تحتوي على الاجزاء من ١١ الى ١٦ . ونمرة ١١٦٢ هي كشف باسماء الاجزاء ومحتويات كل واحد . وعليهِ فمكتبة باريس فيها الاجزاء التالية بالعبري ١ و ٢ ومن ١٨ الى ٢٠ والمكتبة البلينية هي اسعدها حظاً لانها تحتوي على الكتاب كاملاً تحت نمرة ٤١٤ و٤١٥ . وهاك بيان محتويات الاجزاء

الجزء ٢٦ يحتوي على نظام الطعام في حالتي الصحة والمرض وعنهُ اخذ ابن البيطار ومثيو ده جراد يبوس . والجزء ٢٧ يحتوي على الادوية البسيطة والاغذية مرتبة على حروف المعجم وترجم (شن سوب) هذا الجزء بالعبرية في مرسيليا في القرن ١٣ . والجزء ٢٩ يحتوي على تحويل الموازين وعلاقتها بالمقاييس . وجميع الاجزاء المتقدمة هي خطية اما المطبوع فاليك بيانهُ :

جزء النظريات والعمليات وهو الاول والثاني اما الاول فيحتوي على النظريات او عموميات في الطب وفيهِ ١٦ فصلاً والجزء الثاني يحتوي على العمليات في الامراض من الرأس الى القدم الاَّ الفصول الاخيرة فتحتوي على فصل (٢٦) تدبير الاطفال وفصل (٢٧) تدبير المسنين وفصل (٢٨) في الروماتيزم وفصل (٢٩) في الدمامل والخراريج وفصل (٣٠) في السموم وفصل (٣١) في الامراض الظاهرة (الجلدية) وفصل (٣٢) في الحميات

وجزء ٢٨ تحضير الادوية البسيطة ترجمهُ الى اللاتينية ابراهام اليهودي وسيمن ده جين . وقد رد احد المسلمين او اليهود النسخة العبرية الى اللغة العامية واحد الادباء حولهُ الى اللاتينية . واسم هذا الجزء باللاتينية (سرفيتوريس) وهذا العنوان ليس لهذا الجزء في الحقيقة بل هو للاجزاء السابقة الخاصة بالادوية المركبة وهو ما سماهُ اهل القرون الوسطى (جراند انتيدوتير) . وكتاب سرفيتوريس طبع مراراً وهذا هو عنوان الطبعة المحفوظة بباريس بنمرة ١٤٧١

ولقد قسم المؤَلف الادوية البسيطة الى ثلاثة انواع معدنية ونباتية وحيوانية . وفي هذا الكتاب معلومات رائعة عن تاريخ المادة الطبية وتاريخ الكيمياء والفنون الصناعية . ولابن العوام كتاب في الزراعة قال فيهِ انهُ ليس احسن من طريقة الزهراوي في استخراج ماء الورد ونقل عنهُ ابن البيطار في كتابهِ المفردات كيفية استخراج الزيت

ووصف الزهراوي بدقة كيف يصنع قالب من الآبنوس او البقس او العاج ينقش فيهِ اسم الاقراص ونسخة باريس الخطية (١٠٢٣٦) اظهرت لنا شكل هذه القوالب غير اننا لم نجدها في النسخ المطبوعة . كذلك وجدنا في الخطية المذكورة رسم المرشحات ولم نجدها

في المطبوع. واذن يكون الزهراوي اول من احدث رسم الاشكال في مؤلفهِ الجراحي وقد اخذ يزهر من بعدهِ الى اليوم. ونضيف الى ما تقدم ان ابا القاسم لم يقتصر على تحضير الادوية بل انهُ اشتغل فوق ذلك في كيفية حفظها وعيّن معدن الاوعية التي توافق كل واحد منها. وصفوة القول ان كتاب سرفيتوريس هو اهم عمل في مجموعة ابي القاسم ويستحق ان يكون هو المرجع على الدوام. قال لكلارك ونظن ان هناك نسخة عربية في متحف انجلترا فقد وجدنا بهِ تحت نمرة ٩٨ عنوان كتاب منسوب الى الزهراوي وهو خاص بتحضير العقاقير وابتدأ فيهِ على طريقة سرفيتوريس حيث قال: اعلم ان الادوية ثلاثة انواع معدنية او نباتية او حيوانية. ولقد قرأنا هذا النص بعينهِ في نسخة عربية عبرية في باريس تحت نمرة ١٢١٣ ورأيناها مكتوبة بالعربية وبالحروف العبرية غير ان فيها ذكر الادوية البسيطة وما هي هنا الاَّ للوصول بها الى المركبة فالعقاقير واسم المؤلف غير مذكور ولكن الكتاب مستمد من التصريف

اما جزء ٢٠ الخاص بالجراحة فلا جرم انهُ الذي نبه بهِ ذكر ابي القاسم وهو الذي لهُ المنزلة العظمى في تاريخ الطب. قلنا انهُ هو الجزء الخاص بالجراحة وهو الاخير من التصريف غير ان في ذلك خلافاً فهناك نسختان عربيتان في مكتبة بدلاين احداهما تقول انهُ العاشر والاخرى انهُ الحادي عشر والنسخة الخطية لمسيو برون وهي كراسة مختصرة تقول انهُ العاشر وكتاب نور العيون الموجود بنمرة ١٠٤٢ بالملحق العربي بمكتبة باريس تارة تقول انهُ الثلاثون وتارة انهُ العاشر. والنسخة العربية بباريس تعينهُ انهُ الثلاثون والترجمة اللاتينية الخطية والمطبوعة تقول كذلك. وفي وسط القرن الثاني عشر ترجم جرار ده كريمون بطليطلة جراحة ابي القاسم الى اللاتينية وبعد قرن ترجمهُ الى العبرية شم توب وترجم كذلك في عدة جهات وتوجد منهُ نسخة في مكتبة مونبلييه. والفضل لهذه التراجم في انتشار الجراحة في القرون الوسطى. وبعض كتَّاب ذلك العهد اعترفوا بما اخذوهُ عن هذا الجراح العربي العظيم والبعض اقتبسوا منهُ وادمجوهُ مشتركاً في اعمالهم

وننقل هنا نبذة مفيدة عن كتاب تاريخ الآداب بفرنسا قال: ان في تاريخ الجراحة بفرنسا في النصف الثاني للقرن الثالث عشر امراً يسترعي الانظار وذلك ان كثيراً من الاطباء الطليان غادروا وطنهم على اثر الفتن التي اثارها الجلفيون والجبليون وجاؤُا الى فرنسا يجتمعون بارضها وجلبوا معهم مؤلفات ابي القاسم وتعاليمهُ. وابو القاسم هذا هو الطبيب الاسباني المشهور الذي يعد الزعيم الاكبر للعلوم الطبية

ابتدأ ذلك عند وصول حكيم طلياني اسمهُ (روجرده برم) من مدرسة سلرن ثم عقبهُ كثيرون منهم لانفرانك الذي وصل باريس سنة ١٢٩٠ وقد قال : لقد كان جراحو فرنسا كلهم على وجه التقريب جهلاء لا تكاد تفهم لغتهم اغبياء الى حد انك لا تجد جراحاً يطبق اصول الصناعة . ثم قال ولا يعتورنا الدهش اذا وجدنا المدارس الفرنساوية تضع ابا القاسم في صف واحد مع جالينوس وابقراط

و ينقسم الجزء الذي نحن بصددهِ الى اقسام ثلاثة (١) الكي (٢) العمليات واسلحتها (٣) الكسر والخلع . والذي جعل لهذا الكتاب اهمية عظيمة وأذاع صيتهُ هو بلا شك انهُ احدث رسوم الآلات التي لم تكن مستعملة الى وقتهِ بجانب الكلام عليها وهي لا تقل عن ١٥٠ شكلاً الى ٢٠٠ شكل . قال لكلارك الذي ننقل عنهُ هذا القول : نقول هنا ان اساس جراحة أبي القاسم هو الجزء السادس من كتاب بول دوجين و يأخذك العجب من ان هذا الاسم لم يكن مذكوراً في الزهراوية ولا هذا الاصل معيناً فيهِ ولكن يبطل عجبك اذا علمت ان تلك كانت عادة العرب في طريقة تأليفهم . فانهم كانوا يدمجون ما يأخذونهُ عن الغير من دون تعيين في عملهم الخاص الاَّ اذا كان المأخوذ عنهُ رجلاً ذا شهرة عظيمة مثل ابقراط او جالينوس وهم في عملهم الادبي مثلهم في العلمي ولقد جرى على هذه الطريقة كل من روجر ده برم وجليوم ده ساليست عند ما اخذوا عن ابي القاسم الزهراوي

وقد كان الزهراوي يذكر بجوار كل موضوع ما دلَّت عليهِ تجاربهُ العلمية العملية ودليلنا على ذلك الفصل المعقود خاصة لاستخراج السهام . واوصى في رأس كتابهِ بضرورة معرفة التشريح لانهُ بمثابة قاعدة للجراحة . وان لا يندفع الطبيب في العمليات الجراحية الصعبة دفعة واحدة وقال ان جهل التشريح جرَّ الى نتائج وخيمة . ومها يقل في هذا الكتاب فان القول فيهِ ناقص فلقد قر رأي جميع المؤرخين على الاعتراف باهميتهِ وعلى انهُ كان عمدة نجاح هذا الفن

وهاك ما قال المؤرخون عنهُ : فقد ذكرهُ جوي ده شولياك اكثر من مائتي مرة . وقال فبريس دكابندانتي انهُ هو المثل الاعلى للعلم . وهولز انهُ اول من ربط الشرايين قبل امبرواز باريه . و بوستال انهُ اول من استعمل السنارة في استخراج البوليبوس . وفرند انهُ هو محيي الجراحة ثم ذكر لهُ ترجمة مطولة لا تخرج عما قدمناهُ ولكنهُ زاد ان ابا القاسم نبه قراءهُ في كل موضع الى اخطار العمليات منها الاحتياطات الواجب اتخاذها وقد ذكر

وصف ذلك في كل عملية وفي كل حالة . وسبرنجل قال انهُ هو اول من وصف اجراء عملية الحصاة عند النساء وكانت تعملها رئيسة الممرضات تحت اشراف احد الاطباء

اما وقد انتهينا من تلك الكلمة المجملة فسنعرض على الانظار شيئاً من الجزء الواقع بين ايدينا ونبين فضل ابي القاسم على الجراحة ذلك الفضل التي يشاطرهُ فيهِ الناطقون بالضاد قديماً وحديثاً فنقول :

ان الجزء الذي بين ايدينا هو الحادي عشر من كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لصاحبهِ (ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي) وهذا الجزء مطبوع سنة ١٧٦٧ م بواسطة كازيري ميخائيل قصيري

والذي يقرأ هذا الجزء في العمليات الجراحية يرى كيف تدرج العلم الصحيح من مهدهِ منذ زمن المؤلف الى الوقت الحاضر وكيف كان التدرج في البحث والاستقصاء . فقد كان في زمنهم قاصراً على الحواس الخمس من حس ولمس ولم تكن المباحث العلمية معززة بتجارب الاكتشاف والاختراع . نعم ان المؤلفين في عصرهم كانوا يعلمون ان الاوعية تنقسم الى قسمين الشريان والوريد ولكن التمييز بينهما كان من الصعوبة بمكان . فان جل ما كان يميز الشريان عندهم انهُ العرق النابض والوريد انهُ العرق الساكن

والعمليات هنا تنقسم الى ثلاثة اقسام وهي الكي واستعمال المشرط من شق وفصد واستعمال التجبير وما يختص بالعظام . وقبل ان نتكلم عن هذه الاقسام نذكر كلمة عامة عن الآلات الجراحية على وجه العموم . فقد كانت تصنع هذه الآلات اما من الحديد او الذهب او النحاس ويختلف استعمال كل نوع باختلاف ظروفهِ ففي آلات الكي مثلاً كان ابو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب بعلة ان الكي بالحديد أحسن وافضل من الذهب لانك اذا احميت مكواة الذهب في النار لم تعلم درجة حماوتها بسبب لونها ثم انها تبرد سريعاً واذا اشتدت الحرارة صهرت وذابت فلذلك صار الكي بالحديد عندنا اسرع واقرب للصواب

نريد الآن ان نطبق احدث الطرق العلمية على كلام ابي القاسم الذي كان يعتمد على حواسهِ الخمس في البحث واستقصاء افضلية الحديد على الذهب فنجد انهُ على حق في قولهِ ان لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التي تزيدها هل هي الحمراء أو البيضاء مما لا يتيسر معرفتهُ في الذهب في غير الظلام والمعروف في الطب ايضاً ان الكي يكون على درجة

الحرارة الحمراء فانها تكوي المكان كيًّا موضعياً فتزيل الاثر الذي تريد ازالتهُ وأما البيضاء فان المعادن تكون فيها كالمشرط تقطع ولا تكوي

أما النقطة الثانية وهي انها تبرد سريعاً فمن المعلوم ان درجة حرارة الذهب النوعية هي ٠٫٠٣٢٤ والحديد ٠٫١١٣٨ ولذلك نجد ان هؤلاء الناس الذين كانوا يعتمدون على حاسة النظر فقط لم يخطىء نظرهم في ٠٫٠٨١٤ من درجة الحرارة

أما النقطة الثالثة وهي الصهر فقد كفلت الطبيعة ايضاً صدقها اذ ان درجة صهر الحديد ١١٠٠ والذهب ١٠٦٤ وانا لنعجب من قوة النظر الحادة التي مكنت صاحبها من الشعور بفرق ٣٦ درجة حرارة بعد الالف

أشكال الآلات — قلنا ان العمليات تنقسم الى ثلاثة أقسام الكي والبط (البتر) والشق غير عمليات أُخرى متنوعة · ومن هذا التقسيم يظهر ان أشكال الآلات يختلف اختلافاً بيّناً جدًّا

فآلات الكي تختلف — (١) باختلاف المكان المراد كيهُ · (٢) باختلاف العنصر المراد الكي بهِ · (٣) باختلاف اتساع الكي

فاذا كانت الاماكن ظاهرة اختلفت اشكال الآلات باختلاف شكل الجزء من الجسم المراد كيهُ

وهذه هي أشكال الآلات :

(١) المكواة الزيتونية لكي الرأس والمواضع المسطحة · (٢) المكواة القرنية في كي الرأس اذا أُريد التأثير في العظام · (٣) المكواة المسمارية في كي الرأس لوجع الصداع · (٤) النقطة في المواضع الضيقة (٥) المنشارية في كي الحاجبين والانف لنتانه· (٦) الهلالية في كي جفن العين عند استرخائهِ · (٧) القمع في كي النواصير · (٨) السكينية للشفة · (٩) مكواة الاسنان للاسنان · (١٠) ذات ثلاث الشعب للرئتين · (١١) ذات السفافيد لخلع العضد · (١٢) مكواة المعدة · (١٣) الميل لتدخل الى الكبد · (١٤) المسمارية الظهر · (١٥) مكواة للفتق · (١٦) الآلات لكي سائر الاعضاء

المشارط — (١) المبضع لشق الخراريج · (٢) مبضع السالخ لتشريح الجلد مما تحتهُ · (٣) مبضع آخر للسلخ غير حاد

الجفت — (١) الجفت اللطيف للاشياء التي في الاذن · (٢) جفت آخر · (٣) محقن فضة لحقن الاذن · (٤) مبضع لفتح الاذن · (٥) الصنانير · (٦) لعملية شعرة الفلاحين · (٧) المبضع الاملس للعيون · (٨) الاملس ضعف الحاد للعيون · (٩) آلة الجرد (الكحت) · (١٠) البريد · (١١) المقدح ويستعمل لماء العين · (١٢) الكلاليب · (١٣) اللوزتين من فضة · (١٤) قاطع اللوزة (اسنانها حادة كالسكين) · (١٥) جفت الحلق · (١٦) مسبار (انواع) · (١٧) صنانير (انواع) · (١٨) مشارط لسلخ الاورام

الكي — اما الكي فقد كانوا يستعملونهُ في اكثر الامراض في الاورام على كافة انواعها وفي كل عضو من اعضاء الانسان وللكي ادوات كثيرة منها النار ويعتبرها افضل لانها جوهر مفرد ولا يتعدَّى فعلهُ العضو المكوي ولا يضر عضواً آخر متصلاً به على عكس الدواء المحرق فانهُ يتعدى فعلهُ الى ما بعد الاعضاء وربما احدث في العضو مرضاً تتعسر مداواتهُ وربما قتل · وهذا يطابق تماماً التفسير الحديث الذي يقول ان هذه الادوية المحرقة قد تمتص السموم الى جميع اجزاء الجسم وقد تكون بداية تعفن · وقد كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً ان الكي هو آخر ما يلجأ اليهِ المطببون اذا اعيتهم الحيل في العلاج وعلى هذا قالوا ان الكي آخر الطب وشاعت هذه الجملة على الالسنة وردها المؤلف في عدة مواضع ومنها المثل العربي المشهور وهو آخر الدواء الكي · وفي الحديث الشريف عن البخاري انهُ قال: الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي · ولا اريد الآن ان افصّل مواضع الكي وطرق عملهِ ولكن سنذكر اهم هذه الاشياء

ان المعروف في احدث الكتب الطبية ان الحرق لهُ ست درجات ولكن عندهم كانت لهُ ثلاث درجات

اولا: ان تحرق الجلد فقط

ثانياً: ان تحرق الجلد وشيئاً من اللحم (الشحم والانسجة التي تحتهُ)

ثالثاً: ان تحرق كل شيء حتى العظم

واما الكي بالدواء المحرق فهو ان تأخذ فص ثوم وتدقهُ وتضعهُ في جرح تشقهُ تحت الجلد وتتركهُ خمس عشرة ساعة او بضماد الخردل · ويستعمل الكي في وجع الاذن وفي اللقوة او شلل عصب الوجه وفي السكتة المزمنة والفلج والصرع والملاخوليا والماء النازل

في العين والدمع المزمن واسترخاء جفن العين وفي الشعرة . وهذه الطريقة هي ان تكوى كية كورقة الآس وفي كي الناصور الذي في مآق العين وهذه طريقة حديثة وفي امراض الرئة والسعال وضيق التنفس وفي امراض المعدة والامعاء

وقد كانوا يستعملون فيهِ كل ضروب الصبر والجلد مما لا يتصور ان يتحملهُ انسان فان خرّاج الكبد كانت طريقة العلاج المستعملة فيهِ ان تحرق بمكواة جميع الطبقات المكونة لجدار البطن حتى تصل الى الكبد ثم تحرق نفس الكبد حتى يخرج الصديد وقد يضطر الجراح لتغيير عدة مكاوٍ اذا بردت وبالطبع مثل هذه العملية تكون خالية من اي تعفن وتستعمل نفس هذه الطريقة في استخراج ماء الاستسقاء . ومن العجيب ان لا يلهموا كي البواسير نفسها حتى تقطع بل يكوون في الظهر وفوق المعدة وكي عرق النساء سواء بالنار او بطريقة جالينوس بالشيطرح الاخضر وكذلك كان ديسقوريدوس يكوى ببعر الماعز ويستعمل الكي ايضاً في الحدبة . واكبر انواع الكي شناعة هو كي الفتوق اذ يستلقى المريض على ظهرهِ ويجلس على صدرهِ وبطنهِ واطرافهِ مساعدو الجراح ثم هو يمسك المكواة المحماة على شكل نصف دائرة ويرفع الثرب الى البطن ويمسك الامعاء ان تنزل ويحرق مكان الفتق حتى العظم وربما يضطر الجراح الى تغيير عدة مكاوٍ لانها تبرد ويجب ان يبلغ العظم والأ كانت العملية غير ناجحة . ومكواة الصبيان اصغر والعلاج بعد العملية ان تدهن بالسمن وعقاقير اخرى حتى يبرأ الجرح ويبقى المريض مستلقيا على ظهرهِ من ٤٠ الى ٨٠ يوماً ويستعمل الكي ايضاً في السرطان اذا كان مبتدئًا ويراد ايقافهُ ويخشى المؤلف كثيراً من تقرحهِ واحسن مواضع الكي كانوا يستعملونهُ في الاكلة اي الغنغرينة وهو فساد يسعى في عضو ويخشى على الباقي بل على الحياة منهُ وفي الزوائد التي تحصل في القدم . واجمل استعمال الكي هو في ايقاف النزيف الحادث من قطع شريان وطريقتهُ ان تضع اصبعك السبابة على الشريان المقطوع وتحصر الدم تحت اصبعك ثم تكوى المكان بعد رفع اصبعك عنهُ ويمكن تغيير المكواة اذا بردت من سيل النزيف

طرق ايقاف النزيف قديماً

(١) بالكي . (٢) بقطع نفس الشريان فتتقلص اطرافهُ . (٣) بان تربطهُ بالخيوط ربطًا وثيقًا . (٤) بوضع الرفايد . (٥) بالضغط بالاصبع . (٦) بالماء البارد وكل هذه مستعملة الى الآن الأ الثاني منها

اماً الطرق المستعملة الآن فهي (كما ذكر في كتاب بيز)

(١) الضغط بالاصبع. (٢) ربط العضو من جهة القلب. (٣) ربط الشريان المقطوع. (٤) جفت الشريان وهو أهم شيء في الجراحة . (٥) لي الشريان . (٦) والشد بالرفايد

فيما انفرد بهِ ابو القاسم من العمليات الجراحية :

جراحة الشرايين — كانوا يستعملون هذه العملية في قطع الشريان الذي في الاصداغ لمداواة الصداع وسننقل وصف ابي القاسم لها لانهُ اول من ربط الشريان كما تقدم : — اسلخ الجلد برفق حتى تصل الى الشريان ثم تلقي فيهِ صنارة وتجذبهُ الى فوق حتى تخلصهُ من الصفاقات التي تحتهُ من كل جانب فان كان الشريان رقيقاً فتلو بهِ بطرف الصنارة ثم تقطع منهُ جزءاً بقدر ما يتباعد طرفاهُ ولا يحدث نزيفاً فانهُ اذا بتر وانقطع لم ينزف الدم . . . . ثم استفرغ من الدم من ٣ الى ٦ اواق وان كان الشريان عظيماً فينبغي ان تربطهُ في مكانين بخيط مثنى قوي وليكن الخيط من ابريسم او من اوتار العود لئلا يسرع اليها العفن قبل التئام الجرح فيحدث النزف ثم اقطع ما بين الرباطين وان شئت فاكوه ثم احش الموضع بالقطن البالي وضع الرفايد المحكمة

واول من استعمل هذه الطريقة هو ابو القاسم وهي لا تزال مستعملة الى الساعة قال روز وكارلس في كتابهما بعد وصف مطول في كيفية تنظيف الشريان : ضع ابرة انيورزم أي صنارة ذات طرف مثقوب وحركها الى اعلى واسفل حتى تخلص الشريان مما حولهُ وبعد انفاذ الخيط فيها انزعها من مكانها واربط الشريان . والقسم الاخير من كلام ابي القاسم ينطبق على مبادىء علمية عصرية فهو يوافق ما في الكتب الحديثة من ان مضاعفات ربط الشريان اسراع التعفن وحدوث النزف بعدهُ وهو المعروف بالنزيف الثنائي

قال لكلارك ان ابا القاسم هو اول من استعمل ربط الشريان لايقاف النزيف ونحن نقول انهُ اول من ادخل الابريسم او الحرير في ربطهِ واول من ادخل أوتار العود فيهما ايضاً وهي مصنوعة من جدار امعاء الغنم وهو ما يتخذ منهُ الخيوط الجراحية في الوقت الحاضر وكلا هذين النوعين من الخيوط يستعمل الى الآن وفوائدها ليس هنا موضع شرحها ولكن أبا القاسم يلمح اليها انها مما لا يسرع اليهِ العفن

عملية استخراج الحصى — هذه العملية هي التي ابتدعها أبو القاسم ننقلها من الكتاب الموجود بايدينا ص ٢٨٢ وطريقتهُ فيها ان يجلس المريض ويضغط الحصوة مساعد الجراح

على مثانة المريض وهو بين يدي الجراح نفسهُ ليحصر الحصوة عند عنق المثانة و يضع الجراح اصبعهُ في مقعدة المريض و يضغط الحصوة أيضاً ثم يشق فيما بين المقعدة والخصيتين لا في الوسط ولكن الى جانب الالية الايسر و يكون الشق على نفس الحصاة و يضغط على الحصوة بالاصبع الى الخارج و يكون الشق موربا أو عريضاً من الخارج وضيقاً من جهة المثانة وتخرج الحصوة بالضغط . ثم قسم الحصى على حسب شكلها لا تركيبها فوصف ذوات الزوايا وذوات الحروف والملساء ثم قال فاذا لم تطاوعك الحصى فاقبض عليها بجفت محكم يكون طرفهُ كالمبرد ليضبط على الحصى واذا كانت الحصاة كبيرة جداً فتحايل على كسرها بالكلاليب حتى تخرجها قطعاً

وتعرف عملية ابي القاسم اليوم باسم خرق كوكس (Cox Puncture) وتستعمل في مواضع اخرى غير الحصوة بقليل من التصرف

نقول ان عملية الجراح العربي لازالت تعمل إلى اليوم بقليل من التصرف كأن يكون الشق على مجس يوضع في المثانة سواء كان الشق في الوسط أو الى أحد الجانبين وقد زاحمت هذه عملية أخرى في إخراج الحصوة من جهة البطن في النصف الاخير من القرن الماضي ولكن عملية أبي القاسم ما زالت حافظة لكيانها ولهُ فخر ابتدائها خصوصاً في تفتيت الحصوة قبل اخراجها . ولهُ فخر احداث كلاليب تفتيت الحصوة التي ترقت الى حد عظيم

كذلك عملية الشق في اخراج ما يسقط في الاذن مما لا يزال استعمالهُ الى اليوم و بالمثل طريقة غسيل الاذن بالمحقن . وهذا المحقن كان يصنع من النحاس أو الفضة

كذلك استعمال الماء المالح في غسيل الجروح التي يخشى من تقيّحها وهو ما يفضل استعمالهُ الى اليوم لانهُ يدرّ فيضان المصل في الجرح فيغسلهُ و يمنع تعفنهُ

جراحة العيون (علاج الشعرة) : (١) الكي بالنار . (٢) الكي بالدواء المحرق . (٣) القطع والخياطة . (٤) بقصب الغاب وتلك مستعملة الى اليوم

أما القطع والخياطة فذلك ان تقطع من فوق ظاهر الجسم شكل ورقة الآس ومن باطنهِ شقاً واحداً ثم تخيط التي في الظاهر والفرق بين العمليتين القديمة والحديثة ينحصر في عمق الشق وفي ان يقطع شبه ورقة الآس في الغضروف الموجود بالجفن دون الجلد

الظفرة وعلاجها — أن تدخل ابرة تحتها وترفعها ثم تدخل تحتها شعرة خيل ثم اسلخ بالشعر جانب الظفرة الذي يلي الحدقة كأنك تنشرها بالشعرة الى آخرها ثم اقطع الباقي أي الذي ليس على الحدقة بمبضع و يمكن سلخها بالمبضع الاملس وهذا الاخير هو المستعمل

الى اليوم · وهذه العملية لا يزال استعمالها الى اليوم وغاية ما في الامر أن لا نقطع الظفرة كلها بل اقطع الجزء الموجود على القرنية والوه تحت الملتحمة· والنقطة التي تستحق العناية هي طريقة القطع اولاً والمبضع ثانياً وهو لا يزال مستعملاً الى الساعة

علاج السبل في العين — هي عروق دموية تمر فوق القرنية تلقط بالصنارة ثم تقطع كل واحد بالمقص وتعمل هذه العملية الآن بالمشرط

الجرد — طريقتهُ واستعمالهُ وآلتهُ كالحديث تماماً

الكمية : (المدة الموجودة خلف القرنية) — تشق القرنية بمبضع رفيق في الاكليل وهذه العملية بنصها وفصها في الكتب الحديثة

في علاج الماء النازل في العين — خذ مقدحاً وادخلهُ في الاكليل حتى الماء ثم اكبسهُ الى أسفل فان المريض يرى من ساعتهِ وهذه لا تستعمل الاَّ في النادر لان لها مضاعفات جمة ولكن المقدح لا يزال من الآلات الحديثة

اللحم الزايد في اللثة ويسمونهُ ايضاً ابيوليس — يقطع ويكحت مكانهُ او يكوى

جراحة الاسنان — الخلع بالكلاليب ونشر الاسنان الزائدة وتشبيك الاسنان المتحركة بخيوط من ذهب

في قطع اللوزتين — يكبس اللسان بآلتهِ ثم تغرز صنارة في اللوزة وتشد الى خارج الفم ثم تقطع بآلة كالمقراض · وهذه عملية حديثة ايضاً ولكن جرى كثير من التعديل في شكل الآلات

ومما يستحق الذكر ان المؤلف كان يروي تجاربهُ الشخصية وما كان يصيبهُ من الصعوبات وكيف ذللها · وهذه طريقة حسنة لا تزال مستعملة حتى اليوم · وكما يستأصل أورام اللوزتين كذلك تستأصل أورام اللهاة على الطريقة عينها

الاورام — غيَّر المكروسكوب اليوم وجه الطب من القديم الى الحديث فتقسيم الاورام اليوم مكرسكوبي محض أما في زمن المؤلف فكانت تختلف باختلاف محتوياتها من سائل او يابس والجهة من الجسم التي فيها المرض فان الورم الذي يحدث في الرأس قسم بذاتهِ غير الذي يحدث في المعدة والورم الذي يحدث في جسم لحمي غير الذي يحدث في مفصل· ومن الاورام ما يبط او يشق ومنها ما يقطع عليهِ قطع كورقة الآس أو شكل هلالي او ذي ثلاثة شقوق او ما هو مستدير وينبغي اذا كان الورم عظيماً أن يفرغ ما فيهِ من

الماء او الصديد على عدة مرات لاسيما ان كان المريض ضعيفاً او مسنا و يحش مكانهُ بالقطن البالي فان عرض نزيف يغسل بالماء البارد او الخل و بعض الاحيان بالخمر و ينهى عن استعمالها لانها محرمة

قطع القصبة الهوائية — تشق تحت ثلاث او اربع دوائر من القصبة بالعرض بين غضروفين في الصفاق و يخيط الضروف في الجلد

علاج نتو الشرايين او الانيوريزم — كانوا يستأصلونهُ بين رباطين وكذلك كانوا يستأصلون سرطان الثدي بشق هلالي و يعالجون فتاق السرة بادخال الامعاء الى البطن بعد فتح الثرب ثم عقدهُ بانشوطة وربط اي شريان يعيق العمل ثم يشد الورم في اربعة مواضع و يترك حتى يتعفن ويسقط من نفسهِ وكانوا يستعملون طريقة البزل في الاستسقاء بادخال أنبوبة حرفها مبري كبرية القلم بعد شق جدار البطن وهذه لا تزال مستعملة الى الآن

كيفية شق الادرة المائية او القيلة — طريقة الشق واخراج الخصية كاحسن الطرق المعروفة الآن وانما كان أبو القاسم يفضل قطع الصفاق باكملهِ وهذا لكيلا لا يعود الماء وذلك ما يوصي بهِ اكثر الجراحين أما عملية الفتاق الجراحية فهي ان تشق عليها وتدخل الامعاء الى البطن ثم تستأصل كل ما هو امامك من خصية واوردة وما اشبه ذلك بعد ربطها من جهة البطن ثم يشد الجرح بالرفايد بعد الربط الوثيق ولكن هذه العملية قلما كانت تعمل والمفضل هو طريقة الكي التي شرحناها آنفاً

وصفوة القول ان العرب لهم الفضل الاكبر في الجراحة على العالم الحديث لانهم حفظوها الى اليوم ولولا ما حرق او القي في الانهار من الكتب الاسبانية العربية لوجدنا امثال هذا الكنز الذي نحتفل بهِ الآن وكان الفضل في ايجادهِ بايدينا هو لجدي المرحوم الشيخ محمد الهراوي الذي كان محرراً لاول كتب عربية طبية لمدرسة قصر العيني الطبية في عهد المغفور لهُ محمد علي باشا وحفظهُ من بعدهِ شقيقهُ المرحوم الدكتور عبد الرحمن بك الهراوي وكيل قصر العيني سابقاً حتى وصلت الينا اثراً صالحاً لاظهار فضل السلف الصالح

الدكتور
حسين الهراوي

اجسام غريبة في المعدة

ما عرف عن حيوان اساء الى معدتهِ مثل الانسان والشواهد على ذلك كثيرة لا تكاد تحصى. وما من طبيب الاَّ اتفق لهُ ان شاهد مرضى عانوا ماعانوا من العذاب والألم بسبب اكلة طاب لهم مذاقها ولم تكن كذلك لمعدتهم · ونذكر اننا عدنا جزاراً مريضاً في بلدة انفه بلبنان فوجدناهُ يشكو المًا حادًّا بمعدتهِ كان فوق مرتبة الاحتمال وبعد الفحص والاستقصاء قدرنا انهُ مصاب بسوء الهضم والانسداد المعوي· وقص علينا السبب فقال انهُ اكل في ذلك اليوم لحمًا مشويًّا ونيئًا اكل منهُ مقداراً خجل ان يقدرهُ لنا ولما اسعفناهُ بقيء كان قد مضى على تناولهِ ذلك الطعام ست ساعات ولكن المقدار الذي تقيأهُ من اللحم ادهشنا حجمهُ فانهُ ملأَ صحناً كبيراً تفريغهُ ٣ كيلو غرامات وحجم القطعة الواحدة من اللحم يوازي حجم بيضة الدجاجة

وآخر ما شاهدناهُ بمصر من هذا القبيل مريض في الجيارة عدناهُ في اواسط يوليو الماضي فوجدنا فيهِ اعراضاً تحاكي في ظواهرها اعراض الانسداد المعوي الحاد ولكن الفحص ابان ان الرجل متخم وقد اساء الى معدتهِ بما اكلهُ ولما اسعف بالعلاج تقيأ طعاماً غير مهضوم فيهِ قطع كبيرة الحجم من قشر البطيخ وشيءٌ كثير من بذرتهِ · وعجبنا كيف انهُ ابتلع القشور مع عدم التناسب في حجمها وضيق البلعوم دونها فقد قدرنا قطر القطعة منها بضعفي قطر بلعومهِ وعدناهُ في اليوم التالي فلقيناهُ قد خرج الى عملهِ

واساءة الانسان الى معدتهِ لا تقتصر على الطعام فالمشروبات الكحولية الكاوية التي يكيلها و يتجرعها بلا حساب تفعل بالنسيج المعوي فعلها المعروف وليس هنا محل ايرادهِ· ولا تقتصر الاساءة على فئة دون اخرى فالكل يسيءُ الى معدتهِ بقدرما تسمح لهُ ظروفهُ واحوالهُ وقد درج على هذه العادة وهو طفل · فالطفل كما هو معلوم يضع كل شيء قبضت عليهِ يدهُ في فيهِ بلا فرق ولا استثناء ولذلك نشاهد حوادث محزنة جدًّا في هذه الفئة الصغيرة تكون اسبابها الاهمال من جانب الام او المربية او من الاثنتين معاً· ولو انحصرت اساءة الانسان الى معدتهِ بما يتناولهُ من الطعام للتغذية لهان شرها ولكن من اساءتهُ اليها تتعدى الى ما يتبلعهُ من مواد صلبة لا يرجو منها فائدة الغذاء ولا الارواء فهو يتدرج الى ابتلاعها من اللعب والتسلية بها حتى يألف ارسالها الى جوفهِ بسهولة ومن غير تروٍّ · وقد دلت الشواهد

على وجود اجسام غريبة في المعدة مثل دبابيس وموسى وسكين وملعقة وشوكة وابرة وكستبان ومفتاح وقطع زجاج وازرار ونحوها . ولا يكاد يخلو بسفرها من ذكرها ولا معرض فني من عرض الامثلة على تكرار حدوثها في الانسان دون سواهُ . وليست الغرابة ان نعثر على قطعة واحدة من الادوات المار ذكرها فقد دلَّ احصاء تسعين حادثة جمعناها من الكتب التي بين ايدينا ان ثمانياً وستين وجد في كل منها قطعة واحدة فقط واكثر من قطعة في الاثنتين والعشرين الباقية . ومنها مشاهدة وجد فيها ٤٢ مسماراً طول المسمار بوصة و $\frac{٥}{٨}$ واخرى ٩٣ من المسامير الصغيرة و١٣ زرّاً ودبوس واحد وابرة واحدة . وشاهد الاستاذ كين فتاة عمرها عشرون سنة وجد في معدتها كتلة شعر كثة بلغ وزنها ٥ ارطال و ٣ اواق وطولها ١٣ بوصة

وورد في المجلة الاميركية في عدد مارس الماضي مشاهدة غريبة للاستاذ جايس عن سيدة اسبانية عمرها ٣٥ سنة مضى عليها اربع سنوات وهي تشكو المًا في القسم السري . وكثيراً ما طلبت الاستشفاء عن يد اطباء معروفين بالامراض الباطنية بلا جدوى بل كان يزداد الالم شدة شيئًا فشيئًا وتدرج من اللذع الخفيف الى درجة لم تعد تحتملها . وقبل انتقالها الى الاسبتالية بمدة شهرين بدت عليها اعراض حمى عفنة وتسمم وانحطاط في قواها وخوف زائد من الطعام الجامد لان كل انواع الطعام الجامدة كانت ثقيلة على معدتها تسبب لها المًا اشد مما بها . فكان طعامها اللبن وهذا كان يتعبها ايضًا اذا اخذت منهُ دفعة كبيرة وكانت اغلب الاوقات تستلقي على ظهرها وتثني رجلها الى بطنها من شدة الأَلم ولما دخلت الاسبتالية كانت الحرارة تتراوح بين ٩٩ الى ١٠٢ بميزان فارنهيت والنبض بين ١٣٠ و١٣٥ والتنفس بين ٢٠ و٢٥ في الدقيقة وفي حالة ضعف وهذيان عظيمين وكان البطن منتفخًا انتفاخًا بسيطاً واثبت الجس وجود كتلة قاسية في القسم السري بانحراف الى الشمال والاطراف السفلى وارمة . فعملت لها عملية اسفرت عن وجود ٩٢ دبوساً من دبابيس الشعر في المعدة كما ترى في الشكل . وشوهد في بعض الدبابيس تاكل بفعل عصير المعدة الهاضم . ولعل بما تقدم عبرة وفائدة

الدكتور شخاشيري

طرائف من ادب العرب

(٨)

العقد الفريد لابن عبد ربّهِ

اعرف اديباً فيهِ عيبان ظَرْف قلم قادهُ غير مرة الى السجن. هذا اول وحرفة الادب[1] وهي العيب الثاني. قال لي هذا الاديب وانا شديد العجب بأدبهِ الرائع « قرأت العقد الفريد في سجني ثلاثين مرة » وهذا يشبه قول الفارابي في كتاب النفس لارسطو « قرأت هذا الكتاب مئة مرة » او قولهُ في كتاب آخر لارسطو « قرأت هذا الكتاب اربعين مرة واري اني محتاج الى معاودة قراءتهِ » . على انك قد تقرأُ كتاباً ما ما شئت من المرات فلا ينتفع احدكما من صاحبهِ اذا لم تجمع الى القراءة صدراً واعياً وفؤاداً ذكيًّا

وهذا الاديب عينهُ عاد في الزمن الاخير وبعد فوات الفرصة يتحسّر على ما كان من إضاعة العمر — والعمر قصير — في قراءة العقد الفريد أَو غيرهِ من كتب الادب ويودّ لو يعيدهُ الله سيرتهُ الاولى اذاً لاكتفى بقراءة الاغاني للاصبهاني حسبان ان كل الصيد فيهِ

لكن هذا لا يقدح في كتاب اتفق الكتّاب على وضعهِ هو وكاتبهِ في المقام الاول . فقال ابن خلكان في ترجمة ابن عبد ربهِ « وصنف كتابهُ العقد وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيءٍ » . ويقال إن أَديباً اندلسيًّا حجّ وعرّج على مصر بعد عودتهِ من الحج فرأَى فيها المتنبي فقال لهُ المتنبي « أَنشدني لمليح الاندلس » أي ابن عبد ربهِ فانشدهُ فاهتزّ لهُ المتنبي واستعادهُ وقال « يا ابن عبد ربهِ لقد تأتيك العراق حبواً » . وإن لم تكفِ هاتان الشهادتان في بيان مقام ابن عبد ربهِ في الادب فلعلهُ يكفي ان جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب عني باختصار العقد الفريد كما ورد في الجزء الاول من اللسان قبل المقدمة

---

(١) هذا مأْخوذ من قول بعضهم في الخليفة الطيب القلب العاثر الجدّ عبد الله بن المعتز :

لله درك من ملك بمضيعة ناهيك في العلم والعلياء والحسبِ
ما فيهِ لوٌّ ولا ليت تنقصهُ وانما ادركتهُ حرفة الادبِ

اي الفقر . وقال ابن الساعاتي :

هجرت نظمي لهُ لا من مهانتهِ لكنها خيفة من حرفة الادبِ

وقال مستشرق انكليزي مشهور في ابن عبد ربهِ: كان ذا شهرة عظيمة في العلم والبلاغة. وليس في المكاتب ديوان لهُ ولكن في «يتيمة الدهر» مقطعات كثيرة من شعرهِ. على ان اشهر ما اشتهر بهِ كتابهُ العقد الفريد وهو كتاب ادب كثير الشبه بكتاب عيون الاخبار لابن قتيبة الذي اقتبس منهُ كثيراً»

***

ابن عبد ربهِ كاتب اندلسي من كتَّاب اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة. عاصر المتنبي ومات قبلهُ بنحو ثلاثين سنة. وكان من معاصريهِ ابن دريد اللغوي وابو الحسن الاشعري واضع علم الكلام والمسعودي المؤرّخ المشهور والاصبهاني صاحب الاغاني وغيرهم من العلماء الاعلام. وكتابهُ العقد الفريد مبوّب في خمسة وعشرين باباً جزّئت على ثلاثة اجزاء. وقد سمّى كل باب منها باسم جوهرة فانتظم من هذه الجواهر هذا العقد الفريد اما الجواهر فهي اللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والياقوتة والجوهرة والزمردة والدرة واليتيمة والعسجدة والمجنّبة والواسطة. وهذه الاخيرة هي الثالثة عشرة وسمّاها الواسطة لانها واسطة العقد اي في وسطهِ فما قبلها اثنتا عشرة جوهرة وما بعدها مثلها عدداً. والظاهر انهُ اعياهُ تسمية النصف الثاني من العقد باسماء جواهر جديدة فسمّى الرابعة عشرة المجنبة الثانية والخامسة عشرة العسجدة الثانية وهلمّ جرًّا متقهقراً الى اللؤلؤة الثانية اي الجوهرة الخامسة والعشرين

وان من يحاول تلخيص هذه الابواب كلها كمن يحاول تفريغ البحر بصدفة — يفرغ عمرهُ ولا يفرغ عملهُ فلذلك رأيت ان اقتصر من العقد الفريد على الزمردة الثانية في فضائل الشعر وهي الجوهرة الثامنة عشرة كما لا يخفى. وانما وقع اختياري عليها لانها حوت في الكلام عن الشعر كلّ ما لذّ وطاب مما لا تكاد تجد لهُ مثلاً في كتاب واحد

اشعر الشعراء

اختلف الناس في اشعر الشعراء. قال النبي صلى الله عليهِ وسلم — وذُكر عندهُ امرؤُ القيس بن حجر — هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم. وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليهِ من غطفان مَن الذي يقول:

حلفت فلم اترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

فالوا نابغة ذبيان: قال لهم فمن الذي يقول هذا الشعر:

أَتيتك عاريًا خَلَقًا ثيابي على وجل تظنُّ بي الظنونُ
فأَلفيت الامانة لم تَخُنها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

قالوا هو النابغة. قال هو الشعر شعرائكم. وما احسب عمر ذهب الاَّ الى انهُ اشعر شعراء غطفان. ويدلُّ على ذلك قولهُ هو اشعر شعرائكم. وقد قال عمر لابن عباس انشدني لاشعر الناس الذي لا يعاظل[1] من القوافي ولا يتبع حوشي الكلام. قال مَن ذاك يا امير المؤْمنين. قال زهير بن ابي سلمى. فلم يزل ينشدهُ من شعرهِ حتى اصبح. وقيل للبيد من اشعر الشعراء قال صاحب القروح يريد امرأَ القيس. قيل لهُ فبعدهُ مَن[2]. قال ابن

(١) المعاظلة في القوافي هي التضمين في قول وهو تعلق قافية البيت بما بعدهُ على وجه لا يستقلُّ بالافادة كقول النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم اصحاب يوم عكاظ اني
شهدت لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الودّ مني

ولكن يؤْخذ مما قالهُ ابو الخطاب القرشي في جمهرة اشعار العرب ان المراد بالمعاظلة هنا ترديد الكلام في القافية بمعنى واحد. وقال ابن الاثير المعاظلة ان لا تعقد الكلام وتوالي بعضهُ فوق بعض

(٢) يقول النحاة ان ادوات الاستفهام والشرط ونحوها من ذوات الصدر وهي ما تعين لهُ صدر الكلام الداخل عليهِ. ولكن ورد في كلام فصحاء العرب ما يخالف ذلك. ففي التاريخ ان عائشة خرجت من مكة تريد المدينة وعثمان محصور فلقيها عبيد بن ابي سلمة فقالت لهُ مهيم (اي ما وراءك). قال قتل عثمان وبقوا ثمانيًا. قالت ثم صنعوا ماذا فاخرت اداة الاستفهام

وقرأت في الاغاني انهُ كان بالكوفة رجل من الفقهاء تجتمع اليهِ الناس فيتذاكرون العلم. فذكر يومًا شعر عمر بن ابي ربيعة فهجنهُ. فقالوا لهُ بمن ترضى. ومرَّ بهم حماد الراوية فقال قد رضيت بهذا. فقالوا لهُ ما تقول فيمن يزعم ان عمر بن ابي ربيعة لم يحسن شيئًا. فقال اين هذا اذهبوا بنا اليهِ. قالوا نصنع بهِ ماذا. قال .... (وهنا شتم قبيح) وحماد الراوية من اهل القرن الثاني للهجرة

وقال سعيد بن المسيب لنوفل بن مساحق من اشعر عبدالله بن قيس او عمر بن ابي ربيعة. فقال نوفل حين يقولان ماذا يا أبا محمد. وهما من فصحاء العرب في صدر الاسلام

ودخل نصيب الشاعر على عمر بن عبد العزيز بعد ما ولي الخلافة فقال لهُ سل حاجتك. فقال بنيات لي نفضت عليهنَّ سوادي (وكان نصيب اسود البشرة) فكسدن ارغب بهنَّ عن السودان ويرغب عنهنَّ البيضان. قال فتريد ماذا. وهما من اهل القرن الاول للهجرة

ودخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال لهُ عبد العزيز هل عشقت قط. قال نعم امةً لبني مدلج. قال فكنت تصنع ماذا

ومعلوم ان اللهجة العامية المصرية تؤَخر ادوات الاستفهام عن المستفهم عنهُ مما لا مثيل لهُ في اللهجات العربية الاخرى ولا في اللغات الغربية المشهورة على ما اعلم. وقد كنت اعجب كيف تطرقت هذه البدعة الى اللهجة العامية هنا فاذا هي ليست غريبة عن العربية الفصحى كما رأَيت

العشرين يعني طرفة · قيل لهُ فبعدهُ من قال انا · وقيل للحُطَيئة من اشعر الناس · قال الذي يقول :

من يسأل الناس يحرموهُ وسائل الله لا يخيبُ

يريد عبيد بن الابرص · وقيل لهُ فبعدهُ من فاخرج لسانهُ وقال هذا اذا رغب · وسئل حماد الراوية عن شعر ابن ابي ربيعة فقال ذلك الفستق المقشر الذي لا يشبع منهُ(١)

واختلف الناس في اشعر نصف بيت قالتهُ العرب · فقال بعضهم قول ابي ذؤَيب الهذلي « والدهر ليس بمسعف(٢) من يجزع »

وقال بعضهم قول زهير « ومن يك رهناً للحوادث يقلقِ »

وقالوا ان افخر بيت قالتهُ العرب قول حسان بن ثابت

وبيوم بدر اذ يردّ وجوههم جبريل تحت لوائهم ومحمدا

واحكم بيت قولهُ ايضاً :

فان امرأً امسى واصبح سالماً من الناس الاَّ ماجني لسعيدُ

وابدع بيت قول ابي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا تردّ الى قليل تقنعُ(٣)

---

(١) وقرأْت في الاغاني ان حماد الراوية سئل عن شعر عمر بن ابي ربيعة فقال ذاك الفستق المقشر، وفي الحاشية هذه العبارة (قولهُ الفستق المقشر في نسخة الفاسق المفسد) · وهـذا من اغرب التصحيف ولا يستقيم اذا صحت الرواية المذكورة في الحاشية السابقة فانها تدلُّ على شدة اعجاب حماد بعمر بن ابي ربيعة حتى شتم هاجنهُ · ونسبت لفظتا (الفستق المقشر) الى الاصمعي ايضاً فانهُ قالها في استحسان شيء غاب عني الآن وذكر ذلك في البيان والتبيين

(٢) وفي رواية (والدهر ليس بمعتب من يجزع) اي بمرْضٍ بعد الاسخاط ولعلها الرواية الصحيحة · وابو ذؤيب هذا مخضرم اي ادرك الجاهلية والاسلام · والشطر المذكور هو عجز مطلع مرثية رثى بها خمسة بنين له اهلكهم الطاعون في سنة واحدة · والصدر (امن المنون وريبهِ تتوجع) · ومن ابياتها المشهورة

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفعُ

على انهُ لو كان في الشطر كلمة (مسعف) مكان (معتب) لم يكن بها من باس · فقد ورد في محيط البستاني (والمولدون يستعملون اسعفهُ بمعنى ساعدهُ) ثم استشهد ببيت لابن الفارض ولكن ابن الفارض محدَّث لا مولد · وفي التاج (اسعف الرجلَ بحاجتهِ قضاها لهُ) اي ساعدهُ كساعفهُ · وجاء في الاغاني في خبر عن اسحق بن ابراهيم الموصلي في عهد الرشيد (فركبت معهُ اسألك ان تسعفهُ فيما سأل) · وعهد الرشيد من عهد المولدين

(٣) وهو من مرثاتهِ المشهورة التي تقدمت الاشارة اليها

واصدق بيت قول لبيد :

أَلا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائلُ

هذه زبدة ما ورد في العقد الفريد عن اشعر الشعراء واجمل الابيات . وقد جاء في مواضع اخرى انهم قالوا ان زهير بن ابي سلمى هو اشعر العرب وان النبي انما قال ان امرأ القيس يقدم بلواء الشعراء الى النار لقدمهِ في الشعر . وانكر غيرهم هذا القول وقالوا لو كانت التقدمة بالتقدم لقدم النبي ابن خدام[1] على امرىء القيس

وجاء في رواية اخرى عن حديث عمر وابن عباس[2] السالف الذكر ان عمر كان جالساً في اصحابهِ يتذاكرون الشعر والشعراء فيقول بعضهم فلان اشعر ويقول آخر بل فلان اشعر . فقيل ابن عباس بالباب فقال عمر قد اتى من يحدّث من اشعر الناس . فلما سلم وجلس قال لهُ عمر يا ابن عباس من اشعر الناس قال زهير يا امير المؤمنين . قال عمر ولِمَ ذلك . قال لقولهِ يمدح هرماً وقومهُ بني مرة :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أَو مجدهم قعدوا

جنٌ اذا فزعوا إِنس اذا امنوا مرزّؤن بهاليلٌ اذا جهدوا

محسّدون على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله عنهم ما بهِ حسدوا

قال عمر صدقت يا ابن عباس

وذكرت حكاية عمر ووفد غطفان في مكان آخر وخلاصتها : خرج عمر وببابهِ وفد غطفان فقال اي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم اترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

ولست بمستبقٍ اخًا لا تلمّهُ على شعثٍ اي الرجال المهذبُ

(وهذا البيت الثاني اشهر من نار على علم) . قالوا النابغة يا امير المؤمنين . قال فمن القائل (وهنا الابيات المذكورة في الرواية الماضية) قالوا النابغة . قال فمن القائل :

الاّ سليمان اذ قال الاله لهُ قم في البرية فاحددها عن الفَنَدِ

قالوا النابغة . قال هو اشعر شعرائكم

وفي مكان ان اول من قال الشعر ابونا آدم حيث رثى ابنهُ هابيل قال :

(١) او ابن خدام شاعر يقال انهُ قال الشعر قبل امرىء القيس بدليل قول امرىء القيس :

عوجا خليليّ الغداة لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام

(٢) ابن عمّ النبي دعا لهُ النبي بالحكمة وحنكهُ بريقهِ حين ولد

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبرّ قبيحُ
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه الصبيح(١)
وجاورنا عدوٌّ ليس يفني ... لعين لا يموت فنستريحُ
أهابيل ان قتلتَ فان قلبي ... عليك اليوم مكتئب قريحُ

فاجابهُ ابليس :

تنحَّ عن الجنان وساكنيها ... ففي الفردوس ضاق بك الفسيحُ
وكنت بها وزوجك في رخاء ... وقلبك من اذى الدنيا مريحُ
فما برحت مكايدتي ومكري ... الى ان فاتك الثمن الربيحُ
ولولا رحمة الرحمن امسى ... بكفك من جنان الخلد ريحُ

وزعموا ان بعض الملائكة نظم هذا البيت :

لدوا للموت وابنوا للخرابِ ... فكلكم يصير الى الذهابِ

ولا يخفى ان كل ذلك موضوع على لسان ادم وابليس والملائكة كما وضع شعر ملتن المعروف بالفردوس المفقود

وذكروا ان الخلفاء الراشدين نظموا الشعر فقال ابو بكر الصديق يرثي النبي :

اجدَّك ما لعينك لا تنام ... كأَنَّ جفونها فيها كلامُ

وقال عمر بن الخطاب :

ما زلت مذ وضعوا فراش محمد ... كيما يمرَّض خائفاً اتوجعُ

وقال عليٌّ :

ألا طرق الناعي بليل فراعني ... وارَّقني لما استقرَّ مناديا

وقال عثمان :

فيا عين إبكي ولا تسأمي ... وحق البكاء على السيّدِ

***

اما الحكم في اشعر الشعراء او في احكم الشعر او ابدعهِ او اصدقهِ فمن اصعب الصعب اذ المسئلة مسئلة ذوق والذوق يختلف اختلاف العقول والوجوه . فقد ترى حسناً ما ليس بالحسن . وترى حكيماً ما لا يرى فيهِ وجه الحكمة غيرك او يجد غيرهُ احكم منهُ

(١) بشاشة تمييز وحذف التنوين لالتقاء الساكنين هكذا يزعمون وهو يخالف المعروف

وعندي ان هذا البيت :

ومن هابني في كل شيءٍ وهبتهُ   فلا هو يعطيني ولا هو سائلُهْ

او ما ورد على مثالهِ ونسج على منوالهِ هو احسن الشعر

ويختلف نظر الناس الى الامور ايضاً باختلاف امزجتهم واعمارهم . فصاحب السوداء يقدم الرثاء على الغزل والمدح . والعصبي المزاج ربما قدم الحماسة على الحكمة . والشاب يستحسن من الشعر مالا يستحسن الشيخ والشيخ مالا يستحسن الشاب . فقد كنت وانا حدَثٌ اطرب بقول المتنبي :

من الحلم ان تستعمل الجهل دونهُ   اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وان ترد الماء الذي شطرهُ دمٌ   فتسقى اذا لم يسقَ من لم يزاحمِ

وذهب بي اعجابي بهما وطربي لهما ان قلت لصديق لي اذا جاءك يوماً نعيٌ فقل كان رحمهُ الله يتمثل بهذين البيتين فيرقص طرباً لجمعهما بين الحكمة الرائعة والحماسة التي ليس بعدها مجال لأحمس . اما اليوم وقد وهن العظم واشتعل الرأس شيباً فقد لا ارى فيهما ما كنت أرى من قبل ولا اهتز لهما كما كنت اهتزّ في عنفوان الشباب . وربما كنت الآن اشدّ طرباً واعجاباً بقول ابي الطبيب :

آلة العيش صحة وشباب   فاذا وليا عن المرء ولّى

ثم متى آذنت شمس العمر بالمغيب فربما بتّ اكثر استحساناً لقولهِ :

واذا الشيخ قال افّ فما مـــلّ حياة وانما الضعف ملاّ

وقد تعروني هزة في الرمس فانتفض لقولهِ :

لا بدّ للانسان من ضجعةٍ   لا تقلب المضجع عن جنبهِ

ينسى بها ما كان من عجبهِ   وما اذاق الموت من كربهِ

ولكن يقال اجمالاً ما قال شاعر قديم :

وان احسن بيت انت قائلهُ   بيت يقال اذا انشدتهُ صدقا

يقابل ذلك حكمة قديمة وهي قولهم « اعذب الشعر اكذبهُ »

(نقيب)

صفحة من تاريخ التجارة المصرية

التنازع والتخاصم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند

(تابع ما قبلهُ)

وقد روى الشيخ زين الدين صاحب كتاب « تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين » ان « ابتداء وصولهم الى مليبار كان سنة ٩٠٤ للهجرة النبوية (١٤٩٨م) وصلوا الى فندر ينة (Paudarane) في ثلاث مسمار يات[1] بعد انقطاع موسم[2] الهند ثم خرجوا منها الى بندر كاليكوت في طريق البر واقاموا فيها شهوراً يتعرفون اخبار مليبار واحوالها ولم يشتغلوا بالتجارة بل رجعوا الى بلدهم برتكال · وسبب وصولهم الى مليبار على ما يحكى عنهم طلب بلاد الفلفل لتختص تجارتهُ بهم فانهم ما كانوا يشترونهُ الاَّ من الذين يجلبونهُ من مليبار بوسائط[3] »

هكذا توصل البرتقاليون الى العثور على الطريق البحري الموصل الى بلاد الهند · وسنرى اي انقلاب حصل في بلاد المشرق بسبب هذه الخطوة الاولى · نعم ان تجار العرب قد تفطنوا الى هذا الخطب المقبل عليهم بكلاكلهِ فشمروا عن ساعد الجد وتألبوا على احباط ڤاسكو حتى لا يكون لهم مزاحم في هذه السوق الكثيرة الخيرات · وقد بذلوا كل ما في وسعهم لمنع هذا الدخيل من مشاركتهم في احتكارهم لانهم ادركوا ان هذه المشاركة لا بد ان تفضي بالبرتقال الى الاستئثار بالسوق واقصاء كل من عداهم عنها · ساعدهم ڤاسكو بنفسهِ على نفسهِ بمباغتاتهِ وتهورهِ في معاملاتهِ حتى ان السامري صاحب كاليكوت ردهُ حيث اتى · فحقد عليهِ ڤاسكو حقداً عظيماً سنرى آثارهُ عند مجيئهِ هذه البلاد في المرة الثانية · كيف لا يحقد وهو مع كل ما بذلهُ من المجهودات والمصروفات لم يتمكَّن من الرجوع بشيءٍ يذكر اللهم الاَّ بعض بالات من الفلفل والبهارات وقليل من الاحجار الكريمة وكمية زهيدة من

(١) اسم للسفن التي تستعمل فيها المسامير لربط الواحها بعضها ببعض بخلاف السفن المستعملة في بحر الهند التي تربط الالياف الواحها او تكون مؤلفة من جذع شجرة كبيرة وهذا النوع الاخير يطلق الافرنج عليهِ لفظة Yonque وهو اللفظ الذي استعملهُ ابن بطوطة فقال « جنك » وجمعهُ على « اجناك »

(٢) الريح الشديدة الخاصة ببحار الهند وهي التي يسميها الافرنج Mousson عن اللفظ العربي والى انقطاع موسم الهند وسكون الريح اشار احمد بن ماجد بما اشار بهِ على فاسكو في رواية قطب الدين

(٣) عن " تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين " للشيخ زين الدين · طبع لشبونة

اللآلئ والدراري . استخدم هذا الوسق الطفيف بمثابة النموذج والراموز او العيّنة والمثال للدلالة على اهمية تلك السوق وما فيها من ينابيع الثروة واليسار . نعم ان التجريدة الاولى لم تأتِ بالنتيجة المبتغاة من حيث الوجهة التجارية . لكنها افادت اكبر فائدة من حيث انها كانت كالطليعة لارتياد الطريق وتمهيدها للمستقبل القريب . ومن هذه الوجهة كانت هذه التجريدة مكالة بالنجاح التام . كيف لا وقد توفق ڤاسكو الى الرجوع من هذه الرحلة بكنز ثمين واعني بهِ رجلاً واحداً .

هذا الرجل كان طليانيًّا فتمصر ثم تهند . هذا الرجل كان يهوديًّا فتمسلم ثم تنصر — هذا الرجل هو جسبار وما ادراك ما جسبار؟ يهودي من اهل ايطاليا هبط على الاسكندرية في ايام السلطان قايتباي فدرس سوقها التجارية دراسة وافية ثم سافر الى القاهرة فمكة فبلاد مليبار وهنالك تجوّل في جميع اقطار الهند ووقف على كل احوالها التجارية والسياسية والجغرافية ثم دخل في دين الاسلام وكان في خدمة سلطان كوَه (Goa) حينما وصلها ڤاسكو دوجاما فداخلهُ وكاشفهُ بأصلهِ الافرنجي وطلب اليهِ ان يعمّدهُ فتنصر على يديهِ . وحينئذٍ افضى اليهِ بثمرة معارفهِ التي اكتسبها بعد الخبرة والممارسة مدة ٣٠ سنة واحاطهُ علماً باحوال كاليكوت وغيرها من مدائن الهند والهند الصينية وعرّفهُ بمحاصيلها إقليماً إقليماً وأسعارها وبما تحتاج اليهِ من السلع والبضائع الاوربية ثم رضي بالذهاب معهُ الى البرتقال . فلما مثل ذلك اليهودي المسلماني المتنصر بين يدي عمانو بل فرح بهِ وانعم عليهِ بمرتب سنة كاملة . اما ڤاسكو دوجاما فقد اضاف الملك الى القابهِ لقب « سيد الفتح والملاحة والتجارة في بلاد الحبش والعرب والفرس والهند » . وقد امر الملك بارسال تجريدة ثانية الى بلاد الهند تحت امرة كابرال واضاف اليها جاسبار اليهودي المسلماني المتنصر بصفة دليل ومستشار

تحرّك الاميرال كابرال من لشبونة في ٩ مارس سنة ١٥٠٠ (٨ شعبان سنة ٩٠٥) وهو على رأس اسطول حقيقي فيهِ السلاح الكافي لمقاتلة اهل مليبار (فيما لو حاولوا الدفاع عن اوطانهم) ولمحاربة المصريين (اذا حدثتهم انفسهم بالمحافظة على مركزهم التجاري والسياسي في كاليكوت) . وكان مع كابرال كمية وافرة من النقدين الكريمين ومن البضائع الاوربية لاجل الحصول على الفلفل والابازير بطريقي الشراء والمقايضة . غير ان هــذا الاسطول تحطم بعضهُ عند رأس الزوابع وطاح بعضهُ في البحار فلم يصل من هذا القسم الثاني امام كاليكوت سوى ست سماريّات كانت فيها الكفاية لارهاب السامري بحيث انهُ اذن للبرتقال بالنزول على مدينتهِ وانشاء مخزن فيها للمتاجرة . فدخلوا كاليكوت على هيئة التجار

واشتغلوا بالتجارات ثم تدرّجوا في مطامعهم فبنى لهم كابرال قلعة « شيناكوتا » اي قلعة الصينيين ووضع فيها حامية للخفر مؤلفة من ١٠٠ رجل او ٧٠ او ٦٠ على اختلاف اقوال مؤرخي البرتقال . وحينئذٍ توسّعوا في مطالبهم فارادوا ان يستأثروا وحدهم بالسوق دون المصريين فقالوا لعمال السامري : « ينبغي منع المسلمين من تجاراتهم ومن السفر الى بلاد العرب والفوائد الحاصلة منهم يحصل منّا اضعافها (١) »

وقد كان للتجار المصريين مكانة ممتازة عند اهل مليبار لصدقهم وامانتهم وكان المسلمون المتوطنون في هذا الساحل محبوبين محترمين عند السامري ورعيته لما اتصفوا بهِ من جميل الخصال ومكارم الاخلاق . فلذلك لم يستمع السامري لطلب البرتقال بل اصاخ لشكوى عملائهِ المصريين واظهر الميل لهم مما اوجب غضب كابرال فقبض على سفينة عربية ثم اوعز الى رجالهِ بالاعتداء على المسلمين في المعاملات فهاج العامة على البرتقاليين فقتلوا منهم نحو سبعين او ستين على ما يقول زين الدين . اما مؤرخو البرتقال فيقول بعضهم ان عدد المقتولين من حامية القلعة كان ٣٦ رجلاً و يقول البعض الآخر ان عدد القتلى والجرحى انما كان ٥٠ او ٥٤ وعلى كل حال فقد اتفق مؤرخو الطرفين على ان بقية الحامية لجأت الى الاسطول البرتقالي وان كابرال اصدر امرهُ بضرب المدينة بالمدافع يومين كاملين موجهاً قنابلهُ ونيران مدافعهِ بنوع خاص الى السفن التجارية المصرية حتى اغرقها بما فيها و بمن فيها من نساء واطفال (٢) بهذا الشكل الفظيع القاسي قطع كابرال علاقاتهُ مع السامري و بلادهِ ومن العجائب ان هذه الفظاعة كان فيها فائدة كبرى لاميرال البرتقال لم تكن تخطر لهُ على بال . ذلك ان سلطان كشي وسلطان كننور توددا الى كابرال ليشفيا ما في صدورهما من غلّ وحزازات واحقاد نحو السامري و بلادهِ فاغتنم البرتقاليون هذا التوفيق الذي ساقهُ اليهم المقدور وذهبوا الى بندر كشي (Cochin) وصالحوا اهلها و بنوا فيها على ما يقول زين الدين قلعة صغيرة وهي اول قلعة بنوها في الهند واتخذوها مسكنهم وهدموا مسجداً كان في ساحل البحر وبنوا بيعة وعاملوا اهلها . وكذلك صنعوا في بندر كننور . واما مؤرخو البرتقال فلا ينكرون هدم المسجد و بناء البيعة ولكنهم يقولون انهم في هذه السنة اقتصروا على بناء المخازن التجارية واما القلاع فيؤكدون انهم انما بدؤُا في بندر كشي باقامة برج من الخشب في سنة ١٥٠٣ (سنة ٩٠٩ هـ) ثم شيدوا قلعة من الحجر (٣) بعد ثلاث سنوات

(١) تحفة المجاهدين (٢) انظر هيد Heyd واليزيه ركلوس Elisée Reclus (٣) لان استخدام الحجر في المباني كان في بلاد مليبار محرماً الاّ فيما يتعلق بهياكل الاصنام (Pagodes) وقصور الملوك

وأما في بندر كننور فانهم بدأُوا باقامة برج من الخشب في سنة ١٥٠٥ ثم شيدوا قلعة من الحجر في سنة ١٥٠٧

ومهما يكن من امر الحصون والقلاع فقد اتفق مؤرخو الطرفين على ان كابرال اخذ من هذين البندرين كل ما اراد من البضائع وانهُ تمون في كشي بالفلفل وفي كننور بالقرفة والزنجبيل ورجع البرتقاليون الى « بلادهم بمقصودهم الاعظم الذي لأجلهِ قطعوا المسافات البعيدة » فعاد كابرال الى لشبونة فائزاً بغنائم ومتاجر واموال اربت على كل ما كان في الحسبان ·

وبعد سنة اي في سنة ١٥٠١ (سنة ٩٠٧ هـ) ارسل عمانو يل اسطولاً مؤلفاً من اربع مسماريّات · ونزلوا في كشي وكننور وعادوا الى بلدهم بالفلفل والزنجبيل

وفي السنة التي تليها وصل ڤاسكو دوجاما للمرة الثانية الى ساحل مليبار بلقب « اميرال بحر الهنود » ومعهُ اسطول مؤلف من عشرين مسمارية او احدى وعشرين او اثنتين وعشرين أو ثماني عشرة كما يقول زين الدين · اما مؤرخو البرتقال فبعضهم يقول ان هذا الاسطول كان مؤلفاً من ٢٥ قطعة منها ١٢ من سفن الدولة والباقي من سفن التجار والبعض الآخر يقول ان هذه العمارة كانت مؤلفة من عشرين قطعة منها خمس مخصصة لاقتحام البحر الاحمر لتعقب سفن مكة ويقولون ان هذه الخمس قد ذهبت فعلاً الى محل مأمور يتها فوقفت عند باب المندب لمنع دخول الاسطول التجاري المصري من بحر الهند ولصدّ سفن التجارة القادمة من الهند عن الذهاب الى الموانئ المصرية · ولقد نجح هذا القسم في مهمتهِ اذ تمكن من القبض على سفينة تجارية مصرية قادمة من البحر الاحمر وفيها وسق حافل بأصناف التجارات لا يقل ثمنهُ عن ٢٤ الف دوكات (دينار بندقي) ثم انضم هذا القسم الى بقية الاسطول فسار بهِ ڤاسكو دوجاما الى بلاد مليبار فالتقى ببعض مراكب لتجار مصر كانت مشحونة بالافاوية من الهند وراجعة الى السويس فنهب ما فيها من البضائع واغرقها وكان بينها مركبان (١) للسلطان الغوري · فلما وصل ڤاسكو دوجاما الى كاليكوت ارسل للسامري سلطانها يأمرهُ باخراج العرب والمصريين وسائر المسلمين من ديار مليبار وكان عددهم لا يقل عن اربعة آلاف نسمة وكلهم من اهل الثروة واليسار المعروفين بالاستقامة والامانة فلم يرَ السامري من مصلحة بلادهِ ولا من العدل ان يجيب هذا الطلب فاطلق البرتقال قنابلهم على المدينة وشنوا الغارة الشعواء على السامري وفازوا عليهِ فوزاً مبيناً · ثم ذهب ڤاسكو باسطولهِ الى ناحيتي كشي وكننور فرأى ان سلطانيهما منحرفان عليهِ بل مجاهران لهُ

(١) [المقتطف] شهر مارس سنة ١٩١٧

بالخصام لكنهُ نجح في استدراجها الى المودة والعهد القديم لا سيما بعد فوزهِ على السامري ونكايتهِ بتجار مصر في مليبار وقبضهِ على السفينة التجارية المصرية عند خروجها من البحر الاحمر . فبهذا الفوز المثلث تمكن من تسخير السلطانين لامرهِ وتيسر لهُ شراء الفلفل والتوابل والابازير بثمن يقل عما دفعهُ في المرة الاولى بمقدار ٢٠ في المائة . ولقد استخدم ما اتى بهِ من النقود الكثيرة وما اصابهُ في السفينة المصرية التي اغتصبها في الحصول على بضائع فوق كل ما كان يقدرهُ او ينتظرهُ حتى شحن جميع مراكبهِ وبقي من البضاعة مقدار جسيم ابقاهُ الى فرصة اخرى في المخازن التي بناها البرتقال على سواحل مليبار وغيرها من بلاد الهند واحكموا تحصينها بالقلاع وحمايتها بالمدافع والرجال ثم رجع ادراجهُ الى لشبونة في اوائل سبتمبر سنة ١٥٠٣ (ربيع الاول سنة ٩٠٩ هـ) ومجموع وسقهِ بين ٣٠ و ٣٥ الف قنطار من الابازير (والقنطار عبارة عن ١٥٠ الى ١٦٨ رطلاً من ارطال البنادقة) ومعظم هذا الوسق من الفلفل فقد كان مقدارهُ وحدهُ لا يقل عن خمسة آلاف قنطار باقي الوسق من القرفة والزنجبيل وجوز الطيب هذا الى مقدار عظيم من الاحجار الكريمة والدراري الغالية القيمة بحيث بلغت قيمة الشحن مليون دينار بندقي مع ان مصاريف التجريدة كلها لم تزد على مئتي الف بمعنى أن الربح كان عبارة عن اربعمائة في المائة (٤٠٠ ٪) فضلاً عن رجوع رأس المال اي ان الدينار الواحد صار خمسة دنانير . وكان معظم الارباح للملك البرتقال طبعاً . لذلك نزلت اسعار الفلفل في بلاد البرتقال من ٤٠ بندقيًّا الى ٢٠ فقط باعتبار القنطار الواحد مع ان ثمنهُ في محل استيرادهِ لم يزد على دينارين ونصف الى ثلاثة فقط

وقبل ان تصل هذه الرسالة الى لشبونة كان ملك البرتقال قد بعث في ابريل سنة ١٥٠٣ (ذي القعدة ٩٠٨ هـ) تجريدة بحرية اخرى مؤلفة من تسع سفائن كل ثلاث تحت امرة رئيس مستقل واشهر هؤلاء الرؤساء الثلاثة الذي يعنينا الكلام عليهِ هو صاحبنا ألفونسو ألبوكرك (Albuquerque) فانهُ بمجرد وصولهِ الى الهند رأى السامري صاحب كاليكوت قد اغتنم فرصة غياب ڤاسكو دوجاما وخرَّب مخازن البرتقاليين وطرد ملك كشي (Cochin) الذي كان مواليًا للبرتقاليين ومساعداً لهم ضد وطنهِ وقومهِ فاضطر هذا الملك الى الالتجاء الى جزيرة في البحر امام عاصمتهِ وآوى اليهِ من كان معهُ من ابناء البرتقال . فتربَّث ألبوكرك حتى انضمت اليهِ كل السفن البرتقالية التي سافرت معهُ والتي كانت سبقتهُ الى بحار الهند وسفنهُ التي كانت تائهة عن العمارة التي وصلت مع ڤاسكو وحينئذٍ انبرى لمقاتلة السامري حتى تقرر الصلح بينهما على غرامة يدفعها السامري قدرها ١٥٠٠ بهار

من الفلفل (والبهار عبارة عن ثلاثة قناطير او اربعة) ثم اعاد بناء المخازن وارجع ملك كشي الى كرسيهِ وتعهد السامري لهُ بان يمنع مراكب مكة من اخذ البضاعة من بلادهِ ·

« ثم تتابع في كل سنة على هذا المنوال وصول مراكبهم العديدة من برتكال بالرجال والاموال وسفر مراكبهم الكبيرة من مليبار بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع الى برتكال »

رأى صغار ملوك الهند ذلك السيل المتدفق على بلادهم بل ذلك القضاء المبرم الواقع على رؤُوسهم وعلموا ان لا طاقة لهم بدفع غوائل البرتقال عنهم · فلم يكن لهم مندوحة عن الاستكانة لهم والخضوع لكلمتهم فدخلوا في صلحهم وما لبثوا ان صاروا من جملة الخول والخدم· وكان في مقدمة المنقادين لامرهم اهل كشي وكننور ومن تبعهم فكانوا يشتغلون بالتجارة تحت سيطرتهم ويسافرون « في البحر مصالحين لهم آخذين اوراقهم معهم لكل مركب علامة لامانتهم »[1] وفرض البرتقاليون على كل جواز من هذه التذاكر مالاً معيناً يدفعهُ أصحاب المركب لرعاتهم اي سلاطين الهند الذين يخضع لهم المسافرون حتى يكون هؤُلاء الملوك الوطنيون عوناً للبرتقاليين على احتكار تجارة الهند · فكان الاسطول البرتقالي الضارب في بحار الهند إذا عثر بمركب « ليس فيهِ ورقتهم اخذوا المركب وما فيهِ ومَن فيهِ »[2] وذلك كلهُ بقصد تحريم السفر الى البحر الاحمر بتاتاً ومنع الفلفل والبهارات من الوصول الى مصر حتى لا يكون لهذه الاصناف سوق في اوربة خلاف التي في لشبونة· وعاد هذا التدبير بالضرر الاكبر على تجارة كاليكوت لان سلطانها السامري كان لا يزال معانداً للبرتقال والحرب بينهُ وبينهم سجال· هذا ما كان من امر البرتقال لغاية سنة ١٥٠٣م (سنة ٩٠٩ هـ) فقط

وقبل ان انتقل الى ما كان من شأن مصر وصديقتها وعميلتها (جمهورية البنادقة) ينبغي لي تقرير الحقيقة التي اصبحت في ذلك العهد امراً مقضيًّا وهي ان عمانو يل السعيد كان الله قد أتاح لهُ كل ما يطمح اليهِ من النجاح وخدمهُ الحظ في تحقيق احلامهِ · وهو والحق يقال قد ثبت في مشروعهِ ثباتاً خليقاً بالمدح والاعجاب ولا سيما فيما حاولهُ من احتكار تجارة الهند لمنفعتهِ الشخصية ولمصلحة بلادهِ · فلم يثنهِ عن الغرض الذي وضعهُ نصب عينهِ منذ جلوسهِ على العرش ما تجشمهُ من الصعوبات والاخطار الملازمة لهذا السفر الطويل الشاق وما ترتب عليهِ من ضياع السفن الكثيرة والارواح العديدة الى ان استقرت لهُ في سنة ١٥٠٣ (سنة ٩٠٩ هـ) المذكورة السيطرة التجارية في تلك الاقطار والسيادة على ما يكتنفها من البحار ·

فلا جرم ان اصبحت لشبونة وهي القابضة على زمام التجارة الهندية تصرّفها على ما تريد

(1) كلام زين الدين ودافيد لوبز David Lopez (2) كلام زين الدين ودافيد لوبز

وتشتهي في اوربة الغربية بل ترسل قسماً منها كما تشاء وتبتغي الى بعض جهات اوربة الشرقية نفسها وما ذلك الاَّ للمبالغة في النكاية بالغوري وعملائهِ البنادقة ·

ولا جرم ان كان ذلك سبباً وثيقاً في بوار تجارة مصر والبندقية !

***

رأى أهل فلورنسة وجنوة نجاح البرتقاليين في تجريدتهم الاولى وتحققوا ان وساطة مصر اوشكت على الزوال وحينئذٍ تهافتوا على لشبونة فاسسوا فيها محال تجارية بل ان اهل فلورنسة جهزوا على حسابهم الخاص بعض السفن التي رافقت تجريدات البرتقاليين التي توالى سيرها بعد التجريدة الاولى الى بلاد الهند وكان ذلك اول انحراف انحرفهُ الاوربيون المتوطنون على شواطيء البحر الابيض المتوسط عن مصر ووساطتها والدنيا لمن غلب ·

في شهر اغسطس سنة ١٤٩٩ (محرم سنة ٩٠٥ هـ) وصل الى البندقية بلاغ عن القاهرة والاسكندرية بما حدث من نزول البرتقال على كاليكوت ولكن الخبر كان ملطفاً مخففاً بحيث لا يوجب الانزعاج لان تجار مصر كانوا يخشون انحراف عملائهم البنادقة عنهم وفي ذلك خسارة كبيرة عليهم ولكن الجمهورية تحققت من سفيرها في لشبونة نجاح البرتقال في كل ما حاولوهُ من احتكار التجارة في اقطار الهند بل قال الملك لهذا السفير (٢٤ يونيو سنة ١٥٠١ — ٢٦ ذي القعدة سنة ٩٠٦ هـ) وقد أراهُ هذا النجاح بعيني رأسهِ « قل لاساطين الجمهورية واراكنة البندقية ان لا حاجة لهم بعد الآن الى ارسال سفائنهم واغربتهم الى المياه المصرية لاستحضار البهارات والابازير بل هم عما قليل لن يجدوا في اسواق تلك السلطنة شيئاً منها وليس لهم سوى ان يفدوا على بلادنا فنخص تجارهم بالحفاوة والكرامة بحيث يكونون كأنهم بين اهليهم وفي اوطانهم » ·

نزلت هذه الاخبار كالصاعقة الساحقة الماحقة على جمهورية البنادقة إذ كان اساس سيطرتها واركان ثروتها قائمة على تجارتها مع المشارقة · فلو ان هذه التجارة انتقلت الى يد البرتقال لسقطت مدينة البندقية سقوطاً لا قيام لها بعدهُ · لان البرتقاليين يشترون الفلفل وغيرهُ من الابازير والبهارات من منابتها بالهند ، يذهبون بها توّاً ومباشرة الى بلادهم دون ان يعترضهم في طريقهم ديوان (كمرك) يتقاضى شيئاً من الرسوم التي يجب اضافتها على الثمن بخلاف البنادقة فانهم انما كانوا يحصلون على هذه الاصناف من عملائهم المصريين وهم لا يجلبونها من مواطنها الاَّ بعد مرورها على يد طائفة عديدة من الوسطاء والسماسرة في جده وعدن فضلاً عن رسوم الديوان (الكمرك) دخولاً وخروجاً في هاتين المدينتين ثم

في القاهرة والاسكندرية وبيروت الى ما وراء ذلك من النفقات غير الرسمية او غير الشرعية من مجاملة ومجاراة ومحاباة ومداراة مما يزيد الثمن اضعافاً مضاعفة(١). بهذه الوسيلة كان يستحيل على البنادقة مناظرة مزاحميهم في اسواق اوربة . فلم يكن لهم مندوحة عن اختيار احد امرين : اما الاستكانة والتسليم ونفض ايديهم من هذه التجارة وفي ذلك القضاء المبرم على سيطرتهم وثروتهم — وإما المكافحة والمقاومة والعمل على فشل البرتقاليين وفي ذلك استبقاء لمكانتهم ومحافظة على ثروتهم . ولقد اختاروا الشق الثاني فوجهوا وجههم شطر صاحب مصر السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري لاعتقادهم بانهُ لا يحجم عن بذل كل مرتخص وغال في الاحتفاظ باحتكار تجارة الهند التي هي منبع ثروتهِ الشخصية ودعامة الرخاء واليسار في بلادهِ . صحّت عزيمة الجمهورية على تلافي الخطب قبل استفحالهِ فارسلت بندتو سانوتو (Benedetto Sanuto) سفيراً الى القاهرة في اواخر خريف سنة ١٥٠٢ م (سنة ٩٠٨ هـ) وكان عليماً باحوال السلطنة المصرية إذ كان قنصلاً للجمهورية في دمشق من سنة ١٤٩٦ الى سنة ١٥٠٠ م (٩٠٢ — ٩٠٦ هـ) وفي كل تلك المدة اثبت كفاءتهُ واقتدارهُ في خدمة مصالح بلادهِ . وكانت مأموريتهِ السرية ان يوقف سلطان مصر بالجملة والتفصيل على الاخطار المحدقة بهِ وبثروة بلادهِ من جراء اعمال البرتقال في بلاد الهند . ولقد بعثت الجمهورية اليهِ وهو بالقاهرة في يوم ١٤ ديسمبر (١٣ جمادى الثانية) من السنة المذكورة بلاغاً يتضمن آخر ما وصل اليهِ البرتقال في بلاد الهند وهو مما يوجب مزيد الخوف على مستقبل مصر والبندقية معاً . وكان من ضمن التعليمات المرسلة اليهِ ان يعرض على مسامع السلطان : ما هو حاصل عليهِ هو وبلادهُ من المكاسب الناجمة عن تجارة الابازير والبهارات وان هذه التجارة اذا تحولت الى طريق البرتقال فذلك يعود عليهِ وعلى بلادهِ بالعواقب الوخيمة وان ملك البرتقال قد دعا ملك الانكليز وسائر الامم النصرانية الى لشبونة لاخذ كل ما يحتاجون اليهِ من الفلفل والابازير بثمن بخس رخيص وان كثيراً من سفائن اوربة مزمعة على الاقلاع الى عاصمة البرتقال لاجابة هذا النداء وان البنادقة انفسهم (وان كان يشق عليهم ان يقطعوا علاقاتهم الودية القديمة مع مصر) فانهم قد يضطرون في آخر الامر الى الانقطاع عن التردد على الاسكندرية ودمياط وبيروت وانهُ ليس لهذه النازلة من دواء سوى السعي في اقفال ثغور الهند في وجه البرتقاليين حتى

(١) كانت رسوم الجمرك المقررة حينئذٍ هي باعتبار ٣٠ في المائة يضاف اليها من اللواحق ما يعادلها كما نص عليهِ القلقشندي

يضطر اسطولهم للرجوع بصابورتهِ (اي من غير شحن شيء من البهارات والابازير) فان هذا الامر لو تكرر مرتين اثنتين فقط فلن يرجع القوم الى الهند مرة ثالثة على الاطلاق وانهُ لأجل الوصول الى هذا الغرض يجب المبادرة بارسال سفراء من المصريين الى الهند لافهام ملوكهِ باسم سلطان مصر وجوب الاقلاع عن المداخلة والمعاملة مع البرتقاليين وقطع العلاقات معهم وافهامهم ان الضرر كل الضرر يعود عليهم انفسهم اذاهم آثروا هؤلاء الدخلاء على المصريين والعرب لان البرتقاليين لا يشترون منهم سوى الفلفل والابازير بخلاف المصريين والعرب فانهم يشترون منهم جميع مصنوعاتهم ومحصولاتهم ولذلك كانت معاملة الهنود معهما اكثر فائدة واوفر نفعاً من الاقتصار على بيع الابازير والبهارات

ادى السفير هذه المأمورية كما ينبغي وقام بمهمتهِ خير قيام ثم اقترح على السلطان انزال الاسعار لدرجة معقولة بحيث يتسنى للبنادقة ان يضغطوا على البرتقاليين ويسدوا المنافس والمنافذ في وجوههم فيقتلوا تجارتهم ويسترجعوا اسواق اوربة كلها لمصلحة البندقية ومصر

وفي اثناء ذلك وصل الى السلطان الغوري صريخ من الهند واليمن فقد استغاث بهِ التجار المصريون الذين اغرق الاميرال كابرال سفائنهم امام كاليكوت · واستنجد بهِ السامري صاحب كاليكوت وكان للبرتقال خصماً عنيداً وعدوًّا لدوداً لا ينفك عن مقارعتهم والتنكيل بمن يواليهم من ملوك الهند وصرف في ذلك اموالاً كثيرة حتى ضعف هو ورعاياهُ ومن والاهُ · وارسل سلطان كجرات السلطان ناصر الدين ابو الفتح مظفر شاه خليل بن محمود شاه بن محمد شاه بن احمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه يستمدي الغوري على البرتقال لتعديهم على بلادهِ ويطلب منهُ العدد والآلات والمدافع لدفع ضررهم عن المسلمين · وممن استجار بالغوري وطلب منهُ النجدة على الافرنج السلطان عامر بن عبد الوهاب صاحب اليمن لكثرة ضررهم في بحر اليمن وبنادرهِ وتواتر اذاهم وضعف جنود المسلمين بتلك الديار عن مقاومتهم لعدم معرفتهم بحرب البحار واستعمال المدافع

بهذه المثابة اجتمعت المنفعة التجارية المالية والمصلحة السياسية الدينية · فتحرك السلطان الغوري لهذين العاملين القويين وامر بانشاء اربعة اغربة حربية في دار الصنعة (ترسانة) بالقاهرة ثم حملها على ظهر الجمال وهي مفككة قطعاً قطعاً حتى وصلت الى ثغر الطور ومن هناك تولى العمال الاختصاصيون تركيبها وانزالها في البحر · قصد السلطان بارسالها الى بلاد الهند ان تكون كنموذج للسفائن الحربية المصرية في شكل طليعة للاسطول السلطاني الذي سيباشر القتال مع البرتقال

وصل هذا الخبر الى جمهورية البنادقة عن لسان دومنيكو كابللو (Domenico Capello)

قنصلها في القاهرة في جملة ما وافاها بهِ من الاخبار والماجريات ضمن مسطورهِ المؤرخ في ٢٤ نوفمبر سنة ١٥٠٩ (١٠ شعبان سنة ٩١٥ ﻫ) ولم يقف سلطان مصر عند هذا الحد من الابتداء في دفع البرتقال بل لجأ ايضاً الى الطرق السياسية فكلّف الراهب الاسباني موروس (Maurus) حارس دير جبل صهيون بمدينة القدس وهو من طغمة الفرنسيسكانيين بان يذهب الى اوربة في السفارة عنهُ لدى البندقية فالبابا فملك اسبانيا فملك البرتقال

كان وصول هذا السفير الى البندقية في يوم ٥ مارس سنة ١٥٠٤ (١٧ رمضان سنة ٩٠٩) وسلم جمهوريتها كتاباً لطيفاً من السلطان يقول فيهِ انهُ كثير العناية شديد الاهتمام باستمرار العلاقات التجارية بين بلادهِ وبين الجمهورية ويرجوها فيهِ ان تشدد أزر سفيرهِ الراهب بتوصية ملوك اوربة عليهِ . لكن الجمهورية امتنعت عن ذلك لاسباب كثيرة أخصها انها كانت تميل الى اجتناب كل ما يشتم منهُ انها هي التي حرّضت سلطان مصر على هذه المأمورية ولتخوفها من ان مساعيها ربما تأتي بعكس المطلوب وثالثاً لانها كانت مصافية لاسبانيا وللبرتقال فكان من واجبها عدم الاحتكاك بهما مواجهة . فلذلك قررت الوقوف على الحياد المشرب بالميل لمصر وسلطانها . فانطلق السفير المصري الى رومية في ربيع سنة ٩١٠ ﻫ (١٥٠٤ م) وقدم للحبر الاعظم شكوى سلطان مصر من فردينند الكاثوليكي ملك اسبانيا ومن عمانويل السعيد ملك البرتقال لان الاول تجاوز كل حد في اضطهاد المسلمين بغرناطة ولان الثاني لا يزال يواصل مساعيهُ في الهند اضراراً بمصالح السلطان وان هذا وذلك ربما يجران السلطان الى الاقدام على مالا يريد من الانتقام إما بهدم الاماكن التي تعظمها النصرانية في القدس الشريف وهي القبر المقدس (كنيسة القيامة) ودير جبل صهيون وأمثالها وإما بطرد جميع النصارى من ممالكهِ . هذا الخطاب السلطاني للكرسي البابوي مؤرخ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٠٣ (آخر ربيع الاول سنة ٩٠٩ ﻫ) وقد ضاع اصلهُ العربي في جملة ما ابادهُ الحدثان من كنوز مصر العلمية التاريخية واوراقها ومستنداتها الرسمية ولكن احد مؤرخي البرتقال وهو جويس (Goes) قد حفظ لنا ترجمتهُ الكاملة باللغة البرتقالية في التأليف الذي كتبهُ عن حياة الملك عمانويل (Chronica do Rey Emanuel)

وبناء على إلحاح السفير المصري كتب البابا يوليوس الثاني الى عمانويل يحضهُ على العدول عن مشروعاتهِ في الهند ولكنهُ لم يرضَ بالرد على سلطان مصر قبل ان يسمع اقوال الملكين المتهمين . وحينئذٍ خرج موروس من رومية في سنة ١٥٠٥ (سنة ٩١١ ﻫ) الى اسبانيا والبرتقال ولكنهُ فشل في الاولى ولم ينجح في الثانية بل ان ملك البرتقال جاوب البابا

بكتابهِ المؤَرخ ١٢ يونيو سنة ١٥٠٥ (سنة ٩١١ هـ) يلتمس من جانب قدسهِ ان لا يعير تهديدات السلطان ادنى التفات لان الايرادات العظيمة التي ينالها الغوري من حجاج الاماكن المقدسة تحول بينهُ وبين ما يتظاهر بهِ من قصد هدمها وقال عمانو يل انهُ لا يعبأُ قط بهذا الوعيد الفارغ

وفي اثناء ذلك كانت جمهورية البنادقة قد ارسلت سفيراً آخر الى القاهرة وهو برناردينوجيوڤا (Bernardino Giova) ولقد استقبلهُ السلطان الغوري في قلعة الجبل في يوم ٢٤ مايو سنة ١٥٠٤ (٩ ذي الحجة سنة ٩٠٩ هـ) فاحاطهُ علماً بان البرتقاليين لا يزالون يبعثون باساطيلهم التجارية الى الهند دون ان يكون في وسع البندقية الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون وان الابازير تنهال على لشبونة باسعار ارخص كثيراً مما هي في سوق دمياط والاسكندرية وان البرتقاليين يبيعونها لهذا السبب باثمان منحطة في انكلترا وفرنسا وفلندره وايطاليا وسائر بلاد اوربة بل ان كثيراً من التجار البنادقة عولوا على معاملة لشبونة حيث الرسوم الكمركية معدومة وانهُ مع ذلك كلهِ فلا تزال الجمهورية ميالة للتمسك بعلاقاتها القديمة مع مصر ولذلك فاملها وطيد في ان السلطان ينجح في اعادة المياه الى مجاريها بارجاع التيار التجاري الى وجهتهِ الاولى وانها للوصول الى هذه النتيجة تسمح لنفسها بان تستميح الاذن من السلطان بان يفعل ما تشير بهِ عليهِ وهو: اولاً — استحضار اكثر ما يمكنهُ من الابازير والقذف بها في اسواق اوربة لمزاحمة التجارة البرتقالية وتبويرها. ثانياً — المبادرة الى ارسال وكلاء سياسيين الى كشي (Cochin) وكننور (Cananore) لتفهيم ملكيها ان مصلحتهما الحالية ومصلحة بلادهما المستقلة تقضي عليهما بقطع ما بينهما وبين البرتقال من علاقات الود والولاء التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب حتى اذا ما ادركا الشراك التي ينصبها لهم البرتقاليون ثاب اليهما الرشد وحفظا لانفسهما الملك الموروث لهما وابقياهُ لاعقابهما والاَّ فالعاقبة وخيمة عليهما إذ لا بد للبرتقاليين من الاستيلاء على بلادهما في يوم قريب او بعيد وثالثاً ارسال السفراء الى السامري سلطان كاليكوت والى سلطان كنباية (Cambaye) لتعضيدهما فيما اخذا بهِ من مدافعة البرتقاليين عن بلادهما · نعم ان السلطان أحسن كل الاحسان في ارسال بعض الشواني الحربية الى تلك المياه ولكنهُ يحسن بهِ ان يرسل غيرها ايضاً ليستبقي هيبتهُ وسطوتهُ وليصون تجارتهُ وثروتهُ

احمد زكي باشا

سكرتير مجلس الوزراء

« ستأتي البقية »

علاج الدفثيريا والسلّ

للدكتور بيرنغ

نعينا الى قرائنا في احد اجزاء المقتطف الاخيرة البروفسور فون بيرنغ البكتريولوجي الالماني الشهير مكتشف طريقة علاج الدفثيريا بالمصل · وقد رأينا ان نقصّ في هذه العجالة كيفية اهتدائهِ الى هذا الاكتشاف الخطير الشأن فنقول :

لاحظ علماء البكتريولوجيا (علم المكروبات) منذ زمان طويل ان الجرذان البيض لا تصاب بالجمرة عادة في حين ان الجرذان السود تصاب بها فدهشوا لذلك وحاروا في سببهِ · فجرّب بيرنغ التجربة الآتية وذلك انهُ اخذ شيئًا من مصل دم جرذ ابيض ووضع فيهِ بعض مكروبات الجمرة فماتت بعد اقامتها فيهِ بمدة وجيزة · فكان هذا الاكتشاف واكتشاف البرفسور «نطل» ان لمصل الانسان وبعض الحيوانات الاخرى خواص مصل الجرذ — اساس المعالجة بالمصل

وفي سنة ١٨٨٨ ذهب بيرنغ الى برلين فعيّن مساعداً لكوخ في معهد الصحيين حيث تعرف بالدكتورين لفلر وكتساتو الياباني وكانا قد اكتشفا حديثًا مكروبي الدفثيريا والتتنوس وظهر لهما ان سبب هذين المرضين تكاثر مكروباتهما في محل الاصابة من غير ان تنتشر في الجسم فكان هذا الاكتشاف خطوة كبيرة في تعليل الامراض الخميرية ودلّ على ان المكروبات تفرز سمومًا قابلة الذوبان يمتصّها الجسم فتؤّثر في خلايا الجهاز العصبي وغيرهِ من الاعضاء الرئيسة

وفي تلك السنة عينها اثبت الدكتوران رو ويرسن بالتجارب صحة هذا التعليل · فانهما ربّيا مكروبات الدفثيريا في المرق ثم رشحاها بآنية فخّارية غير مدهونة وحقنا بعض الحيوانات بالمرق فظهرت عليها اعراض الدفثيريا مخففة واطلق على هذا السم اسم التكسين

وكان بيرنغ قد تابع مباحثهُ وتجاربهُ الاولى فربّى بعض انواع المكروبات وحقن بها بعض الحيوانات بمقادير صغيرة فاكتسبت مناعة حتى لم تعد الحقن الكبيرة تؤّثر فيها تأثيراً ذا خطر على حياتها · واثبت في انابيب الاختبار ان مصل هذه الحيوان اكتسب خاصة اماتة تلك المكروبات

وفي سنة ١٨٩٠ أعلن بيرنغ وكتساتو معًا مبدأ المناعة ضد التكسين اي ان الحيوان يوقى من الدفثيريا والتتنوس بحقنهِ حقنًا صغيرة متدرّجة بمكروباتهما المقتولة بعدما تستنبت

في المرق . فان الحقن بها يولّد في دم الحيوان موادّ تبطل فعل تكسين المكروبات . وابانا ايضاً ان الحيوان الذي حقن بمصل حيوانات حصلت على المناعة بهذه الطريقة يحتمل حقنة من هذه المكروبات او التكسين تكون قتالة لولا الحقن بالمصل . وانهُ اذا ظهر على الحيوان اعراض الدفثيريا او التتنوس فقد يشفى اذا حقن بالمصل . وسميا المادة الموجودة في مصل حيوان حصل على المناعة « ضد التكسين » . وقد بني بيرنغ وبار على هذا الاساس وجربا المصل في الاولاد فكانت النتيجة حسنة

ورأى الدكتور اميل رو الفرنسوي مدير معهد باستور الحالي عظم شأن هذا الاكتشاف فتوصل هو والدكتور لويس مارتن الى ابتداع طريقة لاستعمالهِ ولا تزال طريقتهما هي المتبعة الى الآن في جوهرها مع اختلاف قليل في التفاصيل العرضية . اما طريقتهما فهي انهما حقنا بعض الخيل حتى حصلت على المناعة فامكن بذلك استخراج مقادير كبيرة من مصلها وجربا هذا المصل هما وغيرهما من الاطباء في مستشفيات باريس فلم تأت سنة ١٨٩٤ حتى كانت معالجة الدفثيريا بالمصل قد قامت على اساس مكين

وقد حصر بيرنغ جهدهُ في الاثنتي عشرة سنة الماضية في وقاية الانسان والحيوانات من السلّ بتوليد المناعة فيهِ وفيها . شرع في العمل ونصب عينيهِ ثلاث قضايا . الاولى ان مكروبات التدرن او السلّ في الانسان والبقر هي تنوعات لنوع واحد. والثانية ان الانسان والحيوان يعديان كلاهما في طفولتهما بطريق الفم فيظهر السلّ فيهما بعد ذلك. والثالثة انهُ قلّ ان يسلم احد من الناس او البقر من هذه العدوى قبل البلوغ . اما القضية الاولى والثانية فلم يجمع العلماء على التسليم بهما ولاسيما انهُ لم تقم بينة ثابتة على صحتهما سوى قول بيرنغ انهما صحيحتان . على اننا لو سلمنا بصحتهما جدلاً للزم عن ذلك ان المناعة الواقية لا تكون فعّالة الاّ اذا عمد اليها في اوائل العمر . وقد حاول بيرنغ بالتجارب إكساب البقر هذه المناعة بتلقيحها بمكروبات التدرن الانساني بعد كسر حدّتها فلم تأتِ تجاربهُ طبق ماكان ينتظر منها

ولما كانت معالجة الاطفال بمكروبات التدرن الحية متعذرة حاول بيرنغ تحضير خلاصة من المكروبات المقتولة تفي بالحاجة . فحضّر خلاصة سماها « تولاز » وقال انها تكسب الحيوانات مناعة من مكروبات التدرن الحيّة وتؤثر تأثيراً فعالاً في علاج سلّ الانسان . ولم تعرف ماهية هذا التولاز تماماً وكلّ ما عرف عنهُ انهُ نتيجة فعل الكلورال هيدرات بمكروبات التدرن وانهُ غير التوبركولين . ولكن مرت بضع سنوات على اكتشاف التولاز ولم تظهر لهُ نتيجة شافية فاستنتج انهُ لم يفِ بالمرام

وقضى بيرانغ نحو عشرين سنة استاذاً للهيجين في جامعة مار برج ومديراً لمعهد الهيجين اي منذ سنة ١٨٩٥ الى قبيل موتهِ . وجوزي على اكتشاف مضاد التكسين سنة ١٨٩٥ بجائزة اكادمي الطب الفرنسوية والانستيتو الفرنسوي . واغدقت عليهِ الجمعيات العلمية نياشينها والقابها . وفي سنة ١٩٠١ حاز جائزة نوبل

بغداد امس واليوم

من شاء ان يعرف شعور البغداديين بما اصابهم بالامس وما اتيح لهم الآن فليقرأ الكتاب التالي وقد نشرتهُ احدى الصحف في ٢٥ سبتمبر الماضي فانهُ مطابق لما كتب بهِ الينا غير واحد من فضلاء بغداد وادبائها . قال صاحب الكتاب المشار اليهِ :

هربت من السجن بعد إقامتي فيهِ اياماً كثيرة واختفيت في بعض الدور وقلبي كلهُ اسى لما حل ببغداد وابناء بغداد

غادرتها ونار الجور تضطرم في جوانبها تشبُّها الايدي الاثيمة بقتلهم المجرم والبريء والصغير والكبير والشريف والوضيع

نفوس تزهق ودور تهدم واموال تنهب واعراض وحرمات تباح قد اناخ الظلم عليها بكلاكلهِ وخبطها بأيديهِ وارجلهِ فلا اسواق ولا منتزهات ولا مجالس ولا مجتمعات . زفرات تتردد وحسرات تتصعد على حين اعوز الملجأ وفقد المغيث وعدم الناصر وتفاقم الخطب وعظم الكرب فلا تسمع من الكلام الاَّ الهمس ولا تنظر في الشوارع الا الرجس

أرى النخيل الباسقة والنسيم يميلها يميناً وشمالاً فاخالها أرامل اولئك الشهداء قد نثرن شعورهنَّ في مأتم يندبن فيهِ جدودهنَّ العاثرات وحرماتهن المنتهكات او كأنها تماثيل مجد نصبتها الآباء فهي تنوح لما حلَّ بالابناء . كان يشوقني جداً زهر الرمان القانئ ولكنهُ صار يمثل لعيني دماء اولئك الابرياء الطاهرة فيغلبني البكاء . وكثيراً ما كنت ارتاح الى خرير ماء دجلة فأجلس اليهِ عند المصائب لاخفف بعض ما في النفس من الآلام ولكني في هذه المصيبة صرت اهرب منهُ لاني احسبهُ انين اليتامى تحت جنح الظلام او انهُ يئن جزعاً وحزناً على مجد العرب الداثر وشرفهم المضاع :

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كانك لم تجزع على ابن طريف

كيف انام وهل ينام السليم والقوم مسرعون في طلب هذا (الخائن) لم اكن وشرف

عدنان في تلك الساعات المرّة مهتمًّا بحياتي اكثر مما كنت مهتمًّا بحال اخواني الآخرين. تنهمل دموعي فتنصبُّ على خديَّ فابكي طويلاً ثم ارجع الى نفسي واطمعها بالفوز واعللها بالنجاح وارسم لها في مخيلتي خطة الفلاح فتطمئن وتبرق لها بارقة الرجاء فتستريح . مسكين « خيري » ضعيف الجسم يمضهُ الحزن ويسقمهُ الفكر فينام قليلاً في بعض الاحيان. نمت في غرفة تطلُّ على الطريق بعد ان قضيت شطراً من الليل في معمعان الهموم ومعترك الاحزان انازل الاهوال وابارز الكروب العظام

اهتزاز في الغرفة شديد وجلبة وضوضاء ووقع اقدام كثيرة في الطريق. انتبهت مذعوراً وارسلت توًّا نظري نحو الطريق وبالرغم من شدّة الريح وتكاثف الظلام رأيت ثلة من الجند التركي قد اجتازت الدار يتخلف عنها اثنان يتهامسان يقول احدهما لصاحبهِ : قد أُخليت المدينة وفي هذه الساعة يبرح قائد الشرطة والدرك بغداد. قال لهُ ذلك ومضيا يهرولان خلف رفاقهما

بقيت كالخشبة المسندة لما اعتراني من السرور لا ادري هل ما سمعتهُ في يقظة ام في منام. وضح الامر ولم يبقَ مجال للشك اذ كنت اسمع انفلاق الديناميت في بعض مباني الحكومة وأرى لهيب النار المضطرمة التي شبّها الظالمون في بعض الدور تشفياً وانتقاماً من اصحابها

وما حال الديار يهيج حزني ولكن حال من سكن الديارا

نهضت فصعدت السلم الى الطابق الاعلى تخيل لي ان السنة النار التي كنت اراها مرتفعة في الفضاء أَلسنة اولئك الشهداء المظلومين تدعو على الظالمين بالويل والدمار

علمت ان الامر قد تم فهللت وكبرت ونزلت الى غرفتي انظر الى المارّة وهم لفيف من الصعاليك طفقوا ينهبون الاسواق والمخازن فنبهت الخادم واوعزت اليهِ ان يسرج لي المصباح لاعلل نفسي بقراءة شيء من الكتب والجرائد ريثما يلوح الفجر. برق الفجر فنهضت مسرعاً وفتحت الباب وخرجت من الدار ايمم الشارع الكبير فكنت ارى الناس زرافات ووحداناً يمشون في الطرقات تلوح على وجوههم علامات البشر والسرور فتابعت السير حتى وصلت دور الحكومة فوجدت فيها طائفة من الصعاليك يتقاسمون اسرتها وكراسيها وما فيها من المنضدات وغيرها ورأيت كثيراً من البنادق الالمانية والتركية بيد الاطفال والصبيان وصادفت في طريقي كثيراً من ابناء السجون فهنأتهم بالسلامة ومضيت في شارع القشلاق العسكري انظر الى الدور المنهدمة والحرائق المضطرمة وما تركهُ الظالمون من آثار الخزي والعار وأنا انشد قول جرير في الفرزدق :

وكنتَ اذا حللت بدار قوم	رحلت بخزية وتركتَ عارا

حتى انتهيت الى الجسر فوجدتهُ قد أُحرق وأُغرق فعبرت دجلة الى الجانب الغربي في زورق صغير اليم داري حيث كانت امي الحزينة واولادي الصغار وزوجتي المسكينة في اشدّ الانتظار . رأوني ولكن لا استطيع ان اصف ما اعتراهم واعتراني من السرور حينما رأيتهم ورأوني . تجد امي قد تعلقت برقبتي تقبلني والصغار يصيحون و يهتفون باسمي وزوجتي لا تستطيع ان تبدي حراكاً . مضت عدة دقائق ونحن في تلك الحال والدموع تفيض على الخدود سروراً وفرحاً . جلست بينهم هنيهة ثم خرجت من الدار اليم « المسعودي » لاني سمعت ان احد جنرالات القائد مود صار قريباً من البلد فما كدت اصل رأس البلد من طريق باب الحلة حتى رأيت الجنرال قادماً وخلفهُ شباب الجند اصحاب السواعد المفتولة والعضلات القوية من ابناء بريطانيا وابناء الهند تلوح عليهم سيماء الشجاعة والبسالة وتبدو على اسرة وجوههم علائم النصر والظفر يقابلون الاهلين بوجوه مستبشرة وثغور باسمة يهشون بوجه هذا و يبشون بوجه ذاك وعليهم ابهة الرزانة والجلالة وشعار البأس والقوة فقابلهم الاهلون بالهتاف الشديد والسرور العظيم كانهم ملائكة انزلوا من السماء لانقاذهم من ايدي الغادرين الظالمين

قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . دخلت جيوش الحكومة البريطانية جيوش العدل والانصاف جيوش الحضارة والعمران وولت جيوش الظلم والاستبداد جيوش الهمجية والبربرية جيوش الباطل والكذب واستبدل النحس بالسعد والخمول بالمجد والظلام بالنور والحزن بالسرور

وصل الجنرال رأس الجسر الغربي حيث التفّ حولهُ لفيف من الاهلين فنادى مناديهِ من كان خائفاً فهو آمن ومن كان اسيراً فهو حرّ ومن كان بيدهِ سلاح فليلقهِ وليذهب كلّ الى عملهِ فتفرّق الناس وذهبوا الى اعمالهم بهمة ونشاط يرددون الحمد والشكر لبارئ السموات اذ نجاهم من الهلكة ووقاهم شرّ المحنة وصرف عنهم العذاب . ولم تمضِ ثلاثة ايام حتى لم يبقَ في بغداد شيء من السلاح الاّ وسلم الى الحكومة العسكرية عن طيب نفس وانشراح صدر

وارخصَ في الارض السلاح بعدلهِ	فليس يساوي الصارم العضبُ درهما

وفي اليوم الثالث دعا الحاكم العسكري موظفي البلدية واقرّهم على وظائفهم وامرهم بتنظيف البلد وتطهيرهِ و بالجد والاجتهاد في كل ما يؤول الى راحة الاهلين . ثم دعا

الاشراف والوجهاء اليهِ ووجه انظارهم الى عمران بلدهم وما يحتاجهُ من مساعداتهم وما توجبهُ الوطنية عليهم من السعي والعمل في هذا السبيل واوعز اليهم ان ينتخبوا ثمانيةمنهم لعضوية المجلس البلدي فانتخبوا اربعة من المسلمين واثنين من المسيحيين ومثلها من الموسويين وهكذا انشئ المجلس وجرت امور البلدية على احسن ما يرام · تجد الكنس والرش صباح مساء في الازقة والاسواق وفرش الآجر لا يزال دائباً في الشوارع وترى موظفي البلدية ساعين بكل نشاط وراء اعمالهم لا يفترون طرفة عين · ولم تمضِ بضعة ايام حتى انشأَت الحكومة جسرين صغيرين على دجلة في غاية الاتقان خصصت احدهما للاهلين والآخر للجيش ريثما يتم الجسر الكبير الذي بوشر بانشائهِ ثم اوعزت الحكومة الى ناظر المالية ان يرتب امور الاوقاف وادارتها وان يباشر بتعيين الموظفين الى الولاية وملحقاتها فاطاع ودعا الرؤَساء الروحانيين واشراف البلد واسند اليهم انتخاب مدير للاوقاف قادر على ادارتها غيور على تعميرها ففعلوا واسفر الانتخاب عن تعين العلامة الزاهد الورع السيد محمد سعيد الزهاوي مفتي بغداد السابق · ثم باشر الناظر بتعيين موظفي المالية في نفس الولاية وخارجها ففتش عن الرجال القادرين واسند اليهم الوظائف واوصاهم بالمعروف مع الاهلين وحذرهم من الظلم والطيش في الاعمال فذهب كلٌّ الى عملهِ وهو ممتلئ غيرة ونشاطاً · وهكذا قل عن دائرة البوليس ومديرها النشيط وانتخابهِ ابناء الاشراف واسنادهِ الوظائف المهمة اليهم واشرافهِ بنفسهِ على الاعمال وسهرهِ الدائم على كل ما يجري في بغداد من الامور سعياً وراء الامن والراحة العمومية فاصبحت دار السلام في تلك المدة القصيرة وهي دار السلام حقيقة لا مجازاً بل اصبحت قرة عين الناظر ومسرح افكار الناظم والناثر بعد ما كانت وكنت واقفاً على دجلة أُنشد فيها قبل ايام قليلة :

لهف نفسي عليك بغداد أُصبحـ ـتِ وما في حماكِ الاَّ الخمولُ
فيكِ أَضحى يا مهبط العلم للجهـ ـل مقرٌّ وللبلاء مقيلُ
ليت شعري بغداد تلك وهذي دجلة ذاك ماؤُها السلسبيلُ
لم يضيّق فناءها ذلك الرحـ ـب ولم يعرِ ربعها التعطيلُ
فلماذا تغير القوم فيها وسرى في شعوبها التبديلُ

نعم ضرب الامن اطنابهُ في الزوراء في مدة وجيزة بفضل الساهرين عليهِ من أَبناء بريطانيا الكرام ورجعت المياه الى مجاريها وفتحت الاسواق والمخازن وأَظهرت دار السلام زينتها فكنت ترى حركة غريبة بعد ذلك السكون والجمود الطويل

أعمال كثيرة وارزاق وفيرة وسعي وحركة مدهشان في كل الاعمال لا نهب ولا سلب ولا قتل ولا ضرب بل حقوق مصانة وسعادة ونعيم · تجد الاهلين نساء ورجالاً شيباً وشباناً على اختلاف مللهم ونحلهم في الصباح والمساء يقطعون الشوارع ذهاباً واياباً متجولين في ساحات وطنهم المحبوب فرحين مستبشرين كأنهم اخرجوا من السجن او كأنهم في يوم عيد بهيج · واي يوم ابهج او اسعد من يوم فيهِ أمن الخائف وفاز الآمل وحررت الرقاب وظهر الحق باجلى مظاهرهِ تحميهِ تلك القوة العظيمة قوة بريطانيا العادلة

ولا نبالي اذا ما كنتِ جارتنا ان لا يجاورنا إلاَّكِ ديَّارُ

وفي الايام الاولى من دخول البريطانيين نشر الجنرال مود القائد العام منشوراً أبان فيهِ رغبة بريطانيا وحلفائها في تحرير الامم المظلومة وانقاذها من ايدي الظلم والاستبداد ولاسيما الامة العربية ذات التاريخ المجيد وصرح لهم انهُ لم يدخل هذه البلاد الاَّ بصفة محرر ومنقذ خدمة للانسانية وقياماً بواجب البشرية ودعا الاهلين الى ان يتكاتفوا مع الحكومة لادارة شؤونهم واوطانهم ووعدهم بكل خير ومنَّاهم بكل فلاَّح · فقابل الاهلون منشور القائد العام بسرور عظيم وطفقت الوفود من رؤساء العرب وأشرافها تفد تباعاً على السر برسي كوكس الحاكم السياسي العام يهنئونهُ بالنصر و يعرضون عليهِ الطاعة و يقدمون لهُ آيات الشكر والثناء على ما قام بهِ الجيش البريطاني من الواجب في انقاذ البلاد والعباد من مخالب الظالمين فيقابلهم حضرتهُ بما جبل عليهِ من مكارم الاخلاق باللطف واللين والتبجيل والتكريم فيخرجون وكلهم ألسنة تلهج بالثناء على حضرتهِ والدعاء بتأييد حكومة بريطانيا محرّرة الامم والشعوب

كتبت هذه الاسطر وانا متجوّل في عشائر زبيد وقد قابلت جل رؤسائهم كما قابلت كثيراً غيرهم من الرؤساء فوجدتهم جميعاً في اعظم ما يكون من السرور يعلقون آمالاً كباراً على حكومتهم الجديدة في اصلاح شؤونهم ويشكرونها شكراً جزيلاً على اهتمامها بامر العرب ولاسيما بامر جلالة الملك العربي الحسين بن علي وهم مشوقون لاخبار الحجاز وما يتعلق بهِ من الشؤون والاحوال كما انهم يتمنون في العاجل القريب تطهير الموصل وسوريا من ارجاس هولاكو وتيمور وانقاذ اخوانهم الباقين في تلك الاصقاع من مخالب أبناء جنكيز وما ذلك على حكومة بريطانيا بعزيز

جزيرة بغداد السيد خيري الهنداوي

مراعي المستقبل

ما زال الانسان منذ بدء اهتمامهِ بالعمران يطلب المراعي لما يربي من الماشية . وكانت هذه المراعي قريبة من مساكنهِ فلما تحولت هذه المساكن المنفردة قرى ومدناً بتقدم العمران وكثر طلب الارض للبناء ارتفع ثمن الارض فجعلت المراعي تتقلص عن مراكز العمران وتنتقل الى الارض الرخيصة الثمن التي يتعذر حرثها لسبب من الاسباب . اذ ليس من الاقتصاد في شيء ان الارض التي يخرج الفدان منها خمسة ارادب من القمح مثلاً تترك مراعي للماشية بل ان هذه الارض يجب زرعها حبوباً و بقولاً . فلذلك ترى المراعي تنحسر عن مراكز العمران في كل بلد آخذ باسباب العمران سواء كان قديم العهد بهِ او حديثهُ

وربَّ سائل يسأل الى متى يدوم هـذا الانحسار وعند اي حدّ يقف . فنقول في الجواب انهُ لا يدوم طويلاً . فمتى شرع النوع الانساني يخطو الخطوة التالية في سبيل التقدم ويحوّل همهُ عن الاشياء التي هي اعراض هذه الحياة الدنيا الى الناس الذين هم جوهرها . وعن اختراع المخترعات الكثيرة العجيبة الى اخراج شعوب قوية عجيبة فحينئذٍ تبطل الحروب ويزداد الناس ازدياداً طبيعيًّا فيجعل الانسان همهُ الاول اجهاد الارض لتخرج غاية ما تستطيع من البقول وسائر المزروعات لطعامهِ ولباسهِ فتتضاءل المراعي على التوالي

علمتنا الجغرافية ان سطح الارض ربعهُ يابسة والثلاثة الارباع ماء . وهذا وحدهُ كافٍ للدلالة على ان لا غنى للانسان في مستقبل الزمان عن الاعتماد على البحر في استخراج طعامهِ . فاذا لم يبقَ لغنمنا و بقرنا ارض ترعى فيها فلا مناص لنا من العدول عن تربيتها واذا لم تبق لنا ماشية نأكل لحمها فلا غنى لنا عن طلب اللحم من مصدر آخر هو الماء . وتاريخ الانسان الماضي تاريخ سفهٍ واسراف من حيث معاملتهُ للحيوانات التي يحتاج اليها في معاشهِ سواء كانت من الماشية او الطير او السمك

فلنأخذ مثلاً تاريخ معاملتهِ للحيتان اكبر الحيوانات التي دبّت على البرّ او سبحت في البحر . فقد ذكر صيد الحوت في القرن التاسع ولكنهُ لم يصبح حرفة قائمة بنفسها واسعة النطاق حتى القرن السادس عشر حينما كثر صيد الصيادين الفرنسويين والاسبان للحوت من بحار اوربا الغربية وجنوا منهُ الاموال الطائلة . ولم يأتِ القرن السابع عشر حتى بات

صيد الحوت من اعظم التجارات ربحاً وانتقل مركز هذه الصناعة من اوربا الى شمال اميركا بعد ما رأى هنري هدصن الاميركي في سياحتهِ الاولى الى جرينلندا وجزر سبتزبرجن غير الآهلة ان البحار هناك تغصُّ بالحيتان . فكان يصاد كل سنة منها الف حوت او اكثر . ودام الحال على هذا المنوال سنين كثيرة حتى قال كاتب ان صيد الحوت في تلك المدة كان اربح التجارات الطبيعية التي اشتغل الناس بها منذ اول عهدهم بالتجارة . وحتى قدروا ان صياداً واحداً باع من الحيتان في سنة واحدة بنحو عشرين الف جنيه

ثم عقب هذا المدّ جزر لم يكن منهُ بدٌّ بعد هذا الاسراف مصداقاً لحكاية المرأة التي كان لها دجاجة تبيض كل يوم بيضة ذهباً . فقالت في نفسها ان انا شققت بطنها استخرجت ما فيهِ من البيض جملة فاغنني دفعة واحدة فلما فعلت ذلك لم تجد في بطنها شيئاً . فان الاقبال على صيد الحوت افضى الى عمران تلك الاصقاع النائية حتى قامت مدينة في سبتزبرجن تعدّ عشرين الف نسمة في مدة قصيرة كانها يوم وليلة . فلما انقطع الحوت وبارت تجارتهُ أقفرت تلك البيوت وامست خاوية ليس فيها ديّار

وكان للولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٤٦ اسطول من سفن صيد الحوت عددها يقرب من سبع مئة فقامت فيها تجارة قُدّر رأس مالها حينئذٍ بسبعين مليون دولار حتى نضبت الحيتان من الاتلانتيكي فدار الصيادون حول اميركا الجنوبية واندفعوا الى الباسيفيكي يصيدون حوتهُ . وقد قال بعض العارفين في كتاب كتبهُ عن الحيتان انهُ كان يمرّ بساحل كليفورنيا ٣٠ الف حوت او ٤٠ الفاً كل سنة من سني العقد الخامس من القرن التاسع عشر . وكانت هذه الحيتان ترى من الساحل وطول الواحد منها يبلغ ٤٠ قدماً او اكثر وكانت اناثها تقصد خلجان البحر الهادئة تحسبها آمنة لتلد صغارها فكان الصيادون ينقضون عليها وعلى نتاجها فيوردونها حتفها . وما برح هذا دأبهم حتى استأصلوا الاصل والفرع وحتى ليجول الصياد الآن على ظهر الاوقيانس الوفاً من الاميال لا يرى حوتاً فضلاً عن ان يصيدهُ

والحوت يصاد للدهن الذي يستخرج من جسمهِ والعظم الذي يستخرج من فكهِ الاعلى . وكانوا يستعملون الدهن للاستضاءة فلما شاع البترول بطل استعمالهُ وصاروا اذا اصطادوا حوتاً يأخذون عظمهُ وينبذون دهنهُ . وكان هذا العظم رخيص الثمن يباع الرطل منهُ بنحو ثلاثة غروش ولكنهُ جعل يغلو بازدياد طلبهِ حتى بلغ سعر الرطل منهُ نحو ١٣٥ غرشاً . اما لحم الحوت فكان ينبذ على كلّ حال حتى تنبهوا في العهد الاخير الى منافعهِ بعد ما رأوا اليابان تستعملهُ طعاماً لها طريّاً وقديداً منذ سنين كثيرة . وقد قدّروا ان في الحوت الذي

طولهُ نحو ٦٠ قدماً من اللحم ما في سبعين ثوراً . وكان لحم الحوت الجيد الطريء يباع في اليابان الرطل بغرش ونصف الى ثلاثة غروش حسب جودتهِ . وما لا يمكن بيعهُ في اسواق المدن الكبرى طريًّا لسبب من الاسباب كشدة حرارة الهواء او بعد المصايد عن المدن كان يقدد و يوضع في العلب . و يقال ان من لحم الحوت ما اذا احسن تدبيرهُ لم يفرق عن لحم البقر الجيّد . وكثير منهُ يؤكل في نروج

وفي البحر حيوانات اخرى كثيرة لحمها كثير الغذاء طيب النكهة اذا أُحسن تدبيرهُ وهي ليست باحسن حالاً من الحوت من حيث معاملة الانسان لها . واشهر انواعها عجل البحر او الفقمة المعروفة باسم Seal في الانكليزية . فانهُ طعام اهل الاصقاع الشمالية الذين ليس عندهم الوعل . يصيدهُ الصيادون للاتجار بفروهِ كما يتجرون بفرو الارنب والثعلب والسنور وغيرها من الحيوانات و ينبذون لحمهُ . وهو لو عني بهِ فقدد ووضع في العلب لسدَّ كثيراً من الافواه الجائعة التي لا تذوق اللحم لغلائهِ . ومما يدلُّ على عظم فتك الانسان بهِ انهُ بلغ ما اصطيد منهُ اربعة ملايين عجل سنة ١٨٦٧ فهبط الى ١٥٠ الفاً سنة ١٩١١ . ولما رأَت الدول التي يكثر عجل البحر في ارضها ما آل اليهِ امرهُ خافت ان ينقرض انقراض كثير من الحيوان قبلهُ ببغي ابن آدم وعدوانهِ فعقدت انكلترا وروسيا واميركا واليابان موتمراً سنة ١٩١١ سمتهُ موتمر فرو الفقمة الدولي فقررت حمايتهُ في الاوقيانس الباسيفيكي مدة ١٥ سنة بمعنى انهُ لا يجوز صيدهُ فيهِ الاَّ على شروط معينة تقلّل الفتك بهِ

هذه خلاصة مقالة نشرتها المجلة العلمية الشهرية التي تصدر في اميركا بقلم احد العارفين . وقد ختمها منحيًا على الناس عامة باللائمة لسوء سلوكهم نحو الحيوانات التي هم في اشدّ الحاجة اليها في طعامهم ولباسهم وسائر مرافقهم المعاشية فقال : ان الخطة التي نسير عليها من جهة طعامنا مبنية على اساس الشهوة دون غيرها . فان معظم الناس يعيشون ليأكلوا وقليل هم الذين يأكلون ليعيشوا . وترانا اذا قدم الينا لون من الوان الطعام لم نتعودهُ اول ما نسأَل هل هو لذيذ الطعم ولا نسأَل هل هو مغذٍّ يقوت الجسم »

اما العنوان فمأْخوذ من قول رجل من اهل جزيرة ننتوكت وهي جزيرة قاحلة في عرض الاوقيانس . رأَى الحيتان في زمانهِ — نحو اواخر القرن السابع عشر — تلعب في البحر وتمرح فقال : هذا مرعى نضر لاحفاد اولادنا سوف يقصدونهُ لاستخراج طعامهم منهُ » . اراد بذلك انهم سيصيدون حوتهُ للاتجار بهِ والربح منهُ . وقد فعلوا ولكنهم غالوا في صيدهِ حتى كاد ينقرض ولو عني بهِ و بغيرهِ من الحيوانات البحرية المتعددة الانواع

تقضي بها اولاد اولاد دنا حاجة عظيمة يوم تقلّ المراعي باتساع دائرة العمران فتقلّ تربية المواشي و يقلّ لحمها وحينئذٍ فلا بد للانسان مما يسدّ مسدّهُ الاَّ اذا تحول على التوالي من اكل اللحوم الى اكل الخضر والبقول وهذا ما سيقاد اليهِ مضطرًّا لا مختاراً فيما نرى

ولقد اهتممنا بتلخيص هذه المقالة لان موضوعها اكثر انطباقًا على هذا القطر منهُ على غيرهِ فتكاد المراعي تنقرض منهُ تمامًا وسوف لا يبقى لها اثر فيهِ حينما تكثر مياه الري وتصير كافية لكل الاطيان التي يمكن اصلاحها وزرعها . والبرسيم الذي يزرع فيهِ الآن اثمن من ان ترعاهُ القطعان والمواشي المعدة للذبح ولذلك يضطر القطر ان يجلب اكثر ما يذبح فيهِ من الغنم والبقر من السودان و بلاد الشام . ولكن الغذاء في السمك لا يقل عن الغذاء في لحم الغنم والبقر . وفي القطر اربعة مصادر كبيرة للسمك اولها بحر الروم والبحر الاحمر شمالاً وشرقًا والسمك فيها كثير على انواعهِ فاذا انتظم صيدهُ على اسلوب علمي كفى القطر وسهل اصدار شيءٍ كثير منهُ ولو مقدداً

وثانيها البحيرات الكبيرة بحيرة المنزلة و بحيرة البرلُّس و بحيرة ادكو و بحيرة مريوط . وهي كثيرة السمك واذا اعتني بتربية السمك فيها على طرق علمية وجلبت اليها الانواع الفاخرة منهُ كفت بلاداً اكبر من القطر المصري

وثالثها بركة قارون وهي بحيرة كبيرة كثيرة السمك يرسل من سمكها من محطتين فقط من محطات سكة الحديد وهما محطة ابو كساه ومحطة ابشواي اكثر من خمسة عشر مليون كيلو في السنة ونظن ان ما يرسل من سائر المحطات يزيد على ذلك كثيراً . وسمكها العريض من اطيب انواع السمك واكثرها غذاء للجسم وتوليداً للقوَّة لكثرة ما فيهِ من الدهن . ذاقهُ في العام الماضي رجل فرنسوي من الكبراء الاكولين المشهورين بانتقاد الاطعمة فقال على مسمع منا انهُ الذ سمك اكلهُ في حياتهِ . ولقد احسنت الحكومة بمنع الصيد منها في زمن تفريخ السمك وحبذا لو اطالت زمن المنع قليلاً لان السمك الذي يصاد منها بعيد زمن المنع يكون صغيراً جدًّا في الغالب

والرابع النيل والترع الكبيرة المتفرعة منهُ . ولو جرت المياه الى بعض المواطيء التي لا تزرع لوطوها وربي السمك فيها على طريقة علمية لكان منها دخل كبير لا يستخفّ بهِ

والخلاصة انهُ ان عدم القطر المصري المراعي النباتية ففيهِ مراعٍ مائية واسعة جدًّا لتربية السمك والاستغناء بلحمهِ عن لحم غيرهِ

المعادن وقت الحرب

قال لقريطيوس الشاعر الروماني الذي توفي قبل المسيح بخمس وخمسين سنة « ان اسلحة الاقدمين كانت اياديهم واظافرهم واسنانهم والحجارة والعصي والنار حالما تعلموا اضرامها ثم اكتشفوا استعمال الحديد والنحاس ولكنهم استعملوا النحاس قبل الحديد لان سبكهُ اسهل والموجود منهُ اكثر »

واشعار العرب الحماسية في الجاهلية والاسلام الى عهد غير بعيد لا يذكر فيها الاَّ السيوف والرماح والحراب والسهام والدروع والتروس والخوذ وما اشبه. وكلها من الحديد او النحاس. ثم اضيفت اليها المجانق والنار اليونانية الى ان استُنبط البارود في القرون الوسطى فصار اكثر الاعتماد عليهِ في رمي العدو بما يهدم حصونهُ ويغرق سفنهُ و يقتلهُ او يجرحهُ جروحًا تمنعهُ من الحرب . وآلة البارود التي تحشى بهِ والقنابل التي يقذفها باشتعالهِ من المعادن ايضًا فبقي الاعتماد على المعادن مع المواد التي صنع البارود منها

وقد كثرت المعادن التي يعتمد عليها الآن في الحروب فهي الحديد والنحاس والزنك والرصاص والانتيمون والمنغنيس والنكل والكروم والتنجستن والمولبدنم وكلها لازمة جدًّا فلا يستغني بواحد منها عن غيرهِ ولكن بعضها يستعمل بمقادير كبيرة كالحديد و بعضها بمقادير قليلة كالمعادن التي تستعمل لتقسيتهِ وصيرورتهِ فولاذاً (صلبًا) . والبارود وما يجري مجراهُ من المتفجرات يدخل في تركيبها النتروجين والكبريت والكربون والالومينيوم و بعض المواد الآلية المستخرجة من قطران الفحم الحجري وكلها من المواد الكيماوية ولو لم تكن من المعادن . ولا بدَّ لسكك الحديد والاوتوموبيلات والسفن على انواعها من الفحم الحجري والزيت والمعادن كالحديد والنحاس . ولا بد للتلغراف السلكي واللاسلكي من النحاس والبلاتين . والاطعمة وهي اهم ما يلزم للجنود تستخرج من الارض ولا يكثر مقدارها الاَّ اذا سمدت الارض جيداً بالاسمدة النتروجينية والفصفورية

وفوق ذلك كلهِ لا تستطيع دولة ان تفوز في حرب ما لم تكن مواردها المالية كافية وما لم يكن عندها ذهب تشتري بهِ ما تحتاج اليهِ من البلدان الاخرى لان عملة الورق لا تغني اذا لم يكن وراءها ذهب يسندها

والعناصر التي تتركب منها الكرة الارضية وما عليها تبلغ نحو ثمانين عنصراً وثلاثون

منها لازمة للحرب فاذا فقدت دولة من الدول بعضها وتعذَّر عليها جلبهُ من بلاد اخرى تعذر عليها ان تتغلَّب على عدوها مهما قويت شجاعة جنودها وصبرهم على المكاره . بل ان فَقد عنصر واحد من العناصر الضرورية قد يكون سبباً لانكسار تلك الدولة

اذا اتضح ذلك ظهر انهُ ما من دولة تستطيع ان تتسع وتستولي على بلدان كثيرة في هذا الزمن ما لم يكن في بلادها كثير من المعادن والعناصر الضرورية كالامبراطورية البريطانية والامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسوية . لكن بعض المواد الضرورية قليلة في المانيا كالنحاس والنكل والالومينيوم والقصدير والانتيمون والمنغنيس والبترول والنتروجين لكنها تمكنت مع ذلك من تدبير امرها حتى الآن بالمقادير الكبيرة التي جلبتها في اول الحرب من اسوج ونروج ولعلها خزنت مقادير منها قبل الحرب استعداداً لها . ولولا مقاطعة اللورين التي اخذتها سنة ١٨٧١ لكان ما فيها من مناجم الحديد غير كافٍ لمواصلة الحرب فان مناجم هذه المقاطعة تعادل كل مناجم البلاد الالمانية . ثم انها وجهت همها من اول الحرب الى الاستيلاء على المقاطعات الفرنسوية الغنية بالمعادن فحرمت فرنسا من ٨٥ في المئة من حديدها وهي تحارب فرنسا وانكلترا الآن بمدافع وقنابل مسبوكة من الحديد الفرنسوي وتقسي هذا الحديد وتصيرهُ صلباً باسلوب استنبطهُ رجلان انكليزيان

وانكلترا كثيرة الحديد والفحم الحجري وينقصها معادن اخرى ومواد اخرى لازمة للحرب ولكن يسهل عليها جلبها من اماكنها لان البحار طوع امرها . واكثر الذهب يستخرج من البلدان الانكليزية فتشتري بهِ ما تحتاج اليهِ

اما فرنسا فاهم مناجمها صارت في قبضة الالمان كما تقدم ولكن طريق البحر مفتوح امامها لجلب ما تشاء وهي بلاد صناعية يسهل عليها عمل ما تريد اذا وجدت المواد الاولية . وروسيا كثيرة المعادن ولكن استخراج المعادن من مناجمها قليل ولذلك لا تستطيع ان تسلح كل رجالها ولولا بقاء مقاليد البحر في يد انكلترا لتعذر ارسال الاسلحة الكافية الى روسيا والمعادن الاولية الى فرنسا

وقد ظهر احتياج الدول المتحاربة الى المعادن بارتفاع اسعارها المتوالي فالحديد الذي كان الطن منهُ يباع في اميركا قبل الحرب بثلاثة جنيهات تضاعف ثمنهُ هناك قبل نهاية سنة ١٩١٦ وبلغ عندنا اكثر من عشرة اضعاف بما اضيف اليهِ من اجرة الشحن . والنحاس الذي كان ثمن الرطل منهُ اقل من ثلاثة غروش بلغ قبل نهاية سنة ١٩١٦ سبعة غروش .

والزنك الذي كان رطلهُ يباع قبل الحرب بغرش بلغ ثمنهُ اربعة غروش في النصف الاول من سنة ١٩١٥ . والفضة التي كان ثمن الاوقية منها ١١ غرشاً في اول الحرب صار الآن نحو ١٨ غرشاً. والانتيمون كان قليل الاستعمال قبل الحرب وكانت الاوقية منهُ تباع بنحو غرش ونصف فبلغ ثمنها نحو تسعة غروش في شهر مارس سنة ١٩١٦ وحينئذٍ جعلت الصين تستخرج الانتيمون بكثرة وهو كثير فيها فهبط سعرهُ في آخر تلك السنة الى نحو ثلاثة غروش الاوقية. والالومينيوم كان ثمن الرطل منهُ في بداءة الحرب نحو ثلاثة غروش ونصف فصار ١٢ غرشاً سنة ١٩١٦

وبزيادة اسعار المعادن زاد العمل في المناجم وزاد ربح اصحابها . فالمناجم الاميركية التي وزّعت ربحاً مقدارهُ ٧٨ مليون ريال سنة ١٩١٥ بلغ الربح الذي وزعتهُ في العام الماضي ١٧٠ مليون ريال

وكان من نتائج هذه الحرب ان تراكم الذهب في الولايات المتحدة الاميركية لان بلدان اوربا المتحاربة اضطرت ان ترسل اليها بالكثير من ذهبها لابتياع ما تحتاج اليهِ منها فبلغ ما اجتمع منهُ فيها في شهر نوفمبر الماضي ٥٤٠ مليون جنيه . وكل ما يستخرج من الذهب الآن من مناجم الذهب في المسكونة كلها يرسل الى الولايات المتحدة . ولعلَّ ذلك من اكبر الاسباب لارتفاع الاسعار

وسيكون للمعادن وكثرتها وقلتها شأن كبير في اطالة الحرب او تقصيرها كما كان للسيوف والسهام والرماح في العصور الغابرة . وما دام الطبع الوحشي متسلطاً على الانسان لم يعدم وسيلة يقتل بها مناظرهُ او يوقع الاذى بهِ

وآلة الحرب الرجال والمعادن. وقد كان الاعتماد فيها على قوة الرجال البدنية ومهارتهم في استعمال الاسلحة والكر والفر او الهجوم والدفاع وعلى صلابة المعادن وجودة طبعها واتقان وضعها . اي كانت الحرب صناعة اما الآن فصارت علماً يستخدم مادّة الرجال والمعادن لقهر العدو على اساليب علمية مدققة. ومما يدعو الى الاسف الشديد ان الطبع الوحشي يستعمل العلم الذي هو اشرف نتائج عقل الانسان للفتك بالانسان



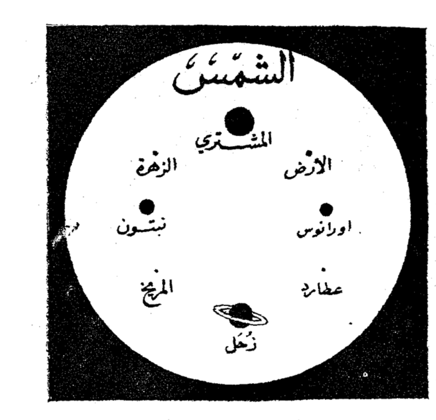
السر هنري رسكو

مقتطف سبتمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٣٠٩



بطليموس صاحب الرأي القديم



الشمس وسيّاراتها حسب نسبة اقدارها اليها

مقتطف نوفمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٤٧٣

بسائط علم الفلك

(٢)

ذكرنا في الجزء الماضي مذهب بطليموس في هيئة الفلك وخلاصتهُ ان كرة الارض قائمة في مركز الكون وان الشمس والقمر والنجوم السيَّارة وغير السيَّارة تدور حولها دورة كاملة كل يوم من الشرق الغرب كما يظهر لعين الناظر

وقد يظن لاول وهلة ان الذين قالوا بهذا المذهب من علماء الفلك اليونان والرومان والعرب كانوا مثل العامّة في هذا العصر الذين لم يدرسوا علم الفلك او لم يقفوا على تفاصيل المذهب الجديد الذي يجعل الشمس مركز النظام الشمسي و يثبت ان الارض والسيارات تدور حولها . وانهم كانوا مثل العامّة يحسبون الشمس قرصاً صغيراً كراحتي اليد والقمر مثلها او اصغر قليلاً والكواكب والنجوم نقطاً منيرة في الفلك . وليس الامر كذلك بل ان جمهور المتعلمين حتى رجال الادب كانوا يعلمون ان الشمس والقمر والنجوم كبيرة جدًّا لا كما ترى بالعين . قال ابو العلاء المعري

والنجمُ تستصغر الابصار صورتهُ والذنب للطرف لا للنجم في الصغرِ

اما علماء الفلك فعرفوا ان الشمس والقمر والكواكب والنجوم كبيرة جدًّا قبل بطليموس و بعدهُ ولم يكتفوا بهذا القول المجمل بانين اياهُ على الظن بل قاسوا اجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية وعرفوا مقدارها بما يقرب من الحقيقة وقاسوا ايضاً ابعادها عن الارض وسعة الافلاك التي تدور فيها وشكلها . والنتائج التي وصلوا اليها مبنيَّة على مقدمات صحيحة في الغالب ولم تأتِ مطابقة للواقع لان آلات الرصد التي صنعوها لم تكن دقيقة

فعرفوا ان الارض كرة من شكل ظلها المستدير على القمر وقت خسوفهِ ووجدوا بالقياس ان قطرها نحو ثمانية آلاف ميل من اميالنا وقالوا ان الشمس اكبر منها نحو ١٦٦ مرة وان قطرها اطول من قطر الارض خمس مرات ونصف مرة وان بعدها عن الارض يبلغ نحو ٤٨٠٠٠٠٠ ميل . وان القمر اصغر من الارض فان قطرهُ ١١٤١ ميلاً فقط و بعدهُ عن الارض نحو ٢٤٣٠٠٠ ميل . وعطارد اصغر من الارض ايضاً لكنهُ ليس نقطة في السماء بل هو اكبر من القمر وقطرهُ ١٤٨٠ ميلاً و بعدهُ عن الارض ٦٦٤٠٠٠ ميل . والزهرة اكبر منهُ ولكنها اصغر من الارض وقطرها ٢٢٢٠ ميلاً و بعدها عن الارض

٢٤٧٢٠٠٠ والمريخ اكبر منها وقطرهُ ٤٥٩١ ميلاً و بعدهُ عن الارض ٣٢٠٨٨٠٠٠ ميل · والمشتري اكبر منهُ كثيراً ومن الارض ايضاً وهلمَّ جرًّا · وهاك جدولاً اثبتنا فيهِ اقطار هذه الاجرام وابعادها عن الارض حسب ما وجدهُ المتقدمون قبل بطليموس و بعدهُ الى ان صنع التلسكوب وآلات الرصد الجديدة · واقطارها وابعادها عن الشمس كما عُرِفت الآن

	حسب القياس القديم		حسب القياس الحديث	
	القطر	البعد عن الارض	القطر	البعد عن الشمس
عطارد	١٤٨٠	٦٦٤ ٠٠٠	٢٩٧٤ ميلاً	٣٦ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل
الزهرة	٢٢٢٠	٢ ٤٧٢ ٠٠٠	٧٦٩٢ «	٦٧ ٠٠٠ ٠٠٠ «
الارض	٧٨٥٠		٧٩١٧ «	٩٣ ٠٠٠ ٠٠٠ «
المريخ	٤٥٩١	٣٢ ٠٨٨ ٠٠٠	٤٣١٦ «	١٤٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «
المشتري	٣٤٦٦٦	٥١ ٦٩٦ ٠٠٠	٨٦٢٥٩ «	٤٨٤ ٠٠٠ ٠٠٠ «
زحل	٢٩١٦٦	٧٢ ٣٧٦ ٠٠٠	٧٢٧٧٢ «	٨٨٧ ٠٠٠ ٠٠٠ «
الشمس	٤٤٠٠٠	٤ ٨٠٠ ٠٠٠	٨٦٦٠٠٠ «	

ورب قائل يقول كيف قاس القدماء قطر الارض واقطار هذه الكواكب وابعادها ولم يكن لديهم شيءٌ من آلات الرصد المستعملة الآن

والجواب ان علماء الفلك المشار اليهم كانوا يعرفون من علم الهندسة وحساب المثلثات ما مكنهم من ذلك وهو مما لا يعرفهُ العامة في عصرنا ولا اكثر الخاصَّة ولذلك يصعب علينا ان نشرح لجمهور القراءِ كل الاساليب التي جروا عليها شرحاً يفهمهُ الذين لم يدرسوا علم الهندسة وعلم حساب المثلثات على الاقل ولكن ما لا يدرك كلُّهُ لا يترك كلُّهُ

اما قطر الارض اي الخط الوهمي المستقيم المرسوم في قلب الارض من طرف الى طرف مارًّا بمركزها فقد يظهر لاول وهلة ان معرفة طولهِ ضرب من المحال ولكن اذا قسنا محيط الارض اي الخط الذي يدور حولها ويقسمها قسمين متساويين (وسمي عند علماء الهندسة بالدائرة العظيمة) عرفنا طول قطر الارض من غير ان نقيسهُ لان القطر نحو ثلث المحيط او اقل من الثلث بقليل · وقياس المحيط كلهِ ليس في الامكان ولا يحتمل ان يتوخاهُ احد ولكن اذا تعذر علينا قياس خط طويل مثل هذا يمر حول البحار والجبال والوهاد لم يتعذر علينا ان نقسمهُ الى مئة قسم او الف قسم متساوية فاذا قسنا قسماً واحداً منها عرفنا

قياسها كلها · والدائرة تقسم اصطلاحاً الى ٣٦٠ قسماً متساوية تسمَّى درجات فاذا قسنا طول درجة واحدة من محيط الارض عرفنا طول محيطها كلهِ · وهذا فعلهُ علماء الفلك من اليونان قبل بطليموس ومن العرب بعده

اما اليونان فيقال ان عالماً منهم اسمهُ اراتوسثنس Eratosthenes ولد في القيروان سنة ٢٧٦ قبل المسيح ودرس في الاسكندرية واثينا ثم دعي الى الاسكندرية سنة ٢٣٤ فاقام فيها الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٩٤ قبل المسيح · هذا الرجل ألَّف كتاباً في معرفة جرم الارض وقال ان الشمس تكون عمودية فوق الارض في مدينة اسوان وقت الانقلاب الصيفي فاذا نُصب عمود في الارض هناك لم يظهر لهُ في الظهيرة ظلٌّ ممتد شمالاً واذا نصب عمود آخر مثلهُ في الاسكندرية ظهر لهُ ظل شماليٌّ في تلك الدقيقة عينها واذا رسم خط من اعلى العمود الى طرف الظل وجدت الزاوية التي تكون بينهُ وبين الظل سبع درجات وخمس درجة · فهي درجات المسافة بين الاسكندرية واسوان · والمسافة من الاسكندرية الى اسوان يسهل قياسها والظاهر انها كانت مقيسة حينئذٍ فاذا قسمت على سبع درجات وخمس درجة عرفت حصَّة الدرجة من الارض فتضرب بثلاثماية وستين درجة فيعرف محيط الارض · ويقال ان المسافة بين الاسكندرية واسوان ٥٠٠٠ ستاديوم فمحيط الارض ٢٥٠٠٠٠ ستاديوم لان السبع الدرجات والخمس تساوي جزءًا من خمسين من المحيط · والستاديوم يعادل ١٥٧ متراً ونصف متر او ٥١٦ قدماً ونحو ثلاثة ارباع القدم وعليهِ فمحيط الارض حسب ما وجدهُ هذا العالِم ٢٤٦٦٢ ميلاً وقطرها ٧٨٥٠ ميلاً · والمعروف الآن ان قطر الارض القطبي اي الخط الممتد من احد قطبيها الى الاخر طولهُ ٧٩٠٠ ميل

ثم ان قبة السماء المقابلة للارض مثل نصف كرة مجوفة واذا توهمنا وجود خط عليها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب فذلك الخط نصف دائرة وفيهِ ١٨٠ درجة · وفي جهة الشمال من السماء نجم يسمى نجم القطب يظهر كأَن النجوم كلها تدور حولهُ والحقيقة انهُ مقابل لقطب الارض الشمالي اي على طرف محورها الذي تدور عليهِ في دورتها اليومية فيظهر لنا نحن الذين على سطحها كأَن نجوم السماء هي التي تدور حول نجم القطب هذا لانهُ مقابل لطرف محور الارض · ونجم القطب يعلو عن الافق في القاهرة نحو ٣٠ درجة وفي بيروت نحو ٣٤ درجة وفي اسوان نحو ٢٣ درجة اي كلما ابعدنا عن القاهرة درجة شمالاً رأَينا ارتفاع نجم القطب عن الافق الشمالي يزيد درجة وكلما ابعدنا عن القاهرة

درجة جنوبًا وجدنا ارتفاعهُ عن الافق ينقص درجة وعلى هذا المبدإِ قاس علماء العرب طول الدرجة ومحيط الارض . وهاك ما ذكرهُ ابو الفداء في جغرافيتهِ المسماة تقويم البلدان

قال « ان الارض كرية وانها في الوسط فسطح الارض وهو محدبها موازٍ لمقعَّر السماء فالدوائر العظام التي على سطح الارض موازية للعظام الفلكية وتنقسم كانقسامها على ثلثمائة وستين درجة فاذا سار سائر على خط نصف النهار وهو الخط الواصل بين القطبين الشمالي والجنوبي في ارض مستوية خالية من الوهدات عرية عن الربوات على استقامة من غير انحراف اصلاً حتى يرتفع لهُ القطب او ينخفض درجةً فالقدر الذي سارهُ من تلك الدائرة يكون حصة درجة واحدة منها وتكون تلك الدائرة الارضية ثلثمائة وستين مرة مثل ذلك القدر . وقد قام بتحقيق ذلك طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيرهِ فوجدوا حصَّة الدرجة الواحدة من الدائرة العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلاً وثلثي ميل . ثم قام بتحقيقهِ طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المأمون وحضروا بامرهِ في برية سنجار وافترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي افترقوا منهُ اخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اشد ما امكنهم من الاستقامة حتى ارتفع القطب للسائرين في الشمال وانحط للسائرين في الجنوب درجة واحدة ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوهُ فكان مع احداهما ستة وخمسون ميلاً وثلثا ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلاً بغير كسر فاخذ بالاقل وهو ستة وخمسون ميلاً » اه . ولم يذكر ابو الفداء الاَّ عملاً واحداً والحال انهما عملان جريا في آنٍ واحد احدهما في برّية سنجار من بلاد ما بين النهرين والآخر الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتهما ابن يونس وهو من فحول علماء الهيئة الذين نبغوا في عصر الخلفاء العباسيين وكانت وفاتهُ سنة ١٠٠٨ للميلاد . قال سناد بن علي امرني المأمون ان احقق وخالد بن عبد الملك درجةً من الدائرة العظيمة على سطح الارض فذهبنا لذلك وسار عليّ بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن البحتري في طريق اخرى اما نحن فتوجهنا الى ان وصلنا بين افامية وتدمر فوجدنا الدرجة ٥٧ ميلاً ووجدها كذلك علي بن عيسى وعلي بن البحتري و بعثنا بالخبر فوصل في آنٍ واحد . وذكر ابن يونس رواية احمد بن عبد الله الملقب بحبش في كتابهِ طالع الارصاد وحاصلها ان العلماء ساروا في برّية سنجار وتحققوا الدرجة فوجدوها ستة وخمسين ميلاً وربع ميل والميل اربعة آلاف ذراع هاشمية والذراع الهاشمية

وضعها المأمون وهي $\frac{٥٤١}{١٠٠٠}$ من المتر فالميل العربي يعدل ٢١٦٤ متراً والدرجة من ٥٦ ميلاً وربع الميل اي ١٢١٧٢٥ متراً

اما ابعاد الشمس والكواكب عن الارض فاول مَن حاول معرفتها بطريقة علمية ارسترخس الذي نشأ سنة ٢٨١ قبل المسيح فانهُ راقب البعد بالدرجات بين الشمس والقمر حينما يكون القمر في التربيع اي حينما يكون نصف وجههِ المتجه الينا منيراً وقاس الزوايا الحاصلة من رسم ثلاثة خطوط بين الشمس والارض والقمر واستنتج منها ان بعد الشمس عن الارض يجب ان يكون بين ثمانية عشر وعشرين ضعف بعد القمر عن الارض · والنتيجة خطأ ولكن الطريقة صحيحة · وقد اخطأ في النتيجة لانهُ اخطأ في قياس الزوايا · وحاول معرفة بعد الشمس عن الارض من معرفة عرض ظل الارض الذي يمرُّ فيهِ القمر حينما يخسف والطريقة صحيحة وظل معمولاً بها ١٦٠٠ سنة ولكن النتيجة التي وصل مستعملوها اليها غير صحيحة لانهم لم يستطيعوا ان يقيسوا زاوية اختلاف الشمس بالتدقيق

ويقال ان هبَّرخس الفلكي المشهور اعتمد على هذه الطريقة فوجد ان جرم الشمس يعادل ١٠٥٠ جرماً مثل جرم الارض اي ان قطرها مثل قطر الارض عشر مرات وسدس مرة وان نسبة قطر القمر الى قطر الارض كنسبة ١ الى $\frac{٢}{٥}$ ٣ وان بعد القمر عن الارض يساوي $\frac{٥}{٦}$ ٦٠ مرة قطر الارض وبعد الشمس عن الارض يساوي ٢١٠٣ مرة قطر الارض لكن ثيون الاسكندري قال ان هبَّرخس وجد ان الشمس اكبر من الارض ١٨٨٠ مرة وان قطرها اكبر من قطر الارض $\frac{١}{٣}$ ١٢ مرة وبعدها عن الارض ٢٥٥٠ مرة قطر الارض · واما قطر القمر فيساوي $\frac{١٢}{٤١}$ من قطر الارض وبعدهُ عنها $\frac{١}{٣}$ ٦٠ مرة قطرها

فما وجدهُ القدماء من جهة قطر القمر وبعدهِ قريب من الحقيقة واما ما وجدوهُ عن اقطار الشمس والسيارات وابعادها فاقل من الحقيقة كثيراً كما تقدَّم · ولم يكن في الامكان معرفة الاقطار الحقيقية والابعاد الحقيقية الاَّ بعد اكتشاف التلسكوب

وقد حاول القدماء معرفة اقدار النجوم الثوابت وابعادها ايضاً فقال البتاني في زيجهِ ان النجوم التي من القدر الاول يبلغ بعدها عن الارض ٧٦ مليون ميل وقطر كل منها نحو ٤٠ الف ميل واكثر ما قالهُ في هذا الباب تحكُّم

ولكن الذي يقضي بالعجب هو الاستمرار على القول بان الارض واقفة في مركز الكون والشمس والنجوم كلها تدور حولها مع ما عرفوهُ من اقدارها وابعادها ولذلك تقوَّض مذهبهم حالما ظهر المذهب الجديد كما سيجيء

السلطان حسين كامل

توفاهُ الله ظهر يوم الثلاثاء في ٩ اكتوبر ١٩١٧

مناقبهُ

منذ علمت الامة المصرية ان سلطانها العزيز اشتد عليهِ الداء العياء وانهُ لا يكاد يرجى لهُ شفاء باتت كئيبة لا يطيب لها عيش ولا يهنأ لها هناء وهي مع ذلك تغالب اليأس بقوة الرجاء وتضرع الى الله ان يخطئ فيهِ حساب الاطباء حتى صح الصحيح وانقطع حبل الرجاء ولبي سلطاننا العزيز دعوة ربهِ ففارقت روحهُ الطاهرة دار العناء والفناء الى جنة الخلد ودار النعيم والبقاء . فامست الامة وهي تبكي فراقهُ لحاجتها اليهِ لا لحاجتهِ اليها وتتمنى لو كان يفتدى ان تفتديهُ باعز عزيز عليها

فقدت مصر بفقدهِ ذخراً عظيماً وكنزاً لا يقوَّم بثمن فما كل يوم توفق الامم بملك عرك الدهر وذاق منهُ الحلو والمر فاعدتهُ التجارب للحكم وعلمتهُ غير الزمان سياسة الانام . ولم يقيَّض لمصر في كل حين امير قضى زمان الصبا في بلاد امبراطور من اعظم امبراطرة فرنسا ثم تروض في ميدان السياسة والحكم المطلق على عهد المغفور لهُ والدهِ حتى ادرك فيهِ الشأو الرفيع وبلغ المنزلة الاولى في السطوة والصولة والهيبة العليا فاحاط علماً بمزايا ذلك الحكم ومساوئهِ وضارع ابرع حكام تلك الايام في اجتلاء منافعهِ واجتناب مضارهِ

ولما دار دولاب الدهر واستبدل الحكم المطلق بالمقيد في مصر رأينا الامير حسيناً يصارع نوائب الزمان فعرفناهُ عيناً لاعيان مصر ومزارعاً من انجح مزارعي القطر وعاملاً مشاركاً لابناء وطنهِ في اتعابهم وهمومهم وجاداً في معاونتهم على ما بهِ خيرهم وصلاح امرهم حتى احاط علماً بما تشكو الرعية منهُ وما تشكر عليهِ وما هي في غنى عنهُ او في حاجة اليهِ . واصبح الامير حسين في اعتبار اهل وطنهِ الصديق الصادق لامتهِ المشارك لها في السراء والضراء العارف بحاجاتها الشاعر بحقيقة امرها فكان مشكى ضيمها ومحل ثقتها ومستودع امانيها وآمالها وصاحب الكلمة المسموعة عندها والمشورة المقبولة بين وجوهها واعيانها حتى هاجت هذه الحرب وارتقت مصر من الامارة الى السلطنة فكان السلطان حسين باتفاق اولي الرأي الصائب والنقد الصحيح خير كفوءٍ للجلوس على سريرها واستلام مقاليدها . وقد اثبتت الايام صحة رأيهم

فانهُ لما ارتقى رحمهُ الله الى اريكة السلطنة كانت نيران الحروب والفتن مكتنفة مصر من الجانبين . وكان الناس حيارى يصدق عامتهم ما يلقى اليهم من الاوهام والظنون . وكانت القلوب واجفة وكان الناس معرضين لوهم منهم لا لذنب ولا لخطاء من سواهم فأمدَّ الله سلطاننا وايدهُ بتوفيق من عنده لان البلاد سعدت في عهدهِ سعادة انفردت بها دون سواها من البلدان المجاورة لها بل دون الممالك العظيمة القاصية عنها لان سلطنة مصر نجت في ايامهِ من غوائل الحرب وويلاتها واوبائها ومصائبها ومجاعاتها ولان ميازيب الخير والثروة تدفقت عليها والوية السلم تخفق على ربوعها واهلها رائعون في بحبوحة الامن والراحة لا يخافون غدر عدو ولا مفاجأة طارق على حين نرى الخراب والدمار وسفك الدماء والموت والجوع والامراض منتشرة في اكثر الاقطار التي طالما غبطها هذا القطر على ما تمتع بهِ من الهناء والرخاء والراحة والنعيم

وتناول فقيدنا العظيم صولجان الملك بعزم ثابت وعاهد ربهُ على ان يعيش لشعبهِ لا لنفسهِ ما بقي من عمرهِ . واظهر ما وعى صدرهُ بعد طول الاختبار من حسن السياسة في استمالة رعيتهِ اليهِ واعادة ثقتها بهِ فلم يمض الحول على حكمهِ حتى رأينا الامة المصرية باسرها اسيرة حبهِ وطوع اشارتهِ ولم يترك في صدور خاصتها وعامتها اثراً لخوف من ظلم او غدر او انتقام او محلاً لشكوى من ضيم او هضم حق او تعدٍّ على نفس او مال . بل رأيناهم متفقين على الشهادة بان سلطانهم خير قدوة لرجال حكومتهِ ولافراد رعيتهِ في التزام جادة الحق والعدل وفي المحافظة على دستور البلاد وقانونها وفي الغيرة على ترقية مصالح الامة وعلى تعليم ابنائها وبناتها والتأليف بين قلوب طوائفها

وكم من مرة قال الناس ان السلطان حسيناً اجزل الله ثوابهُ اعاد الى مصر عهد الخلفاء الراشدين في برهِ وتقواهُ واحترامهِ للعلماء ومحافظتهِ على الآداب وتجملهِ بكرم الاخلاق ورقة الجانب والاتضاع . واسر بجودهِ وكرمهِ قلوب القريبين والبعدين واطعم بسخائهِ الجياع وكسا العراة وتصدق على الفقراء والمحتاجين

وقد كان اوطد سند لوزرائهِ واعظم حاث لهم على قضاء مصالح الامة واقدر مستعين بالدولة الحامية لهذا القطر على قضاء لبانات ابناء مصر . ونحن نعلم مقاصدهُ الحميدة ومساعيهُ الحسان مع مساعي صاحب الدولة كبير وزرائهِ في ابلاغ مصر المنزلة النيابية التي طالما تمنتها والاحكام الذاتية التي وقفا حياتهما السياسية على ادراكها

فيرضي ربهُ عنهُ لسلامة قلبهِ وحسن نيتهِ وبما منَّ ربهُ بهِ عليهِ من عقل وحكمة وحسن

سياسة و بالسيرة الدستورية التي سارها مدة حكمهِ والاعمال الصالحة التي يبقى ذكرها خالداً بعدهُ حلّ السلطان حسين اسمى محل من الاعتبار في نفوسنا ومن المحبة في قلوبنا وحق للامة ان تعد فقدهُ خسارة عظيمة منيت بها . وقد ترك لخلفهِ حكماً دستورياً حسن النظام وطيد الاركان حالاً في اعتبار الامة اسمى مكان . وقد ادام الله نعمتهُ لهذا القطر باختيار امير عاقل حليم ربي في مهاد الدستور وسبر غور الامور وضارع اخاهُ الفقيد الكريم في صفاء النية وحسن الطوية وحب الخير للامة المصرية فقد جبر الله قلوبنا بسلطاننا المعظم السلطان فؤاد اجمل الله لعظمتهِ ولرعيتهِ العزاء واتم على عهدهِ المقاصد الحميدة والاعمال النافعة التي كان ساكن الجنان سلفهُ ينويها لهذا القطر والتي توجب لهما كليهما جميل الذكر وحسن الاجر

اهتمامهُ بتعليم الامّة

اذا طالعنا تاريخ هذا القطر من اول عهدهِ الى الآن وقابلنا بين الذين جلسوا على عرشهِ ملوكاً كانوا او سلاطين واستعدادهم الفطري والاكتسابي للاهتمام باهم مصالح سكانهِ المعاشية لم نجد بينهم من فاق الراحل العظيم في ذلك. فقد رقي عرش مصر بعد ان تقلب في مناصب الحكومة المختلفة وعاشر كل طبقات الناس في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار من اصغر فلاح الى اكبر وزير واشتغل باهم اشغال السكان وهي الزراعة بكل فروعها . عمل فيها السنين الطوال و بحث في كل ما يرقي شأنها وشأن المشتغلين بها كاقامة المعارض وانشاء النقابات الزراعية

ولما تشرفنا بمقابلتهِ اول مرة مقابلة خصوصية بعد جلوسهِ على عرش السلطنة المصرية اعرب لنا عن رغبتهِ الشديدة في زيارة المعاهد العلمية كلها مدارس البنين ومدارس البنات لكي يقف على احوال التدريس فيها و يرى ما تحتاج اليهِ و يبذل جهدهُ في ما يرقيها و يأول الى تعميم التعليم والتهذيب في القطر كلهِ

ومما قالهُ لنا : اني عازم ان شاء الله ان ازور الازهر الشريف واقف بنفسي على اساليم التعليم فيهِ ولو اقتضت هذه الزيارة ساعة او ساعتين ثم انظر مع المتولين شؤُونهُ في الاساليب التي ترقي العلوم العصرية حتى تضارع ما فيهِ من العلوم الشرعية واللغوية . وسأزور ايضاً مدرسة القضاء الشرعي واقف على سير التعليم فيها واهتم بشؤُونها لانني احسب ان للمتخرجين فيها شأناً في ترقية اخلاق الامة بنوع عام فاذا تملكتهم ملكات الخير استطاعوا ان يقضوا بحق الله ويرشدوا كل الذين لهم اتصال بهم الى خير العمل . ثم ازور مدارس

المعلمين والمعلمات حيث يتعلم مربو الامة ولاسيما مدارس المعلمات لان تعليم البنات صار من اوجب الامور . وبعد ان افاض في هذا الموضوع قال : وسأزور سائر المعاهد العلمية وكل ما لهُ شأن في رقي الامة . وامرنا ان ننشر ذلك في المقتطف كي يقف عليهِ العام والخاص . ففعلنا حسب امرهِ وبرّ هو بوعدهِ فزار جميع معاهد التعليم غير فارق بين الاجناس والمذاهب . وكثيراً ما كان يقف في حلقات التدريس ويمتحن الطلبة بنفسهِ ويلقي عليهم نفائس النصائح ودرر الحكم كقولهِ في مدرسة القضاء الشرعي : —

« كنت اود ان ازوركم لا بل ان اتشرف بزيارتكم منذ تأسست هذه المدرسة . اقول ان اتشرف بزيارتكم ولا حرج عليّ في ذلك لانكم انتم علماء المستقبل ورجال الوطن الاكفاء الذين يؤمل منهم خدمتهُ وترقيتهُ بعلمهم وعملهم سواء كان ذلك بجلوسكم على كراسي القضاء الشرعي بعد خروجكم من هذه المدرسة لتحكموا بين الناس بالعدل او باشتغالكم بالمحاماة او التعليم او غير ذلك من المهام الاخرى التي تجعلكم بمقام المرشدين للامة والمسددين لخطاها . وقد تحقق الآن ما تمنيتهُ فزرت هذه المدرسة ورأيت من بوادر النجاح والتقدم وحسن النظام ما ملأ قلبي سروراً وفرحاً ولكنني اوجه انظاركم الى امر جدير بالتأمل والتدبر وهو انكم تتعلمون في هذه المدرسة مجاناً على نفقة الامة فان المال الذي ينفق على تعليمكم مجموع من افرادها وقد جمعوهُ بالجد والكد وبذلوهُ لكم عن طيب نفس فانتم على ذلك مدينون للامة بعلمكم ومدينون لاساتذتكم الذين انفقوا عمرهم وقواهم على تعليمكم وتثقيفكم . واول ما يجب عليكم ان توفوا هذا الدين لاساتذتكم ولامتكم ولا يكون ذلك الا بتعاونكم على خدمة الامة والنهوض بها علموها كما علمتم وانهضوا بها كما نهضت بكم واخلصوا لها الخدمة واعملوا جميعاً على ما فيهِ سعادتها ونجاحها . ان التعاون من اقوى عوامل النجاح والفلاح وقد سمعنا الآن استاذاً من اساتذة هذه المدرسة يلقي درساً على الطلبة في بيان فائدتهِ وتأثيرهِ في الاعمال فعسى ان تتعاونوا على اسعاد الامة كما تعاونت الامة على اسعادكم . انني افتخر بكم وارجوا ان تكونوا من نخبة رجال المستقبل النافعين للوطن »

ولم يكن يكتفي بالنصح والارشاد بل كان يهب الهبات السنية للنابغين والنابغات وللاساتذة ايضاً تنشيطاً لهم وواظب على ذلك حتى ان الطلبة صاروا بعد قليل اشد افراد رعيتهِ حباً لهُ ومجاهرة بمدحهِ ودعاء لهُ بطول العمر والتأييد

وكان همهُ مصروفاً الى تعليم البنات كما الى تعليم البنين يحث كل ذوي الشأن الذين يتشرفون بمقابلتهِ على انشاء المدارس لتعليمهن حاسباً ان ارتقاء البلاد يبتدىء في البيت

وان الام هي المهذبة الاولى للامة او كما قال لنا في حديثهِ الاول ان تعليم البنات صار من اوجب الامور ولا يكفي ان تتعلم البنت التكلم بالانكليزية او الفرنسوية بل لا بد ان تتعلم قبل ذلك تدبير المنزل وتربية الاولاد اي يجب ان تتعلم البنات ليكنَّ ربات بيوت الامة ومربيات الجيل المقبل

ولم يترك مصلحة من مصالح رعيتهِ الحيوية الاَّ اهتم بها. واتفق انهُ لما توفي لورد كتشنر واهتم البعض باقامة تمثال تذكاراً لهُ كنا متشرفين بمقابلتهِ فاقترح ان يكون هذا التذكار مدرسة طبية للبنات ومستشفى للنساء وود ان يفتتح لها اكتتاب عام ووعد بان يفتتح الاكتتاب بنفسهِ بخمسمائة جنيه . وبعد ان القى علينا خطبة نفيسة في هذا الموضوع معززاً اياها بالشواهد امرنا ان نكتب ما سمعناهُ من لسانهِ فكتبنا ما وعنهُ الذاكرة وعرضناهُ على عظمتهِ فاستحسنهُ وامرنا بنشرهِ كما هو فنشرناهُ في المقطم وكانت النتيجة ان جمعت اموال طائلة لهذا الغرض الحميد واقتدت انكلترا والهند بالقطر المصري في جعل التذكار للورد كتشنر مما ينفع البلاد

النعي والتعازي

ارسل فخامة السر رجنلد ونجت نائب الملك التلغراف التالي الى حكومة جلالة الملك

« انعى اليكم بملء الاسف السلطان حسين كامل وقد انتقل الى دار البقاء اليوم الساعة الثانية عشرة والدقيقة ١٠ في سراي عابدين

« وسيحتفل بتشييع جنازتهِ الى جامع الرفاعي في العاصمة

« ولا ريب في ان غيرة عظمتهِ ونشاطهُ في العمل عجَّلا في وفاتهِ قبل الاوان

« وقد امتاز حكمهُ بالامن والطمانينة والتقدم فطُرد العدو عن ابواب مصر وزهت الزراعة وبدئَ باصلاحات جديدة وسيظهر التاريخ ما كان لشجاعة السلطان المغفور لهُ وشعورهِ بالواجب والشرف من النصيب العظيم في ما جنت بلادهُ من هذه الفوائد والنعم

« لقد خسرت مصر بفقد السلطان خسارة وطنية ستلقى فيها عطفاً شديداً من انكلترا

« ولقد طلب مني صاحب السمو البرنس احمد فؤَاد حين ارتقائهِ العرش ان ابلغ حكومة جلالة الملك عزمهُ على اتباع النهج السامي الذي نهجهُ السلطان حسين وان يعمل مع حكومة جلالة الملك باتم التعاون والاخلاص في ما يعود على مصر بالخير العظيم والنفع العميم »

وارسل صاحب الدولة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء منشوراً تلغرافياً نعى فيهِ الفقيد وهذا نصهُ

دهمت مصر مصيبة عظيمة اذ فقدت مليكها المحبوب فقد اختار ذو العرش والجلال الى جوارهِ في دار النعيم المقيم صاحب العظمة السلطانية المغفور لهُ حسين الاول ولفظ النفس الاخير من حياتهِ الطيبة ظهر هذا اليوم (٩ اكتوبر)

ان الراحل الكريم بفائق تفانيهِ في محبة بلادهِ وبديع اخلاصهِ للمصلحة العامة في اثناء المدة الوجيزة التي تبوأ فيها عرش مصر — ويا اسفا على قصرها — بل في جميع ادوار حياتهِ المباركة قد استحق شكران الوطن

امتاز رحمهُ الله بمدارك العقل السامي وبعواطف القلب الرحيم فكان على الدوام موضع المحبة والتوقير في نفوس المصريين بل في قلوب جميع المتوطنين على ضفاف النيل . فلا غرو ان بكتهُ مصر بكاء من يندب كارثة وطنية ، ولا ريب انهُ في جميع انحاء القطر في بيوت الله وفي مساكن الناس من احقر الدور الى افخر القصور ، ستبسط اكف الضراعة والابتهال الى مولى البرايا ان يتغمد برحمتهِ ورضوانهِ ذلك الذي سيلقبهُ التاريخ حقًّا وعدلاً بهذا اللقب الجميل «ابو الامة»

واني انعي اليكم هذه الفادحة الكبرى وقلبي مفتت من الحزن حسين رشدي

وبعث جلالة ملك الانكليز الى السلطان فؤاد التلغراف التالي :

ان وفاة اخي عظمتكم المغفور لهُ السلطان السابق قد بعثت شديد الحزن في نفسي وهي خسارة جسيمة لبلادهِ التي قام على خدمتها بالاخلاص المتناهي واني موقن ان مجهودات عظمتكم لخير مصر وسكانها ستصادف النجاح السابق وان حكمكم الذي اتمنى لهُ طول المدى سيكون مقروناً بالخير والسعادة ويمكنكم الوثوق في منصبكم السامي بودتي الدائمة وبتأييدي المستمر جورج الملك والامبراطور

ووردت تلغرافات التعازي من الملكة ومن رئيس وزراء الانكليز ووزير الخارجية وغيرهم من ذوي المقامات العالية

الاحتفال بدفنهِ

في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاربعاء في ١٠ اكتوبر خرج نعش الفقيد العظيم من سراي عابدين يحملهُ بحارة الركائب السلطانية فاطلق ٢١ مدفعاً من قشلاق عابدين بين كل

مدفع والآخر ٢٠ ثانية ومئة مدفع من القلعة بين كل مدفع وآخر نحو دقيقة وسارت الجنازة في موكب عظيم مهيب لا تدرك العين آخره ولم يسبق له نظير في هذا القطر يتقدمهُ الحرس السلطاني فرساناً ومشاة ومعهم الموسيقى السواري مجللة بالسواد فجنود الاورطة الثامنة البيادة فالجنود السواري فالموسيقى البيادة فتلامذة المدرسة الحربية فتلامذة المدارس العالية وامامهم رايات مدارسهم مجللة بالسواد فحضرات اصحاب الفضيلة العلماء الاعلام يتقدمهم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابو الفضل شيخ الجامع الازهر فنعش الفقيد العظيم يحملهُ النجارة والى يمينهِ ويسارهِ صفان من الياوران يتقدم الصف الاول منهما حضرة صاحب السعادة شحاته باشا كامل ويتقدم الصف الثاني جناب الميرالاي كني بك الياور السلطاني ويحف بهِ موظفو السراي السلطانية وسار وراء النعش حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الاول والى يمينهِ حضرة صاحب السمو البرنس محمود اخيهِ والى يسارهِ حضرة صاحب السمو البرنس كمال الدين نجل الفقيد ووراءهم حضرات اصحاب السمو الامراء اعضاء الاسرة السلطانية وهم يوسف كمال وعمر طوسن ومحمد داود وكامل فاضل واسمعيل داود ومصطفى فاضل ومنصور داود وسعيد داود وسليمان داود ونخامة نائب الملك وكان لابساً البذلة العسكرية فحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وحضرات اصحاب المعالي الوزراء ومعتمدو الدول وقائد الجيش البريطاني وحضرة صاحب المعالي السردار واصحاب السعادة الوزراء السابقون واعضاء صندوق الدين ومستشارو الوزارات ووكلاء الوزارات ومستشارو محكمتي الاستئناف الاهلية والمختلطة والنائبان العموميان وهم متشحون جميعاً بشاراتهم القضائية والمستشارون السلطانيون . فاعضاء الجمعية التشريعية يتقدمهم حضرات صاحبي المعالي احمد مظلوم باشا رئيسها وسعد زغلول باشا وكيلها فالرؤساء الروحيون من جميع الطوائف فرجال القضاء الشرعي وباقي رجال القضاء الاهلي والمختلط وهم متشحون ايضاً بشاراتهم الرسمية فضباط الجيش البريطاني والجيش المصري وبعض ضباط البحرية البريطانية وقد سار ضباط الجيش البريطاني البري امام ضباط الاسطول البريطاني في هذا المشهد . فالحائزون لنشان النيل من الطبقة الاولى أو لرتبة روملي بكلربكي من غير الموظفين والمديرون والمحافظون والمديرون العموميون والذين من طبقتهم والقناصل فالباشاوات الحائزون لنشان النيل من الطبقة الثانية غير الموظفين ورؤساء الهيئات المالية والتجارية والصناعية الرئيسية فاعضاء مجالس المديريات ومجلس الاسكندرية البلدي ومجالس بور سعيد ودمياط والسويس فنقابات المحامين المختلطة

والاهلية والشرعية فموظفو الحكومة من درجة ناظر ادارة فما فوقها فالاعيان الوطنيون والاجانب ورجال الصحافة فموظفو الحكومة من درجة وكيل ادارة فما فوقها

وظل الموكب سائراً على هذا النظام والمدافع تطلق متقطعة من القلعة والناس صامتون خاشعون كأن على رؤُوسهم الطير الى ان بلغوا جامع الرفاعي وكانت الجنود البريطانية الواقفة على جانبي الطرق تحيي النعش ببنادقها كلما مرّ بفريق منها ثم تعود فتنكسها قياماً بواجب الحداد . ولما وصل المشهد الى جامع الرفاعي انقسمت الجنود المصرية وتلامذة المدرسة الحربية ورجال الحرس السلطاني الى قسمين ووقفوا جميعاً في صفين مستطيلين الى جانبي الشارع فمر النعش بينهما فحيوهُ جميعاً التحية العسكرية ثم ادخل الى الجامع حيث صلي على الفقيد العظيم بامامة فضيلة شيخ الجامع الازهر ونقل بعد ذلك الى الحجرة الملاصقة للمدفن لايداعهِ اللحد فتبعهُ حضرات صاحبي السمو البرنس كمال الدين نجلهِ والبرنس اسماعيل داود وصاحبي السعادة عفيفي باشا ناظر الخاصة السلطانية ومحمد باشا فهمي وكيلها وقام ضباط الياوران بدفنهِ في اللحد الخاص بهِ

وعند ذلك اطلقت بطاريات المدافع التي نصبت خصيصاً لذلك قرب الجامع ٢١ مدفعاً تحية وتعظيماً

تأبينهُ

وقد قام شعراءُ مصر يؤبنونهُ وفي طليعتهم صاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وصاحب العزة حافظ بك ابرهيم قال الاول :

لهف ساري الدجى لقد افل البد ... ر وطال السرى وغاب الهادي
لهف راجي القرى وحاتم طيءٍ ... قد خبت نارهُ بهذا الوادي
لهف شاكي الصدى اخو النيل قد با ... ت بعيد المزار عن كل صادي
من يغيث المظلوم ان بات يشكو ... وحسين عدت عليهِ العوادي
حبذا طيف نهضة قد ارانا ... هُ عياناً لم يتفق في رقاد
فكأنَّا من عابدين خروجاً ... نتهادى منها على ميعاد
لم يرَ الموت رأيهُ وانقضى ... حلم قد سرى باقصى البلاد

وقال الثاني :

دكَّ ما بين ضحوة وعشيٍّ ... شامخ من صروح آل عليّ

وهوى عن سماوة العرش ملك لم تمتع بعهده الذهبيّ
قد تساءلت يوم مات حسين افقدنا بفقده كل شيء
ام تري يسعد الكنانة بار بها ويقضي لها بلطف خفي
لم تكد تدرك النفوس مراداً في زمان المتوج العلوي
لم تكد تبلغ البلاد مناها تحت افياء عدله الكسروي
لم يكد ينعم الفقير بعيش من نداهُ وفيضهِ الحاتمي
حجب الموت مطلع الجود يا مصر فجودي لهُ بدمع سخي
ومضى واهب الالوف فوات يوم ولّى بشاشة الاريحيّ
وقضى كافل اليتامى فويل لليتامى من الزمان العتيّ
كم تمنى لو عاش حتى يرانا امة ذات منعة ورقيّ
عالهُ الضعف حين شمر للاصلاح في ملكه بعزم فتيّ

***

حبس الخطب فيك السنة القو ل واعيا قريحة العبقري
واذا جلّت الخطوب وطمت اعجزت في القريض طوق الرويّ
ان شر المصاب ما اطلق الدمع وراع المفوهين بعيّ
لهف نفسي على انبساطك للضيف وذيالك الحديث الشهيّ
يحسب الدار دارهُ وهو يمشي فوق زاهي بساطك الاحمدي
خلق مثلما نشقت اريج الز هر جادتهُ زورة الوسمي
واهتزاز للعرف مثل اهتزاز الس يف في قبضة الشجاع الكمي
وحياء عند العطية ينفي خجل السائل الكريم الابي
واختبار يثني عنان العوادي ووقار يزين صدر الندي
رحم الله يا حسين خلالاً فيك لم يجتمعن في نفس حي
يا كريماً حللت ساح كريم وضعيفاً حللت ساح القوي
قد كفاك السهاد في العيش فاهنأ يا اليف الضنى بنوم هني
ويح مصر فاي خيط رجاء قطعتهُ رنات صوت النعي

حافظ ابرهيم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يُدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأْتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستَختار على المطوَّلة

الولاء في نقد ذكرى ابي العلاء

حضرة الفاضل محرر المقتطف

هذا عنوان رسالة وضعها حضرة الاديب حسن افندي حسين ونقد فيها كتاب الدكتور طه حسين في ذكرى ابي العلاء وقسم نقدهُ قسمين نقد الموضوع ونقد اللغة . ولم يسعني الوقت لقراءة القسم الاول بل قرأْت الثاني لقصرهِ ولكن ان كان الاول خلا من التدقيق خلوَّ الثاني فقد كان جديراً بالكاتب لو كان اكثر تأنيا في اصدار نقدهِ لانهُ سيحسب لهُ او عليهِ

ولست اعلم ما أُسمّي الخلّة التي تجعل الكاتب منّا يقدم على النقد قبل ان يستكمل عدتهُ فان عملاً مثل هذا يقتضي جراءة نادرة المثال لو بدت في ميادين القتال لاجتاحت امامها كل شيءٍ . وعندي ان اصعب موقف يقفهُ الاديب الحقيقي هو موقفهُ بعد انتقاد كلمة كان يحسبها خطأً فاذا هي صواب . والمخلّص الوحيد من هذه التهلكة هي ردّ كل شيءٍ الى اصلهِ اي تصويب الصواب وتخطئة الخطاءِ ولو عليهِ مع الاعتذار الكثير

انتقد صاحب « الولاء » اشياء كثيرة على صاحب « الذكرى » ليست في محلّها ولا يستلزم معرفة الصحيح من الخطإ في بعضها علماً كثيراً بل مراجعة وجيزة لقاموس من قواميس اللغة . فانتقد « الجواب عن » وقال ان الصحيح « الجواب على » ولكنني لم اعثر على الثانية في كتاب فصيح طالعتهُ . والذين استعملوها انما استعملوها حاملين اياها على ردّ تضميناً . اما الاولى فواردة في كل كتاب فصيح . خذ صبح الاعشى مثلاً تجد في الصفحة ٣٢٦ من الجزء السادس قولهُ « فمنهم من يحكي الكتاب الذي يقع الجواب عنهُ بنصّهِ مطلقاً » . وتجد

في الصفحة ٣٤٥ من الجزء نفسهِ قولهُ : و يؤتى على ما تضمنتهُ المكاتبة وما اقتضاهُ الجواب عنهُ الخ » . وجاء في تاج العروس « الاجابة رجع الكلام تقول أَجاب عن سؤالهِ »

وخطّأَ قول صاحب الذكرى « واسبغ عليها هذا اللون » وصححهُ بأَصبغ هذا اللون . وعندي ان اسباغ اللون استعارة جميلة من اسباغ النعمة . اما الاصباغ فلا وجود لهُ في اللغة الاَّ بمعنى الاسباغ اي بالابدال كما قالوا سلخ وصلخ وسقر وصقر

وخطأَ « تجارب » وصححها بتجاريب والقاموس يجمع تجربة على تجارب دون غيرها . وقال الشاعر العربي :

تخيرن من ازمان يوم حليمة الى اليوم قد جربن كل التجارب

وخطأَ « الاَّ وقد اخذ » وهي صحيحة لا غبار عليها . ففي كتب النحو عند الكلام على الحال انهُ يندر ذكر قد بلا واو والحال في الجملة الماضوية كقول الشاعر « وقفت بربع الدار قد غير البلى » . واندر منهُ ذكر الواو بلا قد نحو « قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون » اي وقد اقبلوا عليهم . فان وقعت هذه الجملة بعد الاَّ نحو ما تكلَّم الاَّ ضحك وجب تجريدها منهما . وندر اقترانها بعد الاَّ بالواو كقول الشاعر « الاَّ وكان لمرتاع بها وَزَرا » . وندر ايضاً اقترانها بقد بلا الواو كقول الآخر

متى يأْتِ هذا الموت لم يلف حاجة لنفسي الاَّ قد قضيت قضاءها

وصححهُ « الاَّ وقد »

على ان ذكر الواو بعد الاَّ في هذه الجملة وارد في كلام الفصحاء (انظر طرائف من ادب العرب الحلقة الثانية في مقتطف مايو الماضي) ففيها قول الشعبي احد كبار علماء الكوفة « ما ذاكرتهُ (اي عبد الملك بن مروان) حديثاً الاَّ وزادني فيهِ ولا شعراً الاَّ وزادني فيهِ » . وقال الامام علي « ان الكوفة لقبَّة الاسلام ليأْتينها يوم لا يبقى مسلم الاَّ وحنَّ اليها »

وخطأَ قولهُ « هيامهم فيها » مستشهداً باللسان . فليمد نظرهُ على اللسان يجدها هناك بالقلم العريض . ولكن المصيبة انهُ قرأَ شيئاً وترك اشياء اي قرأَ اول المادة ولم يكمل الى الآخر فليقرأْ سطرين فقط بعد ما قرأَ

وخطأَ « سواء صحت او لم تصح » وقال ان الصحيح « وسواء أَصحت الخ » واستشهد على ذلك بالآية « وسواء عليهم أَأَنذرتهم اولم تنذرهم » ولكن الاستشهاد بالآية لا يدلُّ على ان ذكر همزة الاستفهام واجب . ففي أَقوال البلغاء من اهل الجاهلية وصدر الاسلام

حكم كثيرة لم تذكر فيها همزة الاستفهام . والقاعدة انهُ اذا كان بعد « سواء » همزة الاستفهام فلا بدّ من « ام » تقول سواءٌ عليَّ ازيد جاء ام عمرو . وسواءٌ عليَّ اقمتَ ام قعدتَ . واذا كان بعدها فملان بغير همزة الاستفهام عطف الثاني « بأو » فيقال سواءٌ عليّ قمت او قعدت . فالقاعدة هي عن ام واو لا عن الهمزة اذ هذه يجوز اظهارها واخفاؤُها

وخطأ « بكى على ابيهِ » وقد ذكرت صراحة في القاموس . وقال الشاعر

عتبتُ على عمرو فلما فقدتهُ وجربت اقواماً بكيت على عمرو

وقال اسحق بن حسّان الخزيمي

ولو شئت ان ابكي دماً لبكيتهُ عليهِ ولكن ساحة الصبر اوسع

والهاء في بكيتهُ ترجع الى الدم

وفي سورة الدخان « فما بكت عليهمُ السماءُ والارض وما كانوا منظَرين »

وقال المتنبي يرثي جدتهُ :

بكيت عليها خيفة في حياتها وذاق كلانا ثكل صاحبهِ قدما

وخطأ قولهُ « وقلما رأيت فيها بيتاً الاَّ وهو يصلح لأن يكون مثلاً سائراً » والتخطئة جاءت باردة لانها مصحوبة بنكتة في غير محلها لقولهِ « والواو هنا كالزائدة الدودية » . ولو راجع كتاباً من كتب النحو تحت باب الحال لرأى غلطهُ

وخطأ قولهُ « مبغض للدنيا زاهد فيها مزدرٍ لطلابها » بدعوى ان « بغض (كذا والصحيح أبغض) وازدرى تتعديان بنفسهما » ولا ادري كيف فاتهُ ان لام الدنيا ولام طلابها هما لاما التقوية يؤتى بهما لتقوية شبه الفعل على العمل وهذا شيءٌ مشهور عند النحاة تعدّ الاطالة فيهِ لغواً . قال في سورة ق « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد منّاع للخير معتد مريب » . وفيها « ما يبدّل القول لديَّ وما انا بظلاَّم للعبيد »

النقد جميل ولازم بشرط ان تتخذ لهُ عدتهُ وتتوافر اسبابهُ . وفي هذا النقد لم تتخذ عدة ولا تهيأت اسباب ولا انسنا الروح الجديدة التي اشار اليها ناشر النقد . فانهُ قال في كلمتهِ « ان الحقيقة تضيع بين الاغراض المتشعبة والمآرب المتباينة ونقد الذكرى يخالف هذه الروح لتجردهِ من كل غاية وانسراحهِ من كل غرض » . ولكن قراءة صفحة واحدة من الرسالة تثبت للقارىء ان حشوها التهكم والسخرية معززين بالغلط الكثير وان الخلوّ من الغرض ليس شعارها . هذا اقل ما يقال فيها (منصف)

(الليل اقبل — الصبح اقبل)

يصف الشاعر في القصيدة الاولى خواطر نفسهِ في ليلة لم تهجع فيها عينهُ وفي الثانية يصف ما اوحاهُ اليهِ نور الشمس في صباح تلك الليلة

الليل أقبَلَ والمنامُ حرامُ أتنامُ عينٌ ملؤُها الآلامُ
لا تستبين العينُ نورَ رجائها والنور في عين البئيس ظلامُ
روحٌ يروّعها الأسى واثيرها نارٌ لها بين الضلوع ضرامُ
اليأسُ رائدُها وتلك مشيئةٌ للدهر لا نقضٌ ولا ابرامُ
ما العيش الاَّ عبرة مهرَاقةٌ في طيّها الاوجاع والاوهامُ
داء الحياة لهُ النفوسُ فريسة ودواؤُهُ بين الورى الأحلامُ
والسعد برقٌ كاذبٌ ومزارُهُ لابن الحقيقة في الحياة لمامُ
أنَّا تكتّمنا الحقيقة علنا نحظى بسعدٍ أننا أنعامُ
يابؤْسَ من لا يستقر فؤادهُ يا سعدَ من يهديهِ الاستسلامُ
نلهو ونضحك للوجود وليتنا نبكي الوجودَ لاننا أيتامُ
ما نحن الاَّ كالذئاب فعيشنا غدر وفيهِ تقطع الارحامُ
كل امرىء يلهو بعرض صديقهِ وسلاحهُ الإغراء والاقسامُ
واذا نصحتَ اخاً فانت عدوهُ فكأنما نصح الفتى إيلامُ
والشرُّ سلطانُ النفوس كأنهُ سر الهناء وللوجود دعامُ
ما تلك الاَّ خاطرات أخي اسًى نِضوِ الفؤاد حياتهُ اسقامُ
يقضي سواد الليلِ يرقب نجمهُ والنجم ليس بصفحتيهِ سلامُ
ألف الهموم فليس ممن يشتكي للناس حرباً في الفؤاد تُقامُ
هو ذلك الطود الذي كمن الاسى في جوفهِ ما دامت الايامُ

***

قم من سباتك وانظم الاشعارا فالصبح أقبَل والظلامُ توارى
لك من شعاع الشمس وحيٌ قادرٌ سلب العقول وحيّر الافكارا
ما أنت ألا صوتهُ ترك الالى عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
تشدو على فنن الوجودِ مرتلاً آياتهِ وتداعب الازهارا

بين القلوب وبين صوتك ألفة ... وجدت لها بين القلوب قرارا
فكأن من نبرات صوتك رحمة ... جعلت ظلام البائسين نهارا
فالبؤس بين الناس طير نائح ... أبكى قلوب البائسين مطارا
تهتز من طرب ولست بحتسٍ ... خمر الشفاه ولا خلعت عذارا
فكأنما ألقى الزمان قيادهُ ... طوعاً لوحيك لا يريد فرارا
ما تلك إلا قبلةُ الاشعار في ... ثغر الصباح تزيدهُ انوارا
لله در الشمس غازل ضوءها ... للناظرين الطير والاشجارا
كست الجبالَ مع الوهاد سبيكةً ... من عسجدٍ والنهر سال نُضارا
فعن الفؤاد تحل عقد همومهِ ... وعن الطبيعة تكشف الاسرارا
في كل قلب هائم من نورها ... امل الوصال يحرك الاوتارا
يا شمس غادرت الحقول ضحوكةً ... وتركت أمواج البحار حيارى
رقصت لنورك تسترد رضاءهُ ... عنها وقامت تبسط الاعذارا
القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى ... فيهِ النسيم يجاوب الاطيارا
طَربَ الحبُّ لشدوها متبسماً ... للشمس وازداد الوقورُ وقارا
حيِّ الصباحَ معدداً حسناتهِ ... وانس الهموم وصاحبِ الاقدارا
واذا مررتَ على الغدير فقف بهِ ... ترهُ قد اتخذ الزهور شعارا
فاركع وهلِّلْ للطبيعةِ خاشعاً ... واذكر هناك الواحد القهّارا

محمد تيمور

شربة زيت الخروع

زيت الخروع مفيد جداً وكثير من الناس يضطرون بامر الطبيب او بحكم حالتهم الصحية الى تعاطي شربة منهُ فيجدون لهُ غضاضة ورائحة كريهة يثقل على النفس احتمالها ولهذا ارى من واجبي خدمة للانسانية نشر فائدة عظيمة هداني اليها احد اخواني تسهل شرب زيت الخروع وقد جربتها بنفسي كما جربها غيري نجاحت وافية بالغرض شافية لمرض . وذلك بان الانسان يتمضمض بقليل من السبيرتو قبل تناول الزيت مباشرة ثم يمزجهُ بالقهوة و يشربهُ فلا يشعر بشيء من الطعم الثقيل ولا الرائحة الكريهة وذلك لان اعصاب الفم تتخدر من السبيرتو موقتاً من غير الم أو التهاب فيهِ فليجرب ذلك من شاء الشفاء يعقوب عبد الوهاب



نباتات الصباغة

(٢)

(٦) القرطم

اسمهُ اللاتيني Carthamus tinctorius, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Carthame

نبات مصري الاصل والمستعمل منهُ ازهارهُ الجافة المعروفة باسم العصفر وهي تصبغ بااللون الاحمر كلاًّ من الحرير والقطن . ويؤثر النور والحرارة في المادة الصابغة في العصفر فيجعلانها غير ثابتة لذلك ينبغي ان لا تجفف الازهار الاَّ في الظل وان لا تستخرج منها المادة الصابغة الاَّ على البارد وان تحجب الثياب عند صبغها بها عن النور

(٧) التويه

اسمهُ اللاتيني Thuya orientalis, Vahl

اسمهُ الفرنسوي Thuya d'orient

شجرة اصلها من اميركا الشمالية ومنتشرة في جنائن هذا القطر ومغلى غصونها الصغيرة يصبغ الصوف بلون اصفر بعد معالجتهِ بنترات البزموت والطرطير

(٨) السرو

اسمهُ اللاتيني Cupressus sempervirens, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Cyprès

شجرة اصلها من جزيرة كريت وهي ذات ثمار تحتوي على مادة قابضة ومغلى اغصانها الصغيرة مع اوراق السنط يصبغ بلون اصفر غامق . و يقال ان تلك الاغصان اذا وضعت مع الثياب صانتها من العث

(٩) البربريس

اسمهُ اللاتيني Berberis vulgaris, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Epine-vinette

انجم كثيرة الانتشار في اوربا ذات ثمار حمراء تحتوي عصيراً حمضيًّا وردي اللون يمكن استعمالهُ في صبغ الصوف والحرير والتيل والقطن · وهذه الثمار لا تستعمل لهذا الغرض الأَّ اذا كانت غريضة طازجة · ويمكن استعمال جذور البربريس بدل الكركم(١) ويقال انها تفضلها · وهي تستعمل في بولونيا وآسيا لدبغ الجلود وصبغ الصوف والعاج والخشب باللون الاصفر

(١٠) الحلبة

اسمها اللاتيني Frigonella fœnum graecum, Linn.

اسمها الفرنسوي Fenugrec

نبات معروف يقال ان مغلى بذورهِ يصبغ باللون الاصفر الزاهي فاذا اضيف الى ذلك المغلى قليل من البيطاس كان اللون اغمق قليلاً · واذا اضيف اليهِ سلفات النحاس صبغ الصوف بلون اخضر ثابت · او اضيف اليهِ املاح الحديد صبغهُ بلون زيتوني او الفوه(٢) صبغهُ بلون برتقالي

(١١) لسان العصفور

اسمهُ اللاتيني Fraxinus excelsior

اسمهُ الفرنسوي Frêne commun

اوربي الاصل ومغلى قشرهِ يصبغ باللون الاسود المائل الى الخضرة اذا اضيف اليهِ سلفات النحاس وباللون الاخضر الداكن اذا اضيف اليهِ خلّات الحديد

(١٢) الشاهترج

اسمهُ اللاتيني Fumaria officinalis, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Fumeterre

كثير في حقول اوربا والنبات كلهُ يصبغ باللون الاصفر الثابت الصوف والحرير

(١٣) الرمان

اسمهُ اللاتيني Punica granatum, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Grenade

---

(١) اسمهُ اللاتيني Curcuma Longa, Linn.

(٢) اسمهُ اللاتيني Rubia tinctoria, Linn

معروف واصلهُ من جنوب اوربا ومغلى قشرهِ اذا اضيف اليهِ سلفات النحاس صبغ باللون الاسود وتستعمل للغرض نفسهِ ازهارهُ المسماة بالجلنار

(١٤) الحاشا (الصعتر او السعتر)

اسمهُ اللاتيني Thymus vulgaris, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Thym

منتشر في جنوب اوربا وهو يصبغ باللون الاصفر

(١٥) البنفسج

اسمهُ اللاتيني Viola odorata

اسمهُ الفرنسوي Violette

معروف واصلهُ اوربي والمستعمل ازهارهُ فيستخرج منها بالضغط عصير ازرق جميل اللون اذا وضع في قناني مقفلة صار لونهُ احمر واذا عرض للهواء عاد ازرق كما كان

احمد عبد الخالق

القاهرة موظف بقسم البساتين

الصناعة في القطر المصري

ارتنا هذه الحرب حاجتنا الى اشياء كثيرة . ولا نبالغ اذا قلنا انها ارتنا حاجتنا الى كل المصنوعات الاوربية من الابرة الى الآلة البخارية ومن المنديل الى شراع السفينة والى كل مواد الصباغة والطباعة والادوية والعقاقير

وليس في الامكان ان ننشئ معامل لكل ما يصنع حتى نستغني بها عن كل البلدان ولكننا نلام كل اللوم اذا لم نهتم بصنع المواد التي موادها الاولية عندنا ونستطيع ان نعملها ولا يكون ثمنها اغلى من ثمن ما يرد منها من الخارج اذا تساوى المصنوعان في النوع والجودة

والمصنوعات التي تتوفر موادها الاولية في هذا القطر هي الصابون والزجاج والغراء والمنسوجات القطنية والصوفية والكتانية على انواعها وكل ما يصنع من الجلد والحبوب والسكر كالنشاء والارواح . واذا كثر البترول الوسخ من مناجم الزيت المصرية ورخص ثمنهُ حتى صار ارخص من الفحم الحجري زالت اكبر عقبة من سبيل الصناعات التي تقتضي قوة كبيرة . واذا استعملت قوة شلال اصوان لتوليد الاسمدة الكيماوية من الجير ونتروجين الهواء استفادت الزراعة كما تستفيد الصناعة

فالصابون قوامهُ الزيت والنطرون او المادة الزيتية والمادة القلوية ولا بدَّ لهُ من الوقود للتأليف بينهما · والزيت كثير في بزر القطن والمادة القلوية كثيرة في وادي النطرون · وحطب القطن يصلح وقوداً اذا قُطِع وضغط حتى يقل حجمهُ و يسهل نقلهُ والاَّ فلا بد من الاعتماد على الفحم الحجري او البترول الوسخ

والغراء يصنع من الجلود والاظلاف والحوافر والعظام والجير وكلها كثيرة في هذا القطر

والخزف توجد الاتربة الصالحة لهُ في اعالي الصعيد وما يمكن ان يصنع منها لا يضاهي الخزف الصيني ولا يقابل بخزف سڤر ولكن قد يجود حتى يكفي للآنية العادية من ازيار وخوابٍ وجرار وقدور وصحاف وما اشبه

والزجاج موادهُ الاصلية الرملية والقلوية كثيرة في القطر · وما يضاف اليها لتلوينها او لزيادة شفوفها ليس كثيراً الاَّ ان الخزف والزجاج يحتاجان الى كثير من الوقود وهو اساسهما فلا بدَّ من انشاء معاملها حيث تتوفر موادها و يتوفَّر الوقود او يسهل جلبهُ

والجلود كثيرة ولا تحتاج في دبغها وصبغها وعمل ما يعمل منها الاَّ الى الجير والقرظ و بعض الاصباغ والاعمال اليدوية ولا حاجة بها الى الوقود فلا اسهل من التوسُّع فيها · وتدلُّ الدلائل على ان القطر سيستغني بما فيهِ من الجلود وما يصنع منها عمَّا كان يستوردهُ من الخارج

معمل المستر ولز

وحطب القطن بدل الانثراسيت

اشارت وزارة المالية على اصحاب الآلات التي تدور بالغاز المستخرج من فحم الانثراسيت باستعمال الآلة التي استنبطها المستر جون ولز لتوليد هذا الغاز من حطب القطن والتبن وما اشبه · وكان المستر ولز قد دعانا منذ شهرين من الزمان لمشاهدة الآلات التي استنبطها لهذه الغاية والاعمال التي يعملها الآن فرأيناها ووصفناها في المقطم الصادر في ٢٧ اغسطس وقلنا في وصفها ما يأتي

اول هذه الاعمال استخراج الغاز من حطب القطن وغيرهِ من المواد الخشبية لادارة آلات الري التي تدار بالغاز · فان في القطر المصري كثيراً من هذه الآلات وهي تدار بالغاز المستخرج من فحم الانثراسيت · وقد كان هذا الفحم غالياً قبل الحرب و بلغ ثمن الطن منهُ الآن خمسة عشر جنيهاً · و يقول المستر ولز ان كل طنين من حطب القطن يقومان مقام

طن من فحم الانثراسيت . ولا يلزم لاستخراج الغاز من حطب القطن الاَّ مقطع صغير لفرمهِ وآلة اخرى يحرق فيها على اسلوب يحول كربونهُ وهيدروجينهُ الى غاز ثم ينظف هذا الغاز من المواد التي تتصعد منهُ بامرارهِ في اساطين فيها ماء يستخرج منهُ كل انواع القطران والشوائب الاخرى كما ينظف غاز الضوء . ثم يجري الغاز الى الآلة البخارية التي تدار باشعالهِ فيها

وقد ارانا المقطع الذي يقطع حطب القطن وكان يعمل بهِ اثنان واحد يضع الحطب فيهِ وآخر يقطعهُ بادارة دولاب فيهِ سكينان فيقع قطعاً صغيرة كبراجم الاصابع . وهناك مقطع آخر تقطع فيهِ اغصان الاشجار الصغيرة نشراً . والطن من حطب القطن يبلغ حجمهُ ٢١ متراً مكعباً فيتعذر نقلهُ بسكة الحديد لكبر حجمهِ ولكن متى قطع كذلك صار حجمهُ ٣ امتار مكعبة فقط فيسهل نقلهُ بها . ويمزج مقطوع حطب القطن بمقطوع الاغصان اليابسة وتبن الفول ونحوهِ من المواد الخشبية . و يوضع هذا المزيج في فرن اسطواني من الحديد فيشتعل فيهِ اشتعالاً بطيئاً يحلهُ حلاً فتخرج المواد الغازية منهُ وتنظف وتشعل في آلاتهِ البخارية فتديرها على ما تقدم

وقد اخبرنا ان الآلة التي كانت دائرة بهِ حينئذٍ مضى عليها دائرة سبعة وعشرون يوماً . ثم اطفأ الغاز فوقفت الآلة ورأينا محل اشتعالهِ فيها لا يزال نظيفاً فهو انظف من غاز الضوء الذي تضاء بهِ شوارع العاصمة الآن . ثم اوقد الغاز فدارت الآلة حالاً

والآلة التي يستخرج بها هذا الغاز من حطب القطن رخيصة يبلغ ثمنها من مئة جنيه الى ١٥٠ جنيهاً فلا يصعب على كل من عندهُ مكنة تدار بغاز الفحم ان يبتاع آلة منها

و يظهر لنا انهُ سيكون للمواد القطرانية التي تفصل عن هـذا الغاز وقت تنظيفهِ شأن كبير في الصناعة والزراعة والطب والحرب اي في استخراج الاصبغة والاسمدة والادوية والمواد المتفجرة . وعلى الاقل في استخراج القطران الذي يستعمل في رصف الشوارع . فاذا جمعت هذه المواد في العزب حيث تستعمل هذه الآلات فلا يبعد ان تباع بما يعادل جانباً كبيراً من نفقات هذه الآلات . فان غاز الضوء يستخرج من الفحم الحجري في بعض البلدان الاوربية و ينظف و يطلق في الهواء و يكتفى بالقطران الذي يستخرج منهُ وما فيهِ من المواد الكيماوية لان قيمتها تزيد على ثمن الفحم الحجري ونفقات استخراج الغاز منهُ

ومعمل المستر ولز كبير كثير الفروع وما استخراج الغاز الاَّ فرع واحد من فروعهِ . فانهُ يشتغل ايضاً بعمل الورق من الحلفاء ونحوها وقد ارانا بعض الورق الذي صنعهُ وهو من

النوع الاصفر الذي يستعمل في اللف . اما الورق الابيض فلا بد لهُ من آلة كبيرة لا يقل ثمنها عن عشرين الف جنيه . ويشتغل ايضاً بتحويل الحطب على انواعهِ الى فحم نقي على اسلوب علمي يفصل بهِ الكربون (المادة الفحمية) عما يخالطهُ من المواد . وقد ارانا جانباً من هذا الكربون وهو نقي جدًّا وارانا ايضاً بعض ما استخرجهُ عند تحويل الحطب الى كربون من المواد الكيماوية كسبيرتو الخشب والحامض الخليك وخلات الجير وسوائل كثيرة من نوع الحامض الكربوليك . وعندهُ خزانة كبيرة فيها حناجر كبيرة مملوءة من هذه المواد . وتدل كتبهُ الكيماوية والآلات التي ركبها والمواد التي استخرجها على انهُ من العلماء الكيماويين الذين قرنوا العلم بالعمل ومن المهندسين الذين اشتغلوا بعمل الآلات الميكانيكية

ومتى ثبت ان الغاز الذي يستخرجهُ اوفر من غاز الانثراسيت وان المواد الكيماوية التي يستخرجها يزيد ثمنها على نفقات استخراجها اي متى ثبت بالامتحان المدقق ان عملهُ صناعي تجاري رابح فلا بد من الاخذ بهِ وقسمتهِ الى قسمين كبيرين الاول لآلات استخراج الغاز فتقام لها ورشة في هذا القطر تصنع فيها وتباع لطلابها من اصحاب المكنات التي تدار بغاز الانثراسيت والثاني لاستخراج المواد الكيماوية صناعية كانت او زراعية او طبية اوحربية وبذلك تجاري مصر البلدان الراقية في استخراج هذه المواد النافعة مما في بلادها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

غلاء المعيشة في مصر

نشرت مصلحة الاحصاء العام جدولاً قابلت فيهِ اسعار بعض المواد الغذائية والحاجيات الضرورية في شهر اغسطس الماضي بمثلها في شهر اغسطس في العام الماضي وشهر اغسطس سنة ١٩١٥ ورمزت الى اسعار هذه المواد والحاجيات في شهر يوليو سنة ١٩١٤ اي قبل الحرب تماماً برقم ١٠٠ فما زاد عنهُ كان زيادة في الاسعار وما نقص عنهُ كان نقصاً فيها . وهذا هو الجدول المذكور

في العاصمة بالمفرق

	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧
لحم الضأن	١٠٤	١١٣	١٥٨
لحم البقر	١٠٠	١٢٧	١٥٤
لحم العجول	٨٩	١٠٧	١٤٣
لحم الجاموس	٩٦	١٠٨	١١٥
الديك الرومي	٦٩	٨٣	١١١
الدجاج	٧٤	٦٦	١١٤
الحمام	٧٥	٧٨	١٠٧
الارانب	٦٢	٦٢	١١٥
البيض	١٠٠	١١٣	١٧٤
الزبدة	٩٧	١٠٤	١٢٥
دقيق القمح	١٠٠	١٣١	٢٠٠
الخبز الرومي	٩٧	١١٠	١٦٩
الخبز البلدي	٨٣	١٠٦	١٦٧
الارز الرشيدي	٩١	٩١	١٣٩
الزيت	٩٢	١٠٨	١٧٥
الحناء	٧٢	٥٩	٨٦
الصابون البلدي	١٠٠	١٤٧	٢٢٠
السبيرتو	١٠٠	١٥٠	١٥٠
زيت البترول	١٢٤	١٧٧	٢١١
متوسط ارتفاع الاسعار	٩١	١٠٧	١٥٠

يقابل هذا المتوسط في الاسكندرية في شهر اغسطس المذكور ١١٠ في سنة ١٩١٥ و١٢٩ في العام الماضي و١٨٤ في هذا العام فارتفاع الاسعار في الاسكندرية اعظم منهُ في العاصمة ولكن المرجح ان هذا الارتفاع ناجم عن كون الاسعار في الاسكندرية كانت اوطأ قبل الحرب منها في العاصمة

في العاصمة بالجملة

	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧
السكر	١٤٥	١٤٥	١٥٧
العسل	٨٧	٨٠	١٠٢
دقيق الحنطة	٩٩	١٣٥	٢١٨
دقيق الذرة	٨٩	١٠٨	١٥٠
الفول السوداني	١٠٠	١٠٣	١٧٦
الطماطم	٨٠	٦٤	١٨٤
البصل	٦٨	٤٩	٩١
الموز	٨٣	٨٣	١٠٠
البلح	١١٨	١٢٤	—
الزيت	٨٩	١٠٨	١٧٠
البيض	١١٠	١٢٣	١٨٥
السمن	٩٣	١١٠	١٤٣
الحناء	٦٢	٥١	٨٢
الارز الرشيدي	٨١	٩٤	١٧١
الصابون البلدي	٩٧	١٧٩	٢٢٨
السبيرتو	١٢٠	١٨٦	١٨٦
زيت البترول	١٢٤	١٧٥	٢١١
متوسط ارتفاع الاسعار	٩٧	١١٣	١٦٠

يقابل هذا المتوسط في الاسكندرية ٩٨ في سنة ١٩١٥ و١١٣ في العام الماضي و١٦٣ في هذا العام

والحالة في الارياف ليست اصلح منها في القاهرة والاسكندرية بل قد غلا ثمن كل ما يباع فيها غلوًّا فاحشًا فالثور الذي كان يباع بخمسة عشر جنيهًا يتعذر مشتراهُ الآن باقل ثلاثين جنيهًا الى اربعين ورطل الزبدة الذي كان يباع بثلاثة غروش الى اربعة يساوي الآن ثمانية غروش او تسعة . وكانت تسع بيضات تباع بغرش والآن تباع الثلاث

بغرش . وتضاعف ثمن السمك واكثر الحاجيات ولكن المزارعين خزنوا مؤونتهم من الذرة والقمح والكشك على جاري عادتهم وبعضهم خزن جانباً من محصوله وهو يبيعهُ الآن بثمن غالٍ . فلم يشعر بالضيق الاَّ الاجراء الذين يعملون مياومة ولا زراعة لهم يخزنون منها مؤونتهم

الرياضة

منافعها ومضارُّها

عضلات الجسم تبلغ نحو نصف زنتهِ وهي تولّد قوة تظهر بشكلين الحرارة والعمل . ووظيفتها تمكين صاحبها من الحركة مشياً وركضاً وقياماً وقعوداً ونحو ذلك فضلاً عن انها هي التي تقوم بكثير من وظائف الجسم كالدورة الدموية والتنفس وحركة المعدة والامعاء . وهي تولد الحرارة على الدوام في اثناء تقلصها وتمددها . فهي لذلك بمثابة فرن للجسم تحرق فيهِ فضلات الغذاء التي ينبذها الدم . فاذا اكل الرجل من الطعام اكثر مما يلزم جسمهُ واصبح دمهُ مفعماً بالغذاء كانت النتيجة احد امرين فاما ان تخزن الفضلة بشكل دهن واما ان تتولى العضلات حرقها

العضلات آلة الرياضة ويظهر لنا عظم شأن الرياضة متى علمنا ان العضلات تنفق من الغذاء وهي متحركة اكثر مما تنفق وهي ساكنة . وعليهِ يجب على كلٍّ منا ان يأكل بنسبة حاجتهِ الفسيولوجية اي بنسبة ما يحتاج اليهِ كل عضو من اعضائهِ في القيام بوظيفتهِ . فالذين تقضي عليهم اعمالهم بكثرة الحركة يحتاجون من الطعام الى اكثر مما يحتاج اليهِ الرجل الساكن الذي لا يكاد ينتقل من مجلسهِ في عملهِ . ثم ان عضلات الرجل الساكن تحرق فضلات الغذاء بابطأ مما تحرقهُ عضلات الرجل ذي الحركة وعاقبة ذلك ان الرجل الساكن اكثر عرضة للتسمم بهذه الفضلات من الآخر . واعراض هذا التسمم هي سرعة الشعور بالتعب والكسل والصداع ثم تتدرج الى النقرس والروماتزم وغيرها من الادواء التي من نوعها

فالرياضة تنشط الدورة الدموية واعضاء الافراز اي الجلد والكليتين فتساعد الجسم بذلك على التخلص من الفضلات الضارة بسرعة . وتنبه الكبد الى العمل والكبد اهم عضو في الجسم لتنقية الدم

والغالب ان يشعر المرء بعد الرياضة بانبساط وانشراح لم يكونا لهُ قبلها وسبب ذلك ان ما نشعر بهِ عادة من الانقباض والاغتمام ناشيء عن تجمع المواد السامة في الجسم فالرياضة تبدد هذه السموم سريعاً بتنشيط الدم ومفرزات الجسم على العمل كما تقدم

على ان الرياضة على منافعها كثيرة الضرر اذا جاوزت حدَّ الاعتدال · والعنيفة منها تجهد بعض اعضاء الجسم الرئيسة كالقلب والاوعية الدموية اجهاداً محفوفاً بالخطر الكثير · وهذا الخطر يزداد كلما تقدم الانسان في السن · وعليهِ كثيراً ما تجد مشاهير اهل الرياضة كالمصارعين ولاعبي الجمنستيك والعدائين مصابين بامراض في القلب ومعرَّضين كثيراً لانفجار الاوعية الدموية · وقلما تسمع بواحد منهم عمّر طويلاً

وسنأتي فيما بعد على انواع الرياضة مبينة بالرسوم الكاملة

مرض الشرايين

الشرايين انابيب مرنة تحمل الدم من القلب وتوزعهُ على الجسم · ولكنها تفقد مرونتها تدريجاً بتقدم العمر فتغلظ وتبيت قابلة الانقصام · وليست الشيخوخة في حقيقة الامر الأ عرضاً من اعراض مرض الشرايين فاذا كانت الشرايين لينة مرنة فالجسم في الغالب صحيح غضٌّ واذا كانت قاسية جافة فالجسم فانٍ قبل اوان الفناء

ولا يمكن تعيين الزمان الذي تأخذ الشرايين فيهِ تفقد مرونتها فان هذا كلهُ يتوقف على تاريخ العائلات واساليب المعاش · فانك قد تجد شاباً ابن ثلاثين لهُ شرايين الشيوخ وشيخاً فانياً لهُ شرايين الشباب

واذا غلظت جدران الشرايين واشتدَّ ضغط الدم في اوعيتهِ اثر ذلك في الصحة وطول العمر من جهتين : فاما ان يزيد عمل القلب فتفضي كثرة عملهِ الى تضخمهِ فتمددهِ · واما ان ينفجر شريان في الدماغ فتحدث السكتة الدماغية او الموت فجأةً

وقد يكون المرء مصاباً بمرض شدة ضغط الدم من غير ان يشعر بهِ ولكنهُ قد يضطر احياناً الى فحص جسمهِ عند طبيب كما لو اراد التأمين على حياتهِ في بعض شركات التأمين فيرفض بدعوى ان شرايينهُ متصلبة ودمهُ عالي الضغط والأ فاذا قبل فرض عليهِ وهو ابن اربعين مثلاً ان يدفع من الاقساط السنوية ما يدفع ابن خمسين اي انهُ في نظر الطب اكبر مما هو بعشر سنين وفي نظر شركات التأمين معرض للموت مثل ابن خمسين

وليس من السهل في احوال كثيرة معرفة سبب التصلب ولكن يقال بوجه عامّ ان غلظ جدران الشرايين وشدة ضغط الدم ناشئان عن دوران بعض السموم مع الدم في الجسم · والمرجح ان اكثر هذه السموم تدخل الدم بطريق القناة الهضمية اما بسبب كثرة الاكل اوسوء التغذية او السكر او قبض الامعاء او سوء المضغ وما اشبه ذلك

واساس العلاج في هذا الداء حفظ ضغط الدم واطئاً خشية توقف القلب عن العمل فجأةً لفرط اعيائهِ او خشية السكتة الدماغية · ومما يوصي بهِ الاطباء الاشخاص المعرضين لهذا الداء الامتناع عن شرب المشروبات الروحية او اقلالها كثيراً واقلال شرب الشاي والقهوة وغيرهما من المنبهات · وتقليل الطعام عند الاكل ومضغهُ جيداً · والامتناع عن الالعاب التي تقتضي حركة عنيفة · وحفظ حالة الامعاء طبيعية · واذا كان المصاب سميناً زائد السمن وجب ان يقلل من سمنهِ ما امكن

العَسَر

العَسَر استعمال اليد اليسرى اكثر من اليمنى · وقد ظُنَّ خطأً انهُ في الصغار نذير ببلادة الفهم او البله فلذلك يبذل الوالدون جهدهم في منع اولادهم ان ينشأوا عُسْراً · وحقيقة الامر ان سبب العَسَر نموّ اجزاء الدماغ التي تتسلط على اليد اليسرى قبل اجزائهِ الاخرى · والغالب ان يعني الوالدون مزيد العناية باولادهم الذين ينشأون عسراً فيبالغوا في تعويدهم استعمال اليمنى ايضاً حتى اذا شبوا رأيتهم يستعملون كلتا يديهم على السواء لا فرق في الرشاقة واللباقة بين يد واخرى

زمان تعليم الصغار

يجب ان لا يشرع في تعليم الاولاد القراءة سواء كان ذلك في منازلهم او في المدارس قبل بلوغهم السابعة من سنهم · وقبل بلوغ هذه السنّ يقتصر على تعليمهم الترتيب والنظافة والنظام في كل شيء · وان المرء ليدهش من سرعة تعلم الصغار ما يراد تعليمهم اياهُ وتمرينهم عليهِ · فانك اذا وقّت لهم الاكل مثلاً لا يلبثون ان يجروا فيهِ على ميقات فلا يطلبوا طعاماً قبل الاجل المضروب · واساس طريقة التعليم المعروفة باسم كندرجارتن هو تعليم الاولاد كيف يشاهدون ما حولهم و ينظرون اليهِ ويتمعنون فيهِ ويبنون الاستدلالات عليهِ · اما اذا جاوز الولد السابعة من عمرهِ فان دماغهُ يقوى بعض الشيء على احتمال بعض التعب فالواجب حينئذٍ ان يمرن على الدرس بانتظام والاَّ نشأ كسولاً مهملاً · ومن غلطات الوالدين ان يمرّنوا اولادهم على الكلام الفارغ وسرعة الجواب ومراجعة ما يسمعون من الاقوال وترديدها كما ترددها الببغاء ظنّاً منهم ان ذلك دليل الحذق النادر والذكاء الخارق وانما هو دليل دماغ قلق اذا سهل انطباع الاثر عليهِ فان امحاءهُ اسهل · وان بطء الجواب في الاولاد خير من سرعتهِ لانهُ يدلُّ على التفكير فيما يطرح عليهم من المسائل

باب الزراعة

محصول الحبوب في العالم

اصدر المعهد الزراعي الدولي تقديرهُ الرسمي العام لمحصول الحبوب في العالم هذا العام وقد قدرت فيهِ محاصيل الحبوب كما يأتي :

القمح

٠٠٠ ٤٨٥ ١٣٣ قنطار انكليزي (١١٢ رطلاً) في كندا بزيادة ١٣٫١ على المحصول الماضي

و ٠٠٠ ٩٣٢ ١٣٣ قنطار من القمح الربيعي في الولايات المتحدة بزيادة ٥٨٫١ في المئة على المحصول الماضي

و ٠٠٠ ٩١٩ ١٥ قنطار في الجزائر بزيادة ١٫٩ في المئة على المحصول الماضي

الجاودار (فصيلة من القمح)

٠٠٠ ٠٩٨ ٢ قنطار في كندا بزيادة ٤٤٫٩ في المئة على المحصول الماضي

الشعير

٠٠٠ ٤٢٢ ٢٥ قنطار في كندا بزيادة ٤٣٫٩ في المئة على المحصول الماضي

و ٠٠٠ ٢٣٢ ١٤ قنطار في الجزائر بنقص ٧٫٧ في المئة على المحصول الماضي

الشوفان

٠٠٠ ٣٨١ ١٢١ قنطار في كندا بزيادة ١٣٫٩ في المئة على المحصول الماضي

و ٠٠٠ ٠٠٣ ٤٨٨ قنطار في الولايات المتحدة بزيادة ٢٢٫٤ في المئة على المحصول الماضي

و ٠٠٠ ٤١٣ ٥ قنطار في الجزائر بزيادة ٤٤٫٢ في المئة على المحصول الماضي

الذرة

٠٠٠ ٠٠٢ ٦٢٤ ١ بزيادة ٢٥٫٧ في المئة على المحصول الماضي

وقدر جملة محصول القمح في اسبانيا وفرنسا واسكتلندا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة والهند واليابان والجزائر بـ ٠٠٠ ٢٢٦ ٨٩٢ قنطار اي بزيادة ٣٫٣ في المئة عن جملة المحصول في البلاد المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الجاودار في اسبانيا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة بـ ٠٠٠ ٩٧٥ ٤٤ قنطار اي بزيادة ٧ ٬ ١ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الشعير في اسبانيا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة واسكتلندا واليابان والجزائر بـ ٠٠٠ ١٩٨٩٨١ قنطار اي بزيادة ٤ ٬ ٢ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الشوفان في اسبانيا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة بـ ٠٠٠ ٥٧٠١٤٤ قنطار اي بزيادة ٩ ٬ ١٩ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الذرة في اسبانيا وسويسرا والولايات المتحدة بـ ٠٠٠ ٩٩٨ ٦٣٦ ١ قنطار اي بزيادة ٣ ٬ ٢٥ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

النجاح في الزراعة

كل احد مهما كان جاهلاً يستطيع ان يزرع الارض ويجني غلتها حتى زنوج افريقية يعلمون ان يلقوا البذار في الارض فينمو ويجني من الحبة الواحدة حبوب كثيرة . ولكن هذه المعرفة لا تكفي الذين يريدون ان يستغلوا من الارض اقصى ما يمكن ان تغلهُ . فان الرجل الساذج الذي يجهل اساليب الزراعة العلمية اذا جنى من فدان اردبين من القمح فالذي اتقن الزراعة علماً وعملاً قد يجني منهُ ستة ارادب او سبعة . وقس على ذلك سائر المزروعات

ولا يخفى ان هذا القطر قد ضاق بسكانهِ او كاد يضيق والمرجح انهُ يمكن ان تزاد اراضيهِ الزراعية مليون فدان او مليوني فدان بما يصلح من الاراضي البور وما يجفف من البحيرات . ولكن هناك حدًّا لا تتعداهُ الاراضي الزراعية لان على جانبي الوادي جبالاً لا تعلو المياه اليها والجانب الغربي من الوجه البحري صحارى قاحلة لا يحتمل ان يزرع منها الاَّ ما جاور الاراضي المزروعة . والسكان يزيدون على نسبة هندسية وتبلغ زيادتهم الآن نحو مئتي الف نفس في السنة فبعد عشر سنوات يصير عددهم نحو ١٥ مليونًا وبعد عشر سنوات اخرى يصير عددهم اكثر من ١٧ مليونًا فلا تتيسَّر لهم المعيشة ما لم يجنوا من الارض كل ما يمكن ان يجنى منها

والزراعة اساس الصناعة . والبلاد التي تهمل زراعتها في سبيل اهتمامها بالصناعة تندم

غاية الندم اذا وقعت في شدَّة كما في الزمن الحاضر فلا يحسن ان نهتم بالصناعة اهتماماً يمنعنا من الاهتمام بالزراعة واجتناء كل ما يمكن اجتناؤُهُ من الارض

الزرنيخ في الزراعة

كنا منذ نحو اربعين سنة نجول في سهل البقاع على مقربة من قلعة بعلبك فوجدنا قطعاً من الزرنيخ استغربنا وجودها هناك ولم نكن نعلم ان الزرنيخ موجود في اكثر الاراضي الزراعية وان منهُ للزراعة فائدة كبيرة . وقد قرأنا الآن مقالة في هذا الموضوع للدكتور غريقس الاميركي في المجلة العلمية الشهرية خلاصتها انهُ جُربت تجارب زراعية كثيرة لمعرفة مقدار الزرنيخ في التربة وفائدتهِ للمزروعات وكان يضاف الى الارض بمقادير مختلفة فظهر انهُ يفيد في زيادة نمو المزروعات كأنهُ يقويها على النمو وتناول الغذاء كما يقوي الذين يعتادون تعاطيهُ . ولا يعلم سبب ذلك لانهُ غير مغذٍّ بالذات ولكن يرجح انهُ يميت المكروبات التي من الانواع الحيوانية (بروتوزوى) ويقوي المكروبات التي من النوع النباتي (باشلس) وهذه الاخيرة هي التي تقدم الغذاء للنبات والاولى تفترس جانباً كبيراً منها فتضعف فعلها فهو مثل احماء التربة واستعمال بعض الغازات السامَّة على ما اشار بهِ رسل وهتشنصن كما ابنا غير مرة . وعليهِ فاذا اضيف قليل من مركبات الزرنيخ الى الارض او الى السماد الذي تسمد بهِ كانت منهُ فائدة زراعية في زيادة خصب المزروعات

العلم في الزراعة

نشر ديوان الزراعة والصيد في البلاد الانكليزية منشورات قال فيها ان تربة البلاد الانكليزية اجود من تربة المانيا ومع ذلك فمئة فدان من المانيا ينتج منها ما يكفي ٧٠ الى ٧٥ من النفوس واما مئة فدان في البلاد الانكليزية فلا ينتج منها الاَّ ما يكفي ٤٠ نفساً وما ذلك الاَّ لتقدم علم الزراعة في المانيا عليهِ في انكلترا وكثرة الاعتماد على الاسمدة الصناعية في المانيا . والآن قد بُذلت الهمَّة في البلاد الانكليزية لاتقان الزراعة والاكثار من الاسمدة الصناعية

حفظ الاثمار والخضر

لا يجهل الناس كيفية خزن القمح والفول والعدس والشعير وما اشبه من الحبوب اليابسة حتى لا تؤْكل كلها في الاشهر التي تجنى فيها بل يمتد استعمالها في السنة كلها من

موسم الى موسم . ولكنهم يجهلون غالباً كيفية خزن الاثمار والخضر فاذا جاء اوان التين اكلوهُ بضعة اشهر ثم لا يرون تينة الى ان يأتي موسم آخر منهُ وقس على ذلك العنب والبرتقال والشمام والبطيخ والمشمش والتفاح والخضر على انواعها كالطماطم والخيار والكوسى والسلق والبامياء واللوبياء . لكن اهل التدبير منهم تمكنوا من تقديد اكثر الاثمار والخضر حتى تجف بزوال الماء منها . فاذا نقعت في الماء عادت الى ما يشبه طراءتها الاولى . او عقدوها بالسكر اذا كانت من الاثمار الشديد الحلاوة كالتين والكرز او حفظوها في علب لا يدخلها الهواء كالبازلاَّ والطماطم وذلك لان الشهور التي تكثر فيها هذه الاثمار والخضر قليلة في الغالب في البلدان الباردة وقلما يبقى منها شيء اخضر الى فصل الشتاء الطويل . اما نحن في هذا القطر فشتاؤُنا قصير جدًّا و بعض جهات القطر المصري لا شتاء فيهِ . ولذلك تطول مدة الفاكهة المصرية كالتين والعنب والشمام والبطيخ . والخضر فلما تنقطع فنرى البازلاَّ والطماطم والبامياء والخيار والكوسى والسلق والسبانخ والكرفس وما اشبه في اكثر السنة . واذا سهلت وسائل النقل في المستقبل وزادت سرعتهُ فلا بدَّ من ان تروج سوق الخضر والفواكه المصرية في اوربا ولا سيما في شهور الشتاء والربيع قبلما تظهر الخضر والفواكه الاوربية . وما لا يمكن نقلهُ منها اخضر لانهُ سريع التلف يرسل مقدداً اذا انشئت لهُ معامل تتقن تقديدهُ ووضعهُ في آنية من الزجاج او الصفيح . والمرجح عندنا انهُ سيكون لذلك تجارة واسعة بعد سنين قليلة

المواشي والزراعة

ان غلاء اللحم حمل كثيرين من اصحاب المواشي على بيع ما عندهم من العجول والثيران للذبح . نعم ان الحكومة تمنع ذبح العجول الصغيرة ولكنها لا تمنع ذبح العجول الكبيرة فقلَّت هذه العجول وصرنا نخشى ان الثيران الموجودة الآن في القطر لا تكفي لحرث اطيانهِ . ولا سبيل لجلب الثيران من بلاد اخرى ولا لجلب آلات بخارية للحرث . ولما قلت عجول البقر التي يمكن ذبحها كثر ذبح عجول الجاموس ولذلك فستقل الجواميس ايضاً كما قلت البقر ومن قلتهما ضرر آخر غير قلة المواشي اللازمة للحرث وهو قلة السباخ البلدي الذي عليهِ اكثر اعتماد الزراعة . ولا علاج لذلك الآن الاَّ الاقلال من ذبح الحيوانات على انواعها . ولا ضرر من هذا الاقلال لان الحبوب والالبان تغني عن اللحم في الطعام كما هو ثابت علماً واختباراً

باب التقريظ والانتقاد

ديوان ابن الرومي

ابن الرومي هو احد كبار الشعراء المولدين عاش في القرن الثالث للهجرة وكان معاصراً للبحتري ومات قبلهُ بسنة . وكان يسكن بغداد ولهُ شعر آية في الرقة والانسجام وكثير منهُ محفوظ متداول كقولهِ يصف السحاب

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً ... على الجوّ دُكناً والحواشي على الارضِ
يطرزها قوس السحاب بأخضر ... على احمر في اصفر اثر مبيضّ
كأذيالِ خود اقبلت في غلائلٍ ... مصبغة والبعض اقصر من بعضِ

اهدي الينا الجزء الاول من ديوانهِ مع شرح لهُ لحضرة الشيخ محمد شريف سليم المفتش بوزارة المعارف . وقد جاء في مقدمة الشارح ان الديوان طبع على نفقة حضرة صاحب السعادة احمد حشمت باشا « خدمة للآداب العربية وحفظاً لآثار شاعرحلّ بالمكانة السامية في عالم الادب من ان تضيع » الخ

اما « الآداب » العربية فقد خدمت ولا ريب لان ديوان ابن الرومي غير متداول . ولا يخفى ان المراد « بالآداب » هنا كتب الادب التي يعبّر عنها الافرنج بكلمة Literature واما « الآداب العمومية » فلم تخدم بنشر هذا الديوان ونريد بالآداب العمومية ما اصطلح الناس على تسمية الاخلاق بهِ . ولا نريد الاطالة في هذا الشأن فان الشارح كفانا موءونة ذلك في مقدمتهِ بقولهِ :

« بقيت لنا مسألتان هامتان جدًّا الاولى اقذاع ابن الرومي والفحاشةُ في كثير من اشعارهِ واتيانهُ بالهاجرات التي يحمرّ لها وجه الادب خجلاً » . ثم اعتذر عن نشرها بقولهِ : فلو كنا في مقام اختيار غُرر الاشعار لكان حقًّا علينا ان نطهّر ديوانهُ من تلك المهجرات ولكننا في مقام الرواية لما اثر عن ذلك الشاعر فلم يكن لنا مندوحة من حفظ المأثور عنهُ ليستنبط منهُ ما كانت عليهِ الحال الادبية في عصر الرجل والفائدة التي تكتسب من ذلك جليلة جدًّا » الخ

ولكن نشر اشعار ابن الرومي التي تضمنت فحش القول وهجرهُ لا يلزم ان تدلّ على

الحال الادبية في عصره فقد كان البحتري من معاصريهِ وشتان بين الاثنين في الادب العالي · وعندنا انهُ كان يجب حذف هذا الشعر الخاني غير مأسوف عليهِ ويبقى الاصل في مكتبة عمومية كدار الكتب السلطانية ليرجع اليهِ علماء الاجتماع اذا رأوا فيهِ فائدة في بحثهم

نظم المتنبي بعض الشعر البذيء الذي لا تعدُّ بذاءتهُ شيئاً مذكوراً في جنب ما نظم ابن الرومي · فلما تولَّى بيت اليازجي شرح الديوان حذفوا منهُ كلَّ « كلمة خبيثة كشجرة اجتثت من فوق الارض » · فلمَ لا يصنع بشعر ابن الرومي ما صنع بشعر المتنبي

ثم اننا لا ندري لماذا تعب حضرة الشارح في نسخ الديوان عن نسخة كثيرة الخطأ واخذ على نفسهِ تصحيحهُ وهو مطبوع في بلاد الهند على ما جاء في كتاب « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع »

اوراق متناثرة

كتاب يتضمن « اشتاتاً موجزة نشر معظمها في الصحف والمجلات السائرة » من قلم حضرة الاديب سليم افندي عبد الاحد · وقد توخى في جمعها « اسلوب الغرب في الانشاء وجمع بينهُ وبين اسلوب العرب » كما قال في المقدمة · وهاك نبذة منهُ نموذجاً لسائر ما تضمنهُ وهي نبذة في رثاء زنبقة مترجمة بتصرف جاء منها :

« لست اعلم ايتها الزنبقة البيضاء ما تنطوين عليهِ من اسرار الحياة الغامضة ولكنني اعلم أنَّكِ كنتِ حيةً تنشقين الهواء النقي وتتمتعين باشعة الشمس الدافئة · واراكِ الآن قد اطبقتِ اجفانكِ وحنيتِ رأسكِ لانكِ اتممتِ ما عينتهُ لكِ الطبيعة في تربتكِ المهجورة · فطويتِ اجنحتكِ البيضاء واقصيتِ عنكِ النحلة والفراشة

أجل ايتها الزنبقة · لكم اساء اليكِ الانسان فاقتطف رفيقاتكِ بيديهِ وداسهنَّ برجليهِ وهو يطارد الفراشة من زنبقة الى زنبقة ومن زهرة الى اخرى · اما الآن وقد ذويتِ ولفحتكِ اشعة الشمس المحرقة فقد آن لكِ ان تطأطئي هامتكِ الجميلة وتنضمي الى رفيقاتكِ اللواتي سبقنكِ · وليس لنا طلبةٌ اليكِ سوى ان تصفحي عن إساءتنا اليكِ فاننا انشفناكِ عطشاً واهملناكِ عن جهل ولم نشعر بخطإنا الاَّ عند ما زالت رائحتكِ الذكية وانقطع اريجكِ الطيّب من الحقول التي كانت تزدان بكِ

ان الانسان ايتها الزنبقة يموت فتفسد رائحتهُ واما انت فانكِ تموتين ورائحتكِ تعطر تربتكِ · فاين منكِ الانسان المتجبر المعدودة انفاسهُ المحصاة شعور رأسهِ ؟

يقول العلماء ان المادة لا تقبل الفناء ولا تضمحل · فاذا كان الامر كذلك فماذا عسانا ان نقول ايتها الزنبقة عن الحياة التي هي اثمن بكثير من المادة ؟ هل تفنى حياتكِ بذبولكِ وموتكِ ام هي خالدة في عالم آخر تشعر كما نشعر وتحس كما نحس ؟

مدينة الفسطاط

وقفنا على المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات الاثرية لصاحبها الفاضل يوسف افندي احمد المفتش في لجنة حفظ الآثار العربية بوزارة الاوقاف وموضوعها مدينة الفسطاط او مصر القديمة · وقد القاها على بعض مدرسي المدرسة الخديوية وطلبتها اثناء زياراتهم للاماكن الاثرية العربية وتكلم فيها عن مدينة الفسطاط وما جرى فيها من الحوادث الهامة وما كانت فيها من الصناعات والعمائر العربية من مساجد ومدارس وخوانق وربط وزوايا وبيمارستانات وحمامات وخانات وفنادق وقصور ومعامل ومعاصر واسواق الى غير ذلك من آثار الحضارة والمدنية

وقد جعلهُ في جزئين طبع الاول منهما اما الثاني فلا يزال تحت الطبع · وثمن الجزء اربعة غروش صاغ

بطرس الاكبر وولدهُ

ترجم هذا الكتاب في ادارة الهلال وجاء في ديباجتهِ : « ولما كانت احوال روسيا اليوم قبلة انظار العالم اجمع رأينا ان نقدم الى الجمهور موجزاً من اعمال بطرس الاكبر ولا سيما ما وقع لهُ مع ولدهِ الكسيس معتمدين على ما بسطهُ المسيو دي فوجويه الكاتب الفرنسوي الشهير »

تاريخ الاتراك العثمانيين

اهدى الينا حضرة الفاضل حسين افندي لبيب المدرس في مدرسة القضاء الشرعي الجزء الأول من هذا التاريخ منقولاً عن الانكليزية · والكتاب ثلاثة اجزاء قصر الاول والثاني منها على التاريخ السياسي والاجتماعي الى القرن التاسع عشر للميلاد · واما الثالث فوقفهُ على تاريخ اللغة التركية وادابها وشعرائها ووصف الحكومة العثمانية الى غير ذلك · والجزء الذي بين ايدينا يبحث في حكم السلاطين العثمانيين من ارطغرل الى محمد الثاني فاتح القسطنطينية

ذكرى المولد النبوي

رسالة تتضمن خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الاسلامية وكليات الاسلام وحكمهُ تأليف السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار وناظر دار الدعوة والارشاد. نشرت في مجلة المنار تباعاً ثم جمعت في رسالة واحدة وقد افرغ فيها حضرة مؤلفها الفاضل خلاصة مباحثهِ الواسعة وآرائهِ السديدة فجاءت من خير ما كتبهُ في المواضيع الدينية والاجتماعية. تباع في مكتبة المنار بشارع عابدين نمرة ٢٥ وثمن النسخة ٤ غروش صاغ

نشرة دار الكتب السلطانية

اصدرت دار الكتب السلطانية « نشرة عن الوارد لرصيد الكتب في سنة ١٩٦٦ » وفيها اسماء هذه الكتب مرتبة بحسب مواضيعها وفهرست اسماء المؤلفين المذكورين فيها وهي بالعربية والانكليزية والفرنسوية

مختصر تاريخ المانيا

يتضمن تاريخ المانيا منذ اقدم الازمنة الى نشوب الحرب الاوربية الكبرى في اربعة عشر فصلاً وهو مزين بالصور وقد ترجم في ادارة الهلال

الحان الكنيسة القبطية

محاضرة تاريخية فنية القاها حضرة الاديب توفيق افندي حبيب في كلية البنات القبطية في شهر مارس الماضي وهي تبحث في تاريخ الموسيقى عامة الموسيقى عند قدماء المصريين واليهود والوثنيين والمسيحيين والحان الكنيسة القبطية بوجه خاص

كتاب السعادة

لابن مسكوية في فلسفة الاخلاق

أُهدي الينا هذا الكتاب فاذا هو كراس نصفهُ مقدمة بقلم حضرة الشيخ سيد علي الطوبجي السيوطي والنصف الثاني راي ابن مسكوية في السعادة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اسباب الضحك والبكاء

السويس. عبد الرحيم افندي محمد. نرجو افادتنا عن نظريتي الضحك والبكاء ولماذا لا يضحك الانسان الاَّ اذا سُرَّ من شيء واذا حزن بكى وتساقطت دموعهُ وهل من مؤلف عربي يبحث في هذا الموضوع

ج. تجدون خلاصة مباحث العلماء في هذا الموضوع في المجلد السابع والعشرين من المقتطف في مقالات متوالية موضوعها «الصحيح من الفراسة» في الصفحة ٢٧٠ والصفحات الاربع التالية لها كلام عن امارات السرور ومنها الضحك وفي الصفحة ٣٤٨ وما يليها كلام على امارات الالم والخوف ومنها البكاء فطالعوها. ولا نعرف كتاباً عربيًّا في هذا الموضوع

(٢) حقيقة المندل

مصر. زكي افندي ابرهيم. الرجاء افادتنا عن حقيقة المندل وما رأيكم فيهِ ولكم مزيد الشكر

ج. لقد ابدينا رأينا فيهِ مراراً وخلاصتهُ ان الشخص الذي يُطلب منهُ ان يلتفت الى ما امامهُ فيرى صورة المسؤُول عنهُ اما ان يكون محتالاً فيأتي عليهِ صاحب المندل مسائل مخصوصة وهو يجيب عنها حسب الاتفاق بينهما. واما ان يكون بسيطاً فيستهويهِ صاحب المندل فينام النوم المغنطيسي وحينئذٍ يصير يرى امامهُ ما يطابق اسئلة السائل اي يحلم بها كما يحلم النائم لكن نومهُ هذا لا يكون كالنوم العادي بل يبقى قادراً على النطق والتعبير عما يراهُ في حلمهِ. وقد يصدق المندل احياناً ولكن صدقهُ يكون على الصورة التالية: —

لنفرض ان زيداً سُرقت بضائع من مخزنهِ فهو والذين يعرفونهُ جيداً ويعرفون مخزنهُ يظن كلٌّ منهم ظنوناً كثيرة من جهة السارق مثل انهُ احد المستخدمين او الغفير او الخادم. والغالب ان يصدق احد هذه الظنون. ومتى شرحت السرقة للذي يرى في المندل علّقها هو بشخص من الاشخاص ووصفهُ وصفاً مبهماً يصدق على كثيرين

فيسمعهُ صاحب المخزن و يتصورهُ حسب ما هو راسخ في ذهنهِ . فان قال لهُ ان السارق رجل قصير اسمر قال في نفسهِ هو اذاً الغفير او الخادم اي انهُ يعلق الوصف بواحد من الذين يتهمهم . والغالب ان الانسان يصيب في تهمتهِ فيعتقد ان صاحب المندل ارشدهُ الى السارق والواقع ان الذي ارشدهُ اليهِ انما هو فكرهُ واستدلالهُ واما صاحب المندل فخادع او مخدوع

(٣) اكبر النيران

مصر . امين افندي احمد . ما اكبر النيران التي شبت في المدن وقيمة ما اتلفتهُ

ج . ان النار الكبيرة التي شبت في مدينة سلانيك منذ عهد قريب حرقت من مبانيها وامتعة السكان ومتاجرهم ما قوّم باربعين مليونًا من الجنيهات وتركت مئة الف منهم من غير مأوى

واعظم منها النار التي شبَّت في مدينة شيكاغو باميركا سنة ١٨٧٢ فانها حرقت ١٨٤٠٠ من المباني الكبيرة يسكنها اكثر من مئة الف نفس وقُدّر ما اتلفتهُ بستين مليونًا من الجنيهات وكان سببها ان بقرة كانت تحلب ليلاً فرفست مصباحًا من مصابيح البترول فالتهب زيتهُ وهو مشتعل وحرق ما اصابهُ من كوم القش وفي اقل من تسع عشرة ساعة امتدت النار والتهمت كل تلك المنازل في ارض مساحتها اربعة آلاف فدان

ومن هذا القبيل النار التي شبت في سان فرنسسكو سنة ١٩٠٦ على اثر وقوع الزلزلة فيها فانها اتلفت ما قيمتهُ اربعون مليونًا من الجنيهات وجاءت بعد تلك الزلزلة ضغثًا على ابالة ولكن لم يحترق بها سوى ٤٠٠ من السكان

(٤) الشفاء من الزهري

يوسف افندي رأفت . ارجو افادتي عن شابين في الثلاثين والخامسة والثلاثين من العمر اصيبا بالزهري وعولجا بحقن ٦٠٦ ثماني مرات لكل واحد منهما و٧٠ حقنة من الزيبق وانقطعا عن العلاج نحو عشرة شهور حلل فيها الدم مرتين حسب امر الطبيب فلم يوجد فيهِ شيءٌ . و يقول البعض ان هذا المرض لا بد ان يعود ولو بعد عشرين سنة و يقول غيرهم انهُ اذا لم يوجد بالتحليل مكروب بعد مضي عام فقد شفي المريض تمامًا ولا يعود المرض اليهِ من نفسهِ مطلقًا فاي القولين اصح وهل يخشى على النسل اذا تزوج من شفي ومضت سنة ودمهُ خالٍ من المكروب

ج . القول الثاني اصح اما النسل فصحتهُ تتوقف على التأثير الذي اثرهُ المرض في الرجل المصاب قبلما شفي منهُ لان الشفاء من مرض لا يستلزم ازالة كل آثارهِ من الجسم فان كان المرض قد اضعف الجراثيم الاصلية التي تدخل في توليد الجنين فهذا الضعف لا يزول منها ولو شفي الرجل من

المرض . وان كان لم يضعفها ولا أثّر فيها مطلقاً وُلد النسل سليماً ولو كان المرض باقياً في الجسم . ولذلك تجدون بعض اولاد المصابين بهذا الداء الخبيث من اجود الاولاد صحة وتجدون البعض الآخر سقيماً او مصاباً بالداء نفسهِ . ومع ذلك فشفاء الوالد قبل تزوجهِ اسلم لنسلهِ من عدم شفائهِ

(٥) الطب والفلك عند المتقدمين والمتأخرين

مصر . محمد افندي كامل الغمراوي . قامت امامي مناقشة بين استاذين جليلين حول علمي الفلك والطب قديماً وحديثاً فكان من رأي احدهما ان المتقدمين لم يدعوا منهما للمتأخرين شيئاً يذكر بل وصلا الى هؤلاء ناضجين وللعرب فيهما ابحاث جزئية قلما يخالفهم فيها المتأخرون خصوصاً ابحاث ابن سينا في الطب . وكان من رأي الآخر ان نضجها لم يتم الاّ على ايدي المتأخرين فعلم الفلك لم يتقدَّم و ينضج الاّ بعد اكتشاف غليليو التلسكوب . وعلم الطب عاقهُ عن التقدم ازماناً طويلة تحريم تشريح الموتى فايهما اقرب الى الصواب

ج . اذا رمزنا الى العلوم الطبية كلها بالعدد مئة جاز لنا ان نقول ان ثمانين منها تنسب الى القرن التاسع عشر وما مضى من القرن العشرين بل الى الاربعين سنة الاخيرة . والعشرين الباقية الى كل ما قبلها من السنين . واذا رمزنا الى علم الفلك بالعدد ١٠٠ فتسعون منها للثلاثة القرون الاخيرة وعشرة لكل القرون التي قبلها . واهم اكتشاف في علم الطب والجراحة اكتشاف اصل الامراض المكروبي وما ترتب عليهِ من معالجتها بالتطعيم والوقاية . واهم اكتشاف في علم الفلك اكتشاف التلسكوب والسبكتروسكوب فانهما اوصلا علماء الفلك الى معرفة مقادير الاجرام السموية وحركاتها وابعادها والعناصر الداخلة في تركيبها

(٦) السكر والزهري

مصر . علي افندي خطاب . اي المرضين اشد ضرراً السكَّر ام الزهري وايهما اقبل للشفاء التام ولا يخشى من عودتهِ بعد ما يشفى

ج . ان الزهري داء خبيث وسببهُ قبيح وهو داءان في وقت واحد داء بدني وداء ادبي وضررهُ بدني وادبي معاً ومن يصب بهِ قد يشفى بعد تعب كثير ولا ينتكس ولكنهُ يحاول كتمانهُ جهدهُ لان سببهُ مخالفة الآداب العمومية المرعية عند فضلاء كل الامم . وداء السكَّر ضررهُ بدني فقط ولا يخشى من يصاب بهِ ان يجاهر بذلك على رؤُوس الاشهاد ولا دواء يشفي منهُ كما يشفى الزهري ولكن الحمية تضعفهُ حتى يعيش المصاب بهِ سنين كثيرة كأنهُ سليم من الداء . ونظن انهُ لو خُيّر الانسان بين هذين الداءين وكان لا بدَّ لهُ من احدهما لاختار داء السكر لا الزهري

(٧) الموت من السرور

مصر . الخواجه ايلي بلتنر. اعرف احد الناس توفي من كثرة السرور وذلك انهُ كان في حالة ضنك شديد ثم ورث ارثاً كبيراً فعندما ورد اليهِ هذا الخبر توفي من كثرة الفرح فما هو سبب الوفاة

ج . ان السرور يهيج الاعصاب فاذا تهيجت حركت العضلات المتصلة بها والاوعية الدموية ايضاً فاذا كان السرور معتدلاً حرك عضلات الفم التي تسبب الضحك واذا زاد على ذلك حرَّك عضلات الايدي والارجل فيصفق الاولاد طرباً و يرقصون مرحاً اذا زاد فرحهم . وقد يحرك عضلات الرئتين والقلب فيزيد التنفس وخفقان القلب وربما زاد على ذلك اذا كان قويًّا مفاجئاً حتى تتمزق بهِ صمامات القلب فيموت صاحبهُ

(٨) نقد المنسوجات

ومنهُ . ما هي الطريقة لمعرفة الجيد والرديء من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية

ج . تعدُّ اولاً الخيوط التي في كل سنتمترمن النسيج فاذا تساوت بقية الاوصاف والشروط فالذي فيهِ خيوط اكثر هو اجود من الذي فيهِ خيوط اقل . ثم تنسل بعض الخيوط وتحل فالمؤلف منها من خيطين مثنيين امتن من المؤلف من خيط واحد . والمؤلف من ثلاثة اجود من المؤلف من خيطين . ثم يحل كل خيط حتى تصل الى اليافهِ الاصلية فالذي اليافهُ طويلة اجود من الذي اليافهُ قصيرة والذي اليافهُ متجعدة امتن من الذي اليافهُ سبطة . واذا كانت المنسوجات مصبوغة فالذي صبغهُ لا يتلف الالياف اجود من الذي صبغهُ يتلفها

(٩) ميعاد الولادة والموت

الجرابيع . الياس افندي جرجس . هل من المؤكد ان كل انسان يموت في زمن ولادتهِ اي اذا ولد مثلاً في فجر النهار يموت في فجر النهار

ج . كلاَّ ولا نعلم ان احداً قال بذلك واثبتهُ بالدليل

(١٠) فقد النطق

ومنهُ . عندنا غلام في الثانية عشرة من عمرهِ ولكنهُ غير قادر على الكلام مع انهُ يسمع و يفهم و يعقل وقد يتلفظ بكلمات قليلة ولكنهُ لا يحسن النطق بها وكل اخوتهِ يحسنون النطق فما علتهُ وماذا يعمل لهُ

ج . يظهر لنا ان مركز النطق في دماغهِ مصاب بعلة اما من مرض واما من آفة اصابتهُ في طفوليتهِ فضغط جزء من عظم الدماغ على مركز النطق فان كان الثاني فقد يشفى بعملية جراحية تزيل هذا الضغط والاَّ فلا

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٦	٧	٣	مساءً
الهلال	١٤	٨	٢٧	«
الربع الاول	٢٢	٠	٢٩	صباحاً
البدر	٢٨	٨	٤١	مساءً
القمر في الاوج	٨	٧	٢٤	«
« « الحضيض	٢٤	٨	٣٠	صباحاً

السيارات

عطارد — لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخرهِ

الزهرة — تكون كوكب مساء

المريخ — يشرق نحو نصف الليل

المشتري — يشاهد اثناء الليل

زحل — يشرق نحو الساعة ١١ مساء

العلماء شهداء الحرب

من الذين قضي عليهم في هذه الحرب الاستاذ بخنر الكيماوي الالماني الذي نال جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩٠٧ . فانهُ قتل وهو يحارب مع قومهِ في الميدان الغربي . والدكتور توش استاذ علم الحيوان في جامعة سنت اندروز ببلاد الانكليز فانهُ أُصيب بالرعن (ضربة الشمس) في العراق فقضى نحبهُ . والعلماء الماهرون الذين يفيدون بعلمهم قلال جدًّا في كل بلاد وهم اذا نزلوا الى ساحة الوغى لا يكونون في استعمال السلاح امهر من عامة الناس فيقتلون كما تقتل عامة الجند مع ان الواحد منهم قد يكون انفع لبلادهِ والزم من عشرة آلاف جندي فمن الاسراف والتبذير ان يعرَّضوا للهلكة كما يعرَّض عامة الناس

مكروب التيفوس

بحث كثيرون من كبار الاطباء في السنين الاخيرة في طبيعة مكروب التيفوس فتمكنوا من عزل بضعة انواع من المكروبات من دم المصابين بالتيفوس ونخص بالذكر الدكتور بلوتس الاميركي فانهُ عزل منذ سنتين مكروبًا ولكن لم يثبت احد منهم ان مكروبهُ هو سبب الداء . وقد قرأنا في مجلة ناتشر ان البرفسور كنزو فوتاكي الياباني اكتشف نوعًا من البروتوزوى في كلي المتوفين بالتيفوس وفي القرود الملقحة بها

السكر في الدنيا

يؤخذ من احصاء لوزارة الزراعة الاميركية ان مساحة الارض التي تزرع قصب سكر وبنجراً في العالم كله ١٢ مليون فدان نصفها يزرع قصباً والنصف بنجراً . وان فدان البنجر يخرج ١٨٠٠ رطل سكر الى اكثر من ضعف هذا المقدار اي الى ٣٩٠٠ رطل . وفدان القصب الفي رطل الى اكثر من اربعة اضعاف ذلك اي الى ٩٠٠٠ رطل . وان اميركا كانت الاولى بين البلدان في مقدار ما استوردت واستهلكت من السكر في العشر السنوات من سنة ١٩٠٤ الى ١٩١٣ . ولكن استراليا كانت الاولى في مقدار ما يخصّ الراس الواحد من السكر المستهلك فقد بلغ متوسط ذلك ١١٣ رطلاً في السنة

السلّ في فرنسا

من المسائل التي شغلت بال الحكومة الفرنسوية هذه الايام ازدياد الاصابات بالتدرن الرئوي في مدة الحرب فقد دلّ الاحصاء قبل الحرب على ان الوفيات بالسل كانت ٣ في الالف يقابلها ١ في الالف في انكلترا . ولكن مشقات الحرب افضت الى ظهور ما كان مستكنًّا من هذا الداء او متوقفاً عن سيره بالمحافظة على الوسائل الصحية فلم يأتِ آخر سنة ١٩١٥ حتى صرف ٨٦ الفاً من الجنود الى بيوتهم لظهور السلّ فيهم . و بلغ عددهم ١٥٠ الفاً في فبراير الماضي . و يقال ان نصفاً الى واحد في المئة من الجيش الفرنسوي وعددهُ اربعة ملايين مصابون بالتدرن . ومن رأي الدكتور « بجز » الاميركي الذي اقتطفنا منهُ ما تقدم ان في فرنسا ٤٠٠ الف مسلول الى نصف مليون

مصادر الكحول

في البلاد الحارة ثلاثة نباتات يمكن استخراج السبيرتو منها . الاول قصب السكر . والثاني نبات « النبا » الذي ينبت في بلاد الهند الصينية وما اليها من الجزر . والثالث النباتات النشوية مثل الكساڤا والارووط . ففي سنة ١٩١٤ استخرج من سكّر القصب والنبا في جزر فيلبين ١٢ مليون لتر من السبيرتو ولكن ٩٥ في المئة او اكثر استخرجت من النبا وشجر الكوكو . والنبا رخيص وكلّ شجرة منهُ يعصر منها ٣٠ لتراً الى ٥٠ من السائل الذي يستخرج السبيرتو منهُ فيها ١٥ في المئة من السكّر . و يقدرون ان فدان الكساڤا يخرج من النشا ثلاثة اضعاف ما يخرج فدان الذرة فضلاً عن ان في الاول ٤ في المئة الى ٦ من السكر القابل الاختمار . اما الارووط ففيهِ ١٨ الى ٣٢ في المئة من النشا . و يقال انهُ اذا أُحسن تدبير هذه

النباتات في الاقاليم الحارة احتكرت هذه الاقاليم صناعة السبيرتو وتجارتهُ

منفعة اللبن

مهما قيل في مدح اللبن فهو كالحسناء لا تعدم ذامًا . ولكن مهما يخترع المخترعون ويكتشف المكتشفون من الاطعمة المغذية السهلة الهضم فان اللبن اكثر الاطعمة غذاء واسهلها هضمًا واعظمها ملاءمة لجميع الامزجة ولاكثر الناس على اختلاف اعمارهم . وقد بحث الاستاذ رنجر في اللبن من حيث علاقتهُ بالصحة فأطال في وصف قيمتهِ الغذائية من حيث هو لبن على جميع صورهِ سواء كان حليبًا او رائبًا او بقشدتهِ او خاليًا منها فحكم بان لهُ اعظم تأثير في نمو الجسم وقوتهِ وانهُ عامل لا يستغنى عنهُ في حفظ الصحة وتنظيمها وذلك لاحتوائهِ على الدهن والسكر والكاسيين (المادة الجبنية) والزلال اللبني المعروف باسم « لكتلبومين » وبعض الاملاح غير الآلية والمواد الحيوية المعروفة باسم « ڤيتامين » والتي لا تزال حقيقة امرها سرًّا من الاسرار

عظماء الرجال

كتب الفيكونت برايس سفير انكلترا السابق في اميركا مقالة في مجلة فورتنيتلي تكلم فيها عن خمسة عشر رجلاً اعطوا لقب « عظيم » او « كبير » فقال انهُ كان للصدف يد في منح هؤلاء الرجال هذا اللقب فان بعضهم كانوا من اهل الدرجة الثانية في مداركهم وكثيرين من اهل الدرجة الاولى لم ينعتوا بالعظماء . والذين نعتوا بالعظماء كانوا رجال عمل لا رجال فكر وليس بين كبار المفكّرين مثل شكسبير ودانتي وسقراط وباكون وكنت ونيوتن وليبنتس من سمّي عظيماً . وبعبارة اخرى انهم كلهم ما عدا بابوين كانوا حكامًا او فاتحين ولم يكن للتفوق الادبي وشرف الاخلاق والغيرة على الواجب يد كبيرة في هذه التسمية . قال : « فان انشاء امة كما صنع وشنطن وانقاذ امة من الخراب كما صنع لنكن هذان عملان يجملان الشهرة خالدة . وبعد موت فردريك الكبير كفَّ الناس عن نعت الشهيرين بالعظماء او الكبراء ولولا ذلك لكان وشنطن ولنكن احق الناس بهذا اللقب »

طباع الغورلاَّ

كان في بستان الحيوانات بمدينة دبلن عاصمة ارلندا غورلاَّ انثى ماتت بالامس بعد ان عاشت في ذلك البستان ثلاث سنوات واربعة اشهر . وقد وصف طباعها الاستاذ كربنتر في المجلة الطبيعية الارلندية الصادرة في شهر اغسطس الماضي فقال انها كانت اليفة وديعة لا تعتدي على احد ولكنها تكره

ان يحملها احد وكان لها رفيق من نوع الشمبنزي كانت تعطف عليهِ ولا تفارقهُ . ومرض الشمبنزي فقلقت عليهِ قلقاً شديداً وكانت تلقي رأسهُ على ركبتها وتعتني بهِ كما تعتني الام بابنها المريض . ولما كان في صحتهِ كانت اذا لعبت معهُ تضرب صدرها بجمع يديها كانها تتحدَّاهُ للقتال مزاحاً واذا قُدّم لها طعام وهي تعلم انهُ يحبهُ تركتهُ لهُ كأنها تؤْثرهُ على نفسها وكان هو انشط منها واميل الى الحركة . ولم تعمّر غورلاّ اخرى اكثر منها في الاسر الاَّ التي كانت في بستان الحيوانات في برسلو فانها عاشت فيهِ سبع سنوات

آنية زجاجية للطبخ

استعملت آنية الفخار منذ القدم للطبخ لرخصها وسهولة صنعها واحتمالها للحرارة الشديدة . والمواد التي يصنع الفخار منها هي نفسها تستعمل لصنع الزجاج والفرق بين الطريقتين انهُ اذا أُريد عمل الفخار مزجت المواد بعضها ببعض وصنعت منها الآنية على مختلف الاشكال ثم عرّضت لحرارة تكفي لاذابة بعض المواد التي على سطحها و يتألف منها سطح صقيل . واذا أُريد عمل الزجاج أُذيبت هذه المواد في حرارة عالية ثم افرغت في قوالب او نفخت على الاشكال المطلوبة . والزجاج المعادي سريع الانكسار ولم يصنع قبل الآن زجاج يحمى ثم يبرّد فجأَة ولا ينكسر . ولكن قرأنا في السينتفك اميركان انهم اخترعوا في ولاية نيو يورك نوعاً جديداً من الزجاج لا ينكسر سريعاً بتداولهِ ولا بتعريضهِ للحرارة ثم للبرد فجأَة وجعلوا يصنعون منهُ آنية للطبخ . ومزيتهُ على الفخار ان محتو ياتهِ ترى من خارج الآنية من غير ان تكشف فلا « يشمط » طعام فيهِ ولا يحترق كمك

اغرب العادات

انفذت جامعة بنسلفانيا الاميركية وفداً الى الامازون سنة ١٩١٣ للبحث في طباع بعض قبائلهِ وعاداتهم ودرس اخلاقهم فرووا ان قبيلة الماكوسس تمارس العادة التي اشتهرت عن كثيرين من المتوحشين في جميع انحاء الدنيا وهي ان يلزم الوالد سريرهُ عند ولادة مولود لهُ و يبقى كذلك مدة تختلف بين شهر واكثر لا يأكل في خلالها الاَّ الطعام الخفيف اللطيف وتعنى الوالدة المسكينة بهِ و بمولودها . ورووا ان قبيلة اخرى تمارس هذه العادة ايضاً ولكن الوالد يبقى يأكل الطعام الخفيف مدة سنة كاملة بعد تركهِ سريرهُ

و بين قبائل الامازون قبيلة كانت بالامس زاهرة زاهية ولكنها انقرضت لما سامها تجار اللستك الاوربيون من الذل

والخسف فلم يبقَ منها سوى شقيقتين فدرس الوفد اخلاقها وهيئتهما وسائر اوصافها الطبيعية والادبية كما تدرس آثار الحيوانات البائدة. وهذا من اغرب ما عرف عن قسوة الانسان في معاملة اخيهِ الانسان

معتقد الزولو

الزولو من قبائل جنوب افريقية يعتقدون ان الروح يبقى بعد انفصالهِ عن الجسد ولكن ديانتهم لا تنصُّ صريحًا على خلود النفس. ولا يعلمون مدة بقاء الروح بعد انفصالهِ عن الجسد ولا هل يبقى الى الابد وكلُّ ما يقولون ان جسد المرء هو الذي يموت اما روحهُ فيبقى. واذا لم يذهب الروح الى احضان نكولنكولو الاله الخالق قصد اقرب وادٍ من مدفن الجسد فيبقى هنالك مدة يطرأُ عليهِ التغير في اثنائها ثم يعود فيظهر ثانية في زي افعى. اي انهُ يتحول الى افعى لا انهُ يدخل جسم افعى كانت موجودة. وعليهِ كان يحسب قتل هذه الافاعي فيما سلف جريمة لا تغتفر. وتعرف هذه الافاعي من غيرها بعدم اذاها

آلة سريعة لقصّ الشعر

روت السينتفك اميركان ان بعضهم اخترع آلة سريعة لقص شعر الراس تدار بالكهربائية فهي تقص الشعر وترتبهُ في ثلاث دقائق الى خمس على الكثير

نفقات اميركا على الحرب

قال المستر سموت احد اعضاء اللجنة المالية في مجلس الشيوخ الاميركي ان اميركا ستنفق في السنة الاولى من دخولها الحرب ٢٧ الف مليون ريال (اي ٥٤٠٠ مليون جنيه). وقد حسبت نفقات الجيش بناء على ان عدد رجالهِ مليونان اي ٣٨٧ الفًا من الجيش النظامي و٤٠٠ الف من الحرس الوطني و٥٠٠ الف من الجيش الوطني و١٠٠ الف من الملحقات المختلفة

زراعة البطاطس

ظهر من تجارب جربت في انكلترا مدة سبع سنوات ان موسم البطاطس يجود كمًّا وكيفًا برشّ نباتهِ بمزيج من خمر بوردو وبرجندي قبل ظهور اثر للمنّ عليهِ. وان الفدان المرشوش أُخرج من البطاطس طنًّا الى خمسة اطنان زيادة على غير المرشوش

مادة تأْكل البلاتين

اكتشف الدكتور سمث الانكليزي مادة جديدة تأْكل الزجاج والفخار والنكل حتى البلاتين والسلكا اذا وضعت عليها وهي نوع جديد من فصفات الصوديوم يختلف بعض الاختلاف في تركيبهِ عن الانواع المعروفة

فهرس الجزء الخامس من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة



المغفور لهُ السلطان حسين الاول جلس على عرش مصر في ١٩ دسمبر سنة ١٩١٤ وتوفي في ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧

مقتطف دسمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٥٢١

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الحادي والخمسين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٦ صفر سنة ١٣٣٦

الحان الحب والهجران [1]

شعر منثور

روءْيا

هدية الى مرقد السلطان حسين اعظم موءَيد للاسلام واكبر محب لوطنهِ في مصر

في مدة لم تطل طالت مآثرهُ ... وظلهُ قد اظل العلم والأَدبا

كانت لذا العصر شمساً شمسهُ زمناً ... عمتهُ نوراً فامسي نورها احتجبا

بالتاج والعرش ان تاه الملوك فقد ... تاها بهِ شرفاً واستكبرا عجبا

اليوم روض المنى جفت ازاهرهُ ... وغيض نهر الجدا من بعدما انثعبا

والكون في ظلمة من ليل مأتمهِ ... لا تبصر العين في آفاقهِ الشهبا

ان السما والثرى انَّا جوًى وأسًى ... بات الوجود بحر الهول مضطربا

« مترجمة من مرثية تركية رثى بها ابن كمال السلطان سليماً »

خرجت مساء ذات يوم اتمشى . فمررت في شارع متسع الجانبين . واخذت اجيل ناظري في عناق الاشجار القائمة على جانبيهِ . وكان الغروب كاحسن ما تجلت بهِ صفحة الخريف . واشعة الشمس تنير الكون باذيالها وهي مولية ناصلة متفانية في هزات متتابعات . كأَنها ارادت ان تجمل من صبغها الدافق على الزهر والنبات قبلاً للتوديع قبل ان توءْذن بزوال

وقد فاح شذا طيب من الحقول المنبسطة على جانبي الطريق . واستطال على الأحياء سكوت لاصدى معهُ وسكون لا حراك فيهِ . كأَن الطبيعة كانت تحاول ذلك اليوم ان تستريح مما كابدت من الاشجان . فقد لاحت كالمطمئنة الى سكون الغروب ووحدتهِ . مستغرقة

(١) مترجمة من مقالة لسيدة من كرائم السيدات

في نوم طاب لها بعد ان اعياها طول المجاهدة

واذ امضّني السأم من عيش المدينة في مشاغلهِ ومزعجاتهِ احببت ان افر من تلك الجلبات الى الحقول المتنائية ولو زمناً قصيراً . لقد احسست بالتعب في الروح دون الجسد . فزاد احتياجي الى مكان اخلو فيهِ بنفسي . فتركت ازقة المدينة في زحامها الذي قامت عليهِ حياتها وانطلقت في هذا الشارع العظيم الذي لم اكن اعرفهُ من قبل

لم اعلم وجهة مسيري . نعم كنت اسير ولكن الى اين ؟ ترى انّى ينتهي بي هذا الطريق وحتامَ اظل هكذا اطوي السبل . وما نهاية هذا الشارع . لم اعلم بشيءٍ من ذلك ولم اشأ ان اعلم . طاب لي خلو الطريق وصفاء الوقت . فتقدمت في سيري على غير هدًى لا الوي على شيءٍ . تباعدت عن مجرى عيش لا تسكن ضوضاؤهُ وجعلت اخطو خطوة المشتاق ابتغي السكون . نعم ذهلت عن كل شيءٍ واستسلمت للقوة المالكة ذمامي المتعالية عن مشيئتي ورحت التمس مكاناً لا صوت فيهِ ولا صائت . متوكلة غير متواكلة

ثم لم تلبث الشمس ان غربت . وقد اخذ يدركني الاعياء . فعمدت الى جذع جميزة في احد جانبي الطريق فجلست واستغرقت في استماع السكون

لم يكن ثمَّ احد . كأن الناس قد اخلوا هذا المكان لي . وقد بدت على حمرة الحقول آثار الزوال . وانطلقت الاطيار لتختبئ بين اكثر الاغصان ورقاً . ما احسن هذه الحال وما اجمل هذا المشهد

فبينا انا كذلك واذا صوت قد اتصل باذني خفيف الوقع لطيف الاثر . ترى من اين اتى هذا الصوت . شغلت بذلك فنهضت واقفةً ودنوت قليلاً من مأتاهُ . واذا بالصوت آتٍ من الجهة اليسرى . فلم اتمكن من مشاهدة صاحبهِ . غير اني اسرعت الى تلك الجهة . فما دانيتها الاَّ وبهتُّ لجلال ما رأيت . وبقيت مكاني واجمة حائرة . فنظرت واطلت النظر . فماذا رأيت ؟ رأيت باباً مذهباً مهيب المنظر . قد احيط بدابزونين مذهبين هما غاية في الرونق . وشكل الباب لم ترَ مثلهُ الاعين في غرابتهِ وحسنهِ . توسط اشجاراً اعتق واعلى من الاشجار القائمة على جانبي الطريق . يا ربُّ ما هذا المكان

لقد كان المدخل على شكل من الرواء لا نظير لهُ . وكان بابهُ مزداناً بالنادرات من رسوم الازهار . وفي وسطهِ كتبت هذه الآية الكريمة : (ويخلق ما لا تعلمون) قرأتها بمنتهى التعجب . وكان احد مصراعي الباب مفتوحاً والى جانب المصراع المغلق صاحب الصوت الذي كنت سمعتهُ . لم يبرح قاعداً رافعاً صوتهُ في ترتيلهِ . فظننت لما رأيت من

شكلهِ وزيهِ انهُ احد القراء وكان يقرأ سورة (يس) الشريفة وهو لا ينظر اليَّ · فوقفت قليلاً استمع · وحين انتهى الى مكان وقف اقبلت عليهِ اتضع واتجمل في خطابهِ · فقلت : ما اسم هـذا المكان يا سيدي · وهل يتاح لي الدخول فيهِ · اني اراهُ كالروضة الغناء · فنظر الي وجهي وخاطبني بتعجب شديد فقال : من انتِ حتى تتعالي عن العلم باسم هذه الروضة التي كانوا يدعونها منذ القدم روض المنى · فأعدت السؤال عليهِ ضارعة وقلت : ما يهمك يا سيدي من العلم بذاتي · ولكن تفضل وخبرني بم سمي هذا المكان اليوم بعد ان سمي بروض المنى في ماضيهِ · فقال وهو معرض عني بوجههِ : هو ملتقى اليتامى · ثم تناول سبحتهُ وجعل يجر خرزاتها واحدة فواحدة · ولما رأيتهُ لا يريد محادثتي تركتهُ الى تعبدهِ ودفعت المصراع المفتوح من الباب قليلاً ودخلت الروضة وانا ممتلئة شوقاً ولهفاً

فاخترت طريقاً حفت بالسامقات من اشجار السرو وقد ارتفعت حتى كادت تمس الافلاك · وتكاثفت فبدت في منظر يهيج الاشجان · فمشيت ثم مشيت في سكون غامض الاسرار · وأنا تغالبني عوامل الاضطراب حتى انتهيت الى ميدان رحب قد ازدان بابهى انواع الشجر من النخيل والبرتقال وما اشبه نظمت دوائر في ارجائهِ · وكانت تلك الاشجار مع انقطاع النسيم ملتوية الاغصان منحنية الاعالي متساقطة الاوراق كأن قد عصفت بها عاصفة شديدة فنثرت اوراقها على خضر المروج · وكانت ازهار الياسمين الملتف على سوق الاشجار التي مررت من بينها تتساقط عليَّ كالثلج في بياضهِ الناصع

عجباً ! أهاج الطبيعة أحد الخطوب · ولكن لم يبقَ موضع للتأمل ولا للتعجب · فقد ازدحمت تحت تلك الاشجار جماعات كثيرة من رجال ونساء · تدفقت كالسيل الدافق من كل مكان · واستولت على جميع المقاعد المرصوفة في انحاء الروضة · وقد كانت تتحادث فيما بينها وانا لا اسمع ما تقول · غير انها قد استلفتت نظري باحوالها واطوارها الناطقة عن همومها واحزانها · فكانت طوراً تهز رؤوسها وتارة تمسح عيونها وآونة ترتدي سكوناً شاملاً · فتسير فرادى ومثنى وجماعات ما بين تلك الاشجار المهصورة الغصون حتى تتوارى عن الانظار · ترى ممن هذه الجماعات · أكانت كلها يتامى لا عائل لها · وكيف تلافت ههنا

نسيت فراري من مشاغل الحياة واحتياجي الى السكون · ولحقت بتلك الزمرة الزائرة · ورحت اقتفي اثرها عن بعد

وما زلت أتبعها حيناً من الزمن حتى انتهيت الى مرج لا نهاية لهُ · وقد انار الارجاء بساحر نورهِ بدر محا صبغ الدجى · وما كانت محاولتي الخروج من ظلمة الاشجار والدخول

في ذلك المرج المستفيض نوراً الاَّ ترقيًا في درجات الاستغراب . لقد كان المنظر رائعًا حسنًا . ولكنني علمت ان ما ازدان بهِ الميدان من الزونق لم يكن الاَّ بنور البدر المنتشر عليهِ . لاني أَلفيتهُ غير خالص من الكآبة التي كانت مستولية على الروضة كلها . وكأَن ريح سموم واحدة هبت عليها فلم يخلص من اذاها موضع فيها . فصرت كلما تنفست من نسيمها احس بتجدد آلام متزايدة

لقد كان الزحام هنا اشد منهُ في الميدان الاول . فلو قذف بابرة في الهواء لم تصل الى الارض من شدة الزحام . والناس وقوف يتماوجون في كل ناحية كموج البحر الخضم من كل بلد وقبيل . من رجال ونساء وصغار وكبار وشبان وشيب من اهل كل حرفة وصناعة على اختلاف الدرجات والاعمار والازياء سواء فقيرهم وغنيهم . كلهم مرتد سود الثياب . ترى من هم اولئك المحزونون . كلٌّ عليهِ الكآبة والاسى . فلم ادخل في زمرتهم بل اخذت اقتفي آثاراً صغيرة تزين مرعًى كبيراً . وكان البدر ليلة تمهِ . وضوءهُ المطل من احدى خمائل النخيل متضائل كأَنهُ في ليالي الشتاء . على ان الهواء كان لطيفًا لا يدع للشتاء ذكرى

فلما بلغت منتهى تلك الآثار وجدتني تلقاء حديقة ورد . زرع هذا الورد صفوفًا صفوفًا . تبث في اشكال مربعة ومثلثة على أحسن ترتيب فلم انتبه بادىء الامر الى الوانها . ولما تأَملتها رأَيتها كلها سوداً قاتمة الالوان فكدت اقضي عجبًا . وقد ذهبت بي الحيرة كل مذهب . رأَيت ما فتح منهُ وما لم يفتح اسود شديد السواد وليس في واحد منهُ شيء من ذاك الارج الذكي . فكيف امكن ذلك ان يكون؟ أَهو صنف جديد من الورد؟ فدنوت منهُ وجعلت اتأَملهُ . واذا في جانب كل مربع وكل مثلث سلك دقيق علق بهِ لوح صغير يخفق عليهِ . وقد كتب على كل لوح اسم الصنف الذي علق بجانبهِ . فلما قرأت الاسماء واحداً واحداً زاد تعجبي . لان الاسماء التي قرأتها هي لصنوف من الورد أَلوانها بيض او صفر أَو صهب او حمر نادرة المثال بديعة الاختيار . فاي تركيب كيماوي أَحدث هذا التحول ؟ فتلفتُّ حولي فلم اجد أَحداً أَسأَلهُ وكأَن هذا المكان مهجور في هذه الروضة . فهل في الوقت متسع فأَجلس جانبًا واستجمع ما تشرَّد من افكاري . و بينا أَنا اتحرَّى مكانًا على جانب المرج أَجلس فيهِ اذ وقع نظري على سائر انواع الزهر الذكي الشذا . فكانت كالورد ناصلة الالوان فتطامنتُ قليلاً وشممتها واذا هي لا رائحة لها . فقلت عجبًا ترى هل هذا النيلوفر الطافي على صفحة هذا الغدير نالهُ من الشقاء ما نال امثالهُ وبادرت الى الجهة المقابلة للآثار التي اقتفيتها وتأَملت النيلوفر المتناثر على صفحة غدير دافق هناك لا يسمع لهُ خرير . فكان كسائر

ما شاهدت من الزهر . ولقد كان بعضهُ مقتطفاً من سوقهِ وذابلاً لا رائحة لهُ كأنهُ سابح ليختلط بحر الآلام المتضاربة غوار بهُ حول الطبيعة ليزيد مأتمها اهوالاً

أيها الدهر الظلوم . أما كفى فتكاك بالناس وتشتيتك للشمل وهدمك صروح الاماني والاحلام وتعذيبك قلوب العباد كأنك متخذها لعباً لصفوك ولهوك . ماذا تريد من الطبيعة علامَ تفدي القبيح بالحسن والخبيث بالطيب والهزل بالجد ? ان أضحكتَ ساعة ابكيتَ يوماً وان صفوت مرة كدرت الفا . لقد ذهلت عن نفسي فاسترسلت في الشكاية . واذا صوت أتى من ورائي . فالتفتُّ ونظرت . فرأيت اناساً قادمين من جهة المرعى . أخذوا يمرون من الطريق الذي أنا عندهُ فسألني أحدهم قائلاً : تخاطبين مَن ? فأجبتهُ أني اخاصم الدهر . فقال : لقد أصبتِ وحسبكِ ظلمهُ الاخير . فمها تقولي فيهِ بعد ذا يكن منك عدلاً . غير أني لم أدرِ ما اراد بقولهِ (ظلمهُ الاخير) وقد استحيت ان أسألهُ . ولعل مخاطبي رثى لي . فقد قال : ان كنتِ الى الآن لم تعلمي ظلمهُ فهلي نذهب معاً . ولم ينتظر جوابي بل قبض على ذراعي وقادني معهُ . فلم أدرِ ما اقول . بل شاركتُ القوم في حزنهم الصامت وانطلقت اسير معهم . ولكن ترى كنا ذاهبين لنرى من ?

لقد اخذ الزحام في الازدياد . ثياب وازياء مختلفة وجموع تتطالع في مشيها وتتماوج . فمررنا بينهم سائرين على خضر الربى والبطاح . متجاوزين انواع الروضات ومختلفات الغدران ونحن في ذلك الحزن الاليم وتلك الكآبة البادية . ولم نزل مجدين في السير حتى بلغنا سفح رابية خضراء . فقال لي احد الادلاء وكان الى جانبي : ها قد وصلنا وعسى ان يسعدكِ الحظ فتجديها وحدها . انها على ذروة الرابية . ثم لم يزد على كلامهِ هذا بل تركني في حيرتي وانصرف

وما هي الاَّ أن راجعتني الجرأة فتقدمت أصعد الرابية رويداً رويداً . والتقيت في منتصف الطريق بكثيرات من النساء وهنَّ في شر حال . كأنَّ الخطب الذي أصابهنَّ كلهنَّ ساوى في الحزن بينهنَّ . وما كنت أعلم أن في الحزن تساوياً الى هذا الحد

ولقد ظللت مستمرة في الصعود غير متلفتة حولي . ثم رفعت رأسي ونظرت فجمدت مكاني كمن أصيبت بصاعقة . وما راعني الاَّ امرأة على ذروة الرابية ذات جمال لم يتمتع بمثلهِ نظري قد جلست كالمضطجعة جلوساً كلهُ وقار . وعلى سيماها حلاوة تشف عن يأس في النفس قد استوقفت ناظريَّ فلا يتحولان عنها . تردَّت ثوباً شفافاً من الحرير الاسود وغطت رأسها بغطاء في لون ثيابها . لا تنظر الى أحد ولا ترى أحداً . استغرقت في حزنها حتى لا انقطاع لبكائها . لا يمكن لانسان أن يراها على تلك الحال ولا يجزع رحمة

لها. يدل ظاهر ألمها ان جرحها لن يلتئم ابد الدهر . فمن هي . أمات عنها زوجها أم ثكلت فلذة كبدها . علامَ ارى تلك العبرات تقرح اجفانها ولا يكف لها همول . قلت وارحمتا للمعذبة . ودنوت قليلاً وقلبي لا يسكن خفقانهُ . فلو جمع حزن جميع الزائرين للروضة لما عد شيئًا جنب حزنها

وكلما زادني لهفي دنوًّا منها زادت محاسنها ظهوراً في عيني . لم تكن فتية السن بل كانت نصفًا قضت ربيع الصبا . ولكن ما كان أحلى وجهها وأتم خلقها واكرم شمائلها . رأيت عبراتها تتساقط على وجنتيها كاللؤلؤ . فلم يبقَ لي جلد وقلت بربك يا سيدتي كفى بكاء حرام عليك اني اخاف عليك العطب . وكان صوتي مرتجفًا في خطابي لها . فلما سمعت كلامي رفعت رأسها ونظرت في وجهي . وحين انار ضياء البدر محياها الوسيم سرت رعدة في جسمي . لان عينيها السوداوين وهما منفذا تلك الروح الباكية من فرط اليأس اطفئت فيهما جذوة الحس والحياة . فبقيت حائرة . وقلت في نفسي ليتني لم أرها . ان عيني مثل هذه الغانية كأشعة الشمس التي غربت حرارة ونفوذاً . فاستمرت حيرتي حينًا من الزمن ثم سمعت جوابها وكأنها لم تنتبه لتلك الحيرة . قالت : لماذا تقولين حرام عليك ! ما أبالي بما يحدث لي بعد ان ذهب عني . واذا لم يكن عليهِ بكائي فعلى مَن يكون . فعجبت كيف اسمع مثل هذا الانين الموجع من مثل هذا الهيكل الجامد . اما هي فاستطردت كلامها غير ناظرة اليَّ . فقالت : ما كان كان . لقد عرفت جدي العاثر . لقد قضي عليَّ ان اتحمل ما أكابد وان اعيش اسيرة العجز . أواه لمَ ذهب عني هكذا . ثم كفَّت عن الكلام فلم يسمع لها الاَّ نشيج . فبلغ اليأس من قلبي كل مبلغ . وتلفَّتُّ حولي فرأيت شيخًا من القراء يحاول الصعود الى قمة الرابية . فتوجهت نحوهُ وقلت لهُ : ناشدتك الله يا سيدي ان تعزي هذه اليائسة . فقال : وهل تقبل عزائي

هنالك عرض أمر كان فيهِ خلاصي من الجدال . علا ضجيج لم ادرِ ماهو ولا ما شأنهُ وملأَت الاسماع ضوضاء لم تكن قبل ذا مسموعة . ولم يبدُ للعيون شيء . ولكن اخذ الضجيج يزداد ارتفاعًا كما يرتفع مدُّ بحر اشتد هياجهُ . فماذا حدث ? وما كان المسموع ضوضاء مبهمة بل نوح يخرج من قلوب المتزاحمين في الروضة . ولكن ما هاج ذلك فيها ? فلم اطل انتظاراً وبادرت الى الانحدار من الرابية حتى انتهيت الى جنب تلك المراعي الجمة فوقفت انتظر عندها . وكان الشيخ القارىء على اثري وهو في اضطراب شديد . فوقف الى جنبي واخذ يهمس باشياء لم اتبينها . وفي غضون ذلك انشأت الاطيار تغرد فوق ما حولنا من

الاشجار وجعلت رؤوس النخيل ترتفع نحو السماء · فاخذ الشيخ في الدعاء · وعبق الروضة شذا الورد بطيبهِ وزاد البدر اشراقاً فانار صفحة كل وجه بنور جديد · تلك احدى المعجزات عاودت الظهور · فوقفنا نشاهد ما يقع

تغير ماء الغدير اللجيني فصُبغ بلون عسجدي واشتد اندفاعهُ في جريانهِ · ثم انقطعت تلك الضوضاء فجأة ولم يبقَ اثر للهياج · فسكتت الاطيار وانتشر سكوت يكاد يسد المنافس · وتعالى شذاً للورد وطيب للعود تكاد تصعق لها الارواح · وبدا من الطريق المجاور للمرعى خيال شفاف لطيف يمشي متعاظماً تتعالاهُ الهيبة والوقار · فما رآهُ الناس الاَّ وعلت اصواتهم هاتفين

فنطقت كل الافواه بكلمة واحدة في وقت واحد · وكان في النطق بتلك الكلمة من التضرُّع ومن الهيام ما يكون في سكرة الفرح لمن التقى بحبيبهِ بعد طول الفراق · فاعتمدت على ذراع الشيخ لكي لا اسقط على الارض من شدة الطرب · يالها من كلمة لم ادرِ كيف سبقتُ الناس الى العلم بها · خفق لها قلبي · فقرنت صوتي الضعيف باصوات هؤلاء الناس الذين لاقوا اياهم بعد ان ايأسهم غيابهُ · وصحت بصوت يكاد يهز اقطار السماوات والارض قائلة: مولاي · مولاي · مولاي · ولعل كواكب السماء رجَّعت اصواتنا في استقبالنا العظيم

اما هو فقد كان يتقدم رويداً رويداً

لقد كان في سيرهِ نحونا بوجههِ السلطاني كخيال سماوي · وكان هيام الشعب لا حدَّ لهُ · فقد نثروا تحت قدميهِ الازهار التي اشتد بها ولعهُ · وتحولت الورود السود فبدت بالوان زاهية · وملأت الطرق بشذاها المعطار · واخذت سنابل الحنطة تهتز وتذكر الله · وانتبهت الطبيعة كلها وعاودت الحراك بعد السكون · وفي غضون ذلك ابصرتُ تلك الغانية ذات الثوب الاسود الى جنبي · تحيرتْ فلم تدرِ ماذا تصنع · اتمشي ام تركض ام تقف · يكاد يغشي عليها من فرط الاضطراب · ولقد جفت عبراتها وراجعت الحياة عينيها الذابلتين · فصار النور ينبعث منهما · فايقنت ان قد بعثت الروح في هذا الهيكل الجامد فثار كالطبيعة وكسائر الخلق وكما نحن ثائرون

ثم دنا منا ذلك الخيال المنير · وكان مرتدياً عباءة بيضاء ومحياهُ يتألق نوراً وعيناهُ لزرقاوان اللتان ما انعكس اليهما شيء الاَّ واحدث فيهما اثراً كانتا ممتلئتين حلاوة ورحمة · وعلى ذاتهِ كلها نور وروح مستجدة من قوى العوالم العلوية · وبدا عليهِ شيء من السكون يدل على انهُ خلص من مشاغل الحياة خلاص الابد · ونجا من اختلاج العالم واضطراب الايام

جعل يتقدم في سيره متمهلاً . فتزود بنظرة الى ما لا نهاية لهُ من الخلق ومن النبات . وحين اوشك ان يمر امامنا وثبت تلك الغانية الحزينة وثبة يأس ووقعت على قدميهِ . وجعلت تقبل اهداب ثوبهِ وتبكي بكاءً مرًّا وهي تردد قولها اي سيدي وحبيبي . علام تركتني !

فانحنى السلطان حسين واخذ يربّت كتفيها بيدهِ ويخاطبها ملاطفاً و يقول : اي حبيبتي مصر أما كفاك بكاء . سمعتُ باشتداد حزنك فاسرعت بالحضور لكي اراك واعزيك .

فسرت رعدة في مفاصلنا جميعاً . أهذه الباكية هي مصر . اذن فلا غرو أن يصدق الشيخ في قولهِ انها لا تقبل العزاء . ولا غرابة ان تستجمع حزن امة باسرها : أصبتِ . نعم اصبتِ يا مصر . فابكي ما طاب لك البكاء . ابكي لفقد السلطان حسين الذي احبك حبًّا لم تدَّخر القلوب مثلهُ في وفرتهِ وصدقهِ وافتداك بل بذل في افتدائك شبابهُ ثم مالهُ ثم صحتهُ ثم حياتهُ . مخلصاً متعالياً في اخلاصهِ . واما مصر فبقيت مكبة على قدميهِ لا تنهض عنهما وهي مسترسلة في بث شكواها . تقول : لقد كنت محبة لك فعلام تركتني فجأة . وفي شكواها من المرارة ما لا تقوى على احتماله القلوب . فقال لها انهضي يا حبيبتي مصر . واخذ بذراعها يحاول انهاضها غير انها ظلت في بكائها كطائر الامل قد هيض جناحاهُ

قال السلطان حسين وقد بدا في صوتهِ شيءٌ من الاضطراب : أتعلمين متى نشأ حبي لك . انك كنت منذ صباي غاية املي . تأملي ماضيَّ . وعدي اعواماً قضيتها معك . واذكري ما علمتِ في تلك الايام من جدي واخلاصي . وفكِّري في علو غرام قادني اليكِ وتعبد زادني افتتاناً بك ووجد لا مثيل لهُ جعل هواي وقفاً عليك . اذكري كل ذلك واعترفي ان حبي لك لم يزل في علوهِ نامياً حتى لقيت فيهِ منيتي . ما أحببت في حياتي سواكِ ولا اسفت حين حضرتني الوفاة الاَّ لاني مفارق لك الى الابد . لقد اصبحتِ تدركين ذلك الآن . اي مصري العزيزة . ولكن كما كانت حياتي موقوفة لك كانت وفاتي في سبيلك

فلم يبقَ حولها قلب غير واجف ولا جفن غير باكِ

ولقد شهدت خلقاً كثيراً احاط بالسلطان حسين يمنة ويسرة . فكان كل منهم يحاول الدنو منهُ جهد استطاعتهِ وكلٌّ يتهيب الدنو وجميعهم يحاولون تقبيل اذياله . فوددت ان اعرف من احاطوا بهِ . فنظرت في وجوههم فلم البث ان عرفت اقربهم من موضعه اذ سبق التعارف بيني و بينهم . فهم رفاقهُ رجال الجمعية الخيرية الاسلامية واعضاء شورى القوانين واعضاء جمعية الاسعاف . والى جانبهم كثير من اهل الحاجة ومَن لا عائل لهم والمتربين وقوفاً يمسحون دموعهم . وكان يمر من بين هؤلاء افواج يتناوبون في النظر الى

ثم قال : اي حبيبتي انظري هذا كبيرهم الأمل . اترين ما احلى عينيهِ وما اجمل طلعتهُ وما احسن اعتدالهُ . وهذا الاوسط المنى ما ابهى منظرهُ وما اشد نشاطهُ . وهذا الاصغر التخيُّل ما أنفذ نظراتهِ كأَن شمس المستقبل مشرقة من بين جفنيهِ

انظري الى اوصافهم وشمائلهم تجدينها تبهر الانظار . ان في معاني اسمائهم اظهاراً لفضل أشخاصهم . غير انهم في حاجة شديدة الى طول العناية والمراقبة والمداراة والاهتمام . لانهم ثمار زمن هائج العواصف . فينبغي ان يستمكنوا في منابتهم وان يتعلموا و يستنيروا بمأمن من المشاق والمحن . لقد وجدتني مضطراً الى تحميل كاهلك الضعيف هذا العبء الثقيل . وانا موفور الثقة أن التوفيق رائدك . ان وجود هؤلاء الشبان الثلاثة سيؤيدك في مستقبل ايامك وسيضمن لك السلامة فهم مخلوقون من معدن الذكاء . وكلما تكاملوا في نشأتهم انجابت عن آفاقك سحائب الظلمات التي أحاطت بها . هنالك تمتلىء عيناك بنور شمس غير منتظرة تخفف عنك آلام غيبتي أبد الدهر

فضمت مصر اليها الشبان الثلاثة واخذت تلاطفهم وتنظر في وجوههم نظرات الحيرة . ثم قالت بصوت خافت مضطرب : واذا لم اوفَّق وحدي الى حسن تأديبهم وتثقيفهم فماذا اصنع يا مولاي ؟ فاطرق السلطان حسين ثانية غير مجيب . وامرَّ نظرهُ على الجمع المحبب اليهِ المزدحم هناك بين يديهِ ووجه خطابهُ الى اسماعهم فقال : اني تارك املي ومناي وتخيلي في يد اخي وجميع بني وطني

فاحدث كلامهُ طرباً في السامعين واثار كامن حبهم . فرفعت الايدي والاصوات بالدعاء ورنَّ في الخافقين قولهم بلسان واحد : يعيش مولانا السلطان . فضممت صوتي الى اصواتهم بالابتهال . فدوى صوت هتافي دوياً ملأ الاسماع واستيقظت من منامي

فبقيت حيناً مرتجفة وصوتي يدوي في اذنيَّ . ولما انتبهت زاد اضطرابي عما كان في رؤياي . فلم أعلم ماذا اصابني . غير أني علمت امراً واحداً وهو اني لقيتهُ وانا مغمضة العينين وفقدتهُ وانا مفتحة العينين . فاصبحت الرؤيا حقيقة وكانت الحقيقة رؤيا . فآلمني هذا الحس وأوجع قلبي . فوثبت من مضجعي واقفة . ثم فتحت باب المستشرف الذي في حجرتي وخرجت اليهِ

قد كان الفجر في اوائل اقبالهِ والريح تهب باردة رطبة ولم تهب المخلوقات من كراها . وفي الوجود سكون عجيب فلم أدرِ أمن اثر الرؤيا في نفسي ام لان اشجاني اتصلت بهذه الاحياء . لقد رأيت في ثنيات الافق وحشة وغمًّا . ما اثقل على الروح هذا الشهود . وكان الغيث في اول نوفمبر يجود بدمعهِ أوراق الورد « الحسيني » في حمرتها القانية

ذلك الشخص اللاهوتي بعيون ملؤها الاعظام ثم ينثنون راجعين · وبينا انا اشاهد هؤلاء الناس كنت كذلك لا افتر عن رؤية الازهار التي تتفتح في اكمامها تحت قدمي السلطان حسين . تلك ازهار الفضائل التي غرس اعوادها ابان حياته في اطيب مغارس الدنيا واجودها · فهي اجناس وانواع منها ما هو للجود والكرم ومنها ماهو للرحمة والانصاف ومنها ما هو للذكاء والمعرفة · وناهيك باصناف من زاهي الورد هي علامات للقدرة · وللزراعة التي كانت مرجع انسه وصفوه يد في تزيين ذاك المكان بانواع النبات مما لا يدخل تحت العد · فقد بدا شخصها محيياً بباقات من الريحان تتساقط حوله اجناس النَّور والفاكهة · ثم حولت عنها نظري فرأيت شامخات البنايات التي اتخذت مدارس ومعاهد وقباباً علت اضرحة لا يعلم ساكنوها ومآذن لم تكن قد ارتفعت من قبل وتمثلت بنايات الوزارات والمصالح عن بعد كأنها قامت لتحيي مقدم الرجل العظيم وضياء البدر يتدفق عليها فيزيدها بهجة واشراقاً

ولم تزل مصر مكبة على اقدام السلطان حسين في انينها المتواصل · وهي تقول اني عرفتك وعرفت قدرك بعد ان قضيت عني · فعفواً ثم عفواً · اني احبك حباً جماً · وهو حب لا يماثله في صدقه سوى ندمي · فهبني يا سيدي مغفرة تكون سلواناً اذا اشتد ما اجده لفقدك · انك تداركتني حين اشتدت العواصف في بحار الحضارة · ادركتني وانا كالانقاض وتركتني وانا كالسفينة المدرعة · ظللت حيناً دليل نجاتي · وشققت لسيري امواج الحوادث ميمماً قصد الامل حتى دانينا ثغر النجاة واذا بي قد فقدتك قبل ان نبلغ نصف الطريق اليه فخبرني ماذا اصنع الآن

فجرت عبرات السلطان حسين من عينيه الزرقاوين اللتين هما ينبوعا الذكاء · ولم يتجلد تلقاء ما تجد مصر من الحزن فاخذ بيدها وانهضها · ثم اطال في محاسنها تأمله وقال وشمائله تجاذب القلوب كالمغناطيس : اي حبيبتي · انظري اترين هذه الصور والخيالات التي تموج في اعماق هذا الافق · انها آثاري التي وفقت لاكمالها في حياتي · ثم اعطفي بنظرك الى تلك الجهة المقابلة لها · وتأملي هؤلاء الشبان الثلاثة · انهم ابنائي الايتام · وهم هبة مني لك وتذكار يبقى الى الابد · فراعيهم اكراماً لي ولما بيننا من الحب المكين · قد شق عليَّ اني مضيت عنهم قبل ان استكمل رياضتهم في نشأتهم : اني تبنيتهم واخالك لا تعرفينهم · ولكنني كنت عزمت ان اربيهم وانشئهم لاجلك · فلا تقصيهم عنك ابداً وانشئيهم انت الآن لاجلي · فلا يعلم مقدار حزني على فراقهم الا الله وانا · وبعد وقفة لم تطل عاد الى كلامه فقال : اقبلوا ايها الاولاد · اني اريد ان استودعكم امكم · واخذ يقدم الشبان الثلاثة الى مصر واحداً فواحداً ·

كتاب الزبور العربي

١ً تمهيد

وقفت في المجلد الحادي والخمسين من المقتطف في الصفحة ٢٧ على مقالةٍ حسنةٍ عنوانها « طرائف من ادب العرب » ثم طالعت في الصفحة ٢٧ نبذةً وُسمِتْ « شيء من التوراة » وقد اورد فيها الكاتب آياتٍ نقلها عن العرب بكونها من التوراة . ثم لما بحث الاديب عن وجود تلك الآيات لم يرَ لها الاَّ اثراً ضعيفاً في الانجيل والرسائل

ولما كنت ممن بحث عن اصل مثل هذه الآيات قبل نحو ربع قرن استنتجت بعد الاستقراء الطويل انهُ كان للعرب كُتُب عربية من توراة وانجيل وزبور غير الكتب التي بايدي اليهود والنصارى وقد وضعها في عهد الاسلام الاول اليهود والنصارى الذين اسلموا . وقد بحثت بحثاً دقيقاً للوقوف على تلك الاسفار فلم ارجع عنها الاَّ بما رجع بهِ حنين . ومع ذلك لم اقنط من الفوز بما انشدهُ من الضالَّة حتى توفقت للعثور عليها قبل سنة وها انا ذا اطرف القراء بما وقفت عليهِ .

٢ً من اين اخذت آيات كاتب المقتطف

نقل كاتب المقتطف عدة آياتٍ ولم يذكر من اي قسمٍ من اقسام كتب الادب نقل تلك الآيات كما انهُ لم يذكر اسم التصنيف او التصانيف التي نقل عنها وهو خَلَلٌ جَلَلٌ [1] . وكان يحسن بهِ ان يذكر في مثل هذا الموقف الموطن الذي رأى فيهِ تلك الآيات ولعلها من كتاب الاسرائيليات

والحال ان الكتاب الذي وقفتُ عليهِ في السنة الماضية هو كتاب الزبور وجميع ما ذكرهُ المقتطف مأخوذ من السفر المذكور . فالآية الاولى المذكورة هناك (ص ٢٧) مأخوذة من احدى آيات المزمور الحادي والاربعين بعد المائة وهذا نصُّها على ما في نسختنا: « يا داود من لم يؤْمن بقضائي ولم يصبر على بلائي . ولم يشكر نُعْمَاي (لا نعمائي كما ذكرهُ الكاتب) ولم يقنع بجدواي فليتخذ ربًّا سواي (لا سوائي كما ذكر) . ومن اصبح حزيناً على الدنيا فكأنما اصبح ساخطاً عليَّ . ومن تواضع لغنيٍّ من اجل غناهُ فقد ذهب ثلثا دينهِ في دنياهُ

(١) لو اطلع حضرة صاحب هذه المقالة على ما جاء في مقتطف ابريل سنة ١٩١٧ لرأى ان كاتب مقالات الطرائف قال هناك ان كل ما وضع بين علامات الاقتباس منقول عن الكشكول

ومن شكى لمصيبةٍ نزلت بهِ فقد شكاني ومن اتى خطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي ·
ونقلهُ الآية : يا ابن آدم ما من يوم ٍجديد الاَّ و يأتي اليك من عندي رزقك ···
مأخوذ من المزمور الثالث والاربعين بعد المائة · وهكذا الى آخر تلك الآيات فان كل
واحدة وكل طائفة منها مستلة من احد المزامير المذكورة وكلها من ذاك الكتاب لا يشذ منها
شاذ · و بين الروايتين بعض اختلافات يحسن بأَن تُجمع ليُعرف حسنها من قبيحها والقديم
منها والمدسوس حديثًا فيها وهو من الامور الجليلة في هذا الموضوع لا يعرف قدرها الاَّ
من يهمهُ درس العاديَّات من الكتب

٣ وصف كتاب الزبور المفقود الذي وجد ونسمّيهِ بالزبور العربية

واول كل شيءٍ نريد ان يقف عليهِ القارئ هو اننا نسمّي هـذا الكتاب بالزبور العربية لان موءلفهُ عربي ونَفَسَهُ عربي وطريقتهُ عربية وليس فيهِ من العبري شيءٌ ابداً · ولهذا سميناهُ بالعربي وسوف نطلق عليهِ هذا الاسم كل مرةٍ تكلمنا عنهُ

اما انهُ عربي للاسباب التي ذكرناها فسوف نذكر تفصيلها في ما يلي ولهذا نجتزىء هنا بالاشارة اليها لا غير

ومن غريب الاتفاق اننا من بعد ان نقَّرنا عن نسخة من هذا الكتاب مدة نحو ربع قرنٍ ولم نفز بطائل ظفرنا في سنة واحدة بثلاث نسخ قديمة وحديثة ووسط بينهما · وكان اول عثورنا بالقديمة وكانت مخزونة في النجف لا يراها احدٌ حتى وقعت لواحد من الادباء فاعارنا اياها لنتصفحها ودونك وصفها :

طول الكتاب ١٧ سنتيمتراً ونصف في عرض ١٣ ونصف وطول المكتوب من صفحتيهِ ١٥ سنتيمتراً في عرض ١١ وعدد الاسطر في الصفحة الواحدة على غير قاعدة مطردة ففي الصفحات الاولى ١٥ سطراً وفي الوسط ١٣ او ١٢ او ١١ او ١٠ · والكاغد على ما ارى ليس بالقديم المناسب لتاريخ الكتاب المذكور في آخرهِ · وحبرهُ اسود حسن وعناوين المزامير او الزبور مكتوبة بحبر احمر يسميها سوراً فيقول مثلاً : السورة الخامسة من الزبور والمراد من ذلك المزمور الخامس لا غير · وتحت كل عنوان او عدد السورة او الزبور : بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الصفحة ال ٣١ يُرَى سطرٌ اوسطران او ثلاثة اسطر مكتوبة بحرف يكاد يكون ثلثياً كوفيًّا · وعلى بعض الكلمات حركات قليلة · وقد سقط من الكتاب بضع اوراق بعد ان صُحّف وقد توفق الناسخ او المصحّف لاعادة ما تلف من الكلمات او الاسطر او

الصفحات فاصاب كل الصواب في التطريس وفي البعض الآخر لم ينجح · فالصفحة الاولى حديثة كل الحداثة بالنسبة الى باقي الكتاب وما جاء بهِ المعوّض لا ينطبق اتم الانطباق على ما جاء في الصفحة الثانية ولهذا نشك في صحة آيات السورة الاولى (اي المزمور الاول) على ما كانت قد وضعت عليهِ

ومن الاوراق الجديدة الورقة الـ١٦ والـ١٧ واواخر ص ٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و١٣٣ وبعض كلمات في عدة صفحات من الكتاب وهو كلهُ في ١٣٤ صفحة · والظاهر ان الناسخ جاهل لاصول العربية وغريب عن لسان قحطان · والظاهر انهُ من الاتراك او الارجح انهُ من الفرس المعروفين اليوم بالعجم لانهُ كثيراً ما يؤنث المذكر ويذكّر المؤنث ويذكر المفرد بصورة الجمع او يفرد المجموع وكثيراً ما يخطئ في ضبط الالفاظ وفي عدم ربط النعت بالمنعوت · ولهذا نرى اغلب عناوين المزامير مخطوءة · فيقول مثلاً : سورة ثلثة وثلاثين من الزبور ويقول ايضاً : سورة اربعة وثلاثين الى غيرها على هذا الطرز الغريب من التعبير

والظاهر ان جماعة من الناس تداولوا هذا الكتاب فعلقوا عليهِ بعض تصحيحات منها ما اصابت المرمى ومنها ما عدلت عنهُ · وينقص الكتاب السورة او المزمور ١٩ و٨٢ و٨٣ و٨٤ و٨٥ وقد توهم المصحف في وضع بعض الاوراق في غير مواطنها فقدّم واخّر في بعضها فشوّش معاني المزامير او السور

وهذه فاتحة الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم

قال حدثنا ابو حفص عمر بن محمد بن احمد العجلي الصائغ اجازة · قال : حدثنا ابو علي محمد بن محمود الطائي · قال : حدثنا ابو شاكر ميسرة مولى المتوكل · قال : حدثنا ابو الهيثم عبد الله بن محمد بن بكّار · قال : حدثني ابرهيم بن عبد الله الجرجاني ببيت المقدس قال : حدثنا موسى بن سعيد الراسبيّ قال : حدثنا هلال الوزّان عن ابي عبد السلام قال: لقيت وهب بن منبه في المسجد الحرام فقلتُ : حدّثني رحمك الله عن زبور داود النبي صلى الله عليهِ وسلم فقال : نعم مكتوب ان في احد وثلثين سطراً منهُ ما احفظهُ ومنهُ ما لا احفظهُ مكتوب · اسمع ما اقول : يا داود الحقّ اقولُ وهو مائة سورة ان شاء الله

السورة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

طوبى لرجل لا يسلك طريق الاثمة · وفي مواقف الخاطئين لا يقوم · وفي مجالس المستهزئين لا يجلس لكن في ناموس الرب يدرس الليل مع النهار · فمثلهُ كمثل شجرة على

شاطئ المياه لا يتناثر ورقها ولا ينقطع ثمرها ولا يفعلهُ الاَّ القليل . وليس المنافق كذلك لان الله يعلم سبيل المنافقين وسبيل الخطَّائين . من اجل ان المنافقين كثيرو المكر والفجور ناقضو العهد . ومن اجل ان الله يعلم سبيل المتقين لانهم في مرتبة الصديقين ولا يقولون الاَّ بما نتم بهِ افعالهم . داود مُرْ بني اسرائيل ان لا ينتهروا المساكين ولا يطردوا اليتيم وليقوموا اليَّ في دُجى الليل بقلوب خائفة واعين باكية . أَوَ لَمْ يسيروا في الارض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واكثر جمعاً فاخذهم العذاب من حيث لا يشعرون . أَوَ لَمْ يعلموا اني انا الرب الذي بيدهِ ملكوت كل شيء . اجير ولا يُجار عليَّ . اوَ لَمْ يعلموا اني انا الرب الذي اعلم غيب السموات والارض وما انا بغافلٍ عما يفعل الظالمون . سبحان خالق النور

انتهى المزمور الاول . وقد اوردناهُ برمَّتهِ ليطلع القراء عليهِ ويقابلوهُ بالمزمور الاول المعروف عند اليهود والنصارى . وهو المزمور الوحيد الذي يشبه بعض الشبه المزامير المنسوبة الى داود عندهم والاَّ فسائر مزامير النسخة العربية لا تشبه في شيء المزامير الداودية . اللهم الاَّ بدء المزمور الثاني ففيهِ شيء يذكرك المزمور الداودي

وهذا نقل ما كتب في آخرهِ : « تمت . اتمَّ الله على صاحبها النعمة وصلى الله على محمد وآلهِ الطيبين . والحمد لله رب العالمين حمداً دائماً عزيز المنال يعم الادباء في اهل البيت :

إليهم كلَّ مكرمة تؤُول اذا ما قيل جدُّكُمُ الرسولُ

وكتبهُ من لا يشرك بالله احمد بن عبد الله بن موسى المودِّب بهراة في سنة ستٍ وستين وثلثمائة »

ونحن نظن ان هذا الكتاب وان كان قديماً فانهُ لم يكتب في السنة المذكورة هنا بل ان هذه هي نسخة من كتابٍ كُتب في العهد المذكور بيد الكاتب المصرح باسمهِ . لاننا لا نظن ان الكاغد الذي كان يتخذ يومئذٍ هو مثل الكاغد الذي نستعملهُ في هذه الايام او يكاد

هذا كافٍ عن النسخة القديمة . واما النسخة الجديدة فهي نسخة تامة لا ينقصها شيء كتبت في الموصل قبل نحو خمسين سنة وهي اليوم في يد صاحبها وصاحبها قد ذهب الى البصرة وليس في وصف النسخة فائدة عظيمة . غير اني اتذكر ان كتاب الزبور موجود في مجلد كبير قد جمع فيهِ عدة كتب وقد قال في آخر النسخة ما هذا نصُّهُ بحرفهِ « انتهى وكان الفراغ من كتابة الزبور مع نسب الانبياء عليهم الصلاة اجمعين عصر

يوم الثلاثاء ١٥ شهر ذي القعدة بمدرسة العالم الفاضل الكامل شيخنا العلامة الشيخ حسن الجبّار الموصلي الدركزلي القادريّ الرفاعي البدويّ النقشبنديّ الشافعيّ الاشعريّ امام الشافعية في الحضرة النبوية الجرجيسية بقلم العبد المذنب الفقير الحقير الذميم الضعيف خادم السلسلة العلية القادرية عليّ بن احمد بن حسن الملقب بالحمزة العمانيّ اقليماً المقيسي بلداً ومنشأً والشافعيّ مذهباً والقادري مشرباً في محلة باب النبيّ لله جرجيس في سنة ١٢٨٧ »
والكتاب في ١١٥ صفحة في كل منها ١٨ سطراً ومزاميرهُ تختلف كل الاختلاف عن مزامير النسخة النجفية ولاسيما الاولى منها وترتيب اعدادها · وهذا نقل ما وجدناهُ في الصفحة الاولى بحرفهِ :

السورة الاولى من زبور داود عليهِ الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو الالهُ الاحد

طوبى لرجلٍ يسلك طريق الائمة وفي طريق الخطّائين لا يقوم · وفي مجالسهم لا يجلس ولكن في ناموس الرب يدرس الليل مع النهار · فمثلهُ كمثل شجرة على شاطئ المياه لا يتناثر ورقها ولا ينقطع ثمرها · وليس المنافق كذلك لان الله يعلم سبيل المنافقين ويعفو عن التوّابين ويغفر للخاطئين لان المنافق كثير المنكر كثير الفسوق ناقض العهد وكذلك الخاطيء المصرّ · ومرتبة انبياء الله مرتبة الصدّيقين لانهم يقولون الحق ويأخذون بهِ · يا داود قل لخدام بيتي الذين يخدمونهُ لا يخدموهُ لما يرجون من الناس بل ليرجوا فضلي · الآ يرَوْنَ الى الطير لا تزرع ولا تحصد وهي تستوفي رزقها موفراً في كل يوم جديدٍ وكل ذلك بعيني ورحمتي وتدبيري وانا بكل شيء عليم

وعدد المزامير التي في هذه النسخة ١٧٠ وعددها في النسخة النجفية مائة والمشهور عن عدد مزامير داود ١٥٠ فليحفظ

واما النسخة الوسط فانها تتفق مرة في بعض المزامير مع النسخة القديمة ومرة تختلف عنها وتارة توافق النسخة الموصلية وطوراً تخالفها فهي وسط بينهما من كل جهة وهذا آخر في ما الورقة الاخيرة

« فرغ من نقلهِ أضعف خلق الله تعالى واحوجهم الى غفرانهِ عابد بن محمد بن علي بن بكر من تحريرهِ من نسخة في غاية الصحة طالعها سبط ابن الجوزيّ وفيها سطور عديدة من

خطهِ الشريف الأ انها وقعت في الماء بحيث امحّت الكتابة في عدة مواطن فيها . فحيث وجد في هذه المنقولة بياض او اشكال فمن هذا السبب . وقد تمت كتابة هذه النسخة في يوم الاربعاء السادس عشر من ربيع الاول سنة سبع وسبعين وسبعمائة والحمد لله اولاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلوة والسلام على خير خلقهِ محمد وآلهِ وازواجهِ وذريتهِ . آمين ثم آمين ثم آمين . رغماً على اناف جميع المعاندين »

والنسخة مكتوبة بحرف دقيق جلي الحروف وعدد صفحاتها ٥٢ في كل وجه ٣١ سطراً طول الورقة ٢٤ سنتيمتراً ونصف في عرض ١٥ سنتيمتراً وطول المكتوب منها ١٧ سنتيمتراً في عرض عشرة ونصف . ورؤُوس المزامير مكتوبة بالاحمر . والمقدمة هنا كمقدمة النسخة النجفية . ودونك نقل الصفحة الاولى وما بعدها وفيها نص المزمور الاول. قال بعد المقدمة التي ذكرنا صورتها نقلاً عن النسخة القديمة :

السورة الاولى من زبور داود عليهِ السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

طوبى للرجل الذي لم يطرق طريق الاثمة وفي مواقف الخطَّائين لم يقم وفي مجالس المستهترين لم يجلس . لكن في ناموس الرب يدرس آناء الليل واطراف النهار فمثلهُ كمثل شجرةٍ غرست على شاطىء المياه فثبتت ولم يتناثر ورقها ولم ينقطع ثمرها واوى الى اغصانها انواع الطير . وليس المنافق كذلك لان الله يعلم سبيل المنافقين وسوء نياتهم وهو يعفو عن التوَّابين ويغفر للخطَّائين ولا يغفر للمنافقين ان اصروا على نفاقهم لان المنافقين كثيرو المكر والفجور ناقضو العهد والإِلّ . وهو يحب المتقين لانهم في مرتبة الصديقين ولا يقولون الاَّ ما يفعلون ولا يفعلون الاَّ ما يقولون وقولهم وفعلهم الحق . يا داود قل لبني اسرائيل ان لا ينتهروا المسكين ولا يطردوا اليتيم وليقوموا اليَّ في دُجى الليل البهيم بقلوب خاشعة واعين باكية لاغفرلهم سيئاتهم وابارك مبرَّاتهم . يا داود قل لخدم بيتي ان لا يخدموهُ رجاء فضل الناس بل رجاء فضلي . ألا يرون كيف ان الطير لا تزرع ولا تحصد وهي تستوفي رزقها موفراً في كل يوم جديد . أَوَلَمْ يسيروا في الارض فيروا كيف كانت عاقبة الذين كانوا من قبلهم وكانوا اشدَّ منهم قوة واكثر جمعاً فاخذهم العذاب من حيث لا يعلمون . اولم يعلموا ان الرب الذي بيدهِ ما في السموات العلى وتحت الارضين السفلى وانا الذي لا يغيب عني ما فوق وما تحت وما انا بغافل عما يأتيهِ الظالمون وسوف يرون اي منقلب ينقلبون

وهذه النسخة وقعت في ايدي الاتراك فمُزّقت واتلفت الاَّ ان صورتها موجودة عند احد الاحباء . ونحن نسميها بالنسخة البغدادية لوجودها في بغداد ولتمييزها عن النسختين النجفية والموصلية

٤ً مؤلف الزبور العربية

من هو مؤلف هذه الزبور العربية ؟ هل هو داود النبي عليهِ السلام او احد معاصريهِ او احد الاقدمين من بني اسرائيل ؟ كلاَّ . بل مؤلف هذا الكتاب على ما يظهر لنا هو وهب بن منبه ولنا على ذلك ادلة وهي هذهِ :

اً عند ذكر أسانيد ناقلي هذه الزبور يقف الاسناد الى وهب بن منبه على ما رأينا في النسختين النجفية والبغدادية المنسوخة بيد عابد والتي طالعها سبط ابن الجوزيّ

٢ً قال ابن خلدون في مقدمتهِ في الفصل الخامس من الكتاب الاول من الفصل السادس عند كلامهِ عن علوم القرآن من التفسير والقراءات ما هذا حرفهُ :

« ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والأُميَّة واذا تشوقوا الى معرفة شيءٍ ممَّا تتشوق اليهِ النفوس البشرية في اسباب المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فانما يسأَلون عنهُ اهل الكتاب قبلهم و يستفيدونهُ منهم وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى واهل التوراة الذين بين العرب يومئذٍ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الاَّ ما تعرفهُ العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حِمْيَر الذين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلُّق لهُ بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وامثالهم فامتلأَت التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام فتتحرى في الصحة التي يجب بها العمل و يتساهل المفسرون في مثل ذلك » اه المقصود من ايرادهِ هنا

ولهذا نحن نعتقد كل الاعتقاد ان تلك الزبور من اوضاع وهب بن منبه فانهُ ادخل كثيراً من الاسرائيليات ونسبها الى الاقدمين لتروج على العرب

٣ً وعندنا ان واضع هذه الزبور كان يهوديًّا لان آثار اليهودية تدل عليهِ فانهُ وصف ندامة آدم على ما جاء في التلمود فقد قال في المزمور الـ ٣٧ ما نصهُ : « يا داود ابوك آدم اكرم الاكرمين عليَّ واقربهم مني منزلة فانهُ . . . . ولم يقتل نفساً وانما نهيتهُ عن اكل الشجرة

فاكلها فسقط التاج عن رأسهِ والاكليل عن جبينهِ وبكت الجنة حزنًا عليهِ فاوقعتهُ في الارض بعد نزولهِ من السماء مائة عام يبكي على خطيئتهِ حتى بكت لبكائهِ ملائكة سبع السموات وجرت من دموعهِ السواقي على وجهِ الارض فكيف انت يا داود وقد جعلت نفسك للظُلامات واوجبت على نفسك القصاص .» اه

ووصف جهنم على ما في كتب اليهود اذ يقول في المزمور العشرين : « يا داود لو رايت الزناة في النار وقد وكلت بهم زبانية بكلاليب من نار ... جزاء بما كانوا يصنعون . وحق الطور والسموات لا أترك تبعة المخلوق كائنةً ما كانت» . وقال في السورة الثامنة والاربعين: « يا داود قل لقاتل النفس التي حرمت اي قتلةٍ اقتلهُ في النار فانهُ يعظم يومئذٍ بكاؤُهم ويجلّ خطبهم وذلك اني ارسل عليهم سحابة يقال لها « المتشرّفة » فيها سيوف النقمة تقع على روُّوسهم وتخرج من .... ثم يصيرون جُذاذاً ثم أُسلط عليهم حياتٍ ترميهم بزاريق من سمٍّ بانيابها . كذلك دابهم لا يفتر عنهم العذاب » اه

وقال ايضاً عن عذاب جهنم في السورة الخامسة والستين بعد المائة : « يا بني آدم كيف تعصوني وانتم تجزعون من حرّ الشمس ونار جهنم لها سبع طبقات في كل طبقة منها نيران يأكل بعضها بعضاً . في كل طبقة سبعون الف وادٍ من نارٍ في كل وادٍ سبعون الف شعب من نار في كل شعب سبعون الف بيت . في كل بيت سبعون الف بئر . في كل بئر سبعون الف تابوت . في كل تابوت سبعون الف شجرة من الزقوم . تحت كل شجرة سبعون الف قائد . مع كل قائد سبعون الف سلسلة من نار وسبعون الف ثعبان من نارٍ طول كل ثعبان سبعون الف ذراع في جوف كل ثعبان بحر من السم الاسود . وسبعون الف عقرب من نارٍ لكل عقرب سبعون الف ذنبٍ . لكل ذنب سبعون الف عقدةٍ في كل عقدة سبعون الف قُلَةٍ من السم الاحمر » اه

ووصف البهموت كما وصفهُ الربانيون اذ يقول في السورة الحادية والسبعين : « يا داود ان حوتًا يقال لهُ البهموت (وفي نسختين من الكتاب في النسخة الموصلية والبغدادية البَهْرَموت) يحمل الارضين وما عليها . طعامها كل يوم عشرة حيتان . منها ما طولهُ ثلاثة اشهر لا يقدر على شبعهِ غيري » اه . وذكر اقيسة الاشياء الاخروية من الادلة على ان اصل تلك النصوص من وضع الربانيين اصحاب الخرافات

ويستدل على ان صاحب هذا الكتاب وواضعهُ كان يهوديًّا ثم اسلم من كل زبور باسم السورة وبدئهِ كل سورة بقولهِ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا فضلاً عن انهُ جاء في

هذه الزبور العربية ذكر المسلم والمسلمين والاسلام ووصف الجنة على ما في القرآن تقريبًا واكل الزقوم في جهنم وذكر القرآن والجن والجهاد والنساء وحظهن على ما في القرآن وتكثير ازواج الصالحين في الجنة الى غير هذه من الادلة وكلها تبيّن باصرح العبارة ان مؤلف هذا الكتاب يهودي اسلم

اما انهُ لم يكن في سابق عصرهِ نصرانيًا فيتضح من نص المزمور الثاني من النسخة النجفية وهو المزمور الذي لا يتفق ابداً مع مزمور النسخة الموصلية حيث يقول: « بسم الله الرحمن الرحيم . يا داود ماذا تقول الامم والشعوب وقد اجتمعوا على الرب وجنودهِ . — يريدون ان يطفئوا نورالله بافواههم ويأبى الله الاّ ان يتمّ نوره وقدسهُ . يا داود اني جعلتك مسبّحي (هكذا بالباء الموحدة التحتية المشددة المكسورة بين السين والحاء لا مسيحي كما في الزبور الداودية) ونبيّ . واعلم ان سيتّخذ عيسى الهًا من دوني من اجل ما ركبتُ فيهِ من القدرة وجعلتهُ يحيي الموتى . يا داود صفني لخلقي بالكرم والرحمة واني على كل شيء قدير ». فقولهُ « عيسى » وقولهُ ان سيتخذ الهًا من كلام اليهود خاصةً لانهم هم اول من اطلق اسم عيسى على يسوع تلميحًا الى عيسو او العيس وحطًا لهُ بتقريب اسمهِ من عيسو وبانهُ سيتخذ الهًا لاثبات انهُ كان ولم يزل من البشر

والخلاصة ان صاحب هذا الكتاب يهودي اسلم معادٍ للنصارى والظاهر انهُ عاش متشائمًا اذ لا ترى اثراً لخير يراهُ في العالم فهو لا يرى في الدنيا الاّ الشر والشرير كأن لاحسن يذكر في هذه الارض

٥ جملة القول في الزبور العربية

جملة القول في الزبور العربية انهُ كتاب جليل النصائح والفوائد كثير المنافع والعوائد جزل الالفاظ سهل العبارة بديع التركيب حسن التنسيق يرتقي انشاؤهُ الى اواخر القرن الاول للهجرة او اواخر القرن السابع للمسيح

والنصارى واليهود لم تعرفهُ لان النصارى قد ذكروا اسماء الكتب الموضوعة (المعروفة عند الافرنج بالابوكريف apocryphes منذ القرن الاول للمسيح ولم يذكروا هذا الكتاب بينها بل ذكروا اسم « زبور سليمان » وهو ليس بهذا . وعلى كل حال فطبع هذا الكتاب مما يرغب فيهِ لقدمهِ ولما فيهِ من الآراء والاقوال الموضوعة . وبهذا القدر كفاية

امكح

الجنون التيتوني (١)

Furor Teutonicus.

ان الفظائع التي ارتكبها الالمان في هذه الحرب كاستعبادهم الناس وانتهاكهم الاعراض وما اتوهُ من التخريب والتدمير لغير ضرورة حربية مدفوعين بنوع من الغضب او الجنون كما ظهر حديثاً مما فعلوهُ في البلاد التي احتلوها من شمال فرنسا ثم أُكرهوا على الخروج منها — كل ذلك أُلِفت فيهِ كتب كثيرة وكتبت مقالات عديدة حتى لقد يحسن بي ذكر العذر الذي دعاني الى طرْق هذا الموضوع الآن

فاولاً لا بدَّ من التذكير بفعال الالمان ما دامت نار الحرب مضطرمة الى ان يحين زمن الجزاء مخافة ان ينسى الشعب الانكليزي ما حدث و يتغاضى عما مضى على جاري عادتهِ . وثانياً انهُ مضى عليَّ نحو ثلاثين سنة وانا ارقب مرامي الافكار في الشعب الالماني اي منذ كنت تلميذاً في جامعة برلين ادرس على الاستاذ ترتشكي الشهير . وقد انتبهت حينئذٍ الى ما قام في نفوس بعض ذوي المقامات من الالمان من البغض للشعب الانكليزي والعداء للامبراطورية البريطانية فلي عذر في طرق هذا الموضوع الآن

ان الدروس (او الخطب) التي حضرتها امتازت باعرابها عن مذهب الاستاذ ترتشكي والذين ينسجون على منوالهِ . كانت في التاريخ السياسي الحديث ولم تكن لتقاس بدروس استاذين آخرين من معاصريهِ وهما درويسن و برسلوف ولكن قلما يعرف عنهما شيءٌ مع انهما كانا مؤَرخَين حقيقيين ودروسهما مفيدة وقليلة التغرُّض . اما دروس ترتشكي فكانت آلة لبث دعوة المتطرفين في الوطنية المتبجحين بها . وهو اصمُّ لا يسمع ما يقال لهُ ولا ما يقولهُ هو فينطق بصوت اجش حتى لقد يتعذر فهم كلامهِ على الالمان انفسهم كما اكَّد لي التلامذة رفاقي . ولكن اذا انصرف فكر السامع عنهُ تنبَّه اليهِ بما يسمعهُ من صعقاتهِ كلما ذكر الانكليز ورشقهم بسهام غضبهِ . ولم اكن قد سمعت ذلك من غيرهِ وكنت قد جئت حديثاً الى تلك الجامعة بعد ان اقمتُ مدة في مدينة برونسويك ولم ارَ من اهلها شيئاً من العداء للامة الانكليزية بل لقيت منهم كل لطف ودعة . لكن اهالي برونسويك ليسوا من البروسيين ولا كانوا يحبونهم . ولم اكن قد خبرت طباع البروسيين فدهشت مما سمعتهُ من

(١) من مقالة للسر ملكم مكلوريث الذي كان مستشاراً لوزارة الحقانية المصرية نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في شهر اكتوبر الماضي

الاستاذ ترتشكي · وكان شبان الانكليز الذين يقصدون جامعة برلين في ذلك الوقت قلالاً لان اكثرهم كان يذهب الى جامعات هيدلبرج وليبسك و بون ولعلي كنت الانكليزي الوحيد الذي حضر دروس ترتشكي في ذلك الوقت· ولا اظن انهُ كان يعلم ان بين تلامذتهِ شابًّا انكليزيًّا ولكن لو علم لما غيَّر لهجتهُ على ما اظن · وكنت اسمع ذمَّنا وانا بين المزء بهِ والغيظ منهُ اما سائر التلامذة فكانوا يطربون لهُ و يصفقون فرحًا بحماس شديد · ولم ادرك حينئذٍ ما كان لتلك الاقوال من الفعل المظيم في الامة الالمانية ولا ما قُدّر لها ان تنتج من النتائج الجسام

والظاهر ان النهضة الالمانية الحديثة ابتدأت وانا تلميذ في جامعة برلين · نعم ان لسُّون Lasson سبق ترتشكي الى المناداة بهذه النهضة سنة ١٨٦٨ فادهش الشعب الالماني ولكن ترتشكي كان اقوى منهُ في السياسة وهو فيها استاذ برنهاردي رسول الحرب الحديث ولعلهُ اقوى القوى الالمانية التي قادت الى هذه الحرب

ونحن الآن على بيّنة تامة من مرامي التعليم الذي جاهر بهِ ترتشكي فان تقرير اللورد بريس عن الفظائع التي ارتكبها الالمان في فرنسا لم يبقِ مجالاً للريب فيها لان الذين وضعوهُ معروفون بدقة البحث وطهارة الذمة وتمام الاستقامة · وقل مثل ذلك عن تقرير اللجنة الفرنسوية التي كان المسيو مولار اهم اعضائها وعن سائر التقارير الرسمية وغير الرسمية فانها كلها بمعنيً واحد· وقد ذهب الاستاذ مورغان الى هناك وبحث بنفسهِ ونشر خلاصة بحثهِ في هذه المجلة في شهر يونيو سنة ١٩١٥ (١) وقد وصف فيها فعال الالمان بممتلكات السكان قال « ان جنود الالمان لا يعفون عن شيءٍ من ممتلكات السكان وقد شهد كل الذين لقيتهم من الانكليز جنوداً كانوا او ضباطاً ان الجيوش الالمانية تفعل بالبلاد التي تمرُّ بها فعل الجراد بزرعها فلا تبقي ولا تذر فتتلف كل ما لا تستطيع حملهُ (٢) تطرح الاثاث في الشوارع وتخرّق الصور برصاص البنادق او برؤُوس السيوف وتمزق السجلات وتبعثر ما في الدكاكين وتنهب ما في الادارج وتذبح المواشي وتتركها في الحقول حتى تنتن وتبلى »

---

(١) [المقتطف] نشرنا خلاصتها في المقتطف في شهر يوليو تلك السنة في مقالة عنوانها فظائع الحرب

(٢) ومن الجنود مَن يبلغ منهُ الحنق ان يخرب المالك · فقد قيل عن ثقة ان بعض الضباط الالمان نزلوا في بيت سيدة فرنسوية فاكرمتهم واحسنت ضيافتهم ولما حان الوقت لمغادرة بيتها امروا رجالهم باتلاف ما عندها من الاثاث فاتلفوهُ وكان عندها بيانو كبير ثمين فخيروها بين ان يكسروهُ او ينهبوهُ فاختارت تكسيرهُ

وقد نُشر حديثاً شيء كثير من الادلة والشواهد على مثل هذه الفعال التي فُعلت جزافاً لا لمنفعة ما وهي مجموعة من مذكرات الالمان انفسهم جنوداً وضباطاً . وقد كان البعض من اصدقاء الالمان بيننا يشكُّون في صحة هذه الفعال او يحسبون انها اعمال خاصَّة غير عامَّة اما الآن فلم تبقَ شبهة في صحتها وانما يختلف بعض الناس في كم من هذه الفعال يُنسب الى توحش الجنود وكم منها ينسب الى اوامر قوادهم . والى اي حدّ تحسب نتيجة من نتائج التعليم Kultur الالماني الذي كان يُعلَّم في الخفاء في اول الامر ثم شاع في البلاد منذ خمسين سنة الى الآن وصار اصاحبهُ يجاهرون بهِ ولا يخجلون

والرأي الشائع في انكلترا الآن ان هذه الفعال من نتائج التعليم الالماني او الفلسفة الالمانية وهذا ما اردت اثباتهُ في هذه المقالة . واني اترك لكبار الباحثين في علم السياسة الإنباء بما يقود اليهِ هذا التعليم

المرجح ان اول من نادى بهذا التعليم الذي افضى الى دوس القوانين الدولية وجعل الحالة فوضى في اوربا كلها هو الاستاذ ادولف لسُّون كما ذكرت آنفاً وذلك في كتابهِ الذي نشرهُ سنة ١٨٦٨ اي قبل الحرب بين المانيا وفرنسا بسنتين . وقد ذكر المسيو ده دنبير (١) بعض الآراء التي اوردها المؤلف في هذا الكتاب فاقتبست منها ما يلي

« لا حقّ بين الممالك الاَّ للقوة فاقواها احقها ولذلك لا مفر من الحروب

« يستحيل ان تحسب المملكة مجرمة . وكل المعاهدات لا تغيّر هذه الحقيقة وهي ان الضعيف فريسة للقوي يفترسهُ وقتما يريد . والممالك كالافراد اذا اختصمت فمحاكم القضاء بينها ميادين القتال والقاضي فيها هو القوة المادية

« المملكة التي لا تقوم الاَّ بالسلم ليست مملكة فان قوام الممالك ما فيها من التأهُّب للحرب . القوانين سلاح الضعيف . الحرب امر جوهري في حياة المملكة وللتأهُّب لها المقام الاول في حياة الامة

« يخطئُ من يقول ان المخترعات الصناعية لا تنتج الاَّ آلات التدمير فان المدفع يعزز النول

« اذا نودي بالحرب فكل شيء صار حلالاً لان كل حرب تفضي الى الحياة او الموت . والعفو عجز وطلبهُ ذلّ الخ »

قال المسيو ده دنبير « ان الفريق المتعلم من الالمان انكر هذه الآراء لما نشرت سنة

(١) هو جاك مركيز ده دنبير de Dampierre وكتابهُ في الاستبداد الالماني والقوانين الدولية طبع هذه السنة

١٨٦٨ ولكن فوز الالمان في حرب سنة ١٨٧٠ جعل الناس يؤمنون عليها مع ما فيها من التطرُّف والفظاعة · ولم يمضِ زمن طويل حتى اثرت في عقول الالمان فقام منهم اوزولد وترتشكي ونيتشه وتننبرج و برنهاردي واقتفوا خطوات لسون وجروا على منوالهِ فقال اوزولد انهُ لا يعرف حقًّا غير القوَّة · وقال ترتشكي في كتابهِ « السياسة » ان السيف هو الحكَم الوحيد بين الامم وان الامم التي من الدرجة الثانية لا يعبأ بها وان المانيا حُرِمت من اخذ نصيبها من البلدان خارج اوربا بسبب جشع انكلترا · ولا حق للامم الصغيرة ان تعيش · وكل جماعة لا تستطيع ان تثبت قوتها تجاه جيرانها اذا تألبوا عليها تكون عرضة لفقد منزلتها كمملكة · وان كانت القوة قوام المملكة فلا تنال المملكة ما تبتغيهِ الاَّ اذا كانت قوية ومن ثم يظهر ما في بقاء الممالك الضعيفة من الهزء لا لان الضعف يوجب الهزء لذاتهِ بل لان الضعف يصير هزءًا اذا ظهر بمظهر القوة »

وقد علَّم نتشه ان زمن السلم يجب ان يُقضى في الاستعداد للحرب فالسلم القصير المدة افضل من السلم الطويل المدة واذا صحَّ قولهم ان الغاية الحقة تبرر الحرب صحَّ ايضاً ان الحرب الحقة تبرر كل شيء

وان الوصيتين القديمتين لا تقتل ولا تسرق اصبحتا الآن عتيقتين لا تصلحان لهذا العصر ويجب كسر لوحي الشهادة اللذين كتبت فيهما الوصايا العشر لان الحياة كلها سرقة وقتل وما اشبه

اما برنهاردي فقد صارت تعاليمهُ اشهر من ان تذكر

يظهر من ذلك ان الوتر الذي ضرب عليهِ هؤُلاء الاساتذة كان تمجيد الحرب وحسبانها اعدل كل شيء وانها السبيل الوحيد للوصول الى الاغراض المشروعة · لكن رجال الحكومة الالمانية وغيرهم من ذوي المقامات لم ينقادوا الى آرائهم ويعودوا الى الحالة الهمجية الاَّ تدريجًا · ولا ينكر ان الحروب القديمة كانت تجيز ارتكاب كل الموبقات فقد قال هويتن [1] انهُ « كان من رأي بنكرشوك وولف [2] جواز التنكيل بالعدو باية واسطة كانت ولو لم يكن

(١) هو هنري هويتن من كبار رجال السياسة والقضاء الاميركيين ومن كتبهِ المشهورة كتاب مبادىء القوانين الدولية Wheaton's International Law والى هذا الكتاب اشار السر ملكم مكلريث والى الطبعة الخامسة منهُ التي ظهرت سنة ١٩١٦ لانهُ احدث كتاب مدرسي في هذا الموضوع

(٢) هما من اكبر الاساتذة والاول هولندي من كبار رجال القانون والثاني الماني من الباحثين في تاريخ العمران

مسلحًا فيجوز اخذهُ خدعةً او دس السم لهُ ويحق للغالب ان يأخذ كل اموال المغلوب كما يحق لهُ ان يقتلهُ مع ان بنكرشوك وولف نشأا في اكثر البلدان علمًا وعمرانًا في اوائل القرن الثامن عشر»

لكن رجال السياسة ورجال القانون اجتهدوا من عهد فتل (سويسري) وغورتيوس (هولندي) الى الآن في تلطيف هذه الآراء القديمة حتى بلغنا القوانين التي تم الاتفاق عليها في موءتمر الهاي من حيث منع السلب والاعتداء على غير المحاربين وما يملكون ولو كانوا في بلاد احتلها العدو. غير ان قادة الشعب الالماني ترددوا اولاً في قبول هذه القوانين وترددوا ايضًا في المجاهرة بنقضها واطلاق الحرية لقواد الجيش حتى يفعلوا كل ما يخطر لهم من ضروب التنكيل لارهاب خصومهم

وسنة ١٨٨٠ وضع معهد القوانين الدولية لائحة لقوانين الحرب فاخذها الاستاذ فن بلنتشلي اهم اعضائهِ الالمان وهو من اكبر الثقات في علم القوانين الدولية وعرضها على المرشال الكونت ملتكي فاجابهُ بكلام يذكّر القارىء بتعاليم لسون وبرنهاردي اذ قال

« ان السلم الدائم حلم من الاحلام وليس هو من الاحلام السارّة . والحرب حقيقة محتومة في نظام الكون الذي وضعهُ الخالق . فيها تظهر اسمى فضائل الانسان وتقوى كالشجاعة وانكار الذات والقيام بالواجب والايثار على النفس حيث يستبسل الجندي ويجود بحياتهِ . واذا انتفت الحروب ساد الخمول على بني البشر وتملكتهم الماديات»

قدَّم لكلامهِ هذه المقدَّمة المقعّرة ثم قال «ان اكبر مرحمة في الحرب انهاؤُها باسرع ما يمكن ولذلك يجب ان يباح للمتحاربين استعمال كل الوسائل الاَّ ما لا خلاف في تحريمهِ . فلا يمكنني ان اسلّم بقرار بطرس برج الذي يقال فيهِ ان اضعاف قوة العدو الحربيَّة هو الشيء الوحيد الجائز في الحرب . كلاَّ بل يجب نزع كل ما تعتمد عليهِ حكومة العدو كاموالها وسككها الحديدية ومخازنها وحتى اسمها »

يظهر من ذلك ان ملتكي وهو ليس من المحاذرين كان يحسب انهُ توجد امور محرمة لا تباح للمتحاربين فما عساهُ ان يقول الآن فيما يستعملهُ قومهُ من رمي القنابل على المدن والقرى غير الحصينة فتقتل كثيرين من السكان واكثرهم من النساء والاولاد ولا يتلف بها شيءٌ من المواد الحربية . وفيما اتوهُ من اغراق السفن التجارية لاغراق مَن فيها من الركاب . والسفن المحوّلة مستشفيات بمن فيها من المرضى والممرضات وسفن الصيد بمن فيها من الصيادين المساكين الذين يعيشون من صيدهم هم وعيالهم

ولكن الالمان تدرَّجوا تدرُّجاً في العود الى عهد البربرية حين لم يكن شيء من الاشياء محرَّماً بل كان المتحاربون يرتكبون كل الموبقات حتى انتهوا الى السنَّة التي سنها الوزير بتمان هلفغ في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ وهي ان الضرورة تبيح كل محظور والمعاهدات ليست الاَّ قصاصات من الورق

ويصعب علينا ان نتتبع الخطى التي سار فيها الالمان من حيث اباحة المحظورات لان اموراً مثل هذه قلما تذكر في الاوامر الرسمية لكن يمكن الاستناد الى ما قالهُ الكتَّاب الذين لكتاباتهم شيء من الصفة الرسمية مثل نومن وفريبن وتننبرج . فنومن المشهور في علم الاقتصاد وعلم الاجتماع يقول ان الحروب الحديثة هي نوع من المعايش فانها عمل من الاعمال التي تُستثمر فيها اموال المملكة فقد كانت الحروب تثار لنفع خزينة الحكومة اما الآن فتثار لتستفيد البلاد كلها منها فائدة معاشية . ولا يتحارب الخصمان متنازعين على حق يدعيهِ كل منهما في التسلُّط على فريق من السكان بل يتحاربان متنازعين على بلاد من البلدان . فليس العبرة بالحالة التي يترك فيها سكان البلاد المتنازع عليها من حيث مقدرتهم على دفع الضرائب المطلوبة منهم بل العبرة بالاستيلاء على ثروتهم كلها . وحيث انهُ لا موجب للفرق بين املاك الملوك العمومية والخصوصية فلا موجب للفرق بين الاملاك العمومية والخصوصية مطلقاً . ولذلك يصح ان يسلب السكان كل ممتلكاتهم ويأخذها الغالب

وجرى فريبن وتننبرج هذا المجرى وطبَّقا هذه الآراء وامثالها على الحالة السياسية الاوربية الحاضرة . وذكر فريبن في كتاب لهُ الاسباب التي توجب على الحكومة الالمانية ان تضم اليها هولندا وبلجكا ولو كان هذا الضم مكروهاً لذاتهِ عندهُ لان الهولنديين والبلجيكيين شعبان حقيران منحطان لا يستحقان ان يمتزجا بالامبراطورية الالمانية . اما تننبرج ففاقهُ قِحَّة في كتاب لهُ عنوانهُ Gross Deutschland فانهُ وصف فيهِ محاربة فرنسا والتغلُّب عليها ثم مصالحتها على شروط من مقتضاها اخذ جانب آخر من بلادها واخذ عمارتها البحرية ومستعمراتها كلها ما عدا الجزائر وغرامة حربية مقدارها خمسة وثلاثون الف مليون مارك (نحو ١٧٥٠ مليون جنيه) او نحو نصف ثروة فرنسا الفعلية

اقوال مثل هذه لا تلبث ان تؤَثّر في عقول رجال الحكومة ولو قالها اناس غير مسؤُولين عما يقولون ولا ينتظر ان نعرف مقدار تأثيرها فيهم الاَّ من فعال الذين هم تحت امرهم

ولا يسعنا المقام هنا للبحث عن نتائج كل هذه الاقوال والآراء فنكتفي بالبحث عن نتائج

ما قيل في اباحة السلب واتلاف المقتنيات من غير ضرورة حربية وقتل غير المحاربين لان ذلك من اهم ما يقترف قصد الارهاب

ان الاوامر العسكرية الالمانية هي مثل الاوامر العسكرية في سائر البلدان الاوربية منطبقة على القوانين الدولية العامَّة فالمادة السابعة عشرة منها تنهى عن النهب حيث يقال انهُ من ينهب شيئًا او يسلبهُ غير مأمور ومَن يتلف شيئًا من الممتلكات جزافًا او عن سوء قصد مدة الحرب ومن يظلم السكان يعاقب اشد العقاب · ولكن اخذ الاقوات والادوية اللازمة والثياب والوقود والعلف وادوات النقل التي تدعو الضرورة اليها لا يعدُّ نهبًا

وقوانين الضباط تشبه هذه ولكن ان كان النهب ممنوعًا فاخذ ما تدعو الحاجة اليهِ غير ممنوع ومجالهُ واسع يشمل كل شيءٍ وهو بمثابة اغراء الجنود بأخذ كل ما يقولون انهم في حاجة اليهِ حتى لقد صار اخذ الحاجيات نهبًا بانتظام يجيزهُ الضباط كما يظهر من الامثلة الكثيرة التي ذكرها المسيو ده دنبير وهي لا تفسر الاَّ بانها مطابقة لاوامر صادرة من السلطة العليا · وايَّد ذلك بذكرهِ امثلة اخرى أُعفي فيها بعض الناس من نهب امتعتهم اعفاهم القواد ولا يكون الاعفاء من النهب منحةً الاَّ حيث يكون النهي قاعدة مرعية · ونشر صورة اعفاءٍ اعطاها احد الضباط الكبار لرجل لكي يريهُ للضباط الصغار الذين يقصدون نهب امتعتهِ حتى يعدلوا عن نهبها وهو لا يأمرهم فيهِ بعدم النهب بل يطلب منهم ذلك طلبًا على سبيل الرجاء دليلاً على انهم أُمروا بالنهي فخاف ان ينهاهم عنهُ فلا يطيعوهُ · والشواهد التي تؤيد ذلك كثيرة يمنعنا عن ذكرها ضيق المقام ومجموعها ناطق بان ولاة الامر الالمان امروا جنودهم ان يخرّبوا البلاد التي يحتلونها بعد ان ينهبوا كل ما يستطيعون نهبهُ منها

اما من جهة التنكيل بغير المحاربين كقتلهم في بيوتهم وشوارعهم واجلائهم عن بلادهم الى المانيا حيث يؤمرون ان يعملوا اعمالاً شاقَّة وكقتلهم باغراق السفن التي هم فيها ولو كان اكثرهم نساءً واطفالاً فقوانين الحرب المتفق عليها تحرّم ذلك كلهُ وقوانين الالمان انفسهم تحرمهُ ايضًا ولا تبيح الاَّ تشغيل السكان في البلاد المحتلة باشغال يحتاج اليها الجنود في تلك البلاد نفسها · والمادة السابعة عشرة من القانون الحربي الالماني تمنع بصريح العبارة ظلم السكان · ويقال في كتاب القوانين الذي وضعهُ الماجور هين ان سكان البلاد التي يحتلها الجنود يجب ان لا يحسبوا من الاعداء فلا يعتدي عليهم ولا على عرضهم ولا على حريتهم · اما من جهة اغراق المسافرين بحرًا فلا داعي لمراجعة القوانين الدولية فيهِ لانهُ ما من

شعب متمدن ولا من سياسي مسؤُول ولا من رجل ثقة من العارفين بالقوانين الدولية ادَّعى قبل هذه الحرب انهُ يجوز اغراق سفن التجار قبل الدخول اليها وتفتيشها ونقل المسافرين فيها الى مكان امين · ولقد دهش العالم كلهُ ما عدا المانيا والنمسا من فعال غواصات الالمان التي وصمت اسم البحرية الالمانية وصمة عار لا تمحى من اذهان الاوربيين

فاذا صحَّ ان الالمان ينهبون ممتلكات السكان و يقتلون غير المحاربين منهم في البر والبحر كما هو الواقع فلا بدَّ من ان يسأل سائل ما هو النفع الذي تجنيهِ مملكة كبيرة مثل المانيا من هذه الاعمال المناقضة للقوانين فان الحكومة الالمانية لم تكن تجري على طريقة من الطرق اعتسافاً ومن غير موجب · نعم ان الدلائل قد توفرت الآن على انها خلعت العذار وكسرت كل القيود الادبية ولكنها لم تركب حتى الآن مركباً خشناً وهي تعلم انهُ يفضي بها الى الضرر · ففي الامور الحربية تشير بالجرأة دائماً ولكنها تشير ايضاً بالحذر وتقدير العواقب ولذلك فلا بد من فائدة كانت تتوخاها من الفعال التي اتتها في البجيك وشمالي فرنسا في اوائل الحرب فقد كانت ترجو ان ارهاب البلاد بالفظائع التي تقشعر منها الابدان تشل اعصاب العدو فيتمكن جيشهم من الوصول الى باريس واحراز النصر التام في اقل ما يمكن من الزمن اما الآن وقد مضى على الحرب اكثر من ثلاث سنوات وتغيرت الحال تغيراً تامًّا عمَّا كانت في اولها فاستمرار الالمان على ارتكاب هذه المنكرات مناقضين القوانين الدولية واتفاقات مؤتمر الهاي التي وافقوا عليها لا يفسَّر الاَّ بانهُ من قبيل قولهم Quos Deus vult perdere, dementat prius اي من اراد الله ان يهلكهُ جنَّنهُ اولاً · وان كانت المانيا امَّة اختارها الله كما يدَّعي امبراطورها فقد اختارها للهلاك لا للخلاص · فاي نفع تجنيهِ من اغاظة اعدائها في هذا الوقت فانهُ كيفما انتهت الحرب ومهما كانت نتائج حرب الغواصات فلا بد من ان تكون المانيا قد رأت الآن انها فشلت في مطالبها ولا يمكنها ان تنال الغاية التي كانت تسعى اليها ولقد اعترفت بذلك ضمناً بطلبها الصلح · ومهما جهلت افكار غيرها ومقاصدهم لا يمكنها ان تجهل انهُ ما من دولة من الدول التي تحاربها اخذ منها البله كل مأخذ حتى تظن ان المانيا تطلب الصلح وهي غير محتاجة اليهِ حاجة شديدة · فان كانت تطلب الصلح وتطلب ان يكون على افضل الشروط الممكنة فلماذا تستمر على ارتكاب الفظائع كما ارتكبتها في البلاد التي جلت عنها بعد معركة السوم فتضطر اعداءها ان يواصلوا الحرب الى ان تدور الدائرة عليها تماماً · وسيأتي الجواب عن ذلك في الجزء التالي

صفحة من تاريخ التجارة المصرية

التنازع والتخاصم بين مصر والبرتقال على احتكار تجارة الهند

(تابع ما قبلهُ)

كل هذه المساعي وكل هذه المماكسات لم تمنع البرتقال من الاستمرار على تحقيق الغرضين اللذين جعلوهما نصب اعينهم وهما توسيع النطاق لتصريف البضائع الصادرة من بلادهم بافتتاح اسواق جديدة لها وإلغاء تجارة العرب والمصريين باغراق سفائنهم التجارية. ولقد توصلوا الى المراد من الوجهتين. فانهم كما قال قطب الدين النهروالي «صاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً و يأخذون كل سفينة غصباً الى ان كثر ضررهم على المسلمين وعمّ اذاهم المسافرين» اوكما قال مؤرخو الافرنج من ان عدد السفائن المصرية والعربية التي أغرقوها قد جاوز الحصر لانهم كانوا اينما صادفوها في عرض البحر او بجوار السواحل ارسلوا عليها شواظاً من نار او خرقوها بقنابل الاحجار حتى لا يبقى لها مقر الاَّ في قرارة البحار ثم يذبحون الناجين من رجالها من التجار والسفار. فلم يجسر العرب أن يقتربوا بسفائنهم من سواحل كنارا (Canara) ومليبار فغيروا خط سيرهم عند رجوعهم بالتجارات من جزائر ملكّ (Malacca) فبدلاً من المرسى على كاليكوت للذهاب الى عدن او الى هرموز صاروا يسيرون بسفائنهم الى الطرف الجنوبي من جزيرة سرنديب (سيلان) او الى جزائر ملديو (Maldives) وكان في ذلك الانحراف العظيم منجاة لهم في بعض الاحايين من الوقوع في ايدي البرتقاليين ولذلك كانت بعض التجارات تفلت الى ديار مصر ومنها الى البندقية. ذلك لان المحيط الهندي فسيح المدى بعيد الجنبات وليس في الامكان مراقبة مياههِ وثغورهِ اللهم الاَّ بعمارة بحرية لا عداد لها ولم يكن ذلك بالميسور للبرتقال. فلذلك رأى عمانو بل الثاني في سنة ١٥٠٥ م (٩١١ هـ) انهُ لا يتسنى لهُ حفظ مركزهِ التجاري والسياسي الاَّ بابقاء اسطول حربي مستديم في بحر الهند وارسال جيش كامل العدد والآلات لاحتلال بنادر تلك البقاع بصفة عسكرية مستمرة. وجعل من اخص واجبات الاسطول ترصد سواحل البحر الاحمر عند باب المندب وامرهُ باحتلال جزيرة سُقُطْرى (Socotra) إذ كان لا مندوحة للسفن المصرية عن غشيان هذه القاعدة البحرية المهمة لاخذ الماء. وقد ساعدهُ حسن الطالع وخدمهُ التوفيق فدخلت هذه الجزيرة تحت حوزتهِ في سنة ١٥٠٦

(٩١٢ هـ) . فامتلك بذلك زمام الطريق الذي بين مصر والهند وتمكن من منع المواصلة بينهما منعاً باتاً . ثم تمادى في تشديد التضييق على مصر ليخنقها خنقاً تجارياً كاملاً . فلم يكتفِ بسد الطريق البحري بل عمد الى الطريق البري ايضاً حتى لا يبقى لمصر سبيل ما لاستيراد شيء مطلقاً من بضائع الهند لا من البحر ولا من البر . ولتحقيق هذا الغرض الثاني استولى واليهِ بالهند على هرموز في سنة ١٥٠٧ (٩١٣ هـ) وهي مفتاح الخليج الفارسي وعنها تصل التجارات الهندية الى البصرة فالفرات فبلاد الشام التي كانت في ذلك الوقت جزءا من السلطنة المصرية

حينئذٍ ضاقت الدنيا في وجه السلطان الغوري ورأى من اوجب الواجبات ان يبادر لاجابة الصريخ الذي كان يتوالى عليهِ من بلاد الهند وتنظيف البحار من اساطيل البرتقال واعادة التجارة الى مصر كما كانت

فأصدر امرهُ الى اسطولهِ العظيم المجتمع في مياه جدة بمباشرة القتال . ورأى ان الامر سيطول نظراً الى ما وصل اليهِ البرتقال من ترسيخ اقدامهم وتثبيت مراكزهم في بلاد الهند وفي بحارها ولذلك كان الغوري على يقين انهُ لا مندوحة لهُ عن الاستمرار في المزيد من الاهبة والاستعداد لتسيير الامداد وراء الامداد حتى يقهر ذلك الخصم العنيد ويكسر شوكتهُ ويستأصل شأفتهُ فتعود لهُ السيطرة السياسية في تلك الاقطار وينفتح طريق التجارة اليهِ والى بلادهِ كما كان . فلذلك بذل جهدهُ في توفير معدات القتال وبذل سعيهُ لدى السلطان بايزيد سلطان القسطنطينية ولدى جمهورية البنادقة للحصول على ما لا يوجد في بلادهِ من الادوات ورجال المدافع

كان الغوري اعلم الناس بحالة تلك الجمهورية وبما اصابها من الضعف امام العثمانيين الذين امتلكوا كثيراً من مستعمراتها من جهة الشرق ويهددون البقية الباقية لها وبما وقعت فيهِ من المحن والخطوب بسبب عصبة كمبراي Ligue de Cambrai التي تحالف فيها الامبراطور مكسيمليان الاول امبراطور المانيا ولويس الثاني عشر ملك فرنسا وفردينند الكاثوليكي ملك قشتالة والبابا يوليوس الثاني وتعاهدوا في سنة ١٥٠٨ (٩١٤ هـ) على مناوأتها بالشر والعدوان . كان الغوري اعلم الناس بانها انما تسعى بدسائسها الخفية ووسائلها السياسية لحفظ ثروتها ومكانتها بتحريش مصر على البرتقال دون ان تظهر امام اوربة بمظهر المؤيد للسلطان . وقد رأينا آثار ذلك فيما قالتهُ للراهب الاسباني موروس (Maurus) الذي بعث بهِ الغوري سفيراً اليها والى البابا والى اسبانيا والبرتقال . غير ان الغوري كان

ينتظر منها على الاقل ان توافيهُ بما هو في مقدورها من الخشب والآلات والعدد الحربية والخبيرين باطلاق المدافع · ولكنهُ لم يكن على ثقة من اقتدارها على اجابة طلبهِ

فلاجل عدم ضياع الوقت سدى بعث الغوري الى السلطان بايزيد العثماني في سنة ٩١٣ هـ (١٥٠٧ م) ثم في سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) بان يوافيهُ بما يحتاجهُ من اخشاب البناء وربابنة البحر والمدفعيين فبادر الى اجابتهِ وبعث لهُ بما طلب على سبيل الهدية

وفي نفس سنة ٩١٣ هـ المذكورة ارسل الغوري ايضاً الى حلفائهِ البنادقة سفيراً من قبلهِ واختار في هذه المرة رجلاً من امراء مصر وهو الامير تغري بردي رئيس التراجمة بديوان الانشاء (وهو الذي حرّف الافرنج اسمهُ فجعلوهُ (Tangriberdi)‏ [1] فوصلها في ١٧ سبتمبر سنة ١٥٠٧ (١٠ جمادى الاولى سنة ٩١٣) وقد تفاوض مع الجمهورية في مسائل تجارية متعددة طبقاً لمأموريتهِ الظاهرية الرسمية ولكنهُ كان مكلفاً في الحقيقة ونفس الامر بشؤون سياسية اخصها يتعلق بالنزاع الذي اوجدتهُ دولة البرتقال و بمطالبة الجمهورية ان تبعث للسلطان ما يحتاجهُ من المعدات الحربية (اخشاب وآلات ورجال خبيرين بمعالجة المدافع)

والظاهر انها وعدت السفير في السر والخفاء بانها ستعمل ما في وسعها لتلبية السلطان الى مطالبهِ · ولكنها من باب التمويه على دول اوربا اظهرت انها اجابت السفير المصري بانها اذا فعلت ذلك تنزل من مكانتها في اعين الامم النصرانية وتصبح في معزل عنها وفي ذلك كل الضرر عليها وقد نصحتهُ بان يشير على السلطان بطلب ما يحتاجهُ من القسطنطينية وانهُ اذا كان في حاجة الى خشب البناء فما عليهِ سوى ان يستجلبهُ من الاناضول

وقد رأينا ان السلطان لم يتربص حتى تأتيهُ هذه المشورة · فقد قدمنا انهُ في سنة ١٥٠٧ (٩١٣ هـ) ثم في سنة ١٥١٠ (٩١٦ هـ) طلب من سلطان العثمانيين المدافع واخشاب البناء والقباطين والمدفعيين كما سبق لنا بيانهُ بالايجاز

وكان الاسطول المصري قد تحرك من جدة في استعداد تام للقيام بمأموريتهِ · وقد اختار الغوري لهذه الحملة رجلاً من رجالهِ المغاوير وهو الامير حسين الكردي : من اهل الشدة والبأس مشهور بالشجاعة والاقدام حسن التدبير خبير بالسياسة · وفوق ذلك كان من ذوي الابهة والعظمة بحيث انهُ «اذا ضم اوطاقهُ» في سفر او حضر اقام الجنود والاعوان

(١) واغرب من هذا التعريف انهم لكراهتهم له جعلهُ بعضهم يهودياً اندلسياً تنصر ثم تسلم

من حوله اظهاراً للحرمة والناموس لادخال الارهاب في القلوب والاجلال في النفوس . وكانت لهُ اسمطة ممدودة في الحل والترحال وكان بذولاً للطعام واكولاً يستوفي وحده الخروف باكمله . ولكنهُ كان دخيلاً في طائفة الجراكسة لا يملأ أعينهم ولا يعتبرونهُ فيما بينهم وكان الغوري معتنياً بامره عارفاً بقدره ويخشى عاديتهم عليه[1] . لاجل ذلك ولما امتاز بهِ الامير حسين من الصفات التي ذكرناها ندبهُ السلطان لهذه المهمة الخطيرة وما زال يجد السير و يجوب البحار حتى وصل الى ساحل مليبار في اواخر سنة ٩١٢ (سنة ١٥٠٧م) فالقى مراسيهُ على بندر ديو (Diou) من اعمال كجرات بثلاث عشرة سفينة حربية جاءنا تفصيلها عن موَّرخي البرتقال إذ قالوا ان عمارتهُ هذه كانت عبارة عن ستة اغربة وغليون واحد وست سفائن كبيرة . واجتمع بسلطان كجرات يومئذٍ وهو خليل مظفر شاه فاكرمهُ وعظمهُ وانعم عليهِ بنعمة طائلة وامر عاملهُ على ديو وهو المالك[2] إياس بان يكون هو وسفنهُ الحربية تحت تصرّف الامير المصري

ذهب الامير حسين يبحث عن الاسطول البرتقالي حتى التقى بهِ امام مدينة شيول (Chaul) في رمضان سنة ٩١٣ (يناير سنة ١٥٠٨) وكان هذا الاسطول معقود اللواء لنجل والي الهند البرتقالي وهو الفتى لورنسو ألميدا (Lorenzo Almeida) فهجم عليهِ الامير حسين وانتصر عليهِ نصراً مبيناً وقبض على غراب الاميرال الذي ذاق كأس الحمام في اثناء المعركة . ورجع الامير حسين تخفق على رأسهِ وعلى سواري اسطولهِ المصري رايات الظفر والفلاح فاقام بمينا ديو مدة شهور منتظراً انقضاء فصل الامطار . فارسل اليهِ السامري من ساحل مليبار اربعين غراباً كلها صغار لتكون في خدمتهِ وطوع اشارتهِ . وبينما هو يتأهب لاستئناف القتال اذا بالاسطول البرتقالي موَّلفاً من ١٩ قطعة حربية قد داهمهُ بغتة واخذهُ على غرة في مياه ديو . وكان المتولي الزعامة والرياسة في الاسطول البرتقالي هو فرنسيسكو ألميدا والي الهند الشرقية لينتقم لراية بلادهِ وليأخذ بثار ولدهِ الذي قتلهُ الامير حسين . فما هو الأ ان احسّ هذا الامير باقتراب الاسطول البرتقالي حتى صمد اليهِ من غير استعداد وخرج معهُ اسطول السامري واسطول كجرات فاشتبكت معركة بحرية هائلة وهي المعروفة بمعركة ديو سنة ١٥٠٩ (سنة ٩١٥ هـ) . فكان الاسطول البرتقالي لا يقصد بنارهِ وقنابلهِ سوى غربان الامير المصري حتى استولى على

---

(١) عن البرق اليماني (٢) هذا اللفظ يستعملهُ اهل الهند في معنى ملك وامير . وهو في هذا المقام بمعنى الامير او العامل او كما نقول في هذه الايام بمصر « المحافظ »

بعضها وطاح الباقي منها وانهزم الامير حسين شر هزيمة ولكن لم يقع في قبضة الاعداء بل تمكن من الرجوع الى مصر ومعهُ فلول الاسطول

فلم يبق في وجه البرتقال مانع دون التمادي في مشروعاتهم ففي شهر مارس سنة ١٥١١ (القعدة سنة ٩١٦) ذهب والي الهند الفونسو البوكرك بعمارة بحرية لاقتحام بحر العرب وكان قصدهُ ان يبني قلعة في عدن واخرى في جزيرة كمران تمهيداً لما يطمح اليهِ من الاستيلاء على سلطنة مصر نفسها او على الاقل تحويل مجرى النيل عنها وجرّ الخراب عليها وذلك بناء على ما كتب بهِ اليهِ ملك البرتقال

فلما شرع في منازلة عدن صدّهُ الامير مرجان العامري واضطرهُ للرجوع على اعقابهِ منهزماً مدحوراً . وفي هذه الموقعة قتل مارشال الجيوش البرتقالية وجرح والي الهند نفسهُ

فلما رأى الغوري انكسار اسطولهِ ورأى ما يحاولهُ البرتقال من الاستيلاء على البحر الاحمر تمهيداً لاخذ مصر نفسها اخذتهُ الغيرة الشديدة وواصل العمل ليل نهار حتى جهز اسطولاً مؤلفاً من ٢٢ غراباً كبيراً وغليونين في استعداد تام وامّر الامير سليمان الرومي العثماني مع الامير حسين و بعثهما الى بحر الهند لاعادة الكرة على البرتقال والاخذ بالثار . وكان الامير سليمان من طائفة اللوند فاتكاً شجاعاً ذا معرفة بالحروب خصوصاً بالمدافع والبنادق[1] . وكونهُ من اللوند ووصفهُ بالرومي في كتابي قطب الدين وبالعثماني في تاريخ ابن إياس يشعر بانهُ من القباطين الخبيرين بسلك البحار الذين بعثهم السلطان بايزيد الى الغوري حسبما سبقت الاشارة اليهِ لاسيما وانهُ ذو معرفة بحرب المدافع والبنادق . وقد اراد الغوري ان يحفظ جدَّة من هجوم الافرنج وان يقطع دابر الفتن التي كانت مشتعلة فيها بسبب تشاحن اولاد امير مكة مع ابيهم مما اوجب اضطراب الامن واختلال النظام في الحجاز . ولذلك انعم السلطان الغوري على الامير حسين بنيابة جدة وجعلها اقطاعاً « تيماراً » لهُ وجهز معهُ ٨٠٠ مملوك وطوائف كثيرة من المغاربة واللوند[2]

قام الامير حسين بهذا الاسطول الرهيب المهيب فوصل جدة في سنة ٩١٧ (١٥١١م)

---

(١) انظر قطب الدين في تاريخ مكة (٢) هذا الاسم ماخوذ عن اللغات الافرنجية عن كلمة Levant ومعناها « المشرق » واصلهم في الغالب من اسيا الصغرى وما جاورها من البلدان وقد سماهم الافرنج بهذا الاسم Levantis بمعنى المشارقة وجاراهم المصريون باستعمال اللفظ معرَّباً « لوند » والمقصود بهم العساكر المتطوعون بوجه عام وجنود الاسطول بنوع اخص . ولما كانت لغاتهم مختلفة ولا يفقهها ابناء مصر صاروا يطلقون اللغة اللوندية واللسان اللاوندي على كل رطانة غير مفهومة

ورأى البرتقال يهددونها من جهة البحر ومتخطفة العرب من جهة البر . فعوّل على تحصينها لمنع هــذا الخطر المزدوج عنها . وقد تجرّد بهمتهِ الشماء لبناء سور محيط بها . وحصنهُ بالابراج المتينة المحكمة وقد استعمل في ذلك الشدة المتناهية التي تقضي بها تلك الظروف الحرجة فهدم كثيراً من البيوت القريبة من موضع الاساس واستعمل حجارتها في البناء واستخدم عامة الناس حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين في حمل الحجر والطين والتراب . لجأ الى الصرامة العسكرية في معاملة البنائين بحيث يحكى ان احدهم تأخر قليلاً عن المجيء في الميعاد المقرّر فامر بان يبنى عليهِ قبرهُ في جوف الحائط الى يوم يبعثون . و بهذه المثابة تمكّن من الفراغ من تحصين جدّة في عام واحد وجاء هذا السور من احسن المباني هناك حتى عدّهُ ابن اياس من حسنات الغوري . وفي اثناء ذلك كان الامير حسين يجمع المال ويستوفى الاهبة للمهمة الاصلية واخذ الثار من البرتقال واقصائهم من الهند و بنادرهِ وبحارهِ . حتى اذا اتمّ تدبيرهُ واحكم امرهُ برح جدّة قاصداً بلاد الهند فلما وصل الى سواحل اليمن ارسل الى السلطان عامر بن عبد الوهاب يطلب منهُ الميرة والاعانة مدلاً عليهِ بما سبق لهُ من المكاتبات الى السلطان الغوري في طلب النجدة منهُ . فلما وصل رسول الامير حسين بهدية كبيرة الى عامر اراد عامر ان يمدّهُ بما اراد من الميرة وغيرها فمنعهُ من ذلك وزيرهُ وقال : « اذا اعطيتم شيئاً يصير عادة عليك تطالب بها كل عام . وكلام الشحّ مطاع والبخل والامساك مركوز في الطباع فاستصوب رأيهُ . وكم من كلمة شح تخرب الديار وتؤول الى الخسار والدمار ! فارسل السلطان عامر الى الامير حسين جواباً غير لائق ولم يرسل اليهِ شيئاً ومنع الميرة من كمران . فتشاحنت النفوس لذلك . واراد الامير حسين انكاء السلطان عامر واخراب دارهِ وديارهِ . فحدثتهُ نفسهُ بأخذ اليمن وحسّن لهُ ذلك من حولهُ من الجند واللوند . وشرع في اسباب ذلك »[1] فابتدأ باحتلال جزيرة كمران وشيد فيها قلعة ذات ابراج في مدة تسعة شهور وجعلها قاعدة بحرية لاسطولهِ . ثم نازل السلطان عامر بن عبد الوهاب حتى انتصر عليهِ واستولى على زبيد « ودخلها بعسكر كبير من الترك واللوند والمغاربة والمصريين والشاميين ومعهُ الامير سلمان الرومي ومن انضاف اليهم من الزيديين واهل جازان وذلك .... ضحى يوم الجمعة تاسع جمادى الاولى سنه ٩٢٢ (١٠ يونيو سنة ١٥١٦) ... واقام بزبيد سبعة وعشرين يوماً .... ثم خرج يوم الخميس ١٧ جمادى الآخرة سنة ٩٢٢ (١٩ يوليو سنة ١٥١٦) واقام عشرة ايام . وسار هو وسلمان الريس ...

(١) عن البرق اليماني

في اثنين وعشرين غراباً وقليونين الى بندر عدن وبها الامير مرجان العامري . فوصلوا في ١٣ رجب سنة ٩٢٢ (٢٠ اغسطس سنة ١٥١٦) . وكانت عدن معمورة ترد اليها السفائن من بنادر الهند وبها التجار الكبار والاموال الجزيلة فصادف الامير حسين آخر موسم الهند . وقد سافرت السفائن ورأوا قلاعهم وهي مسافرة فوجه اليهم سلمان اغربة فاخذ مركباً منها كان لعامر بن عبد الوهاب فاستولى سلمان عليهِ وجهزهُ الى كجرات وارسل فيهِ مكاتبات الى السلطان مظفر شاه يذكر فيها ان الامير حسين اخذ اليمن وملكها وانهُ عائد بعد ذلك الى الهند لاخذ البرتقال[1] » ولكن الامير حسين لم يقدر على اخذ عدن ولا ذهب الى الهند للقيام بأمور يتهِ الاصلية بل رجع الى جُدة وارتكب فيها كثيراً من المظالم حتى عيل صبر صاحبهِ سلمان لانهُ رآهُ يكثر من قتل المسلمين وقتالهم ففارقهُ بعد ان وقعت الحرب بينهما

فكان من سعادة البرتقال اختلاف هذين الاميرين قبل وصولهما الى محل مأمور يتهما لاسيما وقد وقع بينهما من الشحناء والشقاق ما ادَّى الى التخاذل والافتراق . بل كان من تمام سعادة البرتقال ان السلطان سليم تحرك على السلطان الغوري في تلك السنة بعينها (سنة ٩٢٢ هـ) فاشتغل وليّ الامر في مصر بالدفاع عن ملكهِ وتاجهِ واهمل الهند وبحارها وبرتقالها . فخلا لهم الجوُّ فباضوا وصفروا ونقّروا

مات الغوري في ١٥ رجب سنة ٩٢٢ (١٤ اغسطس سنة ١٥١٦) بمرج دابق عند حلب . ومات الامير حسين غريقاً في مياه جدة بامر السلطان سليم الثاني فذهب طعمة للاسماك كما راح سيدهُ شهيداً تحت سنابك الخيل . وكانت امور مصر في اضطراب وحكومتها الاهلية في حروب وكروب وخطوب مع بني عثمان حتى استقرت فيها اقدام السلطان سليم واشتغل بتوطيد احكامهِ فيها . فلم تكن للحكومة الجديدة همة او فرصة لتعقّب البرتقال ولا نخوة لاستعادة التجارة الى اسواق الاسكندرية ودمياط

وبذلك اكمل السعد خدمتهُ للبرتقال فانهم تخلصوا من الشخص الوحيد الذي كان في وسعهِ ان يعرقل مساعيهم ويوجه قواتهِ كلها عليهم واعني بهِ الغوري سلطان مصر الذي ربما كان يتأتى لهُ ان يقهرهم ويردهم على اعقابهم مدحورين . وحينئذٍ ثبتت هيبتهم في بحار الشرق وتوطدت دعائم سلطتهم باسم عمانويل السعيد ملك البرتقال . وجعلوا لشبونة هي

(١) عن البرق اليماني

المخزن الوحيد لجميع تجارات آسيا . ثم توسعوا فارادوا امتلاك البحر الاحمر ايضاً حتى لا يكون لهذه التجارة منفذ كبير ولا صغير الأ وهو في قبضة ايديهم . ولكنهم كانوا كما قال الشاعر

اذا تم شيء بدا نقصهُ ترقب زوالاً اذا قيل تم

فقد قضى الله ان كل من اراد الكنانة بسوء قصم الله ظهرهُ ولو بعد زمان طويل . ذلك انهم رجعوا لاحلامهم القديمة وهي امتلاك البحر الاحمر والاستيلاء على مصر . فعاودوا الكرة مرة اخرى باسطول مؤلف من ثمانية وعشرين غراباً حربيًّا فتقدموا حتى وصلوا في فبراير سنة ١٥١٧ (صفر سنة ٩٢٣) امام جدة والقوا الرعب بين اهليها دون ان يفوزوا منها بطائل . فلقد اخفقوا امامها وعادوا بالفشل اذ تصدى لهم الريس سلمان ببقايا ما كان لمصر من اسطول وجيش فردهم عنها خاسرين . فارادوا في عودتهم ان يأخذوا بثأرهم من عدن فارتدوا عنها مدحورين . وعلى ذلك بقيت السفائن العربية تروح وتغدو في البحر الاحمر دون منازع ولا ممانع . ولكنها اذا حاولت دخول بحر الهند فهلاكها محقق اكيد

هكذا انقطعت تجارة الهند مرة واحدة عن مصر ! وهكذا فقدت مصر ثروتهـا واستقلالها في عام واحد !

وخلاصة القول ان اكتشاف طريق الهند عن رأس الرجاء الصالح قد قوض دعائم الثروة في جميع البلدان الاوربية الواقعة على شواطىء البحر الابيض المتوسط وجرَّ الخراب المالي على مصر لانهُ قتل تجارة المشرق التي كانت تنهال عليها . فلاجل اعادة هذه التجارة الى المياه القديمة لم يكن هناك سوى وسيلة واحدة لايجاد هذه المعجزة الخارقة وهي فتح قناة السويس

ففي حدود سنة ١٥٠٠ م (٩٠٦ هـ) فكَّر البنادقة في ذلك وأرادوا ان يستميلوا السلطان الغوري بواسطة سفيرهم الى هذا العمل الجليل بل انهم دوّنوا هذا الطلب في جملة التعليمات التي قرروا اصدارها الى سفيرهم بالقاهرة . ولكنهم عادوا لحذفوهُ خوفاً من ان يفهم السلطان انهم لا يقصدون الأ مصلحتهم الشخصية . ثم كان العثمانيون اول من سعى في انفاذ هذا المشروع في العصور الحديثة . فانهم استخدموا في سنة ١٥٢٩ م (٩٣٦ هـ) عشرين الف عامل لاعادة الترعة التي كانت تصل البحر الاحمر بالنيل في ايام الفراعنة الاقدمين وفي صدر الاسلام . ولكنهم لم يتمموا ذلك فبقي هذا المشروع العظيم المنافع (الذي هو مصداق لمـا قيل عن مصر « خيرها لغيرها ») يتردد في الاحلام وتحوم حولهُ همم الرجال الى ان تم انجازهُ

في عصر ابي الفدا اسماعيل ابي صاحب العظمة السلطان الكامل ابي الكمال حسين الجالس الآن على عرش مصر ابقاهُ الأ ملاذاً للكنانة وذخراً للعاملين من ابنائها على احياء مصر بالعلم والزراعة والتجارة . والله حسبي ونعم الوكيل احمد زكي

سكرتير مجلس الوزراء

الوجوه الصناعية

واخفاء تشوه الوجه

من ويلات هذه الحرب ومن اقبحها تشويه الوجوه . يمضي الشاب اليها كامل الخلقة جميل الطلعة تفتخر بمنظره امهُ واخواتهُ وتبتهج برؤيتهِ زوجتهُ او خطيبتهُ فاذا اخطأ رصاص العدو مقاتلهُ فقلما تخطئهُ شظايا القنابل فتشوه وجههُ تشويهاً قبيحاً تقوّر عينيهِ او تمعط حاجبيهِ او تصلم اذنيهِ او تقطع شفتيهِ او تمزق خديهِ او تجدع انفهُ او تفعل ذلك كلهُ او اكثرهُ فيُنقل الى المستشفى اذا لم يقضَ عليهِ من شدة الصدمة ويعالجهُ الجراح حتى تلتئم جروحهُ ولكنهُ لا يستطيع ان يخلق لهُ عيناً بدل العين المقلوعة وحاجباً بدل الحاجب المعوط واذناً بدل الاذن المصلومة وشفة بدل الشفة المقطوعة وخدًّا بدل الخد الممزوق وانفاً بدل الانف المجدوع فيخرج من بين يديهِ اذا شفي يرتعب منهُ كل من يراهُ وهو يرتعب اذا تطلع في مرآة . ويقوم في نفسهِ انهُ قبيح المنظر يكره الناس رؤيتهُ فيتولاَّهُ اليأس والخمول ويحسب نفسهُ عالةً على البشر ولو كان من الاغنياء او الوجهاء او العلماء

الاَّ ان ما يعجز عنهُ الاطباء والجراحون لم يعجز عنهُ النقَّاشون والمصورون فقد كتب كاتب اديب في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر ان نقاشاً من صانعي التماثيل اسمهُ درونت وُد انتظم في سلك الجنود الانكليزية سنة ١٩١٥ كجندي بسيط فجُعل خادماً عملهُ غسل الصحون (كما كان شغل الكاتب نفسهِ في اول الامر) ولما رأى تشوه وجوه الجنود وضباطهم خطر لهُ ان يصنع لهم وجوهاً صناعية تشبه وجوههم الطبيعية قبل تشوهها فيلبسونها ويخرجون بين الناس فلا يعلم احد من الذين يرونهم انهم لابسون وجوهاً صناعية

لما كان جَدْع انف الخصم او المجرم عادة متبعة عند العرب في عهد الجاهلية وبداءة الاسلام كان مجدوع الانف يضع بدلاً منهُ انفاً من الفضة ولا نعلم هل كانت الفضة تبقى

على لونها المعدني او تدهن حتى تشبه الانف الطبيعي · اما هذا النقاش فيلوّن الوجه الصناعي بالوان الوجه الطبيعي تماماً وهاك خلاصة وصف الكاتب لهُ قال

اذا دخلتَ المكان الذي فيهِ هذا الصانع الآن وجدتهُ لابساً لبس كبتن في الجيش البريطاني وامامهُ قطع من وجوه صناعية مختلفة وعلى رفٍ الى جانبهِ تماثيل لتلك الوجوه وصور اصحابها الفوتوغرافية قبل ان تشوهت وجوههم وبعد ان تشوهت · وفي غرفة اخرى صانع آخر كان من الذين يصنعون القوالب للنقاشين وهو مكبٌّ على عملهِ والى جانبهِ كيس جبس وادوات مختلفة

وهاك ما يحدث لرجل دخل ذلك المكان بوجه مشوه وبعد اسبوع او اسبوعين خرج منهُ بوجه تراهُ عن بضعة امتار فتحسبهُ طبيعياً

يشرع صانع الوجوه في عملهِ بعد ما يتم الجراح عملهُ وتلتئم الجروح تماماً فيدخل المشوَّه الوجه ويجلس على كرسي ويُطلَب منهُ ان يأتي بآخر صورة من صورهِ الفوتوغرافية قبلما تشوَّه وجههُ فيراهُ صانع الوجوه ويتبصَّر فيهِ جيداً ولنفرض انهُ فقد عيناً من عينيهِ وقطعة من خدهِ المجاور لها وجزءًا من ارنبة انفهِ · فيدهن النقاش بقية وجههِ بالزيت وحاجبيهِ بالفاسلين وكذلك شاربيهِ اذا كان لهُ شاربان لكي لا يلصق الجبس بها ويكون صانع القوالب حينئذٍ آخذاً في جبل الجبس بالماء السخن حتى اذا صار في القوام اللازم اتكأ مشوه الوجه الى الوراء في كرسيهِ كما يفعل وهو جالس في كرسي الحلاق وغمض عينهُ السليمة فيضع النقاش عليها ورقة تغطيها وقاية لها من الجبس وورقة اخرى على وقب العين المقلوعة ثم يدهن الوجه كلهُ بطبقة رقيقة من الجبس ثم بطبقة اخرى فوقها وكلما جفت طبقة دهنها بطبقة اخرى الى ان تصير بالثخن المطلوب فينزعها ويكون باطنها مثل الوجه المشوه تماماً ولكنهُ مقلوب · فيغسل الوجه من الزيت ويصرف صاحبهُ الى ان يدعوهُ ثانية في يوم آخر

ويعالج الجبس بالصابون ونحوهِ الى ان يتصلَّب جيداً ثم يفرغ فيهِ مجبول الجبس فيخرج منهُ قالب يشبه الوجه المشوه تماماً مقوَّماً فيهذّبهُ اذا كان فيهِ شوائب ويسبك عليهِ وجهاً آخر من البلاستيسين فيكون من ذلك قشرة رقيقة يشبه ظاهرها ظاهر الوجه المشوه بعين مفقوءة وخد قد نزعت منهُ قطعة وانف فقد جزءًا من ارنبتهِ وعين سليمة ولكنها مطبقة فيفتح مكان العين المطبقة · والغرض من هذه القشرة فتح هذه العين · ثم يصبُّ عليها وجهاً آخر مقلوباً من الجبس وعلى هذا وجهاً مقوَّماً · ويصلح هذا الوجه الاخير حتى يجعلهُ كما

كان الوجه الطبيعي قبل ان تشوَّه فيضع عيناً في وقب العين المقلوعة ويضع لها جفنين ويصلح المكان الناقص من الخد والانف مرتشداً الى ذلك كلهِ بالقسم السليم من الوجه وبالصورة الفوتوغرافية

ثم يدهن هذا الوجه ويلبسهُ قشرة معدنية سمكها $\frac{1}{32}$ من البوصة فيكون شكلها الظاهر مثل شكل الوجه قبل ان تشوه ثم يموّه هذه القشرة بالفضة بالترسيب الكهربائي وهي الوجه الصناعي الذي يلبسهُ مشوه الوجه فيلونهُ بلون الوجه تماماً ويلصق بهِ ما يقوم مقام الشار بين والحاجبين ورموش العينين ويضع لهُ عيناً من الزجاج ويلونها حتى تماثل العين السليمة . ويستعين بلون الوجه الطبيعي على تلوين الوجه الصناعي

والرجل الذي يلبس هذا الوجه يضطر ان يلبس ايضاً نظارات (عوينات) من ذوات الساعدين اللذين يوضعان فوق الاذنين لكي يحفظ بهما الوجه في مكانهِ واذا لم يكن محتاجاً الى لبس النظارات جُعل زجاجها بسيطاً لا يؤثر في نظرهِ

ولا شبهة في ان الوجه المشوه تشويهاً قبيحاً يجعل الناس ينفرون من النظر الى صاحبهِ ويجعل موقف صاحبهِ حرجاً بين الناس فتصغر نفسهُ ويضطر ان يتجنبهم لئلاَّ يظهروا لهُ الاشمئزاز ويهربوا منهُ . فاذا لبس هذا الوجه العارية الذي يخفي تشويه وجههِ الحقيقي ويظهرهُ كما كان قبل ان تشوَّه جرُؤَ على الظهور بين الناس والاخذ والعطاء على جاري عادتهِ قبل ان تشوَّهُ وجههُ . ولكن لا ندري ما يكون من امرهِ بعد ان يتقدم في السن فيشيب شعرهُ ويتغضَّن جلدهُ وتزول نضارة وجههِ هل يبقى متظاهراً بالشباب اويجاري الزمان فيبدل وجههُ هذا بوجه آخر منطبق على السن الذي بلغهُ . وكيفما كانت الحال فتغطية العيوب خير من اظهارها والمجاهرة بها

وقد ابنَّا في مقالة سابقة موضوعها « الاعضاء الصناعية » نشرت في مقتطف يناير سنة ١٩١٦ ان الصنَّاع تمكنوا من عمل الايدي والارجل الصناعية للذين تقطع ايديهم وارجلهم في الحرب فيتمكنون من المشي بهذه الارجل ومن عمل اعمال كثيرة بهذه الايدي ورسمنا هناك صور باطن هذه الايدي والارجل . ثم علمنا ان احد الالمان تمكَّن حديثاً من جعل الايدي الصناعية تتحرك بالارادة بتعليقها بالعضلات الباقية في اعلى العضد عند الكتف من الباطن وسيأتي تفصيل ذلك في مقالة اخرى . وسنرى من هذه الحرب عجائب كثيرة في الطب والصناعة والزراعة وفي كل فروع العلم والعمل

الحشيش

منشؤُهُ . وصفهُ . تحليلهُ كيماويًّا

الحشيش او « الكيف » كما يعبر عنهُ من يتعاطونهُ مادة راتينجية ذات خواص غريبة تتكون على اوراق وازهار النبات المسمى بالقُنَّبْ الهندي او القنب المخدر . وسمي كذلك لان لهُ خواص مسكنة كانت معروفة من قديم الزمن . وهذا النبات من الفصيلة المسماة في عرف النباتيين Urticacae وهي شجيرات سنوية ذات قشور ليفية اصل منبتها بلاد الهند ولذا اطلق عليها هذا الاسم . ولكنها تزرع الآن في اكثر البلدان . الاَّ انها تزرع في الاقاليم الباردة لا لمنفعة طبية بل للحصول على اليافها وبذورها الزيتية فقط اذ يفقدها طقس تلك الاقاليم خواصها الدوائية . اما في البلاد الحارة فتكتسب اوراقها وازهارها خواص مسكنة هي التي اشاعت استعمالها طبيًّا كمنوم ومزيل للأَلم والتشنج ولكنها لا تستعمل بشكلها الطبيعي بل يستخرج منها مستحضرات طبية . وطريقة استخراج تلك المستحضرات هي تقليم أُنثى[1] النبات لكي تكثر انتاج الفروع المزهرة . وبعدئذٍ تجمع اقمام تلك الفروع من غير ان تزال المادة الراتينجية التي بها تضغط فتتماسك جزئياتها لوجود تلك المادة ثم تجفف وتعمل على شكل قطع مسطحة طولها من ٥ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمترًا ولونها اخضر غامق ورائحتها خاصة بها ومن تلك القطع تحضر الخلاصة والصبغة بالالكحول. وكلاهما يحوي الاصول الفعالة الموجودة في النبات بنسبة معلومة

قلنا ان الحشيش مادة ذات خواص غريبة لانهُ اذا دخن او اخذ جرعات يحدث انحطاطًا عظيمًا في الجهاز العصبي وينتج غيبوبة يصحبها كما يقال احلام او اوهام لذيذة ولكن تأْثيرهُ يختلف باختلاف قابلية الشخص لهُ وعلى العموم يقال ان اول تأْثير بعد اخذ مقادير صغيرة منهُ هو زيادة القابلية وانشراح النفس . اما اذا اخذ بمقادير كبيرة فينتج التهجيص او الذهول او النوم او التشنج او الموت . اما اذا اخذ بمقادير معتدلة فيصير متعاطيهِ اضحوكة لما ينتابهُ من الافكار المتناقضة ويقال ان الخطأَ في الحكم على الزمان والمكان من اهم مميزات الحشاش . وعلى كل حال اذا تعاطاهُ اي شخص باية كمية صغيرة بات عبدًا لهُ . ونقول بمزيد الاسف ان عادة تعاطي الحشيش والافيون مستحكمة في الشرق وطالما افضت الى جنون يتوارثهُ الخلف عن السلف . على ان تعاطي الحشيش لا يعوق الهضم كالافيون

(١) لان انثى النبات تفرز المادة الراتنجية بكثرة

للاسباب السالفة الذكر منعت الحكومة المصرية زرع القُنَّب الهندي في هذا القطر منعاً باتاً وجعلت اول عقوبة لمن يزرعهُ غرامة خمسة جنيهات على كل فدان او جزء من فدان مع تقليع الزرع ومائة جنيه لمن يكرر منهُ ذلك

ولم تقتصر الحكومة على منع زرعه بل منعت ايضاً ورود من الخارج وجعلت اول عقوبة مصادرتهُ وغرامة ثلاثين جنيهاً على كل كيلو وستة جنيهات على كل كمية جزئية . ولا يصادر الحشيش فقط بل يضبط معهُ كل ما يستعمل لنقلهِ من قوارب او عربات او حيوانات وكل بضاعة تستعمل لاخفائهِ وتهريبهِ . ومن الحقائق التي لا جدال فيها ان الحشيش بالرغم عن الهمة التي تبذلها مصلحة الجمارك في مصادرتهِ يرد الى هذه البلاد بكميات كبيرة خصوصاً من البلاد اليونانية . وكانت الحكومة منذ مدة غير بعيدة تبيع الحشيش المصادر ولكن لما بلغها ان الحشيش المبيع يرد ثانية بطرق غريبة و يستهلك داخل القطر اخذت تحرق كل كمية تضبط . وقد حرمت ايضاً بيعهُ وتدخينهُ خصوصاً في المحلات العمومية كالقهاوي والتياترات واللوكندات و يعاقب المعتدي بمثل الغرامة السابقة الذكر وتتلف الادوات المستعملة لتدخينهِ و يقفل المحل الذي يباع فيهِ شهراً اول مرة او دائماً اذا تكرَّر ذلك

و بالرغم عن اقصى الهمم التي يبذلها رجال الحكومة في مصادرة الحشيش ترى الحصول عليهِ في اي مكان بشكلهِ او بشكل منزول من ايسر الامور . وذلك يرجع بلا ريب الى تفنن الذين يهربونهُ . وقد ذكرت الجمارك مرة في احد تقريراتها ان كمية كبيرة من الحشيش كانت مهربة داخل عمود من المرمر الغالي الثمن . وكان من ابعد الامور تصور الحشيش مهرباً داخلهُ لو لم ينكسر هذا العمود صدفة و يظهر ما بداخلهِ فليتأمل المتأملون

والربح في الحشيش اذا بيع بالقطاعي باهظ جداً وهذا اعظم دليل على شدة التدابير المتخذة لمنع تناولهِ . فالاقة مثلاً تباع في البلاد اليونانية بثلاثين غرشاً ولنفرض انها تكلف عشرة غروش اجرة نقل وستين غرشاً رشوة مثلاً فيكون الثمن الاصلي مائة غرش على الاكثر ولكن تباع هنا على اقل تقدير بثلاثمائة غرش اي بربح ثلثمائة في المائة . لا بل يبلغ الربح اكثر من ذلك بكثير اذا بيع الحشيش داخل القهاوي البلدية . فالربح فاحش جداً فيما يسمونهُ التعميرة وهي عبارة عن قطعة من الحشيش بقدر القمحة او القمحتين ولا يبلغ ثمنها اكثر من نصف غرش توضع على جمرة فوق الجوزة وتدار على حلقة من الحشاشين مؤلفة من عشرة رجال فيأخذ كل منهم نفساً طويلاً و يدفع مقابل ذلك $\frac{1}{4}$ غرش او في بعض الاحيان $\frac{1}{2}$ غرش . ولنترك للقارىء تقدير صافي الربح في هذه الحالة . ومن الامور التي يجدر ذكرها ايضاً ان بعض الباعة يغشون

فيبيعون اصنافاً مثل القلفونيا تحت اسم الحشيش . ومن الغريب انهُ عند تحليل بعض العينات المهربة وجدت خلواً من الحشيش ولم تكن سوى قطع من القلفونيا القذرة الممزوجة بالنخالة

ويستعمل الحشيش في هذا القطر بثلاث طرق فاما ان يدخن واما ان يشرب واما ان يؤكل . وتدخينهُ يكون عادة بمزجهِ مع الدخان ولفهِ بشكل سجاير او بعمل تعميرة منهُ . اما شربهُ فيكون بسحقهِ وعمل منقوع منهُ بالماء البارد فيخرج منهُ سائل لبني عكر . واما اكلهُ فيكون اما بمضغهِ او خلطهِ بحلويات فيتكون ما يسمى بالمنزول وقاعدتهُ المربى او العسل او السكر مع اضافة بعض البهارات . وفي بعض الاحيان يضيف اليهِ بعض الكييفة (اي اولئك الذين اصبحوا لا يتأثرون بالحشيش وحدهُ لانهُ لا يحدث عندهم الانشراح المعهود او بالحري الذهول الكافي) مواد اخرى سامة كالافيون والداتورة والجوز المقيء والزراريح

لقد اطلنا الكلام في وصف الحشيش فنبحث الآن في تركيبهِ فنقول ان جناب المستر لوكاس قد حلل عينات كثيرة فوجد ان الحشيش يحوي ٣٥ في المئة مواد معدنية و٢٠ في المئة مواد عشبية والباقي المادة الراتينجية التي هي بيت القصيد. وقد وفق جناب المستر بيم الكيماوي البحاثة في معمل ولكم بالخرطوم الى طريقة سهلة لتحليل الحشيش كيماويًّا . فان الحشيش يعرف بغاية السهولة اذا لم تخالطهُ مواد أُخرى لان شكلهُ ورائحتهُ مميزان لهُ . ولكنهُ يوجد على الغالب ممزوجاً بالاشياء التي ذكرت قبلاً . فالبحث عنهُ يصير حينئذٍ من الصعوبة بمكان وكان الى عهد قريب متعذراً لو لم يوفق العلامة المذكور الى هذه التجربة وهي تلوُّن المواد الراتينجية بلون ارجواني اذا اضيف اليها البوتاسا او الصودا الكاوية

والطريقة العملية هي ان يؤتى بالمادة المشتبه في وجود الحشيش بها و يضاف اليها اثير البترول Pitroleum Ether ثم يرشح السائل المكون منهما و يبخر في اناء صيني صغير فاذا كان الحشيش موجوداً بكثرة تكون المادة الباقية بعد التبخير شبيهة بالقطران اما اذا وجد بكمية قليلة فالباقي بعد التبخير يكون مصفرًّا . فاذا اضيفت بضع نقط من محلول البوتاسا الكحولي الى هذا الباقي تتكون بالتدريج مادة ذات لون ارجواني جميل . واذا خففت بالماء يميل اللون الى الزرقة وهذا اللون ثابت اي يلبث طويلاً لا يتغير. وهو نتيجة تأكسد المادة الراتنجية لانهُ اذا عملت عملية التبخير في جو خالٍ من الاكسجين جاء اللون بنيًّا

و يقوم مقام اثير البترول لاستخلاص المادة الراتنجية الالكحول والاثير والاسيتون والبنزين والكلوروفورم واوكسيد الكربون الثاني

يعقوب اسحق عوض الكيماوي
اجزاجي اسبتالية الخرطوم الملكية

طرائف من ادب العرب

(٩)

من العقد الفريد

اعشي بكر

« ذكر الشعر عند عبد الملك بن مروان فقال اذا اردتم الشعر الجيّد فعليكم بالزرق من بني قيس بن ثعلبة [1] وهم رهط اعشي بكر و باصحاب النخل من يثرب يريد الاوس والخزرج واصحاب الشعف من هذيل والشعف رؤُس الجبال »

اقول سمّي كثير من الشعراء باسم « الاعشى » وهم اعشى بني اسد واعشى باهلة واعشى بني ثعلب واعشى بني تميم واعشى بني ربيعة واعشى سليم واعشى بني قشير واعشى همدان. ولكن اشهرهم بلا خلاف اعشى ميمون بن قيس بن بكر بن وائل وكنيتهُ ابو بصير و يعرف إختصاراً باعشى بكر . وهو احد مشاهير شعراء الجاهلية ومنهم من قدَّمهُ على امرىء القيس والنابغة وقالوا انهُ امدح الشعراء للملوك واوصفهم للخمر واغزرهم شعراً واحسنهم قريضاً

قال صاحب العقد الفريد « وقد كان المحلَّق بن شداد خاملاً لا يذكر حتى طرقهُ الاعشى في فتية وليس عندهُ الاَّ ناقة فاتى امهُ فقال ان فتية طرقونا الليلة فان « رأيتِ » ان تأذني في نحر الناقة . قالت نعم يا بني فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شراباً وشوى لهم بعض لحمها فاصبح الاعشي ومن معهُ غادين فلم يشعر المحلق حتى انتهُ القصيدة التي اولها :

ارقت وما هذا السهاد المؤَرّقُ ... ومابيَ من سقم ومابي تُعشّقُ
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نار في يفاع تحرقُ
تشبّ لمقرورين يصطليانهـــا ... وبات على النار الندي والمحلّقُ
رضيعي لبانٍ ثدي ام تحالفا [2] ... باسحم داج عوض لا نتفرقُ
ترى الجود يسري سائلاً فوق وجههِ ... كما زان متن الهندواني رونقُ

---

(١) وفي الاغاني « ان حساناً سئل من اشعر الناس فقال اشاعر بعينهِ ام قبيلة قالوا بل قبيلة قال الزرق من بني قيس بن ثعلبة . وهذا حديث يروى ايضاً عن غير حسان »

(٢) وفي رواية تقاسما وهي بمعنى تحالفا

فلما اتمَّ القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليهِ وتقول وبات على النار الندى والمحلّق . وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهـذا شيء تفعلهُ الفرس لا يفترقون ابد الدهر » . انتهى قول صاحب العقد

وقد اطال صاحب الاغاني حيث اوجز صاحب العقد الفريد واقتضب واختلفت الروايتان نثراً وشعراً كما سترى . قال صاحب الاغاني :

« وكان الاعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة وكان المحلّق الكلابي مئناثاً [١] مملقاً فقالت لهُ امرأتهُ يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر فما رأيت احداً اقتطعهُ الى نفسهِ الاَّ واكسبهُ خيراً . قال ويحك ما عندي الاَّ ناقتي وعليها الحمل . قالت الله يخلفها عليك . قال فهل لهُ بدٌّ من الشراب والمسوح . قالت ان عندي ذخيرة لي ولعلي ان اجمعها . قال فتلقاهُ قبل ان يسبق اليهِ احد وابنهُ يقودهُ فاخذ الخطام فقال الاعشى من هذا الذي غلبنا على خطامنا . قال المحلّق . قال شريف كريم . ثم سلمهُ اليهِ فاناخهُ فنحر لهُ ناقتهُ ... واحاطت بناتهُ بهِ يغمزنهُ [٢] ويمسحنهُ فقال ما هذه الجواري حولي قال بنات اخيك وهنَّ ثمانٍ شريدتهنَّ قليلة . قال وخرج من عندهِ ولم يقل فيهِ شيئاً فلما وافى سوق عكاظ اذا هو بسرحة [٣] قد اجتمع الناس عليها واذا الاعشى ينشدهم :

ارقت وما هذا السهاد المؤرّقُ وما بيَ من سقم وما بيَ مَعْشقُ
ولكن اراني لا ازال بحادث اغادي بما لم يمس عندي واطرقُ
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرقُ
تشب لمقرورَين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلقُ
رضيعي لبان ثدي ام تحالفا باسحم داج عوض لا نتفرقُ
ابا مسمع سار الذي قـد فعلتمُ فانجـد اقوام بهِ ثم اعرقوا
بهِ تعقد الاجمال في كل منزل وتعقد اطراف الحبال وتطلقُ

فسلّم عليهِ المحلق فقال لهُ مرحبا يا سيدي بسيد قومهِ . ونادى يا معاشر العرب هل فيكم مذكار [٤] يزوج ابنهُ الى الشريف الكريم . فما قام من مقعده وفيهنَّ مخطوبة الأوقد زوجها » . وقال في مكان آخر « فما اتت على المحلق سنة حتى زوج اخواتهِ الثلاث » وذكر روايات اخرى عن هذا الحادث لا محلَّ لايرادها هنا

(١) امرأة مئناث ورجل مئناث كثيرة ولادة الاناث (٢) يدلكنهُ ويمسدنهُ (٣) شجرة عظيمة
(٤) كثير الذكور

اما وصف الاعشى للكرم وحسن القرى في بيتهِ

تشبُّ لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلقُ

والذي يليهِ فاحسن ما قيل في الجود وقد لا يقال مثلهُ . فقد شبه الجود برجل مقرور يصطلي النار مع مقرور آخر هو المحلق ممدوحهُ وقال انهما توأمان لأُم رضعا لبان ثدي واحد وتحالفا ان لا يتفرقا ابد الدهر . فمن لي بريشة مصوّر صناع اليد سامي المخيلة حامل لواء العبقرية يصوّر لنا الجود والمحلق جالسين يصطليان و يغلظان الايمان ان لا يفترقا مدى الدوران اذاً لكان لنا من ذلك صورة تتضاءل في جنبها صورة المطحنة التي صوّرها احد مشاهير المصورين و بيعت بمئة الف جنيه

وقد ادرك الاعشى الاسلام وسمع بالنبي فوفد اليهِ وقد مدحهُ بقصيدة مطلعها :

الم تغتمض عيناك ليلة ارمدا   وعادك ما عاد السليم المسهدا

ومنها يخاطب ناقتهُ :

فآليت لا ارثي لها من كلالة   ولا من حفًا حتى تزور محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم   تراحي[1] وتلقي من فواضله يدا

فبلغ خبرهُ قريشاً فرصدوهُ على طريقهِ وقالوا هذا صناجة[2] العرب ما مدح احداً قط الأَ رفع قدرهُ فلما ورد عليهم جمعوا لهُ مائة من الابل فاخذها وانطلق الى بلدهِ حتى اذا كان ببعض الطريق رمى بهِ بعيرهُ فقتلهُ . فلما بلغ النبي خبرهُ قال « كاد ان[3] ينجو ولمّا » اي لم ينجُ

ونقل عن رواية بشار قولهُ « نحن حاكة الشعر في الجاهلية والاسلام ونحن اعلم الناس بهِ — اعشى بني قيس بن ثعلبة استاذ الشعراء في الجاهلية وجرير بن الخطفي استاذهم في الاسلام

(١) وفي رواية تفوزي »   (٢) وفي الاغاني انهم كانوا يلقبون ابن محرز المغني صناج العرب

(٣) في كتب النحو انهُ يغلب على كاد ان يقترن خبرها بان ولكنهُ لم يقترن بها في هذا الحديث . وجاء في حديث آخر « ان الحليم كاد ان يكون نبيًا » . ولم اعثر على كاد في العقد الفريد الا وخبرها مقرون بان كأنَّ وشك وكذلك في الاغاني فقد جاء في موضع منهُ « فكاد ان يخرج من جلدهِ طربًا » . وجاء في موضع آخر « ان عمر بن ابي ربيعة راى لبابة تطوف بالبيت فكاد عقلهُ ان يذهب » . وجاء في وصف ضرب الثريا لابن ابي ربيعة « وكان النساء اذ ذاك يختمن في اصابعهنَّ العشر فخرجت اليهِ فضربتهُ بظاهر كفها فاصابت الخواتيم ثنيتيهِ العليين فكادت ان تقلعهما » الخ . ولكنها وردت في القرآن ولم يقترن خبرها بان كقولهِ (يكاد البرق يخطف ابصارهم) وهذا ما حمل النحاة على ترجيح عدم الاقتران على الاقتران اذ القرآن هو اساس قواعد اللغة

عودة الى التوراة

« عن ليث عن طاوس عن ابن عباس انها لكلمة نبيّ يعني قول الشاعر :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزوّدِ [١]

« وسمع كعب قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوائزهُ [٢] لا يذهب العرف بين الله والناسِ

« قال انهُ في التوراة حرف بحرف يقول الله تعالى من يفعل الخير يجدهُ عندي لا يذهب الخير بيني وبين عبدي »

والمراد بكعب هنا كعب الاحبار اليهودي وقد كان معاصراً لعمر بن الخطاب هو والحطيئة ولهُ حديث معهُ لا باس بذكرهِ . قال جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء: « قال ابو صالح السمان قال كعب الاحبار لعُمَر (بعد طعن ابي لؤلؤة اياهُ) اجدك في التوراة تقتل شهيداً . قال وانّى لي بالشهادة وانا بجزيرة العرب » . وقال ابن الاثير يصف مقتل عمر « فلما كان الغد جاءهُ كعب الاحبار فقال لهُ يا امير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليالٍ . قال وما يدريك . قال اجدهُ في التوراة . قال أتجد عمر بن الخطاب في التوراة . قال اللهم لا ولكني اجد حليتك وصفتك وانك قد فني اجلك . فلما كان الغد جاءهُ كعب فقال بقي يومان . فلما كان الغد جاءهُ كعب فقال مضى يومان وبقي يوم . . . » الى ان يقول : « فجعل (عبد الله بن عمر) يدخل عليهِ المهاجرين والانصار فيسلمون عليهِ . ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما رآهُ عمر قال :

توعدني كعبٌ ثلاثاً اعدُّها ولا شك ان القول ما قال لي كعبُ

وما بي حذار الموت اني لميّتٌ ولكن حذار الذنب يتبعهُ الذنبُ »

ولم يقل لنا كعب الاحبار في اي مكان من التوراة وجد الاشارة الى عمر كما انهُ لم يقل لنا في اي مكان منها وجد الآية المذكورة آنفاً حرفاً بحرف . اما نحن فلم نجدها والاَّ فالتوراة التي ارادها كعب هي غير التي بين ايدينا

***

وعلى ذكر التوراة وكثرة استشهاد كتَّاب العرب بها رأيت ان اذكر هنا بعض الآيات

(١) هذا البيت لطرفة بن العبد من ختام معلقته المشهورة التي مطلعها :

لخولة اطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٢) وفي رواية جوازيهُ وهي افصح والاولى جمع جائزة والثانية جمع جازية والمعنى واحد

التي قالوا انها في التوراة لعلّ في ذلك فائدة او تفكهة اذا عدمت الفائدة :

المثل السائر

جاء في « المثل السائر » لابن الاثير الكاتب قولهُ « وفي التوراة ان اسحق عليهِ السلام هو الذبيح » . وهذا صحيح يدلُّ على ان التوراة التي ذكرها مثل التوراة التي بين ايدينا من هذا القبيل وقد عاش في النصف الاول من القرن الثالث عشر للمسيح

واقتبس مرة من الانجيل حيث قال : وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليهِ السلام انهُ قال اذا اردت ان تصلي فادخل بيتك وأغلق بابك » وهي في الانجيل الذي بين ايدينا

البيان والتبيين

وجاء في البيان والتبيين للجاحظ : قال عباد بن عوام عن شعبة عن قتادة قال مكتوب في التوراة لا يعاد الحديث مرتين » وهي ليست في التوراة التي بين ايدينا

« وقال عيسى بن مريم « البر ثلاثة المنطق والمنظر والصمت . فمن كان منطقهُ في غير ذكر فقد لغا . ومن كان منظرهُ في غير اعتبار فقد سها . ومن كان صمتهُ في غير فكر فقد لها » . وهي ليست في الانجيل

« وقيل للمسيح من نجالس قال « من يزيد في علمكم منطقهُ وتذكركم الله رؤيتهُ ويرغبكم في الآخرة عملهُ . ومرَّ المسيح بقوم يبكون فقال « ما لهؤلاء يبكون » قالوا « يخافون ذنوبهم » قال « اتركوها يغفر لكم » . وليس في الانجيل شيءٌ من ذلك وكل ما هناك قولهُ « ومن يغفر يغفر لهُ »

« ومرَّ المسيح بخلق من بني اسرائيل فشتموهُ فكلما قالوا شرًّا قال المسيح خيراً فقال لهُ سمعون الصفي[1] « أكلما قالوا شرًّا قلت خيراً » قال « كل امرىءٍ يعطي ما عندهُ » وليست هذه الآية في الانجيل

« قال عيسى بن مريم : ألاّ ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم » ولم يرد ذلك في الانجيل

« ورأوهُ يخرج من بيت مومسة فقيل « يا روح الله ما تصنع عند هذه » قال « انما يأتي الطبيب المرضى » . وفي الانجيل « لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى » وليس فيهِ هنا ذكر لمومسة

(١) سمعان الصفا كما في الانجيل المعروف وهو بطرس الرسول

« وقال حين مرّ ببعض الخلق فشتموهُ ثم مرّ بآخرين فشتموهُ فكلما قالوا شرًّا قال خيراً فقال لهُ رجل من الحواريين « كلما زادوك شرًّا زدتهم خيراً حتى كانك انما تغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك » . قال « كل انسان يعطي مما عندهُ » . وقال ويلكم يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم اصولكم » الى آخر ما هناك مما لا ذكر لهُ في الانجيل. ولكن يستدلُّ من تكرير كلمة ويلكم ان في ذلك اشارة الى اصحاح من الانجيل اكثر المسيح فيهِ توبيخ الفريسيين وتكرير كلمتي « ويل لكم » . فقد جاء في « البيان والتبيين » قولهُ « ويلكم غرماء السوء تبدأُون قبل قضاء الدَّين بالنوافل » . وفي الانجيل « ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤُون لانكم تعشّرون النعنع والشبث والكمون وتركتم اثقل الناموس الحق والرحمة والايمان »

« وقال بعضهم : نجد في زبور داود من بلغ السبعين اشتكى من غير علَّة » . ولا يشبه ذلك الاَّ ماورد في المزمور التسعين من مزامير داود من صلاة لموسى وهو قولهُ « ايام سنينا هي سبعون سنة واخرها تعب وبلية » . وفيهِ آيات اخرى لم ارَ داعية الى ذكرها لانها تطابق ما في التوراة والانجيل المعروفين . والجاحظ عاش في القرن التاسع للمسيح

العقد الفريد

جاء فيهِ : حدث عبيد بن عمير الليثي « ان داود النبي كانت لهُ معزفة يضرب بها اذا قرأ الزبور لتجتمع عليهِ الجن والانس والطير فيبكي ويبكي من حولهُ . واهل الكتاب يجدون هذا في كتبهم » . وليس في كتب اهل الكتاب شيءٌ من ذلك سوى ان داود كان لهُ عود يضرب بهِ للملك شاول فيفارقهُ « الروح الرديُّ »

« وفي حكمة سليمان بن داود « المرأة العاقلة تبني بيتها والسفيهة تهدمهُ » . وفي امثال سليمان التي بين ايدينا « حكمة المرأة تبني بيتها والحماقة تهدمهُ بيدها » . واللفظ والمعنى متطابقان

وفي حكمة داود « المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الاَّ من رضي الله عنهُ » وفي امثال سليمان (لا داود) قولهُ « فوجدت امرّ من الموت المرأة التي هي شباك وقلبها اشراك ويداها قيود . الصالح قدام الله ينجو منها »

« عبد الرحمن بن عبد المنعم عن ابيهِ عن وهب بن منبه انهُ قرأ في التوراة « ان الله عزّ وجلّ حين خلق آدم ركب جسدهُ من اربعة اشياء — رطب ويابس وسخن وبارد . . . . » الخ وليس هذا في التوراة

« قال المسيح في الماء هذا ابي وفي الخبز هذا امي » . وانما قال مثل هذا القول عن تلاميذهِ

« وفي بعض الكتب المترجمة ان يوحنا وشمعون (سمعان بطرس) كانا من الحواريين وكان يوحنا لا يجلس مجلساً الاَّ ضحك واضحك من حولهُ وكان شمعون لا يجلس مجلساً الاَّ بكى وابكى من حولهُ فقال شمعون ليوحنا ما اكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك . فقال لهُ يوحنا ما اكثر بكاءك كأنك يئست من ربك فاوحى الله الى المسيح « ان احب السيرتين اليَّ سيرة يوحنا » . وكل ما في الانجيل ان المسيح كان يحب يوحنا اكثر من سائر تلاميذهِ حتى لقب بالحبيب

والعقد الفريد كتب في القرن العاشر للمسيح

تاريخ الكامل

جاء فيهِ « اهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة » وقال في مكان آخر « وما في التوراة من ان عمرهُ كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمرهُ في التوراة سوى ما وهبهُ لداود » . وقد روى ابو هريرة ان آدم وهب داود من عمرهِ ستين سنة » . وفي التوراة ان آدم عاش ٩٣٠ سنة كما نقل صاحب الكامل

وجاء في مكان آخر : واما التوراة ففيها ان مهلائيل (مهللئيل) ولد بعد ان مضى من عمر آدم ٣٩٥ سنة ... » الخ ولم يذكر ذلك في التوراة بصريح اللفظ وقد استخرجهُ المؤرخ بالحساب

« وقال غيرهُ من اهل التوراة ان اول من اتخذ الملاهي من ولد قابيل (قايين) رجل يقال لهُ ثوبال » (توبال واخوهُ يوبال) وهو في التوراة

« وفي التوراة ان الله رفع ادريس (اخنوخ) بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمرهِ » وهو في التوراة

وقال في وصف الطوفان « فلم يبق الاَّ نوح ومن معهُ والاعوج بن عنق فيما زعم اهل التوراة » . وفي التوراة « وتبقَّى نوح والذين معهُ في الفلك فقط » ولم يكن معهُ سوى اهل بيتهِ و بعض الحيوانات وليس ثمة ذكر للاعوج بن عنق

وقال عن ولادة المسيح : « وقالت النصارى ان ولادتهُ كانت لمضي ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على ارض بابل . وزعموا ان مولد يحيى (يوحنا المعمدان) كان قبل مولد المسيح بستة اشهر . وان مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين . وان عيسى عاش الى ان رفع اثنتين وثلاثين سنة واياماً .

وان مريم عاشت بعدهُ ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة · وان يحيي قتل قبل ان يرفع المسيح · واتت المسيح النبوَّة وعمرهُ ثلاثون سنة » · ولم يقل ابن الاثير ان ذلك مذكور في التوراة بل ان النصارى تقولهُ · وهو صحيح في مجملهِ لا في دقائقهِ فان الاسكندر غزا بابل سنة ٣٣١ قبل المسيح لا ٣٦٣ كما قال · اما يوحنا فولد قبل المسيح بستة اشهر · واما مريم فليس في الانجيل ذكر لسنها البتة · واما المسيح فعاش ½ ٣٣ سنة لا ٣٢ واياماً · واتتهُ النبوة وهو ابن ٣٠ كما قال المؤرخ · ويحيي قتل في حياة المسيح كما قال ايضاً · وابن الاثير عاش في القرن الثالث عشر للميلاد

مروج الذهب

قال المسعودي : « اما ما وجدت في التوراة فهو ان الله تعالى ابتدأ الخلق في يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت · وزعم اهل الانجيل ان المسيح قام من قبرهِ يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيداً » · وكلُّ ما في التوراة ان الله خلق النور في اليوم الاول اي الاحد لا الاثنين كما قال وفرغ يوم السبت · اما ما ذكر عن الانجيل فصحيح · والمسعودي عاش في القرن العاشر للميلاد

غرر الخصائص الواضحة

قال الوطواط في غررهِ · « ويقال ان في التوراة يقول الله تعالى لموسى ليكن وجهك بسَّاماً وكلامك ليناً تكن احبَّ الى الناس والي ممن يعطيهم الذهب والفضة » وليس في التوراة هذا القول · والوطواط عاش في القرن الثالث عشر والرابع عشر للمسيح

المستطرف

جاء في المستطرف للابشيهي « قال عيسى من علم وعمل عدَّ في الملكوت الاعظم عظيماً » · وفي الانجيل الذي بين ايدينا قولهُ : واما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات » · والابشيهي عاش في القرن الرابع عشر للمسيح

الكشكول

جاء فيهِ : ان داود النبي قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد الاَّ استجيب لهُ الاَّ ان يكون عشاراً او عريفاً او شرطيًّا او صاحب عرطبة او صاحب كوبة (١) » وليس في كلام داود شيءٌ من ذلك في مزاميرهِ · والعاملي صاحب الكشكول عاش في القرن السادس عشر واوائل السابع عشر

(١) وردت اشارة الى هذا في مقالة سابقة

يؤْخذ مما تقدم ان بعض الكتَّاب كانوا يقدمون في الاقتباس من التوراة والانجيل بالسماع والقال كالوطواط . والبعض كانوا يقتبسون من كتب سمّوها التوراة والانجيل ولكن مقابلة ما اقتبسوهُ بما في التوراة والانجيل المعروفين تدلُّ على ان الكتابين اللذين اقتبسوا عنهما ليسا الكتابين اللذين عندنا . على ان ما اقتبسهُ ابن الاثير في تاريخهِ يطابق ما في التوراة والانجيل الاَّ في مكان واحد مما يدلُّ على ان مؤَرخًا مدققًا مثلهُ كان يعتمد على ما يرى رأي العين لا على ما يسمع بالاذن . فحيثما شذَّ عن هذه القاعدة وقع في الخطإِ كما في مسئلة الاعوج بن عنق . فقد ورد في التوراة ذكر عوج ملك باشان مراراً كثيرة وذكر بني عناق مراراً كثيرة وذلك في عهد يشوع والقضاة وهو بعد عهد نوح بمئات من السنين

(نقيب)

الفواكه والاثمار

وما فيها من الغذاء

ورد التين البرشومي من الفيوم على اسواق القاهرة منذ اكثر من اربعة اشهر ولا يزال يرد عليها . والناضج منهُ في مواطنهِ لا الذَّ منهُ بين انواع التين كلها على ما يظهر لنا . ويقال مثل ذلك عن اكثر انواع الفاكهة المصرية كالعنب والبرتقال والموز والشمام والمنجو

ولقد كانت اشجار الفاكهة كثيرة في القطر المصري في غابر الزمن حتى في زمن الفراعنة الاولين كما يظهر من نقوشهم وآثارهم وبقيت على كثرتها في عهد البطالسة والرومان ولعلها بقيت كذلك في اوائل عهد العرب ثم انحطت رويداً رويداً حتى لم يبقَ لها شأن يذكر ولم يعد الناس الى الاكثار من زرع الجنائن والبساتين الاَّ منذ نحو عشرين سنة

وليس بحثنا الآن في تاريخ الفواكه والاثمار ولا في كيفية زرعها بل فيما تحويهِ من المواد المغذية ونسبة بعضها الى بعض من هذا القبيل لان الغرض الاول من الطعام الغذاء ولاسيما في هذا الوقت الذي يجب فيهِ الاقتصاد في النفقات كلها والاقتصار على المفيد منها

وتشترك الاثمار والفواكه في انها كثيرة الماء والسكر قليلة المواد الدهنية واللحمية فاكثر فائدتها الغذائية قائمة بما فيها من المواد السكرية التي تحرق في البدن لتوليد القوة فتقاس نسبتها بعضها الى بعض بما في المئة درهم منها من الماء والبروتين والدهن وسائر المواد الكربوهيدراتية و بما في الرطل منها من وحدات الحرارة . ويختلف ذلك كلهُ اذا نظرنا الى

الفاكهة كما تشترى من السوق او اذا نظرنا الى ما يؤكل بعد ان ينزع قشرها ونواها فان نسبة المواد الغذائية الى وزن ما يؤكل تكون اكثر من نسبتها الى وزن مايشترى كما ترى في هذا الجدول

		ماء	بروتين	دهن	كربوهيدرات	وحدات الحرارة
التفاح	فيما يشترى	٦٣ في المئة	٠و٣ في المئة	٠و٣ في المئة	١١ في المئة	٢١٤ في الرطل
	« يؤكل	٨٥ « «	٠و٤ « «	٠و٥ « «	١٤ « «	٢٨٥ «
المشمش	« يشترى	٨٠ « «	١و٠ « «		١٢ « «	٣٤٧ «
	« يؤكل	٨٥ « «	١و٠ « «	—	١٣ « «	٣٦٣ «
الموز	« يشترى	٤٩ « «	٠و٨ « «	٠و٤ « «	١٤ « «	٢٩٠ «
	« يؤكل	٧٥ « «	١و٣ « «	٠و٦ « «	٢٢ « «	٤٤٧ «
التين		٧٩ « «	١و٥ « «	—	١٩ « «	٣٦٨ «
العنب	فيما يشترى	٥٨ « «	١و٠ « «	١و٢ « «	١٤ « «	٣٢٨ «
	« يؤكل	٧٧ « «	١و٣ « «	١و٦ « «	١٩ « «	٤٣٧ «
البرتقال	« يشترى	٦٣ « «	٠و٦ « «	٠و١ « «	٨و٥ « «	١٦٩ «
	« يؤكل	٨٧ « «	٠و٨ « «	٢ « «	١١و٦ « «	٣٣٣ «
الرمان ما يؤكل منهُ		٧٧ « «	١و٥ « «	١و٦ « «	١٩و٥ « «	٥٧
البطيخ	فيما يشترى	٣٧ « «	٠و٢ « «	٠و١ « «	٢و٧ « «	٤٤٧ «
	« يؤكل	٩٣ « «	٠و٤ « «	٠و٢ « «	٦و٧ « «	١٣٦ «
الشليخ	« يشترى	٨٦ « «	٠و٩ « «	٠و٦ « «	٧و٠ « «	١٦٨ «
	« يؤكل	٩٠ « «	١و٠ « «	٠و٦ « «	٧و٤ « «	١٧٧ «

ثم ان بعض هذه الفواكه والاثمار يقدَّد ويؤْكل مقدداً كالتين والعنب والمشمش وهاك جدول ما فيهِ من الغذاء حينئذٍ

	ماء	بروتين	دهن	كربوهيدرات	وحدات الحرارة
المشمش المنقوع	٢٩٫٤ في المئة	٤٫٧ في المئة	١٫٠ في المئة	٦٢٫٥ في المئه	١٣٦٠ في الرطل
التمر ما يؤْكل	١٥٫٤ "	٢٫١ "	٢٫٨ "	٧٨٫٤ "	١٥٧٥ "
التين اليابس	١٨٫٨ "	٤٫٣ "	٠٫٣ "	٧٤٫ "	١٤٣٧ "
الزبيب ما يشترى	١٣ "	٢٫٣ "	٣٫٠ "	٦٨٫٥ "	١٤٠٧ "
" ما يؤْكل	١٤٫٦ "	٢٫٦ "	٣٫٣ "	٧٦٫١ "	١٥٦٢ "

وكثير من هذه الاثمار يصنع مربيات ويحفظ في علب الى حين الاستعمال وهاك جدول ما يكون فيها من الغذاء حينئذٍ

	ماء	بروتين	دهن	كربوهيدرات	وحدات الحرارة
مربى التفاح	٤٢٫٤	٠٫٣	٢٫٤	٥٤٫٤	١٠٩٠
نقوع المشمش	٨١٫٤	٠٫٩	—	١٧٫٣	٣٣٠
التين اليابس	٥٦٫٥	١٫٢	٠٫٣	٤١٫٠	٧٧٦
مربى العنب	٥٦٫٧	١٫٢	٠٫١	٥٨٫٥	١٠٨٧
" قشر البرتقال	١٤٫٥	٠٫٦	٠٫١	٨٤٫٥	١٥٤٨
الخوخ الناشف	٨٨٫١	٠٫٧	٠٫١	١٠٫٨	٢١٣
الكمثرى "	٨١٫١	٠٫٣	٠٫٣	١٨٫٠	٣٤٤
الاناناس	٦١٫٨	٠٫٤	٠٫٣	٣٦٫٤	٦٩٦

يرى من هذه الجداول ان بعض الاثمار مغذٍ اكثر من البعض الآخر سواء اكانت طرية او جافة او عُمل منها مربى وقد ذكرناها في الجدول التالي حسب ما في الرطل مما يؤكل منها من وحدات الحرارة لان عليها اكثر الاعتماد

الموز	٤٤٧	المشمش	٢٦٣
الرمان	٤٤٧	البرتقال	٢٣٣
العنب	٤٣٧	الاناناس	١٩٦
البرقوق	٣٨٣	الخوخ	١٨٨
التين	٣٦٨	الشمام	١٨٠
الكمثرى	٢٨٨	الشاليخ	١٧٧
التفاح	٢٨٥	البطيخ	١٣٦

هذا فيما يؤكل منها ناضجاً طريًّا اما ما يؤكل منها جافًّا او مقدداً فيرتب على هذه الصورة

التمر	١٥٧٥	التين اليابس	١٤٣٧
الزبيب	١٥٦٢	نقوع المشمش	١٢٦٠

وما يصنع منها مربًّى فيرتب على ما في الجدول التالي :

مربي قشر البرتقال	١٥٤٨	مربي المشمش	٠٩٧٣
« الكرز	١٤٢١	« التين	٧٧٦
« العنب	١٠٨٧	« الاناناس	٦٩٦
« التفاح	١٠٩٠	« الشاليخ	٤١٧

ويحدث في الاثمار تغير كيماوي مدة نضجها وقد يستمر هذا التغير فيها بعد ما تقطف . والغالب ان هذا التغير يشمل تقليل الحامض والنشاء منها وزيادة السكَّر كما هو ظاهر من اشتداد الحلاوة في الموز والتفاح والمشمش والعنب وسائر الفواكه عند نضجها واستمرارهُ في الكمثرى والموز بعد قطفهما . وقد يزيد التأكسد فيتولد فيها مواد ايثيرية كما يحدث في الرمان والشمام اذا زاد نضجهما

والفواكه سريعة الانهضام هي والاثمار من نحو الجوز واللوز اي ان معدة الانسان تهضمها بسهولة مما يدلُّ على ان الناس كانوا في اول عهدهم من اكلة الاثمار والفواكه

وفي الفواكه والاثمار عدا ما تقدم من المواد المغذية المولدة للقوة والحرارة مواد اخرى قليلة المقدار ولكنها لازمة جدًّا لتركيب الجسم كالحديد والكلس والفصفور والكبريت والمغنيسيوم والصوديوم والبوتاسيوم

واذا حرقت الفواكه والاثمار بقي منها الرماد الذي يحوي هذه المواد واهمها الحديد وهو موجود في الخضر والفواكه والاثمار كما هو موجود في اللحم . وقد قوبل بين ثمن اللحم والسمك وثمن الخضر والاثمار وما في كلٍّ من الفريقين من الحديد فوجد ان ثمن اللحم والسمك كان ٣٥ في المئة من ثمن الطعام كلهِ وفيهما ٣٥ في المئة من كل الحديد الذي في ذلك الطعام . وثمن الخضر والاثمار كان ١٨ في المئة فقط من ثمن الطعام وكان فيها ٢٧ في المئة من الحديد . اي ان الحديد في ما ثمنهُ غرش من اللحم اقل منهُ فيما ثمنهُ غرش من الخضر والفواكه والاثمار . وزد على ذلك ان الحديد في الخضر والفواكه والاثمار اسهل امتصاصاً في الجسم من الحديد الذي في اللحم

ثم ان الاكثار من اكل اللحوم يزيد فساد المعدة لانها غذاء صالح لمكروبات الفساد . والفواكه والاثمار تمنع ذلك لانها غير صالحة لنمو هذه المكروبات حتى لقد ثبت ان الذين يصابون بفقر الدم (الانيميا) يكون سبب فقر الدم فيهم فساد المعدة الحادث من كثرة اكل اللحوم فيصلح بالاقلال من اكلها والاكثار من اكل الفواكه والاثمار فتزول الانيميا

وفي الفواكه والاثمار كثير من المواد القلوية التي تعدِّل حموضة الدم نعم ان في الكثير منها مادة حامضة ولكن الحامض يزول منها بالاتحاد بغيرهِ وتبقى الزيادة من المواد القلوية . وقد حُسبت هذه الزيادة فكانت في كل مئة غرام مما يؤْكل من الفواكه والاثمار على ما ترى في هذا الجدول

في التفاح	٣,٧	في الشمام	٧,٥
« المشمش	٦,٨	« البرتقال	٥,٦
« الموز	٥,٦	« الاناناس	٦,٨
« التمر	١١,٠	« الزبيب	٢٣,٧
« العنب	٢,٧	« البطيخ	٢,٧

وعليهِ فأكل الفواكه والاثمار يقلل حموضة البول وهذا هو الواقع وقلة حموضة البول تدل على قلة الحموضة في البدن كلهِ . واكثر مواد الطعام قلوية الزيتون و يتلوهُ الاسبانخ والزبيب (اي العنب المجفف)

وقد ثبت ان اكل اللحم والسمك والبيض يزيد الحوامض في الجسم فمن الضروري الاكثار من اكل الفواكه والاثمار معها لتعديل هذه الحوامض ومنع ضررها

قمر المشتري التاسع

يراد بالقمر في اصطلاح الفلكيين كلُّ جرم فلكي تابع لجرم اكبر منهُ . فقمر الارض هو الجرم المشهور وهل اشهر من القمر . وهو تابع لها بمعنى انهُ يدور حولها و يتمُّ دورتهُ في في شهر قمري و يستمد نورهُ من الشمس فيعكسهُ الينا و ينير بعض ليالينا

وللسيارات غير الارض اقمار اشهرها اقمار المشتري فانها اول ما كشف من اقمار السيارات وقد اكتشف حتى الآن تسعة منها ثمانية بات امرها معروفاً والتاسع لم يعرف عنهُ الاَّ القليل حتى الآن ومدار الكلام عليهِ في هذه العجالة

اكتُشف هذا القمر سنة ١٩١٤ اكتشفهُ الدكتور نكلسن الاميركي في مرصد لِك ولكنهُ لم يرهُ ولا رئي حتى الآن باكبر المنظارات بل صوّر باقوى آلات التصوير الفلكي ثم خفي موضعهُ . وعاد مكتشفهُ فاكتشفهُ ثانية في اواخر سنة ١٩١٥ بعد ان قدر لهُ فلكهُ بانياً تقديرهُ هذا على ارصاد السنة السابقة . وجعل يدقق في رسم فلكهِ حتى تمكن فلكي آخر هو الدكتور شابلي من اكتشافهِ في مرصد جبل ولسن وذلك انهُ رآهُ على صور فوتوغرافية صورها وكان يبعد دقيقتين فقط عن المكان الذي قدّر وجودهُ فيهِ . وهذا الخطأ دلَّ على ان شكل فلكهِ لم يعرف بالدقة التامة

و يؤْخذ من المعلومات التي اكتشفت ان هذا القمر والقمر الثامن من اقمار المشتري متشابهان من وجوه كثيرة تشابه القمر السابع والسادس منها ولكن الفرق بين الاولين والآخرين كبير . فان السادس والسابع يدوران حول المشتري ومعهُ الاول في ٢٥٠ يوماً والثاني في ٢٦٠ يوماً ومتوسط بعد الاول عن المشتري ٧١١٤٠٠٠ ميل والثاني ٧٢٩٢٠٠٠ ميل وفلكاهما مائلان على فلك المشتري ولكن في جهتين مختلفتين حتى يتكون من ميلها زاوية مقدارها ٣٠ درجة

اما الثامن والتاسع فيتحركان حركة تقهقرية اي انهما يدوران حول المشتري في جهة مضادة لحركتهِ هو على محورهِ ولحركة سائر اقمارهِ الاول في ٧٣٩ يوماً والثاني في ٧٤٥ يوماً وبذلك يتمان دورتيهما حولهُ في سنتين كاملتين. ومتوسط بعدهما عنهُ يكاد يكون واحداً. فبُعد الثامن ١٤٦٠٠٠٠٠ ميل والتاسع ١٥٠٠٠٠٠٠ ميل. ومَيل فلك الثامن على فلك المشتري نحو ٣٢ درجة وفلك التاسع نحو ٢٤ درجة

على ان اغرب شيء فيهما غير حركتهما التقهقرية عظم التغيير الذي يطرأُ على خط فلكيهما بجذب الشمس حتى في كل دورة يدورانها حول المشتري. فقد حسب كروملين ان اقصر ابعاد القمر الثامن عن المشتري في اربع مرات متتابعة هي ٩٣٠٠٠٠٠ و ٨٤٠٠٠٠٠ و ٨٤٠٠٠٠٠ و ١٠٣٠٠٠٠٠ ميل. واطولها ٢٠٠٠٠٠٠٠ و ٢١١٠٠٠٠٠ و ٢٠٢٠٠٠٠٠ و ١٩١٠٠٠٠٠ ميل. فلولا جاذبية الشمس لدار القمر حول المشتري في فلك واحد على الدوام. وحسب نكلسن ان اطول بعد القمر التاسع عن المشتري سنة ١٩١٥ كان ١٧٦٠٠٠٠٠ ميل واقصرهُ ١٤٠٠٠٠٠٠ ثم حسب البعد الاطول في اوائل هذه السنة فاذا هو ٢٠ مليون ميل

وقد اعادت حركة هذين القمرين التقهقرية وعظم التغيير الطارئ على فلكيهما مسئلة طال الجدال فيها. وهي هل كانا تابعين للمشتري على الدوام ام كانا من النجيمات الدائرة حول الشمس حتى اذا قربا عن المشتري قنصهما بجاذبيتهِ الشديدة فهجرا الشمس وواصلاهُ

اما القمران السادس والسابع فيقول الفلكيون عنهما انهما ما داما عرضة لجاذبية المشتري والشمس دون غيرهما فسيبقيان يدوران حول المشتري الى ما شاء الله كما فعلا حتى الآن منذ زمن لا يعرف اولهُ. واما القمران الثامن والتاسع فلا يعرف امرهما بالتحقيق وهل كانا قمرين للمشتري منذ البدء كما كان السادس والسابع. والرأْي الغالب انهُ لا يبعد ان يكون المشتري قد قنص القمر الثامن من فلك النجيمات وان تعود جاذبية الشمس في المستقبل فتقوى على جاذبيتهِ فتقنصهُ منهُ فيدور حولها سيّاراً مستقلاً كالسيارات المعروفة. والمرجح ان هذا هو ايضاً شأن القمر التاسع الذي لم يفرغ الفلكيون من حساب كل ما يختص بهِ كما فعلوا بالقمر الثامن

رياضة التنفس

ان كثيرين من الناس يمنعهم ضيق وقتهم او عاهة في ابدانهم او اسباب اخرى من الرياضة العنيفة لتقوية عضلاتهم كالجنستيك (الجمباز) والصيد وركوب الخيل والركض وغيرها من انواع الرياضة التي تقتضي حركة عنيفة . فيلجأون الى التنزه مشياً في الارباض او راكبين المركبات . على ان افضل صنوف الرياضة لامثال هؤلاء هو ما يسمّى رياضة التنفُّس

التنفس هو استنشاق الهواء الى الرئتين لتطهير الدم من الفضول بما في الهواء من الاكسجين وهو يقوم بهبوط الحجاب الحاجز وانفتاح الاضلاع فيدخل الهواء الرئتين ويسمى هذا بالزفير ويتلوهُ الشهيق وهو اخراج الهواء من الرئتين

والغرض من تمرين التنفُّس او ترويضهُ تقوية الدورة الدموية في الرئتين لتسهيل افراز الفضول منها وحفظ جدران الصدر سهلة الحركة . وهذا الامر الثاني من الاهمية بمكان لانهُ كلما تقدم المرء في السنّ مالت جدران صدرهِ الى التصلُّب . وهذا التصلُّب يضايقهُ مضايقة كثيرة كلما اصابهُ برد وسعال فانهُ يمنعهُ من قذف البلغم المتجمع في مجرى نفسهِ فتطول مدة سعالهِ

ورياضة التنفس عظيمة النفع في جميع امراض الرئتين المزمنة . وكلما كانت رئتا المرء قويتين وجدران صدرهِ مرنة قل تعرضهُ لامراض الصدر كالتهاب الشعب وذات الرئة والسلّ . والمؤكد ان الرئتين الصغيرتين الضعيفتين هما عرضة للتدرُّن الرئوي اي السلّ فاذا اصابهما فلا اصعب عليهما من التخلص منهُ . اما الرئتان الواسعتان القويتان فاذا ظهر فيهما درن فمن السهل شفاؤُهما منهُ باقل عناية تبذل

ومن الامراض التي يظهر فيها فضل رياضة التنفس عاجلاً الازما او الربو . وامراض القلب فان ترويض التنفس فيها يساعد الدورة الدموية على عملها فيخفف بذلك عمل القلب وما يبذل من الجهد في دفع الدم الى اطراف الجسم . وامراض الجهاز العصبي فان زيادة جري الدم في الدماغ تزيد الاكسجين فيهِ وتساعد على طرد الفضلات . وامراض الهضم فان الرياضة العنيفة قليلاً او كثيراً كالمشي والركض وركوب البيسكل وغيرها تفضي الى زيادة الدم في الجسم ما عدا الاحشاء فلذلك حظروا هذه الرياضة عقب الاكل تماماً . اما رياضة

التنفس فتزيد الدم في الاحشاء وتساعد على افراز العصارات الهضمية وتنبه الكبد والمعدة والامعاء الى العمل . فلذلك يشيرون بها في قبض الامعاء

ومن المعروف ان من الامور التي تعرّض المرء للسّمن قلة الاكسجين في انسجة الجسم وهذا يتلافى برياضة التنفس فانها تزيد الاكسجين في الدم وتساعد على امتصاص الدهن وبالتالي على تخفيف السّمَن

ومعروف ايضاً ان كثيراً من حوادث التمتمة ناشيء عن سوء التنفس لآفة في الحجاب الحاجز على الغالب . وكثيراً ما شفيت بتمرين التنفس تمريناً مطرداً

وقد جرت العادة ان يعالج الفواق بقطع النَّفَس وخير منهُ ترديد النفس مراراً متتابعة بسرعة ثم قطعهُ جهد المستطاع وهكذا على التوالي

طرقها

(١) ازفر زفيراً طويلاً واتبعهُ بشهيق عاديّ

(٢) أخرِج النفس من صدرك الى آخر حدّ تستطيعهُ وانت تنحني بعض الانحناء الى الامام ثم تنفس تنفساً عاديًّا وانت تستعيد وقفتك العادية

(٣) تنفَّس تنفُّساً طويلاً واتبعهُ بشهقة طويلة وانت تنحني الى امام

(٤) قف منفرج الرجلين وتنفَّس تنفُّساً عميقاً تتبعهُ شهقة عادية

(٥) قف منفرج الرجلين وتنفَّس تنفُّساً عميقاً تتلوهُ شهقة عميقة

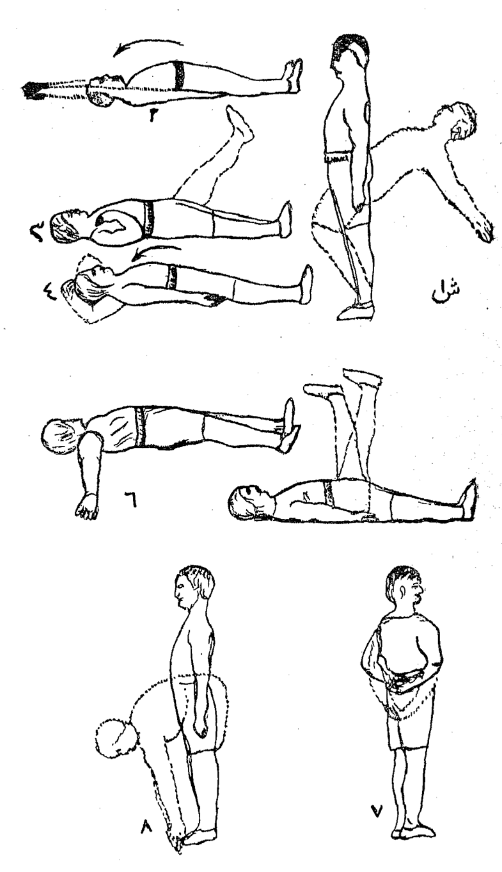
(٦) اجلس على الارض وضع يديك في حضنك وانحنِ الى امام ما استطعت ثم تنفَّس تنفُّساً عميقاً وفمك مطبق واستعد جلستك الطبيعية شيئاً فشيئاً . وارفع ذراعيك فوق رأسك ثم اخرج النفس كالمعتاد وفمك مفتوح وارخ ذراعيك بغتة . والغالب ان تكون مدة الزفير العميق ست ثوانٍ والشهيق المعتاد ثانية واحدة

رياضة التنفس وغيرها

(١) قف وارسم بذراعيك دوائر عمودية رافعاً اياهما الى فوق جهد المستطاع وتنفس وهما الى فوق واخرج النفس وهما الى تحت

(٢) قف ويداك الى جنبك ثم ارفعهما شيئاً فشيئاً حتى تصيرا عموديتين على مساواة راسك

(٣) احنِ يديك عند المرفقين وهما الى جنبك ثم ارفعهما الى فوق حتى تصيرا عموديتين وانت تتنفس ثم ارجعهما الى مكانهما الاول وانت تخرج النفس



مقتطف دسمبر ١٩١٧
امام الصفحة ٥٧٧

(٤) مدّ يديك الى امام حتى تصيرا افقيتين ثم ارجعهما الى وراء في سطح افقي قدر ما تستطيع واعدهما بعد ذلك الى مركزها الاول

(٥) ضع يديك على وركيك والابهامان الى وراء وحرك مرفقيك الى وراء قدر المستطاع ثم اعدهما الى مركزها الاول

(٦) مدّ يديك افقيتين الى الامام ثم انزلها الى جنبك وارجعهما الى الوراء وهكذا على التوالي

تمرين عضلات البطن

هذا النوع من التمرين ينفع المصابين بالقبض بوجه خاص :

(١) قف وبين رجليك قدمان او ثلاث وانحن الى امام قدر استطاعتك من غير ان تحرك ركبتيك ثم استعد وقفتك الاولى

(٢) قف الوقفة نفسها وانحن ذات اليمين ثم ذات الشمال

(٣) قف وساقاك ملتصقتان وانحنِ الى خلف وانت تميل ركبتيك الى امام وترفع ذراعيك من فوق راسك وتميلها الى وراء ثم باعد بينهما واستعد وقفتك الاولى كما ترى في الشكل الاول

وصايا في الرياضة العامة

(١) نم مستلقياً على الارض ثم مدّ ذراعيك حتى يتكون شكل صليب منهما ومن جسمك ثم مدها حتى تلتقيا كما ترى في الشكل الثاني وكرر ذلك مراراً

(٢) ارفع احدى ساقيك وهي مستقيمة حتى تصير عمودية على جسمك ثم ارفع الاخرى وهكذا على التوالي (شكل ٣)

(٣) ثبت كتفيك على الارض وادر رأسك الى جانب حتى يلتصق خدك بالارض ثم ادرهُ الى الجانب الآخر

(٤) احنِ رأسك الى امام حتى يمس رأس ذقنك مقدم صدرك

(٥) مدّ ذراعيك على جنبيك وراحتا اليدين الى فوق ثم ارسم بهما دائرة حتى تلتقي اصابعك عند رأسك ثم ارجع الذراعين الى مكانهما الاول (شكل ٤)

(٦) ارفع احدى رجليك عمودية من غير ان تحني ركبتيك ثم اعدها الى الارض وافعل بالرجل الاخرى مثلها (شكل ٥)

(٧) مدّ ذراعيك كما في الشكل السادس ثم أَمل جسمك ذات اليسار وابق كذلك مدة وعد فأَملهُ ذات اليمين وكرر ذلك

(٨) ضع يديك وراء ظهرك وانت واقف حتى تلتقيا وخذ نفساً عميقاً ثم اعدهما الى مركزهما الطبيعي وانت تخرج النَّفس (شكل ٧)

(٩) قف منتصباً ثم انحنِ الى امام وركبتاك مكانهما حتى تمسَّ اصابعك الارض ثم عد منتصباً وافعل ذلك مراراً (شكل ٨)



الاقتصاد في التقاوي

تقاوي القطن

يعتقد كثيرون من المزارعين ان القطن لا ينبت جيداً الاَّ اذا كانت التقاوي كثيرة تبلغ اربع كيلات او خمس كيلات او اكثر لكل فدان . وقد اعتاد البعض زرع كيلتين ونصف كيلة الى ثلاث كيلات في الفدان وزراعتهم تجود مثل زراعة غيرهم . وقد جرَّبنا نحن في الموسم الماضي زرع قطعة من الارض حسب الطريقة العادية وزرع قطعة اخرى مجاورة لها ومماثلة لها تماماً بوضع اربع بزرات في الجورة فقط فجاء القطن في القطعتين متماثلاً في كل شيء . ولو جرينا على هذه الطريقة الاخيرة في فدان كامل لكانت التقاوي اللازمة لهُ اقل من كيلة . فاذا كان متوسط ما يزرع في الفدان اربع كيلات وجرى كل اهالي القطر على زرع كيلتين في الفدان على القليل وفَّروا نصف التقاوي التي تزرع الآن اي نحو ثلاثة ملايين كيلة او ما يساوي ٣٥٠ الف جنيه

تقاوي القمح وزيادة المحصول

وما يصدق على تقاوي القطن يصدق بالاكثر على تقاوي القمح ولاسيما في هذا الوقت اذ بلغ ثمن اردب القمح اكثر من ثلاثة جنيهات فان الطريقة العادية لزرع القمح بالبذر المتفرق يزرع بها في الفدان ست كيلات ولكن اذا زرع القمح تلقيطاً في خطوط مستقيمة

كما تزرع الذرة كفى الفدان ثلاث كيلات على الاكثر . وقد جرب حضرة امين افندي مرشاق الزرع بالتخطيط على هذه الطريقة في العام الماضي وقابل نفقاته بالزرع العادي وكان ثمن اردب القمح حينئذٍ جنيهين فوجد الوفر في زرع الفدان غرشين ونصف غرش فقط هكذا

	ص
مصاريف عمل الخطوط	٢٥
« الزرع بالتلقيط	٠٥
« العزيق	٢٢
ثمن ٣ كيلات تقاوي	٤٥
المجموع	٩٧

	ص
مصاريف الزرع بذراً	٢
ثمن ٦ كيلات ونصف تقاوي	٩٧,٢٠
والمجموع	٩٩,٢٠

فاذا كان ثمن الاردب ٣٠٠ غرش على الاقل كما هو الآن صار الحساب هكذا

	ص
مصاريف عمل الخطوط في زراعة التخطيط	٢٥
« الزرع بالتلقيط	٥
« العزيق	٢٢
ثمن ٣ كيلات	٧٥
والمجموع	٥٢٧

	ص
مصاريف الزراعة العادية بذراً	٠٠٢
ثمن ٦ كيلات	١٥٠
والمجموع	١٥٢

فيكون الوفر بزراعة التخطيط ٢٥ غرشاً في كل فدان والمنتظر ان تبلغ مساحة الاطيان المزروعة قمحاً هذا العام مليوناً ونصف مليون فدان فيكون الوفر ٣٥٠ الف جنيه

ولنفرض ان اجور الانفار زادت الآن فصارت نفقات عمل الخطوط والعزيق تستغرق الوفر من التقاوي فان زيادة المحصول من الزرع بالتخطيط تبلغ اردبين او اكثر في الفدان كما وجد امين افندي مرشاق وذلك بمثابة ثلاثة ملايين اردب في القطر المصري كلهِ او تسعة ملايين من الجنيهات فالفرق كبير جدًّا بين الزرع بذرًا والزرع بالتخطيط والتلقيط في النفقات وفي المحصول. ويحسن بكل مزارع ان يراجع ما جاء في هذا الموضوع في مقتطف يوليو الماضي

خزن البطاطس

لبَّى كثيرون من المزارعين دعوة وزارة الزراعة فاخذوا تقاوي البطاطس منها وزرعوهُ. وسيجنونهُ بعد زمن غير بعيد. والذين شاهدوا الاقبال على مشترى البطاطس من الذين يبيعونهُ ثبت لهم ان الناس صاروا يجدون فيهِ غذاء صالحًا وانهُ اذا كثر في البلاد تروج سوقهُ كثيراً فيحسن ان يعلم الذين زرعوهُ كيف يسهل حفظهُ من وقت الى آخر من غير ان يتلف حتى يتوزع استعمالهُ على مدار السنة او الى ان يجنى الموسم الربيعي من البطاطس

وقد نشرت الحكومة الانكليزية قواعد لحفظ البطاطس في بلادها قالت فيها ان البطاطس يتلف من اربعة اسباب

الاول : من الحرارة التي تحدث من تجمعهِ بعضهِ فوق بعض تجمعاً يمنع تهويتهُ فيهترئ

والثاني : من خزنهِ وهو مبتلٌّ بالمطر او غير بالغ فيهترئ

والثالث : من تأثير البرد الشديد فيهِ فيجلد و يتلف

والرابع : من مرض يكون فيهِ وقت خزنهِ فينتشر فيهِ و يتلفهُ

وقالت في تلافي هذه العلل ان العلة الاولى تتلافى بوضع البطاطس في اماكن يتجدَّد هواؤُها و يكون كومًا صغيرة حتى لا يتعذر مرور الهواء بين رؤُوسهِ

والعلَّة الثانية ان لا يخزن اذا كان مبللاً بماء المطر (ولا خوف من ذلك عندنا ولكن يجب ان لا يخزن في مكان رطب ولا بعد ان يقلع من ارض رطبة حالاً اي يجب ان يخزن بعدما ينشر في الهواء حتى يجف)

والعلَّة الثالثة وهي شدَّة البرد حتى يجلد لا توجد في القطر المصري ولكن عندنا بدلاً منها الحر الشديد الذي قد يتلف البطاطس او يجعل فروخهُ تظهر قبل اوان ظهورها فيجب تلافيهِ ما امكن بخزن البطاطس في اقبية لا يشتد الحر فيها

واما العلّة الرابعة وهي امراض البطاطس فمن العلل الشديدة الضرر لان امراضهُ كثيرة فيجب النظر في كل رأس على حدتهِ قبل خزنهِ وتفرز الرؤُوس التي فيها مرض او اقل اهتراء وتوضع وحدها . ويحسن ان توضع الرؤُوس الكبيرة السليمة وحدها والمتوسطة وحدها والصغيرة وحدها ولا يخزن الاَّ الرؤُوس السليمة التي شكلها منتظم . واما المعتلة والتي فيها جروح او رضوض او مرض او شكلها بعيد عن الانتظام فتعرض للاكل قبل غيرها

ومهما اعتني بانتقاء البطاطس لا يسلم من رؤُوس مريضة لا يُنتبَه لها فتعدي غيرها و ينتشر المرض في البطاطس كلهِ ودفعاً لذلك يذر عليهِ حين خزنهِ جير حيٌّ ناعم او مزيج من الجير الحي الناعم وزهر الكبريت و يجب ان يتصل الجير وزهر الكبريت الى كل رأس منهُ . ولزهر الكبريت فائدة اخرى وهي قتل الحشرات التي تسطو على البطاطس او منعها من الدنو منهُ

و يقلع البطاطس من الارض حينما ينضج تماماً و يعلم ذلك من التصاق قشره بهِ . فحينما تظن ان الوقت حان لقلعهِ اقلع بعض الرؤُوس وانظر هل ينزع قشرها عنها بسهولة او لا فان كان ينزع بسهولة فهي لم تنضج وان كنت تجدهُ لاصقاً بها لا ينزع بسهولة فقد نضجت وحان قلعها ولكن يجب ان تكون الارض جافَّة . و يترك البطاطس مفروشاً على الارض في مكان جاف ثم تنزع منهُ كل الرؤُوس التي فيها آفة و يعرب الى درجات حسب كبره قبل خزنهِ

ويجب ان لا يزيد ارتفاع كومة البطاطس وقت خزنهِ على قدمين ونصف قدم والاَّ حمي وافرخ . ولعلَّ قدمين ونصف قدم كثيرة في اقليمنا فيكفي ان يكون ارتفاع الكومة قدماً او قدماً ونصف قدم

واذا أُريد خزنهُ في البيت فلا مانع من وضعهِ في اكياس او صناديق على شرط ان يوضع بينهُ الجير الحي الناعم وزهر الكبريت كما تقدم . و يفتقد من وقت الى آخر لئلاَّ ينتشر فيهِ مرض او يفرخ وتنزع منهُ كل الرؤُوس المريضة والتي شرع التفريخ فيها . واذا كان في البيت بدرون جاف الارض فيحسن خزن البطاطس فيهِ بعد ان يفرش تحتهُ قليل من التبن

وتختار التقاوي من الرؤُوس السليمة المنتظمة الشكل التي تنضج اولاً وتترك مفروشةً في الغيط اولاً حتى تجف وهي تقلَّب من وقت الى آخر ثم توضع في صناديق غير عميقة او تفرش على رفوف في مكان بارد جاف حيث يصل اليها كثير من النور والهواء فان الرؤُوس

التي تحفظ كذلك يتولَّد من كل رأس منها فرخان قويان او ثلاثة فروخ قوية واما الرؤوس التي لا يعتنى بها بل تحفظ في الزكائب او الصناديق العميقة بعضها فوق بعض فيتولَّد من كل رأس منها فروخ كثيرة ولكنها تكون ضعيفة جدًّا

محاصيل اميركا في الحبوب

جاء في جريدة الحبوب والبزور والزيوت الانكليزية الصادرة في شهر سبتمبر ما يأتي : زادت محاصيل الحبوب في الولايات المتحدة الاميركية هذه السنة عمَّا كانت عليهِ في السنة الماضية على ما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩١٧	سنة ١٩١٦
القمح	٠٦٦٨ ٠٠٠ ٠٠٠ بشل	٠٦٣٩ ٨٨٦ ٠٠٠ بشل
الذرة	٣ ٢٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠ »	٢ ٥٨٣ ٢٤١ ٠٠٠ »
الاوت	١ ٥٣٣ ٠٠٠ ٠٠٠ »	١ ٢٥١ ٩٩٢ ٠٠٠ »
الشعير	٠٢٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠ »	٠١٨٠ ٩٢٧ ٠٠٠ »
الراي	٠٠٥٦ ٠٠٠ ٠٠٠ »	٠٠٤٧ ٣٨٣ ٠٠٠ »
بزر الكتان	٠٠١١ ٠٠٠ ٠٠٠ »	٠٠١٥ ٤٥٩ ٠٠٠ »

وعليهِ فكل الحبوب زاد محصولها هذه السنة عمَّا كان في السنة الماضية الاَّ بزر الكتان . والزيادة في القمح تبلغ نحو ثلاثين مليون بشل او نحو خمسة ملايين ونصف مليون اردب . والزيادة في الذرة تبلغ نحو ٦٥٥ مليون بشل او اكثر من ١٦٠ مليون اردب والزيادة في الاوت والشعير والراي نحو ٣٠٠ مليون بشل او نحو ٥٧ مليون اردب . فلا يبعد ان زيادة هذه الحبوب تقوم مقام ما نقص من مواسم الحلفاء في اوربا

الاعمال المنتجة

لا مشاحة ان لكل عمل من الاعمال التي يتعاطاها الناس نفعًا يعود على صاحبهِ وقد يعود على غيرهِ ايضاً . وهذه الاعمال بعضها ضروري ولو لم يكن منتجًا كعمل القاضي والمصور . وبعضها ضروري ومنتج في وقت واحد كعمل ارباب الزراعة ومستخرجي المعادن والعمل المنتج لا يحسن القيام بهِ الاَّ الرجل الذي مارسهُ زمانًا طويلاً وعلم كل مداخلهِ

ومخارجهِ . وارباب الزراعة عملهم مرتبط بالزراعة خاصةً ولا يحتمل ان يفيدوا الزراعة الفائدة المطلوبة ما لم يعرفوا مقتضيات الزراعة معرفة تامة علماً وعملاً كما ان الطبيب لا يستطيع ان يطبب المرضى ما لم يتعلم علم الطب ويمارسهُ والمصوّر لا يستطيع ان يصور صوراً متقنة ما لم يتعلم التصوير ويمارسهُ

وباب الإنتاج والنفع في الزراعة اوسع الابواب كلها في هذا القطر

فقد ابنا في نبذة سابقة ان مجرد التغيير في الاسلوب القديم المتبع في زرع القمح بذراً وجعلهُ تلقيطاً في خطوط منتظمة يزيد غلة الفدان اردبين فتكسب البلاد بذلك نحو ثلثمائة الف اردب تساوي بالاسعار الحاضرة تسعة ملايين من الجنيهات ويظهر لنا انهُ لو عزق القمح المزروع كذلك حتى يكنن او يجدر زاد محصول الفدان اردبين آخرين . وقد ابنا في العام الماضي ان القطن الذي قصرت مناوبات ريهِ في شهري يونيو ويوليو زاد محصول الفدان منهُ قنطارين او اكثر فاذا اهتمت وزارة الزراعة بامتحان ذلك في اطيان كثيرة وساعدتها وزارة الاشغال واشترك رجال الوزارتين في البحث عن افضل الاساليب لزرع القطن وافضل المواعيد لريهِ حتى ينتج غاية ما يمكن انتاجهُ او حتى لا يبقى شيء يمنع كبر المحصول وجودتهُ الاَّ العوارض الجوية والآفات الطبيعية فلا يبعد ان يزيد متوسط محصول الفدان على خمسة قناطير او ستة لان ما يستطيع المزارع الواحد ان يفعلهُ يجب ان يستطيع فعلهُ كل من يسعى سعيهُ ويعمل عملهُ . وزيادة قنطار واحد في الفدان تبلغ مليوناً واكثر من نصف مليون قنطار وهي تساوي بالاسعار الحاضرة خمسة عشر مليوناً من الجنيهات

لما شرع لورد كرومر يهتم بمصالح القطر وجَّه عنايتهُ اولاً الى الامور المنتجة لعلمهِ انهُ متى زاد القطر ثروة تتوفَّر الاموال في خزائن الحكومة فيسهل عليها ان تنفق على سائر الاعمال المنوطة بها كالتعليم العمومي وتكثير المحاكم ومد الطرق وانشاء الحدائق وما اشبه مما لا شبهة في لزومهِ ولو لم يكن منتجاً بالذات . ويجب ان لا تعدل الحكومة عن خطتهِ وهي الاهتمام الدائم بالامور المنتجة

حقول التجارب في الصين

جاء في مجلة سينس (العلم) الاميركية ان حكومة الصين مهتمة اهتماماً شديداً باصلاح الزراعة في بلادها فانشأت مكاناً للتجارب الزراعة في مدينة بكين سنة ١٩٠٧ يتولى ادارتهُ

ديوان الزراعة والصناعة والتجارة وافردت لهُ ارض مساحتها نحو ٣٠٠ فدان لكي تجرَّب فيها التجارب الزراعية وانقسم رجالها الى فروع كثيرة فرع للبحث في الحاصلات وفرع للبحث في التربة وفرع للبحث في المواشي وفرع للبساتين وفرع للحشرات وفرع للغابات وفرع للمكروبات وفرع لتولد الاحياء. وانشئ حديثاً مدرسة زراعية كلية وحقل للتجارب في عاصمة كل ولاية من ولايات الصين على نسق المدرسة الزراعية وحقل التجارب اللذين انشئا في بكين. ثم زيدت حقول التجارب حتى بلغت ١٣٠ حقلاً في ٢٢ ولاية. وفيها حقلان لتجارب زرع القطن وينتظر انشاء حقل ثالث للتجارب في زرع القطن. وهي تعنى بانتقاء التقاوي وتوزيعها ومعرفة الصالح من التربة والصالح من السماد والطرق التي تقاوم بها الحشرات. وفي كل حقل جمهور من التلامذة يتعلمون ويتدربون

وفرع اصلاح المواشي مهتم الآن بتأصيلها وتكثير نسل الجيد منها وزرع العلف الصالح لها

وفرع الغابات انشئ في يناير الماضي ولهُ نائب في كل ولاية وقد انشأ ثلاث مدارس لتعليم زرع الغابات واحدة في تشانغ تشين وواحدة في شانتنغ وواحدة في بكين

وفي جامعة ننكنج مدرسة للزراعة ومدرسة للغابات. وقد بلغ عدد تلامذة الزراعة فيها ٧٠ سنة ١٩١٥ والظاهر ان للاميركيين الشأن الاكبر في تعليم الزراعة في الصين وعمل التجارب الزراعية ولا يبعد ان تبلغ الزراعة في الصين مبلغاً نحسدها عليهِ بعد زمن غير بعيد

الذهب على اسنان المواشي

ترى اسنان الغنم والبقر احياناً مموهة بغشاء ذهبي لامع. وقد حار العلماء في ماهية هذا التمويه وسببهِ وكان رأي الاكثرين انهُ من مركبات الحديد والكبريت وانهُ يرسب على الاسنان اما من وجود هذه المركبات في المراعي واما من فعل اكسيد الحديد باملاح الكبريت التي تكون في العلف. وقد كتب بعضهم الآن الى مجلة نانشر يقول انهُ كشط هذه المادة الذهبيَّة اللامعة وحللها تحليلاً كيماويًّا فوجدها مؤَلفة من فصفات الجير ومادة آلية فلا حديد فيها ولا كبريت وانما هي من نوع الطرطير الذي يتجمع على الاسنان عادةً وقد يكون لونهُ اسمر او اسود. وهو لا يأتي من الطعام بل يتكون من اللعاب كما تتكون الحصاة في المثانة. واذا كانت المادة صفراء صقيلة جدًّا حتى تعكس اكثر النور فالغالب ان يظهر لها لمعان معدني كالذهب اللامع

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الشوربة

الشوربة خير طعام للمرضى ما عدا اللبن وقد تكون خير طعام لهم بلا استثناء اذا كانت معدهم لا تطيق اللبن كما يتفق احياناً كثيرة . واللفظة معربة من الفارسية ولكن عامة اهل الشام لهم تعليل لطيف في اشتقاقها ان لم يكن صحيحاً اذ يقولون ان اصل اللفظة « شاروا بها » اي ان الشوربة هي الطعام الذي يشير بهِ الاطباء على المرضى

والشوربة او المرقة طعام مغذٍّ نافع للمرضى والاصحاء على السواء وهي اما ان تكون مصنوعة من مرق اللحم صرفاً واما ان يضاف اليها بعض المواد المغذية الاخرى كاللبن والرز والبيض والخضر وسواها . والشوربة التي تصنع للمرضى يجب ان تكون من لحم جديد ولا يضاف اليها شيء سوى قليل من الملح . وهي اما ان تصنع من لحم البقر والضأن او الدجاج او السمك او غيرها

شوربة لحم البقر

خذ قطعة من لحم البقر الهبر وانزع عنها كلَّ اثر للدهن والعروق وامسحها بخرقة مبللة على عجل وقطعها قطعاً صغيرة وانقعها في قدر نظيفة نصف ساعة او حتى يحمرَّ لون الماء ثم ضع القدر على نار خفيفة واكبس اللحم من حين الى آخر بطرف ملعقة خشبية حتى ينضج اللحم تماماً ثم صفِّ المرقة . ومما يجب الانتباه اليهِ ان تكون النار خفيفة فلا يبلغ الماء درجة الغليان . اما نسبة اللحم الى الماء فهي رطل لحم الى مثلهِ ماء

وقد يحسّنون طعمها باضافة بعض البقول اليها كما يفعلون بشوربة الخضر عادة . او باضافة شيء من الرز او الشعيرية او التبيوكا المسحوقة او الكريما او صفار البيض . ومنهم من يضيف اليها شيئاً من عصارة اللحم النيء بعد دقهِ وعصرهِ فيكون منها شراب مغذٍّ مقوٍّ

عصير لحم البقر النيء

انقع قطعة من لحم البقر الهبر في مثلها ماء مدة ساعة واضغطها مراراً بطرف ملعقة في اثناء نقعها ثم صفّ الماء وقدمهُ للمريض في كاس ملونة اخفاء للونهِ . ويجب ان يكون اللحم جديداً والغالب ان يعطى هذا العصير بمشورة الطبيب فاما ان يشرب صرفاً او يضاف الى بعض المآكل الاخرى

شوربة الضأن

رطل من اللحم الهبر في رطل ونصف ماء . خذ قطعة من الرقبة او « الموزات » وقطعها قطعاً صغيرة وجرّدها من العظم ثم ضع اللحم والعظم في قدر مع الماء والملح اللازمين واترك القدر تغلي مدة ساعتين او ثلاث وانزع « الزفرة » عن وجهها . فاذا نضج اللحم فصفّ المرقة واتركها حتى تبرد وانزع الدهن عن وجهها ثم اعدها الى قدر نظيفة واضف اليها ملعقة متوسطة من الرز بعد غسلهِ جيداً ومتى نضج الرز اضف الى الشوربة شيئاً من البقدونس بعد فرمهِ

واذا اريد ان تكون الشوربة لوناً من الوان الطعام يفتتح الطعام بهِ لا مجرّد مرقة فليدق اللحم جيداً ولتصنع منهُ كرات صغيرة تقلى بالسمن ثم يضاف اليها المقدار اللازم من الماء حتى اذا بدأت تنضج يضاف اليها شيء من عصير الطماطم ثم الرز . ومنهم من لا يضيف عصير الطماطم بل يستبدلهُ بالبقدونس وتسمّى هذه الشوربة شوربة « القيما »

شوربة الدجاج

تصنع هذه الشوربة كما تصنع شوربة الضان ولكن يفضل تكسير عظم الدجاجة قبل وضعها على النار

شوربة السمك

نظف السمك واغسلهُ جيداً وقطعهُ قطعاً صغيرة وازل عنهُ الجلد وكلّ شيء غامق اللون ثم ضعهُ في قدر مع الماء رطلاً برطل وأضف الملح اللازم واتركهُ يغلي شيئاً فشيئاً وانت في خلال ذلك تنزع عنهُ « الزفرة » . ومتى نضج ضع بعض اللحم جانباً واترك الباقي على نار خفيفة نحو ساعة وصفهِ . ثم خذ ملعقة متوسطة من السمن او الزبدة واذب ذلك على

النار واضف اليهِ ملعقة صغيرة من الدقيق وانت تحركها برفق وصبّ فوقها السمك ومرقتهُ وربع رطل من اللبن وحرّك المزيج على الدوام حتى يغلي واضف اليهِ لحم السمك الذي وضعتهُ جانباً وشيئاً من البقدونس المفروم والملح والفلفل . و يجب ان يكون مقدار السمك والماء الذي يغلى فيهِ متساوياً

ساعات الدرس للاحداث

وضع احد مشاهير الاطباء الانكليز الجدول الآتي فيهِ بيان الساعات التي يحسن ان يدرس فيها الاولاد في المدارس على اختلاف اعمارهم :

السنّ	الساعات في الاسبوع
٥ — ٦	٦ اي ساعة كل يوم
٦ — ٧	٩ « ساعة ونصف كل يوم
٧ — ٨	١٢ « ساعتين كل يوم
٨ — ٩	١٥ « ساعتين ونصف كل يوم
٩ — ١٠	١٨ « ٣ ساعات كل يوم
١٠ — ١١	٢١ « « « ونصف « «
١١ — ١٢	٢٥ « ٤ ساعات « «
١٢ — ١٤	٣٠ « ٥ « « «

ولا يخفى ان هذه المدد المعينة للدرس في المدارس لا تشمل الاستعداد للدرس في البيت

قصاص تلاميذ المدارس

لا تكاد مدرسة في بلاد اوربا الراقية تعاقب مذنبي الطلبة الآن بالضرب كما كان يجري الى عهد قريب . على ان كثيراً فيها يعاقبهم بالحبس في غرفة في اثناء ساعات اللعب . ومن رأي العارفين ان هذا القصاص شرٌّ من الضرب وانهُ لا يجوز فرضهُ على الصغار في حال من الاحوال ولاسيما ان ساعات اللعب في المدارس قليلة في جنب ساعات الدروس او الحصر في الغرف . ولا يعدم المعلم الذكيّ واسطة لمعاقبة المهملين والمقصرين وتنبيههم الى واجباتهم . اما المقصّر بالطبع فلا ينفع فيهِ قصاص مهما يكن شديداً

منفعة الشاي والقهوة

ليس في الشاي ولا القهوة غذاء ما بل هما منبهان للاعصاب بسبب المادة الموجودة فيهما واسمها العلمي كافيين اوتيين . وقد ثبت بالامتحان انهما اذا شربا مع الاكل اخرا عمل الهضم فيبطئ دخول الغذاء الى الدم وبذلك يصبح الجسم اكثر احتمالاً للتعب وصبراً على المشقة . وثبت ايضاً انهما يؤخران هضم المواد النشوية كالخبز واللحوم الطرية كلحم الحملان والطير . وعليهِ يقال انهما ينفعان اصحاب الاعمال الشاقة والمعد القوية ويضران اصحاب المعد الضعيفة والهضم البطيء ولا سيما اذا كانا قويين

واذا اريد شرب الشاي لتنبيه الاعصاب فالواجب ان يشرب صرفاً بلا لبن ولا سكر وان لا يؤكل معهُ شيء . واذا شرب مع الطعام وجب ان يضاف اليهِ شيء من اللبن فان ذلك يمنعهُ من تأخير عمل الهضم

وهناك شيء يسمونهُ التسمم بالشاي وهو حالة ناشئة عن الاكثار من شرب الشاي اعراضها سوء هضم وخفقان واغماء وضيق صدر وتهيج اعصاب . وفي الشاي ايضاً بعض التنين او الحامض التنيك (العفصيك) وهو مادة قابضة وفيهِ ايضاً وفي القهوة زيوت عطرية هي سبب نكهتها المعروفة

وفي اوراق الشاي ٢ الى ٤ في المئة من المادة المنبهة (كافيين) و ١٠ في المائة من التنين . وفي القهوة نصف ذلك . ولكن لما كانت القهوة تصنع عادة اقوى من الشاي ضعفين فان فنجاناً كبيراً من كلٍّ منهما يحتوي على قمحتين من الكافيين وثلاث من التنين

والشرقيون على اجادة صنع القهوة قلما يجيدون صنع الشاي . وافضل الطرق لصنعهِ طبيًّا ان يوضع الشاي في مصفاة مخصوصة توضع على باب ابريق الشاي ويصب عليهِ ماء مغلى ويترك الشاي منقوعاً مدة خمس دقائق والابريق مغطًّى وبذلك يبقى الشيء الكثير من التنين في اوراق الشاي والتنين مادة قابضة كما علمت ضررها اكثر من نفعها في حالة الصحة . اما مقدار الشاي فملعقة صغيرة لكل فنجان في الكثير واذا كان اقل من ذلك كان افضل للصحة . ولكن المولعين بشربهِ يضعون ملعقة صغيرة معرَّمة لكل فنجان وربما اطالوا نقعهُ اكثر من خمس دقائق . وعند صب الشاي يحركونهُ بملعقة فيخرج قويًّا في كافيينهِ وتنينهِ ولا يحتمل شربهُ طويلاً اذ ذاك الاَّ اصحاب المعد القوية



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

غلط العقد الفريد

سيديَّ المحترمين

بعد التحية ارجو من « نقيب » ان يفسح لي صدرهُ و يتقبل مني ما اردت ان اقدمهُ من النقد اليسير لما اختارهُ من كتاب العقد الفريد

العقد الفريد على مقدارهِ العالي بين كتب الادب امتاز بالتحريف الكثير في جميع طبعاتهِ التي بين ايدينا سواء في ذلك ما طبع في المطبعة الاميرية وما طبع في غيرها وقد كنت اخذت على نفسي وانا بمدينة الخرطوم ومعي بعض الرفاق ان نصحح ما فيهِ من الاغلاط خدمة لانفسنا وللمتأدبين فوجدنا مشقة شديدة وكنا نعثر في بعض الاحيان على اكثر من عشر غلطات في الصحيفة الواحدة

وقد رأيت فيما اختارهُ « نقيب » في عدد اكتوبر على قلتهِ اربع غلطات تغير معنى الكلام فاردت ان ارسل الى المقتطف بتصحيحها خدمة لقرائهِ

(١) وصف صاحب العقد امرأ القيس بانهُ « صاحب الفروج » (ونقلهُ الكاتب هكذا) وصواب العبارة « صاحب القروح » قال الفرزدق في قصيدتهِ التي اولها

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمهُ اعز واطول

« وهب القصائد لي النوابغ اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول

يريد بالنوابغ نابغة بني ذبيان والجعدي ونابغة بني شيبان — ويريد بابي يزيد المخبَّل وهو ربيعة بن مالك بن قتال بن انف الناقة ويريد بذي القروح امرأ القيس بن حجر — وجرول هو الحطيئة هكذا ورد في شرح نقائض جرير والفرزدق ص ٢٠٠ طبعة ليدن. وقال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة امرىء القيس في اغانيهِ ان قيصر ارسل اليهِ بحلة

وَشْي مسمومة « فلما وصلت اليهِ لبسها واشتد سرورهُ بها فاسرع فيهِ السم وسقط جلدهُ فلذلك سمي ذا القروح »

(٢) وروى الكاتب لزهير قولهُ

« ومن يك رهنًا للحوادث يقلق »

هكذا بقاف بعد الياء وصواب الكلمة يغلق بالغين والغلق في الرهن ضد الفك فاذا فك الراهن الرهن فقد اطلقهُ من وثاقهِ عند مرتهنهِ وقد اغلقت الرهن فغلق اي اوجبتهُ فوجب للمرتهن وفي الحديث لا يغلق الرهن بما فيهِ وقال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك لهُ يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا

يعني انها ارتهنت قلبهُ ورهنت بهِ (راجع لسان العرب ص ١٢١٦٦) وقد تبين لي بعد مراجعة العقد ان الخطأ في هذه الكلمة ليس من الكتاب

(٣) انشد صاحب العقد لحسان بن ثابت رضي الله عنهُ

فان امرأً امسى واصبح سالمًا من الناس الا ما حيي لسعيد

وصواب البيت

فان امرأً امسى واصبح سالمًا من الناس الاَّ ما جنى لسعيد

يريد انهُ ليس مسئولاً الاَّ عن جنايتهِ ولا يسئل عما جنى غيرهُ هذا ما يجعلهُ حسان سعادة ولعمري لقد اصاب —واما قولهُ الاَّ ما حيي فلا معنى لها

(٤) وانشد لحسان ايضًا

و بيوم بدر اذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائهم ومحمدا

لم افهم وجه رواية البيت ومحمدا بنصب الدال ولقد راجعت ديوان حسان وما رواهُ لهُ ابن هشام في سيرتهِ فلم اجد لهذا البيت اثرًا فرجعت الى شعر الشعراء الاسلاميين في حياة رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فعثرت على هذا البيت في قصيدة لكعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب مطلعها

طرقت همومك فالرقاد مسهد وجزعت ان سُلِخ الشباب الاغيد

يقول فيها

ولقد اخال بذاك هندًا بشّرت لتميت داخل غُصّةٍ لا تَبْرُدُ
مما صبحنا بالعَقَنْقَل قومها يومًا تغيَّبَ فيهِ عنها الاسعدُ
و ببئر بدر اذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمدُ

« راجع سيرة بن هشام ص ٦٣٠ طبع اوربا »

هذا وارجو ان تتفضلوا بقبول تحياتي واحترامي

محمد الخضري

وكيل مدرسة القضاء الشرعي

الولاء

في نقد ذكرى ابي العلاء

و بعد فيقول منصف في انتقادهِ المنشور في مقتطف نوفمبر الماضي — اني انتقدت الجواب عنهُ . قلت الجواب على — وانهُ لم يعثر على الثانية في كتاب طالعهُ — قال « واما الذين استعملوها انما استعملوها حاملين اياها على ردّ تضميناً » وهذا مردود عليهِ في نقطتين اما الاولى فانَّا نعرف الاستعمال الصحيح ما اوردناهُ وقد يقع الاستعمال الثاني عند بعض الكتاب فلا يكون حجة لنا او علينا — وكان من الحق على (منصف) ان يرد علينا بدعوى ان الجواب عن جائز فلِمَ نقيد الكاتب باستعمال احد الجائزين ؟

واما الثانية فاذا كان لم يطالع الجواب عليها في كتاب فكيف عرف ان الذين استعملوها حملوها على ردّ أَلم يرَها بالخط العريض على اوراق امتحانات الطلبة (الاجابة على السؤَال ...) ؟

يقول : « وخطأ قول صاحب الذكرى — وأسبغ عليها هذا اللون وصححهُ باصبغ هذا اللون وعندي ان اسباغ اللون استعارة جميلة من اسباغ النعمة . اما الاصباغ فلا وجود لهُ في اللغة الاَّ بمعنى الاسباغ اي بالابدال »

قلنا : هاك نص القاموس الصبغ بالكسر وبهاء كعنب وكتاب ما يُصْبغ بهِ — ثم قال وصبغهُ بها كمنعهُ وضربهُ ونصرهُ صِبْغا وصَبَغا — كعنب لوَّنهُ . و يدهُ بالماء غمسها فيهِ » . ثم يقول : سبغ الشيء سبوغًا طال الى الارض والنعمة اتسعت ولبلدهِ مال اليهِ ووصلهُ وناقة سابغة الضلوع — وعجيزة وإلية وعمة ومطرة ودرع سابغة تامة طويلة والثة سابغة — قبيحة — والسبغة السعة والرفاهية ورجل سُبُغ كعنق عليهِ درع سابغة . واسبغ الله النعمة أتمها » . و بعد فانا لا ندري للاستعارة الجميلة معنى هنا

يقول : « وخطأ تجارب وصححها بتجاريب والقاموس يجمع تجربة على تجارب دون غيرها » ثم استشهد بقول الشاعر

قلنا : والقياس اللغوي لا يعرف جمع تجربة الاَّ على تجاريب مثل علّم تماليم — جرب

تجاريب — على انا لم ننكر استعمال تجارب في كتابنا الولاء ولكننا انكرنا اغفالها من الضبط فقد يجوز جمع تجربة على تجارب بشرط كسر الراء وهو ما اخذناهُ على صاحب الذكرى · اما الاستشهاد بالشعر فليس من الصحة في قليل ولا كثير هنا — ألاَ فليعلم ان القافية تضطر الشاعر الى استعمال تغتفرهُ لهُ اللغة فيجوز هنالك للشاعر مالا يجوز للكاتب

يقول: « وخطأ (الا وقد اخذ) وهي صحيحة لا غبار عليها ففي كتب النحو عند الكلام على الحال انهُ يندر ذكر قد بلا واو الحال في الجملة الماضية واندر منهُ ذكر الواو بلا قد · فان وقعت هذه الجملة بعد الاَّ نحو ما تكلم الاَّ ضحك وجب تجريدها منها وندر اقترانها بقد الاَّ بالواو كقول الشاعر « الا وكان لمرتاع بها وزرا » وندر ايضاً اقترانها بقد بلا الواو كقول الآخر:

متى يأتِ هذا الموت لم يلفِ حاجة لنفسي الاَّ قد قضيت قضاءها

قلنا: واين سيبويه ليرى ما وصلت اليهِ اللغة من الهلهلة والرجرجة في هذا الزمان ؟ واين قول منصف هذا من كلام ابن مالك صاحب الالفية حيث قال:

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو خلت

واين من كلام الاشموني في شرح هذا البيت اذ يقول: تمنع الواو في سبع مسائل الخ

يقول: « وخطأ قولهُ (هيامهم فيها) مستشهداً باللسان فليمد نظرهُ على اللسان » · « قلنا: ولو ان منصفاً اصطنع التحقيق ودرس فقه اللغة لعلم ما تعملهُ حروف الجر في المعاني — والقاموس يثبت لك مادة اللغة وصحة التركيب ولك الذوق والتفهم والدرس ولكن ماذا نقول لانسان لم يطلع على الكتاب ثم ينتقد جملاً بتراء لا تستقيم معانيها الاَّ بردها لاصولها

ثم يقول: « وخطأ « سواء صحت او لم تصح » وقال ان الصحيح وسواء أصحت الخ واستشهد بالآية « وسواء عليهم أأنذرتهم او لم تنذرهم » ولكن الاستشهاد بالآية لا يدلُّ على ان ذكر همزة الاستفهام واجب » ··· قلنا والآية حجة لسببين اما الاول فلان القرآن افصح ما ظهر في اللغة العربية ونحن فانما نتجدى الافصح لصحتهِ واما الثاني فلانهُ وجد قبل ان تخلق القواعد وكتب البلاغة فكان لوضاعها مرجعاً ولمصنفاتهم اساساً متيناً

يقول: « وخطأ بكى على ابيهِ » ثم يستشهد بقول الشاعر ونحن فلا نزال نتوسل اليهِ ان يراجع من كتب البلاغة باب المجاز والتضمين ومن كتب اللغة عمل حروف الجر وجواز التعدي وامتناع ذلك والدموع المنهمرة غير التأسي والحزن · وكذا اعتراضهُ على (مبغض للدنيا وزاهد فيها ··)

لقد نقدنا الذكرى لنخلصها من كل زائغ معتاق او خطإٍ مبين وما فرطنا في كتابنا من شيء كيلا نجعل للناقد مفازة يجد بها مساغاً الى رمينا بصفة غفلة او جهالة معرفة او اثر ضغينة — فتركنا الجائز والمتريد فيهِ واثبتنا ما وقفنا عليهِ من الخطإِ البين الذي لا يذود عنهُ الاَّ من يجهل الربوة روبة والسبق عروبة لذلك جئنا بحديث لا نخشى منهُ تباعة لبعدهِ عن التحيز وخلوهِ من سوء النية على اني اغتبط بكل نقد راجح ينحدر الى النفس من غير استئذان ويطمئن اليهِ العقل من غير تريب اذ لولا النقد الصحيح ما كان الاصلاح

حسن حسين

[المقتطف] أطلعنا « منصفاً » على ما تقدم فكتب الينا بما يأتي :

(١) جاء في لسان العرب « والاجابة رجع الكلام تقول اجابهُ عن سؤالهِ » . وفي تاج العروس والاجابة رجع الكلام تقول اجاب عن سؤالهِ وهو نص صريح على تعدية اجاب بعن

(٢) اصبغ على وزن افعل لم ترد بهذا المعنى وانما يقال اصبغت النخلة اذا ظهر في بسرها النضج

(٣) جاء في لسان العرب « التجربة من المصادر المجموعة قال النابغة « الى اليوم قد جربن كل التجارب » وقال الاعشى

كم جربوهُ فما زادت تجاربهم ابا قدامة الاَّ المجد والعنف »

وهو نص صريح ان تجربة تجمع وتجمع على تجارب

(٤) قال الصبان ان قد والواو قد تجتمعان بعد الاَّ نحو ما لقيتهُ الاَّ وقد اكرمني

(٥) جاء في اللسان « هام يهيم هياماً فهو مستهام »

(٦) قال الامام جار الله الزمخشري صاحب الكشاف في تفسير هذه الآية « ان الذين كفروا مستوٍ عليهم انذارك وعدمهُ ... والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً » واستشهد على ذلك بكلام سيبويه بعد ان قال ان الهمزة هنا لا تظهر في بعض القراءات

وجاء في سورة المنافقين « سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر » وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية « وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليهِ . وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعاً لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلباً لهمزة الوصل الفاً كما في آلسحر وآلله »

منصف

الهرم الاكبر

مُنكَّدُ الحظ كثير الجلَدْ يخالهُ الرائي خيالَ الأبدْ
مُسَدَّدُ النظرة في قومهِ مُهشَّمُ المفرق عاري الجسدْ
لم تُبكهِ الاشجانُ لكنهُ مُقطَّبُ الوجهِ حليف الكمد
قد ارسلَ النيل رسولاً لهُ يبحثُ عن مجد قديم فُقِدْ
كتاب تاريخ قرأنا بـهِ عن مصرَ أهوالاً تهدُّ الجلدْ
اعادت اللاهي الى رشدهِ واوقدت في القلب ناراً تقدْ
ويجتلي الناظرُ من بابهِ في ظلمة الليلِ شعاعَ الرَّشَدْ
ومصرُ لا تُعرَفُ ألا بهِ كأنهُ عنوانُ هذا البلد
لسانهُ أبكمُ لكنما تخالهُ يصرخ فيمن رقَدْ
(من نام عن نيل العلى ما ارتقى ومن مشى في الارض سعياً وَجد
وصاحبُ الهمة يعلو بهـا وكل كسلانٍ عدوٌّ ألَدّ)

***

يطوف في ارجائهِ صارخاً جيشٌ من الارواح جمُّ العدد
ارواح فرعونَ وانصارهِ من شيَّدُوا مجداً رفيع العُمُدْ
اضاعهُ ابناؤُهم بعدهم وعزٌّ مجدٌ ضائعٌ لا يرَدْ
يا ليتنا نُرجع مجداً مضى لا تعزب الحيلة عمن يجدّ

***

تدوسهُ الزوّارُ من هابط او صاعد ندّ عليهِ صعد
قد استبدُّوا ونَسوا مجدهُ كأنمـا القادر من يستبد
كأنهُ لم يكُ قبر الذي كان أخا مجد بعيد الامد
حقٌ على الزوار ان يسجدوا يا سعد من في ظلهِ قد سجد

***

يا دارس التاريخ قف خاشعاً فعُمدة التاريخ هذا السنَد
يا باحثاً عن مجد دهر مضى وجدت في الاهرام ما تفتقدْ

محمد تيمور

فقد النطق وعلاجهُ

حضرات المحترمين اصحاب مجلة المقتطف

قرأت في عدد نوفمبر سنة ١٩١٧ من مجلة المقتطف في باب المسائل اجابة عن السؤال العاشر وهو (ان غلاماً في الثانية عشرة من عمرهِ غير قادر على الكلام مع انهُ يسمع و يفهم و يعقل وقد يتلفظ بكلمات قليلة لا يحسن النطق بها) فارجوكم ان تسمحوا لي بابداء ملاحظاتي على جوابكم وذلك انكم ذكرتم سبباً غير عادي في الاطفال — نعم ان ما ذكرتموهُ في جوابكم صحيح لاخطاء فيهِ الاَّ انهُ يحصل غالباً للذين كانوا يحسنون الكلام اولاً ثم فقدت منهم حاسة النطق دفعة واحدة بسبب مرض او سقطة على الرأس او ضربة عليهِ احدثت ضغطاً على مركز النطق في المخ وانني اميل الى الاعتقاد بان الحالة التي ذكرها حضرة السائل هي قِصَرٌ في رباط اللسان من داخل الفم يعوقهُ عن الحركة بسهولة وهذه حالة خلقية توجد في عدد ليس بقليل من الاطفال وهي قابلة للشفاء في غالب الاحيان بواسطة عملية جراحية بسيطة لا يزيد المها ولا مشقتها على فتح خراج بسيط وقد اجريت هذه العملية لعدد ليس بقليل من الاطفال بين الثالثة والسابعة من عمرهم وشفوا شفاء تامًّا وامكنهم التكلم كبقية الاطفال في مدة ثلاثة اشهر بدون اي علاج بعد العملية ولست أؤكد شفاء غلام في سن الثانية عشرة ولكن من حيث ان العملية سهلة و بسيطة ولا خوف منها البتة فلا ارى بأساً من عمل هذه العملية البسيطة خصوصاً اذا اجتهد والدا الغلام في تعليمهِ النطق كانهُ طفل صغير واظن انهُ يمكن الحصول على نتيجة حسنة في هذه الحالة في مدة ستة اشهر تقريباً

الدكتور جلال محمود عزب
حكيم بالسكة الحديد

[المقتطف] نشكر لكم هذا البيان ونود ان تتحفوا المقتطف بكلام مسهب في احوال فقد النطق واسبابها وعلاجها واذا عالجتم هذا الغلام وشفي فنود ان ننشر ذلك في المقتطف

وحبذا لو اخبرَنا الوالد هل مرض ولدهُ في طفوليتهِ مرضاً ثقيلاً وما هو والاَّ فهل كان ينطق ثم فقد النطق والاَّ فهل في اسلافهِ احد اخرس او الكن



الصباغة في مصر

واستعمال الاصباغ البريطانية

اطلعنا على المقالة التالية في هذا الموضوع بقلم المستر ستورت المفتش الفني في ادارة التعليم الصناعي وقد عُربت في ادارة المقطم بما يلي

قال الكاتب : كان تأثير اعلان الحرب في صناعة الصباغة في مصر اشد منهُ في الهند لان الاصباغ النباتية في الهند اكثر منها في مصر عدداً ومقداراً ولان الهنود لا يزالون يحفظون ما تناقلوهُ عن اسلافهم من طرق الصبغ بالاصباغ النباتية . ولا يخفى ان مصر تستورد اصباغها النباتية من ايران والهند واميركا الجنوبية ما عدا بعض الاصباغ الصفراء وقشر الرمان . اما النيلة فيؤْتى بها من الهند ولكن اهل اخميم يزرعون مقادير قليلة منها ولا تزال عندهم الخوابي القديمة التي كانت تستعمل لاستخراج الاصباغ لما كانت اخميم مشهورة بنسج الوشي القبطي

لما شاع استعمال الاصباغ الكيماوية في مصر اقلع الناس عن الاصباغ النباتية الاَّ في بعض انواع القفاطين الحريرية والمناطق المطرزة وعم الصبغ بالاملاح فلما اقفل باب الواردات من المانيا على اثر نشوب الحرب استحوذ الذعر على الصباغين وارتفعت اسعار الاصباغ في الحال الى عشرة اضعاف قيمتها الاصلية وكان الرطل من بعض الاصباغ الصفراء والبنفسجي « المثيل » يباع قبل الحرب باربعة غروش فصار ثمنهُ ١٥٠ غرشاً فكف الصباغون والحاكة عن العمل خوفاً من الخسارة ولكن قلة الوارد من المنسوجات الاجنبية ادت الى زيادة الطلب على المنسوجات الوطنية فارتفع سعرها وصار في طاقة الصباغين والحاكة ان يربحوا من صبغها وصنعها مع غلاء اثمان الاصباغ وغزل القطن

وقد جني القطر فائدة كبيرة من « مصنع الغزل الوطني » في الاسكندرية فانهُ اعان الحاكة اعانة كبيرة بتجهيزهم بغزل القطن باسعار معتدلة وكنا نود لو تيسر لهذا المصنع زيادة انواع غزلهِ

وحاول الصباغون صبغ المنسوجات القطنية بالاصباغ النباتية فلم يفلحوا . ولا يخفى

ان الحصول على اللون الاسود بالصباغ الطبيعي عسر جداً فاستعمل له بزور الاقاقيا وقشر الرمان وكبريتات الحديد ولكن اللون جاء باهتاً والعمل ظو يلاً شاقاً كثير الكلفة بسبب غلاء الوقود

وفي اوائل صيف ١٩١٦ وصلت العينات الاولى من الاصباغ البريطانية الجديدة وجربت امام بعض كبار الصباغين في مدرسة بولاق الصناعية فاسفرت التجربة في الحال عن طلب مقادير كبيرة من صبغ القطن الاسود والصبغ الاحمر المعروف في انكلترا بالكنغو والصبغ الاصفر لمصانع الحياكة في اخميم وكان هذا بدء الطلب الكثير على هذه الاصباغ الجديدة

واحجم الصباغون في اول الامر عن استعمال اصباغ غير الاصباغ الالمانية التي الفوها والفوا منظر صفائحها فان الاصباغ البريطانية جاءت ملفوفة بورق اسود او اصفر. فلما جربوها وغسلوا النسيج المصبوغ بها ارتاحوا اليها واخبرني غير واحد منهم ان الصبغ الاحمر البريطاني ابهى واثبت من الصبغ الالماني الذي كان يباع في مصر قبل الحرب

وقد جيء ببعض الاصبغة الحمضية لصبغ الحرير الكريب الاسود وهو الحرير الذي تصنع منهُ حبر السيدات في مصر ولكن عدد الصباغين الذين يحسنون الصبغ بالاصباغ الحمضية قليل ومعظم الصباغين يفضل في صبغ الحرير الرفيع اطالة نقعهِ بمحلول النيلة ثم تثبيتهُ بقشر الرمان وكبريتات الحديد على ان ثقة الصباغين آخذة في الازدياد والطلب يكثر. وقد جربت اصباغ الكبريت بمقادير صغيرة واذا تيسر الحصول على كبريتيد الصوديوم كثر الطلب عليها لانها « ثابتة » في النور والغسل

ولم ينقض اثنا عشر شهراً حتى امتلك البريطانيون ناصية سوق الاصباغ في مصر وتعين عليهم ان يحتفظوا بها في المستقبل امام مزاحمة المزاحمين وهذا متيسر اذا تساوت الاثمان لان الصباغين المصريين لا يفوتهم التمييز بين صباغ وصباغ من حيث الجودة والثبات

اما الآن فلا يروج سوى الاصباغ البسيطة الاستعمال فان معظم الصباغين في البلاد لا يعرف سوى طريقة صبغ النيلة « على البارد » اما في المدن الكبيرة فالصباغون السوريون يعرفون طرق استعمال اصباغ الانيلين وبيكرومات البوتاس وصبغ القطن مباشرة بالاملاح او كبريتات الصوديوم وليس في البلاد مصابغ يعرف مديروها شيئاً من الكيمياء سوى مصبغة او اثنتين في القاهرة والاسكندرية وهاتان تستطيعان استعمال طرق الصبغ المعقدة ولكنهما تحجمان عن ذلك لسبب كثرة الكلفة

ولا يخفى ان المنسوجات المصبوغة تتعرض في مصر لنور الشمس الساطع الشديد فاذا لم تكن الاصباغ « ثابتة » فلا يرجى لها الرواج

وختم الكاتب مقالتهُ بنصائح اسداها الى صناع الاصباغ البريطانيين في كيفية رزم الاصباغ التي يرسلونها الى مصر حتى يسهل على الصباغين الصغار المنتشرين في البنادر والقرى شراؤُها واستعمالها

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الامم الاسلامية

اهدى الينا حضرة الاستاذ الفاضل محمد بك الخضري مجلدين كبيرين من المحاضرات التي القاها في الجامعة المصرية في تاريخ الامم الاسلامية . وقد تصفحنا جانباً كبيراً من المجلد الاول منها فوجدنا ان الاستاذ توخَّى جمع زبدة ما جاء في التواريخ العربيَّة وكتب السير . ولم يكتفِ بالجمع والتنسيق بل تناول ما هو اهم من ذلك اي فلسفة التاريخ من حيث ربط المسبّبات باسبابها وانصاف الرجال الذين ذكرهم بذكر ما لهم وما عليهم مثال ذلك انهُ لما وقع الخلاف واشتدت الشحناء بين الامام علي ومعاوية بن ابي سفيان تناولهما باللوم على حدٍ سوى وجعلهما مسؤُلين على السواء عن ذلك الشقاق الذي لم تزل تباريحهُ حتى الآن قال :

« يظهر للمتتبع اخبار ما بين علي ومعاوية ان الرجلين كانا على تباين تام فعليٌ يرى لنفسهِ من الفضل والمسابقة والقرابة ما ليس لغيرهِ من سائر الناس حتى اشياخ قريش واصحاب السابقة منهم وزاد بهِ ذلك الفكر حتى كان يرى ان الاشياخ يتلون ذلك و يغضون عنهُ وكان يرى في معاوية انحطاطاً هائلاً عنهُ ولماذا ؟ لانهُ من الطلقاء واولاد الطلقاء الذين عادوا رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وحاربوهُ وربما ظن فيهم انهم لم يدخلوا في الاسلام الاَّ كرهاً حينما لم يجدوا مناصاً من ذلك . واذا كان الرجل يرى اشياخ قريش دونهُ قدراً ولم يكن يسلم لهم الاَّ مرغماً لانهُ لم يجد لهُ انصاراً فكيف يرى نفسهُ امام رجل يظن بهِ ذلك الظن في وقت بايعهُ فيهِ الناس بالخلافة وردوا اليهِ حقهُ المسلوب منهُ وقد وجد انصاراً

يوءِّيدونهُ . كان اذا تكلم عن معاوية او كاتبهُ يظهر من كلامهِ الاحتقار لهُ والترفع عنهُ والازدراء برسلهِ وخطابهم باشد ما يخاطب بهِ انسان ولا ينظر ان الرجل قد استحوذ على قلوب نصف الامة الاسلامية ومثلهُ لا ينال الاَّ بالأَناة وشيءٍ من المصانعة والسهولة وهذه اشياء لم يرَ علي ان يتنزل اليها . اما معاوية فانهُ بدون ريب كان يرى نفسهُ عظيماً من عظماء قريش لانهُ ابن شيخها ابي سفيان بن حرب واكبر ولد امية بن عبد شمس بن عبد مناف كما ان عليًّا اكبر ولد هاشم بن عبد مناف فهما سيان في الرفعة النسبية . ثم كان يرى النبي صلى الله عليهِ وسلم والخلفاء الثلاثة من بعدهِ قد وثقوا بهِ ثقة كبرى حتى جمعت لهُ الشام كلها وهي اعظم بلدان المسلمين بعد العراق فصارت لهُ تلك الرياسة العظيمة والاثر الصالح في حماية الثغور الرومية وهو يعلم ان عليًّا لا ينظر اليهِ بتلك العين التي كان ينظر لهُ بها من قبلهُ بدليل ان اول عمل لهُ كان عزلهُ فرأى ان انضمامهُ الى علي يحطهُ عن تلك المنزلة السامية التي نالها ومن يدري ماذا يكون حالهُ بعد ذلك من المهانة . وجد امامهُ شبهاً تفسح لهُ المجال في تلك المناوأة (١) انهُ لم يستشر في تلك البيعة وهو من اعاظم قريش ووالٍ من اكبر الولاة تحت امرتهِ جند من جنود المسلمين لا يقل عن مئتي الف (٢) ان كثيراً من الصحابة رفضوا بيعة علي (٣) ان اول من ندبهُ للخلافة هم الثائرون على عثمان الذين قتلوهُ (٤) انهُ آواهم في جيشهِ ولم يقتص منهم فاخذ من ذلك انهُ ممالىء لهم على فعلتهم — كل تلك الشبه جعلتهُ يمتنع عن البيعة و يأخذ لنفسهِ الحيطة حتى لا يقع في المذلة والمهانة

« شخصان ينظر كل منهما الى الآخر بهذا النظر لا يمكن اتفاقهما ولا وصولهما الى طريق رشاد يخفف عن المسلمين ما نزل على روءُوسهم من تلك الفتنة الهائلة ولم يكن مدار مراسلاتهم بالشيء الذي يصح ان يكون قاعدة صلح بين فريقين لكل منهما قوة توءَيدهُ . فعلي كان يطلب مبايعتهُ ولا يزيد و بغير ذلك لا يكون صلح حتى ان رسلهُ التي كان يرسلها من اهل العراق كانوا يكلمون معاوية بلهجة المحتقر المستخف ومعاوية يطلب اولاً ان تسلم قتلة عثمان اليهِ ليقتص منهم ثم يكون الامر شورى وكلا الامرين لا يرضى بهما علي . اما قتلة عثمان فلأَنهُ اذا اراد انتزاعهم من جيشهِ لا يأمن ان يتعصب لهم قومهم فينقسم جيشهُ واما الثانية فلأَنهُ لا يترك حقاً قد ثبت لهُ بالبيعة التي رآها تمت وليس لاحد مهما عظم قدرهُ ان يعترض عليها فكيف بمثل معاوية في نفسهِ . اضف الى ذلك ان فرقة السبئية التي كانت تتخلل جند علي لم يكن من مصلحتها ان يكون صلح بين الطرفين فهم لا يسكتون عن حمل الحطب لاشعال نار الفتنة كلما قاربت الخمود ولذلك كان لهذا التحكيم الذي اتفق عليهِ

الطرفان نتيجة من اسوأ النتائج في جند علي» .... الى ان قال

« ومن الوقت الذي جرى فيهِ عقد التحكيم وعين الحكمان يشعر الانسان بانهُ لا يؤدي الى نتيجة لان ابا موسى (الاشعري) كما يظهر من ماضيهِ رجل يكره الفتن ويحب للمسلمين السلامة ويتمنى الوصل الى ما يريد من اي طريق يسلكهُ وقرينهُ (عمرو) يميل الى معاوية ويحب تأييدهُ وتثبيت خلافتهِ وهو مع ذلك رجل عرف الدنيا وجالس الملوك فلا يهمهُ الاَّ ان يصل الى مقصودهِ مهما استعمل في سبيل ذلك من الخدع ومثل هذين لا يتفقان. قال المغيرة بن شعبة لبعض من معهُ من قريش سأعلم لكم علم هذين الرجلين أيتفقان ام يختلفان فدخل على عمرو فقال لهُ يا أبا عبد الله اخبرني عما اسألك عنهُ كيف ترانا معشر المعتزلة فإنا قد شككنا في الامر الذي قد تبين لكم من هذا القتال ورأينا ان نتأنى ونتثبت حتى تجتمع الامة. فقال عمرو أراكم يا معشر المعتزلة خلف الابرار وامام الفجار. ثم جاء ابا موسى فسألهُ كما سأل عمراً فقال لهُ اراكم اثبت الناس رأياً فيكم بقية المسلمين. فانصرف المغيرة الى اصحابهِ وقال لهم لا يجتمع هذان على امر واحد »

وموضوع هذه المحاضرات ولاسيما الأوَّل منها صعب جدًّا على المؤرخ لانهُ ديني والحوادث الدينية قلما تخضع للتمحيص التاريخي. وفوق ذلك فان التواريخ العربية قلما تسلم من التشيع فيجد الباحث فيها اكبر مشقة في اكتشاف الحقيقة وتخليصها من شوائب الاهواء

وكنا ونحن نقرأ هذه المحاضرات نودُّ ان نرى في حاشية كل صفحة اشارات الى المصادر التي اعتمد المؤلف عليها ولاسيما اذا ذكر قضية غير شائعة او الكتَّاب فيها على اختلاف لتعزيز ما ذكرهُ من جهة ولأن القارىء المستفيد يودُّ احياناً كثيرة ان يرجع الى الاصل ليقف على القرائن ويزيد اقتناعاً وتمكُّناً . وكنا نودُّ ايضاً ان يكون المؤلف قد وقف على كتب الاوربيين المؤلفة في هذا الموضوع فانهم لم يكتفوا بتلخيص ما وجدوهُ في الكتب العربية وعندهم منها اكثر مما عندنا بل وقفوا ايضاً على كثير من تواريخ الروم فحققوا بعض القضايا التي ورد ذكرها في التواريخ العربية على غير حقيقتها اما لانها منقولة بالسماع والتواتر او لاسباب اخرى

وكنَّا نتمنَّى ايضاً لو فسَّر المؤلف بعض الالفاظ والتراكيب الغامضة التي نقلها عن الاقدمين وضبط بعضها بالشكل ولو كان الشكل الوارد في الكتاب كثير الخطإ المطبعي

البستاني

هو مختارات من مجموعة اشعار غرامية للنابغة الهندي العصري رابندرانات طاغور الذي فاز بجائزة نوبل للشعر الخيالي وقدرها ٨٠٠٠ جنيه . عربها نظماً ونثراً حضرة الفاضل وديع افندي البستاني معرب « رباعيات عمر الخيام » . والى القارئ نثر قصيدة للشاعر الهندي معربة نثراً ثم نظماً للمقابلة بينهما ومعرفة مقدار ما لقي الشاعر العربي من العناء في النظم :

« جنيتُ زهرتك ايتها الدنيا . وشددتُ بها الى قلبي فنفذ فيَّ شوكها . ولما انقضى عمر النهار واظلمتْ الفيتُ الزهرة قد ذبلتْ اما الالم فلم يزل باقياً

ولن تُعدمي أزهاراً ذوات عبيرٍ وكبرٍ ايتها الدنيا . اما انا فقد انقضى زمني وعهد اجمع فيهِ الزهر وقد امسيتُ في ليلة طويلة وقد عدمتُ وردتي ولم يبقَ لي غير الالم »

جنيتُ الزهرةَ الزهرا ءَ يا دنيايَ في فجري
شددتُ بها على قلبي فشكَّ الشوك في نحري

***

ولما جنَّني ليلي واسدل حالك الستر
بكيتُ نضيرها الذاوي بكيتُ عبيرها العطري
وقلتُ الا سوى ألمٍ لحسن الزهر من ذكرِ

***

فيا دنيايَ بالازها ر عيناً بعدنا قرّي
فروضُك منبتٌ منهنَّ ذات النفح والنشرِ
وذات الزهو والإدلا ل بين العجب والكبْرِ
مضى يومي وقد أزمعتُ إدلاجاً إلى قبري
وحادي الموت يشجيني برنَّانٍ من الشعرِ
غدا صدري بلا وردٍ وشوك الورد في صدري

والديوان كلهُ على هذا النسق من جودة النظم ودقتهِ وقربهِ من الاصل والتصرف فيهِ احياناً كثيرة كما نبه اليهِ حضرة الناظم . وهو يشهد لهُ بحسن الذوق في الاختيار وحسن السبك في النظم

ومن غريب الاتفاق ان الشاعر الهندي اطلق على ديوانهِ اسم البستاني والشاعر السوري ملقب بالبستاني · وقد نُقل هذا الديوان الى كثير من اللغات الاوربية فاحسن شاعرنا العربي بنقلهِ الى العربية

مختار العقد

اهديت الينا نسخة من الطبعة الثالثة من هذا الكتاب لبعض نوابغ مدرسة القضاء الشرعي وقد اختاروا فيهِ نبذاً من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربهِ واصلحوا خطأها واضافوا اليهِ قاموساً يوضح ما غمض من كلماتهِ ويضبط ما فيهِ من الاعلام · قالوا في المقدمة :

« غير انا رأينا فيهِ ثلاثة عيوب كادت تذهب بحسنهِ وتمحو الاثر من استفادة الناس بهِ اما الاول فتحريف يكاد المعنى يضيع بسببهِ في كثير من مواضعهِ حتى سمعنا من اديب كبير ان اصلاح العقد الفريد مما ليس في مكنة انسان · ويبين لك هذا ان تنظر الى هذه الجملة (والفرح في اهلاك) ثم تعلم انها حرفت عن (والقدح في الملك) وحينئذٍ يظهر لك صعوبة هذا الاصلاح حقيقة · واما الثاني فتكرار كثير لان صاحب الكتاب صنفهُ مراعياً فيهِ المعاني التي يريد جمع الالفاظ المنبئة عنها وربما كانت الجملة او الحكاية تشتمل على معنيين او اكثر فيكررها في ابوابها مرتين او اكثر من ذلك · والثالث اشتمالهُ في بعض الاحيان على مالا تخلو منهُ كتب الادب القديمة من تعبيرات لم تكن البيئة اذ ذاك تراها مخلة بالادب ولا مما ينفر منهُ الذوق · والآن قد تغيرت الحال وتواضع القوم على آداب اخرى فصاروا يأنفون ان يروا كلمة فحش او هجاء أفحش فيهِ صاحبهُ مسطرة في كتاب ادب يكتب لترقية النفس وتهذيبها »

ولقد احسنوا فيما فعلوا وحبذا لو جرى مجراهم كل الذين ينشرون كتب الادب القديمة اذ ليس المراد بها الاطلاع على عيوب الاقدمين بل الاستفادة من رائع آدابهم

المغني في اللغة الفرنسوية

كتاب جامع لما يحتاج لاستعمالهِ من المفردات والجمل الفرنسوية الشائعة والمتداولة مع تصوير النطق بالكلمة الفرنسوية بحروف عربية لحضرة احمد ابو الخضر منسي وطبع على نفقة حضرة الخواجه اسحق مشعان قباني

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . و يشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) السكر والزهري

فاقوس . محمد افندي حنفي . ذكرتم في المقتطف عند المقارنة بين مرض السكر والزهري ان السكر لا دواء يشفي منهُ مع ان الاطباء طالما وصفوا للمرضى ادوية وباستعمالها وباعادة تحليل البول يظهر ان كمية السكر نقصت عن الاصل وبعض المرضى شفوا تماماً منهُ فما رأيكم في ذلك

ج . قد يخرج السكر مع البول في احوال مختلفة ولكن خروجهُ حينئذٍ لا يكون من اعراض داء البول السكري المعروف فيزول من نفسهِ او يزيد تارة و يقل اخرى ولا ضرر منهُ . اما داء البول السكري الحقيقي فلا يعلم سببهُ تماماً ولكنهُ قد يكون ناتجاً من آفة عصبيَّة او عن خلل في وظيفة الكبد او البنكرياس او يكون وراثيًّا وهذا تفيد فيهِ الحمية فائدة كبيرة وتفيد فيهِ ايضاً بعض الادوية حتى يعيش الانسان سنين كثيرة كانهُ غير مصاب بمرض ثم يموت بمرض آخر . والدواء الوحيد الذي ادعى بعض الاطباء انهُ شفى من البول السكري شفاء تامًّا احياناً انما هو الافيون ولكن يصح فيهِ قول المتنبي

اذا استشفيت من داء بداء
فاقتل ما اضرك ما شفاكا

(٢) خبز السن للمصاب بهِ

ومنهُ . لماذا يستعمل الخبز السن اي سن القمح للمصاب بهذا الداء

ج . لان هذا الخبز قليل المادة النشوية والنشاء يستحيل الى سكر و يساعد على تكون السكر بكثرة في البدن

(٣) خبز الذرة فيهِ

ومنهُ . اذا استعمل المريض الذرة الرفيعة او الذرة الشامية فهل منها ضرر . واذا خلطت بسن القمح ألا يجوز ان يأكل المريض خبزها

ج . ان النشا كثير في دقيق الذرة كما هو كثير في دقيق القمح . وليس المراد ان ينقطع المريض من اكل المواد النشوية انقطاعاً تامًّا بل ان يقلل من اكلها فاذا اكل خبز ذرة او خبز قمح وجب ان يقلل منهُ

(٤) الفاكهة والخضر فيهِ

ومنهُ . ما هي الفاكهة والخضر التي يجوز اكلها

ج . الفواكه والخضر الكثيرة السكر او الكثيرة النشا لا يجوز اكلها او يجب الامتناع عنها ما امكن كالعنب والموز والبرتقال والتفاح والبطاطس واللفت والجزر . ويحسن الاقتصار على اللحم واللبن والزبدة والجبن والبيض والبقول والخضر الخضراء كالهندباء واللوبياء والرشاد والشاي والقهوة من غير سكر

(٥) السكرين فيهِ

ومنهُ . هل السكرين يضرُّ المريض بهذا المرض اذا تعاطاهُ وما معنى السكرين

ج . كلا والسكرين مادة حلوة الطعم جدًّا تستخرج من قطران الفحم الحجري القمحة منها تحلي مثل اربعماية قمحة من السكر وهي تخرج من الجسم كما تدخلهُ فلا فائدة منها الاَّ الطعم الحلو الذي يشعر بهِ مستعملها

(٦) مرض بوت

الاسكندرية . ط . ر ما هو سبب مرض بوت وما علاجهُ

ج . سببهُ نخر في عظام العمود الفقري ناتج من التدرن فتنكسر فقرة او اكثر من جانب منها فينحني العمود الفقري بسبب ذلك . وقد يكون سببهُ وقعة يقعها الطفل او ضربة شديدة على الظهر . والنتيجة في كل حال تقوس الظهر وفساد الصحة وضعف القوة .

والعلاج صعب متعب واذا استعمل باكراً فقد ينجع ويقوم بان يستلقي المصاب على ظهرهِ اشهراً او سنين ويسند بالربط التي تساعد على تقويم ظهرهِ . ويطعم الطعام الجديد المغذي وبعض المقويات وينشق الهواء النقي واذا شفي كما هو الغالب فقد يبقى تيبس في ظهرهِ يتعبهُ زمناً طويلاً

(٧) كثرة نساء رشيد

ومنهُ . قيل ان مدينة رشيد تمتاز بان نساءها اكثر كثيراً من رجالها فما هي الحكمة في ذلك

ج . لا نرى فيهِ حكمةً ولكن نساء رشيد اكثر من رجالها على نسبة ما النساء اكثر من الرجال في مدن اخرى في هذا القطر فقد كان عدد الذكور فيها في التعداد الماضي ٨٢٩١ وعدد الاناث ٨٥١٩ وكان عدد الذكور في ابو تيج مثلاً ٥٧٥٢ وعدد الاناث ٦٢٧٢ وفي المحلة الكبرى الذكور ١٦٥٢٢ والاناث ١٧٠٢٠ وفي بني سويف الذكور ٦٢٦٦ والاناث ٦٤٨٨ وفي بيلة الذكور ٦٠٥٧ والاناث ٦٣١٩

(٨) دواء الدوسنطاريا

برنكنسا بالبرازيل . لبعض المشتركين طالعنا في عدد يونيو عن علاج لداء الدوسنطاريا فهل ثبت فعل هذا العلاج في شفاء الدوسنطاريا

ج . الاطباء عندنا فريقان فريق يثبت فائدتهُ وفريق يرتاب فيها او ينفيها ولم يمضِ الوقت الكافي حتى الآن للاجماع على فائدتهِ

(٩) الدخان والنكوتين

ومنهُ . قرأنا منذ زمن بعيد ان احد مواطنينا تمكَّن من سحب النكوتين من الدخان بدون ان يحدث تأثير في طعمهِ ورائحتهِ فهل ثبت هذا الاكتشاف وما هو

ج . لا نتذكر ذلك عن احد من المواطنين ولكنكم تجدون في المجلد الخامس عشر من المقتطف والصفحة ٤٩٤ ان الدكتور غوترات قال انهُ اذا مرَّ دخان التبغ على قطعة من القطن المندوف مبلولة بمذوب الحامض البيروغاليك زالت منهُ كل المواد المضرَّة بالصحة ولم يتغير طعمهُ وهذا مستعمل الآن . وفي المجلد ٢٨ من المقتطف والصفحة ١٠٤٥ ان الاستاذ هر جيرولد الالماني اكتشف طريقة يستطيع بها ازالة المضار التي تحدث من الافراط في تدخين التبغ كالدوار وخفقان القلب وامراض الصدر وذلك بان تغمس اوراق التبغ قبل تهيئتها في محلول من الحامض التنيك فيتحد هذا الحامض بالنكوتين و يتولد منهما مادة خالية من الاذى . ولكي تزيد لذة طعم التبغ يعالج بعدئذٍ بنقيع المردكوش فلا يختلف طعمهُ حينئذٍ عن طعم التبغ الاعتيادي

(١٠) الكحول من قصب السكر

ومنهُ . في هذه البلاد معامل كثيرة للسكَّر وقد فهمنا ان كل المعامل بعد استخراجها السكر من القصب تهملهُ ولا ترجو منهُ ثمت منفعة حاشا معملاً واحداً في هذه الجهات فهذا يشتغل فيهِ رجل وولدهُ وهذان الرجلان بعد عصرهما للقصب يأخذان الفضالة منهُ ويضيفان اليها اجزاء يجهلها غيرهم ويستخرجان منها الكحولاً بطريقة سرية . هذا المتعارف عنهما بين من يجاورهما فهل هذه الطريقة مبتكرة من الرجل وولدهِ . وهل في امكانكم ايضاح شيء عنها

ج . اذا اختمر السكر تولد منهُ الكحول ولكن المصاص الذي يعصر منهُ عصير السكر لا يبقى فيهِ من السكر ما يفي بنفقات استخراج الكحول منهُ فيحرق في معامل السكر واما الدبس الذي يبقى من غير تبلور وقت استخراج السكر والزبد الذي يخرج منهُ وقت تكريرهِ هذان يخمَّران و يستخرج منهما الكحول . فلا يصدق ما بلغكم عن هذا الرجل وابنهِ الاَّ اذا كانت المعصرة التي عندهم لا تخرج كل ما يمكن اخراجهُ من عصير القصب وهذا لا يكون في المعاصر المتقنة التي يتوقف ربحها على كثرة ما تعصرهُ من القصب حتى لا تكاد تبقي فيهِ شيئاً . اما استخراج الكحول من دبس القصب فمعروف ومستعمل في كل البلدان التي تستخرج السكر ومدارهُ على تخفيف الدبس

اولاً حتى يصير على ٨ درجات بومه ثم يضاف الى كل الف درهم من الدبس ١٥ درهماً من الحامض الكبريتيك الذي درجتهُ ٦٦ لكي يغير سكر القصب ويعدهُ للاختمار ثم تضاف اليهِ خميرة من خمائر مستخرجي الاشربة الروحية فيختمر وترتفع حرارتهُ ثم يستقطر كما يستقطر العرق عادة فيخرج من كل قنطار من الدبس نحو ٢٥ رطلاً من الكحول وقد لا يكون داعٍ لاضافة الخميرة في البلاد الحارة لان ما في الدبس من المواد النيتروجينية يختمر فيها من نفسهِ بالجراثيم اللاصقة بالآنية . ولا محل هنا لتفصيل الاعمال الكثيرة المتعلقة بذلك

(١١) رائحة الفم (البخر)

ومنهُ . لبعض الناس رائحة كريهة في افواههم وقد طلبوا الينا ان نسألكم هل من دواء مفيد لازالة هذا الداء

ج . ان سبب البخر وجود مواد فاسدة في الفم او الانف او حالة مرضيَّة في آلات التنفس او الهضم . فاذا تخللت مواد الطعام الاسنان وفسدت تزال بمسحها بفرشاة وقليل من الماء الفاتر مع قليل من كربونات المغنيسيا . ويفيد ايضاً غسل الاسنان بملعقة صغيرة من صبغة المر في كوبتين من الماء . وقد يفرز من اللوزتين مفرز نتن فيذاب اربع قمحات من نيترات الفضة في ثمانية دراهم من الماء وتدهن اللوزتان بهذا المذوَّب كلَّ صباح بفرشاة ناعمة مع استعمال جرعات صغيرة من دواء منوَّع واذا كان في الفم سن نخرة وجب ان تنظَّف وتحشى . واذا كانت العلة في الانف او في المسالك التنفسيَّة تعالج باستنشاق بخار الماء الذي اضيف اليهِ قليل من الكريوسوت . واذا كانت العلة من فساد الهضم فالعلاج المسهلات لتنظيف الامعاء ثم كربونات الصودا لتعديل حموضة المعدة ثم المقويات من المناقيع والصبغات المرَّة

واذا كانت علة البخر السكر او خراج في الرئة فلا دواء لها

(١٢) اللبن المغلي والسخن

ومنهُ . هل من فرق بين اللبن المغلي والسخن

ج . الاغلاء يميت ما قد يكون في اللبن من الجراثيم المرضية ولكنهُ يجعل اللبن عسر الهضم

(١٣) وادي الريان

الجرابيع . الياس افندي جرجس . هل من المنتظر اصلاح وادي الريان وهل سمعتم ان بعض الشركات الانكليزية قاصدة اتمام هذا المشروع الكبير

ج . مشروع وادي الريان الذي وضعهُ المستر كوب هو يتهوس ووافق عليهِ السر وليم ولككس يراد بهِ خزن جانب من مياه الفيضان في ذلك الوادي لاستعمالهِ للري ولمنع الغرق في سني الفيضان الغزير وقد تزرع جوانبهُ حينئذٍ ولكن الغرض الاهم خزن الماء فيهِ ولم نسمع ان شركة قصدت العمل بهِ

(١٤) والي جدة والمورة

زنجبار . السيد صالح بن علي بن صالح . ان من جملة المخطوطات القديمة التي جمعتها من زنجبار هذا المكتوب المصدر الى حضرتكم بالطي وهو من المرحوم محمد علي باشا صاحب مصر الى المرحوم السيد سعيد صاحب زنجبار مؤرخاً في ٧ شوال عام ١٢٤١ اي منذ نحو ٩٥ سنة . وقد اشكل عليَّ حل عبارة منهُ مؤلفة ثلاث كلمات من السطر التاسع وهي الواقعة بين « الوزير الخطير » وبين « وفتحوا القلاع » . وقد عرضت هذا المكتوب اكثر من مرة على اناس فلم يفتح على احد منهم حلها فبدا لي اخيراً ان اعرضها عليكم . ولعلَّ في نشر الكتاب كلهِ فائدة لقراء المقتطف

ج . رأينا ان ننشر صورة الكتاب كما اشرتم . والكلمات الثلاث التي اشرتم اليها نقرأ « والي جدة والمورة » . ولا يخفى ان محمد علي باشا ارسل ابنهُ طوسون باشا لمحاربة الوهابيين فحاربهم واستولى على جدة ومكة ثم ذهب محمد علي نفسهُ وواصل الحرب ولكن بلغهُ ان نبوليون بونابرت خرج من جزيرة البا فاوجس شرًّا وصالح ابن سعود امير الوهابية وعاد الى مصر سنة ١٨١٥ فوصلها يوم معركة وطرلو ثم ارسل ابنهُ الاكبر ابرهيم باشا في خريف سنة ١٨١٦ لاستئناف الحرب مع الوهابيين فقهرهم واستولى على عاصمتهم داريا سنة ١٨١٨ واسر اميرهم عبدالله بن مسعود وعاد الى مصر في آخر سنة ١٨١٩ ثم ثارت اليونان سنة ١٨٢١ فذهب ابرهيم باشا الى المورة بالاسطول المصري سنة ١٨٢٤ وكانت الدولة العلية قد عرضت على ابيهِ ولاية المورة وسورية . والظاهر من هذا الكتاب ان الدولة العلية اعطت ابرهيم باشا لقب والي جدة والمورة . اما ولاية جدة فنالها لما اعطتهُ الدولة لقب والي مكة بعد تغلبهِ على الوهابيين . وولاية المورة لما حاربها ولكن اليونان استقلت بعد حين وسار ابرهيم باشا الى سورية وفتح عكاء بعد حصار طويل ثم استولى على سورية كلها والتقى بجيوش الدولة فتغلَّب عليها واوغل في بلاد الاناضول فاضيفت سورية الى مصر بمشورة روسيا ورضي الدولة ولكن تغيرت الحال بعد وفاة السلطان محمود وخرج ابرهيم باشا من سورية ولم يبقَ لمحمد علي الاَّ القطر المصري . وخط الكتاب واسلوبهُ احسن مثال للغة الدواوين في ذلك العصر ولاسلوب الخط المتبع حينئذٍ وهو يقرأ هكذا

« الى حضرة معدن الفخر والسيادة صاحب اذيال العز والسعادة الجهبذ الهمام الاكرم الامام بن الامام الافخم الامام سعيد بن سلطان لا زال ملحوظاً بعناية العزيز الرحمن

بعد اهداء درر التحيات الفاخرة الناشئة عن قواعد المحبة والوداد واداء غرر تسليمات عاطرة مطيبة بنفحات عبير المودة والاتحاد

و بث تباريح الاشواق الوفية الى التملي بمشاهدة انوار طلعتكم البهية ذات المعالي والاسعاد الباعث لترقيم قائمة الولاء والخلوص والحب الوافي المخصوص اولاً افتقاد الخاطر الكريم العاطر لا زال محفوظاً بالطاف القوي القادر ثانياً نبدي للجناب انهُ بايمن وقت وآن وفد علينا كتابكم الكريم المتحلي بعقد فرائد الدر النظيم وكافة ما ابديتموهُ من لوازم المحبة والموالاة مراسم الخلة والمصافاة قد صار معلوم وقارن الاذعان والمفهوم ثم قد فهمنا ايضاً ما شرحتموهُ بمحقكم الصغير عن كيفية حال تركي الذميم الحقير فنبشركم ان الله سبحانهُ وتعالى قد تفضل وتكرم وفاض بفيض فضلهِ وانعم بايهاب النصر والظفر الى عساكرنا المنصورة التي تحت رايات سعادة ولدنا الوزير الخطير والي جده والموره وفتحوا القلاع والبلاد ودمّروا اهل البغي والفساد و بتاريخهِ حضرت لنا بشائر فتوح الحصن الحصين معقل الكفار الخاسرين وهي قلعة سولنك قهراً وعنوةً وبعد هذه لم يبقَ من الكفار سوى محلّين مستلزمين البوار فانشاء الله تعالى الكريم و بمدد روحانية رسولهِ العظيم بمدةٍ وجيزة من الايام تنتهي غايلة الكفرة الاروام واذ ذاك نبادر لقلع اثار الشقي تركي نسل الخوارج الفجار و يحل بهِ ما حل بقومهِ واهلهِ قبلهِ من البوار والدمار والآن بحسب ذلك وخاصة لاجل تأكيد مباني المحبة وتوطيد معاني الخلة والصحبة اقتضى ترقيم وتيرة الاخلاص فنروم دوام مواصلة رسائل الولاء والافادة عن كلما يحدث بتلك الجهات والانجاء ودمتم محفوظين والسلام ختام

في ٧ شوال سنة ١٢٤١ محمد علي»

وورق الكتاب ثخين متين جدًّا ولعلَّهُ ايطالي . وقد طوي طولاً وكتبت الكتابة على صفحة واحدة اي على ربع الورق . وخطهُ حسن مثل الخط الذي كان شائعاً في بلاد الشام منذ ستين سنة ويعرف بالخط الديواني وكذلك انشاؤُهُ حتى نظن ان كاتبهُ سوري . والحبر اسود فاحم . وطول كل سطر ١٦ سنتمتراً وبقية المزايا تظهر جليًّا في صورتهِ المقابلة التي اضطررنا ان نصغرها . والخطأُ اللغوي اقل مما يكون عادة في كتابات الدواوين المصرية . والظاهر ان الكاتب اراد بكلمة وتيرة المذكورة قبل آخرهِ كلمة وثيقة لان هذه هي الكلمة التي كانت تستعمل في مثل هذا المقام

ويظهر من الكتاب ان محمد علي كان يحسب الامام سعيداً صاحب زنجبار من الاكفاء فيخاطبهُ كما يخاطب الصديق صديقهُ

وهذا الامام اول من جعل مدينة زنجبار عاصمة ملكهِ في افريقية بعد ان كانت بلاد زنجبار كلها تابعة لمسقط وكان ذلك سنة ١٨٣٢ مسيحية الموافقة لسنة ١٢٤٨ ولذلك يحتمل ان هذا الكتاب أُرسل اليهِ وكان لم يزل في مسقط



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ديسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٦	٤	١٤
الهلال	١٤	١	١٧
الربع الاول	٢١	٨	٧
البدر	٢٨	١١	٥٢
القمر في الاوج	٦	٤	١٨
« « الحضيض	١٩	٠	١٢

السيارات

عطارد والزهرة — يكونان كوكبي مساء
المريخ — يشرق نحو نصف الليل
المشتري — يكون مشاهداً اثناء الليل
زحل — يشرق نحو الساعة ٩ مساء

اصل الحياة

يعلم قراء المقتطف خلاصة التجارب التي جربها الدكتور بستيان ونحواها توليد الحيّ من غير الحيّ خلافاً للقاعدة المشهورة وهي ان الحيّ لا يتولد الأ من حيّ مثلهِ . وقد قرأنا في مجلة « نولدج » الانكليزية حديثاً ان الدكتورين البرت واسكندر ماري الفرنسويين استأنفا تجارب بستيان ليحققا صحة ما اوصلتهُ اليهِ تجاربهُ من توليد احياء لا ترى الأ بالمكروسكوب من محلول بعض الاملاح بعد تعقيمهِ تعقيماً اساسهُ الدقة والعناية بحيث لا يبقى هناك مجال للريب بموت كل ما فيهِ . وذلك انهما اتيا بانابيب وضعا فيها محلول سيانيد الحديد والبوتاسيوم وكبريتيات الحديد ثم ختماها وعقماها عشر دقائق في حرارة عالية درجتها ١٣٠ بمقياس سنتغراد وتركاها كذلك سنة ونصف سنة ثم فتحاها وفحصا ما فيها فاذا هي كلها تحتوي على احياء يمكن استنباتها في محلول من الحديد اللبني . وعليهِ اكدا ان تجارب بستيان صحيحة

ورأينا في العدد نفسهِ من المجلة المذكورة رسالة من الدكتور برك علق فيها على ما كتب المستر اونسلو في مجلة نائشر من انهُ اعاد تجارب الدكتور بستيان فلم يرَ هناك اثراً للاحياء . وقال في تعليقهِ انهُ لا يبعد ان يكون نوع آخر من انواع الاشعاع غير نور الشمس كالراديوم مثلاً هو المنبه اللازم لبثّ الحياة في الجماد واخراج الحيّ من غير الحي

لقاح الجدري

اصدرت مصلحة الصحة الاميركية مذكرة قالت فيها ان لقاح الجدري يفقد مفعولهُ بسرعة ما لم يكن محفوظاً في مكان بارد . وطلبت من الجمهور ان لا يشتروا شيئاً من اللقاح الاَّ اذا تأكدوا انهُ كان محفوظاً في صندوق ثلج . وكلما اشتد البرد كان ذلك اكثر ملاءمة لهُ

العلم والصناعة

خطب الاستاذ بوب في جماعة من المعلمين وكان موضوع خطبتهِ اهمال الانكليز للمعارف الفنية الصناعية فقال ان المانيا استعدت للحرب بانشاء صناعة كيماوية عظيمة مدارها على الفحم الحجري وما يستخرج منهُ وباصدار مقدار كبير من الاصباغ التي قواعدها قطران الفحم واصدار ادوات الصيدلة والفوتغراف الى اسواق الدنيا وتجهيز قسم كبير مما تحتاج اليهِ الاسواق من ذلك . وصناعة القطران (اي المواد المستخرجة من قطران الفحم الحجري) انشئت في انكلترا اولاً وكانت المانيا منذ عشر سنوات تعتمد على انكلترا في القطران الخام والبسائط الاولية التي تستخرج منهُ

واشار في خطبتهِ الى انشاء ادارة للبحث العلمي والصناعي ووقف مليون جنيه لها فسأل لِمَ لم تنشأ هذه الادارة منذ عشرين سنة فلو انشئت حينئذٍ لفازت بلا ريب بمنع فظائع الثلاث السنوات الماضية . ولقد نكبنا في الماضي من جعل العالم الاخصائي عبداً طائعاً للاداري والاول يعلم كل شيء من موضوعهِ والثاني لا يعلم منهُ شيئاً . فهذه الطريقة اي طريقة انتداب رجل لا يعرف شيئاً للاشراف على عمل رجل يعرف كل شيء هي اصل كثير من رزايانا في الماضي . وفي سنة ١٩١٥ ارادت الحكومة احياء صناعة قطران الفحم في انكلترا فانتدبت لها رجالاً يجهلون الكيمياء خاصة وسائر العلوم عامة فكانت النتيجة الطبيعية اخفاق مسعاها . وهذا كلهُ ناشئ عن نقص التربية والتعليم فلو اتُّفق ان لا يحسب الرجل متعلماً ما لم يأخذ بنصيب من مبادئ العلوم الطبيعية والطريقة العلمية ما وقعنا في مثل هذا الخطإِ في مسئلة اصباغ الفحم الحجري على القليل

المطر واطلاق المدافع

لا نكاد نتصفح عدداً من اعداد مجلة نانشر الانكليزية الاَّ ونرى فيهِ كلاماً منها او من مكاتبيها عن علاقة اطلاق المدافع بنزول المطر . وآخر ما قرأناهُ فيها بهذا الشان ان الدكتور دلاندر مدير احد المراصد الفرنسوية كتب في محضر الاكادمي الفرنسوية مذكرة في هذا الموضوع ضمنها

حكاية للمسيو سن سان الموسيقي الفرنسوي المشهور والمعروف في هذا القطر · وخلاصة الحكاية انهُ في الاعياد الوطنية التي كانت تقام في باريس صيفاً في عهد الملك لويس فيليب كانت السهام النارية تطلق في الفضاء وتطلق معها المدافع لزيادة الصوت ارضاء للمشاهدين وفي كل مرة كان يعقب ذلك مطر غزير · ومن رأي سن سان ان المطر انما يعقب اطلاق المدافع في احوال معينة لم يذكرها · وقد قال الدكتور دلاندر في مذكرتهِ ان اطلاق المدافع لا يكون السبب الاصلي لنزول المطر ولكنهُ قد يساعد على اثارة المطر وتعجيلهِ وزيادة مقدارهِ · قال « ولا يبعد ان يكون صحيحاً ما قالهُ بلينيوس وفلوطرخس في كتبهما من ان امطاراً غزيرة كانت تعقب المعارك الكبيرة قبل اختراع القذائف بزمان طويل · وعندي ان قرع السيوف والحراب واحتكاك السهام واصطدام الحجارة وغيرها من مقذوفات القدماء الحربية كانت كافية لزيادة كهربائية الجوّ وتسهيل تكاثف بخار الماء وانعقادهِ مطراً قبل وقت المطر » · على ان فلكيًّا آخر وهو المسيو انجو أبان حديثًا ان طبقات الجوّ الواطئة هي دائمًا كثيرة الكهربائية وليس ثمت برهان على ان زيادة الكهربائية تعقد بخار الماء مطراً اذا لم يكن الهواء مشبعاً بهِ · وعندنا انهُ اذا ثبت ان المطر يقع في اثناء الحروب في احوال لا يقع فيها عادة فيكون سببهُ وقوعه الغبار الكثير المتطاير في الهواء حينئذٍ لان ذراتهِ تصير نوى تنعقد ذرات البخار حولها ماء · ولعل دخان البارود يفعل مثل ذلك اي ان دقائقهُ تكون نوى لانعقاد ذرات البخار الذي كان كثيراً ولم يجد شيئًا ينعقد حولهُ

اصلاح التعليم في انكلترا

وافق مجلس جامعة لندن على المذكرة الآتية في « العلم في التربية والادارة » وارسلها الى وزارة المالية ووزارة المعارف ولجنة الخدمة الملكية ولجنة العلوم في نظام التربية والتعليم في انكلترا والجمعية الملكية · وهذه ترجمة اهم ما فيها ممَّا قد يتمشى علينا نوردهُ لعلَّ فيهِ فائدة لنا

(١) يجب ان يكون غرض التعليم الاولي والثانوي تنشئة شبان عاملين نافعين وترقية العقل والاخلاق والتعليم في فروع العلم الاساسية

ويجب ان تحسب دروس الآداب واللغات والرياضة والعلم الطبيعي فروعًا اساسية للعلم وان يعلَّم كل تلميذ بعض الشيء منها · اما التلاميذ الذين يواصلون الدرس بعد بلوغهم سن السادسة عشرة فيجب ان يواصلوا درس هذه الفروع

ويحسن ان يعلَّم الطلبة بعض الفنون

او الاعمال اليدوية ويحسب ذلك ذا شأن عظيم جدًّا ولكن لا يحسن ان يكون الزاميًّا

(٢) يجب ان يكون تعليم العلوم الطبيعية (و بينها علم الطبيعة والكيمياء) الزاميًّا في جميع المدارس الثانوية للبنين والبنات

(٣) يجب ان تنشأ مدارس يومية للفنون طبقًا للحاجات المحلية في جميع المراكز الصناعية وتكون للبنين والبنات الذين سنهم بين ١٣ و ١٦ ويريدون ان يتعلموا فنًّا او صناعة (كالهندسة والصيدلة واحد الفنون الجميلة) بعد بلوغ السادسة عشرة

وهناك خمس مواد اخرى اغفلناها لانها تختص بامور لا تهمنا في نظاماتنا التعليمية مثل درس اللاتينية واليونانية القديمة وغير ذلك

سبب السرطان وعلاجهُ

وضع الدكتور بركلي من نيو يورك مجلدين في سبب السرطان وعلاجهِ ظهر الاول منهما سابقًا والثاني حديثًا · وقد قال في الاول ان السرطان ناشيءٌ عن الافراط في تناول البروتيين الحيواني وعن عجز في تمثيل النتروجين · وعاد في المجلد الثاني فكرر هذا الرأي · وقال ان هناك عوامل اخرى في احداثهِ ولكنها ثانوية لا يؤْبه لها · وفصل مباحثهُ في التغيرات التي تطرأُ على بول المصابين بالسرطان ودمهم و بعض نتائج معالجتهِ اياهم وخلاصة هذه المعالجة الاقتصار على اكل الاطعمة النباتية واخذ بعض المسهلات · وقد وافق ايضًا على مذهب الدكتور روس وهو ان من اسباب السرطان قلة بعض الاملاح المعدنية في الجسم وخصوصًا املاح البوتاسيوم فانهُ كان يلاحظ في معالجة مرضاهُ ان خلات البوتاسيوم كانت تفيدهم فائدة كبيرة

تقسيم النقود الانكليزية

ذكرنا في مقتطف اكتوبر ان جمعية اصحاب البنوك اشارت على الحكومة الانكليزية ان تقسّم نقودها كتقسيم النقود المصرية فتجعل الجنيه الانكليزي قاعدة لها وتقسمهُ الى الف مِل (بدل مليم) فيصير الشلن خمسين مِلاًّ وتسك نقوداً من النكل بعشرة ملات وخمسة مِلات وملين ونصف · وحبذا لو اختاروا كلمة مليم بدل كلمة مِل وجُعل المليم عندنا جزءا من الف جزء من الجنيه الانكليزي بدلاً من جعلهِ جزءا من الف من الجنيه المصري والغرش جزءا من مئة من الجنيه الانكليزي بدلاً من جعلهِ جزءا من مئة من الجنيه المصري · وقد تخسر الحكومة المصرية في ضرائب الاطيان نحو مئة وعشرين الف جنيه في السنة بهذا التغيير ولكنها خسارة طفيفة لا تقابل بالفوائد

التجارية التي تحصل من توحيد المعاملة بين القطر المصري والبلدان الانكليزية . وحينئذٍ بحسب البنتو الفرنسوي ٨٠٠ مليم والفرنك ٤٠ مليماً فيسهل التعاطي بين مصر وكل البلدان التي نقودها مثل النقود الفرنسوية

وفاة السر وليم هرشل

السر وليم هرشل ابن فلكي مشهور وحفيد فلكي مشهور . فان جدَّهُ مكتشف السيّار اورانوس واباهُ من اكابر علماء الفلك في القرن التاسع عشر . اما السر وليم فاشهر ما عرف بهِ ترويجهُ لاكتشاف مشهور وهو الاهتداء الى المجرمين بواسطة بصم الاصابع . ففي سنة ۱۸۲۳ وجّه بركنج الفسيولوجي الالماني الانظار الى اختلاف خطوط الاصابع في الناس اختلاف الناس في الوجوه بحيث يصحّ حسبانهُ مميزاً طبيعيًّا لهم بعضهم عن بعض كما يتميزون في ملامحهم ونغمات اصواتهم وبالتالي يمكن استخدامهُ في الاهتداء الى المجرمين . وفي سنة ۱۸۵۹ بسط السر وليم لحكومة الهند وكان موظفاً فيها اهمية هذه المسئلة ولكنها لم تلتفت الى قوله حتى سنة ۱۸۹۷ اي بعد ان ترك الهند بعشرين سنة فانتدبت حينئذٍ لجنة لدرس هذه المسئلة ثم عهدت الى المستر هنري (السر ادورد هنري الآن) في ادخال هذا النظام الى ولاية بنغال وكان المستر هنري مفتش البوليس فيها . ثم نقل هذا الى لندن وعين مديراً للبوليس فيها فطبق الاكتشاف تطبيقاً علميًّا على مسئلة الاهتداء الى المجرمين

الالتهاب السحائي

او التهاب اغشية الدماغ وهو نوعان مكروبيٌّ وتدرنيٌّ . كتب الدكتور هورت الانكليزي مقالة في جريدة الجمعية الملكية المكرسكوبية فصّل فيها المباحث التي بحثها لكشف النقاب عن تاريخ مكروب الالتهاب السحائي الوبائي او نوعهِ المعروف باسم Cerebro-Spinal fever اي الحمى التي تصيب اغشية الدماغ والحبل الشوكي . ومن اهم النتائج التي اوصلتهُ مباحثهُ اليها قولهُ انهُ اثبت بالامتحان وجود مكروبات شديدة الصغر لهذا المرض يمكن ترشيحها وتسبب الالتهاب السحائي كالمستنبتات التي لا ترشح . اما من حيث العلاج فلم يزد شيئاً على ما تمَّ في هذا الصدد على يد الكولونل غوردن

تجارة مصر

بلغت قيمة صادرات القطر المصري الى آخر اكتوبر حسب تقدير الجمارك ۲۹ ۷۹۸ ۱۵٦ جنيهاً وقيمة وارداتهِ ۲٤ ٤۲۷ ۵۱٤ جنيهاً فالزيادة في قيمة الصادرات اكثر من خمسة ملايين وثلث مليون ولولا الزيادة الفاحشة

في ثمن ما ورد من الدخان لكان الفرق بين الصادر والوارد اكثر من ذلك فان قيمة الوارد من الدخان بلغت ١٩٠٧٥٤١ جنيهاً وكانت في العام الماضي الى آخر اكتوبر ٤٨٤٢٠٧ فقط اي زادت عن العام الماضي نحو مليون وربع مليون من الجنيهات

وبعض الواردات التي زاد ثمن ما ورد منها ليست مما يستقطع بكثرة عادة في القطر المصري وانما كثر ورودها للجيش البريطاني كاللحم المبرد والسمك المقدد وما بقي زاد ثمنهُ بسبب زيادة الاسعار لا بسبب كثرة المقدار الوارد كما في الدخان والمنسوجات على انواعها فان الوارد من الدخان في العام الماضي كان ٤١٤ ٣٣٢ ٥ كيلوغراماً بلغ ثمنها ٣٤٩ ٥٨٠ جنيهاً والوارد هذا العام بلغ ٤٩٦٧٠٦٨ كيلو غراماً اي اقل منهُ في العام الماضي ولكن بلغ ثمنها ١٧٨٤٥٩٧ جنيهاً

وفاة ادولف باير

الاستاذ ادولف باير من اكبر علماء الكيمياء الصناعية . وقد ابنتهُ مجلة نانشر في صفحتين وقالت عنهُ انهُ استاذ اشهر الكيماويين في انكلترا والمانيا . واهمّ ما عرف عنهُ في الكيمياء الصناعية مباحثهُ وتجاربهُ في الفثالين والبنزين والنيلة ومشتقاتها والبولياسيتالين والبروكسيد وتركيب املاح الاوكسونيوم والوان التريفنيلمثين

الخلد في الاسر

اشتهر عند مربي الحيوانات صعوبة تربية الخلد الاوربي في الاسر ولكننا قرأنا في مجلة نانشر نقلاً عن مجلة اخرى ان مس بت الانكليزية ربّت بعض هذه الخلود ونجحت في تربيتها كلّ النجاح وكتبت مقالة وصفتها فيها . ومما جاء في هذه المقالة قولها : وما من احد الاَّ وقد سمع عن شراهة الخلد ولكنني لست اظن احداً ادرك درجة هذه الشراهة . ولبيان ذلك اقول ان خلداً ربيتهُ كان يأكل اكثر من ثقل جسمهِ دوداً في يوم كامل . وقد كنت اطعم الخلود التي ربيتها لحم بقر نيئاً ولحم ضأن ورؤُوس الطير وكبود الارانب فكانت النتيجة تختلف بين النجاح والفشل . وظهر لي انها كانت تفضل الجبن على غيرهِ من الطعام دائماً . وكنت ارقبها وهي تحفر اجحارها فكانت تحفر بقوائمها الامامية وتجرف التراب بالخلفية » والخلد الاوربي غير خلدنا

هبة اميركية

توفي منذ عهد غير بعيد في اميركا القاضي روبرت بنهام من خريجي جامعة كارولينا الشمالية . ثم توفيت ارملتهُ بعدهُ فتركت في وصيتها مالاً فائدتهُ ٧٥ الف ريال في السنة لانشاء مناصب للاساتذة في الجامعة المذكورة . ويقدر المال بمبلغ مليون ونصف من الريالات او نحو ٣٠٠ الف جنيه

السفن الخفية

شاع ان المستر اديصن المخترع الاميركي الشهير اخترع طريقة لجعل السفن غير منظورة عن بعد قليل فنتقي بذلك غدر الغواصات على قدر الامكان . قالت مجلة نانتشر في التعليق على هذه الاشاعة « ان فكرة جعل السفن غير منظورة ليست بالفكرة الحديثة ولكن ربما كانت الطريقة حديثة . اما الصعوبة فيما يخصُّ الغواصات من هذا الاختراع فهي ان عين الغواصات ترى كل شيء يعرض امامها على ديباجة الجوّ واخفاء البواخر عن العيون انما يكون بجعل لونها مثل لون البحر تماماً وهذا لا يمنع الغواصة من رؤيتها »

التلفون في اميركا

مما يدلُّ على سعة انتشار التلفون في اميركا ان لورد نورثكلف صاحب التيمس والدايلي مايل وغيرهما من صحف انكلترا زار اثناء وجوده في اميركا مكتب شركة التلفون والتلغراف في نيويورك فاسمعوهُ صدى تلاطم امواج الاتلانتيكي والباسيفيكي في وقت واحد . ذلك انهم وضعوا قابلتين لجمع امواج الصوت الواحدة عند شاطىء الاتلانتيكي والاخرى عند شاطىء الباسيفيكي ووصلوهما باسلاك التلفون الممتدة الى المكتب فلما وضع التلفون على اذنيهِ اذا بهِ يسمع بالواحدة صوت الاتلانتيكي وبالثانية صوت الباسيفيكي

توحيد مقاس الطيارات

اهتمت الحكومة الاميركية بتوحيد مقاس الطيارات التي تنوي عملها لهذهِ الحرب حتى يصلح لكل طيارة ما يصلح لغيرها من الاجزاء وتكون كلها على مقاس واحد في كل شيء وانتدبت اثنين من اكبر مهندسي الطيارات ليتفقا على الاقدار والرسوم اللازمة وضمت اليهما كبار اصحاب معامل الطيارات فباحوا لهما باسرار معاملهم من هذا القبيل وظلَّ الجميع في بحث وتحقيق الى ان اتفقوا على اقيسة مخصوصة فصنعوا طيارة حسبها في شهر من الزمان وجربوها في وشنطون فجاءت وافية بالغرض تماماً ومرادهم ان يصنعوا كل طياراتهم الحربية مثلها

للبحث العلمي

توفي المستر كوثرون من اهل مدينة نلسن في نيوزيلندا وترك للمدينة ٢٥٠ الف جنيه لتنفق على البحث العلمي لمنفعة ولاية نلسن ونيوزيلندا بوجه خاص

هبة عالم

استخرج الدكتور روبرتسن استاذ الكيمياء البيولوجية في جامعة كليفورنيا منذ زمان مادة من الغدة البلغمية تستعمل لتعجيل التئام الجروح البطيئة الشفاء . وقد كتب وصية ترك فيها ايراد هذا الاكتشاف للجامعة

فهرس الجزء السادس من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة

